الروحانية الأرثوذكسية

مقالات في التسليم الكنسي والحياة الروحية

دكتور جورج حبيب بباوي

٢٠٢٠

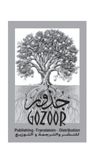
الروحانية الأرثوذكسية

مقالات في التسليم الكنسي والحياة الروحية

دكتور جورج حبيب بباوي

٢٠٢٠

الكتاب : الروحانية الأرثوذكسية
مقالات في التسليم الكنسي والحياة الروحية
المؤلف : الدكتور جورج حبيب بباوي
الناشر : جذور للنشر – ت: ٢٧٧٩٦١٣٧
الطبعة : الأولى ٢٠٢٠
رقم الإيداع : ٢٠١٩/٢٣٢٦١
الترقيم الدولي : 978-977-5086-30-3
المطبعة : جي سي سنتر ت: ٢٧٧٩٦١٣٧
١٤ ش محمود حافظ ـ ميدان سفير ـ مصر الجديدة



جدول محتويات

تقديم

"المحبة القوية تطرح الشكوك خارجًا، والمحبة الضعيفة هي حليفُ الشكوك".

بهذه العبارة الموجزة لخَّص أبونا فليمون المقاري حياته كلها. وقد تُعجِب أو لا تُعجِب هذه الكلمات البعض، وبالتالي يبحثون عن فكرة أو عبارة تدعِّم أو تهدم هذه العبارة، ولكنها في حقيقة الأمر، ملخَّص حياة مصارع قوي عاش حياته في الدير بعيدًا عن كل نقاش، وتظاهر بالعَبَط، أو بما أسماه هو "البليِّم". فكان يقول: في حدة الغضب تِبلِّم حتى تسلّم قلبك من كل الانفعالات. هكذا عاش، وكانت حياته وكلماته نسيجًا واحدًا.

ما دوِّن في هذه الصفحات هو خبرة وتذوُّق لمحبة المسيح في حياة كثيرين، بغض النظر عما إذا سلَّط عليه المشاغبون سياط الشك، بالرغم من أنهم لم يتقابلوا مع هؤلاء، ولا تحدثوا إليهم.

لقد جاء كاسيان إلى الإسقيط، وسجَّل محاوراته مع الشيوخ، ربما كان أحدهم هو موسى الأسود. ونقل خبرة الشيوخ إلى عالمٍ كان في أشد العطش لأنْ يعرف حياة آباء البرية. ولم يكن في الكنيسة الجامعة مشاغبون يجيدون التشكيك ونشر الكراهية؛ لأن مسيحيي القرون الأولى كان لديهم تعليمٌ عن الإفراز والتمييز، فلم يكن أحدهم يسأل من الذي قال؟ بل ماذا يقصد بما قال أو كتب؟ ولكن يبدو -في ظل انعدام الإفراز والتمييز- أن الصراع الدائر حولنا عن صحة الأحاديث النبوية انتقل إلينا بفعل فاعل، فإذا ما ورد اسم الأب متى المسكين أو اسم كاتب هذه السطور، سرعان ما طفت دوائر التشكيك فوق السطح. لكننا -كما كتب كاسيان- نكتب للآتين بعدنا إلى الأبد. لذا فالشكر واجبٌ لكل

من تحمل عبء نشر نصوصٍ مر عليها أكثر من ١٤٠٠ سنة.

إن مجرد محاولة الدراسة سوف تفتح الوعي على حقائق علاقتنا بالرب يسوع الذي لا يتركنا أبدًا، والذي يحيا فينا لكي يطهرنا ويقدمنا قربانَ محبةٍ للآب حسب كلمات صلاة قسمة سبت الفرح.

الرب يعوِّض الذين تعبوا في كتابة ومراجعة أصول هذه المقالات، وكذلك الناشر الذي غامر بالنشر ضاربًا عرض الحائط بموجة الكراهية والشك، إرضاءً للرب وحده، ومحبةً في الأخوة والأخوات، آملًا أن يصل قارب المعرفة إلى ميناء الخلاص.

دكتور

جورج حبيب بباوي

٥ سبتمبر ٢٠١٩ انديانا – أمريكا

هذه وصيتي

هدية لقراء وقارئات الموقع[١]

بعد منتصف ليل ٢٦ نوفمبر أكون قد عبرتُ ٧٥ سنة من عمر هذه الحياة. وأصبح من الآن هناك ضرورة أن أكتبَ وصيةً للأخوة والأخوات الذين أحبوني، والذين يكرهونني ولا زالوا يعملون كل ما في وسعهم لكي أظل مطارداً، ولصقوا بي أموراً لم أفكر حتى فيها.

هذه هي وصية مَن دخل –حسب التسليم الكنسي– مرتبة الشيوخ.

* لا بديل للمسيح. ولا وسيط يقف بيننا وبين المسيح. عندما نقول إنه الرب يسوع، فنحن نقصد أنه لا يوجد مصدرٌ آخر للحق، ولا يوجد مصدرٌ آخر للحياة، ولا يوجد من يستطيع أن يأخذ مكان يسوع.

* الدراسة والاجتهاد والبحث ضروراتٌ ولوازم، ولكن سِر يسوع المسيح يعلو على كل ما وَصَلَت إليه لغتنا ومصادرنا. ما لدينا هي محاولاتٌ جادة وأمينة، ولكن يبقى يسوع أعظمُ من كل الأفكار والنُّظم، ويعلو على كل تحديد عقيدي؛ لأن أي تحديد عقيدي هو بمثابة علامة أو خارطة تدلُّ حقاً على يسوع، ولكن يسوع ليس هو العلامة، ولا هو خارطة، بل هو الطريق. قال يسوع: أنا الطريق، ويسوع هو الطريق إلى يسوع.

* حكمةُ الآباء لم تكن نصوصاً ولا قراءات، بل كانت اكتشاف علاقة

---

(١) مقال نشر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٧ نوفمبر ٢٠١٤.

الشركة. وما نقدمه من دراسات ونصوص هو دعوة لاكتشاف هذه الشركة.

*كلُّ ما هو من المحبة هو من الله. وحقاً قال الإنجيلي يوحنا: مَن لا يحب لم يعرف الله، فالمحبة هي سر حياة الآب والابن والروح.

الأسماء: الآب هو اسم ينبوع الألوهة. والابن هو استعلان هذه الألوهة التي تعطي لنا البنوة. والروح المنبثق من الآب هو روح المحبة رو ٥: ٢٥ يحمل إلينا محبة الآب والابن. وخارج المحبة، الثالوثُ مبهمٌ وصعب.

* الإيمان أساساً هو اختيارٌ، وليس كما هو سائدٌ عندنا "ثقةً"؛ لأن الاختيار يسبق الثقة.

لقد اخترتُ أن أكون مسيحياً أرثوذكسياً، ولم أحصل على تفويضٍ، أو شهادةٍ من أحد، بل أخذتُ هذه الهوية الكيانية من أسرار الانضمام إلى جسد المسيح الكنيسة في المعمودية، والمسحة الإلهية، وذبيحة محبة الابن له المجد.

أنا مسيحيٌّ لأن الثالوث القدوس جعلني مسيحياً، ولأن الثالوث خلقني لكي أرث ميراث أُم الشهداء كنيسة مصر العظيمة بنا، والحيَّة بنا، والناهضة بنا، والتي لو سارت عكس ذلك، لَكان هذا مسئولية كل عضو فيها.

* في القداس الإلهي أشتركُ في ذات حياة الآباء معلمي الأرثوذكسية، ووالدة الإله والملائكة والنُسَّاك. أشربُ الماءَ باسم الثالوث لكي يبقى وعيي بأنني خلقة الثالوث. أرشم علامة الصليب على ملابسي؛ لأنها هديةٌ من يسوع، وألبس فيها قوة المصلوب بالروح القدس، القوة الخفية الساكنة في أعماق كياني.

* يسوعُ هو صلاتي، وكل كلمة نطق بها يسوع هي مزمورٌ، وكل معجزةٍ، وكل تعليمٍ، هو ساعات الصلاة. هي أجبية خاصة لا تلغي أجبية الكنيسة، بل تكمل ما فيها؛ لأن سر يسوع أعظم من أن يحتويه كتابٌ أو قراءة.

* مشاكلُ الكنيسةِ هي مشاكلُ الربِّ نفسه، وهي القذارة والنجاسة التي نضعها نحن على جسده؛ لأن الكنيسة هي -فعلاً وحقاً- جسدُ المسيح. ولكن

ما نفعله لا ينجِّس المسيح، بل يُظهِر نجاستنا نحن.

* العداوةُ هي ثعبانُ الموت السام. مهما كانت الأسباب، ومهما كانت الحجج، المحبةُ تعلو على كل أشكال الشر.

* حُرِمتُ مرتين في مجمعٍ لا يعرف الإيمان، ومن أشخاصٍ لا يعرفون الرب. ولكن الرب فتح لي أبواب المعرفة والحرية، وتحوَّل شرُّ هؤلاء إلى أعظم بركة جعلتني أتمسَّكُ بأم الشهداء أكثر.

* لن أزحف على ركبتيَّ لكي أطلبَ الحِلَّ والغفرانَ من الذين لا يعرفون الله. وفي الوقت ذاته لن أحمل لأيٍّ منهم حقداً أو كراهية. هُم في الظلمة مقيمون، ولو كرهت أيَّاً منهم، فسوف أقف معهم في ذات النفق المظلم، نفق الكراهية، حيث الشيطان يمارس سلطانه الشرير الباطل.

* تعلَّمتُ من الذين لا يعرفون حتى القراءة والكتابة الكثير، من الأطفال والشباب والشابات والرجال والنساء.

تعلَّمتُ من الذين لم يدرسوا علوم الكنيسة كيف أعيش مسيحياً: من مينا المتوحِّد – فليمون المقاري – ميخائيل إبراهيم.

كما تعلَّمتُ من الدارسين: وهيب عطا الله – إبراهيم عطية – يسى حنا – مراد كامل – زاهر رياض – صليب سوريال – مكاري السرياني – شنودة السرياني – أنطونيوس البراموسي – وهيب جورجي – موريس تاوضروس – رشدي حنا – يسى عبد المسيح، وآخرين.

* ما أكثر الأخوة والأخوات الذين فتحوا قلوبهم وبيوتهم وأعطوني من كدهم وتعبهم. بعضهم لا زالوا يعملون في الموقع دون أجر، كما أنني أنا نفسي لم أطلب مالاً من الكتب. هذه ليست فضيلةً، ولا نسكاً، ولكن احتياج الكنيسة أكبر.

* أنا مسيحي أُرثوذكسي، حتى لو قالت كل شياطين الأرض غير ذلك. وحتى لو وقف ضد ذلك جيشُ الكذبة من الإكليروس. أقول من الإكليروس؛ لأن

من الإكليروس أساقفةً وقسوساً أعطوني سِرَّ الشكر، رغم قرار الحرمان، ولا زال هؤلاء يذكرونني على مذابح أُم الشهداء.

* أقول للكل: للأم والأب، ولكلِّ صديقٍ وعدوٍّ، لا أحمل في قلبي إلَّا محبة يسوع. أمَّا خطايا الآخرين ضدي، فلا تزعجني بالمرة. وتزوير الحقائق والتعليم، لا يُرَدُّ عليه إلَّا بالشهادة الحسنة لأجل مجد المسيح.

د. جورج حبيب بباوي

٢٧ نوفمبر ٢٠١٤ – الولايات المتحدة الأمريكية.

٢٧ نوفمبر ١٩٣٨ – مصر – القاهرة.

التسليم الكنسي[1]

-١-

تقدُمة محبة لقُرَّاء وقارئات الموقع:

تلزمُني محبتكم جميعًا أن أسلِّم لكم ما استلمته من شيوخ الكنيسة: القمص مينا المتوحد. القمص ميخائيل إبراهيم. القمص متى المسكين. الراهب فليمون المقاري.

لا تسأل مَن قال هذا، أو أشار إلى ذلك. هذا لا يهُم بالمرة، ولكن إذا كان ما أذكره هو من واقع صلوات الكنيسة، ومتناغم مع العقيدة الأرثوذكسية، فلا تنزعج، بل اقرأ من أجل الاستنارة.

أولًا: رشم الصليب:

- نأخذ رشمَ الصليبِ على دفعات: عند قبولنا موعوظين. الرشم بزيت الموعوظين، وهو طلب الاستنارة. يدخل رشم الصليب بالرشم بزيت الموعوظين في خدمة المعمودية المقدسة: "زيت عظة في الكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية".

وبعد جحد الشيطان، وهو زيت الفرح والبهجة؛ بسبب كسر كل علاقة مع الشيطان. وفي الـ ٣٦ رشمًا بالميرون بعد التغطيس في الماء ثلاث مرات باسم الثالوث.

فالصليب هو ختم بشارة الإنجيل، أي خبر الحياة أو بشارة الفرح.

---

(١) سلسلة مقالات منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في الفترة من ٨ ديسمبر ٢٠١٤ وحتى ٢٧ إبريل ٢٠١٥.

والصليب هو قوة رب المجد الذي هزم كل قوات العدو، وهو ما تؤكده صلوات المعمودية، ويسلمه لي ولك رسول المسيح (كولو ٢: ١٤-١٥)، ولذلك يرافقنا رشم الصليب في حياتنا اليومية.

ورشم الصليب بزيت الميرون (مسحة الروح القدس)، حيث يعطي لنا الروح القدس قوة المصلوب ربنا يسوع المسيح. لا يمكن فصل يسوع المصلوب والحي بالروح القدس الذي أقامه (رو ٨: ١١)، وحياة الحي إلى الأبد بالروح، وختم ملكه الإلهي هو الذي يبقي لنا شركتنا في الرب بالروح القدس؛ لأننا صُلبنا معه، ومُتنا معه، ودُفنَّا معه وقمنا معه (رو ٦: ١-٨).

رشم الصليب يأتي بقوة من الداخل من القلب:

* ارشم ذاتك بعزم، عزم مَن يقدِّم حياته للرب ذبيحةً حيَّةً؛ لكي توحِّد ذاتك بالمصلوب، فتجد الحياة الغالبة فيه.

* لا تهمل رشم الصليب لئلا تنسى أنه ختم المصالحة. اختم نفسك عندما يحتدم النقاش حتى تغلب الغضب وتطرد القوة التي تحرك البغضة في القلوب.

* ارشم ذاتك قبل أن تنام؛ لأنك مزمع أن تسلِّم جسدك وروحك للرب يسوع وقل معه: "يا أبتاه في يديك استودع روحي".

* ارشم ذاتك عندما تقوم من النوم؛ لأن الصليب هو قوة تجديد الحياة، وعند ارتداء ملابسك لأنك تخلع القديم وتلبس الجديد.

* ارشم ملابسك لأنها هدية وقربان من الله لك حتى وإن كانت من مالك وبنقودك لأنه أعطاك الصحة لتعمل.

* ارشم ذاتك قبل أي عمل؛ لأنك مصلوبٌ مع الرب، وخدمتك حتى للذين لا يحبونك هي ضرورية من أجل اتقان محبة الأعداء. من أتقن محبة الأعداء أتقن أول درس في محبة الثالوث الذي صالحنا لنفسه رغم أننا خطاه (راجع ٢كو ٥:

١٩)؛ لذلك ضع ختم المصالحة على قلبك وارشمه بقوة المعمودية لكي لا تسقط في البغضة.

* ارشم الصليب قبل الصلاة لأنه قوة المصالحة.

* ارشم الصليب عند صلاتنا "يا رب ارحم"؛ لأن رحمة الله العظمى قد تجلت في موت ابنه.

* ارشم الصليب قبل بدء أي صلاة؛ لأنها علامة عهد المصالحة وخدمة كهنوت الوسيط ربنا يسوع الذي باسمه نقدِّم الصلوات، لا سيما قبل قراءة الكتب المقدسة، لأن الصليب هو قوة الله للخلاص.

* ارشم ذاتك عند تقديم القربان؛ لأنك برشم الصليب توحِّد ذاتك مع يسوع قربان محبة الله الآب للإنسانية، ولكي تسري فيك قوة المحبة الإلهية.

* ارشم ذاتك عند سماع كلمات التقديس: "قدوس. قدوس. قدوس"؛ لأننا صولحنا مع القوات السمائية.

* ارشم ذاتك عند سماع كلمات الرب: "شَكَرَ – وبارَكَ – وقدَّسَ" لكي تشكر الآب على هبة الحياة، ولكي تنال بركة العهد الجديد، ولكي تتقدس بالذي قدس ذاته لأجلنا لكي نتقدس نحن فيه.

* ارشم ذاتك عند تمجيد الثالوث؛ لأن الصليب هو مجد المحبة الإلهية الثالوثية.

* ارشم ذاتك قبل تناول السرائر؛ لأنك –بالتناول– صرتَ واحدًا مع الذبيح الأعظم. بعد تناول الدم الكريم ارشم ذاتك بما في فمك واختم جبهتك وعينيك بعلامة الصليب" (كيرلس الأورشليمي عظة عن تناول السرائر في تعليم الموعوظين).

تسبيح المصلوب بعلامة الصليب، هو تسبيحٌ للآب والروح القدس:

+ "باسم الآب مصدر حياتي والابن خلاصي والروح القدس حياتي وشركتي".

+ "أُسبِّحك يا رب لأنك أرسلت ابنك الوحيد هذا الذي نزل من السماء لأجلنا وبموته المحيي نقلنا من الشمال إلى اليمين وأجلسنا معه في السماويات".

+ عندما ترفع يدك لترسم علامة الصليب، وتلمس جبهتك قل: باسم الآب الذي دعاني من العبودية للحرية، والابن الذي فداني وحررني وبموته وقيامته أعطاني الروح القدس الذي نقلني من الشمال إلى اليمين".

+ ألمس عهدك الأبدي يا ربي يسوع المسيح برشم علامة عهدك الذي وهبه لنا أبيك الصالح بقوة روحك القدوس".

+ "قدوسٌ أنت أيها الآب الذي صالحنا في ابنه. قدوسٌ أنت يا ربي يسوع لأنه بموتك وقيامتك صار لنا غفران وميراث الملكوت. قدوسٌ أنت يا روح الآب الذي أنارنا لمعرفة المحبة الأزلية. أنرني يا ربي الصالح روح الحق لكي أجد في نورك الحق والحياة".

حركة اليد اليمنى:

+ هي ذات اليد التي رُفعت إلى فوق عند الاعتراف بالمسيح ربَّاً بعد جحد الشيطان في المعمودية. وهي ذات اليد التي ترشم علامة الصليب.

+ "باليد والفم والقلب وبقوة الروح القدس نختم ذواتنا؛ لأننا نضع انفسنا وجهًا لوجه مع ذات الاعتراف الذي قبلناه في خدمة سر التبني المعمودية المقدسة".

+ ارشم (اختم) ذاتك لأنك روحًا وجسدًا تتحول إلى مجد البنوة وختم ذاتك بعلامة "الملك الأبدي" علامة يسوع رب الحياة.

+ عندما ترشم ذاتك بعلامة الرب والمخلص، فأنت تدخل جسدًا وروحًا سر التبني، وعلى يمين الآب في المسيح الرب تقف عندما تقول: باسم الآب والابن والروح القدس.

+ اليد اليمنى واليد اليسرى قد غطستا معًا في مياه الحميم الجديد؛ لأن

الجسد الذي خُتِمَ ٣٦ ختمًا بالميرون الإلهي يخدم الثالوث؛ لأن الجسد برشومات الميرون قد وُحِّدَ مع الروح ليقف عند عرش الثالوث القدوس.

رشم الصليب وتمجيد الثالوث:

حسب التسليم الكنسي، كلما ذُكر اسم الثالوث الآب والابن والروح القدس تشاهد الذين استلموا الإيمان يرشمون ذواتهم، وكل مرة نذكر فيها السجود للآب والابن والروح القدس يرشمون أنفسهم ايضًا.

الرشم عند ذِكر الثالوث هو عودة الوعي إلى رشومات الميرون ونعمة التبني والمصالحة والخلاص.

أما عند السجود، فهو لأننا -برشم الصليب- نُسلِّم حياتنا للثالوث القدوس، ونتعلم خضوع ذلك الذي خضع للموت طواعية (يوحنا ١٠: ١٨) لكي يغرس فينا طاعة المحبة.

القارئُ اليقِظ: إن كنت قد عشت مع القمص ميخائيل إبراهيم، فسوف ترى بعض ملامحه في السطور السابقة، حيث كان أكثر إنسان يرشم الصليب. وإن كنت قد ذقت الجانب السري *Mystical* في صلاة القداس، فسوف ترى بعض ملامح القمص مينا المتوحد.

رجاء مراجعة كتاب "معاني رشم الصليب"[1].

([1]) منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

-٢-

المذبح والهيكل:

"المذبح البحري والمذبح القبلي". ليس لدينا مذبح شمال ومذبح يمين. هكذا قال أبونا مينا، ثم أضاف: ويكون مذبحٌ للرب في وسط أرض مصر، حسب نبوة أشعياء. ووسط أرض مصر ليس وسطية جغرافية، بل الوسط هو مكانٌ مميزٌ وسط غيره، وهو مميزٌ لأنه لرب القوات.

المذبح البحري هو وجه بحري، والمذبح القبلي هو وجه قبلي، ونحن نطوف حول المذبح أثناء صلوات الأواشي لكي يكون مذبحًا للرب في وادي النيل. ونحن نطوف حول المذبح؛ لأن المذبح هو مركز حياتنا المذبوحة بالمحبة، والذي هو الشاهد المنظور على المذبوح لأجلنا ربنا يسوع المسيح.

ثم علّق على كتابٍ يشرح طقوس الكنيسة، كنّا ندرسه في الكلية الإكليريكية، وقال لو احتجت إلى نار زيادة، حُط الكتاب في الفرن لما تخبز القربان. كان يضايقه تفسير الشمعتين[1] على أنهما الملاكين اللذين ظهرا عند قبر المخلص، وقال إن المذبح ليس قبرًا، ولا هو أسوار أريحا ندور حولها كما دار يشوع. الشمعة الأولى هي شهادة الشريعة، والشمعة الثانية هي شهادة الأنبياء، وكان أبونا عبد المسيح المسعودي يقول إنهما شهادة العتيقة (العهد القديم) والجديدة (العهد الجديد) على المائدة السماوية التي توضع لأجلنا نحن. هما شهادة للرب يسوع.

ولما قرأ معي الجزء الخاص بالابروسفارين والختم (اللفافة المثلثة)، قال إن تغطية التقدمة حتى في اللغة الدارجة "الستر" هو سبب وجود الموعوظين، فلا علاقة لهذا الطقس بدفن المسيح، ورفع اللفافة ليس لرفع ختم بيلاطس؛ لأن الرب قام والملاك

([1]) يحمل من نال سر المعمودية شمعةً عند الطواف به في الكنيسة؛ لأنه استنار، ولأن ما يعرف باسم "الزفة" هو تقديم من نال السر للشعب الحاضر الخدمة الالهية لكي يتعرف عليه ونصلي له أيضًا.

ميخائيل دحرج الحجر، وإنما لأن سر المسيح قد أُعلن. التقدمة مستورة عن الموعوظين، وتُعلَن بعد الاعتراف بالإيمان وصلاة الصلح.

الكاهن يغسل يديه أثناء الاعتراف بالإيمان؛ لأنه يعلن براءته من الهرطقات، ولسببٍ آخر، وهو "نظافة اليدين". الغسل هنا أمام الشعب براءةٌ من كل تعليم غريب.

مصرُ هي الهيكل، هي استعلان بركة وحضور ربنا يسوع المسيح في وادي النيل.

رشم الصليب استلمه من الرب يسوع:

قال لي أيضًا: مع كل رشم في الخدمة الإلهية (القداس)، لازم ترشم نفسك علشان توحَّد نفسك مع الأب الكاهن في الصلاة وقبول السر، لا سيما عند ذكر رشومات الخبز والخمر، وفي رشومات التقديس أثناء استدعاء الروح القدس؛ لكي تكون أنت ذبيحة موحَّدة برشم الصليب، وبقوة الروح القدس لكي تتحول أنت أيضًا إلى جسد المسيح.

وبعد استدعاء الروح القدس، عندما ينحني الكاهن أمام المخلِّص، ويقول السلام للكل، فالتسليم الكنسي هو أن رئيس الكهنة الرب يسوع هو الذي يعطي البركة برشم الصليب، وأنت لما ترشم نفسك، تأخذ رشم الصليب من الرب يسوع المسيح نفسه؛ لأنه يرشمك سريًا، وأنت ترشم نفسك لقبولك هذا الرشم.

كانت هذه هي المرة الثانية التي ذَكَرَ فيها أبونا مينا المتوحد هذا التسليم، ليس بنفس الألفاظ، وإنما بنفس التعليم.

لماذا نسجد عند استدعاء الروح القدس؟

لأننا بالسجود نخضع خضوع المحبة، وليس خضوع العبيد. أنت عارف إننا قبل السجود بنرشم أنفسنا بعلامة المصالحة (رشم الصليب)؛ لأننا بهذا الرشم نقدِّم ذواتنا بالروح القدس أنقياء بموت الرب وقيامته، ولأننا عندما نقول: "باسم الآب والابن والروح القدس"، نحن نعود بالقلب إلى تغطيس المعمودية وولادتنا الجديدة.

نحن نقبل جسد ودم الرب من الروح القدس الذي أعطى للابن له المجد ربنا يسوع هذا الجسد في تجسده، وباستدعاء الروح القدس نبقى في ذات التدبير.

-٣-

تنقية القلب- ١

- لم يستخدم أبي كلمتين: "جهاد"، أو "صراع"، ولا حتى وردت كلمة "حرب" على لسانه.

- كان يرى أن ما ساد في أروقة مدارس الأحد في ذلك الزمان (١٩٥٦ - ١٩٧١) قد ترك الأساسات. وكان يردد كلمات المزمور: "أساساته في الجبال المقدسة. يحب الرب أبواب صهيون (أي "مخارج القلب") أكثر من كل بيوت يعقوب (أي من كل الممارسات النسكية السلبية تلك التي لا هدف لها إلَّا هدفٌ واحد، وهو انشغال الإنسان بذاته، وهو بداية الانحراف عن الالتصاق بالرب يسوع).

- كانت الإبصاليات هي أول ما تعلمت. "تعلَّم الالتصاق بالرب لكي تتحد به". وجاءت بعد ذلك الثيئوطوكيات، أو كما هو شائع التذاكيات، وهي ليست تمجيدًا للقديسة مريم كما تبدو القراءة السطحية العابرة الباحثة عن أفكار، وإنما هي تمجيدُ "سر تجسد" ذاك "الذي أخذ لنا وأعطانا الذي له".

- السهر ليس هو عدم النوم كما يشاع، بل هو يبدأ:

أولًا: "بيقظة القلب"، القلب الذي يرفض كل ما هو ضد المسيح، وهذا الرفض له سببٌ واحد، وهو اختيار الرب يسوع "النصيب الصالح"، و"اسمه القدوس"؛ لأن الاسم القدوس "أعطى فرحًا لنفوسنا"، فهو "اسم الخلاص"، وهو "الاسم" الذي من الفكر يبدأ لكي يوحِّد القلب بالإحساس، وهو ليس العواطف وحدها، بل الالتزام "والعزيمة"، أو "قرار الإرادة" أن يتبعَ القلبُ "المخلِّصَ الواحدَ"

يسوع المسيح الذي لا خلاص آخر بدونه، والذي "هو خلاصنا وحياتنا كلها".

وحرية القلب مما هو "زائد" أي ما هو "غير ضروري"، وما هو "بلا نفع"، وما هو "غير أبدي"، هو الذي يعطي القلب حرية المحبة. ولكن "التحرر من الأهواء" ليس غايةً، بل وسيلة؛ لأن الغاية هي المسيح الرب. وكلما نقول: "يا ربي يسوع المسيح"، فنحن نعود بالوعي والإدراك إلى مصدر حياتنا الأبدية، وإلى مَن هو حياتنا الأبدية.

ثانيًا: بعد رفض ما هو غير ضروري، يجب أن يبحث القلب "بيقظة"، أو "القلب السهران يُفتِّش عن المحبوب"، وهو لا يُفتِّش عنه في فضاءٍ، أو في كتاب. وقد ظللت أسأل نفسي عدة مرات عن السبب الذي جعله يطلب مني في إلحاح أن أحفظ القداسات الثلاثة، وكل ما فيها من صلوات. كانت الإجابة أحيانًا سهلة: علشان تعرف تصلي من غير كتاب ولا ينشغل قلبك بالقراءة، بل يطلع الكلام من قلبك. وكانت الإجابة الأكثر صعوبة هي: علشان تعرف دائرة التدبير الإلهي للخلاص، فأنت لست وحدك، بل مع الكنيسة. وزادت الصعوبة عندما قال: "خلِّي صلوات القداسات يا ابني في قلبك علشان تحفظ الإيمان وتوحَّدك الصلوات بالرب يسوع". ولعل الإجابة الثالثة هامة؛ لأن حِفظ الإيمان ليس في التكوين اللفظي والعبارات، بل في المعاني التي "تفيض بمحبة الثالوث للبشر"، واستغرق هذا وقتًا.

لكن عَبر هذا التعليم، بدأت الرؤيا تظهر بوضوح. التمسُّك بما هو أبدي كضرورة لحرية القلب للبقاء في شركة، وللالتصاق بالرب يسوع المسيح.

وبدأت دائرة الفهم تتسع، **أولًا** بالممارسة؛ لأن التعليم الصادق هو ممارسة، وليس عرض أفكار. **وثانيًا** عدم الخلط بين الوسيلة والغاية.

– "النسك المزيف" هو "تداريب روحية"، وهي عودة الوعي إلى الوعي، أي انفصال الإنسان عن المخلص، وبقاء الإنسان في دائرة الوعي بما يجب أن يفعله، وهنا تصبح الذات هي الوسيلة والغاية معًا، وتتحول الحياة المسيحية إلى دائرة

مغلقة على الذات .. أخذ هذا وقتًا طويلًا، فقد كانت فترة الخمسينيات والستينيات هي فترة "التداريب الروحية"، وكان لها مدرسة تقود التعليم في تلك الفترة، أضاعت على الذين دخلوها اكتشاف غنى الحياة الليتورجية.

طبعًا، من المعروف أن أبي كان يصلي باكر – عشية – نصف الليل – قداس كل يوم، واحتفظ بهذا حتى عندما صار بطريركًا.

ماذا سُلِّم إلى جيلٍ تعلَّم منه، ولم يُكتَب؟

أولًا: التصاق القلب باسم "الخلاص"، أي اسم ربنا يسوع المسيح. ليس في ترديد الاسم بشكل ميكانيكي، فقد كانت "صلاة يسوع"، وجاءت كاكتشاف روحي في "مذكرات سائح روسي على دروب الرب"، نشرها أستاذنا يسى حنا، وكان تعليق القمص مينا المتوحد: هذا جيد؛ إذا حَفِظَ القلبُ الإبصاليات حتى لا ينفصل مَن يمارس صلاة يسوع، عن الكنيسة. وعندما سألته: ما هو الانفصال عن الكنيسة؟ قال في وداعة: حتى لا تصبح الإنسان الوحيد الذي يصلي؛ لأن صلوات الكنيسة أحلى ما فيها أنك تصلي مع غيرك، ومُتَّحد معهم في نفس الحياة والهدف.

ثانيًا: وكان هذا درسًا ضد تيار التعليم السائد، وهو: أن الاعتراف ضروري؛ إذا كانت لديك مشكلة. ولم يكن يقبل أن يتحول الاعتراف إلى "إدمان" الشعور بالراحة والاطمئنان لأن الرب غفر، بل لكي يتعلم التلميذ -إذا كانت التلمذة حقيقية- الإفراز؛ لأنه "مدرسة الحكمة الالهية".

والإفراز كان سؤالًا كان غامضًا في البداية، وهو: أيه اللي جوه جوه قلبك؟ أي ما هي حركة القلب الحقيقية، ما هو مصدرها، وما هي غايتها. البحث ليس عن خطية، بل عن الضعفات التي تقود إلى الخطية. ليس "التعدي"، بل سبب التعدي، وهو ليس "العصيان"، بل "ضعف المحبة"، وانعدام رؤية ما هو "أبدي".

لقد تقدم بي العمر، وصار من الضروري فتح كل الملفات مهما كانت.

-٤-

تنقية القلب والإرادة– ٢

ليس لدينا تعليم مسيحي شرقًا وغربًا يقول إن الإنسان يخلص بالأعمال الصالحة، وليس لدينا تعليم أفرزه الإنجيليون عن التبرير بالأعمال، أو تعليم عن حساب بر المسيح للخاطئ. هذه كلها معًا: الخلاص بالأعمال الصالحة، وحساب بر المسيح للخاطئ، هي خزعبلات العصر الوسيط.

كان أبي يعلمني أن المحبة هي أساس "الخلاص الأبدي". لاحظ كلمة "الأبدي"، وليس مجرد الإقلاع عن عادات سيئة أو التوبة بمعنى الكف عن الخطايا. هذا المعنى كان هو السائد في فترة طويلة امتدت من الأربعينات في القرن الماضي حتى عصرنا هذا. ولكن "الخلاص الأبدي" هو اكتشاف المحبة الإلهية على النحو الذي ذكره رسول الرب في (١كو ١٣: ١-١٠). وكان أبي يقول أيضًا إن ما أورده الرسول عن المحبة هو رسمٌ لأيقونة المخلِّص الرب يسوع المسيح له المجد.

الأساس الرسولي للمحبة هو: كل مَن لا يعرف المحبة لا يعرف الله (١ يوحنا ٤: ٧ – ٨). ويجب أن نضيف أيضًا أن: "محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس .." (رو ٥: ٥)، وعلى ذلك، فالتوبة الحقيقية هي تغيير الحياة، وهذا هو صراع المحبة الإلهية معنا وفينا:

- أن تحب الرب يسوع كنفسك؛ هو ما يجعلك تحيا بشكل مختلف.
- أن تجعل الرب يسوع أهم من كل ما تحب.
- أن تصبح محبة المسيح في قلبك هي سبب محبتك للآخرين.

هذه ليست خطوات مثل خطوات صعود السُّلَّم، بل هي صلاة يسوع. وما

تذكره الإبصاليات بالذات، هي حسب كلمات أبي: "المجال الإلهي لعمل الرب يسوع وإشراقه بالنور الإلهي في قلب كل مَن يدعوه".

الأعمال ليست ثمرة للإيمان كما يُقال، ولا هي ثمرة للمحبة. كل هذه التعبيرات لها خلفية نسكية مزوَّرة تؤدي إلى تقسيم الكيان الإنساني.

قال لي: "لنبدأ من أول الحكاية. الإرادة هي عزم الإنسان، وهو يجب أن يكون عزم المحبة، وليس مجرد فكرة في قلبك وضعتها للتنفيذ.

– القرار الإرادي هو الاتحاد بالرب يسوع وهذا يعني –أول الكل– أن يكون كيانك (الجسد والروح) ملكًا مشتركًا بينك وبين المخلِّص والفادي. عندما يملك المسيح على حياتك ومشاعرك ووجودك، فهذا يعني أنك لا تملك ذاتك لذاتك، بل تملك ذاتك للرب يسوع.

– كل الشرور والخطايا تأتي من مصدر واحد، وهو شعور الإنسان بالاستقلال عن الرب. انفراد الإنسان بوجوده[1] لكن علينا أن نحب الرب حقًا لا بالعواطف، ولكن بالممارسة. ليس بالشعور؛ لأن (العواطف هي باب خداع القلب)، ولكن بالعزم؛ لأن العزم له أساس أن كيانك ووجودك ليس لك. هذا لا يجعلك مثل من أصيب بالشلل، بل يجعلك حُرًّا من كل الصراعات التحتانية (اللي تحت مراقبة الضمير والشعور)، أي ما هو خفي (جُوَّة، جُوَّة في القلب). لن تملك الرب يسوع طالما أنت مستقل عنه، ولكن استقلال ذاتك يجب أن يكون القوة الذاتية التي تجعلك تطلب دائمًا الرب كلما أحسست بالابتعاد عنه.

– الرب يسوع هو حياة، وليس برشامة أسبرين تأخذها لما تكون تعبان. هذا التصرف، أي البحث عن الراحة والعزاء في المسيح فقط بدون الاتحاد به، هو ما يهدم المحبة؛ لأن المحبة الحقيقية هي في طلب الرب لشخصه فقط، وليس لأي أمرٍ آخر.

– كان عندنا في الدير أب مريض تعبان، ولكنه كان يقول للرب يسوع:

(1) كان ابونا فليمون المقاري يقول: "الانسان الفرداني هو محب لذاته فقط"!!

(الجسد ده بتاعك أنت، اعمل فيه اللي أنت عاوزه. أنا مش هَطلب الشفاء، ولكن هَطلب أن يكون جسدي ذبيحة حية مقبولة عندك).

- العزم الحقيقي نابع من الاتحاد، لا بقرار الإرادة فقط. والقلب يراقب ويرى كل يوم، بل كل ساعة -على قدر تقدُّمك في المحبة- مدى صحة محبتك.

- إذا فضَّلت لنفسك أي شيء، فلا تنزعج، طالما هو خير وصالح. كل مطالب الجسد مثل النوم — الأكل — الملابس — هي أمور صالحة مقدسة؛ لأنك تفعل هذه الأمور من أجل محبتك للرب".

قال والدموع في عينيه: في أول طريق الرهبنة قِيل لي إن جحد الذات هو رفض الإنسان لكيانه وحياته"، وأنا تعبت من هذا الكلام، ولكن واحد من شيوخ الدير -لم يذكر اسمه- قال لي: يا مينا حِبْ الرب يسوع لنفسك. هذا هو طريق جحد الذات، وهو الطريق الرسولي. وأصبحت أسير في الاتجاه الصحيح.

- يا ابني لا يمكن للإنسان أن ينكر وجوده، ولكن يمكن لكل إنسان أن يفهم معنى قول الرب: "انكر ذاتك واحمل صليبك، أي ذاتك المصلوبة، ثم اتبعني، أي اتَّحد بي في طريق الحياة".

- إغراءات الخطية لا تأتي من الخارج فقط، بل من الداخل أيضًا. وقد تأثرت بشكل لا يوصف عندما قرأت في سيرة الأنبا صموئيل المعترف أن البرابرة الذين أسروه قد ربطوه في سلسلة مع جارية لكي يزني معها. ولكن قلبه المشغول بمحبة الرب جعل حتى إغراءات الخطية تتلاشى.

- إذا انكسر عزمك، أو تغيَّرت إرادتك، فلا ترتعب ولا تجعل لليأس مكانًا. العودة إلى الخطية أو إلى الكسل معناه أن في القلب "جُوَّة جُوَّة" رغبات وشهوات لم تُكتَشَف، ومع الحزن يجب أن يكون لدينا رجاء في أن نكتشف ما هو في داخل القلب الذي أعادنا إلى سيرة قديمة، أو ذكريات باطلة بلا نفع. محبة الله التي توهب بالروح القدس تبيد كل ما هو باطل.

- تذكَّر كلمات الرسول بولس: "أنسى ما وراء"، وتذكَّر أيضًا كلمات الرب نفسه: "مَن يضع يده على المحراث ونظر إلى الوراء لا يصلح لملكوت السموات"؛ لأن النظرة إلى الوراء معناها نسيان الهدف. كان الأنبا أرسانيوس يقول: أرساني تأمَّل (في الهدف) الذي لأجله خرجت من العالم" وعندما يصبح الرب هو هدف ووسيلة حياتك، ستجد العزم الصالح؛ لأنه نار المحبة الإلهية المشتعلة في القلب.

-٥-

خدمة الثالوث القدوس
وخدمتنا مع القوات السماوية

"نحن نخدم الثالوث؛ لأن الثالوث يخدمنا". هذا هو ملخص كل ما يمكن أن يقال عن "الخدمة الإلهية"، وهو الاسم القديم الذي حل محله اسم "القداس".

"خدمة الثالوث لنا هي خدمة دائمة أبدية. في هذا الزمان: الاستنارة بالمعرفة الصحيحة بسبب الجهل الذي فينا — التقديس، وهو إعادتنا وتجديدنا بالروح القدس إلى صورة مجد المسيح.

ظَلَّت كلمات الخدمة الإلهية حيَّةً في قلبي تبحث عن معنى: "الذي ثبَّت قيام خورس الذين بلا جسد في البشر. الذي أعطى الذين على الأرض تسبيح السارافيم. اقبل منا نحن أيضًا أصواتنا مع غير المرئيين. احسبنا مع القوات السمائية .. يرسلون تسبحة الخلاص والغلبة الذي لنا بصوتٍ ممتلئ مجدًا يسبحون .. قدوس. قدوس. قدوس".

وكان علي أن أنتظر المناسبة، وهي لا تتأخر، بل تأتي في موعدها. عندما تغيَّبتُ عن عشية ونصف الليل وباكر والقداس، بسبب التهاب اللوزتين. وطبعًا سأل عني أبي، وأرسل لي أحد الأخوة يطلب حضوري إلى الكنيسة، وذهبت. وقال لي: "أنت عيان؟ خسارة ضاع عليك خدمتك للثالوث مع القوات السمائية". ونظرت إليه في حيرة، وكأنه سمع ذلك الصوت الخفي: كيف؟ فردد عبارات القداس الغريغوري السابقة، وقال: "إن خورس الذين بلا جسد

Πιαсωμαтос ليس النساك والآباء، بل القوات الملائكية التي تحرس المؤمنين، بل كما قال رسول رب المجد: "لكي يكون هو متقدِّمًا في كل شيء، لأنه فيه سُرَّ أن يحل كل الملء، وأن يصالح به الكل لذاته صانعًا الصلح بدم صليبه وبواسطة الصليب كل الذين على الأرض، أو كل الذين في السموات". ولم يكتفِ الرسول بهذا، بل أضاف من أجل تعزية أبدية لنا: "وأنتم الذين كنتم قبلًا أجنبيين (عن العهد مع ابراهيم) وأعداء في الفكر (الذي يلد الأعمال الشريرة) قد صالحكم أنتم الآن في جسد انسانيته بالموت ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه .." (كو ١: ١٩-٢٠).

"لقد تمَّت مصالحتنا مع السمائيين، ووحَّدنا الرب بهم، وفتح الرب لنا طريق الفردوس، إذ دخل معه اللص، وأعطانا شجرة الحياة، ولذلك نحن نقول بعد التناول: "نشكرك يا أبانا القدوس خالق الكل ورازق الجميع الذي أعطانا هذا الطعام المقدس غير المائت السري. الذي فَتَحَ لنا طريق الدخول إلى الحياة، الذي أرانا طريق الصعود إلى السموات .. لكي إذ نحيا بك .. نتغذى بك..". وفي ترتيب وتسليم الكنيسة، نعود إلى هذا الترتيب يوم السبت الكبير؛ لأنه يوم ظهور شجرة الحياة: "أتيت يا سيدنا وأنقذتنا بمعرفة صليبك الحقيقية (هزيمة الجحيم) وأنعمت لنا بشجرة الحياة التي هي جسدك الإلهي ودمك الحقيقي (قسمة سبت الفرح)".

"طعام الخلود والقيامة هو جسد الرب ودمه؛ لذلك كان أبي يأكل كل يوم من هذه الشجرة. وتوصَف باسم شجرة الحياة؛ لأن الشجرة دائمًا تثمر، وقوتها في الصلب والقيامة، لأن الصلب والقيامة هما معًا قوة الحياة الواحدة للكلمة الله المتجسد".

هكذا انفتح طريقٌ آخر قديم جدًا، هو "الطريق"، اسم من أسماء الرب يسوع، وهو بدوره "موحِّد السماء والأرض" تحت سيادته، أو رأسه الواحد، أي ربنا يسوع المسيح (أفسس ١: ١٠). هكذا يجب أن نفهم: "السلام للكنيسة بيت الملائكة"، فهو ليس البيت الحجري فقط، بل نحن أيضًا" (عب ٣: ٦).

لقد جاء الرب "ونزل من السماء"؛ لكي يوحِّد السماء والأرض، وسبى الجحيم، وفي كل مرة نصلي قداسًا ونرتِّل: "نزل إلى الجحيم من قِبل الصليب"، فإننا ندخل ليس المصالحة فقط، بل أيضًا وحدتنا مع السمائيين، ولذلك نرتل: "تسبحة الغلبة والخلاص".

كان الشيوخ يعلموننا أن نرشم الصليب عندما نشعر بمشكلة، أو مضايقات، أو خوف، أو تردد، أو فزع، وهو التسليم الكنسي الذي دوَّنه أثناسيوس الرسولي في سيرة الأنبا أنطونيوس. وعندما حَرِصَ أبي على أن أقرأ سيرة أنبا أنطونيوس عدة مرات، لا لكي "أبحث عن فكر"، بل لكي "أتعلَّم الممارسة"، قال لي في حزمٍ وبإصرار: "نحن نرشم أنفسنا عند كلمات التقديس: قدوس. قدوس. قدوس؛ لأننا نخدم مع القوات السمائية الثالوث القدوس الذي خدم لنا الخلاص بتجسد الابن وموته المحيي وقيامته المجيدة"، وأشار إلى أحد شيوخ دير الأنبا صموئيل، لم أتقابل معه، ولم يذكر اسمه، كان يردد دائمًا: إن رشم الصليب هو "الغطس في الرحمة والمحبة الإلهية"؛ لأننا سوف نقف على يمين العظمة الإلهية بقوة الروح القدس في اليوم الأخير، ونقف كلما رشمنا الصليب".

وقال لي أبي: "أغطس بقوة الصليب لكي تخدم مع القوات السمائية بالصلاة والتسبيح".

خدمتنا مع القوات السمائية كاستمرار للخدمة الإلهية:

قال لي: "والخدمة هي في الشهادة، أي في الحياة حسب المسيح، وهي في خدمة المحتاجين والمرضى، وكل من له حاجة؛ لأن الرب يسوع خَدَمَ هؤلاء لكي يأتي بهم إلى خدمة المصالحة مع الآب، ولكي ينالوا نعمة الملكوت، ولذلك نحن نخدم".

وقال أيضًا: "وخدمة الثالوث هي تعزية وتشجيع الأخوة والأخوات؛ لأن من يزرع كلمة الرب في أي قلب، يحصد هو أيضًا ثمرة منها عندما يراها تعمل، فيزداد

إيمانه ومحبته للرب".

يخالجني شعورٌ غريب يا أخوة، هو شعوري بأن ما أتذكره وأسجله الآن، كأنه حدث منذ ساعات قليلة. حقًا كما قال هو: "إن الكلمة التي ننطق بها، إن كانت كلمة حياة، فإنها تبقى؛ لأنها تنال قوة الحياة من مصدرها الحقيقي الذي قال: أنا هو الحياة".

-٦-

منهج الصلاة حسب تسليم الإبصاليات

دينٌ في عنقي، التسليم الكنسي لحياة الصلاة. طبعًا، كنت ولا زلت مبتدئًا، ولذلك لم يلقِ بي أبي في نهر الأجبية السريع الجريان، بل طلب مني في حزمٍ، أن أحفظ أوقات الصلاة: الثالثة — السادسة — التاسعة — الغروب، كمناسبات ليتورجية، دون ترديد المزامير والاكتفاء بالقطع فقط. كان حفظ المزامير إجباريًا في الإكليريكية. ولكن أبي قال: لا يوجد ضرر بالمرة، بل توجد بركة خاصة للقلب الذي يحفظ صلوات المزامير، ولكن المبتدئ لا يبدأ بالمزامير، بل بالإبصاليات. وقال بكل وضوح: "حفظ وصلاة الإبصاليات تزرعكَ في بحر محبة الابن الوحيد". يجب أن تتحد بالرب يسوع له المجد، وبعد ذلك سوف ندرس كيف تصلي المزامير.

الهدف الأول من الإبصاليات هو الالتصاق القلبي باسم الرب يسوع. وعندما ظهرت مذكرات سائح روسي لأبيه الروحي، تعريب الأستاذ يسى حنا، والناشر مكتبة مدارس أحد الجيزة. وكان القمص مكاري السرياني قدَّم هدية من الكتب لأبونا مينا، ولي أنا ايضًا..

وقرأتُ الكتابَ بلهفةٍ، ولكن أبونا مينا قال: إن هذه الممارسة جيدة، ولكن الشيوخ علَّمونا أن لا نردد كلمات ثابتة، وأن الثابت فقط هو اسم الرب يسوع، وأن نضيف نحن ما نحتاج إليه من كلمات؛ حتى لا يسقط المبتدئ في حفرة ترديد ميكانيكي بدون وعي.

والهدف الثاني هو أن الإبصاليات تضع أمام المصلي يسوع المسيح رب الكون، وفي تنسيق رائع متقَن يدخل تدبير الخلاص في هذا الإطار الكوني.

يبقى أن نلقي نظرة شاملة على محتويات الإبصاليات، ولكن بدايةً، يجب أن ننتبه إلي:

أولًا: يجب مراعاة الترتيب الكنسي نفسه؛ لأن يوم الأحد، أي يوم قيامة الرب هو بداية الأسبوع. ولعل المصلي يكون قد لاحظ أنه في يوم القيامة فقط توجد إبصالية آدام لوالدة الإله؛ لأنها إبصالية تمجّد تجسُّد رب المجد.

"الساكن في النور الذي لا يُدنى منه.

أظهر آياته وأرضعتِه اللبن".

ثانيًا: حسب الترتيب الكنسي، الآدام، ليس مجرد ذكرى طرد آدم من الفردوس، بل هو بداية التدبير.

إبصالية يوم الأحد:

لعلنا نلاحظ الصلة الشخصية في أول الإبصالية.

"طلبتُكَ من عمق قلبي

......

حِل عني رباطات الخطية".

وبعد ذلك: "ظَلِّل عليَّ بظلِّ جناحيك"، ثم التأكيد على أن الرب يسوع هو خالق الكون:

"في ستة أيام صنعت كل الخليقة".

....

"لك الربوبية والسلطان".

ليدخل التدبير في طلب الخلاص وفي السجود وطلب المغفرة، بل وقوف المصلي عاريًا تمامًا أمام الرب:

"جميع آثامي يا الله أمحها

أنت تعرف أفكاري وتفحص كُليتي".

وطبعًا صلاة يسوع هي: يا ربي يسوع أعني.

وطلب البقاء في شركة الروح القدس:

"روحك القدوس لا تنزعه مني".

ثم، طلب طريق الحق ⲙⲉⲑⲙⲏⲓ أي (العدل)، وهو طريق الملكوت الأبدي:

"ملكوتك يا إلهي

ملكوت أبدي".

وباقي الإبصالية هو السهل الممتنع

"حلوٌّ هو نيرك، وحملك خفيف".

وقد وُصِفَ النير بأنه حلوٌّ، وليس "هيِّنٌ" فقط؛ لأن النير يحمله اثنان معًا في وقت واحد: المصلي والرب يسوع معه.

أما خاتمة الإبصالية، فهي شركة الجماعة

"إذا ما اجتمعنا للصلاة، فلنبارك اسم ربي يسوع

لكي نسبحك مع أبيك الصالح والروح القدس؛ لأنك أتيت وخلصتنا".

إبصالية الاثنين:

تسبيح كل الخليقة للرب يسوع:

"ألوفُ ألوفٍ وربوات ربوات

والتسبيح قوة:

"كل مَن يقول يا ربي يسوع

كمن بيده سيف يصرع العدو".

الرب يسوع هو ملك الكون والكائن في كل مكان:

"لأنك بالحقيقة قد تعاليت جدًا

في السموات وعلى الأرض".

وحضور الله هو الذي يجعل اسم الرب في أفواه القديسين، فالحضور ضروري لأن الصلاة ليست حركة ميكانيكية:

"الله الكائن أمامهم واسمه القدوس في أفواههم كل حين".

ويجب أن ننتبه بشدة إلى أن الصلاة ليست اغترابًا عن الإفخارستيا، بل إن ملك الكون، والكائن في كل مكان، هو الله عمانوئيل، الطعام الحقيقي، شجرة الحياة العديمة الموت، وهو ما يدعو إلى "الانتباه الروحي":

"تجمَّعي فيَّ يا كل حواسي؛ لأُسبِّح وأمجد ربي يسوع".

والحواس حسب اليوناني القبطي هي **ⲛⲁⲗⲟⲅⲓⲥⲙⲟⲥ** لأن اللوغوس وضع في كيان كل كائن حي **ⲗⲟⲅⲟⲓ** القوة العاقلة التي تقود الكائن وتعطي له الإدراك لحياة الشركة، ولذلك، الانتباه يعني:

"فليكن اسم الرب فينا

ليضيء علينا في إنساننا الداخلي".

لا بُد من فهم هذه العبارة بالذات بعبارة الأوشية:

"اسمك القدوس هو الذي نقوله، فلتحيا نفوسنا بروحك القدوس".

هكذا يأتي مع اسم الرب، الاستنارة التي تحوِّل الكيان الإنساني، ولذلك:

"انت هو الإله الحقيقي الصانع العجائب".

و"إذا تحرَّك ألمٌ وحزنٌ على الماضي" (عبارة أبونا مينا)، فإننا نصلي:

"أيها الحمل الحقيقي الذي لله الآب

اصنع معنا رحمة في ملكوتك".

لأن الآب شهد له، والقوات السماوية لا تقدر أن تنظر إليه في هذه الشركة السماوية:

"نحن ننظرك كل يوم على المذبح

ونتناول من جسدك ودمك الكريمين".

اسم الرب يسوع وتدبير الخلاص:

لا يمكن مقارنة عطية الآب لنا، أي ربنا يسوع المسيح ذاته، بالشريعة:

فكل "بركات الناموس (الشريعة)

ليس فيها شيء يشبهك".

(يا ليت الذين يضعون الرب يسوع تحت الشريعة يخجلون).

ثم لا تنفرد الصلاة بالتلاوة، بل تعود إلى مَثَل الحجر الكثير الثمن الذي باع الرجل التاجر كل ما له واشتراه. وفي انسحاق قلب يطلب المصلي:

"اترك لنا (أعطنا **ⲛⲁⲛ ⲕⲱ**)

أيضًا هذا الحجر ليضيء علينا إنساننا الداخلي".

وتدخل الإبصالية في أعماق التكوين الإنساني، وهو صورة الإنسان التي كوَّنها لنفسه بدون الرب يسوع إلى صورة الإنسان الجديدة التي تتكون في المسيح:

"زينة نفوسنا (تكوين النفس وجمالها)

وفرح قلوبنا هو اسمك القدوس

يا ربي يسوع" (بدون إضافات حسب الأصل).

ما هو المعنى الحقيقي، أو بالحري ما هو الهدف؟ لقد تزيَّن الكيان الإنساني بالمسحة، أي مسحة الميرون – مسحة الروح القدس، وصار اسم يسوع المسيح هو فرح القلب؛ لأننا مُسحنا في الرب، فصار كلُّ مَن مُسِحَ هو "مسيحي"، هو

الصورة الجديدة غير الصورة الآدمية القديمة؛ لأنها "مأخوذة من الأزلي يسوع المسيح ونعمته الوافرة الغنية"، ولذلك لاحظ عزيزي القارئ دقة التعبير:

"تغيب الشمس والقمر في زمانهما
وأنت هو أنت وسنوك لن تفنى".

لكن ذلك الأزلي:

"طأطأتَ السموات، ونزلتَ أيضًا".

فصار بذلك:

"مثل طبيب حقيقي ومُشِفِ
داويت جميع أمراضنا".

ويبقى أن نتطلع إلى الملكوت، وهو غنى ورحمة وعطية الله لنا:

"أبتهل إليك يا ربي يسوع
أن ترحمني في ملكوتك".

-٧-

ذكريات الماضي، وخطايا الآخرين

ما أعظم الفرق بين أن تذكر، وأن تغفر. الذاكرة لا تموت، وهي إن ماتت، لَهُدِمَ جانبٌ أساسيٌّ في كياننا، لذلك علينا أن تتذكر لكي نغفر كل يوم.

قال والدموع في عينيه:

"ما يفعله الناس ضدك هو لمصلحتك. أخرجوني من الدير، وقبلتُ الطرد، ولكن مَن الذي يمكنه أن يطرد القلب المتَّحد بمحبة الرب والمخلِّص؟

ثم أضاف:

"أعمال الناس ضدك هي مثل سكين حاد يكشف لك عن أعماق نفسك، عن الغضب، وعن أمورٍ كثيرة يجب أن تراها.

وشدَّد قائلًا:

"الذي صُلِبَ مع الرب يقبل الإهانة والتجديف والتحقير؛ لأنه صادر من الشيطان، ومِن الذين يقولون اِنزل عن الصليب، يعني قاوم الشر بالشر".

ووضع يده على كتفي، وقال:

"لا تنسَ. الشر له نهاية مهما طالت سطوته".

وعندما سألتُ عن تذكُّر الإساءة، قال لي في حزم:

"تذكَّر لكي تغفر. إذا تذكَّرتَ شيئًا، اغفر فورًا، واطلب الرحمة للكل؛ لئلا تصير أنت بعيدًا عن رحمة الرب والمخلِّص".

"نحن لا نستطيع أن نمنع الذكريات، ولكن نستطيع أن نسكب عليها ماء الغفران. ماء يسوع لكي تموت نار الغضب المشتعلة فينا".

وجاء الدواء المر الشديد، المرارة، عندما طلب مني أن أصلي صلاة يسوع:

"يا ربي يسوع المسيح من أجل صلاة (هنا أُذكر أسماء الذين يضايقونك) ارحمني أنا الخاطئ. إن طلب صلوات هؤلاء المضايقين، يضع الكل تحت رحمة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح".

"العقل زي المخزن، مليان دهب وزبالة وخشب وصراصير، ولكن صلاة يسوع كما استلمتها من شيوخ البراموس، مع الإبصاليات كفيلة بأن تطهِّر العقل. مَن يصلي ويطلب الرحمة للكل تنسكب رحمة ربنا وإلهنا ومخلصنا في قلبه".

والآن، وبعد مرور سنوات هذا عددها، أضعُ أسماءَ كثيرين، أسماء الذين سعوا إلى قتلي روحيًا، بل وجسديًا.

- مِن حفرة الذكريات المرة يا رب انقذني.
- مِن طريق الشر والأشرار يا رب نجني؛ لئلا أهلك معهم.
- من طلب الانتقام ورد الإساءة يا رب خلصني؛ لئلا تجعلني إساءة الناس إلى غريبًا عن رحمتك.
- لنتذكر ونغفر. ونتذكر ونغفر حتى تنكسر قوة الذكريات.

الرب يرحمنا حسب رحمته.

القانون الذي أخذته من القمص مينا المتوحد[1]

الصلاة:

صلِّ إبصالية اليوم صباحًا أو مساءً، والأفضل أن يكون صباحًا حتى يصبح اسم الرب يسوع على لسانك.

صلِّ باكر واختار المزامير حسب وقتك. وإذا لم يكن عندك وقت، صلِّ الإنجيل والقطع والتحليل.

صلاة يسوع:

قبل أن تبدأ أي عمل صلِّ "يا ربي يسوع المسيح ابن الله الحي ارحمني أنا الخاطئ". قل هذه العبارة بعد أن ترشم ذاتك بعلامة الصليب.

قبل أن تقول أي شيء لأي إنسان، قل في قلبك: "يا ربي يسوع المسيح ابن الله الحي ارحمني أنا الخاطئ".

قانون التلمذة:

- اغفر زلات الآخرين مثل سيدك ومخلصك.
- لا تحمل حقدًا أو غضبًا على أحد، بل أطلب الرحمة والغفران لكل خليقة الله.
- عِش تحت سلطان الرب يسوع المسيح وذلك بحفظ وصاياه.
- التناول من الأسرار المقدسة كل يوم لكي تحيا بالمسيح يسوع، ولا تلتفت إلى ما يقوله الناس عن هذا السر. الرب يسوع يدعوك فتعال، وتناول وليكن في قلبك دائمًا توبة دائمة.
- لا تهتم بنظافة الجسد؛ لأن الجسد طاهر بسبب حميم مياه المعمودية

[1] مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في نوفمبر ٢٠٠٧.

ورشومات الميرون رشومات أبدية لا تنحل.

- اقرأ الكتاب المقدس حسب ترتيب الكنيسة (القطمارس).
- احفظ يوم الجمعة لأنه يوم الصلبوت، ويوم الأحد لأنه يوم القيامة.
- احفظ يوم الصلبوت بالصوم على قدر قدرتك ويوم الأحد بالفرح بالقيامة.
- لا تدخل في مناقشات غبية مع أحد، بل كن "انسان الله الذي يسعى للسلام".
- لا تدافع عن أحد إلا إذا كنت شاهد عيان، ولا تردد ما تسمعه عن الآخرين؛ لأنك لست شاهد عيان.
- لا تُرهِق أب اعترافك إلا بما هو ضروري لأنه إنسان مثلك فلا تثقل عليه.
- اجعل كلمات ووصايا الرب يسوع قبل أي كلمات أو وصايا الناس حتى لا تعبد وتخدم سيدين دون أن تدري.
- إذا هاجمتك أفكارٌ شريرة -مهما كان نوعها- فلا تبحث عن مصدرها، ولا ترهق ذاتك بالدفاع عن نواياك لأن الشرير مثل انسان مجنون يرمي الناس بالحجارة، فلا تقف أمامه لئلا يجرحك، بل انصرف وانتهر الفكر باسم الرب يسوع.
- إذا سمعت صوتًا باطنيًا في قلبك لا تنزعج إذا كان للمحبة والسلام والخير فهو من الله، أما إذا كان للشك والإدانة والخوف، فانتهره باسم الرب يسوع.
- صلِّ من أجل كل الذين تقابلهم وتراهم وتعاشرهم لكي تدوم محبتك لهم.
- "القلب المنشغل باسم الرب يسوع لا يخطئ أبدًا .. وإن أخطأ يجد في اسم الرب يسوع تعزية وشفاء".

القمص مينا المتوحد

ذكرى نياحة قداسة البابا كيرلس السادس، ذكرياتٌ وحوار(١)

اسم الرب يسوع:

لم تَغِب عن قلبي؛ لأنك بجهد قليل، جعلتني أُحب صلوات الكنيسة أم الشهداء. لا تزال هذه الكلمات التي سمعتها لأول مرة ربما في ١٩٥٧: "احفظ الإبصاليات لكي تحفظك وتحفظ قلبك في محبة الرب يسوع"، أقول لا تزال هذه الكلمات ترن في عمق أعماق قلبي، وتمر سنوات قبل أن أستوعب هذه الحقيقة التي ذكرتها لي مرة أثناء رفع بخور عشية، وكان المرض والتعب قد حلَّ بي ضيفًا، وكانت العبارة: "اسمُكَ طيبٌ مسكوب"، ونظرت إليَّ بإشفاق وقلت: "الطيب المسكوب" في اسم الرب هو حضوره الإلهي بالروح القدس، عارف ده"؟ ونزلت الدموع من عينيك، ثم قلت: "اسم الرب يسوع يكفي ليشعل قلب أي محب بنار روحية أبدية لا تقوى عليها الخطية. وهو أصله مش اسم زي أي اسم، ده اسم الخلاص". وسكَتَّ لأنك كنت تريد أن تعرف إن كنت أفهم .. كنت في بداية الطريق، وبعد هذه السنوات لازلت في البداية ... وأمسكت بيدي وسرنا نحو مقصورة مار مينا، ثم قلت: "اسم الرب يسوع هو اللي جمع كل ده: مار مينا، وأنت، وأنا؛ لأنه اسم الحضور الإلهي فينا. مُش إحنا بنقول عمانوئيل إلهنا في وسطنا الآن بمجد أبيه، يعني هو ده كلام ولا دي الحقيقة اللي أعلى من الكلام".

"مُش قادر تصلي علشان تعبان؟ لازم اسم الرب يسوع، ولو كلمة واحدة: يا يسوع؛ لأن الملاك قال للست العدرا (العذراء مريم) ويدعى اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم".

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٥ إبريل ٢٠١٣.

"الرب لما يسمع اسمه، بيسمع واحد خروف من خرفانه زيك بينادي عليه، فلا يتركه في خطر لأنه الراعي الصالح الذي يبحث عن الخروف، فكيف ينسى خروف بينادي عليه"؟ وتمر السنوات، ويبقى الاسم "طيب مسكوب".

يديه الطاهرتين اللتين بلا عيب ولا دنس:

هي الكلمات التي تسبق تقديم الرب جسده، وسمعتها مرات عديدة .. ولكن كعادة أبي الروحي يسأل إن كنت أفهم. ولما سألني قلت: "الطاهرتين اللتين بلا عيب"، هي إشارة إلى حمل الفصح الذي بلا عيب". وابتسم ابونا مينا .. "ثم سأل طيب وبلا دنس"؟ ولم أجد إلَّا الإجابة السريعة: "لأن الرب بلا دنس". فقال: "مش كفاية"، ثم أضاف: "بلا دنس؛ لأن الله إللي بلا دنس، هو وحده الذي يرفع ويغسل دنس الإنسان. الدنس اللي فيَّ واللي فيك، وهو الغسل اللي احنا بناخذه في السر المجيد".

لاهوته لم يفارق ناسوته:

قال لي عندما سألته: لماذا يضع صينية الحمل فوق رأسه عند الاعتراف الأخير. وبدا مترددًا ولكنه نظر إليَّ في عطفٍ، وقال: "يا ابني ده عظمي بيترعش لأن رب المجد سيد الأرض والسماء الجالس على الشاروبيم أمامي أنا العبد الخاطئ وأنا بقول لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة، وأعترف إلى النفس الأخير. يعني دي كلمات نارية عن لاهوت الرب الذي لا يفارقنا نحن الخطاة لأنه محب البشر الصالح. المسيح إلهنا يكشف ليك مجد أسراره المحيية".

"النعمة غلبت الموت والدينونة رفعها والخطية مش أقوى من نعمة الرب يسوع علشان كده أحنا بنقول في القداس: "حيثما كثرت الخطية ازدادت النعمة". قوة الخطية في اليأس وانعدام الرجاء، لكن قوة النعمة في الحياة الأبدية بالرب يسوع المسيح".

المحبة لا تسقط أبدًا:

في حديث أذكره؛ لأنه كان في رفاع صوم ١٩٥٨ وبعد القداس كان مشغولًا بأمرٍ ما، فهو قليل الكلام. كنت أحترم صمته وكنت أهاب وجوده، ولذلك إذا كان لديَّ سؤالٌ، فهو دائمًا عن الطقس والليتورجية، أمَّا عن حياته الخاصة فلم أتجاسر ولا مرة واحدة أن اسأل إلَّا إذا قال هو شيئًا خاصًّا. وعندما أعطاني قربانة حمل كاملة قال لي: "جعان؟" فقلت نعم. قال: "كُل القربانة كلها وخليك طيب القلب، سيب بركة للست الوالدة (يقصد أمي). وقال: "الجوع أصلًا في القلب وفي العقل، وأصل الجوع هو طلب النفس لله لكي يعطيها الحياة الأبدية، لكن مع جوع العقل لله ينشأ جوع الجسد للطعام لأن الطعام ضروري للبقاء في هذه الحياة الترابية. المحبة الإلهية هي شبع العقل والجسد معًا والمحب يصوم بدون تعب؛ لأن القلب مشغول بما هو أهم". وصَمَتَ كأنه يسترجع ذكرى معينة. ثم قال: "أبونا عبد المسيح المسعودي كان يقول للرهبان: "المحبة لا تسقط أبدًا"؛ لأن السقوط هُدِمَ بالصليب، والقيامة رفعتنا للحياة الأبدية ولذلك كان يعزِّي الرهبان بأن عدم محبة الإنسان لا تغيِّر محبة الرب يسوع؛ لأن الرب يسوع لا يمكن أن يفقد أمانته؛ لأن أمانة الرب هي دمه وجسده. ولذلك في أوقات التعب والكسل علينا أن نرتمي في بحر محبة الله"، ثم قال: "يا يسوع يا ربي يا محب البشر، المحبة لا تسقط؛ لأنك أقمت المحبة من السقوط الآدمي وجعلتها قوة الشركة".

وبعد يا أبي، لا زلت معنا لأنك بالصلاة وحَّدتَ ذاتك بكل الكنيسة، وأنت شفيعٌ في المظلومين لأنك ظُلمت، وكنت تردد في تحليل نصف الليل بصوت عال: "احكم يا رب للمظلومين".

لقد طالت سنوات الظلم، ولكن غزارة الرحمة لم تنقطع لأننا لا زلنا ننشد: "مراحمك يا إلهي كثيرة جدًا ..".

صلِّ لأجلنا لكي يرفع الله الظلم.

ابنك جورج حبيب بباوي

لمحات من تعليم (القمص مينا البراموسي المتوحد)
قداسة البابا كيرلس السادس[1]

+ كلمةُ الحقِ دواءٌ للقلب.

+ أنت أعظمُ من كل ما يقوله الناسُ عنكَ، سواء أكان مديحًا أو شتائم؛ لأنك ابنُ الله حسب نعمة ربنا يسوع المسيح، فلا تكن صغيرًا وتسمع المديح فتُحبَّه، ولا تكن حقيرًا تتضايق من الشتائم.

+ مَن كان المسيحُ هو هدفَ حياته وغايته، لا يجد فرحًا ولا حزنًا في العالم. يفرح بالرب كل حين، ويتألم إذا ابتعد عن الرب.

+ لا تسمع لمن يعلِّم بأقوالٍ كثيرة؛ لأن محب الكلام فارغٌ من نعمة الروح القدس.

+ عندما نطلب حلول الروح القدس على الخبز والخمر لكي يتحولا إلى جسد الرب ودمه، فإننا نطلب نفس الحلول علينا لكي يوحِّدنا روح يسوع المسيح بالذبيحة، ويجعلنا واحدًا مع الرب.

+ التناول كل يوم هو تخلٍّ تامٌّ عن وجودي في كياني؛ لكي أُوجد في المسيح كما قال معلمنا الرسول بولس.

+ أُفَضِّلُ صلوات الكنيسة عن أي صلاةٍ أخرى؛ لأنها تجمعنا مع الكنيسة الجامعة، وصلاتي الخاصة تجيء في نفس إطار صلوات الكنيسة.

+ إبصاليات لاسم الرب يسوع هي نشيد محبة القلب للرب يسوع، فلا تتركها مهما كانت ظروف حياتك؛ لأن من يحب ينادي اسم المحبوب.

---

(1) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢١ ديسمبر ٢٠١٣.

+ مع بدية كل صوم، عليك أن تفحص قلبك لكي تترك الإفراط في محبة الذات، وأن تحب ذاتك في المسيح فقط.

+ جحدُ الذات الحقيقي هو ذبحُ النية والإرادة الخاصة من أجل محبة الرب يسوع، فلا تقع في جحد الذات المزيَّف الذي هو كراهيةُ النفس؛ لأن مَن يكره نفسه قد أدخل الكراهيةَ في قلبه، ومتى دخلت القلب، صارت مثل الخميرة، تخمِّرُ الكثير في خفايا القلب، وتظهر في الغضب والانفعال، ورد الشتائم واحتقار الآخرين.

+ حسب اختباري، لا يمكن لإنسانٍ أن يعلِّمُ إنسانًا آخر بالكلام، ولكن التعليم الحقيقي هو القدوة والمثال الصالح.

+ كلمات الرب يسوع قليلة جدًا، فكيف تصبح عظةً يصول الواعظ فيها ويجول شمالًا ويمينًا حتى يتوه القلب عن المعنى والغاية من كلام الرب نفسه؟!

+ قارن بين عظات القديس يوحنا ذهبي الفم، وعظات وعَّاظِ هذه الأيام، تجد أننا في هذا الزمان تركنا المحبة الإلهية وتركنا التعليم عن الرحمة الإلهية التي لا حدود لها، ولا تنظر إلى خطايا الناس.

+ مَن كان اتكاله على الله لا يخاف حكم الناس، ولا المرض، ولا حتى الجوع.

وكل خوف يكشف لنا عن نقصٍ في اتكالنا أو في محبتنا.

أبي .....

وجدتُ هذه المدونات في مفكرة قديمة، وعندما أعدتُ قراءتها، كِدتُ أسمعُكَ تقول لي: "يا ابني يا حبيب أبوك".

منذ أن غادرت هذه الحياة الفانية، صار الذين يسلكون مثلك قلائل، فقد تحولت الأسقفية إلى زعامة سياسية، وفَقَدت الأبوة، وتحول الكهنوت إلى سلطان، وفَقَدَ الخدمة، ولذلك غابت روح الصلاة.

صلِّ من أجلنا لكي نعود إلى درب القديسين.

لمحات لاهوتية عن الليتورجية لقداسة البابا كيرلس السادس[1]

+ ارشم نفسك بهدوء وبدون استعجال لأن الرب يسوع نفسه هو الذي يرشمُكَ. حيث الصليب المكرم ختم الملك، فالرب نفسه يحمل هذا الختم ويفرح بالذين يرشمون أنفسهم.

+ عندما تقول قدوس الله، ارشم نفسك؛ لكي توحِّد ذاتك مع الرب نفسه الذي قال: "لأجلهم أقدِّس ذاتي ليكونوا مقدسين في الحق" (يوحنا ١٧: ١٩).

+ ارشم ذاتك قبل السجود للثالوث القدوس؛ لأننا نسجد للثالوث القدوس بعلامة الصليب ختم التبني.

+ نحن في ضيافة ملك الملوك في الوليمة السماوية، ولذلك نحن نرسل السلام لأم النور والملائكة والآباء القديسين؛ لأن الرب يسوع هو رأس الجسد، وهو الذي يجمع أعضائه معًا، وهو الذي مسحنا بالروح القدس، ونحن حُسبنا –حسب صلاح الله– أن ننال ذات الروح الذي حلَّ على أم النور، وأعطى قوةً ومعونةً للآباء والشهداء، ونحن متحدون معهم بذات الروح؛ لأننا كنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية.

+ هل تعرف لماذا غفر الربُّ للزانية التي أُمسكت في ذات الفعل؟ لأن إحدى جدات الرب هي راحاب الزانية، ولأنه جاء لكي يطلب ما قد هلك (لوقا ١٩: ١٠) هو لا يستحي من الخطاة. نحن نستحي بسبب الخوف الذي فينا، ولذلك صراخُ الكنيسة الدائم في كل صلاة هو: "يا رب ارحم"؛ لأن الرحمة تفتخر على الحكم، وقد أضاف إليها شيوخ دير البراموس عبارة "في يوم الدينونة"، وهو

[1] مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٩ ديسمبر ٢٠١٣.

ما نترنم به "كرحمتك يا رب وليس كخطايانا".

القداس الإلهي -يا ابني- هو بحر الغفران والتقديس لغير المستحقين، يعني للذين يعرفون أنهم خطاة، ويطلبون الغفران والرحمة.

+ "وجعله واحدًا مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير"، هذه كلمات الشجاعة في قبول الرب المتجسد؛ لأن الرب يسوع عندما وحَّد أُقنومه الإلهي بالناسوت، فقد أعطى لنا نفس الوحدة التي لا انفصال فيها؛ لأننا نقول: "باركت طبيعتي فيك"، وهي بركة الاتحاد، وبركة غلبة الموت، وبركة القيامة، وبركة دخول ملكوت السموات الأبدي.

نحن نقف عند قراءة الإنجيل؛ لأن الشماس يقول: "قفوا"، والصواب هو: "قوموا – اسطاثيتي" لأن الإنجيل هو بشارة القيامة، ولذلك لم نعد "الجلوس في الظلمة وظلال الموت" لأن نور القيامة أشرق علينا.

ونحن نقول في تسبحة نصف الليل: "قوموا يا بني النور لنسبح رب القوات" والنور هو الحياة التي أشرقت؛ لأن القديس بولس يقول: "قم واستيقظ أيها النائم من بين الأموات فيضيء لك المسيح".

أبي هذه كلماتك دُوِّنتْ في فترات مختلفة، وعادت لتضيء من جديد، وأنت الآن في نور قيامة الرب في "كورة الأحياء" صلِّ لأجل الكنيسة ولأجل مصر.

رشمٌ واحد، وحوارٌ يبدد حيرة صديق(١)

سألني: كيف تذكر رشومات الميرون؟ فقلت: لم تَغِب عني بالمرة لأنني أخذتها وعمري ١٧ سنة وهي لا تزول بمرور الزمان. فقال: وماذا نفعل نحن وقد رشمنا ونحن أطفال؟ فقلت أنت استلمت رشم الصليب في المعمودية عندما رُشِمت كموعوظ لا سيما بعد جحد الشيطان ويدك اليمنى غطست في مياه التقديس، فنالت بعد ذلك مع جسدك كله تقديس الروح القدس الذي يختم أو يرشم أعضاء جسدك بـ ٣٦ رشم. العطية تعمل بقوة الروح القدس لا بحضور وقوة الذاكرة فقط. ولديَّ سؤال هام: هل تحضر القداس الإلهي؟ فقال نعم. فسألته هل ترشم ذاتك مع يا رب ارحم وقدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت. فأجاب بالإيجاب. وقلت له لا أريد أن أحرجك، ما السبب في الرشم عند قراءة الانجيل وبعد قراءة الإنجيل. فقال لي: بصراحة لا أعرف. فقلت له لماذا لا تُراجِع كتاب معاني رشم الصليب وقد نُشر على موقع الدراسات القبطية. لكن هل ترشم ذاتك عندما يمسك الكاهن بالخبز ويقول وشكر وبارك وقدس؟ فقال رأيت بعض الأخوة والأخوات يفعلون ذلك ولا أعرف السبب. فقلت له السبب بسيط وهو أنك توحِّد ذاتك مع قربان الرب بذات الرشم؛ لأنك صرت ذبيحةً يوم غطست في مياه التقديس، أي مياه الميلاد الجديد ورُشِمت بالميرون. هنا يرشمك الرب نفسه بعلامة الصليب، وعند استدعاء الروح القدس يوحِّدُنا الروح القدس بالرب يسوع لنصير جسده لأننا أعضاء جسده (١كو ٦: ١٥ – ١كو ١٢: ٢٧) من لحمه وعظامه (أفسس ٥: ٢٩)، وكما مسح الروح جسد الرب نُمسح نحن ايضًا بذات مسحة يسوع لنصير مسيحيين (١يوحنا ٢: ٢٠ – ٢: ٢٧).

فقال: إذا كنا جسد المسيح فهل نحن أيضًا دمه؟ فسألته: ماذا تقصد؟ هل

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في أغسطس ٢٠١٥.

تقصد التحول إلى دم المسيح؟ وما هي غاية هذا التحول؟ الرسول بولس يقول "كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح" (١كو ١٠: ١٦)؟ فإذا كنا نأخذ الدم، فلا نصبح نحن دم المسيح، بل كما تسلمنا من القداس: "يعطى عنا خلاصًا وغفرانًا للخطايا وحياة أبدية". ونحن نتحول إلى حياة المسيح بدم المسيح، كما أننا عندما نصبح الخلقة الجديدة، لا يصبح أيٌّ منا هو المسيح. لقد سخر الأنبا شنودة من سر الحياة الأبدية وقال: لو كانت الكنيسة جسد المسيح، فهل تسجد لنفسها؟ والجواب: عندما يصبح الرجل والمرأة في الزيجة جسدًا واحدًا، فهل يفقد الرجل رجولته والمرأة أنوثتها؟ الوحدة لا تلغي التمايز، ولكن الأنبا شنودة يقول ذلك لأنه لم يعرف الثالوث القدوس إلا كصفات الوجود والعقل والحياة، وهذه لا تمايز حقيقي بينها، بل هي صفات شخص واحد. أعود إلى تحولنا إلى جسد المسيح، لا لكي يفقد الرب كيانه، بل يجددنا كما قال الرسول: "لنكون على صورة جسد مجده" (فيلبي ٣: ٢١)، ومن "يأكلني يحيا بي" (يوحنا ٦: ٥٧). هذا التعليم هو سخرية وتهكم جدير بمسرح للفكاهة ولا يليق بالكنيسة ويحط من نعمة الله. غفر الرب له.

الكنيسة، الجسد الواحد
العقيدة، والاختبار الليتورجي[1]

تمهيد:

الكنيسة ليست جماعة، ولا هي مثل الجسد، الكنيسة أرفع من كل هذا؛ لأنها جسد المسيح. والرسول بولس في (١ كورنثوس ١٢: ١٢ - ٢٧) لا يقول إن الكنيسة تشبه جسد المسيح، أو مثل الجسد المؤلَّف من أعضاء، ولكن الرسول كان في غاية الدقة لأنه يؤكِّد: "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَادًا" (١ كورنثوس ١٢: ٢٧). ولذلك، الكلام عن الجسد لا يأتي بشكل عام في كتابات القديس بولس، بل بكل دقة يؤكِّد الرسول أن المسيح والكنيسة جسدٌ واحدٌ، وأننا لكي نفهم هذه الحقيقة علينا أن نقارن بين الجسد كما نراه وبين المسيح؛ لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة، وكل أعضاء الجسد الواحد - رغم أنها متعددة - هي جسد واحد، كذلك المسيح (١ كورنثوس ١٢: ١٢)، فالمسيح والكنيسة جسدٌ واحدٌ لا يختلف عن الجسد البشري.

نوع الوحدة:

الوحدة التي نتحدث عنها هي وحدة طبيعية، قائمة على حقيقة اتحادنا بالمسيح، فهو قد شاركنا اللحم والدم "فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذلِكَ فِيهِمَا" (عبرانيين ٢: ١٤). شركة المسيح في طبيعتنا هي شركة طبيعية؛ لأنه صار واحداً منا، مثلنا في كل شيء "يُشْبِهَ إِخْوَتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ" (عبرانيين ٢: ١٧) وأيضاً "لأَنَّ الْمُقَدِّسَ وَالْمُقَدَّسِينَ جَمِيعَهُمْ مِنْ وَاحِدٍ، فَلِهذَا

---

[1] مقالة نُشرت على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١١ مارس ٢٠١١ وكان قد سبق نشرها بالكتاب السنوي الثاني بعنوان الحياة الليتورجية — إصدار بيت الشمامسة القبطي بالجيزة، أكتوبر ١٩٧٨.

السَّبَبِ لاَ يَسْتَحِي أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِخْوَةً" (عبرانيين ٢: ١١). هذه الوحدة قائمة على أساس أن الكل واحد في آدم الأول، ومن ثمَّ صارت الوحدة الجديدة على أساس أن الكل واحدٌ في آدم الثاني (رومية ٥: ١٢ - ٢١)، ولذلك، المسيح آدم الثاني، يجمع الكل معاً في واحدٍ، وهو نفسه لا يتغير "لِيَجْمَعَ أَبْنَاءَ اللهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ" (يوحنا ١١: ٥٢).

لذلك كما اشتركنا في آدم الأول، نشترك في آدم الثاني، وتصبح وحدتنا في آدم الثاني أقوى بكثير من الوحدة الأولى. هذه الوحدة في آدم الثاني هي الكنيسة، وهي جسد المسيح.

ولكن هذه الوحدة، هي سرية أيضاً؛ لأن الناحية الطبيعية تؤهِّلنا لأن نشترك في المسيح بشكل طبيعي مثل اشتراكنا في طبيعة آدم الأول، ولكننا لا نملك هذه الشركة إلاَّ بالإيمان وبالحياة المسيحية الحقة، إنها قائمة على عمل الروح القدس فينا؛ لأن الروح وحده هو الذي يجعلنا أعضاء في الجسد الذي هو المسيح "بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضًا اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ" (١ كورنثوس ١٢: ١٣). هذه الوحدة مهيَّأة وجاهزة، ولكنها تحتاج إلى الممارسة، وهذه الممارسة تنبع من الحياة ومن الأسرار. كلما أخذنا من الأسرار، كلما ازدادت الوحدة، وكلما ازدادت الوحدة ازدادت مفاعيل الأسرار فينا. ولذلك عندما نأخذ جسد المسيح الواحد في القداس نقول: "اجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا أن نتناول من أسرارك طهارةً لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا لكي نكون جسداً واحداً.." (صلاة بعد حلول الروح القدس). ذلك أن المسيح يجمع الكل معاً لكي تتم المحبة.

خطأٌ رهيبٌ ذلك الذي شاع بيننا وجعلنا نفهم الخطية بمعنى قانوني، أي باعتبارها تعدٍّ فقط، دون أن ندرك أن الخطية تُفَرِّق الجماعة وتزرع الانقسام وهذا هو غاية ومعنى كلمة "جسداني" (١ كورنثوس ٣: ٣). ولذلك، فالخلاص هو خلاص الجماعة، هو الممارسة الواحدة التي تجعل كل المؤمنين حقاً في وحدة، وإن كنا لا نفكر اليوم بكل أسف في معنى السلوك الكنسي السليم، أي السلوك في

سبيل الوحدة، ولذلك نجد أن كل ما نتحدث عنه كفضائل وكخطايا يحتاج إلى مراجعة؛ لأن الإنسان لا يتطهر بشكل كامل إن عاش في عزلة، وإنما يتطهر تماماً إن عاش عضواً في جسد المسيح.

في الكتاب المشهور – راعي هرماس – وهو مِنْ مؤلفات القرن الثاني، رأى هرماس الكنيسة مثل برجٍ مبني من حجارة حية، وفي أثناء البناء يرفع كل حجرٍ الحجر الذي يعلوه لكي يرتفع البناء ويكمُل. ويُلاحِظ هرماس أن كل حجر ينزلق بسهولة فوق الحجر الذي تحته لأن كلاهما قد قُطِعَ ونُحُت وليس فيه نتوءات حتى أن البرج عندما بُني لم يعد أحد يلاحظ أن البرج مبنيٌ من عدة أحجار، بل من حجر واحد (الرؤيا الثالثة: ٢ و ٦ – ٨). الحجارة الحية تعبير مأخوذ من (١ بطرس ٢: ٥) لأن الكنيسة هي بناءٌ حي، ولذلك نرى في بقية الرؤيا حجارةً لامعةً جيدةً مستديرةً رفضها البنَّاء؛ لأن استدارتها معناه العزلة، والعزلة هي إحدى جوانب الخطية التي لا نتحدث عنها. عزلةُ الاكتفاء بالذات، وعزلة الخوف من الموت؛ لأن الخوف من الموت هو مصدر الأنانية عندما يظن الإنسان أن الاحتياط والعزلة يدفع عنه خطر الموت.

الكنيسة كمثال للثالوث على الأرض، ولكنها –كمثالٍ– تأخذ وحدتها من الثالوث:

يُعد الإصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا من النصوص الهامة عن علاقة الكنيسة بالثالوث، حيث يؤكد ربنا أن الكنيسة سوف تصبح واحداً عندما قال: "أَيُّهَا الآبُ الْقُدُّوسُ، احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا نَحْنُ" (يوحنا ١٧: ١١) ومن المؤكد أن وحدة الثالوث الكاملة والتامة بين الآب والابن والروح القدس هي المثال الذي يتطلع إليه المؤمنون بالمسيح للوصول إلى أعمق درجات الوحدة وكمالها.

يعلِّق القديس كيرلس السكندري على هذا النص بقوله:

"إنه يريد أن يحفظ تلاميذه في اتحاد العقل والهدف كما لو كانوا قد جُمِعوا معاً

وصار لهم نفسٌ واحدة وروحٌ واحدة هو روح المحبة الأخوية، وأن تربطهم معاً رابطة المحبة القوية التي لا تنكسر؛ لكي يكمِّل اتحادهم وتصبح رغباتهم موحَّدة مشابهة للوحدة الطبيعية بين الآب والابن، وتبقى غير منقسمة ولا منفصلة ولا يقوى عليها شيءٌ من قوات هذا العالم، ولا رغبات الجسد وشهواته التي تقود إلى الاختلافات وتعدد الأهداف، بل يبقى اتحادهم في التقوى والقداسة وبقوة المحبة الكائنة فيهم. وقد قرأنا عن هذا في سفر الأعمال: "وكان لجميع الذين آمنوا قلباً واحداً ونفساً واحدة" (أع ٤: ٣٢). وهذا الاتحاد من الروح القدس، وهو ما يعبِّر عنه الرسول بولس بوضوح عندما قال: "جسدٌ واحدٌ، وروحٌ واحدٌ؛ لأننا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح لأننا جميعاً نتناول من الخبز الواحد" (١ كورنثوس ١٠: ١٧)، ونحن الذين أخذنا المسحة من الروح الواحد، أي روح المسيح نصبح واحداً مثلهم (الرسل) جسد واحد؛ لأننا نشترك في نفس الروح. وهكذا أراد المسيح أن يحفظ الآب تلاميذه في وحدة الروح حتى لا يقدر أحد أن يفرِّقهم، وفي العقل الواحد غير المنقسم ***unbroken singleness of mind*** ومن يقول إن التلاميذ اتحدوا وصاروا واحداً مثل الآب والابن في الجوهر، في الإرادة؛ لان طبيعة الله القدوس لها إرادة واحدة، فهو ليس بعيداً عن الحق؛ لأننا نرى ذات الهدف الواحد عند المسيحيين الحقيقيين، إلاَّ أننا لسنا مولودين من ذات الجوهر مثل ولادة الابن من الآب الذي هو منه وفيه". (تفسير يوحنا ١٧: ١١ الكتاب ١١: فصل ٩).

وكأن القديس كيرلس السكندري فيما هو يؤكِّد وحدة جميع المؤمنين، يُذَكِّرنا بأن قوة هذه الوحدة لا تجعلنا سوى مثالاً، والمثال دائماً لا ينطبق على الحقيقة التي يمثِّلها تماماً؛ لأن الابن مولودٌ من ذات جوهر الآب منذ الأزل، أو قبل كل الدهور، وهذا هو ما يجعلهما واحداً، أمَّا نحن، فإن وحدتنا تتم في الزمان وتأخذ قوتها من عمل الروح القدس، ومن وحدة الحياة المسيحية، وتماثُل الهدف عند المسيحيين الحقيقيين، كما أنه لا يوجد بيننا مَن هو مولودٌ من ذات جوهر الآخر.

على أية حال، لقد عالج القديس كيرلس السكندري هذه النقطة بوضوح

عندما فسَّر يوحنا ١٧: ٢٠ – ٢٢ "وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هؤُلاَءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلاَمِهِمْ (الرسل)، لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِدًا فِينَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ". يقول القديس كيرلس السكندري:

"المسيح هو باكورة ثمار الذين دُعُوا لكي يُبنَوا معاً للحياة الجديدة، وهو الإنسان السمائي الأول؛ لأن بولس يقول عنه: "آدم الثاني الرب من السماء" (١ كورنثوس ١٥: ٤٧). وكما كتب يوحنا: "وليس أحد صعد إلى السماء إلا ابن الإنسان" (يوحنا ٣: ١٣). وكل الذين على صلة به، لاسيما الذين اختارهم ليكونوا رسلاً وتابعين له، الذين جمعوا له ثمار نعمته، وهم قد شاهدوا مجده وخدموه، وصاروا بالنسبة له ثمار الحياة الجديدة التي جاءت بعده؛ لأنه هو رأس الجسد أي الكنيسة (كولوسي ١: ١٨). ولقد طلب لهم بركة وتقديس الروح الذي سيأتي من عند الآب، ولكن بواسطته (المسيح)... ولكن لا أحد من الذين يفحصون الكتب الموحى بها يتخيل أنه طلب أن يحل الروح على الرسل فقط، بل أنه طلب لأجلنا نحن أيضاً الذين نتبعهم ونعيش في بداية عصر المسيحية، لذلك أضاف – الوسيط بين الله والبشر ورئيس كهنة نفوسنا – هذا النص لكي يكبح الخيالات الغبية: "ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم"؛ لأنه يبدو غير معقول أن يقع كل البشر تحت عقاب الدينونة بسبب إنسانٍ واحدٍ، أعني آدم الأول، حتى الذين لم يخطئوا في ذلك الزمان عندما تعدَّى مؤسِّس جنسنا، الوصية التي أُعطيت له، هؤلاء لبسوا صورة الترابي غير الممجدة، وعندما جاء المسيح في وسطنا، أي الإنسان من السماء، فهؤلاء الذين دُعُوا من خلاله للبر، أي البر الذي بالإيمان، يجب أن لا يحول بينهم وبين إعادة تشكيلهم حسب صورته (المسيح). وكما أننا نقول إن صورة الترابي غير المحبوبة، نراها في أمثلة عدة وفي أشكال مختلفة من البشر الذين يحملون دنس الخطية وضعف الموت والفساد وعدم طهارة الشهوات الجسدية والأفكار العالمية، إلاَّ أنه على النقيض من هذا، نتأمل صورة السمائي أي المسيح التي تشرق بالنقاء والإخلاص وبكمال عدم

الفساد وبالحياة وبالقداسة، ولذلك كان من المستحيل علينا نحن الذين سقطنا من خلال العصيان الأول أن نعود إلى مجدنا القديم، إلاَّ إذا حصُلنا على اشتراكنا ووحدتنا في الله؛ لان طبيعة البشر قد أُخضِعَت من البدء للموت، وبذلك لم يعُد ممكناً لأي إنسان أن يصل إلى الاتحاد بالله إلاَّ بالروح القدس الذي يزرع فينا التقديس الخاص بأقنومه، ومن جديد يُعيد تشكيل الطبيعة التي أُخضِعَت للفساد، يُعيدها إلى حياته؛ فيعود الإنسان إلى الله وإلى شبهه وإلى المجد الذي فقده. والابن هو المثال الذي يعبِّر ويعلن عن الآب، وروحه هو المماثلة الطبيعية للابن، لهذا السبب فهو من جديد يخلق نفوس البشر ويختم هذه النفوس بصورة الله ومثال العلي.

لذلك يصلِّي ربنا يسوع المسيح ليس من أجل الإثنى عشر فقط، بل من أجل كل المختارين في كل عصر، الذين يتمسكون ويطيعون كلمات تعليم الرسل، ويأخذون التقديس بالإيمان والتطهير الذي يتم فيهم من خلال الاشتراك في الروح، وهو لم ير أنه من المناسب أن يتركنا في شكٍّ بخصوص صلاته ومعناها، لأنها تُعَلِّم أي سلوكٍ يجب أن يكون سلوكنا نحن البشر، وأي طريق للبر يجب أن نسير فيه لكي نصل إلى ما يسُرَّهُ. فما هو هدف صلاته: "ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكون الكل واحداً فينا"؟ فهو يطلب رابطة المحبة والاتفاق والسلام لكي يصل إلى الاتحاد الروحي، كل الذين يؤمنون؛ لكي تشبه وحدتهم التي تتم من خلال المحبة الكاملة والاتفاق غير المفترق للنفوس، ملامح وحدة الجوهر التي للآب والابن. لكن رابطة المحبة التي تربطنا كلاً بالآخر، وقوة الاتفاق لا تقوم ولا تدوم من ذاتها، وهي لذلك ليست مثل وحدة الآب والابن غير المتغيِّرة التي هي قائمة بذاتها لأنهما يحفظان وحدتهما بسبب وحدة الجوهر، وهذه الوحدة طبيعية وحقيقية لأنها قائمة على كل ما في طبيعة الله من صفات. أمَّا وحدتنا نحن البشر، فهي مظهر للوحدة الإلهية، مظهر للحقيقة. وكيف يمكن للشبيه *Imitation* أن يصبح مثل الحقيقة الواقعية لأن مثال الحق لا يمكن أن يكون في محتواه مثل الحق نفسه، بل هو مجرد شكل، ويظل كذلك شكلاً للحقيقة، ما لم يدخل عليه عنصر غريب يشوِّهه. وإذا ظن هرطوقي أو تخيَّل أنه قادر على أن يقلب تعاليم وحدة أقانيم

الثالوث وبالذات الآب والابن، وحاول أن يبرهن على نظريته الجنونية وقدَّمها لنا على هذا النحو: (نحن لسنا واحداً لأن شكل جسد كل واحد منا مختلف عن الآخر كما أن أرواحنا لم تنصهر كلٌ في الأخرى، ولكن وحدتنا هي في الطبع وفي محبتنا لله وفي الاتفاق ووحدة الهدف ورغبتنا في إتمام إرادة الله، هكذا الابن وعلى نفس هذا الشرح هو واحد مع الآب أي واحد معه في الإرادة والاتفاق وليس في الجوهر)، فإننا نرفض مثل هذه النظرية كلها ونعتبر قائلها مذنب بالجهل وعدم الفهم، لماذا؟ لأن الأمور التي هي أعلى وأسمى من الطبيعة الإنسانية، لا يمكن مقارنتها بما للإنسانية، ولا يمكن أن نُخضِع مَن ليس له جسد للقوانين التي خضع لها الذين لهم أجساد. لا تُشابه الأشياءُ الإلهيةُ، الأشياءَ الإنسانيةَ. ولو انعدمت الفوارق التي بيننا وبين الله، لأمكن لنا أن نُقارن بين ما يخص الله وبين ما يخصنا، ولكن إذا كانت هناك اختلافات بين طبيعة الله والبشر، وهي اختلافاتٌ تفوق التصور، فلماذا يحاولون أن يفهموا الطبيعة الإلهية التي لا ترتبط بأي ناموس يخص البشر الضعفاء، ويخطئون بارتكاب ما هو غير معقول؟ وإذا فعلوا ذلك، فهم يبنون الحق من الظلال، أو يؤلفون الحق من صورته التي تشبهه فقط، وبذلك يعطون الكرامة للمخلوق، ويجعلون ما هو ثانٍ مكان الأول، ويَصِلون إلى فهم سبب كل الأشياء من الأشياء نفسها. ولكن حتى لا نبقى طويلاً في مناقشة هذا الموضوع ونتوه عن معاني النص الإنجيلي نقول إنه عندما يقدِّم المسيح وحدته مع الآب ووحدة الآب معه كمثال وصورة للشركة غير المفترقة، والاتفاق والوحدة التي يمنحها هو للنفوس الملتهبة بمحبته، فهو يرغب أن نتآلف معاً بقوة الثالوث الواحد في الجوهر ونصبح واحداً، وتصبح الكنيسة بأسرها جسداً واحداً صاعدةً بالمسيح إلى تلك الوحدة التي تجعل الشعبين شعباً واحداً[1] لأن بولس يقول: "هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً وهدم حائط السياج المتوسط ونقض العداوة بجسده وحتى الناموس والفرائض أزالهم لكي يخلق الاثنين في ذاته إنساناً جديداً واحداً صانعاً سلاماً ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به" (أفسس ٢: ١٤ – ١٦). ولقد تم هذا في الذين آمنوا بالمسيح وصاروا نفساً

([1]) اليهود والأمم كما هو واضح من النص.

واحدة وأخذوا قلباً واحداً في تماثلهم الكامل في حياة التقوى ومحبة الله وفي طاعة إيمانهم واشتياقهم للفضائل. وما قلته ليس بعيداً عن الحق، بل هو مناسب وضروري، وإذا كان معنى النص يلزمنا بأن نغوص وراء ما هو أعمق – خصوصاً – وأن كلمات المخلص تدعونا إلى ذلك: "كما انك أيها الآب فيَّ وأنا فيك هكذا ليكون الكل واحداً فينا"، فلذلك يجب أن ننتبه إلى معنى هذه الكلمات. لأننا فيما سبق، قد أكَّدنا – وبكل صواب – أن وحدة المؤمنين وإتقان قلوبهم ونفوسهم، تُشبِه وحدة الثالوث وتماثل الأقانيم. ولكننا في هذا المجال يجب أن نشير إلى الوحدة الطبيعية التي تشملنا جميعاً وكلنا معاً بالله دون أن نفقد الوحدة المادية *Physical* القائمة بيننا رغم أن لكل منَّا جسده الخاص به الذي يملكه والذي يحفظ له فرادته *Individuality* لأن بطرس لا يمكن أن يُصبح بولس، ولا يمكن أن نتكلم عن بطرس ونحن نقصد بولس، رغم أن كلاهما واحد بسبب وحدتيهما في المسيح، فإذا سلَّمنا بالوحدة الجوهرية التي للآب والابن والروح القدس؛ لأننا نؤمن ونمجِّد الله الواحد في الثالوث القدوس، لنبحث كيف صرنا واحداً كلٌ مع الآخر ومع الله بالمعنى الحسي والروحي لكلمة وحدة: الابن الوحيد المولود من ذات جوهر الله الآب، والذي فيه كل طبيعة الآب الذي ولده، هذا صار جسداً حسب الكتب واتحد بطبيعتنا في اتحاد لا يُعَبَّرُ عنه، وصار واحداً من اثنين: أي جسده الأرضي ولاهوته، وهو الذي بطبيعته الله، هو الإنسان من السماء، وظل دائماً الله والإنسان بعكس ما يقوله الذين لا يفهمون هذا السر، ولما اتحد فيه العنصران اللذان لا يمكن أن يتحدا، أصبح الإنسان قادراً على أن يشارك ويأخذ من الطبيعة الإلهية، ولهذا حصلنا فيه نحن على شركة وحضور الروح القدس الذي بدأ في المسيح ومن المسيح أولاً عندما صار إنساناً مثلنا ولأجلنا، وأخذ المسحة والتقديس رغم أنه بالطبيعة الله؛ لأنه مولودٌ من الآب نفسه، ولكنه قَدَّس بروحه هيكل جسده، بل كل الخليقة التي تدين له بالوجود والتي يمكن أن يشملها التقديس. هذا السر بدأ أولاً في المسيح وصار طريقاً يؤهِّلنا لنوال الروح القدس والاتحاد بالله لأننا فيه تقدَّسنا كلنا حسبما ذكرت لتوي.

ولكي نتحد كلٌ مع الآخر وبالله، رغم وجود فروق بين كل شخص وآخر؛ لأن

لكل منا فرادته وروحه وجسده الخاص به، إلاَّ أن الابن الوحيد جَهَّز الوسيلة حسب حكمته وحسب مشورة الآب. لأنه بجسدٍ واحدٍ، أي جسده، بارك بالوحدة كل الذين يؤمنون به ويأخذونه في سر الإفخارستيا الذي فيه أيضاً (الإفخارستيا) نصبح كلنا جسداً واحداً معه، ومَنْ يمكنه أن يُفرِّق ويُقسِّم الذين اتحدوا بوحدة طبيعية وعُقِدوا *Knit* معاً في جسده المقدس الذي هو واحد مع المسيح؟ لأننا إذا اشتركنا في الخبز الواحد، نصبح جسداً واحداً؛ لأن المسيح واحدٌ لا يقبل التقسيم. لذلك، الكنيسة هي جسد المسيح، وكلنا –كأفراد– أعضائه حسبما قال الحكيم بولس. لأننا كلنا اتحدنا بالمسيح بجسده المقدس حيث أننا أخذناه في أجسادنا، أي الواحد غير المنقسم، تصبح خدمة أعضائنا مملوكة له وليس لأنفسنا. وهنا يصبح المسيح الرأس، ولكن الكنيسة تصبح جسده المكوَّن من المسيحيين، وبولس يبرهن لنا هذا بهذه الكلمات: "لكي لا نكون فيما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم، بحيلة الناس، بمكر إلى مكيدة الضلال. بل صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس: المسيح، الذي منه كل الجسد مركباً معاً، ومقترناً بمؤازرة كل مفصل، حسب عملٍ على قياس كل جزء، يحصل نمو الجسد لبنيانه في المحبة" (أفسس ٤: ١٤ – ١٦). وأن كل الذين يأخذون جسده المقدس يحصلون على هذه الوحدة الحقيقية الحسية في المسيح. يقول بولس مرة أخرى ويشهد مشيراً إلى سر التقوى "الذي في أجيال أُخر لم يُعَرَّف به بنو البشر كما قد أُعلِن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال الموعد في المسيح" (أفسس ٣: ٥ – ٦)؛ فإذا كنا كلنا من ذات الجسد واحداً في المسيح، من خلال جسده، ألا يعني هذا أن كل واحد منا هو واحد مع الآخر وفي المسيح؟ وبالإشارة إلى الوحدة في الروح، حيث أننا نسير من ذات الطريق، نقول إننا نأخذ الروح الواحد، وهذا يوحِّدنا كلٌ بالآخر وبالله، ولكن الذي يسكن في كل فرد منَّا هو الروح الواحد غير المنقسم الذي يحفظنا، ولكنه يجعلنا واحداً، وكما أن قوة جسده المقدس يجعل الذين يأخذون هذا الجسد من ذات الجسد الواحد وواحداً معه وفيه، هكذا الروح غير المنقسم يسكن في الكل، ولكنه يظل الواحد الذي يجمع الكل في وحدة روحية؛ لذلك يخاطبنا بولس الملهَم: "محتملين بعضكم بعض في المحبة. مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح

برباط السلام. جسد واحد وروح واحد كما دعيتم إلى الرجاء الواحد لدعوتكم. رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة. إله وآب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفي الكل" (أفسس ٤: ٢ - ٦)... وإذا تركنا حياتنا الطبيعية وأسلمنا ذواتنا إلى ناموس الروح القدس، فإنه لا يبقى مجالاً للشك في أننا إذا كنَّا بإنكارنا لأنفسنا وبحصولنا على الحياة العليا التي تشبه حياة الروح القدس، الذي يحل فينا، فإننا نتحول إلى طبيعة أخرى، ونصبح لسنا بَعدُ بشراً، بل أبناء الله وبشرٌ سمائيون، وبذلك نبرهن على أننا شركاء الطبيعة الإلهية.

لذلك نحن كلنا واحد في الآب والابن والروح القدس. وواحدٌ، وأنا أعني في الهوية *Identity* أو الفكر وكذلك في الحياة حسب البر وفي شركة جسد المسيح المقدس وشركة الروح القدس الواحد". (المرجع السابق: الكتاب ١١ فصل ١١ تفسير يوحنا (١٧: ٢٠ - ٢١).

والنص لا يحتاج إلى تعليق، لكن على القارئ أن يلاحظ جيداً:

١- إن وحدة الكنيسة مستمدة من الثالوث.

٢- إنها على مثال الثالوث، مع الفوارق التي ذكرها القديس كيرلس.

٣- إنها تتم في شركة جسد المسيح في الإفخارستيا، الذي يجعل المؤمنين واحداً ويجعل كل فرد عضواً في جسد المسيح.

٤- إن الوحدة تحتاج إلى إنكار النفس، والتشبُّه باتضاع وعمل المسيح والروح القدس، لأن هذا هو الذي يرفعنا إلى الحياة العليا وكل هذا من الله.

٥- إن وحدة الكنسية توهَب مثل كل العطايا الإلهية، ولا تورَّث، وتحتاج دائماً إلى اليقظة الروحية والنمو.

الاختبار الليتورجي لوحدة الكنيسة:

عندما نقرأ الإصحاح الثالث من (أفسس ١- ١٠)، ثم الرابع (١ - ٦)، نكتشف أن الرسول بولس يضع أمامنا حقيقة هامة، وهي (الجسد الواحد) الذي

صرنا نحن الأمم (شركاء) فيه. وتعبير (الجسد الواحد) في غاية الأهمية؛ لأنه عندما يستخدمه الرسول بولس، فإنه – بكل تأكيد – يعني المسيح والكنيسة. هذه المسألة الدقيقة في غاية الأهمية؛ لأننا نظن أحياناً أنه توجد ثلاثة أجساد، وهي بالتحديد:

- جسد المسيح عن يمين الآب.
- جسد المسيح في الإفخارستيا.
- ثم جسد المسيح أي الكنيسة.

هذا التقسيم لا نراه مطلقاً في العهد الجديد، بل نرى العكس، نرى أن المسيح الواحد يعطي هذه الوحدة على ثلاثة مستويات:

- وحدةٌ مع الآب عندما جلس عن يمين الآب.
- وحدةٌ معه هو شخصياً، وهي في الواقع قلب الوحدة في الإفخارستيا.
- وحدةٌ مع المؤمنين، وهي وحدة الجسد الواحد.

وطبعاً هذه مظاهر ثلاثة للوحدة، وليست ثلاثة أنواع مختلفة من الوجود. ولأن هذه النقطة هامة جداً، علينا أن ندرس النصوص الخاصة بالجسد في العهد الجديد لسبب واحد، وهو أن الاختبار الليتورجي يضعنا في قلب هذه الوحدة بمظاهرها الثلاثة.

أولاً: الرسالة الأولى إلى كورنثوس:

عندما ندرس النصوص ابتداءً من الإصحاح العاشر — لاسيما – الإفخارستيا نجد أننا أمام تعبير الجسد الواحد "الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ، أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟ فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ، جَسَدٌ وَاحِدٌ، لأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ" (١ كورنثوس ١٠: ١٧). ولذلك الوحدة هنا في جانبها الفعال والواضح هي وحدة تُمارَس وتُختَبر في الاتحاد بالمسيح الذي يجعل الكل معاً جسداً واحداً، هو المسيح والكنيسة، وهو الجسد الواحد الذي تزرعنا المعمودية فيه كأعضاء "لأَنَّنَا

جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضًا اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ" (١ كورنثوس ١٢: ١٣) ثم نرى أن الجسد الذي يستخدمه الرسول كمثال للحديث عن الجسد الواحد، يوصف أيضاً بأنه واحد، ولذلك المثال نفسه يؤكد وحدة الجسد (١٢: ٢٠).

ثانياً: الرسالة إلى أهل أفسس:

حيث يظهر بكل وضوح أن المسيح هو رأس الجسد، وأن هذا الجسد هو الكنيسة (أفسس ١: ٢٢ – ٢٣). ثم يعود الرسول لكي يؤكد أن الخليقة الجديدة التي لا وجود فيها لجنس يسمى اليهود، ولجنس آخر يسمى الأمم، هذه الخليقة مصدرها "الإنسان الواحد الجديد أي آدم الثاني الذي صالح كل الأجناس والشعوب في جسد واحد مع الله بالصليب" (راجع أف ٢: ١٦). وهنا الجسد الواحد، هو ذات الجسد الذي صُلب، هو جسد يسوع، وبالتالي لا مجال بالمرة للحديث هنا عن أجساد ثلاثة، بل هو ذات الجسد الواحد الذي نشترك فيه، وهو ذات الجسد الواحد الذي صُلب؛ لأن الإنسانية كما قلنا تنحدر من آدم الجديد الواحد، وهو ما يتحدث عنه الرسول بعد ذلك ويصفه بـ "سر المسيح". هذا السر هو بكل يقين اجتماع اليهود والأمم في مصالحة، وهذا الاجتماع جعل الرسول يقول عن الأمم: "شركاء في الميراث والجسد" (أف ٣: ٦). هذه الشركة في الجسد الواحد، هي الكنيسة، وهي التي يصفها الرسول بعد ذلك بـ "وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ ... جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ" (أف ٤: ٣ – ٤)، ولذلك، وبعد أن يؤكد الرسول هذه الوحدة يُقدِّم على الفور هذه الوحدة بين المسيح والكنيسة كمثال للزواج: "وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَداً وَاحِداً. هذَا السِّرُّ عَظِيمٌ، وَلكِنَّنِي أَنَا أَقُولُ مِنْ نَحْوِ الْمَسِيحِ وَالْكَنِيسَةِ" (أف ٥: ٣١ – ٣٢).

ثالثاً: الرسالة إلى أهل كولوسي:

منذ بداية الرسالة يقدِّم الرسول ذات المعنى، ويؤكد هنا بعبارات أقوى: إن الجسد الذي تصالح فيه الكل هو "جِسْمِ بَشَرِيَّتِهِ" (كو ١: ٢٢)، ولكن جسم بشريته هذا، ليس فكرةً أو مضموناً، إنه هو جسد المسيح، وهو "جسده الذي

هو الكنيسة" (كو ١: ٢٤)، ولأن المسيح هو رأس الجسد، يقول الرسول بكل وضوح: "الرَّأْسِ الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ بِمَفَاصِلَ وَرُبُطٍ، مُتَوَازِراً وَمُقْتَرِنًا يَنْمُو نُمُوًّا مِنَ اللهِ" (كو ٢: ١٩) وبالتالي علينا أن نفهم بكل دقة أن وحدة الجسد هي التي جعلت الرسول يقول هذه الكلمات: "لأَنَّنَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ" (أفسس ٥: ٣٠) وهي صدى لكلمات آدم الأول عندما وصف حواء التي منه أخذت "هذه لحم من لحمي وعظم من عظامي" (تكوين ٢: ٢٣) وهي طريقة التعبير العبرانية الشائعة والواضحة جداً والتي تعني بكل دقة هذه مني أي من كياني، ولذلك وحده، يمكننا أن نقول: الكنيسة جسد المسيح لأنها منه، من كيانه من حياته ومن لحمه وعظامه، هذا هو سر الاتحاد به الذي لا مثيل له سوى سر الزيجة، الذي من المفروض أن يرفعنا إلى فوق إلى معاينة المسيح والكنيسة.

الممارسة والمعيشة:

في الأسرار نرى بكل وضوح أنه لا يوجد سرٌّ واحد يمارسه الفرد كفرد، بل السر تمارسه الجماعة. ولذلك، حتى المعمودية، وحَسَب كُتب الكنيسة الطقسية، الشعب يكون حاضراً، ولا يمكن أن تتم المعمودية بدون حضور الشعب؛ لأن الشعب يرى (الغرس الجديد)، والشعب هو الذي يسلِّمه قانون الإيمان عن طريق الإشبين (العراب) وهذه الحقيقة الفائقة تجعلنا نرى أنه حتى في معمودية البالغين، يجب أن يُلَقِّن الإشبين أو الشماس قانون الإيمان لمن يعتمد، لأن التلقين هنا هو تسليم الإيمان من الجماعة إلى الفرد. وجحد الشيطان يتم أمام الجماعة أيضاً، وكذلك الدهن بالميرون يتم أيضاً أمام الجماعة ليس كشهود فقط، بل لأنهم يشاركون مسئولية حياة ونمو العضو الجديد. وبعد ذلك التناول حيث يتم اتحاده بالكل، أي جماعة المؤمنين. في المعمودية الاتحاد شخصي؛ لأن الفرد يعتمد وحده. في الإفخارستيا الاتحاد بالجماعة. في المعمودية الاتحاد الشخصي بالمسيح، وهو نفسه، أي المسيح يقود إلى الاتحاد بالجماعة. في الزيجة التي لا تتم إلاَّ يوم الأحد حيث يجتمع المؤمنون، ولا تتم إلاَّ في القداس حسب قانون وطقس

الكنيسة القبطية، من الواضح أن اتحاد الرجل بالمرأة يتم على أساس اتحاد الكنيسة بالمسيح، ولذلك يقف العريس على باب الكنيسة حسب الشهادات القديمة، يقدِّم للعروس صليباً على باب الكنيسة، وتقول الكتب الطقسية تعليلاً لذلك: لأن المسيح اتحد بالكنيسة بسر الصليب، وتتم صلوات الكليل بعد رفع بخور باكر، ثم يتم تناول العروسين قبل الشعب كله، وبعد خدام المذبح مباشرة، ولا زالت بقايا التناول نراها في فتح ستر الهيكل أثناء قراءة الوصية وتغطية اليدين بلفافة، وهي أصلاً لفافة التناول.

هذه الوحدة الروحية من الكنيسة هي سبب اختيار الشعب لراعيه من الدياكون حتى البابا البطريرك، وهذه ليست ديمقراطية وحرية، أبداً.. فهذه كلمات بشرية لا تكفي للتعبير عن سر المسيح والكنيسة. هنا الكنيسة ترى في أحد أعضائها مَن يصلح لأن يكون أباً وراعياً. هنا الجسد يميِّز عضواً فيه، فإذا كان الجسد لا يميِّز هذا العضو، ولا يراه كعضوٍ فيه، فكيف يمكن أن تتم رسامة بالإكراه؟!! وكيف يمكن أن نفرض راعياً على إيبارشية؟!! ... كل هذه الممارسات الخاطئة التي يجب أن تكون في طريقها إلى الزوال هي في الواقع إنكار كامل لمعنى الكنيسة.

الممارسة لا تأتي إلاَّ من الحياة السليمة، ولذلك، عندما يهبط مستوى الحياة يهبط مستوى الممارسة. إن العالم القبطي زكريا ابن سباع في القرن الثالث عشر يقول: "الإفخارستيا وحدها هي التي تجعل الرجل والمرأة في الزيجة جسداً واحداً". وكم مَنْ ارتفع إلى مستوى هذه الممارسة؟ وكم مَنْ يعرف أن كل مرة يتناول فيها إنما لتجديد كل ما أخذ وما سيأخذ من عطايا إلهية في الزيجة أو البتولية.

الأسرار تمارسها الجماعة من أجل حياة الجماعة، والليتورجية هي معايشة وممارسة لسر الوحدة بين المسيح والكنيسة.

يسوع المسيح حياتنا[1]

-١-

أوشية الإنجيل: "لأنك أنت هو حياتنا كلنا".

رسائل الأخوة والأخوات تؤكد لي حاجتنا الشديدة جدًا إلى أن نغوص معًا في "سرِّ المسيح"، وهو اتحادنا بالرب يسوع، ومع أننا نشرنا دراسة وافية على موقعنا بعنوان: "المسيح والمسيحي وشركة الجسد الواحد"، إلَّا أننا على ما يبدو لي، نقرأ ما في عقولنا قبل أن نقرأ ما هو مكتوب، حتى وإن كان المكتوب هو كلمات الروح القدس في الكتاب المقدس.

ماذا ضاع منا، وما هي الأسباب الحقيقية لهذا الضياع؟

يتأرجح فكرنا المصري (لا فرق بين أرثوذكسي وإنجيلي .... الخ) بين ألوهية الرب يسوع، وهذه حقيقة أزلية، وبين إنسانيته، وهي حقيقة أبدية سوف نحيا معه، هنا وفي الدهر الآتي؛ لأن الله أعلن عن نفسه في تجسد الكلمة (يوحنا ١: ١٤)، وهو آخر استعلان طبقًا لـ (عب ١: ١). ولكننا لم نستوعب بعد حقيقة اتحاد الرب الابن الكلمة بالإنسانية التي أخذها من والدة الإله.

أصبحتُ أتردد في استخدام كلمة "الناسوت" السريانية الأصل؛ لأنها تحوَّلت إلى فكرة، إلى الدرجة التي صار معها اسم "الجسد"، اسمًا مجهولًا، ولذلك عندما نشير إلى الإنسانية، لعل الوعي يستيقظ ويصحو على حقيقة "تأنُّس" الله الكلمة. وما نقوله هنا ليس بدعًا، فقد أدركت أجيالٌ أخرى سبقتنا في الوجود، أن تعبير "تجسَّد" لم يعد يكفي، ولذلك أضافت حسب القبطي: "تجسد وصار إنسانًا"،

[1] مقالان نُشر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في أكتوبر ونوفمبر ٢٠١٤.

أو "تأنَّس" حسب ترجمة العصر الوسيط.

ولكـي نعـبر هـذا التـأرجح، يجـب أن نسـتعيد الـوعي بالتجسـد، واتحـاد الله الكلمة بنا نحن البشر: "هذا الذي لأجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم" (قانون الايمان). هذا يكشـف لنـا أن الآبـاء في نيقيـة ٣٢٥ لم يفكـروا في حـدثٍ خـاصٍ بـالله الكلمـة وحده، بل "لأجلنا"، وهو من خلال ما نعرف من كتابات الآباء الذين سبقوا نيقية ٣٢٥ والذين عاصروا نيقية ٣٢٥ أن الرب جاء لعودتنا نحن البشر إلى الآب كأبناء ننال كيانًا جديدًا غير ذلك الكيان الذي دمَّره آدم الأول، وأن هذه العودة هي اتحادٌ وثيق لا يقبل أيَّ شكلٍ من أشكال، أو أيَّ نوعٍ من أنواع الانفصال (رو ٨: ٣٩)؛ لأنه اتحادُ محبةٍ لا تقبل الانقسام.

إذن، نبدأ الوعي بالتجسد، أو أن "صار الكلمة الله إنسانًا مثلنا في كل شيء بلا خطية" (عب ٤: ١٥).

ماذا يعني هذا في الواقع بعيدًا عن أية نظريات؟

* يعني أولًا أن اتحاد الله الكلمة بنا هو اتحادُ حياةٍ إنسانية، أي حياتنا نحن بحياته الإلهية المتجسدة.

وهذا يعني أن الرب يسوع المسيح يتجلى في الجسد الإنساني إنسانًا، وُصِفَ بأنه يحب الطعام ويشرب الخمر (متى ١١: ١٨)، بل ويحيا مع أحط طبقات المجتمع الإنساني: الزناة – العشارين، أي جامعي الضرائب – صيادي الأسماك، وهو لا يخاف ولا يتردد في أن يقابل رؤساء مجمع مثل نيقوديموس. فهو ليس شخصًا ينزوي خوفًا أو خجلًا، لأنه جاء من أجل استعلان أعظم ما يُقال عن الله، وهو أن "الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم"، وأضاف الإنجيلي يوحنا "**لكي نحيا به**" (١ يوحنا ٤: ٩) فكيف نحيا بالمسيح؟

* هذا يعني ثانيًا أن نؤمن بالحياة الإنسانية التي لنا. يبدو هذا غريبًا على من

يقرأ، ولكن يجب أن ننتبه إلى أن الإنسانية التي فينا هي إنسانية تغرَّبت عن الله، وعن مصدر الحياة حسب قول رسول الرب: "بلا إلهٍ في العالم" (أفسس ١٢: ١١)، وهذه الكلمات قيلت لمن كان يعرف آلهة الأمم، أي الآلهة الوثنية. لكن لم يكن لدى هؤلاء، "الإله الحي"، إله المواعيد والعهد والأنبياء، والإله الذي يكشف عن ذاته "الله بعد أن كلَّمَ الآباء" (عب ١: ١).

واغتراب الإنسانية عن الله يعني أننا خلَقنا لأنفسنا آلهةً مزيَّفةً، وبالتالي زيَّف الإنسانُ حياته (نرجو قراءةً غير مسرعة لكتاب الرسالة إلى الوثنيين — القديس أثناسيوس — ترجمة د. جوزيف فلتس).

الإنسان هو ما يعبد. هذا صحيح، ولذلك في قلب العالم الوثني القديم، رتَّل شعب الله هذه الكلمات:

- أصنام الأمم فضة وذهب
- عمل أيدي الناس
- لها أفواهٌ ولا تتكلم
- لها عيونٌ ولا تبصر
- لها آذانٌ ولا تسمع

لكن ما هو مرعب حقًا هو العبارة التالية:

- مثلها يكون صانعوها وكل مَن يتكل عليها" (مزمور ١٣٥: ١٦-١٨)،

ولذلك كانت عبارات المزمور تجعلني ارتجف من تعليم العصر الوسيط عن الآب الغاضب على ابنه إلى درجة قتله؛ لأن مَن يعبد هذا الآب الغاضب لن يفارقه الغضب؛ لأنه عندئذٍ يكون مثل الإله الذي يعبده.

الكلمة يتجلى إنسانيًا ويُدخِل ألوهيته في "صميم" الحياة الإنسانية، كما كان الأب متى المسكين يقول ويكتب لعشرات السنوات مضت. وهو لا زال الكلمة المتجسد في السماء. أخذ خدمة رئاسة الكهنوت حسب رسالة العبرانيين لكي "يكفِّر عن خطايانا" (عب ٨: ١٤). أي لكي يطهِّرنا حسب كلمات العبرانيين:

"بعدما صنع تطهيرًا" (فداءً) لخطايا جلس في يمين العظمة في الأعالي" (عب ١: ٣). هنا يجيء دور الترتيب الكنسي المفقود والضائع، -وأنا أقصد التسبحة- والذي أعاده البابا كيرلس السادس، وإن كان يوشك أن يتلاشى في وسط صراعات حول الموسيقى والألحان.

لأن الذي صَنَعَ هذا التطهير ولا يزال يصنعه هو -في التسابيح اليومية والأسبوعية:

- خالق السماء والأرض (يوحنا ص ١).

- حامل كل الأشياء بكلمة قدرته (عب ١: ٣)، أي حافظ كل خليقة في مدارها، وهو الذي يحفظ حتى "المجرات" البعيدة التي لا نراها.

هذا ما تزرعه فينا الهوسات (التسابيح) كل يوم لكي لا نفقد الوعي، وتضيف إليه تسبحة أو ترتيلة لاسم ربنا يسوع باسم "الإبصالية" على مدار الأسبوع.

لذلك يجب أن نطهِّر الفكر من صورة الرب المعلَّق على الصليب والميت؛ لأنه الحيُّ في الموت، والغالبُ بالضعف، والقادر أن يعطي مكانًا في الفردوس للصٍّ آمن به وهو معلقٌ معه على الصليب.

المطلوب إذن هو استرداد الوعي بقوة الرب المتأنس الذي يستعلن هذه القوة خفيةً أو سرًّا.

والسرُّ هو الاستعلان الذي لا مثيل له في الواقع الإنساني، ولا يوجد حتى ما يقابله أو يشرحه. هو استعلانٌ يتعدى كل ما هو ملموس ومعروف ومألوف، ولكنه يدخل إلى أعماق الإنسان المؤمن، وغير المؤمن؛ لكي يستعيد الإنسان ويعيده إلى الآب. لأنه هو الراعي الذي يبحث عن الخروف الضال ولا يتوقف حتى يجده.

إخلاء الذات (فيلبي ٢: ٦-٨):

إن تدبير الخلاص لم يمحو ألوهية الرب، بل أدخل هذه الألوهة مجال الضعف والتعب والنوم والأكل، وهو مجال الحياة الإنسانية التي اتحد بها الله الكلمة.

لذا أرجوك عزيزي القارئ، ألَّا تغرق في حوار ومتاهات العصر الوسيط الذي ركب رأس العصر الحديث عندنا: هل الله يأكل ويتألم ... الخ هذه ترَّهات وأضاليل تُقال لكي نفقد الوعي بالتجسد، ونقسِّم الواحد إلى اثنين لكي نبقى في تراب الأرض حشرات ليس لها مجال الحياة السماوية.

أذكرُ واقعةً فيها نوع من الفكاهة، عندما كان أحد الخدام يحاور القمص مينا المتوحد عن نوم وتعب الرب، بل وموته. وقال أبونا مينا وهو يبتسم: يعني لما بتأكل، عقلك بياكل ولا بقك؟ وسكت الأخ. ولما بتنام، جسدك بينام ولا روحك؟ وسكت الأخ. ذلك أن فصل أفعال الإنسان إلى جسدانية وروحية، هو تقسيم للإنسان. طبعًا، العقل لا يأكل، ولكن العقل يفهم. وطبعًا، الروح لا تنام في سبات مثل الجسد، ولكنها تهدأ. وإذا قال الكتاب عن النفس: "أنا نائمة وقلبي مستيقظ" (نش ٥: ٢)، فهذا عن الحياة والوعي بالصلاة الدائمة.

لقد ضرب الضلال حتى جذر اتحادنا بالرب في سر الشكر، عندما قيل إننا نأخذ الناسوت فقط.

لكن إخلاء الذات يعني إخفاء اللاهوت في الحياة الإنسانية، واستعلان هذا اللاهوت في القلب، أحيانًا بشكل منظور، ودائمًا بعمل خفي.

والرب لا زال يخلي ذاته بالحياة فينا، وبعطية الجسد والدم التي توزَّع على كل البشر، وتبقى قضية الاستحقاق قضية شخصية، بمعنى أنه لا توجد أية موانع عند الرب، إلَّا الموانع التي يصنعها الإنسان لنفسه مثل الارتداد أو البقاء في الشر.

الرب يدخل حياتنا والأبواب مغلَّقة تمامًا، كما حدث في العلية، ولكنه يستعلن ذاته في قوة مقاومة الفكر الشرير، وفي تثبيت الحياة فيه. هو يدخل من

ثقب إبرة اسمه المحبة، وهو ما لدينا جميعًا. "حيث المحبة، يحل الثالوث". في محبة الأم أو الأب أو الصديق. هذه هي إشعاعات المحبة الإلهية في شكلها الإنساني. أما في شكلها الإلهي، فهي النار التي سُجِّلت لنا في تاريخ القديسين، الذين اشتعلوا بنارٍ إلهية مثل أرسانيوس ومكسيموس ودوماديوس وبفنوتيوس، هؤلاء صاروا مثل العليقة حيث اللاهوت دون أن تحترق الشجرة، بمعنى أن هؤلاء بقوا بشرًا وعاشوا بشرًا وماتوا أو رقدوا في الرب بشرًا.

وشهادة الروح القدس تجدها في مقاومة الإغراءات، وفي التمسك بالوصايا: "مَن يحفظ وصاياه يثبت فيه، وهو (يسوع) فيه، وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح (القدس) الذي أعطانا (١ يوحنا ٣: ٢٤) والذي نال الروح القدس في العلية بعد القيامة (يوحنا ٢٠: ٢٢) يعرف أنه أخذ الروح القدس.

العواطف هي أحد الموانع الحقيقية التي تزرعها العبادة الوثنية:

درستُ العبادات الوثنية — الكنعانية — المصرية — البابلية — الفارسية، ثم ما وُلِدَ داخل الجماعة المسيحية — مدارس الغنوسية، بل حتى أوراق أو مخطوطات البحر الميت، كانت أحد برامج الدراسات العليا في كامبريدج. وكانت قراءة ما تبقى من صلوات وعبارات هذه الجماعات تكشف عن:

– عطشٍ إنساني حقيقي إلى الخالق، ولكن العطشان يضل الطريق عندما يقاد إلى طقوسٍ معقَّدةٍ تهدف في النهاية إلى رد الإنسان إلى كيانه؛ لأن الله الحقيقي غير معروف.

– وعودة الإنسان إلى ذاته من خلال العبادات، كانت تتم بطقوس معقدة ولازلت حتى تاريخ كتابة هذه السطور أحاول أن أفك طلاسم كتاب قبطي غنوسي بعنوان يوناني هو *Pistis Sophia* الإيمان — الحكمة .. والغموض هو غموض عواطف الباحث عن حقيقة، تخدعه عنها الطقوس، إذ تعيده إلى النقطة التي بدأ منها، وهي الذات، فلا تزال الذات *self* هي مشكلة الصراع الروحي في

العصر الحديث في أوروبا، وهو صراعٌ تخوضه البوذية بكل مدارسها بعنف شديد ضد المسيحية الغربية.

غموض العواطف عندنا قد يثيره مثلًا معنى: "حمل خطايانا في جسده على الخشبة" (١ بط ٢: ٢٤)، عبارة تصبح غامضة لو لم يكمل الواعظ الباقي، وهو: "لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر"؛ إذ لا يريد التعليم الذي شرب من مياه العصر الوسيط الراكدة أن ينقل الصليب إلى الواقع الإنساني، بل أن يتحول إلى قضية غنوسية (عرفانية) تمَّت في الماضي. فالموت عن الخطايا هو الالتصاق بالمسيح يسوع المصلوب معنا وفينا حسب كلمات الرسول: "مع المسيح صُلبت"، ولعلنا ننتبه إلى أن بولس لم يحذف حياته، بل أضاف: "فأحيا (وحرف النفي) لا أنا (أي الحياة القديمة)، بل المسيح"، وذلك حسب التعليم والمثال الذي يصرخ بعد ذلك به "الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد (اعتبروا الجسد ميتًا) مع الأهواء والشهوات. وهؤلاء هم الذين نالوا سكنى الروح القدس (راجع غلا ٢: ٢٠) مع غلا ٥: ١٦-٢٦).

لقد تم تقطيع العهد الجديد إلى مقاطع تقال من أجل إثارة العواطف الغامضة، إن في الوعظ، أو في ترانيم تضم أكبر قدر من العموميات *Generalities* وهو مجال يطول البحث فيه (وإن كنا قد تعرضنا له بسرعة في مقالاتنا عن التقوى المزيَّفة التي تفتقد إلى الأساس اللاهوتي)، ولكن لكي نتجنب هذا الفخ الذي يعود إلى الوثنية المتأصلة في الوجدان الانساني علينا أن نراقب ما يلي:

١- إن كل عاطفة لا تنتهي بقرار إرادي واضح، هي فخٌ يؤدي عادةً إلى الإحباط والإدمان على الاجتماعات، بل والقداسات أيضًا.

٢- إن القرار الإرادي هو قرارٌ مشترك بيني وبين المسيح؛ لأنه هو قرار المسيح الرب قبل أن يكون قراري أنا؛ لأن كل عمل صالح قد سبق الآب وأعلنه في حياة الابن: محبة الاعداء — الغفران للصالبين — تقديم ذاته ذبيحة .. هذه كلها تأتي إلينا عندما يحل روح الرب فينا، هي عمل الروح القدس حسب اتساع قلب كل

إنسـان، وهـو عمـلٌ قـد لا يكـون مصـحوبًا بعاطفـة أو شـعور، وإنمـا هـو دائمًـا استنارة: "لكـي يعطيكم بحسـب غنى مجده أن تتأيـدوا بـالقوة بروحه في الإنسـان الباطن". هل تعلم ماذا يقول الرسول بعد هذه الكلمات؟ "ليحل المسيح بالإيمان في قلـوبكم وأنـتم متأصـلون ومتأسسـون في المحبـة .. وتعرفـوا محبـة المسـيح الفائقـة المعرفة (التي لا يمكن أن تخضع لنظريات العقل) لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله (أي ملء محبته؛ لأن محبته هي الألوهة الحقة)" (أفسس ٢: ١٦-١٩).

٣- إن الاستغراق في التحليل اللغوي لفرض قواعد اللغة على الإيمان، أو محاولات إغراق المستمع في تفاصيل تاريخية تشتت الذهن، مثل حديث طويل عن السـامرة، أو تحليـل كلمـات الـرب للوصـول إلى طـرح الاسـتعلان في بحـر الرمـوز والاستعارات مثل: "أنا الكرمة وأنتم الأغصان، كل غصن فيَّ ..."، فعندما تنقل هـذه العبـارة إلى مستنقع الاستعارات، ولا تقـارن بما يقوله الـرب نفسـه: "اثبتـوا فيَّ وأنا فيكم"، أو الاستعلان الإلهي في يوحنا ص ١٧ فإن الواعظ يكون عندئذٍ نبيًا كذابًا. وما أكثر الأنبياء الكذبة الذين حولوا الكلمة المتجسد إلى كلمات تقال.

خداع العواطف:

للإنسان ميلٌ طبيعيٌّ للامتلاك. هو يريد أن يمتلك، لو استطاع العالم كله. لقد جرَّب الشيطانُ الربَّ يسوع نفسه، وقدَّم له رؤيا عقلية: "ممالك المسكونة في لحظة من الزمان" (لوقا ٤: ٥). ولاحظ أن استعلان الله على جبل حوريب يقابله هنا جبل التجربة. وقال الشيطان: "لك أُعطي هذا السلطان كله ومجدهن لأنه قد دفع لي وأنا أعطيه لمن أريد" (لوقا ٤: ٥)، وكان المطلوب هو أن يعبد يسوعُ الشيطانَ، ويسجد له لكي يصبح مثل الذي يعبده. وهكذا تبقى فينا رغبة الامتلاك، رغبة الحصول على كذا وكذا ... الخ. ولكن هذه الرغبة تنجرف إلى ما هو شرير؛ لأن مصدرها العواطف الغامضة التي لا ترى العاقبة، ولا ترى النهاية.

النعمة لا تُمتَلَك، والحياة الأبدية هي شركة، وهي ليست تحت سلطان إرادة

الإنسان؛ لأن ما نشترك فيه مع آخرين حتى على المستوى الإنساني، هو ما لا يخضع لإرادتنا وحدنا، بل الشركة تُعلم الإنسان العطاء.

وكم كان فظيعًا أن يُقال إن حلول الروح القدس فينا يحوِّلنا إلى آلهة مثل الله. هذا هذيان مَن لا يعرف النعمة. وهو هذيانٌ أطلقه الشيطان؛ لكي يخيف أولاد الله. أذكر عبارةً في مديحةٍ للمسعودي تقال في شهر كيهك:

وحش نبي كذاب، أضلَّ أولاد الآب.

لأننا نعرف حقًا أن كل شيء هو في المسيح، أي نشترك فيه، وهو ما توسعنا في شرحه في كتابنا "المسيح والمسيحي وشركة الجسد الواحد".

العواطف غامضة هوجاء تعلو وتهبط، ولكن الإرادة التي وُحِّدَت بالروح القدس لا تعرف اندفاعات العواطف، ولا عواصف الانفعالات.

-٢-

الخطاب الديني الزائف

من الصعب على "العطاش إلى البر" الذين نالوا "الطوبى" من الرب نفسه أن يصدِّقوا خطاب التعليم والوعظ الزائف، والذي يهدف -بشكلٍ ملحوظ- إلى جمع الأتباع وحشد الجماهير، وإبراز تعليمه على أنه التعليم الصحيح، وأن كل إنسان آخر هو خاطئ وشرير وغريب عن نعمة الله، ولا يعرف الرب يسوع.

وهنا يمكننا أن نشير إلى أن النهضة البروتستانتية في القرن الـ ١٨ — ١٩ قد كرست عدة أطروحات هي في جوهرها ثمرة الثقافة الأوروبية والأمريكية بعد ذلك:

أولًا: الفرد وليس الشخص، ومعه الكتاب المقدس، ومعه المخلص رب المجد الذي قَبِلَه في يوم وساعة معينة.

ثانيًا: التشديد على "التقديس" بعد نوال "التبرير"، والمقصود من ذلك هو السلوك الصالح الذي حددته النهضة بالأخلاق الجيدة، كتحريم المعاشرات الجنسية والخمر والسينما ... الخ.

ثالثًا: دفع العشور لتعضيد الرعاة ونشر الإنجيل في كل مكان.

هذه الأهداف الثلاثة لا تزال تُقال، ولا نزال نسمعها من على منابر كثيرة في مصر، وهي تبدو جيدة وحسنة ومقبولة.

لكن إذا نظرنا إلى الهدف الأول، وهو أطروحة الفرد ومعه كتابه المقدس، بإمعان وتدقيق، وجدنا أن تحت الجلد البريء المظهر زيفًا بكل ما تحمله كلمة زيف من معانٍ، هنا يجب أن نحسبها "صح".

الولادة من فوق:

الولادة من فوق لا تتم بالإرادة الإنسانية، ولا هي بالسلوك الصالح. بل هي أولًا وأخيرًا من الله. من "الماء والروح". لا يلد الإنسانُ نفسه حتى بيولوجيًا، والعهد الجديد صارم في هذا الأمر: "مولودين ثانيةً لا من زرع يفنى"، وكلمة زرع هي الكلمة اليونانية Sperma - σπέρμα وهي بذرة الحياة التي توضع في رحم المرأة — ولذلك يقول الرسول: "بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية" (١بط ٢: ٢٣). وكلمة الله الحية الباقية هي ليست ما ينطق به الواعظ، وإنما هي قوة وعمل الروح؛ لأن الفصل بين الكلمة والروح انتفى بتجسد ابن الله، ولذلك قال هو نفسه: "الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة" (يوحنا ٦: ٦٣)؛ ولأن المتكلم يسوع هو الذي قال: "أنا الحياة"، أصبح الفصل بين الكلمة — الحياة — الروح مستحيلًا؛ لأن العمل الإلهي واحد، والشركة الإلهية تُعطى للإنسان "بالزرع"؛ لأن "زرع الله ثابت في المولود من الله" (١يوحنا ٣: ٩)، وهو لذلك لا يخطئ في معرفة مصدر حياته؛ لأن أعمال الله مناقضة تمامًا لأعمال إبليس، وهو الموضوع الذي احتوى على هذا التصريح المضاد لكل ما يمكن أن يقدِّمه العقل عن الولادة الجديدة. ولاحظ أن رسول الرب يقدِّم التعليم ابتداءً من عدد ٧ مؤكدًا أن المولود من الله هو من يحب أخاه، وليس مثل قايين (راجع بدقة ٧: ١٢)، ثم يؤكد بعد ذلك أنَّ "من لا يحب لم يعرف الله. لأن الله محبة" (١يوحنا ٤: ٧).

صحيح أن قرار الإنسان ضروري، ولكن التغيير ليس بقرار الإرادة. قرار الإرادة جيد، ولكن التجديد الكياني هو عمل الله الكلمة يسوع المسيح.

غياب لعمل الروح القدس:

لا زلنا نسمع هذا الصراخ عبر وسائل سمعية وبصرية: "اقبل المسيح"؛ وهنا يعطي التعليم الزائف الدور الرئيسي للإرادة — العواطف — الانتماء إلى جماعة معينة. وتلعب التراتيل دورًا هائلًا؛ لأنها تحرك الذاكرة لإعادة ذكرى اليوم والساعة التي فيها قَبِلَ الإنسان يسوع إراديًا، دون أن يكون هناك –في ذلك اليوم وفي تلك

الساعة– تأكيدٌ على عمل الروح القدس، وعلى قبول حياة الثالوث القدوس فينا، حياة الآب والابن والروح القدس التي تُعطى لنا بالروح القدس.

وخلف هذا الغياب سببٌ تاريخي، وهو محورية عقيدة الفداء، كما صِيغَت في العصر الوسيط، وصارت العلامة المميِّزة لحركة الإصلاح، حيث انحسر عمل الروح القدس، في حين أن الروح القدس هو مُعلن يسوع ربًا وإلهًا (١كو ١٢: ٣).

الفدية:

تعجَّبت جدًا من ترجمة إنجليزية لقداس القديس باسيليوس، تعدَّى فيها المترجم، الأصل القبطي والعربي معًا، بل والتعليم اللاهوتي الأرثوذكسي برمته، حيث ترجم: أحب خاصته الذين في العالم:

He loved his own who were in the world

والترجمة هنا صحيحة، لكن الالتواء المقصود هو في هذا السطر:

and, as a ransom on our behalf, gave Himself up to death

وترجمة ذلك إلى العربية: كفدية عنا قدم ذاته للموت. ص١٨٩ طبعة ٢٠٠٧ الطبعة الثانية. في حين أن الترجمة العربية التي بين أيدينا تقول: "وأسلم ذاته فداءً عنَّا إلى الموت". والأصل القبطي لا يعرف كلمة فدية:

Ⲁϥⲧⲏⲓϥ ⲙ̀ⲙⲓⲛ ⲙ̀ⲙⲟϥ ⲛ̀ⲥⲱϯ ϩⲁⲣⲟⲛ

والكلمة: **ⲥⲱϯ** تعني خلاص، أو حتى فداء، وليست فدية، والمحتوى ظاهر لمن يريد أن يفهم.

<u>أولًا:</u> عنَّا ولأجلنا هما بمعنى واحد، والمترجم إذا انحرف عن الإيمان لا يدري أنه، بعد هذه العبارة، سوف يتناول الجسد والدم، في حين أن كلمة "فدية"، وهي بالمعنى البروتستانتي السائد، لا سيما في اللغة الانجليزية المعاصرة، هي ثمن خطية الإنسان، بينما الفدية هي عمل الفادي الله الذي يفدي، دون أن يدفع ثمنًا ما.

ثانيًا: وباقي النص يقول عن الموت: "هذا الذي تملَّك علينا. هذا الذي كنا ممسكين به مبيعين من قبل خطايانا"، وآخر العبارة: "نزل إلى الجحيم من قبل أو بواسطة الصليب"، لا لكي يدفع، بل لكي يهدم ويسبي الهاوية (أفسس ٤: ٨)، ولذلك تبقى الكلمة القبطية cⲱϯ خلاصًا من الأسر وهدمًا للجحيم.

العبث بالصلوات الليتورجية:

ولا يتمثل العبث فيما أشرنا إليه من أخطاء في ترجمة الصلوات الليتورجية فقط، بل وفي صلوات القسمة أيضًا، فقد أضافت الطبعات العربية للخولاجي بعد عام ١٩٧٠ بالتحديد، صلاة قسمة تحمل تجديف الجهل، وهي صلاة القسمة التي تبدأ: "أيها الابن الوحيد الكلمة الذي أحبنا وحبه أراد أن يخلصنا من الهلاك الأبدي ..."، ثم تقول: "هكذا ارتفع على الصليب ليحمل عقاب خطايانا"، ثم تضيف: "نحن الذين صرنا مديونين للعدل الإلهي بذنوبنا .. وهو الذي دفع الديون عنا". وعندما نقول تجديف الجهل، فإننا نعني ما نقول؛ لأنها:

١- إضافات لا وجود لها في العهدين القديم والجديد، ونحن نقصد: "عقاب خطايانا"، ثم: "مديونين للعدل الإلهي بذنوبنا". هذا تعلم الغرب الكاثوليكي والبروتستانتي معًا، والذي لا يعرفه الشرق، ومن يدَّعي أن هذا التعليم موجود عند آباء الكنيسة الشرقية، عليه أن يقدم لنا الدليل على ذلك.

٢- يصل التجديف إلى مداه عندما يمسك الكاهن الارثوذكسي بالجسد في يده والكأس أمامه، ويقول -عن غير وعي- إنها لدفع الديون، وبالتالي يهين المحبة الغافرة بلا ثمن، والتي لا تطلب ما لنفسها (١كو ١٣: ٥)، وهو مستوى الإنسان الأقل بكثير من المحبة الإلهية.

هل اكتشفت التعليم المزيف؟

أولًا: انفصال كامل لموت الرب على الصليب عن ذبيحة سر الشكر، وكأنهما حدثان كل منهما بعيدٌ عن الآخر، مع أن شخص الرب واحد، وأعماله لا تقسِّمه مهما كانت المسافة الزمنية؛ لأن كل عمل هو عطاء والعطاء هو حياة والحياة واحدة.

ثانيًا: إن تعليم حركة الإصلاح الأعرج يضع رب الحياة خالق كل الأشياء في قفص التاريخ، وهو تحديدًا أحداث الماضي: العلية والعشاء، فهذه الأحداث -في هذا التعليم- أحداث تاريخية مضت وانتهت، وما لدينا هو فقط ما يتذكره الإنسان، في حين أن الجالس مع تلاميذه في العلية، هو ذاته المعلَّق على الصليب، هو ذاته الذي رقد مع الموتى ونزل إلى الجحيم، وقام من الأموات لكي يدخُل حياة الإنسانية كلها؛ وهو ذاته المقدَّم على المذبح عن حياة العالم؛ لأنه لا يمكن تقسيمه إلى أحداث متباعدة، كل منها منفصل عن الآخر؛ لأن حياة يسوع هي حياة واحدة.

ثالثًا: عندما ينتقل وعي المصلي من واقع الاتحاد بالرب المصلوب والحي، إلى العواطف والأفكار التي تأتي من الذاكرة، يكون قد عاد إلى ذاته، وأصبحت ذاته هي محور العلاقة، بينما الاتحاد السري *Mystical* الذي يُوهب لنا بالروح القدس، هو الذي لنا يفتح مجالات الشركة في الحياة الإلهية المتجسدة، وينقل الوعي والإرادة والفكر والعواطف من الذاكرة إلى الاستنارة التي تُعطى بالروح القدس، ليصبح الوعي بالاتحاد ليس عملًا إراديًا فقط، ولا وعيًا شخصيًا فقط، بل أيضًا وعيًا بالرب نفسه وبحضوره الإلهي السري *Mystical*.

هل لدينا من يسمع ويفهم، أم أن ثورة العواطف قد اطفأت نور القلب؟

النعمة والاستحقاق
حسب التسليم الكنسي[1]

رسالة إلى أب كاهن في القاهرة

وصلتني رسالة من صديق ذكر فيها ما يلي:

"وقال أبونا إنه غير مستحق أن يلمس جسد الرب، ومدَّ كُم التونية وأمسك بالجسد المقدس لكي يناول الشعب".

وقد طلب الأخ ألاَّ أذكر اسمه ولا حتى اسم الكاهن، أو الكنيسة. وقال: "كل واحد يعرف نفسه". وسأل ما هو التعليم الصحيح عن الاستحقاق، وهل هذا التصرف العلني أمام الشعب مفيد أم ضار؟

([1]) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢ إبريل ٢٠٠٨.

الإجابة

الاستحقاق

أولًا: ما ورد في كتاب الرسامات[1]

حسب النص الأصلي القبطي، الصلوات هي لأجل "إقامة" القس. والفعل "أقام" ومشتقاته هو فعل ذو دلالة، يقول الرسول بولس: "هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا مُقِيمُونَ" (رو ٥: ٢).

Ⲫⲏ ⲉⲧⲉⲛϩⲓ ⲉⲣⲁⲧⲉⲛ ⲛ̀ϧⲏⲧϥ

ولأننا دُعينا لأن ندخل إلى هذه النعمة حسب دعوة الله ورحمته، ولذلك تبدأ الصلاة من أجل "إقامة" القس:

Ⲉⲑⲃⲉ ⲡⲧⲁϩⲟ ⲉⲣⲁⲧϥ

"أيها الرب إله القوات الذي أدخلنا إلى نصيب هذه الخدمة".

وكلمة النصيب **ⲡⲓⲕⲗⲏⲣⲟⲥ** هي ذات الكلمة التي استُخدمت في الترجمة السبعينية عند تقسم الأرض بعد عبور البحر الأحمر.

ثم تُعلن الصلاة حقيقة الطبيعة الإنسانية:

"مزق سحابة خطايانا وظلامنا مثل الدخان".

ولكنها لا تقف عند الاعتراف بحالتنا بل تقول:

"إملاءنا من قوتك الإلهية....".

وهي ذات العبارة التي تُقال عند دخول الموعوظين لخدمة المعمودية، وهي ذات الطلبة لأجل هؤلاء "الداخلين" إلى نعمة المعمودية المقدسة.

---

[1]) الطبعة الثانية ١٩٩٢م – مطرانيه بني سويف ص ٨٥ وما بعدها.(

وبعد ذلك

"ونعمة ابنك الوحيد وفعل روحك القدوس، لنكون مستحقين لخدمة هذا العهد الجديد لكي نستطيع باستحقاق أن نحمل اسمك القدوس، ونخدم كهنوت سرائرك المقدسة" (ص ٨٩).

ولأن القيام في النعمة هو بقوة الابن الإلهية – وقد حفظت لنا الصلاة القبطية الكلمة اليونانية ϯenepσia – والقوة الفاعلة ليست قوة مخلوقة، بل هي القوة الذاتية للروح القدس، وهي القوة التي تؤهِّلنا للشركة في الطبيعة الإلهية. وقد وجدنا في عبارات الصلوات نفسها ما يؤكد ذلك:

"هؤلاء الذين ملأتهم من الروح القدس غير المصنوع (المخلوق) المنبثق منك" (ص ٩٦).

ولا ينبثق من الآب شيئًا مخلوقًا أو كائنًا مصنوعًا.

"نعم يا رب أسمعنا. نطلب إليك أن تحفظ فينا أيضًا الروح القدس الذي لنعمتك غير المصنوعة" (ص ٩٧).

لأن النعمة "المخلوقة" ليست إلهية، ولا تقربنا ولا تشركنا في سرائر العهد الجديد، وهو السبب الذي تؤكده الصلاة:

"أنظر إلى عبدك (فلان). هذا الذي أُسلِمَ (قُدِّمَ) للقسيسية، أملأه من الروح القدس والنعمة والمشورة ليعضُد ويدبر شعبك بقلبٍ نقي" (ص ٩٥).

هنا يختفي ذلك العائق الذي خلقه عدم الفهم والجهل؛ لأن القسيس لا يخدم بقوته الذاتية ولا حسب بره الشخصي، بل كما تقول الصلاة:

"أطلع يا رب علينا وعلي خدمتنا وطهرنا من كل دنس، وأرسل من السماء نعمتك علي عبدك هذا لكي يستحق من قِبلك أن يُكمل كهنوتك بغير اعوجاج" (ص ٩٩).

لأن الكهنوت هو كهنوت الرب يسوع حسب الأوشية في القداس الكيرلسي:

"أذكر يا رب هذا الكهنوت المقدس الذي لك".

وقد حرص القداس الكيرلسي في صلاة الاستعداد[1] أن يؤكد لنا أن خدمة الكهنوت هي:

"بصحبة وشركة مسيحك".

فالمسيح يسوع ربنا هو خادم كل (السرائر)، والكاهن الواقف أمام المذبح، أو أمام "جرن" المعمودية، أو غيرها من سرائر الكنيسة هو الذي تقول عنه الصلاة:

"نشكرك أيها السيد ضابط الكل.... أفضت موهبتك ذات الغني علي عبدك هذا...".

هذه الموهبة هي ذات خدمة رئيس الكهنة نفسه الرب يسوع المسيح.

ثم تحدد الصلاة:

"وسُر بهذه الشرطونية ... من قبل حلول روحك القدوس" (ص ١٠٤).

ولذلك حرصت الكنيسة في صلاة الاستعداد في القداسات الثلاثة أن تؤكد ما ورد في صلاة الرسامة:

"أنت يا رب علمتنا هذا السر العظيم الذي للخلاص

[1] **صلاة الاستعداد في القداس الباسيلي** "أيها الرب العارف قلب كل أحد .... أنت يا سيدي تعلم أني غير مستحق ولا مستعد ولا مستوجب لهذه الخدمة المقدسة التي لك... وليس لي وجه أن أقترب وأفتح فمي أمام مجدك المقدس بل ككثرة رأفتك أغفر لي أن الخاطئ وامنحني أن أجد نعمة ورحمة في هذه الساعة. وأرسل لي قوة من العلاء لكي أبتدئ وأهيئ وأكمل خدمتك المقدسة كما يرضيك كمسرة إرادتك، رائحة بخور. نعم يا سيدنا كن معنا، أشترك في العمل معنا، باركنا لأنك أنت هو غفران خطايانا وضياء نفوسنا وحياتنا وقوتنا ودالتنا ...." ص ١٨٣

صلاة بعد الاستعداد في القداس الباسيلي: "أنت يا رب علمتنا هذا السر العظيم الذي للخلاص. أنت دعوتنا نحن عبيدك الأذلاء غير المستحقين لنكون خداما لمذبحك المقدس. أنت يا سيدنا أجعلنا مستوجبين بقوة روحك القدوس أن نكمل هذه الخدمة لكي بغير وقوع في دينونة أمام مجدك العظيم نقدم لك صعيدة البركة مجدًا وعظم بهاء في قدسك.... " ص ١٨٤ من الخولاجي المقدس علي موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

أنت دعوتنا نحن عبيدك الأذلاء غير المستحقين

لنكون خدامًا لمذبحك المقدس"

ثم تؤكد:

"أنت يا سيدنا أجعلنا مستوجبين بقوة روحك القدوس أن نكمل هذه الخدمة".

وفي القداس الغريغوري تؤكد صلاة الاستعداد أن عدم استحقاق الكاهن لا يتعارض مع وعود الله الذي أقامنا في النعمة:

"أيها الرب الإله ضابط الكل. العارف أفكار البشر ...

إذ وأنا غير مستحق دعوتني إلى خدمتك المقدسة هذه ..

أمحُ جميع سيئاتي وأغسل عيب جسدي ودنس نفسي وطهرني كاملًا ...

أجعلني مستحقًا أن أقف علي مذبحك المقدس بغير وقوع في دينونة، وأُقرِّبُ لك الذبيحة الناطقة غير الدموية.. صفحًا لخطاياي وسيئاتي".

ثم نجد ذات التعليم الأرثوذكسي الذي يُوشك أن يغيب بسبب عدم المعرفة — مُعلَنًا بكلمات واضحة في صلاة الاستعداد في القداس الكيرلسي:

"يا خالق البرية ... استعطفك أيها الرب القادر علي كل شيء،

أنا الضعيف العاجز غير المفلح....

عندما أتقدم إلى قدس أقداسك وألمس هذا السر الخفي المقدس،

أعطني يا رب روحك القدوس النار غير المادية....

التي تأكل كل الضعيفات وتحرق الموجودات الرديئة".

ورغم أن الكاهن يعرف كلمات القداس إلاَّ أن الصلاة، تطلب ليس النطق، بل الفهم والإدراك ولذلك تقول:

"وليجعل في الكلمات المطهِّرة (الخاصة بالتقديس) لكي أكمل هذا القربان الموضوع... بصحبة وشركة مسيحك ..."

ثانيًا: الروح القدس هو الخادم مع يسوع المسيح

ونحن لم نناقش هذا التعليم الذي تؤكده الليتورجية؛ لأن الروح القدس هو:

"واهب القداسة بسلطان مسرة الآب

ينبوع النعم الإلهية

شريك عرش مجد الآب والابن[1]

وقد سبق أن ظهر هذا في صلوات الاستعداد لتكريس الكنيسة[2]:

"أيها لرب إله خلاصنا الذي أظهر محبته للبشر ...

روح الحق المنبثق من الآب

وهذا كمال كل الرتب (الرياسات)

الخادم للكلمة

Ⲫⲏⲉⲧϣⲉⲙϣⲓⲙⲡⲓⲥⲁϫⲓ

القوة الفاعلة في المواهب

Ⲉⲛⲉⲣⲅⲓⲁ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓⲱϣ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲓⲭⲁⲣⲓⲥⲙⲁ

---

(1) صلاة استدعاء الروح القدس – القداس الكيرلسي.

(2) ص ٤٢٤ النص القبطي والعربي طبعة G. Horner, 1902

ونحن نحتاج إلى أن نقف قليلًا أمام الترتيب الخاص بالأسرار: المعمودية — الرسامات ... إلخ. فهذا الترتيب يؤكد لنا أننا لا ندخل الخدمة بقوتنا أو بقداستنا، بل كما هو واضح من الصلوات[1]

دعوة الله لنا

المعمودية	الرسامة
– أنت دعوت عبيدك هؤلاء باسمك القدوس ... أعدَّهم هيكلًا لروحك القدوس بابنك الوحيد – أيها السيد الرب الإله ضابط الكل ... لأنك أنت الذي دعوت عبيدك هؤلاء الداخلين من الظلمة إلى النور ومن الموت إلى الحياة (صلاة قبل جحد الشيطان) – أيها السيد الرب الإله ضابط الكل... من قبل أبنك الوحيد ربنا يسوع المسيح. الذي هيأ لهم السموات بالدعوة وثبتهم بقوته. ثبِّت طاعة عبيدك ... – أدعهم إلى نورك الطاهر وأجعلهم أهلًا لنعمتك العظيمة (صلاة قبل الجحد)	– نعم يا رب أجعله مستحقًّا لدعوة الشماسية لكي باستحقاق من جهة محبتك للبشر يستحق أن يخدم اسمك القدوس (رسامة الدياكون ص ٦١) – نطلب إليك يا محب البشر ... لأنك دعوتنا معه ... (رسامة الدياكون ص ٦٧) – نعم يا رب اجعله مستحق لدعوة القسيسية (رسامة القس ص ٩٣) – نشكرك أيها السيد ضابط الكل... من قبل حلول روحك القدوس عليه وقوم دعوة اختياره (رسامة القس ص ١٠٤) – أعلم أيها الابن قدر هذه الدعوة التي استحققتها ... (رسامة القس ص ١٠٧)

[1] نكتفي هنا بوضع نصوص الصلوات دون الرجوع إلى نصوص الآباء حيث أنه من الممنوع علينا أن نقدم كتابات الآباء لأننا حسب أدعاء البعض لا نفهم ولا نقرأ، ومع ذلك نفتخر بمعرفة اللغة اليونانية.

هذه الدعوة من الله نفسه، وهي ليست منا، ولا حتى من الكنيسة نفسها، بل تُعطى للكنيسة من الله ومصدرها هو الله الآب، هذا ما تعلنه الصلوات الخاصة بالمعمودية:

١- عند قبول الموعوظين

أدهنك ... باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد

زيت عظة (لفلان) في كنيسة الله...

مباركٌ هو ابنك الوحيد يسوع المسيح ربنا. هذا الذي من قبله دعوت كل الأمم

- قبل الإيمان - إلى الإيمان

- من الظلمة -إلى النور الحقيقي

- من الضلالة وأباطيل الأوثان - إلى معرفة الحق

ثم طلب النعمة الإلهية

- يطهروا من الخطية التي في العالم - يعتقوا من عبودية الفساد.

الاستحقاق

المعمودية	الرسامة
- اجعلهم مستحقين للنعمة التي تقدموا إليها، لينالوا من روحك القدوس. ويمتلئوا من قوتك الإلهية ويكونوا متشبهين بابنك الوحيد. وبعد الاعتراف بالإيمان - "ادعُهم إلى نورك الطاهر واجعلهم أهلًا لنعمتك العظيمة عَرِّهم من	- أملأنا من قوتك الإلهية ونعمة ابنك الوحيد وفعل الروح القدس لنكون (مستحقين) مستوجبين لخدمة العهد الجديد لكي نستطيع باستحقاق أن نحمل اسمك القدوس (ولاحظ العبارة التالية) ونخدم كهنوت سرائرك

عتيقهم .. أملأهم من قدرة روحك القدوس... لكي لا يكونوا بعد أبناء الجسد، بل أبناء الحق ... – هيئ أنفسهم لكي يقبلوا روحك القدوس وليستحقوا حميم الميلاد الجديد واللباس غير الفاسد وغفران الخطايا، إذ تعدهم هيكلًا لروحك القدوس. – اجعلهم أهلًا بغير عيب وبطهارة أن يقبلوا إليهم النور وخاتم مسيحك وموهبة روحك القدوس المساوي لك. ويصيروا حلة نورانية ويلبسوا لباس الخلاص.... وليصيروا خرافًا ضمن قطيعك ووارثين لملكوتك غير الفاسد الأبدي بالمسيح يسوع ربنا.	المقدسة (ص ٨٩) – أطلع يا رب علينا وعلي خدمتنا وطهرنا من كل دنس. وأرسل من السماء نعمتك علي عبدك هذا لكي يستحق من قبلك أن يكمل كهنوتك (ص ٩٩) – نشكرك أيها السيد ضابط الكل ... من قبل حلول روحك القدوس عليه وقوم دعوة اختياره بطهارة بنعمة صلاحك

الروح القدس

المعمودية	الرسامة
– أرسل قوتك من علوك المقدس. وقوني لكي أخدم هذا السر المقدس. – أرعد[1] يا الله الآب ضابط الكل علي هذه المياه. لكي بها وبروحك القدوس تجدد ميلاد عبيدك	– أملأنا من قوتك الإلهية ونعمة ابنك الوحيد وفعل روحك القدوس (رسامة الإيبودياكون ص ٣٤). – النعمة التي تكمل نقصنا تأتي على الأخ

(1) صوت الرعد هو صوت النداء السمائي كما ورد في التقليد الكنسي القديم عندما نادي الآب ابنه الوحيد، وهو ثابت في

– وعند حلول روحك القدوس عليه. هبه بركة الأردن، أعطه قوة ليصير ماء محييًّا، ماء البنوة ... الخ	أطلبوا كلكم لكي يأتِ علي الروح القدس (ص ٣٦) نعمة ربنا يسوع المسيح المكملة لنقصنا بمسرة الله الآب والروح القدس تحل ..(ص ٥٦). – أرسل من السماء إلى أسفل نعمتك ... (ص ٦٣). – أسمعنا من قبل تحننك وأقبل هذه الشرطونية (وضع اليد) التي صارت لعبدك من قِبَل حلول روحك القدوس. مزق سحابة خطايانا ... أملأنا من قوتك الإلهية ونعمة ابنك الوحيد وفعل روحك القدوس (رسامة القس ص ٨٩). – أطلبوا كلكم لكي تحل عليه موهبة الروح القدس (ص ٩٢). – نعم يا رب اسمعنا. نطلب إليك أن تحفظ فينا أيضًا الروح القدس الذي لنعمتك غير المصنوعة (ص ٩٧-٩٨). – سُر بهذه الشرطونية (وضع اليد) الصائرة لعبدك هذا من قبل حلول روحك القدوس عليه وقوم دعوة اختياره بطهارة بنعمة صلاحك.

تسليم الآباء.

الخلاصة

أولًا: لقد دُعينا إلى نعمة الله، ولذلك السبب عينه في خدمة المعمودية، نجد أن القراءة من (تيطس ٢: ١١ — ٣ : ٨)[1] التي تؤكد:

- ظهور نعمة الله.
- ظهور صلاح الله مخلصنا ومحبته للبشر.
- برحمته خلصنا بغسل الميلاد الجديد (الثاني) وتجديد الروح القدس.
- هذا الذي سكبه علينا بغني بيسوع المسيح مخلصنا.
- لكي نتبرر بنعمة المسيح.
- ونرث الحياة الأبدية.

هذا الفصل هو ملخص، ليس فقط للإيمان، بل للصلوات أيضًا؛ لأن القاعدة القديمة "نحن نمارس ما نؤمن به ونصلي ما نأخذه في التعليم".

ثانيًا: وحسب الصلوات، التحول في كيان الإنسان، أي الخليقة الجديدة بقوة وفعل الروح القدس هي عمل الله، وليست قوة أو قدرة إنسانية. هذا هو ما تعلنه الصلوات التي نرجو من القارئ أن يقرأها عدة مرات حتى تدخل معاني الكلمات في الوعي والشعور، لا سيما وأن صلوات المعمودية بالذات هي أكثر الصلوات التي لا تنال الاهتمام، بل حتى الوقار نفسه، وهو ما نشاهده في "أحد التناصير"

---

[1] لأَنَّهُ قَدْ ظَهَرَتْ نِعْمَةُ اللهِ الْمُخَلِّصَةُ لِجَمِيعِ النَّاسِ. مُعَلِّمَةً إِيَّانَا أَنْ نُنْكِرَ الْفُجُورَ وَالشَّهَوَاتِ الْعَالَمِيَّةَ، وَنَعِيشَ بِالتَّعَقُّلِ وَالْبِرِّ وَ التَّقْوَى فِي الْعَالَمِ الْحَاضِرِ. مُنْتَظِرِينَ الرَّجَاءَ الْمُبَارَكَ وَظُهُورَ مَجْدِ اللهِ الْعَظِيمِ وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا غَيُورًا فِي أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ. تَكَلَّمْ بِهذِهِ وَعِظْ وَوَبِّخْ بِكُلِّ سُلْطَانٍ. لاَ يَسْتَهِنْ بِكَ أَحَدٌ. ذَكِّرْهُمْ أَنْ يَخْضَعُوا لِلرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينِ وَيُطِيعُوا، وَيَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ. وَلاَ يَطْعَنُوا فِي أَحَدٍ، وَيَكُونُوا غَيْرَ مُخَاصِمِينَ، حُلَمَاءَ، مُظْهِرِينَ كُلَّ وَدَاعَةٍ لِجَمِيعِ النَّاسِ. لأَنَّنَا كُنَّا نَحْنُ أَيْضًا قَبْلاً أَغْبِيَاءَ، غَيْرَ طَائِعِينَ، ضَالِّينَ، مُسْتَعْبَدِينَ لِشَهَوَاتٍ وَلَذَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، عَائِشِينَ فِي الْخُبْثِ وَ الْحَسَدِ، مَمْقُوتِينَ، مُبْغِضِينَ بَعْضُنَا بَعْضًا. وَلكِنْ حِينَ ظَهَرَ لُطْفُ مُخَلِّصِنَا اللهِ وَإِحْسَانُهُ. لاَ بِأَعْمَالٍ فِي بِرٍّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ، بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ خَلَّصَنَا بِغَسْلِ الْمِيلاَدِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ. الَّذِي سَكَبَهُ بِغِنًى عَلَيْنَا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ مُخَلِّصِنَا. حَتَّى إِذَا تَبَرَّرْنَا بِنِعْمَتِهِ نَصِيرُ وَرَثَةً حَسَبَ رَجَاءِ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ. صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ. وَأُرِيدُ أَنْ تُقَرِّرَ هذِهِ الأُمُورَ، لِكَيْ يَهْتَمَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ أَنْ يُمَارِسُوا أَعْمَالاً حَسَنَةً. فَإِنَّ هذِهِ الأُمُورَ هِيَ الْحَسَنَةُ وَ النَّافِعَةُ لِلنَّاسِ.

الذي خرَّب سر المعمودية وخلعه من الوعي الكنسي، ولكن الله حفظ النعمة؛ لأن ما تذكره صلوات المعمودية يعلن من جديد في صلوات القداسات والصلوات الأخرى. لاحظ علي سبيل المثال طلب استعلان الله ونعمته في المعمودية:

"أظهر وانظر إلى خليقتك هذه أي هذا الماء

ونفس العبارة علي زيت الموعوظين:

"لكي تنظر إلى خلقتك ... هذا الزيت

وفي القداس:

"أظهر وجهك علي هذا الخبز وعلي هذا الكأس".

وفي رسامة الإيبودياكون:

"أنت الآن أيضًا يا ملكنا أظهر وجهك علي عبدك ... أملأه من روحك القدوس".

وهكذا نحن لا ندخل الكنيسة بأي شذرة من "البر الذاتي"، بل ندخل إلى هذه الخدمة التي تُعلَن فيها نعمة الله بسبب دعوته، وحيث يفيض غني صلاحه، وهو ما تؤكده صلوات القداسات كلها. ولأننا لا نسمع هذه الصلاة المعروفة باسم "سر الكاثوليكون" أصبح من الضروري أن نعيد إلى الوعي ما هو مفهوم شركتنا مع الله، ولاحظ عبارات التقوى الأرثوذكسية:

- أيها الرب إلهنا ... أظهرت لنا سر إنجيل مجد مسيحك.
- نسألك يا سيدنا أجعلنا مستحقين نصيبهم وميراثهم.

وتظل الصلوات حتى بعد "القسمة" تؤكد لنا عدم نقاوة الكاهن والشعب معًا، وإلا كيف نفهم صلاة "التحليل" التي تُقال بعد استدعاء الروح القدس وبعد القسمة والتي تؤكد أنه ليس بنقاوة أيٍ منا نقف أمام عرش الثالوث، بل بسبب النعمة.

ما هو الاستحقاق؟

ورد تعبير الاستحقاق في صيغة الصفة في قول الرب يسوع: "«وَأَيَّةُ مَدِينَةٍ أَوْ قَرْيَةٍ دَخَلْتُمُوهَا فَافْحَصُوا مَنْ فِيهَا مُسْتَحِقٌّ وَأَقِيمُوا هُنَاكَ حَتَّى تَخْرُجُوا. وَحِينَ تَدْخُلُونَ الْبَيْتَ سَلِّمُوا عَلَيْهِ. فَإِنْ كَانَ الْبَيْتُ مُسْتَحِقًّا فَلْيَأْتِ سَلاَمُكُمْ عَلَيْهِ وَلَكِنْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِقًّا فَلْيَرْجِعْ سَلاَمُكُمْ إليكُمْ" (متى ١٠ : ١١ — ١٣). وفي مثل الوليمة (متى ٢٢: ١ — ١٤)، قال الرب نفسه عن الذين رفضوا الدعوة "أَمَّا الْعُرْسُ فَمُسْتَعَدٌّ وَأَمَّا الْمَدْعُوُّونَ فَلَمْ يَكُونُوا مُسْتَحِقِّينَ" (متى ٢٢: ٨).

أول معاني الكلمة هي قبول الدعوة والإيمان، وهو ما تؤكده الواقعة المشهورة في سفر الإعمال (أع ١٣: ٤٢ — ٤٨) عندما رفض اليهود البشارة، بل يذكر القديس لوقا أنهم "جَعَلُوا يُقَاوِمُونَ مَا قَالَهُ بُولُسُ مُنَاقِضِينَ وَمُجَدِّفِينَ" (أع ١٣: ٤٥) ولذلك عندما رفض هؤلاء بشارة الإنجيل أعلن بولس وبرنابا معًا أنهم بالرفض "حَكَمْتُمْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُسْتَحِقِّينَ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ" (أع ١٣: ٤٦). وعندما رفض العالم القديسين وأهل الإيمان يقول الرسول بولس عن هؤلاء الذين رُجِمُوا، نُشِرُوا، جُرِّبُوا، مَاتُوا قَتْلًا بِالسَّيْفِ، .... وَهُمْ لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقًّا لَهُمْ. (راجع عب ١١: ٣٨). والكلمة اليونانية هي ما نقوله عربيا وقبطيا "أكسيوس" وهي وردت في النصوص المقدس السابقة.

وثاني هذه المعاني التي لم ترد في الكتاب المقدس، وإنما وردت في الأدبيات اليونانية القديمة هو ما نجده بنوع خاص في الكلمة اللاتينية Merit وهو الاستحقاق الذي يحصل عليه أبطال الحروب وغيرهم بسبب الأعمال العظيمة التي قاموا بها. والأدب اليوناني وغيره حافل بهذا المعني بالذات، ولكن علينا نحن أن نتجنب هذا:

١- لان تعليم النعمة في المسيحية شرقًا وغربًا هو إنعام الله في يسوع المسيح للخطاة أي لمن لا يملك أي فضائل.

٢- لا يوجد إنسان استحق تجسد ابن الله وموته وقيامته أو سكني الروح القدس لأن هذا هو صلاح الله ومحبته.

أمَّا **ثالث** هذه المعاني، فلا يظهر بوضوح في الترجمة العربية، وهو ما ورد في (١ تس ٢: ١٢) إذ يقول الرسول: "وَنُشْهِدُكُمْ لِكَيْ تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلَّهِ الَّذِي دَعَاكُمْ إلى مَلَكُوتِهِ وَمَجْدِهِ".

وكما يحق لله "to walk worthily of God"، والدعوة هنا هي التي تؤهِّل الإنسان؛ لأن الله الذي دعانا إلى "الملكوت" و "المجد" يجعلنا نحيا حسب هذه الدعوة ليس، لان حياتنا هي "مقايضة" علي الملكوت والمجد، بل لأن الملكوت والمجد كلاهما عطية الله الآب في ابنه يسوع المسيح. ويؤكد ذلك أيضًا قول الرسول: "فَقَطْ عِيشُوا كَمَا يَحِقُّ لإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ" (فيلبي ١: ٢٧)، والنص العربي غير واضح في تعبير "كما يحق" لأنه ذات التعبير السابق Worthily of the Gospel وهو قبول الإنجيل والحياة حسب البشارة التي يؤكدها الرسول أيضًا في (كولوسي ١: ١٠ – أفسس ٤: ١)[1].

لست أهلًا

استخدم العهد الجديد كلمة أخرى غير أكسيوس وهي كلمة ικανος وقد وردت علي لسان يوحنا المعمدان: "لَسْتُ أَهْلًا أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ" (متى ٣: ١١)، هذا بالمقارنة بالرب نفسه (راجع أيضا متى ٨: ٨ – لوقا ٧: ٦). وعندما نظر الرسول بولس إلى كيانه وماضي حياته قال: "لَسْتُ أَهْلًا لأَنْ أُدْعَى رَسُولًا" (١كو ١٥: ٩)، وبذلك نفي عن نفسه "الأهلية" و"الاستحقاق"؛ لان الخدمة التي دُعي إليها الرسول هي خدمة "الرحمة" الإلهية (٢كو ٤: ١) لأن الله جعله الأمين علي البشارة للأمم (غلاطية ٢: ٧).

---

(١) "لِتَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلرَّبِّ، فِي كُلِّ رِضىً، مُثْمِرِينَ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ، وَنَامِينَ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ".(كولوسي ١: ١٠).
"فَأَطْلُبُ إليكُمْ، أَنَا الأَسِيرَ فِي الرَّبِّ، أَنْ تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلدَّعْوَةِ الَّتِي دُعِيتُمْ بِهَا". (أفسس ٤: ١).

إذن، ما هو الاستحقاق؟

١- هو قبول دعوة الله لنا في يسوع المسيح والإيمان بها.

٢- الحياة حسب هذه الدعوة لا تجعلنا مستحقين لأي شيء. ولذلك تحرص الكنيسة علي أن تذكرنا بعبارة وردت في الصلوات السابقة ولا تزال تصرخ في ضمائرنا وقلوبنا "أجعلنا مستحقين"، وطلب الاستحقاق هو اعتراف بعدم الأهلية واعتراف بعظمة نعمة الله.

أخيرًا:

أقول للأخ صاحب الرسالة وللأب الكاهن أيضا أن هذا التصرف لا يليق بالمسيحي لأنه:

أولًا: حسب الإيمان، لم يأتِ الرب والمخلص لكي يفتدي "التونية" أو ملابس الخدمة التي لها مكان خاص في الطقوس لأنها تعلن مجد المسيح الذي تجلي علي جبل طابور، ولذلك كان اللون الأبيض هو اللون الغالب، وهو ذات اللون الذي نلبسه بعد المعمودية والميرون؛ لأنه إعلان عن الطبيعة الجديدة التي وُهبت لنا في المسيح. ولذلك كان تقديم السر المجيد بواسطة "كُمّ التونية" هو استهتار بنعمة الكهنوت، وهو استهتار مصدره الجهل والتواضع المزيف الواسع الانتشار في عصرنا بسبب عدم "استلام" الذبيحة حسب الإيمان، أمَّا الاكتفاء بـ "استلام" الذبيحة حسب الطقس وحده لا يكفي.

ثانيا: إن استخدام أي وسيلة مهما كانت غير اليدين للتناول هو بدوره نقص في الإدراك؛ لأن قداسة الأسرار لا علاقة لها بقداسة اليدين التي من المفروض أنها قُدِّست بنوال مسحة الميرون حسب تسليم الإيمان:

"دهن شركة الحياة الأبدية غير المائتة مسحة مقدسة للمسيح إلهنا وخاتم لا ينحل".

هـذه "المسـحة" لا تـزول مـع مـرور الأيـام، وتعبـير "غـير المائتـة" هـو تعبـير استخدام لسر الإفخارستيا نفسه "الأسرار الإلهية غير المائتة السمائية" وورد في كل القداسات الأرثوذكسية؛ لأن "غير المائت" هو القوة الإلهية الفاعلة، قوة أقانيم الثالوث وبشكل خاص قوة أقنوم الابن المتجسد الذي غلب الموت وأقام عدم الموت.

لقد تقدسنا في المعمودية وبالميرون معًا تقديسًا أبديًا لا تقدر حتى الخطية نفسها أن تنتزعه منا، وذلك هو ما تؤكده عبارة رشم الميرون "خاتم لا ينحل"، أي لا يقبل الموت أو الفناء؛ لأنه خاتم المسيح إلهنا، غالب الفناء والموت وينبوع الحياة الإلهية غير المائتة.

الأحد الثاني من الصوم الكبير ٢٠٠٨

الدالة التي لنا حسب صلواتنا الأرثوذكسية[1]

يسأل أحد القراء الأعزاء عن عبارة: "ليس لنا دالة عند ربنا يسوع المسيح"، الواردة في لحن "افرحي يا مريم"، ولعله من المفيد قبل الإجابة أن نعرض أولاً لمعنى كلمة "دالة" بحسب تسليم الآباء.

الدالة والجرأة والشجاعة Παρρησια حسب تسليم الآباء

تبدو مشكلة كلمة "دالة" حسب ترجمة أولاد العسال في أصلها اليوناني παρρησια وهي تعني الشجاعة والجرأة والصراحة في الحديث، وقد وردت في متى ٨: ٣٢ وهي تعبير عن جرأة الرب على انتهار الشياطين، كما وردت في يوحنا ٧: ١٣ "لم يكن أحد يتكلم عنه جهاراً لسبب الخوف من اليهود"، كما وردت بمعنى الحديث علانية في يوحنا ١١: ١٤.

وقد وردت هذه الكلمة في صلوات القسمة عدة مرات مثل: "لكي بقلب طاهر ... نجسر بدالة بغير خوف أن ندعوك ..."، أو "لنستحق أن نجسر بدالة أن نصرخ نحوك أيها الآب القدوس الذي في السموات ...".

والمسيحي ينال الدالة والجرأة عندما ينال سر المعمودية؛ لأن الذي لم يَنل ختم المعمودية ليس لديه الجرأة أن يدعو الله أبانا (ذهبي الفم عظة ٢: ٥ على كورنثوس الثانية). ولذلك كانت الصلاة الربانية تُسلَّم للموعوظين قبل المعمودية مباشرةً، وكانت تعتبر من "التسليم السري"[2].

وفي القداسات الأرثوذكسية كلها نلاحظ أن الشركة في جسد الرب ودمه تُعطي هذه الدالة أو الجرأة. وهي جرأة نطلب بها غفران الخطايا؛ لأنها تستند على

[1] مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٧ أغسطس ٢٠٠٨.

[2] راجع كتابنا: المعمودية في القرون الخمسة الأولى. منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

صليب ربنا يسوع المسيح (ذهبي الفم عظة ٣ على الصليب، مجلد ٣ من أعمال ذهبي الفم، عمود ٧٢٦، وعظة ١٩: ١ على الرسالة إلى العبرانيين).

ويقول القديس أثناسيوس إن آدم قبل السقوط كان لديه الحديث الصريح أو الجريء مع الله (الرسالة إلى الوثنيين فصل ٢: مجلد ٢٥: ٨).

وكان العلامة أوريجينوس هو أول مَن قال إن إحدى نتائج الخطية هي فقدان الجرأة في الصلاة (كتاب المبادئ ٣: ١ فقرة ٢٢).

وحسب التعليم الرسولي ينال الشهداء هذه الجرأة بسبب ذبيحة الحياة التي قدموها (العلامة أوريجينوس عظة ١٦: ٤ على سفر أرميا). أمَّا القديس كيرلس فيُرجع ذلك إلى وحدة جسد المسيح الكنيسة (شرح إنجيل يوحنا ١١: ٧).

وغني عن البيان أن الصلاة التي تعبِّر عن الدالة، هي بالطبع الصلاة الربانية.

"ليس لنا دالة عند ربنا يسوع المسيح سوى طلباتك وشفاعاتك"

لعل صاحب السؤال لا يعرف أن لحن "أفرحي يا مريم" –حسب ما ورد في التاريخ الكنسي– هو من كلمات القديس كيرلس عمود الدين. والسؤال هام جداً، ولذلك يجب أن نضع أمام القارئ الرؤيا الروحية الأرثوذكسية التي يعبر عنها اللحن كله، وليس فقط عبارة "ليس لنا دالة عند ربنا يسوع المسيح سوى طلباتك وشفاعاتك .... إلخ".

أولاً: إن اجتماع الكنيسة حول المذبح هو دخولٌ للسماء مُعلن لنا بسبب اتحاد اللاهوت بالناسوت في أقنوم الكلمة ابن الله ربنا يسوع المسيح الذي وحَّد في أقنومه الله والإنسان إلى الأبد. والشاهد على تجسد ابن الله هو والدة الإله، الأم والعذراء، القبة (هيكل الله)، مدينة أورشليم، وغيرها من ألقاب فخمة تعتبر كلها حجة الكنيسة على قدرتها في استيعاب مجد تجسد ابن الله، واتحاد الطبيعتين في أقنوم الله الكلمة. لذلك فأُم الله هي مثال الكنيسة، وهي "العليقة" التي اشتعلت

بنار استعلان الروح القدس، وهي الأم التي وُلِدَ على حجرها الابن البكر الذي يأتي بأولاد آخرين،

وهو:

لا يستحي (لا يخجل) أن يدعوهم إخوة

قائلاً:

أُخبر باسمك (الآب) إخوتي، وفي وسط الكنيسة أسبحك (عب ٢: ١١ - ١٢)؛ لأنه رأس الكنيسة الذي به نقدم ذبائح الشكر والحمد.

ثانياً: وإذا كان القديس كيرلس الكبير، وهو واضع لحن "افرحي يا مريم"، بحسب شهادة المؤرخ السرياني ميخائيل الكبير، قد قال في هذا اللحن: "ليس لنا دالة ..."، فإنه هو نفسه في آخر صلاة قسمة "يا حمل الله"، يقول: "لكي بدالةٍ ندعو الله أبيك أباً لنا ونقول بصوت جهوري: أبانا الذي في السموات". فهو، أي القديس كيرلس لم يكن يجهل اللغة اليونانية التي وضع بها كل مؤلفاته، ولم يكن يجهل أنه صاحب العبارة: "ليس لنا دالة عند ربنا يسوع المسيح".

ولقد وضع القديس كيرلس هذا اللحن بعد الحكم على نسطور في ٤٣١م، ولذلك يبدو لنا أن السبب الحقيقي الذي جعله يُضمِّن الليتورجية هذا اللحن يتلخص في:

١- التأكيد على اتحاد اللاهوت بالناسوت.

٢- التأكيد على وحدة الكنيسة الجامعة؛ لأن الرب يسوع المتجسِّد يجلس على حِجر البتول وتُسبِّحه القوات السمائية، ونحن -وهنا يجب الانتباه- لسنا غرباء، بل رعية في بيت الله (أف ٢: ١٩). وهنا نوجِّه النظر إلى أن هذه الوحدة المستيكية Mystical التي تعبِّر عنها الصلوات، تمر بنا من تحليل الخدام إلى صلاة الصلح التي يجب أن تتم فيها مصالحة حقيقية وليس النفاق العام الذي يغزو بعض كنائسنا، وهذا هو ما يجعلنا ننضم إلى القوات السمائية في تسبيح الثالوث حسب كلمات اللحن.

٣- هنا نحن أمام المصالحة وغفران الخطايا وطهارة الاجتماع الكنسي الذي تقع مسئوليته الأولى على رئيس الأساقفة، وهو ما يطلبه الشعب في نهاية اللحن.

إذن، عندما يقول اللحن: "ليس لنا دالة ..."، فهل يعني ذلك أننا ننكر ما لنا من جرأة ودالة؟ بكل تأكيد لا، لكننا جميعاً -بدون استثناء- لدينا لطخةُ بغضةٍ وكراهية وقساوة قلب ... إلخ، ولذلك فعبارة "ليس لنا جرأة أو دالة" هي صراخ القلب الذي يعرف خطاياه. ولذلك نوجِّه هذه الصرخة لمن تحمل الكلمة الله؛ لأنها صارت أعظم من الشاروبيم، وبلا قياس نالت كرامة أكثر من السمائيين، لكننا لا نقطع الرجاء ولا ننكر بنوتنا لله الآب.

وأخيراً: من العبارات الخالدة لقداسة البابا كيرلس السادس التي أتذكرها جيداً، أنه في إحدى المرات التي كنت أُصلي فيها معه مجمع التسبحة السنوية، عندما جئنا إلى العديد من الأسماء التي لا نعرف عنها إلاَّ القليل أنه قال: "إن طلب شفاعة أم النور والقديسين تعني أننا أعضاء جسد الرب الواحد، وأن لنا شركة مع هؤلاء القديسين في يسوع المسيح".

ولعل صاحب السؤال يلاحظ أنه بعد عبارة "ليس لنا دالة عند ربنا يسوع المسيح"، أننا نقول: "لكي نسبحك مع الشاروبيم والسيرافيم .. قدوس قدوس قدوس ... إلخ"، وهو تسبيح المصالحة؛ لأن شجرة الحياة أُعلنت، والشاروبيم حامل السيف الناري يُسبِّح معنا؛ لأن الدينونة رُفِعَتْ، ودالتنا عند ربنا يسوع المسيح لا تسقط، وإنما نُفضِّل[1] عليها دالة أم النور والدة الإله.

افرحي يا مريم العبدة والأم؛
لأن الذي في حجرك، الملائكةُ تسبحه.
والشاروبيم يسجدون له باستحقاق، والساروفيم بغير فتور.
ليس لنا دالة عند ربنا يسوع المسيح سوى طلباتك وشفاعاتك يا سيدتنا كلنا

([1]) يقول الأب صفرونيوس: "المفاضلة حسب الخطية تُنقص من قدر ما نفضله على غيره، أمَّا المفاضلة حسب المحبة فهي تعظِّم الكبير والصغير معاً بسبب الشركة في المجد الواحد للثالوث القدوس".

السيدة والدة الإله.

نسألك يا ابن الله أن تحفظ حياة بطريركنا أنبا (فلان) رئيس الكهنة، ثبته على كرسيه.

لكي نسبحك مع الشاروبيم والساروفيم صارخين قائلين قدوس قدوس قدوس أيها الرب الضابط الكل،

السماء والأرض مملؤتان من مجدك وكرامتك.

والدة الإله القديسة مريم
في صلوات السواعي (الأجبية)[1]

تقديم

صلوات السواعي – تاريخ موجز جدًا

من الثابت تاريخيًا أن ترتيب صلوات السواعي يعود أصلًا إلى رهبنة القديس باخوم أب الشركة. وعندما نقول ترتيب، فهذا لا يعني أنها من وضع الأنبا باخوم؛ لأن صلوات السواعي سبقت الرهبنة الباخومية بما لا يقل عن ٤٠٠ سنة (راجع صلاة الساعة التاسعة في أعمال ٣: ١ وصلاة الساعة السادسة أع ١٠: ٩ وسوف نعود إلى الجانب التاريخي في مناسبة أخرى)، ولكن نمو النظام الرهباني — الشركة بالذات —كما نراه في وثائق عديدة هو الذي رتَّب صلوات السواعي.

العنصرة، أو صلاة الساعة الثالثة

قبل أن ندرس ما نذكره عن والدة الإله في صلاة الساعة الثالثة، تفرض علينا المناسبة أن نذكر القارئ بأن الساعة الثالثة خاصة:

* بحلول الروح القدس على القديسة مريم والآباء الرسل؛ لأن هؤلاء بعد صعود رب المجد كانوا يواظبون على الصلاة بنفس واحدة مع النساء ومريم أم يسوع ومع أخوته (أع ١: ١٤).

(1) مهداة إلى الأب متى المسكين في ذكرى نياحته، نُشِر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في يونيه ٢٠١٣.

*كانت هذه هي بداية الكنيسة، وبداية قبول وعد الرب يسوع بمجيء البارقليط (يوحنا ١٤: ٢٦)، ولذلك نزل الروح في تواضع الله حسب التواضع المعلن في تجسد الكلمة (فيلبي ٢: ٦)؛ لكي يعطي الجميع هبة الله الآب في ابنه (راجع إنجيل الساعة الثالثة يوحنا ١٤: ٢٦ — ١٥: ١ - ٤).

حسب الإنجيل، الوعد -وحسب ما حدث في التاريخ- هو حلول الروح القدس؛ ولذلك تؤكد الصلاة في القطعة الأولى والثانية مجيء روح الرب - الروح القدس على التلاميذ، وتطلب بقاء هذه النعمة الإلهية لنا: "جدده في احشائنا — روحك القدوس لا تنزعه مني"؛ لكي يشترك الكل في ذكصولوجية: المجد للآب والابن والروح القدس.

ونحن في الطلبة نطلب روح النبوَّة **ⲙⲡⲣⲟⲫ̅ⲏⲧⲓⲕⲟⲛ** وليس روح البنوة؛ لأن الاعتراف بـ"الروح القدس الرب المحيي الناطق في الأنبياء" -حسب قانون الايمان- ليس اعترافًا بالماضي، أي بعمل روح الرب في انبياء العهد القديم، بل هو روح النبوة الذي أعطى أنبياءً أيضًا في تاريخ الكنيسة، مثل يوحنا الأسيوطي الذي كان يُلقَّب باسم نبي مصر، وقبله الأنبا صموئيل المعترف، وغيرهما من الذين اخذوا روح النبوة "في التعليم" مثل أثناسيوس العظيم وكيرلس الكبير.

الكرمة الحقيقية

الأيقونة الليتورجية وأساسها في أعمال ١: ١٤

"**يا والدة الإله أنت هي الكرمة الحقيقية**". هكذا صرخ الذين سقطوا تحت سيطرة وإيحاء تعليم الشيع الذي يدَّعي أنه تعليم كتابي، وقالوا إن هذا اعتداءٌ على الرب الذي قال إنه هو الكرمة الحقيقية. كان العمى قد أصاب هؤلاء؛ لأن الإنجيل الذي يُقرأ في صلاة الساعة الثالثة هو إنجيل الكرمة (يوحنا ١٥: ١ الذي نكمل به قراءة ما ورد في يوحنا ١٤: ٢٦).

١- الكرمة هي شعب الله:

"كَرْمَةً مِنْ مِصْرَ نَقَلْتَ. طَرَدْتَ أُمَمًا وَغَرَسْتَهَا. هَيَّأْتَ قُدَّامَهَا فَأَصَّلَتْ أُصُولَهَا فَمَلأَتِ الأَرْضَ" (مزمور ٨٠: ٨). والشعب هو الذي وُعِدَ بالبركة في ابراهيم "وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ تَكْثِيرًا كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ"، وهو ليس بني إسرائيل؛ لأن الله يقول: "لأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًاالجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ" (تك ١٧: ٥)، ولم يعد الوعد لبني إسرائيل، بل للبشرية. ولذلك جاءت ثمرة الكرمة، بصورة نبوية كاملة في (أع ١: ١٤)، ولذلك يطلب المزمور من إله الجنود أن "اطَّلِعْ مِنَ السَّمَاءِ وَانْظُرْ وَتَعَهَّدْ هَذِهِ الْكَرْمَةَ" (مزمور ٨٠: ١٢).

٢- الكرمة هي المرأة في بيت البركة:

"امْرَأَتُكَ مِثْلُ كَرْمَةٍ مُثْمِرَةٍ فِي جَوَانِبِ بَيْتِكَ" (مزمور ١٢٨: ٣)؛ لأن الشعب كله، بل الجنس البشري كله يمكن أن يمثله شخص واحد، هو آدم الذي فيه مات الجميع (١كو ١٥: ٢٢)، وهو المسيح آدم الثاني الذي فيه سوف ينال الجميع الحياة.

٣- الواحد والجماعة:

الواحد الذي يحتوي الجماعة، ولذلك كان الوعد لإبراهيم أن يكون أبًا لجمهور من الأمم (تك ١٧: ٢٥) أنه عندما حبلت رفقة، سَمِعَت صوت الرب نفسه يقول لها: "فِي بَطْنِكِ أُمَّتَانِ وَمِنْ أَحْشَائِكِ يَفْتَرِقُ شَعْبَانِ: ... فَلَمَّا كَمُلَتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ إِذَا فِي بَطْنِهَا تَوْأَمَانِ" (تك ٢٥: ٢٣ - ٢٤).

والواحد مثل آدم الأول، وآدم الثاني ليس أيهما فردٌ (راجع دراستنا الواحد والجماعة — مذكرات القسم المسائي — القاهرة).

٤- الواحد هو الجسد الواحد، وهو أصلًا الكرمة الواحدة

الواحد هو الجسد الواحد، وهو أصلًا الكرمة الواحدة، حسب الاستعارة في مزمور ٨٠: ٨، وهي الفرد والجماعة معًا حسب نفس الاستعارة في (حزقيال ١٩: ١٠): "أُمُّكَ كَكَرْمَةٍ، مِثْلِكَ غُرِسَتْ عَلَى الْمِيَاهِ". لكن لاحظ أن الجسد الواحد هو يسوع نفسه، هو جسد يسوع، أي الكنيسة (١كو ١٢: ١٣).

٥- الكرمة القديمة هي الشعب الذي قتل الوارث

ولذلك جاء الرب وأخذ الكرمة، وسلم هذه الكرمة إلى كرامين (مت ٢١: ٤١ - مرقس ١٢: ٩).

العذراء هي الكرمة الحقيقية:

لأن الكرمة القديمة لم يعد لها دور في العهد الجديد، والعذراء هي الكرمة؛ لأنها "حملت عنقود الحياة"، أي الرب يسوع.

الأيقونة الليتورجية هي أيقونة العنصرة، الكنيسة المجتمعة في حضرة الثالوث، ويحل عليها روح الرب - الروح القدس مع الكل، مع الرسل والقديسة مريم التي "ولدت الله الكلمة"، فصارت الكرمة التي اثمرت وملأت الأرض حسب نبوة المزمور (٨٢).

وإذا شئنا أن نرصد ما غاب عن المهاجمين؛ لوجدنا ثلاثة عناصر أساسية.

أولًا: انفصال الكنيسة الواحدة، بينما هي جسد المسيح الواحد الذي "يملأ السماء والأرض"[1].

ثانيًا: إنَّ ولادة الرب من القديسة مريم هي الولادة الروحية التي تمت بالروح القدس، وهي أيقونة المعمودية، أي أيقونة الميلاد الفوقاني، لا أيقونة الميلاد البيولوجي القابع في عقول المعترضين. ولذلك عندما نقول: "نُعظِّمك يا أم النور الحقيقي" في مقدمة قانون الايمان التي وُضِعت بواسطة القديس كيرلس الكبير، فإننا نحن أبناء النور – أبناء الله – ولنا أمٌّ واحدة أثمرت تجسد ابن الله الكلمة الرب يسوع المسيح.

ثالثًا: وهي مناسبة الدخول في شركة العنصرة، ذات شركة الكرمة حاملة عنقود الحياة .. "نسألك أيتها الممتلئة نعمة مع الرسل من أجل خلاص نفوسنا"؛ .. لكي ننال ذات قوة الخلاص المستعلنة في حلول روح الآب، لأننا في كل يوم أمام العنصرة أمام ذات ينبوع الحياة.

المسيح رب المجد وأمه القديسة مريم

سؤالٌ غريب: هل يجوز لنا أن نستخدم كلمات وألقاب عن رب المجد للقديسة مريم؟ والجواب الحكيم الذي يعرف التدبير يقول: نعم حسب التدبير؛ لأنه حسب التدبير:

١– الشركة الواحدة بين الرب ومريم البتول هي شركة مصدرها التجسد نفسه. لقد تجسد الكلمة، فصارت مريم الأم التي تشهد بحقيقة التجسد، والتي صارت الأُم روحيًا لكل المؤمنين.

---

[1] أثار هذا التعبير عواصف ضد القمص متى المسكين؛ لأن وجود القديسين في السماء وعلى الأرض وهم أعضاء جسد المسيح الواحد حقيقة غائبة من وجدان الذين أثاروا العاصفة.

٢- لقد وُصِفَ الرب يسوع بأنه "البكر بين أخوة كثيرين"، وقد تردد اسم الأخوة في العهد الجديد عدة مرات .. على مستوى القرابة الجسدانية، وعلى مستوى القرابة الروحية .. يسوع يدعو التلاميذ "إخوته" (يوحنا ٢: ١٧)، ونحن جميعًا أخوة يسوع، بل يقول رسول الرب في العبرانيين "لأَنَّ الْمُقَدِّسَ وَالْمُقَدَّسِينَ جَمِيعَهُمْ مِنْ وَاحِدٍ، فَلِهَذَا السَّبَبِ لاَ يَسْتَحِي (لا يخجل) أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِخْوَةً، قَائِلًا: "أُخَبِّرُ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي، وَفِي وَسَطِ الْكَنِيسَةِ أُسَبِّحُكَ". (عب ٢: ١١-١٢).

الأخوة الروحية والأمومة الروحية رُفِعَت من المستوى العرقي *Ethnic* والبيولوجي إلى المستوى الإلهي، فيسوع هو ليس بكرًا فقط، بل هو أيضًا الأب "أبوكم واحد وهو المسيح"؛ لأن الأب هنا ليس أقنوم الآب، بل هو المعلم والمصدر الحقيقي للحياة الجديدة، حياة التجديد (لوقا ١٩: ٢٨)؛ ولذلك نحن أمام العنصرة، نطلب ذات الروح وذات المواهب لكي ننال ذات البقاء في الكرمة الحقيقية، وهي ليست كرمة إبراهيم القديمة، بل كرمة إبراهيم الحقيقية. ومن هنا جاءت العبارة "الكرمة الحقيقية" التي أعطت ليس الولادة البيولوجية التي تؤدي إلى الموت، بل الولادة التي تؤدي إلى الحياة الجديدة.

وعبارة "الكرمة الحقيقية" ليست أرثوذكسية فقط، بل هي تحمل "زخم" ما ورد في النبوة، وهي هنا انتقال كلمة الكرمة من العرق إليهودي إلى الولادة الروحانية التي تعطى في كرم يسوع الأغصان الجديدة ليس (حسب الجسد)، بل حسب الروح.

تطابق الرب مع القديسة مريم

نحن سوف نصير مثله، أي مثل الرب (١يوحنا ٣: ٢)، لنا ذات مجد ناسوته (فيلبي ٣: ٢١) لأنه ذات مجد ألوهيته (يوحنا ١٧: ٢٢).

بل نحن سوف نجلس معه على ذات عرش الآب، كما جلس هو (رؤ ٣: ٢١) ومعه نحن وارثون لكل شيء ورثه هو.

عندما يغيب مجد الإنسان في يسوع؛ تظهر الاعتراضات على القديسة مريم؛

لأن ما تم في انسانية يسوع نقل إلينا.

هي تحمل عنقود الحياة، وهو عنقود بمعنى أنه ليس من حبة عنب واحدة، بل من عدة حبَّات. هي (أي العذراء) أثمرت ذلك العنقود لكي يصبح هو "البكر" والمتقدم علينا في كل شيء (كولوسي ١: ١٨)، والذي سوف نشاركه مجده الإلهي (يوحنا ١٧: ٢٢).

هكذا نقل المسيح الرب الكرمةَ من مصر إلى بيت لحم، وإلي علية صهيون لكي تنال الأغصان حياة الروح القدس؛ لأن "الْمُقَدِّسَ وَالْمُقَدَّسِينَ جَمِيعَهُمْ مِنْ وَاحِدٍ" حسب تعبير العبرانيين.

لقد صارت والدة الإله أيقونة الميلاد الجديد – والذي اعترض على أمومة مريم للكنيسة كان يجب أن يبقى في صف الموعوظين، لا أن يصبح أسقفًا.

* يا كرمة الرب يسوع أنت حقيقية؛ لأنك حقًّا ولدتِ الربَّ المتجسد.

* يا كرمة الحق نفسه؛ لأن منك وُلِدَ الحق، وتجسُّد الحق يعلو على فكر الذين انتفخوا بالمعرفة وسقطوا من المحبة التي أعطت حتى عرش اللاهوت.

* يا كرمة الحياة يا حاملة عنب الحياة، وهو عنقود واحد جمع حوله حبات العنب، للحياة من ذات عصارة الحياة التي قامت من الموت والفساد.

أنتِ هي باب السماء

الباب –حسب استعمال العهد القديم نفسه– كلمة وردت حوالي ٢٥٠ مرة، وهي خاصة بالباب كما نعرفه في البيوت وفي خيمة الاجتماع.

وحتى في دفن الرب يسوع نفسه يذكر البشير "أُغلِق باب القبر" (متى ٢٧: ٦٠). ولكن "الباب" هو اسم استعاري يدل على تطور وانفتاح مجال علاقة جديدة؛ لأن رسول الرب يقول: "وَلكِنَّنِي أَمْكُثُ فِي أَفَسُسَ إِلى يَوْمِ الْخَمْسِينَ. لأَنَّهُ قَدِ انْفَتَحَ لِي بَابٌ عَظِيمٌ فَعَّالٌ وَيُوجَدُ مُعَانِدُونَ كَثِيرُونَ" (١كو ١٦: ٨ – ٩)، بل

يقول إنه في ترواس عندما جاء لأجل الإنجيل "انْفَتَحَ لِي بَابٌ فِي الرَّبِّ" (٢كو ٢: ١٢)، بل يعتبر رسول المسيح أن فرصة الوعظ والتعليم هي انفتاح "بَابٍ لِلْكَلاَمِ، لِنَتَكَلَّمَ بِسِرِّ الْمَسِيحِ" (كو ٢: ٣ – ٤)، بل أن قرب مجيء يوم الدينونة يصفه رسول المسيح يعقوب "هُوَذَا الدَّيَّانُ وَاقِفٌ قُدَّامَ الْبَابِ" (يعقوب ٥: ٩).

وعندما ينادي رب المجد يسوع النفسَ في شخص أُسقف فيلادلفيا "هَئَنَذَا قَدْ جَعَلْتُ أَمَامَكَ بَابًا مَفْتُوحًا وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُغْلِقَهُ" (رؤ ٣: ٨) بل في نداء المحبة يخاطب اسقف اللاذقية (اللاودكيين) "هَئَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إليهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي" (رو ٣: ٢٠).

لكن الهجوم على الكنيسة أم الشهداء تخفَّي تحت قناع الدفاع عن مكانة المسيح؛ لأن المسيح هو "باب الخراف" (يوحنا ١٠: ١ – ٩)، حيث وردت كلمة الباب حسب الأصل اليوناني ٤ مرات، ولذلك يقول أحد المعاندين إن الادعاء بأن العذراء هي "باب السماء" هو هجوم على مكانة ومقام الرب يسوع .. هكذا قُطِعَت الكلمات من سياق الصلاة: "إذا ما وقفنا في هيكلك المقدس (هيكل الثالوث) نحن مثال أو حسب ⲙ̀ⲫⲣⲏϯ القيام في السماء"، أي أننا مثل السمائيين، أي الرتب الملائكية الذين –بالمصالحة– صاروا مع يسوع وفي يسوع.

وهنا يلزمنا أن نذكر أن السماء هي أحد أسماء الله حسب عبارة الرب يسوع نفسه الذي يقول لنا في المثل أن الابن الضال يقول "أخطأت إلى السماء (الله) وقدامك (لوقا ١٥: ١٨). وملكوت السموات هو ملكوت الله، ولذلك "أبانا الذي في السموات"، أي أبانا الذي هو الله.

العذراء هي باب السماء؛ لأنها ولدت كلمة الله، أي هي الباب الذي دخل منه الابن التاريخ والحياة الانسانية بتجسده، ولذلك يقول رسول الرب إن المواطن المسيحي له مواطنة في السماء، وهنا كبوة ترجمة فان ديك، موجعة؛ لأن الرسول بولس يقول إن *our commonwealth* (رعويتنا – مواطنتنا) في السماء، وليس "سيرتنا في السماء" حسب هذه الترجمة العرجانة.

نحن في السماء بسبب وحدة السماء والأرض (أفسس ١: ١٠) تحت رأسٍ واحد (أفسس ١: ١٠)؛ لأن رجاء حياتنا هو في السموات (كولوسي ١: ٥)، بل في جرأة المحبة الإلهية المعلنة في يسوع رب المحبة يقول رسول المسيح:

"أقامنا معه

أجلسنا معه في السماويات

في المسيح يسوع" (أفسس ٢: ٦).

فكيف صارت العذراء "باب السماء" لأنها ولدت الله الكلمة، وهي حسب النبوة في (حزقيال ٤٤: ١ - ٢) عن ولادة رب الجنود: "هَذَا الْبَابُ يَكُونُ مُغْلَقًا, لاَ يُفْتَحُ وَلاَ يَدْخُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ, لأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ دَخَلَ مِنْهُ فَيَكُونُ مُغْلَقًا"، هكذا انفتح باب الألوهة بالتجسد.

فهل نقلت الصلاة استعمال كلمة "باب" من المسيح إلى العذراء للاعتداء على المسيح؟ عيب أن لا يتذكر هؤلاء أن الكلمة تُستعمل بشكل مجازي، وأن الرب نفسه رغم أنه يقول إنه "هو الباب"، وإنه "باب الخراف"، إلَّا أن باب الكلام - باب الشهادة، هو ما يطلبه رسول المسيح كما سبق وذكرنا.

* "افتحي لنا باب الرحمة".

* اشركينا في سر تجسد الابن؛ لكي ندخل من باب هذا السر، ونرى تجسد الله؛ لأنه "الباب الفعال" حسب عبارة رسول المسيح لكي نستنير بنور الرب يسوع المتجسد.

* ليفتح لنا الرب باب المعرفة، باب المشارق، باب القلب (رؤ ٣: ٢٠) لكي ندخل سر تجسد الرب.

* افتحي لنا باب رحمة يسوع بالصلاة؛ لكي نفهم التغيير الكامل الذي جاء به تجسد الرب.

* افتحي لنا باب الرحمة؛ لكي نتبع الرب في زمان التجديد (لوقا ١٩: ٢٨)،

ونفهم أن رحمة وصلاح الثالوث هي سبب إرسال الابن وانسكاب الروح القدس.

* يا والدة الإله ردي كل مظلوم إلى أحضان الكنيسة، وتشفعي في مصر وكنيسة مصر التي أعطت لك وللابن الوحيد المأوى من اضطهاد هيرودوس.

مبارك شعب مصر؛ لأنه شعب الرب المدعو لأن يدخل من باب الرحمة، باب السماء باب المتجسد يسوع المسيح.

"السماءُ الثانية"

السماء -كما سبق وأشرنا في المقال السابق- هي أحد أسماء الله، حسب ما نعرف من الأدبيات الآرامية والعبرانية الشائعة في فترة قبل تجسد رب المجد.

والسماء هي أيضًا الحلول الإلهي واستعلان الله. وتصوُّرنا أن السماء مكانٌ، يعود إلى الخلط اللغوي بين استعمال فعل "خلق – *Create*" وفعل "برأ "؛ لأن الفعل برأ يعني أيضًا خلق. ولكن الفعل برأ -عبرانيًا- يعني أيضًا يفدي؛ لأن الخلق والفداء عمل واحد، الخلق بداية، والفداء هو تكميل ما يعجز عنه الإنسان. لأن الله في البدءِ "خلق السماء (عبرانيًا سموات) والأرض"، أي أنه لم يخلق فقط، بل أعلن ألوهيته بالخلق، فالخلق واستعلان ألوهية الله وربوبيته هما معًا نسقٌ واحدٌ لا يختلف عن استعمال الفعل العبراني "برأ "، أي خلق، ومنه جاءت كلمة "البارئ"، وكما قلنا أن الفعل -عبرانيًا- يعني أيضًا "فدى"، كما أن "فدى، واقتنى" يعبران عن ذات النسق، أي العمل الإلهي الواحد الذي يمكن التعبير عنه بأكثر من كلمة، وبأفعال متعددة تشرح كمال العمل الإلهي.

* يقول الرب نفسه: "السماء هي كرسي الله والأرض موطئ قدميه" (متى ٥: ٣٥). والكرسي أو العرش الإلهي ثابتٌ على الأرض؛ لأن الاستعمال المجازي "موطئ قدميه" معناه أنه استقر على الأرض تعبيرًا عن وحدانية الحضور في كل مكان، أو بدقة أكثر، لا يوجد مكان بدون الخالق أو بدون الله.

"السماء الثانية" تعبيرٌ جاء به تجسد الله الكلمة الذي "يحل فيه كل ملء

اللاهوت جسديًا" (كولوسي ٢: ٩)، والذي سكن وحلَّ ووُلِدَ بعد ان حُبل به بالروح القدس في أحشاء البتول القديسة مريم. وعندما يقول الملاك للقديسة مريم: "الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك" (لوقا ١: ٣٥)، فإن الذي قرأ الترجمة السبعينية للعهد القديم، يدرك أن القديسة مريم حلَّت محل خيمة الاجتماع التي حلَّ عليها روح الرب وظللها. والفعل يظلل هو episkizein - έπισκιάζιν وقد ورد أيضًا عن سحابة المجد الإلهي في تجلي الرب على جبل طابور (لوقا ٩: ٣٤)، وهو ما عُرف في الترجمة السبعينية عن سحابة المجد الإلهي (خروج ٤٠: ٣٥) التي حلَّت على خيمة الاجتماع وملأت المكان بالمجد الإلهي. وهو أيضًا ذات الفعل الذي ورد في (مزمور ٩١: ٤)، و"الخوافي" هي الريش الناعم في جناح النسر، ولذلك يقول المزمور: "بِخَوَافِيهِ يُظَلِّلُكَ وَتَحْتَ أَجْنِحَتِهِ تَحْتَمِي" .. والجناح هنا هو القوة الإلهية، ولكن الفعل نفسه يؤكد قوة روح الرب التي تختفي وراء الكلمات البشرية.

لا زلت أقول وأكرر أن التاريخ الكنسي شرقًا وغربًا يؤكد لنا أننا لم نستوعب بعد تجسد الله الكلمة، ذلك الحدث التاريخي الذي تم في ملك أوغسطس قيصر (لوقا ٢: ١ – ٧)، وفتح التاريخ واللغة والعلاقات الإلهية – الانسانية، والانسانية – الإنسانية على مجالات لم تكن متاحة، بل كانت مستحيلة. ولا زالت كلمات، بل زئير أسد كبادوكية النزينزي تدوّي عبر كل العصر وهي: "حاجتنا إلى لغة إنسانية جديدة تعبِّر عن تجسد الله على قدر المستطاع".

عندما يخلي الابن ذاته (فيلبي ٢: ٦)، فهو كما تقدم العظة الرابعة من العظات الروحية للقديس مقاريوس الكبير (٤: ١٠) الله غير المحدود الذي يفوق الإدراك في صلاحه ورحمته *adminished Himself* [1] وهي ذات الحركة الإلهية التي لا تزال تعمل في حياتنا عندما يأتي إلينا غير المحدود ويخلي ذاته لكي يحل فينا

---

[1] راجع ترجمة A. J. Mason والفعل اليوناني يعني: "يلاشي" أو "لا يحسب وزنًا" أو "لا يهتم بالمرة" أو "ينقص ذاته" (راجع عظات القديس مقاريوس الكبير ترجمة مركز الآباء، يونيو ١٩٩١، ص ٥٢).

(أفسس ٣: ١٧)، فهو التواضع الإلهي الحقيقي الفائق الذي يجعل الابن له المجد يسكن أُقنوميًا في أحشاء البتول لكي يأخذ لنفسه الجنين الذي ينمو بالحبل ويولد كسائر البشر، وهو ما يجعل مكان حلوله السماء الثانية، أي القديسة مريم؛ لأن السماء الأولى حيث العرش الإلهي لم تكن هي استعلان المتجسد ابن الله:

"بقوته الإلهية حملته أحشاء مريم، ذاك الذي يحمل الكل بقوته".

(افرام السرياني — ترنيمة على البشارة ٤: ١٨٥).

فالتجسد كما يقول افرام السرياني:

"أحشاء أمك قلبت المعايير
لأن مثبت كل الأنظمة جاء ودخل بنظام غني
جاء إلى أحشائها فقيرًا معوزًا
واستُعلِن منها غنيًا
جاء إليها متواضعًا
ووُلِدَ منها مُشرقًا
جاء إلى أحشائها المحارِب القوي
ولبس في أحشائها جسدًا يخاف".

(ترنيمة على البشارة — ١٢ راجع The Classics of Western Spirituality ص ١٣٢).

الحس الروحي يرى برؤيا الإيمان؛ لأنه هكذا ينشد افرام السرياني:

"مباركٌ الذي جعل جسدنا هيكلًا؛
لأجل إخفاء ذاته".
(ترنيمة على البشارة — المرجع السابق ص ٨٥).

ويقول:

"مباركٌ الذي حلَّ في الحشا، وفيه بنى لنفسه
مكانًا يعيش فيه،
وهيكلًا يسكنه"
(المرجع السابق ص ٨٧ - ٨٨).

حتى نستعيد Paradox التجسد:

والكلمة *Paradox* حسب الأصل اليوناني لا تعني التناقض، حسب الترجمة الشائعة، بل *Para* تعني ما هو أبعد، وكلمة *Doxa* تعني التعليم الحقيقي أو المستقيم، فهي تعني ما يعلو على المنطق البشري الطبيعي الخاضع لقوانين المادة أو العلاقات الإنسانية العادية، وعلى سبيل المثال يقول مار إفرام:

"لنشكر ذاك الذي نزع شوكة اللعنة، عندما كُلِّلَ بإكليل الشوك.
لنشكر ذاك الذي قَتَلَ الموتَ بموته.
لنشكر الذي كان صامتًا (متى ٢٧: ٥٠) لكي بصمته؛
يعلن براءة الإنسان.
لنمجِّد الذي رقد ونام في القبر لكي يرغم الذي أسرنا على أن ينام، فنتحرر"
(الترنيمة ٣ المرجع السابق ص ٨٧).

كيف قَلَبَ التجسُّدُ المعايير؟

ينشد افرام:

"لقد رأى الله أننا نعبد المخلوقات
لبسَ جسدًا مخلوقًا لكي يمسكنا نحن
مِن حيث تكونت عندنا هذه العادة،
وبالجسد الذي صنعه شفانا صانعنا،
وبالمخلوق أحيانا خالقنا".
(ترنيمة ٢١: ١٢ على البشارة راجع ص ٣١ المرجع السابق والنص كاملًا ص ١٧٦).

ولأن كلمة الختم *Seal* كلمة طقسية وهامة، ينشد افرام:

"اللاهوت ختم كيانه على إنسانيتنا
لكي ما تقطع الإنسانية وتختم بخاتم اللاهوت *The Seal of Divinity*"
(ترنيمة على البشارة ١: ٩٩ المرجع السابق ص ٧٤).

ثيئوطوكوس، والسماء الثانية:

جاء تأكيد تجسد الرب واتحاد اللاهوت بالناسوت حاسمًا ضد كل تفسير يحاول طمس التجسد لا سيما هرطقة نسطور الذي لم يكن يعوزه الذكاء، ولكن الذكاء ليس هو المشكلة، بل اخضاع هذا الذكاء لمنطق الحواس الخمس ومقاومة "ذكاء المحبة" الذي يعلو على المنطق الطبيعي والذكاء الجسداني المقيد بقيود الجسد. وإذا عدنا إلى الشعراء مثل افرام والنزينزي، فالشعر أصدق من أي خطاب آخر لأنه يربط بين رؤية الإيمان **والتغيير المطلق** الذي جاء به التجسد، لاحظ كيف ينشد افرام

"يا ربي
إن ميلادك صار الأم التي تلد الخليقة
ميلادك صار الوالد للكل".
(نشيد ٢٣ ص ١٨٨).

بل:

"الخليقة كلها صغيرة جدًا ولا تكفي لتخفي مجدك
الأرض والسماء معًا كلاهما ضيق *narrow*
فلا يصبحان حِجرًا Laps لك
لكن صار حِجرُ Lap مريم واسعًا
حللت وجلست في حجرها *her Lap*".
(المرجع السابق ٨٩).

اتحاد اللاهوت بالناسوت جعل أحشاء مريم معمل *ergasterion* اتحاد الطبيعتين (وهذا التعبير رد في التسبحة السنوية وعند *Proclus* اسقف القسطنطينية ق ٥)، ومن هنا جاء تعبير السماء الثانية.

"أنت هي أم النور المكرمة ...
يا والدة الإله
السماء الثانية

لأنك أنت الزهرة النقية غير المتغيرة

والأم الباقية عذراء

لأن الآب اختارك

الروح القدس ظللك

الابن تنازل وتجسد منك".

(صلاة باكر).

عبارات تحمل عظمة ورفعة الشركة الإلهية الإنسانية، وكل هذه التعبيرات وردت عند الآباء، فالسماء الثانية = ثيئوتوكوس

* الزهرة النقية وردت عند كيرلس الكبير[١]

* ودوام بتولية الأم وردت عند كل الآباء (القديس اثناسيوس تجسد الكلمة مجلد ٢٥: عامود ١٢٨ – مقالة البتولية، النص القبطي، حيث يذكر المعلم السكندري:

"لو كان لديها أولادًا آخرين، لَمَا تجاهلهم المخلص ولَمَا ترك أمه وديعةً عند يوحنا الرسول) ولَمَا ذهبت هي لتعيش (مع يوحنا) بينما لديها أولاد آخرين .. لقد ظلت بتوليتها غير دنسة .. ومريم ولدت الله ظلت عذراء حتى النهاية لكي تظل مثالًا لكي من يطلب البتولية".

(نشر النص القبطي في Le Museon, 42, page 243-244).

وفي عظة القديس كيرلس السكندري أمام مجمع أفسس، يقول:

"السلام لك يا مريم يا والدة الإله

العذراء والأم

أم النور

الإناء الذي لم يفسد

---

(١) راجع شرح تجسد الابن الوحيد للقديس كيرلس عمود الدين؛ لأن الزهرة ورائحة الزهرة هي عن تجسد الرب يسوع، ولكن الثيئوتوكوس نالت الحلول الإلهي ومجد سكنى اقنوم الله الكلمة واشتركت في ذات الشرف الذي شرَّفَ به الابن له المجد الطبيعة الانسانية (راجع فقرة ١٠ تعريب د. جورج حبيب بباوي).

السلام لك يا عذراء مريم
الأم والعبدة
العذراء؛ لأنك ولدت عذراويًا
الأم؛ لأنك حملتيه على ذراعيك وأرضعتيه اللبن
العبدة؛ لأنه أخذ منك صورة العبد
لقد دخل الملك عندك أيتها المدينة، أي أحشاءك
ومن الحشا وُلِدَ كما أراد، وظلَّت أبوابك مختومة
لأنك ولدت بدون زرع بشر .." (مجلد ٧٧ عامود ١٠٣٢).

وقبل القديس كيرلس السكندري يسأل أبيفانيوس أُسقف سلاميس، وهو أصلًا يهودي كان قد آمن بالمسيح (حوالي ٤٠٣):

"ألا يكفي الاسم وحده كشهادة؟ ألا يكفي اسم العذراء أن يقنع كل من يبتغي العراك؟ هل سمعنا أحدًا يتجاسر ويقول اسم القديسة مريم دون أن يضيف على الفور العذراء".

(ضد الهرطقات ٦٧: ٦ مجلد ٤٢ عامود ٧٠٥)؟

ونكتفي بقطعة رائعة من شعر القديس غريغوريوس النزينزي أسد كبادوكية:

"عندما يرسم الفنان لوحةً على قطعةٍ من الخشب،
يحدد ملامحها أولًا بفرشاةٍ وبألوان خفيفة،
ثم يرسم الأشكال بألوان زاهية،
ويكمِّل اللوحة بباقي الألوان.
هكذا كانت البتولية ميراث المسيح الأبدي،
استُعلِنَت أولًا في قلةٍ من البشر،
ظلَّت غامضةً في زمان سيادة الشريعة.
تحت الشريعة، كانت الألوان خفيفةً،
ظهَرَت ضعيفةً في قلةٍ من البشر.
بعد أن وُلِدَ المسيح من عذراء وبتول وأمٍّ،

لم تكن ولادته مقيدةً بقيود جسدانية،
بل، لأنه الله جاء إلى العالم.
كان ضروريًا أن لا يولد من زواج،
فهو بلا أب (حسب الجسد).
قدّست العذراء كل النساء،
وغلبت المرارة التي جاءت بها حواء.
ميلاده قهر قوانين الجسد،
ببشارة الانجيل خضع الحرف للروح؛
فدخلت النعمة.
أضاءت البتولية أمام المائتين
ظهرت في المسكونة حرةً
حررت المقيدين بقيود العالم
هي أسمى، سمو السماء
وهي أعظم كعظمة الحياة الأبدية
أمام الحياة الأرضية المتغيرة،
بل كعظمة الله التي لا تقارن بالإنسان"

(١: ١٨٩-٢٠٨ مجلد ٣٧ عامود ٧٣٥-٥٣٨).

"الممتلئة نعمة، أم المُنعَم عليها"؟
التعليم اللاهوتي الصحيح عن العذراء القديسة مريم[1]

وصلنا على موقع *www.coptology.com* سؤال كتبه د. سامح فاروق حنين، يقول فيه: أستاذنا العزيز د. جورج .. سلام وتحية من رب المجد.

قمت بعمل بحث عن الترجمة الصحيحة للآية "السلام لك أيتها الممتلئة نعمة" من خلال النص اليوناني الأصلي ومقارنته بنصوص أخرى وترجمات أخرى لنفس اسم المفعول (κεχαριτωμενη) ووجدت أن الترجمة الأدق هي "المنعم عليها"، وعندما قرأت بحثكم الرائع "الخلاص كما شرحه القديس كيرلس" وجدت في أكثر من موضع أن القديس كيرلس يؤكد على فكرة "فقدان النعمة" وأن "آدم ومعه كل الجنس البشري الذي كان فيه (بما فيهم السيدة العذراء) حُكم عليه بالموت والفساد"، أي "غياب الروح القدس والانفصال من شركة الثالوث"، و"فقدان النعمة الآتية من الله" في حين أنكم تستشهدون في كتاباتكم بترجمة "الممتلئة نعمة"! العذراء مريم في الأجبية ص ٦ وفي "افرامية عيد العذراء".

فكيف تكون السيدة العذراء مريم "ممتلئة نعمة" بعد كل هذا؟؟

ومن أين امتلأت بهذه النعمة، وهي ابنة آدم وسرى عليها ما سرى على آدم من "فقدان النعمة"؟؟ فأرجو من محبتكم التوضيح .. وشكرًا.

---

[1] مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٣٠ أغسطس ٢٠١٣.

الرد على السؤال

الأخ الفاضل د. سامح فاروق حنين، أعاد السؤال الذي طُرِحَ منذ زمن طويل حول صحة الترجمة. وما ذكره القارئ الفاضل من أن النص اليوناني ومقارنته بنصوص أخرى يبدو أن "المنعم عليها" هو الأقرب والأصح.

الجانب اللغوي:

"السلام لَكِ" هي صيغة *Singular Imperative* وحرفيًا تعني "افرحي" *rejoice* فهي صيغة سلام وردت في (مت ٢٦: ٤٩) بكل أسف في تحية يهوذا الخائن للرب يسوع في البستان، ولكنها صارت عطية القيامة وليست مجرد تحية في بشارة السلام من الرب يسوع القائم من الأموات (متى ٢٨: ٢٩).

علماء اليونانية المعاصرين لنا[١] يقولون إن الأصح هي "افرحي"، ولكن إذا عُدنا إلى الممارسات اليومية في زمان الرب بالجسد، فإن كلمة "سلام" هي الكلمة العادية التي تعبِّر عن الصداقة والألفة ومعرفة صاحب التحية بالشخص الذي يقابله (راجع لوقا ١٠: ٥ – لوقا ٢٤: ٣٦ – يوحنا ٢٠: ١٩، ٢١)، وهي هنا سلام القيامة لا سيما في يوحنا ٢٠: ٢٦ سلام الحياة الجديدة. ولم تستخدم الترجمة السبعينية LXX الكلمة اليونانية إلَّا بمعنى السلام حسب (صفنيا ٣: ١٤. يوئيل ٢: ٢١ زكريا ٩: ٩ – مراثي ٤: ٢١).

ما هو المقصود بـ κεχαριτωμενη؟

لعل أفدح أخطاء العصر الوسيط شرقًا وغربًا معًا هو فقدان الأساس اللاهوتي الذي يشرح لنا مفردات الكتاب المقدس، بل الاستغراق في التحليل اللغوي، كأن النص المكتوب هو استعلان الله في الابن، وليس يسوع الشخص والأقنوم، الذي من خلال شخصه وحده، ومن العلاقة الجديدة التي جاء بها، يتم شرح مفردات

---

(١) H. Gressman – H. Sahlin – S. Lyonnet.

الكتـاب المقـدس؛ لأن هـذه العلاقـة الجديـدة لم تشـيَّد ولم تؤسَّـس علـى كلمـات بالمرة، بل فقط عبَّرت عنها الكلمات.

وهناك خطأ وقع فيه باحثون في زماننا يتمثل في مقارنة -غير دقيقة بالمرة- بين القمص متى المسكين وتوما الأكويني، والفرق بين الاثنين هو فرق في المنهج وفي الغايات *Goals* التي يسعى إليها كلٌ منهما، ففي الوقت الذي ساد فيه- لدى القمص متى المسكين- المنهج الصوفي *Mystical* الذي طوَّع -من خلاله- وأَسَرَ *Captivated* اللغة، لا سيما اللغة العربية التي قدَّم فيها عدة مصطلحات عربية جديدة لم تكن معروفة، نجد أن الفيلسوف الشامخ توما الأكويني كان تلميذًا لأرسطو، وربيبًا لفلسفة العصر الوسيط.

هكذا -بذات الطريقة، أي اختلاف المنهج والغايات- تجيء محاولة إبراز دور خاص ومقام خاص للقديسة مريم دون الانتباه إلى الأساس اللاهوتي الذي يجب أن يقوم عليه أي تمييز *Discernment* بين الرأس الرب يسوع، والأعضاء، أي أعضاء جسده (١كو ١٢: ٢٧)، أي الكنيسة.

القديسة مريم خضعت للموت مثل سائر البشر، وماتت فعلًا لأنها من آدم الذي فيه "يموت جميع الجنس البشري" (١كو ١٥: ٢٢)، ولا يمكن بالمرة أن نعفي أي إنسان وُلِدَ من امرأةٍ من وراثة الموت الذي دخل مع الخطية، والذي ورثه الجنس البشري (رو ٥: ١٢ وبعده). وهنا يصبح تقديم شهادة العظيم أثناسيوس مُعلِّم الأرثوذكسية ضرورة حتى لا يظن أحد أنني أحاول الهجوم على والدة الإله، فما أكثر الذين طالت ألسنتهم وطالت أقلامهم أكثر من ألسنتهم في زماننا.

يقول أثناسيوس العظيم: "القديسة مريم التي أخذ منها جسده كانت قابلة للموت" (الرد على الأريوسيين ٣: ٥٦). وتعبير "قابلة للموت" هو نفس التعبير الذي استخدمه المعلم العظيم في شرح تجسد الكلمة (ورد في عدة مرات على سبيل المثال "اتخذ جسدًا مماثلًا لطبيعة اجسادنا ٨: ٤ — من غير الممكن أن يموت الكلمة لأنه غير مائت .. لهذا اتخذ لنفسه جسدًا قابلًا للموت .. لكي

يبقى بسبب اتحاده بالكلمة في عدم فساد (٩: ١).

وأساس التمييز هنا هو اشتراك الرب مع أمه البتول في طبيعة واحدة قابلة للموت، فلا مجال للتردد بالمرة، ولكن ناسوت الرب حُفِظَ من الفساد بسبب اتحاده بالكلمة حسب بشارة رسول الرب يسوع القديس بطرس في يوم العنصرة (أع ٢: ٢٧).

الاتحاد الأقنومي خاص بالرب يسوع، ومجد تجسد الابن الوحيد هو العطية التي وُهِبَت للإنسانية والتي مصدرها يسوع وحده؛ لأننا سنُحيا في المسيح (١كو ١٥: ٢٢)، وهذا ما تؤكده تسبحة القديسة مريم: "تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي".

النعمة:

سقطت النعمة تحت معاول العصر الوسيط، فصارت مجرد ***Concept*** أي محتوى وفكرة عقلية، ولذلك تجد –حتى في بعض المراجع الحديثة– نفس تحديد العصر الوسيط بأن النعمة هي *Favor* ولذلك؛ كان أفظع ما حدث في اللاهوت الغربي بالذات هو فصل الكلمات عن العلاقات الإلهية – الإنسانية، وهي قضية الجيل الآتي الذي سوف يكتشف الفراغ الهائل الذي تخلقه الكلمات عندما تُقدَّم وحدها بدون الأساس اللاهوتي، وهو الشركة ***Communion*** بل وبدون الاشتراك الحقيقي والكياني في حياة المتجسد ابن الله أي ***Participation***

وعندما يكتب رسول الرب يسوع القديس بولس: "لأنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو الغني لكي تستغنوا أنتم بفقره" (٢كو ٨: ٩)، أو لقد "أخلى ذاته" لكي ننال مجده، فيجب أن يكون من الواضح أن مجد الابن الوحيد لم يكن مقالًا أو عبارات نطق بها الرب يسوع في يوحنا (ص ١٧)، بل هو نوال مجده الذي أعلنه في جسده الخاص به عندما تجلَّى على جبل طابور، ولمع بنور أكثر من بهاء الشمس، فصار "جسد مجده" (فيلبي ٣: ٢١) هو ذات الجسد

الذي سوف يضيء بنفس نور المجد الإلهي في يوم القيامة.

ولكـن عنـدما تصبـح "النعمـة" نوعًـا مـن العطـف أو الإحسـان، أو سـلوكًا أخلاقيًا مثل منح الألقاب والجوائز والنياشين، فإن المسيحية تكون قد دخلت في رواق أرسطو وأفلاطون، وصارت مدرسةً أخلاقيةً، وهو خطرٌ تتعرض له البشارة دائمًا عبر كل العصور.

الروح القدس يحلُّ عليكِ وقوة العلي تُظلِّلكِ:

الأقنوم الثالث روح الرب يحل، وحسب الأصل اليوناني الذي يفضِّله الأخ الدكتور سامح، فهو ليس مجرد حلول، بل هو eperchesthai ينزل *come up on* لأن هذا الفعل بالذات ورد في (لوقا ١١: ٢٢، ٢١: ٦) وفي يوم العنصرة (أع ١: ٨، ٨: ٢٤، ١٣: ٤)، و"قوة العلي" هو تعبير *parallel* لاسم الأقنوم الثالث معروفٌ في اللغات السامية العبرانية والآرامية بشكل خاص.

وبالرغم من أن النص يقول: "قوة العلي –أي قوة الروح القدس– تظللك"، فقد ضاع من الوعي القوة الكامنة في الحركة الإلهية — حركة نزول الروح القدس، والتعبير عن هذا النزول بأنه "يظلل" القديسة مريم. الفعل اليوناني episkiazein الذي استُخدم للروح القدس هو ذات الفعل المستخدم للسحابة المنيرة التي ظلَّلت الرب مع موسى وإيليا على جبل التجلي (لو ٩: ٣٤)، وهو أيضًا ذات الفعل الذي ورد في السبعينية عن سحابة المجد الإلهي التي ظلَّلت خيمة الاجتماع: "غطت السحابة خيمة الاجتماع وملأ بهاء الرب المسكن". والسحابة أو الشاكيناه هي ذات القوة التي تظلِّل خائفي الرب في (مزمور ٩١: ٤).

بعد كل ما تقدم، هل يصح أن يكون الخلاف خلافًا على ترجمة، أم العبرة هي بحقيقة الامتلاء من الروح القدس وحلول روح الرب على القديسة مريم؟

ماذا نقول عن تلك التي صارت "خيمة الاجتماع" في العهد الجديد؟

لقد لاحظ العلامة أوريجينوس -وهو من أعظم علماء الكتاب المقدس- في العظة السادسة على إنجيل لوقا أن كلمات الملاك للقديسة مريم لا يوجد لها مثيل في الكتاب المقدس كله؛ إذ لم تسمع امرأة ولا رجل هذه الكلمات في العهدين:

> "خاطب الملاك مريم بخطابٍ جديد لم أجده في أي موضع في الأسفار، وسوف أشرح كلمات الخطاب في ايجاز: "السلام لك يا ممتلئة نعمة" والكلمة اليونانية Κεχαριτωμενη لم أجدها -على قدر ما أتذكَّر- في الأسفار، وتعبير مثل هذا "ممتلئة نعمة" لم يوجَّه حتى لرجلٍ. هذه التحية حُفِظَت أو خُصِّصَت لمريم وحدها" (عظة ٦: ٧ سلسلة آباء الكنيسة مجلد ٩٤ ص ٢٦).

الامتلاء من النعمة، أي من حلول الروح القدس لا علاقة له بحالة الإنسان مهما كان؛ لأن هذا الامتلاء من النعمة جاء به الاتحاد الأقنومي؛ لأن شهادة الإنجيلي يوحنا أن وحيد الآب "مملوءٌ نعمةً"، وإننا نحن "من ملئه نحن جميعًا أخذنا" (يوحنا ١: ١٤ - ١٦). هذا الملء هو ألوهية الرب، فإنه فيه "يحل كل ملء اللاهوت جسديًا"، هذا عن تجسد ابن الله. وأكمل رسول المسيح القديس بولس بقية التعليم: "وأنتم مملوؤن فيه" (كو ٢: ٩ - ١٠).

فإذا كانت القديسة مريم -كما ذكرت يا أخي الكريم- هي ابنة آدم، وسرى عليها ما سرى على آدم من فقدان النعمة .. فأنت على صواب، إذا كنت تفكر في مريم العذراء قبل البشارة وقبل حلول الروح القدس عليها.

الامتلاء من النعمة هو حلول الروح القدس، وحلول أقنوم الله الكلمة في أحشاء البتول، هذا لا يمكن إنكاره، وتبعًا لذلك لا يجب أن يصبح الخلاف على الترجمة هو محور الإيمان؛ لأن محور الايمان هو تجسد ابن الله من العذراء.

وحقًا لقد "أُنعِمَ عليها"؛ لأن النعمة لا يرثها أيُ إنسانٍ، ولكن ذلك الإنعام لم يكن عطفًا ولا إحسانًا *favor* بل تنازُل الله نفسه لكي يُولد منها، فهي تحمل في أحشائها ذاك الذي هو "ملء اللاهوت"، أو "ملء النعمة"، أو "الملء"، عندئذٍ يصبح من الصواب -إذا تذكرنا تجسد الرب- أن نقول: "الممتلئة نعمة"؛

لأنها امتلأت من حضور الله الكلمة، من حضور وحلول قوة العلي عليها. ويبقى علينا أن نحاول أن نُخضِع الكلمات للإيمان لا الإيمان للترجمات والابحاث اللغوية؛ لأن المسيح الرب ليس كتابًا أو فصلًا من فصول العهد القديم، بل هو الله خالق السموات والأرض(١).

وتبقى مسألة ذات حساسية خاصة عند الذين اسلموا اللاهوت المسيحي للشريعة، وفقدوا الحس والوعي بالنعمة —أنا لا أقصدك يا أخي الكريم لأنني لا أعرفك– ولكن هؤلاء حذفوا تجسد رب المجد من واقع حياتنا، وجعلوا تجسد الرب حدثًا فريدًا ليس له أي آثار أو فاعلية على حياتنا، بما فيها نوال عطية التبني (غلا ٤ : ٤ – ٦)، وهي شركتنا في بنوة رب المجد، بل ذاب في مستنقع العصر الوسيط حقيقة أننا "وارثون مع المسيح" (رو ٨: ١٧) لكل ما استُعلِن في يسوع المسيح من مجد وبنوة وملكوت وحياة أبدية، وما سوف يُستعلَن هو أكبر مما سمعنا وعرفنا؛ لأنه لم يظهر بعد ماذا سنكون (١يوحنا ٣: ١ – ٣).

لقد وُلدتَ من البتول بالروح

لكي نولد نحن أيضًا من الروح

أنت من العذراء

ونحن من الماء والروح

لم نولد من العذراء مثلك

ميلادًا جديدًا

بل أنت وحدك وُلِدتَ من العذراء

لكي تحوِّل ولادتنا فيك

نحن نولد من نساء هُنَّ أمهاتنا

---

(١) راجع مقالنا بعنوان: غفران الخطايا حسب تسليم صلواتنا الكنسية القبطية الأرثوذكسية، ص ٤ تحت عنوان: الكتاب المقدس ليس مصدرًا للعقيدة. منشور على موقع www.coptology.com

وهذا ميلاد الموت والفساد

ولكنك جئت بميلادٍ للأمهات والآباء

ولكل أجيال البشر

لكي ننال من ملء نعمة الخلقة الجديدة

ذلك الكيان الذي لا يموت،

بل يقوم لحياة الأبد فيك وبك

سلامٌ يا ممتلئة نعمة؛ لأن بشارَتَكِ

هي بشارةُ الامتلاء من النعمة.

الابن الوحيد للآب والابن الوحيد للعذراء القديسة مريم(١)

(لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر)

لعل أفضل ما كُتب عن بتولية القديسة مريم هو ردُّ القديس جيروم على هلفيديوس *Helvidius* في عام ٣٨٣ وهو اعتراضٌ بدأ من سوء فهم قراءة نصوص الكتاب المقدس، وبالذات كلمات إنجيل متى: "ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر" (مت ١: ٢٤-٢٥). وسوء الفهم له أكثر من مصدر، ولكن في هذا المجال بالذات يهمنا المصدر الأصلي والمحرك لكل الاعتراضات التي طفحت في الحياة العقلية في الـ ١٠٠ سنة الأخيرة.

أولًا: إنكار هدف التدبير الأول.

وهو استعلان "الخلقة الجديدة" (٢كو: ١٧)، وهي خلقٌ جديدٌ يحدث هنا في الزمان، وفي البشر، في التاريخ الذي أغلقته الخطية بالموت، دون أن يتمكن لا الإنسان نفسه ولا النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي على أن "يبشِّر بالقيامة"؛ لأن كل البشر ماتوا ودُفنوا، كما قال القديس بطرس عن داود: "قبره لا يزال عندنا إلى هذا اليوم" (أع ٢: ٢٩).

لكن رب الحياة صَرَعَ الموتَ وصَلَبَه وقَتَلَه(٢).

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في يناير ٢٠١٤.

(٢) "قتلُ الموت" هو تعبير القديس أثناسيوس في تجسد الكلمة ٢٧: ١ و٢٨: ٢ وورد أيضًا في قسمة القديس كيرلس الكبير: "يا مسيح الله الذي بموتك قتلت الموت الذي قتل الجميع. بقوتك أقم موت نفوسنا". وعلى الرغم من أن صلاة هذه القسمة وُجدت باللغة العربية إلَّا أن عباراتها موجودة في كل كتابات القديس كيرلس لا سيما رسائل الفصح وشرح انجيل يوحنا. وضياع الأصل القبطي جعل الأستاذ يسى عبد المسيح يعيدها إلى اللغة القبطية بطلب من الأنبا مكاريوس

وفي التدبير تغيَّر كل شيء:

- الولادة البيولوجية صارت ولادة روحية.
- الزواج نفسه صار يخدم سر الكنيسة، ويقدم أعضاء جديدة لجسد المسيح.
- الموت تحول إلى قوة تهدم أثار الخطية؛ إذ يهدم الموتُ الجسدَ الترابي لكي يقوم الجسد الروحاني أو السمائي (١كو ١٥: ٤٤).
- بل عندما صُلب الرب يسوع، صارت قوة الصليب في "إماتة الخطية" وبالموت نخلع جذر الخطية. وحتى في الحياة النسكية القبطية الأرثوذكسية "مات عن العالم" هي عبارة الإسقيط التي تعني أن قوة الموت هدمت كل الرغبات والشهوات، بما فيها شهوة الطعام بالصوم، والكسل بالسهر، والزواج بالبتولية. وهكذا تغير أيضًا الطقوس والصلوات وصارت هذه الطقوس رموزًا لحقيقة أكبر، وهو "الواقع المعاش" أي "الشركة" في حياة الثالوث نفسه.

ثانيًا: بقاء نعمة التدبير:

كانت معاداة الرهبنة والحياة النسكية هي المحرك الأول للهجوم على القديسة مريم، وكان قادة الإصلاح هم أول من أعادوا الحياة المسيحية وردوها إلى شكلها الطبيعي في محاولة لإبادة الحياة النسكية كجزء مكوِّن للحياة المسيحية كما عرفتها أوروبا تحت التعليم وسلطان الكنيسة الرومانية الكاثوليكية[1]. ولذلك، بتولية القديسة مريم، وهي أيقونة البتولية، ومصدر إلهام كبير، كان من الضروري إنكارها لكي يتغير نظام الحياة ويفلت من المثال "الكاثوليكي" إلى المثال "الطبيعي" أو البيولوجي، وفي زماننا كنا نسمع عن زواج القديسة مريم بعد ولادة رب المجد، بل كانت العبارة الشائعة على ألسنة كثيرة بأنها مثل البيضة أخذ الله ما فيها وألقى

مطران أسيوط وبابا الاسكندرية فيما بعد.

(1) نحن كاثوليك ولكن لا نتبع روما لأننا نؤمن بكنيسة واحدة مقدسة كاثوليكية (جامعة) رسولية لكل الرسل، وليس لبطرس الرسول وحده.

بالقشـرة الـتي لا تؤكـل، ولم يكـن غريبًـا أن يتجـدد الهجـوم علـى الرهبنـة والحيـاة النسكية في السنوات الأخيرة لأنها صورة أو أيقونة الحياة الجديدة التي أساسها في المسيح حيث يتحول:

* التكـوين البيولـوجي للإنسـان في المسـيح إلى تكـوين جديـد يعـود أصـله إلى المسيح يسوع، إلى ميلاد الرب نفسه في بيت لحم "مسقط رأس البشرية الجديدة" التي كما تقـول التسبحة السنوية "ولد فيها آدم الجديد"، وفي هـذا التكـوين الجديد تنمو "الخلقة الجديدة" التي لا يقوى عليها الموت لأن الموت قد أُبيد تمامًا.

* والتكـوين الجديـد هـو صـورة المسـيح الحـي الغالـب والمصـلوب معـه "لأعرفـه وقـوة قيامتـه وشـركة آلامـه متشـبهًا بموتـه" (في ٣: ١٠)، وعلـى هـذا الـدرب سـار الآباءِ جميعًا، وهـو درب القيامة التي لا تجعلنا نحتقر الزواج ولا نمجّد البتولية على حسـاب الـزواج، بـل تجعلنـا نـرى الحيـاة الآتيـة: حيـاة الـدهر الآتي، الآن، أي تلـك التي نتلامس معها وتسري فينا "حسًا روحيًا" يمتد إلى أعماق الوعي والوجود كله.

* وفي التـدبير نحـن نـدخل شـركة الكنيسـة الجامعـة مـع القديسـين والرتـب الملائكيـة، ومـع هـؤلاء نقـف للتسـبيح، تجمعنـا الذبيحـة الواحـدة، أي ذبيحـة سـر الشكر التي تجمع أعضاء جسد الرب الواحد.

نعمة باقية مُعلَنة فينا جسدًا وروحًا، وطبعًا هناك من يشذ ويسقط ويجلب على الكل الدينونة لأنه لم يحيا كما يجب، بل تحول إلى أصل مرارة" (عب ١٢: ١٥)، وجلب العار على الجسد كله.

لـذلك قلـت في المقدمـة إن سـوء الفهـم لـه أكثـر مـن مصـدر واحـد، وسـوء القراءة يسبقه الشك: لماذا تظل العذراء بعد أن قال الانجيلي إنها مخطوبة، وكان هلفيديوس هو أول من فهم عبارة الانجيلي "قبل أن يجتمعا"، على أنها تعني أنها كانـت زوجـة؛ لأن المـلاك قـال ليوسـف "خـذ زوجتـك" ممـا يعـني حسـب القـراءة السطحية أن مريم المخطوبة صارت زوجةً بعد ذلك، وأنها عادت ليوسف كأي امرأة بعد الخطوبة.

شرح القديس جيروم:

بعد كلمات الملاك قام يوسف من النوم "وفعل كما أمره ملاك الرب وأخذ زوجته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر". يقول جيروم إنها "مخطوبة وأن الأسفار العبرانية كانت تسمي العذراء المخطوبة زوجة" (تث ٢٢: ٢٥)، ولذلك كان الاعتداء الجنسي على أي عذراء مخطوبة هو بمثابة اعتداء على زوجة (تث ٢٢: ٢٣ - ٢٤). ثم يقول "ولكي لا تُرجَم (مريم) حسب شريعة موسى كزانية قبِلها يوسف" (الفقرة ٣). ويضيف: "وفي أثناء الهروب إلى مصر كانت (مريم) ستجد العزاء في أن لها عائلًا لأنه من كان يصدِّق في ذلك الوقت بالذات أنها حبلى من الروح القدس وأن الملاك جبرائيل جاء وبشرها بقصد الله؟

ومن عبارة القديسة مريم عن حبلها كما وردت في الانجيل "كيف يحدث هذا وأنا لست أعرف رجلًا" يجب أن تشرح لنا معنى كلمات العذراء بعد ذلك "يا ابني لماذا تعاملنا بهذا الشكل؟ هوذا أنا وأبوك كنا نفتش عليك". ويقول جيروم إن يوسف دُعي أبًا لكي يحمي سمعة مريم، فهو لم يكن أبًا للمخلص (فقرة ٤) لأن يوسف كان يريد أن "يخرجها"، أي يرسلها لأهلها، ولكن الملاك جبرائيل أخبره بأن الذي في بطن العذراء هو من الروح القدس.

وماذا عن عبارة " لم يعرفها حتى ولدت"؟ يقدم القديس جيروم عدة اقتباسات من الاسفار المقدسة عن معنى "حتى"، ويقول: "تقول كلمة الله في التكوين (٣٥: ٤ س) إن النساء أعطين ليعقوب كل الآلهة الغريبة (تماثيل) التي كانت في أيديهن والأقراط التي في آذانهم، فطمرها يعقوب تحت البطمة في شكيم ولا زالت مدفونة حتى هذا اليوم" وفي خاتمة سفر التثنية "فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب .. ولم يعرف إنسان قبره حتى هذا اليوم" (تث ٣٤: ٦). ويجب أن نفهم أن عبارة "حتى هذا اليوم"، أي يوم كتابة سفر التثنية، سواء كنت تعتقد بأن موسى هو كاتب التوراة أم أن عزرا هو الذي جمع التوراة وحققها. وفي كلتا الحالين –وحسب النص– يجب أن نفهم أن عبارة "إلي هذا اليوم أو حتى هذا

اليوم" تشير إلى زمان الكتابة أو نشر التوراة. وكم من سنوات عبرت وظلت الأوثان مدفونة تحت شجرة البطمة، وكذلك لا زال حتى هذا اليوم قبر موسى لم يُكتشف. ولا داعي للعناد بأن كلمة "حتى" تفيد أن الأوثان وجدت وأن قبر موسى اكتُشِف بعد كتابة التوراة.

هل عرف يوسف القديسة مريم كزوجة بعد ذلك؟ يجيب جيروم: إن الرجل الذي لم يعرف مريم بسبب بشارة الملاك وحضور الرعاة ثم المجوس وسمع من الرعاة أن المولود هو "المسيح الرب"، وكذلك "المجد لله في الأعالي .."، ثم رأى كيف حمل سمعان الشيخ الطفل يسوع وبارك الله وقال "الآن يا رب اطلق عبدك بسلام .. لأن عيني قد أبصرتا خلاصك". وعندما شاهد حنة النبية وسمع ما قالت يسأل جيروم: يا هلفيديوس هل أنت تريد منا أن نؤمن بأن يوسف بعد كل هذه الأمور الفائقة جدًا كانت لديه الشجاعة لأن يمس هيكل الله والدة الإله حيث حلَّ الروح القدس؟ ألم تحفظ مريم كل هذه الأمور في قلبها. أنت لا يمكن يا هلفيديوس أن تنكر هذا على الأقل بسبب الخجل لأن لوقا يقول "وكان أبوه وأمه يتعجبان من هذه الأمور التي قيلت عنه" (فقرة ٨).

أخوة الرب:

هل حبلت القديسة مريم من يوسف وأنجبت الذين دعاهم الإنجيل في أكثر من موضع أخوة الرب؟ يجيب جيروم: "كل بكر هو المولود الأول، ولكن ليس كل مولود أول هو البكر؛ لأننا نفهم أن البكر ليس فقط من جاء بعده أخوة، بل أيضًا من لا إخوة له لأن الرب يقول لهارون "كل من يفتح رحم لكل جسد يقدَّم للرب للإنسان والحيوان هو لك أما المولود البكر للإنسان فهو يفتدى والمولود الأول للحيوانات الطاهرة أنت تفديها". كلمة الرب تحدد أن البكر هو كل من يفتح رحم. والادعاء بأن يعقوب ويوسي أخوة الرب (متى ١٢: ٤٦ – يوحنا ٢: ١٢ وغيرهما)، من مريم هو ادعاء هلفيديوس، ولكن حسب لوقا فإن مريم أم يعقوب (٢٤: ١٠)، ويمكن من هذا أن نستنتج أنها أم "يوسي أيضًا لأن

يعقوب الصغير هو غير يعقوب الكبير، لأن يعقوب الكبير هو يعقوب بن زبدي لأن مرقس يقول "مريم المجدلية ومريم أم يوسي" (مر ١٥: ٤٧ — ١٦: ١) وهؤلاء كانوا عند الصليب، وعند دفن الرب أيضًا، ولكن مريم أم يسوع كانت هي أيضًا عند الصلب والدفن حسب يوحنا (يوحنا ١٩: ٢٥). من هذا يبدو واضحًا أن هناك تلميذين كلاهما حمل الاسم يعقوب: يعقوب بن زبدي، ويعقوب بن حلفا، ولم يدعى يعقوب الصغير بن مريم في العهد الجديد. ويمكن أن نستنتج من هذا أن مريم أم يعقوب الصغير هي زوجة حلفا، وهي أخت مريم أم الرب (فقرة ١٤). لم ننقل كلمات القديس جيروم بل نقلنا الرد مختصرًا.

الابن الوحيد للآب والابن الوحيد للقديسة مريم:

ختامًا أمام أيقونة الحياة الجديدة من الضروري أن نتذكر أن التعليم غير المتجسد في حياة البشر هو ليس تعليمًا مسيحيًا، بل فكرًا عابرًا لا أصل له في الكيان الإنساني. لقد جاء الرب يسوع ليس بفكر جديد، بل بحياة تلد الفكر، وبمحبة هي قوام الحياة، والحياة هي شركة في حياة الله الآب من خلال أو بواسطة الرب نفسه.

وحفظ البنوة كابن وحيد للآب، هو الذي حفظ الحياة الجديدة التي نالتها "الممتلئة نعمة" والتي اختبرت ولادة الله الكلمة لكي تعلو بالحبل وبالولادة وبواسطة "روح الله" الذي حلَّ عليها، أي تعلو على ما تطلبه الطبيعة البيولوجية لكي تصبح أيقونة الحياة الجديدة الناهضة من سقوط عدن إلى قيامة الحياة الجديدة التي كانت هي نفسها أول من ذاقها في اللحم والدم.

الذين ينكرون بتولية القديسة مريم يحولون دعوة الإنجيل إلى دعوة أخلاقية أرضية تخلو من السمو السمائي الإلهي الذي جاء به الرب وغرسه فينا نحن.

حاشية

المسيح له المجد -بالتجسد- صار الأخ البكر لكل إنسان، وهي نقطة هامة في تفنيد البدعة النسطورية عند القديس كيرلس الكبير (مقالة ٣: ٢ وشرح يوحنا ١: ٩). ويقول القديس كيرلس السكندري: "لم يصعد المسيح ويقدم نفسه لله الآب كإله لأنه كان وهو دائمًا يكون مع الآب .. ولكنه صعد كإنسان وهو عملٌ جديد وفائق ولا مثيل له لأن الكلمة منذ الأزل لم يكن له جسد بشري، ولكن عندما صعد يسمع هو ذاته كابن متجسد "اجلس عن يميني" (مزمور ١١٠: ١) وينقل مجد البنوة νίοθεσίας لكل الجنس البشري من خلاله .. قد أُستعلن كإنسان لكي يُجلسنا معه مرةً أخرى على يمين الآب .." (شرح إنجيل يوحنا ٩ مجلد ٢: ٤٠٤).

أُم النور والدة الإله أيقونة الحياة الجديدة[1]

يسميه شعبنا في صعيد مصر صوم الـ ١٥ يوم، وفي قريتنا الكوم الأخضر — مغاغة، يصوم معنا المسلمون تكريمًا واحترامًا .. ويأتي الصوم كل عام "ونهضة العذراء" تصبح الشغل الشاغل للآباء الكهنة وغالبية الشعب لا سيما في الكنائس التي بُنيت تكريمًا لها، أو كما نقول: "على اسمها". وترتفع نبرة الفتاوى حول طريقة الصوم، ولكن في قريتنا كانوا وربما لا زالوا يصومون على الماء والملح والخبز فقط، فهي ١٥ يومًا لا غير.

الأساس اللاهوتي والتقوى الشعبية:

أتشفع بك يا أم النور من أوهام التقوى الشعبية، وشفاعتك هي حضورك المتألِّه المجيد كعضو في جسد المسيح الكنيسة، نقدِّم له البخور في "دورات البخور"، وأمام الأيقونة للملكة التي تجلس "على يمين الملك" في وليمة الإفخارستيا كشاهد حقيقي على تجسد ابن الله من امرأة (غلا ٤: ٤ — ٦)؛ لأنك الشاهد على تحررنا من الولادة البيولوجية من آدم الأول.

"تأنس لكي يؤلهنا في ذاته وولد من امرأة عذراء لكي ينقل إلى كيانه جنسنا العاصي لكي نصبح جنسًا مقدسًا وشركاء الطبيعة الإلهية كما كتب بطرس المبارك" (القديس أثناسيوس الرسولي، الرسالة إلى أدلفوس ٤ – راجع ايضًا ضد الأريوسيين ٣: ٣٣).

"عندما نقف في هيكلك المقدس، فنحن مثل الواقفين في السماء"، لقد دخلنا الحياة الجديدة، ولذلك نصلي: "يا والدة الإله أنت هي باب السماء. افتحي لنا باب الرحمة". والعبارات يعرفها من ذاق حلاوة التجسد، فقد جاء

([1]) بمناسبة صوم العذراء مريم، مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في أغسطس ٢٠١٥.

الابن ليس كفكرة، ولا في كتاب، بل في اللحم والدم "تجسد وتأنس"، ودعانا إلى الوليمة السمائية التي يجلس هو فيهًا ملكًا وعن يمينه الملكة، ولكن قبل الدخول إلى الوليمة ندخل من باب السماء، أي بواسطة تجسد ابن الله الذي دخل إلينا متجسدًا لكي تفتح لنا تلك التي ولدته باب الرحمة، أي لكي يكون شركة حقيقية في المتجسد لأجلنا؛ لأن الطلبة خاصة بالساعة الثالثة، وهي عودتنا إلى شركتنا في الروح القدس، فقد سبق هذه الكلمات أشهر طلبة في كل الكنائس الأرثوذكسية: "أيها الملك السمائي المعزي روح الحق الحاضر في كل مكان والمالئ الكل ... هلم تفضل وحل فينا وطهرنا ϣⲱⲡⲓ Ⲛ̀ϧⲏⲧⲉⲛ والحلول فينا يعني "طهرنا من كل دنس أيها الصالح وخلص نفوسنا".

تطرف أصحاب المذهب الإنجيلي له وقع شديد الوطأة على آذان البسطاء، فقد فصلوا أم النور عن الرب يسوع نفسه، ولذلك يقف يسوع وحده ويتحول الوعي، لا في الحقيقة، إلى فكرة. كما أن الذين يتطرفون من الأرثوذكس يفضلون أُم النور عن الرب والمخلِّص لأنهم خطاة لا يستحقون، ولكن الحقيقة الإلهية الثابتة هي:

– الرأس

– والأعضاء.

رأس الجسد الواحد والأعضاء الذين نالوا تكريمًا إلهيًا وتألَّهوا بالوجود في "سحابة الشهود" (عب ١٢: ١)، وسحابة الشهود هم الذين دخلوا سحابة تجلي رب المجد ربنا يسوع المسيح في مجده الذي استُعلِن على جبل طابور، والذي دخله الذين عاشوا معه وله، أي سحابة الروح القدس، تلك التي نراها سريًا عندما يخرج الكاهن بالشورية قبل قراءة الانجيل ليقول:

+ مبارك الآتي باسم الرب (وهو قبول موكب ابن الله).

+ فلنسبح الرب لأنه بالمجد قد تمجد (تسبحة عبور الشعب بعد هلاك فرعون، وهي ترنيمة الانتصار).

هذا الزخم الوافر يضعنا في قلب وليمة الملكوت، ولذلك جاء لحن "افرحي يا مريم .."، وكان ردًا على بدعة نسطور، ولكنه كان يعبِّر عن حضور الشاهد الحقيقي أُم النور الكرمة الحقيقية التي ولدت يسوع الكرمة الحقيقية. والكرمة واحدة، وهي الانتماء الحقيقي للجنس البشري الواحد، فلا توجد كرمة اسمها مريم، وأخرى اسمها يسوع، بل كرمة واحدة رأسها يسوع وكل عضو هو جسد يسوع؛ لأن يسوع لا ينقسم، وكل غصن في الكرمة هو كرمة، فقد نمت كرمة مار جرجس ومار مينا والعظيم أنطونيوس والرسولي أثناسيوس، ولم تمت كرمة الكبير خاتم الآباء كيرلس الأول عمود الدين ... لا تقسيم، ولا طبقات عليا وأخرى سفلى؛ لأن الجسد واحد، ومكان كل عضو لا يزاحمه فيه عضوٌ آخر، ولا توجد والدة إله إلَّا مريم أُم النور، ولكن لا درجات في ملكوت ربنا يسوع، ولا في تجسده؛ لأن مَن غسل أرجل التلاميذ -وهي جزء في جسم الانسان يحمل قذر الأرض- في ذلك الزمان، أحبنا ووهبنا حياته.

الشهادة للرحمة والمحبة:

الشهادة ليس مجرد كلمة تُقال، فهذا هو مستوى الأنبياء، ولكن مستوى التجسد هو استعلان الحق في اللحم والدم: "الذي كان في البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه ولمسته ايدينا من جهة كلمة الحياة" (١ يو ١: ١). جاءت الحياة، وفيها جاءت الكلمة التي تشهد لها؛ لأن الرسول كتب: "فإن الحياة أُظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا" (١يو ١: ٢).

نحن ندخل الوليمة من باب الرحمة الذي فُتح بتجسد الابن، وهو باب الطبيعة الإنسانية التي احتوت ما لا يمكن احتوائه، وهو رحم البتول.

وعندما تسبِّح الكنيسة الأرثوذكسية نعمة الحياة الجديدة، وتقول عن أُم النور:

"لأن بطنك صارت أرحب من السموات"،

فالمقارنة هنا ليست مقارنة كم بكم، بل الكلام هنا عن اتساع عمل النعمة الذي جعل الابن يتجسد، فصارت رحابة بطن البتول أوسع من السماوات؛ لأن السماوات لا تقاس بالطول والعرض والارتفاع، ولكن السماء كانت مثل المرأة العاقر (غلاطية ٤: ٢٧)؛ لأنها لم تلد أحدًا، ولم يدخلها أحد حتى جاء عمانوئيل ووُلِد من امرأةٍ، فصرنا جميعًا أولاد الحرة أورشليم العليا حيث تمت فيها ولادتنا الجديدة.

لـــذا

+ "سلامٌ لكِ يا أُم النور الشاهد على ولادتنا الجديدة؛ لأن الذي وُلِدَ منكِ بلا زرع بشر، فتح رحم الروح لنولد من فوق".

+ "السلامُ لكِ يا شاهدة على مجد الخليقة الجديدة الآتية من عند الآب؛ لأن المولود قبل كل الدهور وُلِدَ منكِ لكي يحررنا من الولادة الآدمية بالميلاد الجديد".

+ "السلامُ لكِ يا هيكل الحياة الجديدة، والبطن الذي وَلَدَ لنا الحق؛ لأن الذي تجسَّد منكِ جعلنا هيكل الروح الذي حلَّ عليكِ ليسكن فينا روح الحق".

+ "السلامُ لكِ يا أُم الحياة؛ لأن الحي والمحيي وُلِدَ منكِ لكي يعطي لنا شركة في حياته. أخذ منكِ الناسوت وحوَّله إلى مكان استعلان الحياة، وهيكل الحياة الجديدة".

+ "السلامُ لكِ يا شفيعة الكنيسة؛ لأن أعضاء جسد ابنك الذي ولدتيه هم موضع محبتك واهتمامك؛ لأنك أرضعت ابنك لكي ينمو ويصير رأسًا للجسد".

+ "أنت الملكة الحقيقية؛ لأن كل الملوك قد زالت كراسيهم، أمَّا أنت الجالسة عن يمين الملك، فتملكين مُلكًا سماويًا حقيقيًا لا يزول، وتصلين لأجلنا لكي ننال ذات المجد الذي وُهِبَ لكِ".

لمحاتٌ إلهية في التسبحة الكيهكية[1]

(١)

يا مريم أنا عبدك

لا أدري ما هي أسباب الشك في أصالة تراثنا الليتورجي. على السطح تطفو أفكار ومعتقدات غير مسيحية، قبل أن تكون غير أرثوذكسية. وهذه الأفكار وتلك المعتقدات وفدت علينا من توحيد سلبي قطع كل أوصال الشركة مع الله، إضافةً إلى رفض العودة – عن جهلٍ – إلى اللغة اليونانية والقبطية.

وتدليلًا على ما قلناه بشأن اللغة؛ يمكننا أن نرى أن هناك العديد من الكلمات اليونانية في العهد الجديد التي ترجمت بكلمة واحدة، ونأخذ مثالًا لذلك كلمة "عبد".

لغويًا، وردت كلمة "عبد doulos — δοῦλος" ٥٦ مرة في الأناجيل الأربعة و٢٣ مرة في رسائل القديس بولس، أي ٧٩ مرة يضاف اليها ١٥ مرة في الرسائل الجامعة وسفر الرؤيا.

فالكلمة مستخدمة بوفرة. وقد استخدم الرب يسوع هذا الوصف بمرجعية اجتماعية سائدة في مجتمع كان البشر فيه عبيدًا يباعون "ليس عبد أعظم من سيده .. ويكفي أن يكون العبد كسيده" (متى ١٠: ٢٤ – ٢٥)، وفي أمثال الملكوت، الأشخاص البارزون هم "العبيد" (راجع على سبيل المثال متى ٢٨: ٣٢ ، ٢١: ٣٥ – ٣٦)، بل يقول الرب يسوع: "نعمًا أيها العبد الصالح والأمين" (متى ٢٥: ٢٣، وراجع أيضًا لوقا ١٢: ٣٧ ، ١٤: ١٧). ومع أن الرب قال

[1] مقالان منشوران على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ديسمبر ٢٠١١.

للتلاميذ: "لا أدعوكم بعد عبيدًا لأن العبد لا يعلم إرادة سيده" (يوحنا ١٥: ١٥) إلاَّ أن الآباء الرسل قالوا عن أنفسهم: "أعطي عبيدك أن يتكلموا بكلامك بكل مجاهرة" (أع ٤: ٢٩). ووصف بولس نفسه بأنه "عبد يسوع المسيح" (رو ١: ١)؛ فقد نقل تجسد الرب المعنى الاجتماعي السائد إلى المعنى الخاص بالملكوت، وهو الإنسان الذي لا يملك مصيره ولا حتى حياته، بل هو مِلْكٌ لله في ملكوته السماوي مثل ملكية السيد للعبد، مع فوارق كثيرة، وهي أن العبد سوف يكون مثل سيده حسب قول الرب يسوع نفسه، وفي هذا الإطار بالذات يصف رسول المسيح بولس تلميذه تيموثاوس وغيره من الخدام بأن أي واحد منهم هو "عبد للرب" (٢ تيمو ٢: ٢٤).

والكلمة الثانية هي διάκονος - diakonos ومع أن الترجمة العربية الشائعة هي "خادم"، إلاَّ أن الجانب الاجتماعي في زمان الرب بالجسد وفي العهد الجديد كان الخادم diakonos هو في الحقيقة "عبد"؛ لأننا كما نعرف من اللغة اليونانية نفسها كان هناك الأجير μισθιος - Misthios وقد استُخدمت هذه الكلمة مرة واحدة في مثل الابن الضال (راجع لوقا ١٥: ١٧ — ١٥: ١٩) كما وردت أيضًا بخصوص صائدي الأسماك المساعدين لأسرة زبدي؛ لأن يعقوب ويوحنا "تركا إياهما في السفينة مع الأجرى وذهبا وراء الرب يسوع" (مرقس ١: ٢٠).

وهناك الخادم الذي يعمل بصورة مؤقتة، وهو θεράπον - Therapon وفي العهد الجديد هذا الخادم الذي لا تدوم خدمته هو موسى (عب ٣: ٥).

طبعًا اللغة العربية لا تعرف الكلمة اليونانية οικέτης - oiketes وهو خادم، وأيضًا عبدٌ خاص بخدمة البيت لا علاقة له بالحقول والمزارع، وقد استخدم الرسول بولس الكلمة عن خدام = عبيد الخدمة في (رو ١٤: ٤). "من أنت الذي تدين عبد غيرك. هو لسيده يثبت أو يسقط. ولكنه سيثبت لأن الله قادر أن يثبته" فالعبارة خاصة بمن يخدمون. ولذلك قال الرب عن خدام بيته، أي الكنيسة: "لا يقدر عبد أن يخدم سيدين" (لوقا ١٦: ١٣).

والعبد، أي الخادم الذي يساعد سيده ويلاصق السيد بصفة خاصة ويدافع عنه يشبه "الخفير" في نظام القرى ὑπηρέτης - Hyperetes واستخدم الرب هذه الكلمة في اثناء محاكمته وقال: "لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أُسلم إلى اليهود" (يوحنا ١٨: ٣٦)، ونفس المعنى نجده عند الرسول بولس (١ كو ٤: ١).

وكان صغار السن يباعون عبيدًا ويخدمون في سن مبكرة، ولذلك يوجد تداخل في استخدام الكلمة اليونانية παις - Pais لأنها خاصة بما يُعرف في العربية باسم "الفتى"، أي الشاب الصغير السن، وهو أيضًا خادم — عبد — فتى، ولذلك يجب أن نقرأ نبوة أشعياء بطريقتين: الأولى عبدي وهو الخادم الصغير السن، والثانية فتاي، وهي ذات الكلمة وذات المعنى "هوذا فتاي الذي اخترته ..." (متى ١٢: ١٨).

الملك — العبد يسوع المسيح:

يقول رسول المسيح عن ربنا يسوع: "الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب مساواته لله اختلاسًا بل أخلى ذاته وأخذ صورة (شكل العبد – doulos)" (فيلبي ٢: ٦). هكذا جاء تجسد الرب بانقلاب تام في كل العلاقات الإنسانية — الإنسانية، والعلاقات الإلهية — الإنسانية.

لا تجد كلمة "العبد" بمعناها السائد في اللغة العربية؛ لأن الرسول يقول: "من دُعي في الرب وهو عبدٌ، فهو قد صار حرًا أي عبدًا عُتق أو عتيق الرب" (١ كو ٧: ٢٢). وهذه سهلة علينا؛ لأن العبد صار عتيق الرب، ولكن بعد ذلك مباشرة يقول، ولاحظ استخدام كلمة "كذلك"، فهي تمهد لقياس آتٍ "كذلك أيضًا الحر المدعو هو عبد للمسيح" كيف؟ والإجابة من ذات كلمات الرسول: "قد اشتُريتم بثمنٍ (مبني للمجهول) فلا تصيروا عبيدًا للناس. ما دعي كل واحد فيه — أيها الأخوة — فليبقى في هذه الدعوة مع الله" (١ كو ٧: ٢٤).

خضوع المحبة الطوعية، التخلي الطوعي عن القوة، تحول القوة للخلاص والخدمة،

ثم تجلي الطاعة في شركة الأقانيم الثلاثة، حيث لا أكبر ولا أصغر، بل جوهر واحد للكل ... هذه الشركة الجديدة هي أساس كل شيء في العهد الجديد. وقد نقل تجسد الملك يسوع هذه الشركة إلى التدبير، فصار الخلاص شركة، وصارت السرائر شركة، السر الوحيد للفرد هو المعمودية وهو مدخل الشركة، فلم يعد لدينا عضوٌ في جسد المسيح يخلص وحده بدون الباقين؛ لأنه بعد لحن الايمان الفريد في (عبرانيين اصحاح ١١) ينتهي اللحن بعبارة لا يجب أن تضيع تحت ضغط الثقافة الاسلامية التي تُعلِّم بنجاة كل فرد على حدة من "سعير النار"، بل عندنا ملحمة الايمان: "هؤلاء كلهم مشهودًا لهم بالإيمان (راجع الأسماء. لم يكونوا كلهم من اصحاب الأخلاق الجيدة أو الأنقياء) لم ينالوا الموعد. إذ سبق الله فنظر إلينا شيئًا أفضل لكي لا يكملوا بدوننا" (عب ١١: ٣٩). ولن يكون هناك فرح بال ٩٩ بارًا عندما يكون الواحد الباقي لا يزال بعيدًا عن الحظيرة.

المديحة:

"يا مريم أنا عبدك" ... هل هو الخادم، أم العبد مع مريم "العبدة" التي قالت "هوذا أنا عبدة الرب" (لوقا ١: ٣٨)؟

"موسوم باسم ولدك"، أي مختوم باسم يسوع المسيح. ومن الآثار المسيحية القديمة نعرف أن اسم المسيح χριστος يبدأ بحرف χ وهو أقرب الحروف الى الصليب † ولذلك الختم في رشومات الميرون هو بعلامة الصليب للتقارب بين حرف χ واسم المسحة. فالذي يقول: "أنا عبدك" هو الذي يقول: أنا مختوم بالروح القدس باسم المسيح، والباقي هو: لقد نِلتِ نعمة يا عبدة الرب، لذلك لن يكمل فرحك بدوني؛ لأنني -كما نرى من باقي المديحة - إنسانٌ يصارع في هذه الدنيا.

"يا مريم دهري فات .. وأنا تائه في غفلات"[١].

"إبليس حَسَّن لي آفات .. وحلاَّها في عيني".

([١]) وعندما نقول "فيكِ سكن الديان" ... فهذه أقوى عبارة تُقال عن تجسد ابن الله الديان الذي سكن في إنسان كي يبطل الدينونة (رو ٨: ١).

تقوى شعبية مليئة بالرجاء وطلب المصير الواحد الذي يربطنا معًا برباط المحبة.

وهنا أنبه إلى أنه لو استقرت الحقائق الأساسية في الأرثوذكسية في وعي الذين يسألون عن ألقاب القديسة مريم، ونقلنا هذه الألقاب إلى الحياة الكنسية كما هي في الأرثوذكسية، لَمَا وجدنا مشكلة في كلمات المديحة، ولكن يجب أن تستقر تلك الحقائق في أذهاننا أولًا، وهي بالتحديد:

١- لا يوجد درجة أولى ودرجة ثانية في الكنيسة؛ لأن الكنيسة جسد المسيح الواحد. والتعليم الرسولي يقول: "أعضاء الجسد التي نحسب أنها بلا كرامة نعطيها كرامة أفضل، والأعضاء القبيحة فينا لها جمال أفضل ... الله مزج الجسد معطيًا الناقص كرامة أفضل" (١كو ١٣: ٢٣ - ٢٤). وفشلنا في هذا ظاهر من التقسيمات التي خلقها الفكر السياسي والتراث الشعبي الاجتماعي — وأترك هذا لضمير كل قارئ، قد لا يرى أنه هو صاحب هذه الاعتراضات: كيف أكون عبدًا أي خادمًا؟ إن شهادتنا عن تجسد الرب ذات وجهين: الأول هو حقيقة التجسد، والشاهد على ذلك هو والدة الإله. والوجه الثاني هو أنا وأنت أيها القارئ؛ لأننا نخدم هذا السر مثل "عبد البيت" Hyperetes الذي يلازم سيده ويخدم بكل أمانة.

٢- الكنيسة جسد واحد هو جسد المسيح، والقديسة مريم والملائكة والشهداء ليسوا في مكانٍ آخر خارج هذا الجسد ... فـ"الشيرات" التي تُقال في التسبحة هي تحية وسلام لمن هم معنا: السلام للشاروبيم والسارافيم ... وبقية رتب السماء الذين نحن ندخل عندهم لأنهم هم مع الرب كل حين، ونحن في الليتورجية نأتي إليهم وليس العكس .. السلام للكنيسة بيت الملائكة وبيت الحمامة، أي الروح القدس .. والكلام هنا ليس عن المبنى وحده الذي هو علامة منظورة، بل أيضًا عن سكنى الله مع شعبه.

ليت أصحاب هذه الاعتراضات يستطيعون التخلص من "عُقد" العصر الوسيط، فنعرف أن القول بأن مار جرجس أقرب إلى المسيح من أي خاطئ = أن المسيح لم يمت عن الخطاة. وعندما يقول أحد هؤلاء المعترضين إن الصلاة بدون

شفاعة القديسة مريم باطلة، فكأنه يقول دون أن يدري: لقد فقدت عطية التبني ولم أعُد ابن الله في يسوع المسيح (غلا ٤: ٤).

ترتيب التدبير، أي طقس الإيكونوميا:

لعل ما يغيب عن إدراك البعض أن للصلاة — تسبحةً كانت أو قداسًا – ترتيب أو طقس، وهو يبدأ:

أولًا بالسجود الثالوث والاعتراف بوحدة الجوهر، والأمثلة على ذلك كثيرة: تسبحة باكر:

"نسجد للثالوث القدوس".

"السلام للكنيسة بيت الملائكة".

وثانيًا: بعد السجود للثالوث القدوس – **في التسبحة** – حسب التدبير، تجيء والدة الإله، ثم يأتي ذكر السمائيين.

"السلام للعذراء التي ولدت المخلص".

"السلام لغبريال الذي بشرها".

إن ما يجمع هذا الترتيب هو الثالوث الذي أرسل الابن الذي تجسد، فصار تجسده هو أساس الكنيسة بيت الملائكة، ولذلك نقول: "السلام للشاروبيم".

وثالثًا: وبعد ذلك – حسب الترتيب – يجيء يوحنا المعمدان الذي عمَّد الرب وبداية العهد الجديد، ويجيء من بعده مؤسِّس الكنيسة.

هنا ملامح التدبير ليست مجرد عرض لتاريخ الخلاص الذي يبدأ بالثالوث، ولكن المصلي أو الجماعة نفسها التي ترتل وتقول: "السلام .... χερε" هي في ذات الوحدة الجديدة التي لها رأس واحد هو يسوع المسيح ربنا (أفسس ١: ١٠).

رابعًا: وبعد ذلك يجيء ذكر الشهداء، ثم شهداء المحبة الإلهية "لُبَّاس الصليب"(١).

أمَّا في **القداسات**، فالأمر يختلف قليلًا، حيث لا تظهر والدة الإله بالمرة في تحليل الخدام؛ لأن الذي يعطي التحليل هو من نال نعمة الكهنوت.

"عبيدك خدام هذا اليوم ... الثالوث القدوس – الاثنى عشر رسولًا – مار مرقس وآباء المجامع المسكونية الثلاث. طبعًا لأن القديسة مريم لم تنل نعمة الكهنوت فهي لا تُذكر في تحليل الخدام.

ولكن في رفع بخور باكر، بعد طلب قوة الخلاص والبقاء تحت حماية وستر الصليب(٢) يطلب الكاهن: السؤالات والطلبات التي تصنعها عنا كل حين سيدتنا وملكتنا كلنا (لأننا جميعًا ملوكًا وكهنة رؤ ١: ٦، ٥: ١٠) والدة الإله القديسة الطاهرة مريم. وأقول لمن لا يعرف الترتيب، إن التمييز بين الكلمات القبطية ⲧⲱⲃϩ وشفاعة ⲡⲣⲉⲥⲃⲓⲁ والاحتفاظ بكلمة شفاعة لوالدة الإله لم يرد في صلوات الكنيسة، ولذلك مراجعة نص بركة بخور باكر ضرورية(٣).

ولاحظ أيضًا أنه في يوم الأحد يقول الكاهن: "بركة يوم الرب الذي لمخلصنا الصالح"، أي بركة القيامة .. ويتوج كل هذا: "أيها المسيح الهنا يا ملك السلام. أعطنا سلامك. قرر لنا سلامك، واغفر لنا خطايانا".

وحسب احتفالنا، نعود بالصلاة الى أساسها اللاهوتي:

+ "يا ربي يسوع المسيح المولود من الآب قبل كل الدهور.
ارحمنا كعظيم رحمتك"(٤).

---

(١) تعبير القمص مينا المتوحد (قداسة البابا كيرلس السادس).

(٢) تعبير القمص مينا المتوحد (قداسة البابا كيرلس السادس)، حيث يقول الكاهن في البركة الأولى: "الله يترأف علينا ويباركنا ويُظهر وجهه علينا ويرحمنا. يا رب خلص شعبك. بارك ميراثك. ارعهم وارفعهم إلى الأبد. ارفع قرن المسيحيين بقوة الصليب المحيي".

(٣) "الله يتراءف علينا ويباركنا .... بالسؤالات والطلبات التي تصنعها عنّا كل حين ملكتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم".

(٤) راجع بدء البركة في صوم الميلاد.

وتتغير هذه الكلمات حسب المناسبات الكنسية، ولكنها كلها تعود الى أساس واحد:

+ "يا ربي يسوع المسيح المولود من الآب ... الذي تجسد ... في بيت لحم ... حتى خلصنا من خطايانا ... الذي يضيء لكل إنسان ... أنر عيون قلوبنا، وانعم علينا ببركة الميلاد البتولي (نعمة المعمودية)"[1].

وذلك لأن الرب يسوع وُلِدَ من العذراء بالروح القدس لكي ننال نحن الميلاد من الماء والروح.

ثم في عيد معمودية الرب (عيد الغطاس) لاحظ قوة تعبير الصلاة.

+ "يا يسوع المسيح الابن الوحيد وكلمة الله الآب، الذي تعمَّد في الأردن من يوحنا المعمد وطهَّر جميع المسكونة (وهو عمل الابن الكلمة) طهِّرنا من كل فكر رديء وكل سيرة دنسة وكل حواس مملوءة عيبًا بالسؤالات والطلبات التي تصنعها عنا كل حين سيدتنا كلنا السيدة والدة الإله القديسة الطاهرة مريم ...".

هنا يجب أن يكون لدينا الوعي الأرثوذكسي الصحيح، وهو أن كل ما يخص الخلاص وتطهير القلب أو الاستنارة أو غفران الخطايا هو عمل الثالوث، وبشكل خاص هو عمل الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح ولا يشترك فيه أحد آخر ولا حتى والدة الاله.

وحتى عندما نصلي: "بشفاعة والدة الإله القديسة مريم. يا رب انعم لنا بغفران خطايانا"، وغيرها من عبارات أخرى، فإن الطلب هو للرب يسوع المسيح وحده: "لأنك أنت هو ضياء نفوسنا وغفران خطايانا".

تحليل الخدام والمجمع:

لدينا صلوات حارة مثل "المجمع" في صلاة نصف الليل، قال القمص مينا

---

(1) راجع بدء البركة من عيد الميلاد إلى الغطاس.

المتوحد عنها إنها: "الطلبات التي تزرعنا في الكنيسة الجامعة مع كل القديسين". كذلك أيضًا المجمع في أثناء صلوات الذبيحة الالهية وبعد التقديس، وهو حسب ترتيب التدبير جزء من صلوات وابتهالات الكنيسة، ليس كما يقول السذج والبسطاء لأن المسيح على المذبح ولذلك ننتهز الفرصة للصلاة، بل لأن هذه الصلوات التي بدأت بتحليل الخدام ودخولنا النار الإلهية[1] فإننا نصير "الجسد الواحد"؛ لأنه بعد استدعاء الروح القدس وقد صار استعلان جسد الرب ودمه؛ لأن الرب جعل الخبز جسده والخمر دمه[2] فإن الصلاة تؤكد أن ما سيأتي هو ما تطلبه الكنيسة:

> "اجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا أن نتناول من قدساتك طهارة لأنفسنا .. لكي نكون جسدًا واحدًا وروحًا واحدًا ونجد نصيبًا وميراثًا مع جميع القديسين الذين أرضوك منذ البدء. اذكر يا رب سلامة كنيستك ...".

وباقي الطلبات هي من أجل الوصول إلى هذه الوحدة مع كل القديسين؛ لأن تناولنا هو الذي يجعلنا نطلب سلامة الكنيسة "هذه التي اقتنيتها لك بالدم الكريم الذي لمسيحك .."، وهو ذات الدم الذي سوف نأخذه من كأس العهد الجديد الأبدي (عبرانيين ١٣: ٢٠). وبعد ذكر كل الذين هم في الكنيسة، نصل إلى محور الوحدة الكاملة لجسد الرب:

> "اذكر يا رب الذين قدموا لك هذه القرابين
> الذين قدَّموها:................ الشعب
> الذين قدِّمت عنهم:........... الذين ذُكِروا في الصلوات
> الذين قدِّمت بواسطتهم:...... خدام المذبح

---

(1) كلمة الأب متى المسكين.

(2) "هذا الخبز يجعله جسدًا مقدسًا له" فلم يرد تعبير الاستحالة الجوهرية لأنه لاتيني، وله تاريخ معروف يعرفه من درس التاريخ ولكن سكين الجهل له مقاصد شريرة قطعني من شركة الكنيسة لمجرد انني ذكرت التاريخ المعروف وكتب صلواتنا القبطية تعرف "الاستحالة" ولكن وصف "الجوهرية" هو تعبير لاتيني عُرف في الغرب فقط تحت اسم Transubstantiation وأول من استخدمه هو الأسقف Hildebrt أسقف Tours (١١٢٣) وقبله مجمع اللاتران الرابع في ١٢١٥. ولكن الجهل له مرجعية واحدة وهي القطع.

وعندما نصل إلى هذا تأتي صلاة المجمع، وهي أولًا أمر الابن الوحيد "أن نشترك في تذكار قديسيك".

وتذكار القديسين، ليس ذكرى عقلية تأتي من الذاكرة وحدها، بل هي ذكرى الشركة الواحدة التي لنا مع كل هؤلاء؛ لأن بقية العبارة: "تفضل يا رب أن تذكر جميع القديسين .." ليس لأن الله ينسى، وإنما لأننا نشترك مع الله في ذات التذكار.

وهناك عبارة مماثلة في التسبحة السنوية تقال لقديس اليوم: "الرب يفرح معك في أورشليم السمائية"، تلك الوحدة تجعلنا نجمع الكنيسة كلها في الذبيحة الواحدة التي تجمع كل الذين على الأرض والذين في السماء تحت رأسٍ واحد هو ربنا يسوع المسيح.

ومن تحليل الخدام إلى المجمع (العبارات التالية هي للقمص مينا المتوحد أبي الروحي).

> "نأخذ التحليل من الثالوث والآباء الرسل ومار مرقس ومعلمي البيعة؛ لأننا على ذات الايمان ولا يجوز لنا أن نخدم السر السمائي إذا كان لنا إيمان مختلف عن هؤلاء؛ لأن شهادة هؤلاء هي التي تجعلنا ندخل خدمة المذبح السمائي ونقف معهم في ذات الهيكل الذي أقامه روح الرب، أي الروح القدس".

أمَّا عندما نصل إلى المجمع في القداس، فقد قال لي:

> "ولأننا شركاء مع الآباء وما قبل الآباء، بسبب تجسد مخلصنا الصالح من والدة الإله، فإننا نذكر هؤلاء؛ لأن الذبيحة سوف تجعلنا واحدًا معهم. جسد واحد (يا حبيب أبوك) ولنا شهادة واحدة هي ذات الشهادة؛ لأن تذكار القديسة مريم والآباء هو دخولنا إلى هذه الشركة. وحتى التماجيد هي ليست رشوة نقدمها للشهداء زي مار مينا، وإنما هي طلب أن نكون واحدًا معهم في ذات الجهاد من أجل القداسة".

ولعل ما يؤكد ما قلنا وما استلمته هو آخر صلوات القداس:

"فمنا امتلأ فرحًا ولساننا تهليلًا من جهة تناولنا من أسرارك الغير المائتة".

ولاحظ أن تعبير غير المائت = الإلهي، فنحن لا نأخذ يسوع المصلوب وحده بل المصلوب، والقائم، والحي، والجالس عن يمين الآب.

لقد أفسد لاهوت العصر الوسيط على كثيرين جمال الليتورجية عندما قسَّم المسيح إلى كفارة وفدية ..

"ما أعددته يا الله لمحبي اسمك القدوس"،

ولاحظ "أعلنته للأطفال الصغار الذين لبيعتك المقدسة".

واستعلان المسيح هو التعليم اللاهوتي الأرثوذكسي؛ لأن المسيح لا يُدرك بالعقل وحده، ولذلك نطلب أن "إِرسل علينا نعمة روحك القدوس" .. هكذا نتدرج في دخولنا السر حتى نصل إلى هذه الوحدة بالثالوث القدوس وبكل الكنيسة.

يا مريم أنا عبدك
أيتها الأم والعبدة
نحن نسيجٌ واحد
من لحمه وعظامه (أفسس ٥: ٢٩)
لا يوجد في النساء من هو أعظم منكِ
لا يوجد لسان قادر أن يمدحكِ
يكفي أن الله حلَّ في بطنكِ
ووُلِدَ منكِ بالروح القدس
فيا من تسهرين على جسد ابنكِ
هو لأجلك سهر في البستان
تشفَّعي في مصر،
في كنيسة مصر المجيدة،
أم الشهداء.

(٢)

تسبيح الكنيسة لتجسُّد الله الكلمة

لعل الفضل الأكبر يعود أولًا للأب القمص مينا المتوحد -قداسة البابا كيرلس السادس- أكثر مَن عرفته يصلي صلوات الكنيسة كلها، فهو صاحب المبدأ الذي عبَّر عنه في جملة قصيرة: "يا ابني اللاهوت كله في صلوات وتسابيح الكنيسة"، ثم ثانيًا لأستاذ تاريخ الليتورجيات الشرقية في جامعة كامبريدج راكلف الذي كان يقرأ القبطية والسريانية واللاتينية واليونانية كما يقرأ أي إنسان بلغته الأصلية. فقد كان عالمًا كبيرًا.

وهذه الصلوات ودراستها تحتاج إلى محبةٍ حقيقية واتضاع فكرٍ، وعدم التسرع في اطلاق الأحكام مع دراسة جيدة جدًا لكل ما دُوِّنَ من صلوات وأشعار بواسطة معلمي الإيمان في مصر وفلسطين وفارس واليونان وروما، فقد كان لدينا تراث جامعي، أي تراث الكنيسة الجامعة حتى القرن الخامس، ولكنه ضُرِب بالانقسام الحزين في ٤٥١ (مجمع خلقيدونية)، ثم بانقسامٍ آخر أكثر منه ضررًا، وهو انفصال الكنيسة الشرقية بكل ما لديها عن الكنيسة الغربية في القرن الحادي عشر، وفشلت محاولات الوحدة.

ولكن تحت رماد نار الانفصال **أولًا** ظلت حركات النسك والرهبنة في الشرق والغرب على صلة غير رسمية بنقل التراث النسكي، ثم دراسته وإعادة تقديمه أحيانًا دون الإشارة إلى مصدره. **ثانيًا** كانت هناك العودة الدائمة إلى كتابات الآباء ما قبل الانقسام، ولعل خير مثال هو شرح الأناجيل الأربعة (للقديس) توما الإكويني المعروف باسم السلسلة الذهبية الذي اعتمد فيه على مراجع يونانية كثيرة، ومخطوطات للقديس يوحنا ذهبي الفم لم تعد موجودة؛ إذ دمرت في أثناء الحروب، وظلت الترجمة اللاتينية لتوما الإكويني هي المرجع الوحيد الذي لدينا.

ما استلمناه من الصلوات والتسبيح:

لدينا كثافة لا مثيل لها في أي تراثٍ معاصر، يتمثل في اجتماع أحداث العهد القديم مثل الخروج – المن والسلوى – الماء من الصخرة، ويسبق هذا، اليوم الأول، يوم النور، الذي بعد أن تكتمل أيام الخلقة الستة ويأتي السبت، يصبح اليوم الأول هو اليوم الثامن، وهنا لا ينام الوعي الكنسي، بل يرى أن إشراق النور في اليوم الأول: "الله الذي قال أن يخرج نورٌ من الظلمة (اليوم الأول) هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح" (١ كو ٤: ٦). فالنور هو محور الإصحاح الأول في إنجيل يوحنا، وهو لا زال القراءة الإنجيلية شرقًا وغربًا في كل صلوات الصباح عند إشراق النور. والنور هو تجسد ابن الله (يوحنا ١: ١ وما بعده)، ولا تزال ذكصولوجيات باكر تحفظ الترتيب الكنسي القديم جدًا:

"أيها النور الحقيقي الذي يضيء لكل إنسان آتٍ إلى العالم"،

ولاحظ:

"أتيت إلى العالم بمحبتك للبشر".

وفي عشية الأحد يقال[1]:

"أنرني يا الله بنور لاهوتك ..".

وفي المعقب على الإبصالية:

"ما هو هذا السر القوي:
إن الله أرسل ابنه من أجل صلاحه" (ص ٤٠).

وقبل ذلك:

"كتدبيره وحكمته العظيمة، حملته مريم،
ولم يفارق عرشه" (ص ٣٩).

النور هو اشراق الحياة (يوحنا ١: ١ – ٣)، وهو تجسد ابن الله:

"نغبط عظمتك أيتها السماء الجديدة التي على الأرض؛
لأنه أشرق لنا منك الذي خلق السماء والأرض" (ص ٣٧).

---

[1] اعتمدنا على الإبصلمودية السنوية: تحقيق اقلديوس لبيب القاهرة ١٩١٧ – مطبعة عين شمس راجع ص ٣٧.

فالتجسد له شاهد حقيقي هو والدة الإله:

"صِرتِ سماءً ثانية

عرشًا لله الذي نزل من السماء

وأخذ جسدًا من بطنك" (ص ٩٦).

فقد أشرق يسوع الله الكلمة:

"أشرق لنا متجسدًا يسوع ابن الله

من والدة الإله،

وغفر لنا خطايانا" (٩٨).

حقيقة التجسد يعبِّر عنها الأنبا مرقس الثامن في القطعة السابعة:

"لأنه أتى ليخلصنا وصنع أفعال البشريين (البشر)" (١٢٩).

فكل ما نراه من فخامة التعبير هو محاولة إظهار السر الفائق:

"أرسلتَ خلاصك الذي هو يسوع

أشرق متجسدًا من العذراء" (١٣٦)

ولعلنا نلاحظ هنا أنه لا يوجد تمييز كياني بين الخلاص والمخلص، فهذا هو اجتهاد المنهج الفلسفي الذي اعتمده العصر الوسيط.

ويستمر موضوع النور في ثيئوطوكية يوم الاثنين. ولكن النور لا يمكن فصله عن ألوهية الرب:

"فليشرق فينا نور لاهوتك العظيم كل حين،

أيها المسيح إلهنا .. ارحمنا ونجنا يا يسوع الكلمة.

النور الحقيقي الآتي إلى العالم" (إبصالية على الهوس الأول ص ٢٢٢).

لأنه إذا لم يشرق فينا نور ألوهية الرب، فما هي جدوى تجسد ابن الله؟

وعندما يقدم لبش على ثيئوطوكية يوم الاثنين الخليقة الأولى يقول:

"في البدء خلق الله السماء والأرض،

وكل زيناتها ..." (ص ٢٩٠).

ثم يكمل شرح قصة الخلق في نور إنجيل يسوع المسيح:

"وقد خلق النور السماوي في يوم الرب،
مع العناصر الأربعة" (ص ٢٩٠).

ولعلنا نلاحظ أن الترجمة العربية ترجمت "يوم الرب"، وهو الاسم القديم جدًا ليوم قيامة الرب من الأموات، أي يوم القيامة إلى "يوم الأحد"[١]، لكن الأصل القبطي احتفظ بالاسم اليوناني القديم: ⲡⲓⲉϩⲟⲟⲩ ⲛ̀ϯⲕⲩⲣⲓⲁⲕⲏ لأننا أخذنا نعمة قيامتنا في هذا اليوم، أي يوم القيامة. وهذا ما نراه عند القديس باسيليوس وهو يدون لنا التقليد الكنسي في كتاب الروح القدس (فصل ٢٧: ٦٦):

"نصلي وقوفًا في أول الأسبوع ... فاليوم الأول هو يوم الرب، أو يوم القيامة الذي نقوم فيه .. لأننا قمنا مع المسيح (كولوسي ٣: ١) بل أيضًا لأن يوم الرب هو صورة الحياة الأبدية، رغم أنه أول الأيام (الخليقة الأولى) إلاَّ أنه يُدعى في موسى ليس الأول بل يومًا واحدًا ... (تك ١: ٥)، وهذا يعني أنه ليس الأول في الترتيب، بل الواحد الذي سوف يتكرر، ولذلك يدعى الثامن .. لأن اليوم الثامن كعلامة الحياة الآتية، هو اليوم الذي لا نهاية له لأنه بلا مساء وبلا غد، فهو الدهر الذي لا ينقضي ولا يشيخ" (ص ١٦٢ ترجمة د. جورج حبيب بباوي، وأعاد القديس باسيليوس نفس الشرح في شرح أيام الخليقة Hexaemeron في العظة الثالثة).

لاهوت لا يُقسِّم بل يُوحِّد:

عندما سمعت ثم قرأت بعنايةٍ "لبش شهر كيهك" تيقنت أن لاهوت التقسيم لا يصنع صلاةً ولا علاقةً ولا ينشئ "تسبيحًا"

"قد طرح موسى عصا من خشب في البحر الأحمر
فانشقت المياه
رمز لنا بها على خشبة الصليب
التي صلبوا ربي عليها. آدم الثاني".

---

(١) ليتنا نُسقط اسم يوم الأحد ونعود إلى الاسم القديم "يوم الرب"؛ حتى تبقى ذاكرتنا ووعينا في نور الإنجيل.

عصا موسى كرمز للصليب معروف لنا من رسالة برنابا من مصنفات القرون الأولى، نسبت للرسول برنابا -وربما هذا صحيح- ولكن تطور ونمو الرموز في الرسالة جعل البعض يؤكد أنها من كتابات العصر الثاني المسيحي، ومكانها الصحيح هو الاسكندرية حيث نشأت مدرسة التأويل الرمزي أولًا على يد فيلون السكندري، ثم وصلت إلى أكبر درجات النمو على يد العلامة أوريجينوس الذي أكد في شرح نبوة حزقيال أنه أخذ الكثير من المعلم السكندري الذي علَّمه اللغة العبرانية.

ولدينا هنا نقطتين:

الأولى: هي كثافة الإشارة إلى سقوط آدم في كل أجزاء التسبيح في الإبصلمودية الكيهكية، والثانية هي عودة آدم إلى الفردوس بسبب تجسد الابن الوحيد من القديسة مريم والدة الإله، ويصبح التجسد، أي اتخاذ ربنا الابن الكلمة الناسوت، محور التسبيح الدائم، وتصبح العذراء القديسة في أكثر من قطعة هي "عرش يسوع" (راجع على سبيل المثال ص ٢٦٤)، بل هي السماء الثانية على الأرض بسبب سكنى أقنوم الكلمة وحلول الروح القدس عليها.

وإزاء سقطة آدم تقول التسبحة، وهي خالية من كل مصطلحات القرن التاسع عشر" العقوبة — العضب الإلهي — العدل الذي ينتقم من الخطاة"، تقول عن طرد آدم في لبش آدام على ثيئوطوكية يوم الاثنين:

"وجعله كاهنًا وملكًا ونبيًا،

وسلَّطه على كل المسكونة".

ووضْعُ آدم مع الأنبياء وَرَدَ عند العلامة أكليمنضس السكندري؛ لأن آدم بروح النبوة قال عن حواء: "هذه لحم من لحمي وعظم من عظامي".

لكن أصبحت هذه الكلمات بعد إظهار مكانة آدم كملك وكاهن ونبي دعوة لنا لمراجعة ما رسخ من تعليم أوروبي وفد مع الإرساليات الإنجيلية، بل والكاثوليكية أيضًا عن العقوبة الإلهية التي تملأ صفحات كتب قبطية دُوِّنَت بإيحاء الفكر الأوروبي. إذ يقول نفس اللبش الآدام:

"فخالف وصايا الله ..
وطرده بنعمة إلهية".

فالطرد من الفردوس كان حكمًا إلهيًا يعبِّر عن رحمة الله ومحبته. هذا إجماع الآباء الشرقيين، وحسب عبارة ثيئوفيلوس الأنطاكي (حوالي ١٩٠):

"وأعلن الله عطفًا عظيمًا على الإنسان؛ لأنه لم يُرِد أن يعاني من البقاء في الخطية الى الأبد، ولكن بحكم طرده من الفردوس؛ صارت العقوبة بداية خلاص يتم في الزمان المعيَّن، لأنه بعد تأدُّبٍ، يعاد تجديده" (طوليكوس ٢: ٢٦).

ولا ينفرد ثيؤفيلوس الإنطاكي بذلك، بل هو أيضًا ما يؤكده القديس غريغوريوس النيسي في عظة عن الامبراطورة بولخاريا إذ يقول:

"ولكي لا يبقى الشر الذي فينا والذي ورثناه إلى الأبد، يعود الجسد بشكل مؤقت إلى تحت حفظ الموت، وتدبير العظيم للموت لكي يطرد الشر، ويتم إعادة تكوين الإنسان بعد فصل الشر عنه إلى الحياة الفائقة لأن الموت هو تطهيرٌ للشر". (الآباء اليونانيين مجلد ٤٦: ٨٧٦ - ٨٧٧).

والطرد بنعمة إلهية هو ما يؤكده أيضًا القديس باسيليوس في العظة ٧ وعنوان هذه العظة "الله ليس هو مصدر الشرور" (راجع مجلد ٣١: ٣٤٥):

" لم يمنع الله انفصال النفس عن الجسد لكي لا يصبح المرض الذي فينا (الخطية) مرضًا أبديًا .. الله محب البشر يمنح من خلال الموت الدواء، فهو دواء وليس عقوبة؛ لأن الإنسان سقط في الخطية".

فالله يؤكد أنه محب البشر، وأن الموت هو دواء وليس عقوبة، فهو دواء يبيد الخطية، وحسب عبارة القديس كيرلس تصبح العقوبة خلاصًا (تجسد الرب فقرة ٦ مجلد ٧٥: ١٤٢٤ فقرة CD).

وتلك هي ذاتها عبارة القداس الغريغوري التي بسببها ذُبح د. هاني مينا ميخائيل ولا زال مذبوحًا –كواحد من شهداء عصر الأنبا شنودة الثالث– فقد

طُرد من الكنيسة القبطية لأنه تجاسر ونشر ما سجله تراثنا القبطي[1]:

"حوَّلت لي العقوبةَ خلاصًا"؛

إذ يقول ذهبي الفم في العظة ١٨ على سفر التكوين (مجلد ٥٣: ١٥١):

"رَتَّبَ الموت لأجل منفعتنا".

وأعاد نفس العبارة في عظة على مزمور ١١٤: ٢ في السبعينية وهو مزمور ١١٦: ٧ – ٨ إذ يقول المزمور: "ارجعي يا نفسي إلى موضع راحتك لأن الرب قد أحسن إليك؛ لأنه قد أنقذ نفسي من الموت"، فيقول ذهبي الفم:

"مع أن الموت دخل الى العالم بسبب الخطية،

إلاَّ أن الله قد حوَّله لمصلحة (أو فائدة) الإنسانية".

وأعاد نفس العبارة في العظة ٣١: ٣ على إنجيل متى (مجلد ٥٧: ٣٧٤):

"أعطانا الله الموت لفائدتنا .. فلماذا النوح والبكاء؟

إذا كان يجب النوح والبكاء، فالوحيد الذي يجب أن يفعل هذا هو الشيطان. أمَّا نحن، فالشكر للموت؛ لأنه رحلة إلى ما هو أعظم فائدة؛ لأن الموت هو نياحة وميناء هادئ".

هكذا يأتي سقوط آدم وطرده بعد النعمة العظمى، لكن في الصلاة والتسبيح بدأ إشراق الحياة والنور في الابن الوحيد ومنه أي في تجسده، ولذلك يعود هذا المحور الأساسي إلينا في تسبحة نصف الليل عند تمجيد قيامة الرب يسوع:

"كل الأفراح تليق بك يا والدة الإله؛

لأن من قِبَلك رُدَّ آدم إلى الفردوس".

وهزيمة الجحيم هي أيضًا أحد مكونات التسبحة. ونحن نعترف بهذه الحقيقة في القداس الباسيلي:

"نزل إلى الجحيم بواسطة (من قبل) الصليب".

ودراسة أشعار ما افرام السرياني وغيره من قدامى شعراء المسيحية أخذت الكثير من مكونات الليتورجية في الشرق والغرب معًا.

([1]) راجع في ذلك كتابه عن العدالة الإلهية، حياة لا موت، مغفرة لا عقوبة.

شَقَّ المسيحُ بحرَ الجحيم:

تراثنا في الصلوات والتسبيح الذي دُوِّنَ باللغة العربية ليس بالضرورة من إبداعات العصر الوسيط لأنه وصلنا باللغة العربية، ولم نعثر بعد على أصله القبطي. فما أكثر الشذرات الآبائية القديمة التي نرتِّلها في بعض "المدايح"، وهي تدل بشكل خاص على تواصلٍ مع تراث الكنيسة القبطية "أم الشهداءِ".

سمعت هذه الكلمات عندما كنت طالبًا في القسم النهاري في الكلية الإكليريكية وقرأتها بنفسي عدة مرات فقد وردت حسب النسخة المحققة التي يجب أن يُعاد طبعها من جديد دون العبث بما فيها في الصفحات التالية:

"اعترفوا لاسم المسيح واشكروا فضله ورضاه
زيدوه بالتسبيح
خلصنا من إبليس. فرعون العقلي خزاه
وأجازنا بحر التقديس
أدخلنا بحر العماد (المعمودية)
وعتقنا من رق الطغيان
وأوصلنا أرض الميعاد
شق المسيح بحر الجحيم
ورمى الشيطان جواه
وأخرجنا منه بسر عظيم
وأصعدنا مع شعبه".
(مديحة على الهوس الثاني ص ٣٦٨).

بالطبع، قد يسأل العقل الذي لم يستنِر بروح الصلوات عن سبب استخدام هذا الموضوع بالذات في تسبحة خُصِّصَت لتمجيد تجسد الله الكلمة؟

والجواب هو أن صلوات الكنيسة لا تعرف تقسيمات علم اللاهوت، بل هي اللاهوت بدون تقسيمات إلى ثالوث – خرستولوجي - ... الخ.

* تجسد الرب هو الاستعلان الذي يضع الأساس لكل شيء.

* هو الحدث العظيم الذي جلس فيه الله الكلمة على عرشٍ جديد، هو القديسة مريم، أي الإنسانية حيث يستريح الله في الإنسانية:

"سماء وعرش على الأرض؛
لأن الغير المحوي حويتيه،
وينبوعًا صالحًا غير موصوف
نبع منك".
(عشية — التفسير السابع من الرومي ص ١١٨).

وعندما يأتي الهوس الأول وفيه الاحتفال بالحرية من أرض العبودية؛ تنقل المديحة العربية ذات الموضوع على ثيئوطوكية يوم الاثنين:

"هزم العدو بجسده
الشيطان سحقه القدوس
أنقذ صنعة يده
ورِق العبودية
الذي كان لنا مخصوص،
محاه بالكلية".
(مديح آدام ثالث على ثيؤطوكية يوم الاثنين ص ٢٧٧).

لكن ذلك لم يحدث بالصلب فقط، لأن لاهوت التقسيم لا يصنع صلاةً ولا علاقة ولا ينشئ "تسبيحًا" ولاحظ كيف تعود ثيؤطوكية يوم الاثنين إلى تجسد ابن الله الكلمة:

"السلام لبيت لحم مدينة الانبياء
التي ولد فيها المسيح،
آدم الثاني".

وميلاد آدم الثاني في الصلاة والتسبيح لا يقف عند الميلاد، فهذه نظرة الجيل المعاصر لنا، ولكن فورًا يولد آدم الثاني

"لكي يرد آدم. الرجل (الإنسان) الأول
الذي من التراب
إلى الفردوس".

لكن ذلك لا يحدث بمجرد تجسد الرب، بل يجب أن:

"ويحل حكم الموت.
إذ قال يا آدم إنك من تراب
وإلى التراب تعود".

وتغلب الصلاة النظرة العقابية المعاصرة؛ إذ تضع في قلب المصلي:

"لأنه حيث كثرت الخطية فهناك تزايدت نعمة المسيح".

ويرد الشعب:

"أشرق متجسدًا من العذراء
بغير زرع بشر لكي يخلصنا".

والمصالحة ومسرة الله في بني الانسان ليست فكرة تُقال في عظة؛ لأن الثيئوطوكية تقول بعد ذلك "المجد لله في الأعالي ..."

"لأنه نقض الحاجز المتوسط
وقتل العداوة بالكمال
ومزق كتاب يد العبودية
الذي لآدم وحواء
وصيرهما أحرارًا
الذي ولد لنا في مدينة داود كقول الملاك".
(ثيؤطوكية الاثنين — القطعة الثامنة).

لقد أُسِّسَت المصالحة إذن بتجسد ابن الله.

تكريم والدة الإله:

هو تمجيد وتكريم يدخل الصلوات والتسبيح. والذين أسرتهم الدعاية المضادة لتراث الكنيسة وسقطوا في فخ الشيع يقولون عنها هي إنسان مثلنا. نعم، هذا حق، ولكن فصل المسيح الرب عن الأم يفصل في النهاية المسيح نفسه عن الإنسانية. وسيادة المنهج الفردي يحذف شركة الكنيسة. نحن في الكنيسة مع مريم ومع الملائكة والشهداء لأننا **جميعًا** في حضرة الثالوث القدوس.

هذه الشركة السمائية هي سر هذا التمجيد؛ لأننا لسنا مجرد شهود، بل نحن شركاء السر، سر اجتماعنا بالثالوث وشركتنا في حياة الثالوث. وكل من يتأمل التجسد يدرك أن قوة تجسد ابن الله تشمله لأن القديسة مريم هي:

"إكليل فخرنا ورأس Ϯⲁⲡⲁⲣⲭⲏ
خلاصنا" (ص ٧٠٥).

نحن معها في ذات الشركة؛ لأن

"الكائن في النور
الغير المقترب منه
صار في بطنك تسعة شهور".
(إبصالية آدام ص ٣٠٧)

لأن المسيح الذي حل في العذراء (ص ٣١٠) هو ذاته سوف يحل في قلوب المؤمنين لا لكي يولد من جديد، بل لكي نولد نحن من جديد ميلادًا روحيًا لأنه:

"بعد تأنسه هو الله أيضًا
نمجده كما يليق
لأنه هو إلهنا" (ص ٣١٠).

لأن الله تجسد منك "بجسد عاقل" تعبير وجدناه عند القديس اثناسيوس الرسولي لأن الجسد العاقل هو جسد الكلمة ⲛⲟⲩⲥⲁⲣⲝ ⲛ̀ⲗⲟⲅⲓⲕⲏ (ص ٢٢٣).

"إننا من الأرض وفي آدم نموت. هكذا نولد من فوق من الماء والروح؛ لأننا في

المسيح نُحيا جميعًا. فلا يعود الجسد فيما بعد أرضيًا، بل يصير عاقلًا أو ناطقًا مثل جسد الكلمة" (ضد الأريوسيين ٣: ٣٣).

هكذا يدرك المصلي أنه لا يقف بعيدًا عن نار عرش اللاهوت أو غريبًا، بل هو في ذات الشركة التي استُعلِنَت في القديسة مريم، وتعطى في السرائر، ونمجد الثالوث عليها في الصلاة الليتورجية.

احفظ لنا يا رب ميراثنا السماوي مع الآباء الذين عشنا معهم:

البابا كيرلس السادس،

وأساتذتنا الأجلاء:

الأنبا غريغوريوس - د. وهيب جورجي — د. رشدي حنا

القمص صليب سوريال — الشهيد الأنبا صموئيل

الأنبا يوأنس أسقفنا — الأنبا ديوسقوروس

القمص ميخائيل إبراهيم — القمص متى المسكين

الراهب فليمون المقاري — القمص يعقوب فرج

القمص أقلاديوس جرجس — القمص انطونيوس أمين.

"يا يسوع المسيح ذو الاسم المُخلِّص"

دراسة لمنهج الصلاة الأرثوذكسية
في إبصاليات (تراتيل) لاسم الرب يسوع المسيح
في التسبحة السنوية[1]

من المؤكد حسب الدراسات الحديثة ان صلاة يسوع هي ممارسة آباء الإسقيط، لأن كل المصادر النسكية القديمة تشير إلى آباء الإسقيط في القرن الرابع، وربما قبل الرابع؛ لأن ما يُكتب في القرن الرابع ليس من تسليم آباء هذا القرن، وإنما هو تسليم سابق دُوِّن في هذه الفترة بالذات.

العهد الجديد يؤكد أن بشارة الخلاص -كما أُعلِنَت في يوم العنصرة وما بعده - هي أنه "لا يوجد اسم آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص" (أع ٤: ١٢)، وهو اسم يسوع الذي تبدأ به صلاة قسمة سبت الفرح حيث يقام القداس الإلهي، وذكرى دفن الرب ماثلة، ولكننا نأخذ "الجسد المحيي" و"الدم الكريم"، والاسم ليس اسم مَن هو في القبر فقط، بل مَن هو في الفردوس مع اللص، وعن يمين الله الآب، وكائنٌ معنا دائمًا "عمانوئيل إلهنا في وسطنا بمجد أبيه مع الروح القدس".

كانت أول وصية للقمص مينا المتوحد: "يا ابني احفظ الإبصاليات لاسم الرب يسوع، وابدأ صلاتك بها".

وعاشت معي الإبصاليات. وعندما نشرت مكتبة مدارس أحد الجيزة "مذكرات سائح روسي لأبيه الروحي" تعريب الأستاذ يسى حنا، قرأت الكتيب

---

(1) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٣١ أكتوبر ٢٠١٢.

واشتعل قلبي، لكن الممارسة من روسيا. هي حقًّا أرثوذكسية، ولكني بدأت أُعيد النظر في الإبصاليات، ماذا تقول، وما هو منهج الصلاة؟

- "كلُ نَفَسٍ أتنسَّمه أُسبِّح اسمك القدوس".

(إبصالية السبت).

ولاحظ هنا كيف تحثنا الإبصالية على الانتباه أثناء تلاوة الاسم:

- "تجمَّعي فيَّ يا كل حواسي لأُسبِّح وأُمجِّد ربي يسوع".

(إبصالية الاثنين).

ويجب أن ننتبه إلى معنى هذه العبارة الوافدة إلينا من الإسقيط:

Ⲕⲁⲧⲁ ⲕⲟⲩϫⲓ ⲕⲟⲩϫⲓ

الترجمة العربية تقول: "في القليل القليل نذكرك، ونمجِّد اسمك يا ربي يسوع".

وهي هنا ترجمة حرفية. لكن العبارة حسب التركيب اللغوي هي مثل كل عبارات الآباء النساك، قصيرة ومرتَّبة بشكل سهل. وهي لا تعني "في القليل القليل"، فليس هذا هو المقصود، وإنما هي عبارة قبطية من قبيل الأمثال ***Parable*** وتعني في العامية المصرية "على مهلك"، أو في "بطء وانتباه"، فهي ***Idiom*** تعني "بلا انقطاع، وفي تمهُّل"، وكأن الإبصالية تطلب من المصلي أن يتذوق حلاوة الاسم؛ لأن التلاوة أو النطق هي بالروح القدس.

- "أرسل لنا هذه النعمة العظيمة التي لروحك القدوس المعزِّي. لكي أنطق بكرامة يسيرة من أجل اسمك القدوس المبارك. هذا الذي تمجَّد في أفواه قديسيك الأبرار سكان الأرض". (إبصالية الثلاثاء).

وهذا المقطع من الإبصالية لا يختلف عن عبارة الأوشية إلَّا في الألفاظ:

"اسمك القدوس هو الذي نقوله، فلتحيا نفوسنا بروحك القدوس".

ولا يمكن فصل اسم الرب في تقديم البخور، وبالذات في أوشية بخور الابن في العشية:

"أيها المسيح إلهنا العظيم .. طيبٌ مسكوبٌ هو اسمك القدوس (نش ١: ٣) وفي كل مكان يُقدَّم بخورٌ لاسمك القدوس وصعيدة طاهرة".

ولا شك أن هذا التناغم أو الهارموني الدائم بين ما يُقال وما يُمارَس في الطقس يحتاج إلى دراسة موسعة؛ لأن تقديم البخور لمن هو اسمه "طيبٌ مسكوبٌ"، هو ظهور مجد الحياة الجديدة. ويعلِّق العلَّامة أوريجينوس على كلمات النشيد: "اسمك طيبٌ مسكوبٌ" قائلًا:

"إن هذا هو بمثابة نبوة نطقت بها العروس عن المسيح لأنه عند مجيء ربنا ومخلصنا تمت هذه النبوة؛ لأن اسمه قد ذاع في كل المسكونة مثل طيبٍ فائقٍ وعطرٍ قال عنه الرسول: "نحن رائحة المسيح الذكية في كل مكان" (٢كو ٢: ١٤ – ١٦)".
(شرح نشيد الأناشيد الكتاب الأول ٤ ص ٧٤-٧٥).

وانسكاب الاسم هو، كما يشرح أوريجينوس:

"من اجل النفوس الصغيرة الفتية؛ لكي تنمو نحو الحياة الأفضل؛ لأن مَن هو في "صورة الله" أخلى ذاته لكي يصبح اسمه "مسكوبًا"؛ لأنه لا يسكن فقط في السماء في النور الذي لا يُقتَرب منه حسب صورة الله، بل لأن الكلمة صار جسدًا وحلَّ بيننا. لأن كل نفس تقترب من الكلمة الله – وحسب نمو كل نفس في الإيمان – قد جذبت كلمة الله الابن، وغرسته في عقولها وفهمها وذاقت عذوبة وفرح العطر المسكوب؛ لأن هذه النفوس قد قبلت رائحة الاسم المسكوب وأدركت غاية تجسده والفداء الذي تم بآلامه والمحبة التي جعلته، وهو عديم الموت يقبل موت الصليب من أجل خلاص كل البشر". (المرجع السابق ص ٧٥ – ٧٦ من مجلد ٢٦ سلسلة Ancient Christian Writers شرح سفر النشيد – العظات على سفر النشيد).

وإذا تذكرنا أن كلمات العلَّامة العظيم كُتِبَت في القرن الثالث، فإن من يقرأ عبارات من الإبصاليات لا يمكنه أن يفقد العلاقة الواضحة بينها وبين الإبصاليات كتراتيل اسكندرانية قديمة جدًا. ولكن القِدَم ليس هو محور البحث هنا، بل هذه المحبة الفائقة لاسم الرب يسوع، وفي نفس سياق شرح العلامة أوريجينوس، هذا ما تُعلِّمنا إياه الإبصاليات:

- "تعال إلينا اليوم يا سيدنا المسيح،
وأضيء علينا بلاهوتك العالي (السمائي)
- أرسل لنا هذه النعمة العظيمة التي لروحك القدوس المعزّي
- اسمك القدوس يا ربي يسوع ...
- هو يكون لهم طعامَ حياةٍ تقتات به نفوسهم وأجسادهم معًا.
- هو يكون لهم ينبوع ماء حياةٍ حلوًا ... أكثر من العسل.
تفرح به قلوبهم وتزهر أجسادهم". (إبصالية الثلاثاء).

الاستنارة:

الاستنارة هي عمل الروح القدس (عب ٦: ١ - ٤):
- "فليكن اسم الرب فينا؛ ليضيء علينا في انساننا الداخلي".
(إبصالية الاثنين).
- "إذا نطقوا به تستنير عقولهم، وترتفع إلى العلا (السماويات) قلوبهم".
(إبصالية الثلاثاء).

الاستنارة هي للحياة، ولأنه لا فرق بين الشخص والاسم؛ لذلك اسم ربنا يسوع هو:
"مجرى المياه هو مخلصنا ربنا يسوع المسيح،
والملازمون له تحيا نفوسهم". (إبصالية الأربعاء).

الاسم والإفخارستيا والصليب:

الاسم هو حضور الرب حتى أثناء دراسة الأسفار المقدسة:
- "كل الصديقين الذين أرضوا الله يدرسون الناموس كله،
والله كائن أمامهم واسمه القدوس في أفواههم كل حين".
(إبصالية الاثنين).

ولأن الاسم لا يمكن فصله عن الشخص؛ فهو "نداء الشخص" وهو خبز الحياة:
- "الله هو عمانوئيل الطعام الحقيقي شجرة الحياة التي لا تموت".
(إبصالية الاثنين).

"وطعام الحياة" هو أحد الاسماء القديمة جدًا للإفخارستيا حفظته كل الليتورجيات الشرقية، ولذلك لاحظ:

- "يقوم حولك الشاروبيم والسارافيم، ولا يستطيعون أن ينظروك ونحن ننظرك على المذبح كل يوم ونتناول من جسدك ودمك الكريمين".

(إبصالية الاثنين).

هذا لا يفصل صلاة يسوع عن الإفخارستيا؛ لأن نداء الشخص بالاسم هو في كمال الاتحاد به؛ لذلك شخص يسوع هو:

- "الحجر الحقيقي الكثير الثمن،
الذي باع الرجل التاجر كل ما له واشتراه.
اترك لنا نحن أيضًا الآن هذا الحجر؛ ليضيء علينا في انساننا الداخلي.
زينة نفوسنا وفرح قلوبنا هو اسمك القدوس، يا ربي يسوع المسيح".

(إبصالية الاثنين).

الاسمُ طعامُ حياةٍ؛ لأن الاسم = الشخص:

"اسمك القدوس يا ربي يسوع هو ينجيهم من جميع شدائدهم.
هو يكون لهم طعام حياة تقتات به نفوسهم وأجسادهم معًا".

(إبصالية الثلاثاء).

ولذلك -كما ذكرنا من قب - يحمل نطق الاسم الاستنارة وينقل العقل Nous الإدراك إلى ما هو أعلا من الفكر الحسي الوافد من الحواس (إبصالية الثلاثاء).

وإبصالية الخميس لها مكان خاص في صلاة يسوع، فهي تبدأ بالميلاد الأزلي من الآب إلى الميلاد في بيت لحم، ثم المعمودية في الأردن، والصوم في البرية، والصلب والدفن، والقيامة والظهور الثاني الذي ينتهي بـ:

- "أصنع معنا محبة في منبرك المخوف". (إبصالية الخميس).

هذا الايقاع اللاهوتي الضخم جدًا، هو ما نراه في ترتيب التدبير السكندري، ولذلك تنقلنا صلاة يسوع إلى حياة يسوع من الولادة الأزلية إلى الظهور الثاني.

الاسم وعلامة الصليب في يوم الصلبوت (يوم الجمعة)

تُعد إبصالية يوم الصلبوت (الجمعة) من القطع اللاهوتية النسكية التي لا مثيل لها في صلوات الكنائس الأرثوذكسية الأخرى.

- "بالحقيقة قد تقدَّمت إلى رأسٍ Κεφαλεον عظيم،

هو اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح". (إبصالية الجمعة).

والرأس هو الذي يجمع كل شيء في السماء وعلى الأرض (أف ١: ١٠)، وهو التعليم اللاهوتي القديم جدًا الذي سُلِّم إلينا بواسطة القديس إيريناوس، والمعروف باسم *Recapitulation* (راجع ضد الهرطقات للقديس ايريناوس ٣: ١٨ — ٣: ٢١ — ٣: ٢٢ — ٥: ٢١).

المسيح هو آدم الثاني الذي جاء لكي "يحل"كل ما أفسده آدم الأول، وأن يأخذ في كيانه كل مراحل حياة الانسان، من الحبل — الولادة — البلوغ — الموت لكي يقدِّم بعد ذلك تحرير الإنسان من الأصل البيولوجي (الولادة)، ومن الموت بالصلب وبالقيامة يؤسِّس الحياة الجديدة. ثم يجمع كل الدهور "السماء والأرض"، وهو ما تعبِّر عنه كنيستنا في التسبحة التي تصلي بها بعد يوم الصعود ومجيء الروح القدس:

"فلنسبح اسم الرب؛ لأنه بالمجد تمجَّد

صعد إلى أعلا السموات

أرسل لنا البارقليط، روح الحق المعزِّي

جعل الاثنين واحدًا، أي السماء والأرض.

وهكذا يتم هذا الاجتماع تحت رأس واحد عظيم يعبِّر عنه "اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح".

وبعد ذلك تقول الإبصالية إن الرب يسوع أعطى "علامة لعبيده". ونلاحظ هنا أن الاسم يرافق العلامة؛ لأن العلامة ليست هي الاسم، بل هي علامة الصليب؛ لأن قطع الإبصالية تقال في يوم الصلبوت، وهذه العلامة هي "الهروب من وجه القوس"، وهو تعبير قبطي قديم عن الشيطان، العدو الذي يرسل سهام

التجارب، ومن ثمَّ تتوالى هذه العلامات: "سد أفواه الأسود"، "واطفاء النار"، و"اخراج الشياطين"، و"التسلُّط على الأعداء"، و"شفاء المرضى". وفي النهاية يأتي التعبير الواضح عن العلامة والاسم:

- "هذا هو اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح،
وصليبه المحيي الذي صُلِب عليه". (إبصالية الجمعة).

لذلك كانت وصية القمص مينا المتوحِّد – البابا كيرلس السادس هي أن رشم الصليب يجب أن يصاحبه: "يا ربي يسوع المسيح"، أي "باسم الآب والابن والروح القدس. يا ربي يسوع المسيح خلصني"، فرشم الصليب هو غَرس النفس والجسد في قوة المعمودية وفداء اسم الخلاص.

- "طوبى للإنسان الذي يترك عنه هذه الحياة الفانية،
المملوءة تعبًا القاتلة للنفس،
ويحمل صليبه يومًا فيومًا، ويلصق عقله وقلبه باسم الخلاص،
الذي لربنا يسوع المسيح". (إبصالية يوم الصلبوت – الجمعة).

اسم يسوع ووصية المحبة:

صلاة يسوع ليست للعزلة حيث تنمو ضعفات النفس الإنسانية، بل هي البقاء في شركة الكنيسة. هذا ما تؤكده إبصالية الأربعاء:

- "فليفرح ويتهلل طالبوا الرب،
الملازمون كل حين في تلاوة اسمه القدوس". (إبصالية الأربعاء).

هذه هي صلاة "المجمع"، أي جماعة الكنيسة؛ لأن هؤلاء في المجمع

- "هم الأشجار التي تكلَّم عنها المرتل داود،
أنها نابتة عند مجاري المياه تعطي ثمرةً كاملةً". (إبصالية الأربعاء).

ولكن، ما هو مجرى المياه أي نهر الحياة؟

- "مجرى المياه هو مخلصنا ربنا يسوع المسيح،
والملازمون له تحيا نفوسهم". (إبصالية الأربعاء).

ولأن الاسم لا ينفصل عن الشخص، لذلك تعبِّر الإبصالية فيما يسمى "بالسهل الممتنع" عن ذلك، فتقول:

- "المحبة التي تكلم لأجلها الرسول القديس،

أي اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح". (إبصالية الأربعاء).

فكيف جمعت الإبصالية كل عبارات (١كو ١٣: ١ - ٨)، وهي أعظم ما كُتِبَ عن المحبة في تاريخ الإنسانية؟ والجواب هو أن ما ذكره الرسول عن المحبة:

- المحبة تتأنى وترفق
- المحبة لا تحسد
- المحبة لا تتفاخر
- تفرح بالحق...

"هذا كله متجسِّد في شخص يسوع" (القمص مينا المتوحد)؛ لأن يسوع = مخلِّص، وهو اسم وصفة وعمل واستعلان إلهي = البشارة = الانجيل = التجسد والصلب والقيامة.

لكن تدفق هذه الحياة الإلهية فينا بواسطة الرب هو كما تقول الإبصالية يحملنا إلى:

- صنع الرحمة
- اضافة الغرباء
- "فإن كنا مُعوَزين من أموال هذا العالم،

وليس لنا شيء نعطيه،

فلنا الجوهرة، اللؤلؤة الكثيرة الثمن،

الاسم الحلو المملوء مجدًا، الذي لربنا يسوع المسيح.

إذا ما لازمناه في إنساننا الداخلي،

فهو يجعلنا اغنياء حتى نعطي آخرين". (إبصالية الأربعاء).

صلاة الجماعة:

على الرغم من الطلبة الخاصة الظاهرة بوضوح في إبصالية الأحد:

- "طلبتك من عمق قلبي، يا ربي يسوع أعني
حِل عني رباطات الخطية".

إلَّا أننا لا يجب أن ننسى أن:

- "كل الألسنة معًا تبارك اسمك يا ربي يسوع أعني".(الأحد).
- "ألوفُ ألوفٍ ربوات ربوات يسبِّحون ويمجدون ربي يسوع" (الاثنين).
- "تعال إلينا اليوم يا سيدنا المسيح ..." (الثلاثاء).
- "فليفرح ويتهلل طالبوا الرب،
الملازمون كل حين تلاوة اسمه القدوس" (الأربعاء).
- "يا أحبائي، فلنطرح عنا ميول قلوبنا الرديئة التي تجذبنا إلى الخطية،
ولنبارك اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح بدون انقطاع"[1] (الخميس).
- "إذا ما رتلنا فلنقل بلذة يا ربنا يسوع المسيح،
أصنع رحمة مع نفوسنا" (الجمعة).
- "أعطى فرحًا لنفوسنا ذكر اسمك القدوس" (السبت)

وبعد كل هذا، هل هذا هو كل ما في الإبصاليات لاسم ربنا يسوع المسيح؟ بكل تأكيد لا.

العبرة في التركيب اللغوي هو البساطة المطلقة في الصياغة، وترتيب أكثر المقاطع على ترتيب الحروف الأبجدية القبطية. ولكن ما هو ظاهر بشكل واضح، هو استخدام نفس الألفاظ التي استُخدِمت في القداسات، مع اضافة ما سُلِّم إلينا من الحياة النسكية.

([1]) راجع الربع الخاص بـ Ⲕⲁⲧⲁ ⲕⲟⲩϫⲓ ⲕⲟⲩϫⲓ

لا زال في الإبصاليات الكثير، وكل ما أرجوه هو أن تكون هذه بداية الغيث.

يا أبي القمص مينا المتوحد أذكر كنيستنا، ومصر بلدك الذي عشت فيه وأحببته؛

لكي يجود علينا الآب السماوي بأب بطريرك يعرف شريعة المحبة،

ورئيس ينهض ببلادنا العظيمة.

غفران الخطايا

حسب تسليم صلواتنا الكنسية القبطية الأرثوذكسية[١]

كلمة لا بُد منها:

لست أزعم العصمة، كما أنني لا أدَّعي أنني أعرف كل شيء عن الأرثوذكسية، فلم أسمع ولم أقرأ عند آباء الكنيسة مَن ادَّعى لنفسه العصمة في التعليم، أو المعرفة الكاملة، بل كان كل جيل الآباء في حقبة هامة من تاريخنا شملت القرن الرابع والقرن الخامس، هو جيل المراجعة الشاملة لِما كُتِبَ، وكان القرن الخامس بالذات بدايةً بالقديس كيرلس الكبير هو عصر وضع المراجع التي اعتمد عليها عندما يقدِّم نصوصًا من عند القديس أثناسيوس العظيم، ولم يدَّعِ أحد العصمة، بل لم يكن موضوع العصمة مطروحًا بالمرة، ولا حتى المعرفة الشاملة، وذلك لسببٍ واحدٍ أصيل ودقيق، وهو أن الأرثوذكسية الحقيقية هي الاختبار الشخصي الذي يشرب من التسليم الكنسي الذي درجنا على تسميته بالاسم الغامض "التقليد"، وهو اسمٌ غامضٌ لغويًا حسب لغتنا العربية، واسمٌ يبعدنا عن نهر الحياة الحقيقية، أي "التسليم الكنسي" الذي يسلِّمُه المعلم الكنسي مبتدئًا بالممارسة، أي الصلاة الليتورجية، إلى أن يسلِّم أهم ما في الحياة المسيحية الأرثوذكسية، وهو "التمييز والإفراز"؛ لأن ما يُسلَّم ليس نصًا أو كلمات، إنما هو أساسات الشركة التي استُعلِنَت في الرب يسوع المسيح، وهي:

* اتحاد الله الثالوث بنا في تجسد الابن الوحيد.
* إبادة كل موانع الاتحاد: الخطية والموت.
* نقل حياة يسوع الظافرة إلينا بالروح القدس.

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في أغسطس ٢٠١٣.

* تسليم هذه الحياة في السرائر المقدسة: المعمودية، والمسحة الإلهية، والإفخارستيا، والتلمذة، أي سر التعليم الكنسي[١]، وفي هذا السر، يُسلَّم الإيمان نفسه، كما قال القديس كيرلس الكبير نفسه إنه دَرَسَ الأسفار مع الآباء والشيوخ[٢]، وتعلم اللاهوت من الحياة الليتورجية. ولذلك، مَن يدرس بعناية شرح إنجيل يوحنا وإنجيل لوقا للقديس كيرلس الكبير يسمع صوت القداسات والتسبحة، ويقرأها باللغة اليونانية الأنيقة التي تميّز بها القديس كيرلس الكبير.

أكتب هذه العبارات وقلبي يدق بعنفٍ شديد خوفًا على الذين يكتبون عن "فكر أثناسيوس"، أو "مفهوم التدبير عند كيرلس"، أو ....

إن هؤلاء الآباء لم يكونوا رعاةً وأساقفةً وخدامًا عاشوا الحياة الكنسية وصلوات الكنيسة وكأنهم جالسون في مكتبة في أثينا أو لندن أو غيرها من مدن أوربا، يؤلفون ويكتبون عن أمورٍ خطرت على عقولهم، بل تعرَّض بعضهم للموت. ومَن يعتقد بغير ذلك يكون تصوره تصورًا خاطئًا بعيدًا كل البُعد عن الحقيقة التاريخية التي تطالعنا في كتب التاريخ. وهكذا يذكِّرنا القديس أثناسيوس الرسولي بالفرق بين المعنى والشرح الكنسي للكتاب المقدس، والشرح الخاص الذي تبناه الهراطقة؛ لأن الشرح الكنسي إنما يقوم على معنى كلمات الوحي في "مجال الأسفار"[٣].

لقد أصبحت قلقًا بشأن ما يدور من نقاشٍ ابتعد عن التسليم الكنسي (التقليد) وانطلاق عدد كبير في شرح الأسفار المقدسة حسب الأهواء، بل وحسب ما يسود التعليم المعاصر في الحقبة الزمنية التي تبدأ بالأنبا شنودة الثالث،

---

(١) الذي تحول إلى سر التوبة والاعتراف نقلًا عن التقسيم الغربي الكاثوليكي الذي جاء مع مجمع ترانت الذي حكم ببطلان حركة الإصلاح البروتستانتية (١٥٤٥ – ١٥٦٤).

(٢) راجع: ACO 1.1.3.13,22: 8 - 10.

(٣) راجع في ذلك كتابنا: المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي، القاهرة ٢٠١٢، ص ١٣٩ وما بعدها، والكتاب منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية: www.coptology.com

والتي سادت فيها صرخة واحدة مؤداها أن الكتاب المقدس وحده هو مصدر التعليم، وهو خطأٌ تاريخيٌّ قاتل؛ لأن هذه الصرخة هي ذاتها صرخة حركة الإصلاح الأوربي في القرن السادس *Sola Scriptura* أي الكتاب المقدس فقط. وقد تمزقت هذه الحركة إلى ثلاث فرق، تفرقت بعد ذلك إلى أن وصلت اليوم في أمريكا الشمالية إلى ٣٠ ألف فرقة (شيعة).

الكتاب المقدس ليس مصدرًا للعقيدة Doctrine

التعليم الإنجيلي الأوربي هو تعليم يقوم على حشد أكبر قدر من نصوص الكتاب المقدس بعهديه لإثبات تعليم معيَّن[1]، ولكن مصدر العقيدة في الأرثوذكسية الحقيقية هو **حياة الرب يسوع المسيح** نفسه، أي استعلان الله في تجسد الابن الكلمة، وفي انسكاب عطية الروح القدس ... عن هذا تشهد الأسفار المقدسة.

إذن، ما سبق الأسفار هو **التجسد**، وهو ما تشهد له الأسفار، وما يعطى في حياة يسوع هو: **هبة الحياة الأبدية**، وهي عطية شخصية تعطى بالتعليم، وتعطى بالروح القدس لكي تقود إلى الشركة في حياة يسوع المسيح رب المجد. وهكذا يقدِّم رسول المسيح التسليم الكنسي:

"هل تجهلون أننا نحن كل واحد منا اعتمد ليسوع اعتمدنا لموته فدُفنا معه في المعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب نسير نحن أيضا في الحياة الجديدة جدًا" (رو ٦: ٢ – ٤ حسب الأصل اليوناني والترجمة القبطية).

ولو عُدنا إلى تعليم الرب في نهاية إنجيل متى (٢٨: ١٩)، نجد أن الوصية هي: "عمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس". ولكن لم يرد شيئًا عن المعمودية كموت – ودفن – وقيامة؛ لأن التسليم الكنسي لم يكن مودعًا في نص الإنجيل، بل عُرِضَ في كرازة الرسول. بل عندما تجمع عاصفة العودة إلى شريعة

---

[1] راجع ملاحظة القديس باسيليوس في كتابه "الروح القدس" عن مهارة الهراطقة في حشد أكبر قدر ممكن من نصوص الكتاب المقدس.

موسى قوتها لكي تدمر الإنجيل من الداخل، ولكي تحفظ التمايز العرقي على أساس شريعة موسى، يعود الرسول بولس إلى المعمودية التي رفعت كل الحواجز بين البشر، وإلي العهد الجديد الذي أبطل وساطة الشريعة "لأنكم جميعًا الذين اعتمدوا في المسيح قد لبسوا المسيح، ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبدٌ ولا حُرٌّ. ليس ذكر، ولا أنثى لأنكم جميعًا واحدًا في المسيح يسوع" (غل ٣: ٢٧ – ٢٨). فكيف حذفت المعمودية ذلك التمييز العرقي، وكيف رفعت وساطة الشريعة، بمعنى أن تقرِّب الشريعةُ الإنسانَ لله بالممارسة؟ والجواب: هو التسليم الكنسي الذي أُسِّس في تجسد ابن الله الذي فيه دائمًا وإلي الأبد:

– "يحل فيه كل ملء اللاهوت جسديًا"،
والذي فيه صار البشر
– "مملوؤن فيه"،
والذي بالتجسد
– "هو رأس كل رياسة وسلطان".

هذا هو التعليم الذي أبطل وساطة الشريعة، ولكن الممارسة تجيء فورًا:

"وبه (فيه) أيضًا ختنتم ختانًا غير مصنوعٍ بيدٍ (ليس بواسطة إنسان) بخلع جسم خطايا البشرية (الطبيعة الآدمية القديمة) بختان المسيح، مدفونين معه في المعمودية التي فيها (المعمودية) أخذتم قيامةً أيضًا معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات" (كو ٢: ١١ – ١٢).

هكذا صارت حياة الرب يسوع هي مصدر العقيدة، وهي مصدر التسليم الكنسي.

ولم يتوقف الرسول عند ذلك، بل يقول عن حالتنا:
"وإذ كنتم أمواتًا بالخطايا وغلف جسدكم،
أحياكم معه،
مسامحًا لكم بجميع الخطايا" (راجع كو ٢: ٩ – ١٨).

و"جميع الخطايا" هنا ليست هي خطية آدم كما يُشاع في التعليم الشعبي، بل يظهر معناها الحقيقي في عطية الحياة الجديدة: "لأنه محا الصك الذي علينا في الفرائض (ما تطلبه الشريعة) الذي كان ضدًا لنا وقد رفعه من الوسط (دق فيه المسامير حسب الممارسة التجارية السائدة في زمن الرسول بولس الخاصة بدفع صكوك الديون – الكمبيالات – التي كانت تُمزَّق بالثقوب فتفقد حجيتها في المحاكم وتفقد قيمتها) مسمِّرًا إياه في الصليب (تسمير الصك في الصليب هو تعبير استعاري *metaphorical* يعني أن الصك فقد قيمته تمامًا، ولا يعني أن الرب قد دفع الثمن حسب ادعاء العلامة مطران دمياط الذي يتبنى التعليم غير الأرثوذكسي، بل فقدان سلطان الشريعة علينا أي سلطان الموت؛ لأن الرب أباد الموت لأن الرسول بولس يقول: "كنتم أمواتًا في الخطايا .... أحياكم معه" (كولوسي ٢: ٩ – ١٤ مع الاعتذار عن إدراج الشرح في نص وكلمات رسول الرب)".

التسليم حسب الممارسة في الليتورجية

إن ما يقال في التعليم الشعبي المعاصر، ولدينا الكثير منه في مقالات وتسجيلات صوتية، لا يستحق الاقتباس؛ لأنه مجرد رأي شخصي حسب هوى من أراد أن يكون معلمًا دون أن يراجع ما يقوله في الوعظ على ما سُلِّمَ في الممارسة الكنسية. ويمكننا أن نسوق مثالًا صارخًا على ما نقول، وهو هبة الروح القدس للتلاميذ بعد قيامة الرب حسب إنجيل يوحنا (٢٠: ١٩ – ٢٢). فالادعاء بأن هذا خاصٌ بالكهنوت وحده هو ادعاءٌ كاذبٌ؛ لأن صلوات المعمودية في كنيسة أم الشهداء حسب كل ما لدينا من مخطوطات، وما هو مطبوعٌ منها، تقول إنه بعد رشومات الميرون يضع الكاهن يده على الذي نال سر المعمودية ويقول:

"لتكن مباركًا ببركة السمائيين وبركة الملائكة القديسين، يباركك الرب يسوع المسيح . وباسمه. (ثم ينفخ على وجه الذي اعتمد ويقول): "اقبل الروح القدس ولتكن إناءً مقدسًا (طاهرًا) من قبل الرب يسوع المسيح ...".

وتُعطى ذات النفخة في رسامة الشماس الدياكون، ثم القس، والأسقف. ومن الواضح أن نفخة الروح القدس في المعمودية، أي بعد الرشم بالميرون، لا علاقة لها بما صار يُعرف في العصر الوسيط بـ"سلطان الكهنوت"، وهو تعبيرٌ واسمٌ لا نجده في كتب الليتورجيا، بل هي –حسب شرح القديس كيرلس لكلمات الرب يسوع في إنجيل يوحنا (٢٠: ٢٢)– هي رَدُّ عطية الروح القدس التي وُهِبت لآدم عند خلقته (تك ٢: ٧)، والتي فُقِدت بالسقوط، والآن في المسيح تُعاد من جديد حسب التسليم الرسولي الذي عُرِفَ باسم "تجديد الروح القدس" (تيطس ٣: ٥)، بل إن القراءة الدقيقة لكلمات الرسول بولس تشرحها الممارسة الليتورجية: "بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني (المعمودية) وتجديد الروح القدس الذي سكبه علينا بغنى بيسوع المسيح مخلصنا" (تيطس ٣: ٥)، وهو نص البولس في خدمة المعمودية في كنيسة أم الشهداء.

شرح القديس كيرلس الكبير لكلمات يو ٢٠: ١٩ – ٢٢

"أخذ الله الآب في البدء بواسطة كلمته ترابًا من الأرض –كما هو مكتوب– وخلق الإنسان كائنًا حيًا وأعطاه النفس *Soul* حسب إرادته (الكلمة)، وأناره بنصيبٍ في روحه لأنه نفخ في أنفه نسمة الحياة –كما هو مكتوب (تك ٢: ٧)– ولكن بعد ذلك وبسبب التعدي سقط الإنسان تحت سلطان الموت وفَقَدَ كرامته الأولى. ولكن الله الآب أعاد تكوينه من جديد وردَّه إلى الحياة الجديدة بواسطة الابن –كما كان في البدء– فكيف جدده الابن؟ بموت جسده ذبح الموت، وأعاد جنس البشر من جديد إلى عدم الفساد لأن المسيح قام لأجلنا. ولكي نعرف أنه هو الذي في البدء خلق طبعنا وختمنا بالروح القدس؛ أعطانا الابن عطية الروح القدس بواسطة علامةٍ، وهي نفخته للتلاميذ القديسين لأنهم هم باكورة ثمار الطبيعة الجديدة. لأن موسى كتب عن خلقتنا القديمة أن الله نفخ في أنف الإنسان نسمة الحياة. وكما كان في البدء أن الإنسان جاء إلى الوجود، هكذا الآن أيضًا بنفس الأسلوب الذي خُلِق به، يتجدد. وكما خُلِقَ في البدء وكوِّن ليكون صورة خالقه، هكذا الآن أيضًا بالشركة في الروح القدس يتحول إلى مثال خالقه لأن الروح يطبع صورة المخلص على قلوب الذين يقبلونه – وهذا غير

قابل للجدل – لأن بولس علانيةً يعظ الذين سقطوا بسبب الضعف وعادوا إلى حفظ الشريعة بهذه الكلمات: "يا أولادي الذين أتمخض بهم حتى يتكون المسيح فيهم" (غل ٤: ١٩)، فهو هنا يقول إن المسيح لن يتكون فيهم إلّا بالشركة في الروح القدس وبالحياة حسب شريعة الإنجيل" (ك ١٢ مجلد ٢).

الأفعال الخاصة بالمغفرة في العهد الجديد

حسب الأصل اليوناني لدينا ثلاثة أفعال رئيسية تُرجمت إلى العربية بفعل واحد "يغفر"، فضاع فيها الجانب اللاهوتي، هذه الأفعال هي:

أولًا: الفعل άφίημι – aphimi

وهو أكثر الأفعال استعمالًا في العهد الجديد ويعني "يترك". وقد ورد في الصلاة الربانية: "اترك لنا ما علينا" (مت ٦: ١٢). "إن لم تتركوا للناس زلاتهم لا يترك لكم أبوكم السماوي زلاتكم" (مت ٦: ١٤ – ١٥). راجع أيضًا: مت ٩: ٢، مت ٩: ٥ – ٦، مت ١٢: ٣١ – ٣٢، مت ١٨: ٢١ – ٣٥. ونفس الفعل ورد في مرقس ٢: ٥، وغيرها في نفس كلمات الرب، وفي لوقا أيضًا ٥: ٢٠ وغيرها.

من الضروري أن نشير هنا إلى أن ذات الفعل ورد في يوحنا ٢٠: ٢٣ "مَن تركتم خطاياه تركت لهم"، وسوف ندرس نص يوحنا ٢٠: ١٩ – ٢٣.

مثالٌ على ترك أو مغفرة الدين

الذين يكتبون عن دفع الدين لله الآب كعمل قام به الابن له المجد، عليهم أن يراجعوا أنفسهم وأن يدققوا في كلمات الرب في المثل الذي أجاب به الرب نفسه على سؤال بطرس: كم مرة يخطئ إلى أخي وأنا أغفر (أترك) له، هل إلى سبع مرات (عدد الكمال)؟ وكان ردُّ الرب: "لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات"، وفورًا قال الرب هذا المثل: "لذلك يشبه ملكوت السموات إنسانًا ملكًا أراد أن يحاسب عبيده. فلما ابتدأ في المحاسبة قُدِّم إليه واحدٌ مديون

بعشرة آلاف وزنة، وإذ لم يكن له ما يوفي أَمَرَ سيده أن يباع هو وكل ما له ويوفي الدين. فخر العبد وسجد للملك قائلًا يا سيد تمهل عليَّ ... فتحنن سيد ذلك العبد وأطلقه وترك له الدين ... " (مت ١٨: ٢١ - ٢٨). لكن بكل أسفٍ لم يربح ذلك العبد الشرير من هذا الغفران شيئًا لأنه لم يترك دين عبدٍ آخر هو مائة دينار بما يمثل واحد إلى ألف من دين ذلك العبد الشرير. وكانت خاتمة المثل تحذيرٌ رهيب من الرب نفسه: "هكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحدٍ لأخيه زلاته" (مت ١٨: ٣٥).

ثانيًا: الفعل apolyo – ἀπολυω

ورد مرةً واحدةً في لوقا ٦: ٣٧ في التعليم الإلهي:

"كونوا رحماء لأن أباكم أيضًا رحيم.
لا تدينوا لكي لا تدانوا.
لا تحكموا على أحدٍ فلا يُحكم عليكم.
اتركوا يُترك لكم (أو اغفروا يغفر لكم)".

ثالثًا: الفعل charizomai – χαρίξομαι

وهو فعل هام وضروري، ورد ثماني مرات، وهو يعني بكل دقة لغوية ممكنة "العطاء السخي أو العطاء الكريم جدًا". وقد ورد هذا الفعل في حادثة ذات دلالة، تمثَّلت في الفخ الذي أعده الفريسي للرب يسوع عندما دعاه للعشاء عنده، عندئذٍ جاءت "زانية في المدينة"، وهو وجود -في الوضع الطبيعي- غير ممكن؛ لأن دعوة العشاء لا تشمل ذوي السيرة السيئة (الأمر الذي يعني أن الفريسي كان قد أعدَّ فخًا للرب يسوع حتى يختبر سلوكه تجاهها)، ولكن المرأة رأت في يسوع رجلًا لم تشاهد مثله من قبل، وهكذا انسكبت تغسل قدمي الرب بدموعها وتمسحهما بشعرها وسكبت قارورة طيب على قدميه ... هنا يقول الرب إن الغفران هو

سخاءٌ كثير أو غفرانٌ كثير (لو ٧: ٤٧)، سخاءٌ وعطاءٌ من الرب نفسه. وهو نفس طلب رسول المسيح مع الأخ الزاني في كنيسة كورنثوس، أن تكون الكنيسة سخية وكريمة جدًا، أي أن تغفر له (٢ كور ٢: ٧ - ١٠).

ولا شك أن سخاء وعطاء المسيح من نحونا نحن البشر هو بنفس الصورة وبنفس الكرم والسخاء، ولكن الترجمة العربية جاءت شحيحة جدًا لا تعبِّر عن هذا الكرم والسخاء: "كونوا لطفاء ... شفوقين ... ثم، متسامحين كما سامحكم الله أيضًا في المسيح" (أف ٤: ٣٢)، وهكذا سقطت القوة الكامنة في الفعل اليوناني؛ لأن الله كان سخيًا وكريمًا في المسيح، وعلينا أن نكون كذلك لأنه نفس السخاء الذي ورد في كولوسي ٢: ١٣ "مسامحًا لكم بكل الذنوب"، وهو ما لم نطلبه نحن عندما مات الرب عنا، ولأننا نخلع الطبيعة القديمة ونلبس "أحشاء رأفات ولطف وتواضع ومحبة ووداعة وطول أناة محتملين بعضكم بعضًا، ومسامحين بعضكم بعضًا، إن كان لأحد على أحدٍ شكوى، كما غفر لكم المسيح، كما كان المسيح سخيًا وكريمًا هكذا أنتم أيضًا" (كو ٢: ١١ - ١٣).

الصلوات الخاصة بمغفرة الخطايا في الليتورجية

تعد إنذارات الدياكون (مردات الشماس) الخاصة بطلب المغفرة والرحمة طلبات أساسية في الصلوات الليتورجية، سواء في صلوات رفع البخور -عشية وباكر - أو في الأواشي، وهي إنذارات يجب ألَّا تقال بسرعة، بل في تؤدة وهدوء حتى ينتبه إليها شعب الكنيسة.

البداية الدائمة هي صلاة الشكر في كل الخدمات الإلهية ... ويقول الشماس بعد بداية صلاة الشكر: "اطلبوا لكي يرحمنا الله ... ويقبل سؤالات وطلبات قديسيه منهم، بالصلاح عنا في كل حين ويغفر لنا خطايانا".

ويجيب الشعب: يا رب ارحم.

طلب الغفران هنا هو صلاة يشترك فيها قديسي الكنيسة الذين يطلبون ما

هو صالح مع الشعب، ونداء الشماس هو طلب من كل شخص حاضر في الكنيسة أن يكون لديه الاستعداد القلبي لكي يطلب الغفران لنفسه.

وفي أوشية الراقدين يطلب الدياكون من الشعب أن يصلي من أجل الراقدين: "اطلبوا عن ابائنا وأخوتنا الذين رقدوا وتنيحوا في الإيمان بالمسيح"، ثم يختم الطلب موجِّهًا الطلبة للحاضرين: "ونحن أيضًا يصنع معنا رحمة ويغفر لنا خطايانا".

وفي أوشية المرضى يطلب الشماس أن يصلي الشعب عن المرضى: "أطلبوا عن آبائنا وأخوتنا المرضى ... لكي المسيح إلهنا ينعم لنا ولهم بالعافية والشفاء ويغفر لنا خطايانا". وبعد أن يصلي الشعب يطلب الكاهن عن المرضى: "أعطها خلاصًا، أعطها غفران خطاياها وآثامها".

هذه الطلبات ليست كلمات صادرة في فراغ، بل هي صلوات الإيمان في كل الأواشي، حتى في أوشية المسافرين، والقرابين، بل وفي تقديم البخور للأسقف:

"اطلب من المسيح عنا ليغفر لنا خطايانا".

ومع تقديم البخور للقمص يقول نفس الكلمات.

الكنيسة أم الشهداء التي تذكِّرنا في هذه الصلوات بأن الرب يسوع "فتح باب الفردوس وردَّ آدم إلى رئاسته مرةً أخرى"، ثم "من قِبَلِ صليبه وقيامته المقدسة ردَّ الإنسان مرةً أخرى إلى الفردوس"، هذه الكنيسة تؤمن بضرورة طلب الغفران مباشرةً من الثالوث القدوس.

ورغم أننا لا نعرف -تاريخيًا- سبب وجود الصلاة المسماة في المراجع العربية وحدها بـ "سر الرجعة"، وهي طلبة عامة من الخادم إلى الرب يسوع في القداس:

"يا الله الذي قَبِلَ إليه اعتراف اللص، وهو (الرب) على الصليب المكرم، أقبل إليك اعتراف شعبك، أغفر لهم جميع خطاياهم من أجل اسمك القدوس، الذي دُعِيَ علينا كرحمتك يا رب ولا كخطايانا".

إلاَّ أن ما لدينا من معلومات تاريخية عن إلغاء سر الاعتراف في فترة ما في

تاريخ الكنيسة هو أمرٌ ثابت، وأن حلول الاعتراف على المجمرة محل الاعتراف على الأب الكاهن، ربما هو سبب وجود هذه الصلاة[1] ولكن الذي يهمنا أن نلاحظه هنا هو أنها صلاة بلا تحليل يُعطى من الأب الكاهن، ودون ذكر خطايا معينة لأن العبارة واضحة جدًا:

"اقبل إليك اعتراف شعبك. أغفر لهم جميع خطاياهم من أجل اسمك القدوس".

إضافةً إلى ما تقدم، يجب أن ننتبه إلى أن الليتورجيا تعلن لنا أن المسيح هو:

"حياتنا كلنا. وخلاصنا كلنا.

"رجاؤنا كلنا. وشفائنا كلنا

" وقيامتنا كلنا" (أوشية الإنجيل).

وبعد قراءة الإنجيل في باكر – رفع البخور يتكرر طلب الغفران في نداء الدياكون في صلوات الأواشي.

التحليل العام للشعب – تحليل الابن في رفع البخور

يمكننا أن نميز في هذا التحليل العناصر الآتية:

* يستدعي الكاهن الرب يسوع:

"أيها السيد الرب يسوع المسيح الابن الوحيد كلمة الله الآب".

* يؤكد أنه هو:

"الذي قطع كل رباطات خطايانا من قبل آلامه المخلصة المحيية".

* المسيح الحي من الأموات:

"هو الذي نفخ في وجه تلاميذه القديسين .. وقال لهم أقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياهم غُفِرَت لهم ومن أمسكتموها عليهم أُمسِكَت (يو٢٠: ٢٢ – ٢٣)".

* استعلان عمل المسيح ونعمة غفران الخطايا في نعمة الكهنوت:

"أنت الآن يا سيدنا من قِبَل رسلك الأطهار أنعمت للذين يعملون في الكهنوت

---

(١) راجع القداس الإلهي سر ملكوت الله، الجزء الأول، الأب القس أثناسيوس المقاري، ٢٠٠٨، ص ٤٢٣.

في كل زمان في كنيستك المقدسة أن يغفروا ويربطوا كل رباطات الظلم".

* هذا ليس سلطانًا مستقلًا عن الرب يسوع؛ لأن الصلاة هي طلبة، ومَن يطلب لا يملك بل يأخذ نعمة الممارسة:

"الآن أيضًا نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر ....".

ولعل القارئ الفطن قد لاحظ أنها صلاة بصيغة الجمع، وربما السبب الأول هو وجود أكثر من كاهن في الخدمة، وربما السبب الأصلي هو أن كل الصلوات هي صلوات الكنيسة كلها: الكاهن والشعب والشماس؛ لأن كل الصلوات بصيغة الجمع.

* يرشم الشعب أولًا، ويقول:

"آبائي وأخوتي".

ثم يرشم ذاته ويقول:

"وضعفي".

مؤكدًا أنه يطلب مع الكل بكلمات قاطعة لا تحتمل التأويل:

"هؤلاء الخاضعين برؤوسهم أمام مجدك الأقدس"

"أرزقنا رحمتك"

"واقطع عنا كل رباطات خطايانا".

* فهو عندما يضع ذاته مع الشعب الطالب المغفرة دائما يؤكد أن التحليل لا يمكن فصله أو قطعه عن باقي الصلوات الخاصة بالغفران، وهنا يعلن التحليل ما يُوهب من الرب نفسه؛ وهذه هي دلالة الكلمات العامة والشاملة:

"وإن كنا قد أخطأنا إليك في شيء،
بعلم أو بغير علم (بجهل)، أو بجزع القلب
أو بالفعل أو بالقول أو بصغر القلب"

ولعلنا نلاحظ أن هذه الصيغة هي صيغة شاملة تشمل كل ما في حياة أي إنسان.

الحَل والربط حسب شرح القديس كيرلس الكبير

"فالذين غفرتم خطاياهم تغفر لهم والذين أمسكتم عليهم خطاياهم أُمسكت retained على الرغم من أن الله الحي وحده هو القادر على أن يعطي غفران الخطايا لكل الخطاة، فمن الذي يوهب أن يغفر خطايا الخطاة التي ارتكبوها ضد الشريعة الإلهية، إلاَّ من وضع الشريعة الإلهية ذاته أي الله؟ ولكن يمكننا أن نرى معنى هذه الكلمات بالمقارنة بما نعرفه من الحياة اليومية. مَن الذي له حق التصرف بما يشرعه ملوك الأرض، وأن يعفو وأن يتغاضى عما قرره قضاء الملوك إلاَّ الذين وُهِبوا الكرامة والمقام الملوكي؟ ولذلك حكيم الذي قال: "أحمق هو الذي يقول للملك أنت تعديت الشريعة" (أيوب ٣٤: ١٨). بأي وسيلة وما هو معنى الكلمات التي قالها المخلص للتلاميذ عندما وهبهم الكرامة التي تليق بطبيعة الله وحده؟ إن الكلمة الذي في الآب لا يخطئ ومهما قال فهو يقول الحق. لقد وجب على الذين أخذوا روحه أي الله والرب، أن ينالوا القوة لكي يغفروا ويمسكوا خطايا من أرادوا لأن الروح القدس هو الذي يغفر وهو الذي يمسك الخطايا حسب إرادته رغم أن الفعل يتم بواسطة بشرية".

وبعد أن أكَّد القديس كيرلس أن القوة وليس السلطان هي خاصة بالروح القدس وتتم بواسطة إنسانية وهو ما تعبِّر عنه كلمات التحليل في القداس: "محاللين من فمي بروحك القدوس"، يكمل القديس كيرلس الشرح مؤكدًا ما يجب أن نعرفه:

"الذين لديهم روح الله يغفرون ويمسكون الخطايا بطريقتين كما أعتقد. أنهم يدعون إلى المعمودية الذين تأهَّلوا لنوال السر بنقاء حياتهم وبثباتهم في الإيمان، وأيضًا يمنعون، بل يفرزون الآخرين الذين لا يستحقون هذه النعمة الإلهية. وهناك معنى آخر: هم يغفرون ويمسكون الخطايا عندما يعطون الغفران لمن يتوبون مثلما فعل بولس الذي سلَّم الذي ارتكب خطية الزنى في كنيسة كورنثوس، وأعطاه الغفران عندما تاب ..." (شرح يوحنا، كتاب ١٢، يو ٢٠: ٢٢ – ٢٣).

الأخطاء الشائعة عندنا

في ضوء ما تقدم يمكننا أن نحصر الأخطاء التالية:

أولًا: إن للأسقف أو القس سلطان مستقل يعمل حسب الأهواء أو حسب الرغبة الشخصية، أو حتى حسب فهم الأسقف أو القس. هذا مرفوض تمامًا لأن العمل هو للروح القدس، والشرح السابق للقديس كيرلس يؤكد ذلك.

ثانيًا: إن طلب المغفرة الدائم حتى بعد صلاة القسمة، يؤكد أهمية التوبة ولا يضع الاعتراف شرطًا، ولاحظ قوة ودقة الصلاة:

"أيها السيد الرب الإله ضابط الكل، اللهم يا حامل خطية العالم اسبق بقبول توبة عبيدك ... نورًا للمعرفة وغفرانًا للخطايا ... وإن كنا أخطأنا إليك بالقول أو بالفعل فسامح واغفر لنا كصالحٍ ومحبٍّ للبشر".

ثم يضع الأسقف أو القس نفسه مع الخطاة، ويقول:

"اللهم حاللنا، وحالل كل شعبك
من كل خطية
من كل لعنة
من كل جحود (إنكار الشكر أو الإيمان)
من كل يمين كاذبة".

فالكاهن بعد أن يطلب الحّل لنفسه: "حاللنا"

يقول: "وحالل كل شعبك من كل خطية".

ثالثًا: لقد جرى تقييدٌ غريب لمعنى الغفران بعيد عن الممارسة الليتورجية مقتضاه أن غفران الخطايا، إنما يتم في سر التوبة والاعتراف فقط. هذا ضد كل طلبة تقال في الكنيسة مثل الطلبة التي تقال في الصباح في أسبوع الآلام التي تنتهي بطلب: "ويغفر لنا خطايانا". وهنا نلاحظ أنه لم يتم تقييد الغفران في سر التوبة والاعتراف فقط، بل وتقييد معنى الغفران وحصره في رفع العقوبة فقط، وهو أيضًا تفسيرٌ غريب؛ لأن عقوبة الموت قد أُبيدت، إذ داسها الرب على الصليب،

وطلب الغفران في الصلاة الربانية وفي غيرها إنما هو طلبٌ أساسيٌ للحياة الحرة التي تتحد بالرب يسوع الذي هو حسب الليتورجية:

"غفران خطايانا وضياء نفوسنا".

أخيرًا: في كل مرةٍ نطلب غفران الخطايا، جيدٌ، بل مطلوبٌ أن يكون هذا الطلب للتوبة ونقاء القلب.

ليحفظ الرب أم الشهداء من كل تعليمٍ غريب ويرسل لنا من ينادي للمأسورين بالحرية لكي يَنعم كل أسير بمحبة الثالوث القدوس الذي له المجد الدائم إلى الأبد آمين.

تدمير الهوية بالخلط بين العهدين القديم والجديد[١]

حربٌ نفسية وفكرية تدور رحاها، وتمتد إلى أهم ما يكوِّن الهوية القبطية:

١- العقيدة.

٢- ممارسة الطقوس الكنسية.

ذلك أن لدينا ردةً واضحةً تتمثل في العودة إلى أحكام الشريعة القديمة. ليس كلها، بل "استخلاص" ما يناسب هذه الردة، بوضع عوائق وموانع أمام من يمارس الطقوس باسم ما ورد في اللاويين والتثنية من أحكام خاصة بطهارة الجسد. ويجب هنا عدم الخلط بين نظافة الجسد وطهارة الجسد. النظافة موضوعٌ يخضع لما نعرفه من قواعد الصحة العامة، وهذه تخضع لما يعرفه الأطباء وعلماء وظائف الأعضاء، أما طهارة الجسد فهي موضوع آخر يختلف اختلافًا بيِّنًا عن النظافة.

من الواضح أن سفر اللاويين اعتبر طمث المرأة، وولادة الأطفال نجاسةً بالمعنى السائد في طقوس العهد القديم، وهو -بشكلٍ محدد- خروج الدم من جسد الأم في حالة الولادة بالذات. والتمييز بين ولادة الطفل الذكر، والطفل الأنثى هو تمييز طقسي لا علاقة له بالخطية أو سقوط آدم، بل بالاعتقاد السائد بأن ولادة الأنثى تجعل الأم تنزف لفترة أطول. ولدينا دراسة وافية لأكبر علماء العهد القديم في العصر الحديث[٢]، نُشرت تباعًا في ثلاثة مجلدات *The Anchor Bible* شرح فيها الجوانب الحضارية الخاصة بثقافة الشعوب القديمة في شرح سفر اللاويين المجلد الأول ابتداءً من ص ٧٤٢ — ص ٧٦٨.

لكن ما يهمنا هنا، ليس الجانب التاريخي أو حتى اللاهوتي؛ لأن العهد القديم برمته لا يعطي شرحًا للعقائد الخاصة بعلاقة الله بالإنسان، وليس له علاقة بالمرة بما جاء في العهد الجديد، وهو بالتحديد:

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٦ ديسمبر ٢٠١٣.

(٢) Jacob Milgrom, Leviticus 1-16, vol 3

١- تقديس الجسد بسبب تجسد ابن الله واتحاده بالجسد الإنساني.

٢- سكنى الروح القدس في الكنيسة وفي كل مؤمن؛ لأننا نحن صرنا هيكل الله الحي.

٣- شركة الروح والجسد في موت الرب ودفنه وقيامته.

٤- نوال عطية سكنى الروح القدس بالميرون الإلهي.

هذه العناصر الأربعة لم تكن توجد في ممارسات العهد القديم، بل كان الإنسان يرزح تحت وطأة الشريعة الموسوية، تلك التي أعطاها رسول المسيح ذلك الاسم المميز: "أعمال الناموس"، وهي شريعة التطهير، وتمييز الأطعمة، والاغتسالات، وتقديم الذبائح، وحفظ أوقات معينة للصلاة والأعياد، وحفظ يوم السبت. وهذه أهم محور في رسائل القديس بولس في غلاطية -كولوسي - العبرانيين - رومية.

وهنا بشكلٍ خاص، يلزمنا أن ننبه ذهن القارئ إلى أن رسول المسيح يقدِّم لنا ثلاثة استعمالات لكلمة الشريعة أو الناموس (الناموس كلمة يونانية الأصل):

١- الشريعة أو الناموس، هي أسفار موسى الخمسة حيث يصف سفر التكوين بأنه الشريعة أو الناموس في (غلا ٤: ٢١).

٢- الشريعة أو الناموس، هي الوصايا العشر، وهي الوصية المقدسة الصالحة والحسنة (رو ٧: ١٤-٢١).

٣- الشريعة أو الناموس، هي التطهيرات والاغتسالات وقوانين الطعام والذبائح .. الخ. وكلام الرسول فيها يبدأ من غلاطية (٢: ١ وما بعده).

ولذلك، الهجوم ليس على الوصايا العشر، بل على الشريعة أو أعمال الناموس؛ لأن التوراة أو الناموس كان يحتِّم الختان في اليوم الثامن؛ لأنه كان علامة العهد مع إبراهيم، ولذلك يقول بولس بصوتٍ عال إن حتى علامة العهد مع إبراهيم قد فقدت قوتها ومعناها: "ها أنا بولس أقول لكم إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئًا" (غلا ٥: ٢)، بل لاحظ أيها القارئ العزيز أنه في غلاطية

إصحاح ٤: ٢١-٣١ يعيد رسول الرب تفسير التاريخ نفسه، ويجعل اليهود أولاد إبراهيم مثل إسماعيل، ونسل هاجر؛ لأنهم وُلِدوا حسب التناسل البيولوجي، أمَّا مَن وُلِد حسب الموعد، فهو مثل إسحق حتى لو كان من الأمم ولذلك، قارئي العزيز أدعوك أن تقرأ على مهل:

"هاجر وسارة رمزٌ؛ لأن هاتين هما العهدان أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذي هو هاجر. لأن هاجر جبل سيناء في العربية ولكنه يقابل اورشليم الحاضرة فإنها مستعبدة مع بنيها" (غلا ٤: ٢٤ - ٢٥). ولكن في الختام يقول رسول الرب إن أولاد إبراهيم حسب الجسد هم أولاد الجارية، وهؤلاء يقول عنهم: "أطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة. إذًا أيها الأخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد الحرة" (غلا ٤: ٣٠ - ٣١)؛ لأن الميراث لا يؤخذ بحفظ الشريعة، بل لأن كل الذين نالوا المعمودية (غلا ٣: ٢٨) هم "للمسيح وأنتم نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة" (غلا ٣: ٢٩). ومن هنا جاء التصريح الرسولي الخطير جدًا الذي ترفضه حركة الردة المعاصرة: "لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسدٌ ما"، بل "إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح (غلا ٣: ١٦) لأن الله "يبرر الأمم بالإيمان" (غلا ٣: ٨).

نهاية أعمال الشريعة الموسوية أو أعمال الناموس:

"لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسدٌ ما" (غلا ٣: ١٦) وهذه الأعمال بالتحديد هي:

"لا يحكم عليكم أحدٌ في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التي هي ظل الأمور الآتية (الخاصة بالحياة المسيحية) وأمَّا الجسد فللمسيح" (كولوسي ٢: ١٦ - ١٧)، ويُعيد نفس الكلام: "إذًا إن كنتم قد مُتم مع المسيح عن أركان العالم (ما يشكل الحياة حسب العالم: الثقافة — النظام الحضاري — الديانات)، فلماذا كأنكم عائشون في العالم تُفرض عليكم فرائض لا تمس ولا تذق

ولا تحس التي هي جميعًا للفناء .." (كو ٢: ٢٠ - ٢٢)، بل يقول في رسالة إلى العبرانيين:

"الناموس إذ له ظل الخيرات الآتية لا نفس صورة الحقائق" (راجع عب ١٠: ١)، ولذلك فشلت ذبائح العهد القديم كلها في تطهير الإنسان من الخطية؛ لأن "دم ثيران وتيوس لا يمكن أن يرفع خطايا" (عب ١٠: ٤). وماذا عن نظام الذبائح كله؟ "ينزع الأول لكي يثبِّت الثاني" (عب ١٠: ٩)، وقد أعلن المسيح يسوع نفسه وبلسانه أن الآب لا يريد هذه الذبائح، وليس له مسرة بها، وهي تلك التي تقدَّم حسب الناموس (عب ١٠: ٧ - ١٠) ومن هنا جاءت البشارة:

- "صار يسوع ضامنًا لعهد أفضل" (عب ٧: ٢٢).
- "عهد أعظم قد تثبَّت على مواعيد أفضل" (عب ٨: ٦)
- عهد جديد جعل العهد الأول قديمًا أو عتيقًا: "إذ قال جديدًا عتَّق الأول (جعله قديمًا) وأمَّا ما عَتُقَ وشاخ فهو قريب من الاضمحلال" (عب ٨: ١٣).
- "وسيط عهد جديد" (عب ٩: ١٥).
- عهد له قوة القيامة لأن الآب "أقام راعي الخراف العظيم ربنا يسوع بدم العهد الأبدي" (عب ١٣: ٢٠).

وعلى ذلك، فالنتيجة المرعبة التي تترتب على حركة الردة إلى العهد القديم هي:

إنكار قداسة الجسد التي تُوهب في سر المعمودية.

ففي المعمودية يتعرَّى الإنسان من الإنسان العتيق:

"ادعُهم إلى نورك الطاهر .. عَرِّهم من عتيقهم. جَدِّد حياتهم .. لكي لا يكونوا بعد أبناء الجسد بل أبناء الحق .. ليستحقوا حميم الميلاد الجديد واللباس غير الفاسد وغفران الخطايا. إذ تعدهم هيكلًا لروحك القدوس بمسرة أبيك الصالح والروح القدس ..

"ليصيروا حلة نورانية ويلبسوا لباس الخلاص".

كم هو مرعبٌ حقًا ما يقال عندنا من أن هذه النعمة تزول بمرور الوقت، أو بسبب وظائف الأعضاء، مهما كانت هذه الوظائف بالنسبة للذكر أو الأنثى.

وبعد سكب الميرون تكرر الصلوات:

"كي لا يصيروا بعد أبناء الجسد، بل أبناء الملكوت بمسرة ونعمة ابنك الوحيد يسوع المسيح ربنا".

فهل انتهت هذه المسرة وزالت النعمة؟ أوَليست الصلاة تقول:

"فليتصور المسيح في الذين ينالون صبغة الميلاد الجديد".

وبعد حلول الروح القدس على الأردن (جردن المعمودية):

"لكي يصبح الماء حميم الميلاد الجديد ماء البنوة".

فهل بعد هذا نعود إلى تطبيق أعمال الناموس؟

"لكي يخلع الذين يعتمدون فيه الانسان العتيق ويلبسوا الانسان الجديد الذي يتجدد مرة أخرى حسب صورة خالقه".

لقد قدَّمنا هنا صلوات الكنيسة أُم الشهداء التي تحاول حركة الردة أن تهدمها من الداخل بالادعاء بأن الجسد **غير طاهر بعد المعمودية**، أو أنه يحتاج إلى "الوضوء" لكي يتقدس.

إذا كان هذا الوضوء للنظافة، فلا ضرر، ولكن فقدان قداسة الجسد الذي يُمسَح ٣٦ مرة بالميرون هو الأمر المدمر.

هل عدنا إلى ٤٠ يومًا و ٨٠ يومًا؟

سبق لي أن استعرت -في مقالة سابقة- عبارة "آفة حارتنا النسيان" من كاتبنا الكبير نجيب محفوظ، وها أنا اليوم أُضيف إليها أن "آفة الردة هي الجهل بالتاريخ". وتجهيل شعبنا بالتاريخ يترتب عليه -بكل دقة- إعطاء أكبر مساحة ممكنة:

أولًا: للفتاوى التي لا تمت للإيمان المسيحي بصلة.

ثانيًا: إحكام الرقابة -بهذه الفتاوى- على الممارسة؛ لكي يستطيع هؤلاء المُفتون أن ينالوا سلطانًا أكبر وسيطرةً أوسع عن طريق ضبط الممارسة.

والفتوى القائلة بأن الخطية هي سبب نجاسة الأم وأن الأنثى خطيتها أكبر .. الخ هي فتوى تنكر بكل بساطة ما جاء به المسيح، وهي ردة ليست إلى اليهودية، بل إلى ما هو أشنع من اليهودية؛ لأن سفر اللاويين (١٢: ١ - ٨ وما بعده) لا يذكر شيئًا عن الخطية، لا خطية الأم، ولا خطية المولود، بل كان نزيف الدم هو محط الاهتمام؛ لأنه -حسب رأي ثقافة العالم القديم كله- هو فقدان قوة الحياة، وهو ما حفظته الشعوب القديمة كلها، وبالتالي لا علاقة للموضوع بالخطية لا من قريب ولا من بعيد.

وبمراجعة وثائق الكنيسة وهي:

أولًا: التقليد الرسولي — هيبوليتوس — المعروف باسم قوانين ابوليدس.

ثانيًا: عظات القديس كيرلس الأورشليمي للموعوظين.

ثالثًا: عظات القديس يوحنا ذهبي الفم للموعوظين.

نجد أنه لم يكن هناك تمييزٌ بالمرة بين تعميد الذكور أو الإناث من الأطفال.

فعند هيبوليتوس، الرجال يُعمَّدون قبل النساء لسبب الحشمة؛ لأن الكل ينزل عريانًا إلى الماء، وهي شهادة كل من ترتليان —كيرلس الأورشليمي — ذهبي الفم، وبعد معمودية الرجال ولبس الملابس البيضاء، يُعمد النساء. ولم نجد في أقدم مخطوطات خدمة المعمودية شيئًا عن خطية الطفل الذكر وخطية الطفل الأنثى، وليس هناك أي ذِكر أو إشارة إلى الـ٤٠ يومًا أو إلى الـ٨٠ يومًا، فهذه غير معروفة في الـ ١٠٠٠ سنة الأولى من تاريخ الكنيسة، وبكل أسف لم يحتو كتاب "المجموع الصفوي لابن العسال" -كما نشره جرجس فيلوثاوس عوض- على فصل عن المعمودية.

المشكلة ليست فقط الجهل بالتاريخ الكنسي، ولكن التطرف في معاملة النساء:

مَن منا يجهل أننا نحترم المرأة بسبب التجسد؛ لأن بميلاد الرب "أُعتِقَت حواء من طلقات الموت"؟ وعبارات التسبحة السنوية لا تحتاج إلى اقتباس ولا تحتاج إلى تعليق، ولكن المشكلة هي أن لدنيا سلطانًا يفوق سلطان مَن أَبعَدَ العهدَ القديم برمته عن علاقة الشركة في يسوع المسيح وينكر الخليقة الجديدة (٢كو ٥: ١٧).

وعندما يقول الرسول: إن "الأشياء القديمة قد مضت" (٢كو ٥: ١٧)، فهو يقصد بكل يقين ما سبق وأشرنا إليه عن العهد الأول أو القديم الذي تُقدَّم فيه قرابين وذبائح، وهو عهد الأطعمة والأشربة والاغتسالات المختلفة والفرائض الجسدية الموضوعة إلى وقت الإصلاح" (راجع عب ٩: ١٠).

النجاسة حسب اللاويين والتثنية:

النجاسة حسب سفري اللاويين والتثنية ليست هي خطية المرأة التي تلد، فقد غاب من الوعي أن المسيح جاء إلى الزواج في عرس قانا الجليل، وبارك الزواج كأول علامة على تجديد الخليقة وأول معجزة أظهر فيها مجده (يوحنا ٢: ١١) "هذه بداية الآيات التي فعلها يسوع في قانا الجليل وأظهر مجده"، وللقديس كيرلس السكندري ملاحظة عقائدية هامة؛ إذ يقول عن معجزة قانا الجليل:

> "أشياء فائقة تمت في وقت واحد بواسطة المعجزة (العلامة): الواحدة الزواج المكرم قد قُدِّس (عب ١٣: ٤)، واللعنةُ التي كانت على المرأة قد رُفِعَت، والأولاد لا يولدون بعد بحسرة الألم؛ لأن المسيح قد بارك بداية حياتنا. ومجد المخلص قد استُعلِن مثل نور الشمس الساطع، والأعظم هو أن التلاميذ قد ثبتوا في الايمان" (راجع شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس السكندري، الطبعة الجديدة Ancient Christian Texts. Vol I p91, 2013).

ولكننا نريد أن تبقى اللعنة وأن يدوم عهدٌ زال؛ لأننا نحب أن نملأ الكنيسة

بالعبيد، وإذا تعذَّر علينا أن نفعل ذلك مع الرجال، فالنساء هم ضحايانا.

لكن الجدير بالذكر هو أن لمس الدم يُعَدُ نجاسةً بالمعنى الطقسي القديم؛ لأنه مرتبط بالموت لا بالخطية، وبالرغم من أن "الموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس هدمته"، إلَّا أن أصحاب الفتاوى أعادوه ليظهر في القرن الواحد والعشرين.

الرسالة إلى آمون:

وطالما نحن في معرض الكلام عن موضوع الردة إلى قواعد الطهارة الجسدية في العهد القديم، لا يمكن ألَّا نقدم مساهمة القديس أثناسيوس في هذا الموضوع، ولهذا من الضروري أن نقتبس هنا بعض المقاطع من رسالة أثناسيوس إلى آمون الراهب المصري وأب نتريا *Nitria* والتي كُتبت حوالي ٣٥٤م، فهي تشرح الأرثوذكسية التي نراها بكل وضوح من كتاب تجسُّد الكلمة، والردود على أريوس، والرسائل إلى سرابيون. هكذا يكتب أثناسيوس:

"كل الأشياء التي خلقها الله جميلة ونقية؛ لأن كلمة الله لم يخلق شيئًا عديم النفع أو دنسًا. وكما يقول الرسول: "لأننا رائحة المسيح الذكية في الذين يخلصون" (٢ كورنثوس ٢: ١٥).

ولكن؛ لأن حبائل الشيطان مختلفة وماكرة، وهو يتحايل لكي يزعج بسطاء العقول، ويحاول أنْ يمنع الأخوة من الممارسات اليومية عندما يبذر فيهم أفكارًا من عدم الطهارة والدنس، لذلك علينا أنْ نشتِّت أخطاء الشرير بواسطة نعمة المخلِّص، وبهذا نثبِّت فكرَ البسطاء. مكتوبٌ "للأنقياء كل شيء نقي"، ولكن الضمير، بل كل شيء خاص بالنجسين هو غير نقي، بل نجس (تيطس ١: ١٥).

وهذا يجعلني أتعجَّب من حيَل الشيطان لأنه هو الفساد والنجاسة نفسها، ومع ذلك يوحي بأفكارٍ تحت غطاء النقاء لكي تقود إلى فخٍ، وليس إلى تذوُّق النقاء. والهدف من هذا - كما قلت سابقًا - أنْ يعطِّل النُّسَّاك من حياة التأمل والوحدة. ولكن ما يبدو كما لو كان قد طهَّرهم، يحرك بعض الأفكار التي تطن، وهي أفكارٌ بلا فائدة في الحياة اليومية، بل هي أسئلة فارغة وخيالات طائشة

على الإنسان أن يطرحها بعيدًا.

اخبرني يا صديقي المحبوب والتقي، ما هي الخطية أو الدنس في الإفرازات الطبيعية، كأن يعتبر الإنسانُ مذنبًا إذا نظَّفَ أنفه أو تخلَّصَ من البصاق الذي في فمه؟ ويمكن أن نضيف إلى هذا الإفرازات الناتجة عن الطعام بعد هضم الطعام في البطن، وهي ضرورة تحتمها حياة الكائن الحي.

بالإضافة إلى ذلك إذا كنا نؤمن أنَّ الإنسان –كما تقول الكتب المقدسة– هو من عمل يدي الله، فكيف يمكن أنْ يتكوَّن عملٌ نجسٌ من قوة نقية؟ وإذا كنا –حسب سفر أعمال الرسل المقدس– "ذرية الله" (١٧: ٢٨)، فلا شيء نجسًا إذًا فينا؛ لأننا نتدنس إذا أخطئنا، والخطية هي النجاسة الحقة. وعندما تحدث إفرازات من الجسد بدون إرادة، فإن ما نختبره هو جانب ضروري تحتمه الطبيعة.

ولكن لأن البعضَ يجد لذةً في إفساد ما هو مستقيم، أو ما خلقه الله، يحرِّفون القول في الأناجيل مُدَّعين أنه يعني ليس ما يدخل بل ما يخرج (متى ١٥: ١١) هو الذي ينجس الإنسان، أصبح من الحتمي علينا أن نفنِّد بوضوحٍ هذا الفكر المنحرف الذي لا يمكن أن أجعله مجرد سؤال منهم. فقبل كل شيء –لكونهم غير راسخين في الحق– يحرِّفون الكتب، وهو ما يزيد جهلهم (٢ بطرس ٣: ١٦).

أمَّا معنى الأقوال الإلهية، فهو ما يلي: هناك أشخاصٌ مثل الذين يعيشون بيننا اليوم كانت لهم شكوك حول الطعام، ولكي يبدِّدُ الربُ جهلهم، أو لكي يرفع القناع الذي يغطِّي خداعهم، يحدد أنه ليس ما يدخل ينجس الإنسان، بل ما يخرج.

وعلى الفور يحدد لنا من أين يخرج. من القلب؛ لأنه من هناك –كما يعرف الرب– توجد كل كنوز الشر، وأفكار الدنس والخطايا الأخرى، والرسول يعلم نفس التعليم بكل دقة قائلًا: "لأن الطعام لن يقدمنا أمام الله" (١كورنثوس ٨: ٨). وأيضًا يمكن أن نقول –بنفس الإدراك– لا يوجد إفرازٌ حسب الطبيعة سيقودنا إلى الدينونة.

ولكن لكي يخجل هؤلاء ليس منَّا فقط، بل من الأطباء الذين يؤيدون ما نقوله إزاء هذا الموضوع، نذكر أن الأطباء يخبروننا بأنه توجد قنوات مركبة في الجسد الحي لكي تقوم بإفراز الزائد في كل أجزاء الجسد مثل القنوات الموجودة في الرأس والتي تفرز الدموع، أو عندما ينمو الشعر أو الفضلات التي تطردها البطن،

والإفراز الزائد الذي تطرده القنوات المنوية.

فما هي الخطية اخبرني من أجل الله أيها الشيخ المحبوب من الله، إذا كان السيد الذي صنع الجسد هو الذي شاء وخلق القنوات التي تفرز هذه الإفرازات؟

وحيث يجب علينا أن نجيب على الاعتراضات الخاصة بالإفرازات التي يقدِّمها هؤلاء الناس الأشرار، وهم ربما سيقولون: إذا كان الخالق هو الذي ركَّبَ الأعضاء المختلفة، فلا يوجد ذنب في استعمالهم الصحيح. وعلينا أن نوقفهم بسؤالنا هذا السؤال: ماذا تعنون بكلمة استعمال؟ هل هو الاستعمال الصحيح الذي إذِنَ به الله عندما قال: "أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض" (تكوين ١: ٢٨) والذي ثبَّته الرسول بقوله: "ليكن الزواج مكرمًا والمضجع غير دنس" (عبرانيين ١٣: ٤)، أمْ هو الاستعمال الماجن الذي يتم في الخفاء، وهو الزنا؟ لأننا ليس في هذا الموضوع فقط، بل في كل ما يخص الحياة سنجد أنَّ الاستعمال تحدده الظروف، وعلى سبيل المثال: القتلُ ليس مشروعًا، ولكن في الحرب يصبح مشروعًا، والقضاء على العدو جدير بالمديح، بل إن الذين يحاربون بشجاعة ويتفوقون على الآخرين في ميدان المعركة ينالون كرامةً فائقةً، بل تقام لهم التماثيل لكي تذيع شجاعتهم. وهكذا، العمل الواحد في وقتٍ معين وظروفٍ معينة يكون غير مشروع، وفي وقت آخر مختلف وتحت ظروف معينة يصبح مشروعًا بل وصحيحًا. هذا المبدأ نفسه ينطبق على العلاقات بين الجنسين. مباركٌ الذي - بحرِّيةٍ - يقبل في شبابه نير الزواج، ويلد الأولاد حسب قانون الطبيعة.

أمَّا إذا استخدم الطبيعة الإنسانية في الانحلال، فإنَّ الدينونةَ - التي كتب عنها الرسول - التي تنتظر القوادين والزناة (عبرانيين ١٣: ٤)، تنتظره أيضًا.

لأنه يوجد طريقان في الحياة بالنسبة لهذه الأمور، الأول: وهو عادي ومعتدل أي الزواج، والثاني ملائكي وفائق أي البتولية. فإذا اختار إنسانٌ طريق العالم، أي الزواج فهو حقًا لم يخطئ، إلَّا أنه لن يأخذ نفس المواهب العظيمة الموجودة في الطريق الثاني" (أعمال أثناسيوس الترجمة الانجليزية ص ٥٥٦ — ٥٥٧).

وعلى الرغم من أننا لا نعرف الكثير عن الخلفية التاريخية أو الموضوع الذي أثار جدلًا حول إفرازات الجسد في نتريا .. إلَّا أنه من الواضح أنَّ الرهبان كانوا مشغولين إلى الحد الذي استدعى أن تكون هناك رسالة من رئيس الأساقفة في

الإسكندرية. وعلى ما يبدو، فإن هذه الرسالة تقتبس فكرتين، الأولى: الطريقة المنحرفة التي فهم بها البعض نص الإنجيل "ليس ما يدخل، بل ما يخرج"، والثانية: النظرة إلى استعمال الجسد. لكن الجدير بالملاحظة هو أن أثناسيوس لا يضيِّع الوقت في مناقشة الخصم، بل يضع الأساس العقيدي السليم على هذا النحو:

أ– إنَّ الخليقةَ جميلةٌ ونقيةٌ؛ لأن الكلمة اللوغوس هو خالق كل الأشياء.

ب– إنَّ الخالقَ طاهرٌ، ولذلك لا يمكن أنْ يخلق شيئًا نجسًا أو دنسًا.

جـ– إنَّ الجسدَ طاهرٌ، والإفرازات هي قانون الطبيعة الخاص بالجسد، وهذا ليس دنسًا في حد ذاته.

د– ولعل النقطة الهامة والأساسية عند أثناسيوس هي أنَّ الخطية هي في الاستعمال. فالقتل في الحرب مباح وخارج ساحة الحرب هو جريمة. ولذلك فالعبرة هي بكيف نستخدم الجسد وتحت أي ظروف تنشأ العلاقة.

لقد طعن بعض الذين درسوا رسالة أثناسيوس إلى آمون في صحة الرسالة؛ لأنها على حد قولهم مزوَّرة، ولكن لا يوجد لدينا أي دليل على عدم صحة نسبة الرسالة إلى أثناسيوس، ولا يكشف نص الرسالة نفسه عن كاتب آخر غير أثناسيوس. إنَّ مؤلف الرسالة إلى الوثنيين، وتجسُّد الكلمة لا يمكن أنْ يكتب شيئًا مختلفًا عن الرسالة إلى آمون، فالعقيدة المسيحية كما شرحها أثناسيوس لا تعرف إلَّا فساد الخطية، وهو الفساد الذي جرَّهُ الموت (تجسُّد الكلمة ٦: ٤ – ٣: ٤)، ولكن اتحاد اللاهوت بالناسوت هو الذي جعل عدم الفساد من نصيب الإنسان (تجسُّد الكلمة ٩: ٢)، واتحاد الابن بالجسد "قدَّس الجسد" (تجسد الكلمة ١٧: ٥). وما دام الجسد قد اشترك في ذات الطبيعة التي للجميع؛ لأنه كان جسدًا بشريًا، وإن كان قد أُخذ من عذراء فقط بمعجزة فريدة، فكان لابد أن يموت أيضًا كسائر البشر نظرائه لأنه جسدٌ قابلٌ للموت. ولكنه بفضل اتحاده بالكلمة لم يعد خاضعًا للفساد بمقتضى طبيعته، بل خرج عن دائرة الفساد بسبب الكلمة الذي أتى ليحل فيه (تجسد الكلمة ٢٠: ٤).

وليس هذا قاصرًا على المسيح وحده لأن أثناسيوس يقول: "القضاء على الموت والفساد كلية بفضل اتحاد الكلمة بالجسد" (تجسُّد الكلمة ٢٠: ٥)، فالمسيح أمات الموت، لذلك لم يضع جسده ليموت بالموت الذي يخصه لأنه هو الحياة ولم يكن فيه موت، بل قبل الموت الذي أتاه من البشر لكي يبيده نهائيًا عندما يلتقي به في جسده (تجسُّد الكلمة ٢٢: ٣). لقد كان التجسُّد حقًّا إنقاذًا للطبيعة الإنسانية. لو كان الموت خارج الجسد لكان من اللائق أنْ تتصل به الحياة من الخارج، أَمَا وقد صار الموت ممتزجًا بالجسد وسائدًا عليه كما لو كان منه، فكان من المطلوب أن تمتزج الحياة بالجسد أيضًا حتى إذا ما لبس الجسد الحياة بدل الموت نَزَعَ عنه الفساد (تجسُّد الكلمة ٤٤: ٥). ولذلك، فبعد اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح لا يوجد فساد في الجسد. ليس للموت سلطان على الحياة. لو كان الموت قد أُبعد عن الجسد بمجرد إصدار أمرٍ منه، لَبَقى رغم ذلك –قابلًا للموت والفساد حسب طبيعة الأجساد– ولكن لكي لا يكون هذا حال الجسد، فقد لَبِسَ الجسدَ كلمةُ الله الخالي من الجسد. الفساد قد أُبيد فيه (تجسُّد الكلمة ٤٤: ٦ و ٨).

سؤال من الموقع

هل يوجد في الأرثوذكسية عقيدة الفساد التام بعد السقوط؟

إذا كان السؤال والسائل يقصد بالفساد التام ما يُعرف في تاريخ العقائد المسيحية باسم Total depravity فإن يوحنا كالفن مؤسس المذهب الإنجيلي هو صاحب هذه الفكرة راجع مؤلف Bouwsma William, John Calvin أما في اللاهوت الشرقي الأرثوذكسي فإن بقاء الصورة الإلهية في الإنسان بعد السقوط هو الذي يشرح لنا سلوك فاضل مثل سلوك يوسف العفيف – إيمان ابراهيم – ومعاملات الله مع البطاركة والأنبياء وملوك العهد القديم. طبعًا حدث تشوه في الصورة الإلهية ولكنها لم تفقد. راجع تجسد الكلمة للقديس اثناسيوس الرسولي.

العهد الجديد والشريعة[1]

ورد للموقع تعليق الأخ سامح جورجي على مقال الرد على أسئلة الأخ سامح جورجي، يقول:

لا يا سيدى المحبوب، لم تجبني علي كل النقاط ...

سؤال تعقيبا عما ورد في ص ١١ البند الرابع في الرد علي أسئلة الأخ سامح جورجي،

أولا: (ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله)، كيف أن كلام الله وكلمته الأزلي هنا يعملان عملا واحدا الذي هوَّ هبة الحياة؟؟؟؟ ولماذا قال السيد (بكل) أي بدون استثناء؟؟ أو ما هو سر الوحدة في الكلام الذى يخرج من فم الله؟؟؟ ولماذا إن أخطا الإنسان في واحدة فقد أخطا في الكل؟؟؟ ولماذا دُعيَّ الابن بكلمة الله (ألآب)؟؟ هل هناك أي ترابط، هدف أو دلالة لاستخدام تعبير(الكلمة)، إذ لم أجد هذا التعبير عن شخص يسوع بالمرة في العهد القديم (شبه ابن الإنسان)؟؟؟ وهل يمكن أن يسكن الثالوث فينا لنوال الحياة الأبدية بالتبني بدون الكلمة؟؟ أليست حياة الشركة تبدأ أولا بكلام الكلمة؟؟

ثانيا : قلت أن بعض الكلمات التي قيلت بالروح القدس على فم الأنبياء، كانت لعنات لمن كسر العهد، فهل تفضلتم بذكر شاهد أو مثال؟

ثالثا: " الشريعة أو الناموس تحتوي علي عقاب لمن يتعدى الشريعة ولذلك هيَّ من ملامح الحكومة الثيئوقراطية -حكومة القضاة والأنبياء وملوك بني إسرائيل- بالتالي هيَّ مثل قانون العقوبات بالمعني الحديث". والسؤال هوَّ، ألن

---

[1] مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢ يوليو ٢٠١٥.

يُعاقب يسوع ويذبح ليس فقط الذين رفضوه بل أيضا الذى لم يتاجر ويربح بالوزنة الواحدة؟ ألن يطرح الشيطان والوحش والنبي الكذاب في بحيرة النار والكبريت إلي أبد الآبدين...؟ فما هوَّ وجه الاعتراض في مبدأ العقاب في الشريعة، وهوَّ نفسه قائم في شخص الخالق؟

"حتما ، (لم يعد للشريعة أي وجود)، لأن الوسيط ليس الشريعة، بل الرب يسوع"، إذن لماذا أحال يسوع له المجد كل من المرأة الزانية و مشلول بيت حسدا الى الشريعة بقوله" لا تعودي لتخطئي"، "لا تعود لتخطئ لئلا يصير لك أشر"، كيف نفهم الأوامر العشر التي شهدها وعاينها جميع شعب إسرائيل والتي جاءت بصيغة المطلق و بدون أن يلازمها أي عقوبات ؟؟؟ أليست هي مشيئة الخالق السرمدية فينا، وصورة ابنه غير المتجسد؟

لا ذكر ولا وجود لمشرِّع بدون شريعة، ولا وجود لشريعة بدون المشرِّع، وهيَّ قائمة بسببه، وتعبير عن إرادته السرمدية في الإنسان، فإن كان تأنس الابن هوَّ تعبير مشيئة أبيه، فقد تأنس الناموس كله، ما أريد أن أقوله هوَّ إن كان الناموس مؤدبا يقودنا الى المسيح (غلا ٣:١٣)، فلابد أن يكون المسيح قائما في الشريعة يؤدبنا، أو من هوَّ الآخر الذى يستطيع؟، لذا تغيرت الشريعة ولم تلغي، إلغاء الشريعة يعنى ببساطة الغاء المشرِّع ، والذى تغير في الشريعة هوَّ أن الموت الذى ساد علي الجميع ، والذى أعلنه الناموس قد قُهر وغُلب بتجسد المشرِّع، ليكمل الناموس بقيامته من الأموات للحياة الأبدية عن يمين الآب التي هيَّ شريعة الحياة لأن هذا هوَّ ما أقره يسوع نفسه بقوله (لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس، بل جئت لأكمل الناموس).

أدام القدير لنا هبة التعليم التي فيك، وأدامك لنا معلما محبوبا.

سامح جورجي

الأخ سامح جورجي. سلام ومحبة.

تعليقك الأخير كشف عن جُرحٍ عميق في الفكر القبطي المعاصر. أنت لست مسئولاً عنه، ولكن المسئولية تقع على الذين أخذوا مسئولية التعليم بدراسات منزلية بعد أن تعذَّر عليهم -لانشغالهم بالكهنوت، وهو نعمة خدمة- أن يتفرغوا للدراسة الأرثوذكسية في معهد أرثوذكسي، بعد أن هبط مستوى التعليم في المعهد الأرثوذكسي الوحيد، وهو الكلية الإكليريكية التي تلقَّت ضربات قاتلة، كشف عنها مؤتمر التعليم اللاهوتي الذي عُقد في أنافوا في بداية خدمة البابا تواضروس الثاني، والذي أعقبه تعيين ثلاثة من الدارسين للتدريس، لم يتمكن أياً منهم من أن ينال وظيفة مدرس متفرغ لأنهم يمثلون خطر العودة إلى التسليم الكنسي وتراث الاسكندرية شبه المفقود.

المشرع والشريعة واحد:

وحدانية الله لا تعبِّر عنها الشريعة، فقد عاشت الإنسانية قبل موسى بلا شريعة، ولم يمس هذا المشرع كما وصفته أنت، وهي صفة غير معروفة عندنا في الشرق الأرثوذكسي. وقد نحتاج في المستقبل القريب جداً إلى دراسة وافية للرسائل التي كُتبت إبان الصراع مع حركة التهود، وهي رومية — غلاطية — كولوسي والعبرانيين. مَن لم يدرس هذه الرسائل جيداً، وبعيداً عن زبالة العصر الوسيط، سوف يتعذَّر عليه فهم موقف الرسل في (أع ١٥)، وأرجو أن تقرأ الإصحاح كله من عودة الأمم إلى الله ونهاية أحكام الشريعة. و(أع ١٥) تجد لها صدى عنيف في رسالة غلاطية وكولوسي بالذات (٢: ١٦). أرجو أن تدرس بعناية (عب ٧: ١١-١٧) حيث يقول الرسول أن الشريعة تغيَّرت؛ لأن الكهنوت الذي أخذ الشعب عليه الشريعة أو الناموس لم يعد صالحاً لخدمة العهد الجديد.

ثلاث عقائد أساسية في المسيحية الأرثوذكسية ليست من الشريعة:

أولاً: تجسد ابن الله – **ثانياً**: الصلب والقيامة – **ثالثاً**: انسكاب الروح القدس.

أولاً: تجسد ابن الله

لم يأت ابن الله بحكم الشريعة، ولا جاء حسب وصية من وصايا موسى، وهو ما يسجِّله إنجيل يوحنا ابتداء من (١: ١-١٨)، لا سيما في كلمات الإنجيلي عن أن الشريعة أو الناموس بموسى أُعطي. أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا (١: ١٧)؛ لأننا لم نأخذ من ملئه حسب الشريعة، بل حسب نعمة ربنا يسوع المسيح؛ لأنه هو الابن الوحيد "المملوء نعمة وحقاً" (١: ١٤).

وعليك يا أخي الكريم أن تدرس بعناية كتاب تجسد الكلمة للقديس اثناسيوس الرسولي حقاً.

ثانياً: الصلب والقيامة:

لم يُصلب ابن الله لأن هذا هو حكم الشريعة الذي يطلب أن يموت البريء. حسب أحكام الشريعة، لا يوجد انسان بريء، ولذلك يقول تلميذه بطرس: "الذي لم يفعل خطية ولا وجد في فمه مكر .." (١بطرس ٢: ٢٣)، ثم: "المسيح تألم مرةً واحدة من أجل الخطايا البار من أجل الأثمة" (١بطرس ٣: ١٨). وفي عبارة قاطعة وهو يبشر بالإنجيل يكتب بولس:

– أما الآن فقط ظهر صدق الله (أو بر الله)
بدون الشريعة (الناموس)
مشهوداً له من الناموس والأنبياء
بر (صدق) الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل
الذين يؤمنون لأنه لا فرق .. (رو ٣: ٢١ – ٢٤).

وشهادة الشريعة والأنبياء هي في أمانة وصدق الله، ولذلك، فإن أصحاح ٤ من رومية جدير جداً بالدراسة؛ لأنه يوضِّح أن الشريعة ليست هي الوسيط. كيف غابت هذه الحقيقة عن الإدراك طوال ٤٠ سنة؟ لست أدري. عندما يقول الرسول: "قبلما جاء الإيمان كنا محروسين تحت الشريعة مغلقاً علينا إلى أن يجيء الإيمان الذي سوف يعلن (أو العتيد)" (غلا ٣: ٢٣).

جاء الوعد بالبركة قبل الشريعة الموسوية، وهي نقطة صراع بولس مع حركة التهود، ولذلك يسجِّل الرسول أن ابراهيم أخذ الطوبى من الله قبل الشريعة (رو ٤: ٨-١٠)، ثم يقول عن حق الإنجيل: "كان الوعد لإبراهيم أو لنسله أن يكون وارثاً للعالم ليس من الشريعة بل ببر الإيمان"، والسبب هو: "لأنه إن كان الذين يحفظون الشريعة هم ورثة فقد تعطل الإيمان وبطل الوعد"، وبكل دقة: "لأن الشريعة تنشئ غضباً" (رو ٤: ١٣-١٥)، وينهي الرسول بخاتمة حوار صادق ومحدد مع الشريعة وحركة التهود بعد أن قدَّم إبراهيم مثالاً لصدق الله وصدق المواعيد.

يقول الرسول: "لم يُكتب من أجله (إبراهيم) وحده أنه حُسِبَ له (براً)، بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيُحسَب لنا الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات الذي أُسلم لأجل خطايانا، وهو طوعياً أسلم ذاته للموت (يوحنا ١٠: ١٨) وأقيم من أجل تبريرنا" (رو ٤: ٢٣ - ٢٥). والقيامة للتبرير الحياة من سلطان الموت، موضوعٌ غاب من الوعي عند تلاميذ موسى من الإكليروس. لاحظ ماذا يقول بولس رسول الرب عن الانسانية والشريعة في (كولوسي ٢: ١٦-١٩):

+ لا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب (لذلك رأى بطرس كل حيوانات الأرض وطُلب منه أن يذبح ويأكل - ما طهَّره الله لا تدنسه أنت" (أع ١٠: ١٠-١٦). بينما حكم الشريعة ظاهر جداً في الحيوانات الطاهرة والنجسة.

+ أو جهة عيد (نحن لا نحتفل بعيد فصح اليهود)، بل بفصحٍ آخر، هو "المسيح فصحنا وقد ذُبح لأجلنا" (١كو ٥: ٧)، وهو لم يُذبَح حسب شريعة فصح اليهود؛ لأن هذه الشريعة لا تسمح بذبح إنسان، أو بتقديم

إنسان حياته للذبح، بل هي كلها موضوعة لوقت الإصلاح" (عب ٩: ٩).

تركت كلمات العبرانيين:

- "قال جديداً عتَّق الأول (عن العهدين) (٨: ١٣).
- "أما ما هو عتيق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال" (٨: ١٣).
- "عهداً أعظم قد تثبَّت على مواعيد أفضل" (٨: ٦).
- "صار يسوع ضامناً لعهد أفضل" (٧: ٢٢).
- "ينزع الأول (العهد القديم) لكي يثبِّت الثاني" (١٠: ٩).

ليس العيد فقط، بل الهلال، وهو مراقبة طلوع القمر للاحتفال بالأعياد.

+ أو سبت (اللجوء إلى المعنى الرمزي للراحة هو هروبٌ من الباب الخلفي؛ لأن بقية العبارة أن كل ما ذكر في (٢: ١٦) له دلالة في (٢: ١٧). فكل ما ذكر، الطعام والشراب – العيد — الهلال — السبت، هذه هي "ظل الأمور العتيدة (حسب ترجمة فان ديك) الأمور الآتية في المستقبل، وهي بركات حرية مجد أولاد الله في الانجيل"، ثم قبل ذلك كلمات الرسول: "إذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغلف جسدكم احياكم معه (أي رغم حكم الموت: "موتاً تموت" تك ٢: ١٧) مسامحاً لكم بجميع الخطايا (لا غفران في الشريعة بل عقاب)، إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط (لم يدفعه بل محاه) مسمِّراً إياه في الصليب (فقد قوته وشرعيته)" (كولوسي ٢: ١٤–١٥).

لقد دهشت لكلماتك التي تقول فيها: إذن لماذا أحال يسوع له المجد كل من المرأة الزانية ومشلول بيت حسدا إلى الشريعة بقوله: "لا تعودي لتخطئي". يا أخي اقرأ ص ٨ من إنجيل يوحنا. كلام الكتبة والفريسيين هو الذي فعلاً حسب الشريعة. "يا معلم هذه المرأة أُمسكت وهي تزني في ذات الفعل. وموسى في الشريعة أوصانا أن مثل هذه ترجم. فماذا تقول أنت (يا يسوع)" (٨: ٣–٥). لقد قال واحد يصف نفسه بالعلَّامة واللاهوتي الأول، إن الرب تركها بدون رجم

لأنه كان سيدفع الثمن على الصليب بعد ذلك. ولما سألته كيف تفهم كلمات الرب: "ولا أنا أحكم عليكِ (أدينك)"؟ ارتج عليه القول. وهل كانت عقوبة الزنى صلباً، أم رجماً؟

يا أخي، لا توجد فقرة واحدة في كل الشريعة: اللاويين والتثنية تقول إنه توجد ذبيحة عن كل الخطايا. والردة والقتل والزنى هي خطايا بلا ذبائح، بل عقوبتها الموت وليس لها غفران.

لقد غفر الربُّ لبطرس، وأعطى اللص الفردوس، الأول يعتبر حسب الشريعة مرتد، والثاني سارق، وربما قاتل أيضاً، لذلك أرجو أن تترك عنك هذه العبارة "الشريعة والمشرع واحد". التجسد لم يكن شريعة، بل صلاح وفيض عطاء ومحبة.

كلمة الله، والله الكلمة المتجسد:

حقاً الإنسان يحيا "بكل كلمة تخرج من فم الله"، هذا عن الخلق الأول. أما عن قوة الكلمة، يرتل اليهود مزمور ١١٩. فهي للاستنارة وللتمييز بين الخير والشر. لكن هل هذا يتساوى بالله الكلمة؟ أبدأ، بل مستحيل؛ لأن الله الكلمة المتجسد لا يعطي كلمة مثل كلمة الله الخالق في الأيام الستة، بل يعطي حياته هو: "أنا هو القيامة والحياة"، ولم يعد النور الذي فينا من الكلمة وحدها. هذه عودة إلى الأيام الستة الأولى واليهودية، لكن النور الذي فينا، بل يسوع هو نور العالم (يوحنا ٨: ١٢)، هو واهب حياته، هو جاء نوراً للعالم (يوحنا ١٢: ٤٦)، هو نور الحياة الأبدية، وليس الحياة المخلوقة فقط، بل هو الابن له المجد "الحياة التي أُظهرت" (١يوحنا ١: ٢)؛ لأن الله نور وليس فيه ظلمة والله هو نور الحياة (يوحنا ١: ١–٣)، وهو الأقنوم، وليس الكلمة خالقة السموات والأرض؛ لأن الإنسان نال نعمة صورة الله التي يجب أن تحيا حياة قال عنها الرسول "سنحيا معه بقوة الله" (٢كور ١٣: ٤)، ولذلك طلب أن تحل عليه "قوة المسيح" (٢كور ١٢: ٩)، وحقاً قال رسول الرب: "ليحل المسيح (أي أقنوم الله الكلمة) بالإيمان (لا بحكم الشريعة) في قلوبكم وأنتم متأصلون ومتأسِّسون في المحبة

حتى تستطيعوا أن تدركوا ما هو الطول والعمق والعلو وتعرفوا محبة المسيح الفائقة لكي تمتلئوا إلى ملء الله (أفسس ٣: ١٧ — ١٩). فهل توجد شريعة تحدد ذلك، أم أننا أعضاء في جسد المسيح ننمو في كل شيء في ذاك الذي هو الرأس المسيح الذي منه كل الجسد .. يحصل نمو الجسد **بنيانه بالمحبة**" (أفسس ٣: ١٥-١٦)؟

لقد عاينت كيف وضع بعض الإكليروس، الرب يسوع نفسه تحت حكم الشريعة، وصلبوه حسب شريعة اخترعوها وتركوا القيامة.

ثالثًا: عطية الروح القدس:

كان الروح القدس يعمل في العهد القديم، ولم يكن الروح القدس ضمن بركات حفظ العهد، بل كانت كل بركات العهد أرضية (راجع تحذير موسى في تث ص ٤، ٥، ٦) وأعطى الرب الروح، روح الرب للقضاة، ثم للملوك وطبعاً للأنبياء، ولم يكن عطية عامة للشعب، بل نزع الرب روحه من شاول، رغم أنه مُسح بواسطة صموئيل النبي وحلَّ عليه روحٌ نجس (١صم ١٠: ٤ — ١صم ١٥: ٨ — ١صم ١٦: ١٤).

لكن جاء وعد الرب بأن يرسل "معزياً آخر" لكي يمكث معنا إلى الأبد (يوحنا ١٤: ١٦-١٧)، وأن يكون أيضاً ليس معنا فقط، بل "ويكون فيكم" (يوحنا ١٤: ١٧). وعندما يأتي المعزِّي بعد قيامة الرب من الأموات "في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم فيَّ وأنا فيكم". وقد فاقت هذه العطية كل ما جاء في شريعة موسى؛ لأن الرب يقول لنا إنه سوف يأتي مع الآب ويكون له منزلاً عندنا (يوحنا ١٤: ٣-٢٣). ويجيء دور الروح القدس ليس شريعةً، بل "المعزِّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي (بواسطتي) فهو يعلمكم كل شيء (والشريعة لا تحتاج لمعلم) ويذكركم بكل ما قلته لكم (يوحنا ١٤: ١٦)؛ لأن ما قاله الرب هو أن يكون "الكرمة ونحن الأغصان" (راجع يوحنا ١٥: ٢٦).

لقد جرى تمزيق وهدم لعقيدتنا طوال ٤٠ عاماً، إذ فُصلت النعمة عن

العاطي، والقوة عن الأقنوم، ولم يعد التعليم عن الروح القدس تعليماً مسيحياً، بل تعليماً يتبع هرطقة أنوميوس الذي حوَّل الأقنوم الثالث بالذات إلى طاقة وقوة.

نحن نواجه ردةً تامةً، ومحاولات تدمير للثوابت الأساسية، ليس في الأرثوذكسية وحدها، بل في المسيحية بشكلٍ عام.

لقد جاءت العنصرة، ووُهب الروح القدس للأمم كما لليهود، وتم وعد الرب يسوع. وأصبح الاعتراف بالرب يسوع هو عمل الروح القدس الدائم فينا؛ لأننا نعترف بأن يسوع ربٌّ بالروح القدس (١كو ١٢: ٢)، ولذلك لا يفارق روح الرب جسد المسيح، أي الكنيسة، بل رتَّب فيها خدمةً، هو واهبها، وهو محرِّكها، وهو الذي يفعلها.

إذا قرأت (٢كور ٣: ١-١٨)، وبالذات من (١٢-١٨)، سوف تدرك أن برقع الناموس لا زال موضوعاً على أعين بعض الإكليروس؛ لأن العهد القديم "يُبطل في المسيح" (٢كور ٣: ١٤)، ولأن نور الأُلوهة قد أشرق، ليس من الشريعة، بل من الرب نفسه؛ لأن الله هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه (أقنوم) يسوع (٢كور ٤: ٦)، لذلك نلنا روح الآب الذي أقام الرب يسوع من الأموات (وهذا ليس حسب الشريعة) (رو ٨: ١١)، هو نفس الروح القدس الساكن فينا، والذي في يوم القيامة "سيحيي أجسادنا المائتة"؛ لأنه ساكن فينا (راجع بدقة وتمحيص رو ٨: ١١).

حسب الشريعة نحن عبيد، وحسب الروح، أخذنا روح التبني الذي به نصرخ "أبَّا أيها الآب، ولذلك يشهد الروح القدس لأرواحنا أننا أولاد الله (ولاحظ قوة نعمة الله) فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً وورثة الله ووارثون مع المسيح" (رو ٨: ١٥-١٧).

كان الوعد بالأرض في العهد القديم، أما الوعد بوراثة الله، أي ملكوت الله، أو ملكوت السموات، فهو وعد الحياة الأبدية.

علاقة الشريعة بالتدبير

بحث خاص لقطع دابر لفظ "أُكمِّل – يكمِّل"[1]

"ما جئت لأنقض، بل لأكمِّل" (مت ٥: ١٧)

ما قبل الإنجيل:

الكلمة اليونانية τέλος ومنها جاء الفعل τελέω وغيرها التي تُشتق من الأصل اليوناني، عُرِفَت في الفلسفة والآداب اليونانية السابقة على عصر المسيحية، وتعني حسب دراسة Delling في المجلد الثامن من القاموس الخاص بالكلمات اللاهوتية للعهد القديم (ص ٤٩ وما بعدها):

١- كمال مشروع – تمام عمل إرادي – تنفيذ فكرة.

٢- كمال بمعنى Perfection.

الترجمة السبعينية:

ترجمة أكثر من كلمة عبرانية مثل "النهاية" كما في سفر الجامعة ٣: ١١ – ٧: ٢ – ١٢: ١٣ وأيضًا دانيال ٧: ٢٦. وكلمات أخرى "ق ص هـ" (٢ أخبار ٢٤: ٤ – دانيال ١: ١٥). بل ترجمت الكلمة العبرانية "ل ب ص ت"، أي الدائم أو الأبد، كما في أيوب ١٤: ٢٠ – ٢٠: ٧)، ولا يجب أن نشغل القارئ بأكثر من ذلك.

([1]) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٠ أغسطس ٢٠١٥.

العهد الجديد حسب الأصل اليوناني:

أولًا: القصد أو الغاية، وهو ما يسجِّله رسول المسيح: "وأما غاية الوصية فهي المحبة" (١تيمو ١: ٥). وواضح من السطور السابقة عن "التعليم الآخر والخرافات .. لا تبني البنيان الذي من الله في الايمان" (١تيمو ١: ٤) أن الغاية أو القصد من كل المباحثات والخرافات هي الابتعاد عن الوصية. (راجع ١بط ١: ٩ نفس المعنى).

ثانيًا: آخر أو نهاية الدهور، أو نهاية تعاقب الدهور، وذلك عندما يصف رسول الرب أحداث العهد القديم بأنها كتبت مثالًا "لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور τελη τών αίωνων" (راجع أيضًا (عب ٦: ٨).

ثالثًا: تمام أو تحقيق النبوة كما كتب عن القبض على يسوع في البستان "هذا كله فقد كان لكي تكمل كتب الأنبياء" (متى ٢٦: ٥٦).

رابعًا: كما تعني النهاية الحتمية لكل من عاش للأمور الأرضية "الذين نهايتهم الهلاك الذين إلههم بطنهم ومجدهم في خزيهم الذين يفكرون في الأرضيات" (فليبي ٣: ١٩)، وهو نفس المعنى، أي النهاية في (رو ٦: ٢١ – راجع أيضًا ١ بطرس ٤: ١٧).

ما هو المقصود بكلمة نهاية؟

عندما يذكر سفر الرؤيا (٢١: ٦) أن الرب يسوع هو الألف والياء البداية والنهاية τέλος فهو لا يقصد نهاية زمنية؛ لأنه الأبدي، ولكن لأنه هو الذي يعطي المعنى النهائي لتعاقُب الزمان وغايته، أي الوصول إلى الخلقة الجديدة، وهي النهاية التي شُرِحَت بشكل كامل في ١كو ١٥ أي الوصول إلى عدم الفساد والقيامة من الأموات (راجع من ٣٥ حتى ٥٠). وقد أشار الرب إلى نهاية الزمان: "اذا سمعتم بحروب وأخبار حروب .. لابد أن تكون ولكن ليس النهاية بعد" (مرقس ١٣: ٧ راجع متى ٢٤: ١٤).

النهاية هي غاية تدبير الله في كل الأزمنة.

ولكن محبة الرب "إلى المنتهى" في (يوحنا ١٣: ١) لا تعني نهاية زمنية للمحبة، بل لغاية المحبة: "أحب خاصته إلى المنتهى"، أي حتى آخر تدبير المحبة، وهو الموت مصلوبًا، والمعنى واضح: "لينتقل من هذا العالم إلى الآب".

ما هو المعنى الدقيق لاستخدام الفعل "يكمل":

يجب أن ننبه القارئ إلى أن الفعل "يكمِّل – τελέω" له علاقة وثيقة بالكمال أو التمام أو نهاية حقبة معينة من الأمور التي تخص الله والإنسان. ولكن يجب أيضًا أن نرى كمال الغاية حسب عبارة الرسول نفسه: "تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تصل إلى غايتها أو كمال عملها – تكمل τελειοῦται (٢كو ١٢: ٩).

ونفس الفعل عن "تكميل"، كقول الرسول "لا تكملوا شهوة الجسد" (غلا ٥: ١٦).

وكلمة الرب عن معموديته "لي صبغة (معمودية) فكيف أنحصر حتى تكمل" (لوقا ١٢: ٤٩)، أي تصل إلى غايتها وهي الصلب. ولذلك لم يكن تعليم الرسول بولس في (رو ٦: ١–٨) عن المعمودية جديدًا، بل شرحًا لقول الرب نفسه، وهو ما أعلنه الرب على الصليب، عندما قال: "قد أُكمِل" (يوحنا ١٩: ٣٠). ولما تم الصلب يقول الإنجيلي: "بعد هذا رأى يسوع أن كل شيء قد كَمُل، فلكي يتم الكتاب قال أنا عطشان" (يوحنا ١٩: ٢٨). ونفس المعنى في قول رسول الرب: "قد جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعي حفظت الإيمان وأخيرًا قد وضع لي أكليل البر" (٢تيمو ٤: ٧–٨) وبقية العبارة: "وأخيرًا قد وضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل و ليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضًا" (٢تي ٤: ٨).

وكمال أقوال الله خاصة بما يحدث في المستقبل كما في (رؤ ١٧: ١٧)؛ لأن الصراع بين الخير والشر، الرب والوحش، هو حتى "تكمل أقوال الله". والترجمة العربية لنص (لوقا ٢٢: ٣٧) تحتاج إلى مراجعة؛ لأن العبارة غامضة؛ لأن الرب يتكلم عن موته المحيي: "وينبغي أن يتم المكتوب τελεσθήναι لأن ما هو من جهتي له انقضاء" (حسب ترجمة فان ديك)، بينما حسب الأصل له τέλος غاية فيَّ، في حياتي أنا.

συτελεώ – يكمِّل:

ولعل أوضح مثل هو في (عب ٨: ٨) "يقول الرب هوذا أيام تأتي حين أكمل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدًا جديدًا، لا كالعهد الذي عملته مع آبائهم"، والمعنى الظاهر بوضوح هو تحقيق ما وعد به الله. وعندما يذكر الانجيلي (لوقا ٤: ٢): "ولما كملت الـ ٤٠ يومًا، أي تمَّت، جاع يسوع".

τέλειος – الكل:

يقول رسول المسيح: "لأننا نعلم بعض العلم .. ولكن متى جاء الكامل فحينئذ يبطل ما هو بعض" (١كو ١٣: ٩-١٠) والكامل هو الاستعلان الأخير في يوم الدينونة.

"الإنسان الكامل" هو الذي نال القيامة ومجد الرب نفسه (كولوسي ١: ٢٨). وكمال المعرفة هي التخلي التام عن الطفولة العقلية: "لا تكونوا أولادًا في أذهانكم، بل كونوا أولادًا في الشر. أما في الأذهان فكونوا كاملين" (١كو ١٤: ٢٠)، وهو ما يؤكده الرسول بعد ذلك؛ لأن الإنسان الكامل هو "قياس قامة ملء المسيح" (أفسس ٤: ١٣)، وقياس قامة ملء المسيح هو تعبير عن "ملء الألوهة التي للرب"، وهي ما يصل إليه الإيمان وحده، هو الانسان الناضج (ذهبي الفم عظة ٢ على أفسس ٤: ١٣ وشرح أفسس المنسوب لأمبروسيوس ٤: ١٣ وجيروم

رسالة ١٠٨: ٢٥٠ – ٣ و٢٤ وجيروم يشرح الكلمات "ملء قامة المسيح"، على أنه إنسان القيامة الذي قام مع المسيح).

وعلى هذا الأساس يمكننا أن نفهم التمييز بين اللبن والطعام القوي؛ لأن الأطفال يتناولون اللبن، ولكن البالغين هم الذين "صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر" (عب ٥: ١١–١٤).

ما معنى "يكمِّل" الشريعة؟

الفعل اليوناني τελειόω يترجم دائمًا إلى fulfill لكن "المحبة الكاملة" التي تطرح الخوف إلى الخارج هي المحبة التي ذاقت حرية "مجد أولاد الله"، والتي عرفت الغفران وهبة الحياة الأبدية، وهي ما يطلبه الرب نفسه في صلاته في (يوحنا ١٧: ٢٣) ليكون التلاميذ "مكمَّلين إلى واحد".

والفعل ومشتقاته يتقاطع مع فعل آخر هو فعل "يملأ" ومشتقاته πληρόω الخطأ الأساسي في قراءة كلمات الرب في (متى ٥: ١٧): "ما جئت لكي أنقض الشريعة والأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل πλησώσια".

وقد استُخدم الفعل في السبعينية عن الله الذي يملأ السماء والأرض (أرميا ٢٣: ١٤) فما هو معنى "يكمِّل الشريعة"؟

إذا نظرنا إلى العهد الجديد كله أمكننا أن نرى أن الفعل "يملأ"، ومشتقاته تعني:

١– "مملوئين من ثمر البر الذي بيسوع المسيح لمجد الله وحمده" (فليبي ١: ١١). قبل ذلك يطلب الرسول ازدياد المحبة والمعرفة والفهم واقتناء التمييز حتى لا يعثروا بل يبقوا ثابتين "بلا عثرة إلى يوم المسيح، مملوئين من ثمر البر" (١: ٩–١٠).

وهو أيضًا ما يطلبه الرسول أن يمتلأ الكل "الامتلاء من معرفة مشيئة الله" (كولوسي ١: ٩).

٢– نمو الصبي يسوع في القامة، وُصِفَ بأنه "ينمو ويتقوى بالروح ممتلئًا حكمة (لوقا ٢: ٤٠).

٣- الرب يسوع "مملوء نعمة"، ولأنه مملوء نعمة، وُصِفَت الكنيسة بأنها "ملء الذي يملأ الكل في الكل". وهكذا يشرح ذهبي الفم الكلمات الرسولية: "ملء الرأس هو الجسد؛ لأن الرأس هو رأس الجسد. ولاحظوا كيف بدقة يكتب بولس ولا يدخر كلمة واحدة لكي يعبر عن مجد الله "الملء"، أي ملء الرأس كما يقول (بولس) يتم كماله في الجسد. الجسد مكوَّن من أعضاء متنوعة، وهو (أي بولس) يوضح لنا كيف يستخدم المسيح كل عضو في جسده بشكل خاص، وكل عضو على حدة؛ لأنه يتعامل مع كل الأعضاء. ولو كان الجسد هو رأسٌ واحدٌ فقط، أو قدم واحد فقط، فإن الجسد لن يكمل لأن الجسد يكمل بواسطة كل أعضاء الجسد..". (عظة ٣ على أفسس ٨: ٣ — ٢٠: ٢٣).

وعبارات ذهبي الفم مع (أفسس ٤: ١٠) تذكرنا بعبارة القداس: "وعند صعودك إلى السماء إذ ملأت الكل بلاهوتك"، فهي كما وردت في أفسس ٤: ١٠ "الذي نزل هو الذي صعد أيضًا فوق السموات كلها لكي يملأ الكل"، وبعد ذلك يشرح رسول المسيح هبات الرب للجسد في أمانة الخدمات المتنوعة.

٤- "يكمِّل" الناموس أو الشريعة هو الفعل الآرامي العبراني (ب ت ل) أي ينتهي دور الشريعة لأننا يجب أن ننتبه إلى:

"نقض" يعني يلغي: "ومَن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى .. يدعى أصغر"، فهو لم يُرفَض في ملكوت السموات (متى ٥: ١٩). "أمَّا مَن عمل وعلَّم، فهذا يُدعى عظيمًا في ملكوت السموات" (متى ٥: ١٩). إذن الصغير والعظيم كلاهما في ملكوت السموات، رغم أن الذي نقض الوصية الصغرى هو في الملكوت، ويقول الرب: "إن لم يزد بركم (أي صدق حياتكم) على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا وملكوت السموات" (متى ٥: ٢٠).

الوصيتين العظميين: حب الرب إلهك ..
حب قريبك كنفسك

الوصايا الباقية اعتبرها الرب يسوع، الوصايا الصغرى التي إذا نقضها أحد

يُدعى صغيرًا. فمن هو الصغير في ملكوت السموات؟ ومَن هو العظيم الذي لم يحفظ الوصايا، بل طبقًا لقول الرب نفسه: "عمل وعلَّم"، بماذا؟ بأن الشريعة لم تنقض، بل يجب أن تصل إلى الكل أو الغاية. وما هي الغاية؟ نراها في باقي الأعداد من ٢١ – آخر الإصحاح: القتل – الزنى – الزواج والطلاق – القسم والحنث رد الإساءة العين بالعين ..

ويختم الرب: حبوا أعدائكم، فلم تعد محبة القريب فقط. والتشبه بكمال الصلاح والجود الخاص بالآب السماوي في عبارة قاطعة: "كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم في السموات هو كامل".

هذا هو العظيم.

طبعًا لا يوجد نقض للشريعة، فلم يلغِ الرب "لا تقتل"، وإنما ذهب الرب إلى جذر القتل "البغضة"، وهكذا ظهر جذر وأساس الشر في قلب الإنسان، ولم يعد الإنسان مسجونًا في ظاهر النص، وهو على سبيل المثال "لا تقتل"، بل ذهب الرب يسوع إلى القلب. ولم يعد الزواج اتفاقًا تجاريًا قابلًا للانحلال بإرادة الرجل وحدها كما هو واضح من الأعداد (٣١ - ٣٢)، ولكن رُد الزواج إلى شريعة الخلق الأول، الشريعة الأولى التي وُضِعَت عندما خلق الله الإنسان، وهي الشريعة السابقة على شريعة موسى، شريعة "صورة الله ومثاله".

الملء والامتلاء من الروح القدس:

إذا عدنا إلى الأصل، وهو الفعل، ثم مشتقاته: الاسم، اسم الفاعل ... الخ يظهر لنا بوضوح أن الملء والكمال ليس كمًا، بل غاية وهدف، يمكن أن يُوصَف بأنه نوعي وارتقائي، لا سيما في الرؤيا الكونية الإلهية لكمال المحبة التي وُصِفَت بأنها كمال الشريعة، وهو الوصول إلى غاية الشريعة: محبة الله ومحبة كل ما خلقه الله، وهو ما جعل الرب نفسه يعلِّمنا بأنه لا يوجد لنا أعداء؛ لأن ما نعتبره عدوًا، هو واحد من مخلوقات الآب السماوي الذي ينال قسطًا من الصلاح الإلهي

المستعلَن في إشراق الشمس ونزول المطر، وهي هبات الآب الطبيعية للإنسانية، وهي تعلن أن الله لا يميِّز بين الصالح والشرير، فإذا وصلنا إلى هذه الرؤيا وعشناها، نصبح كاملين في محبتنا.

هكذا يجب أن نقرأ بدقة ما علَّم به الرب نفسه؛ لأنه تعليم الحرية الكاملة الذي يقضي على جذر الشر الكامن في القلب، والذي يبدأ بتغيير الفكر والاعتقاد، وهو ما يرفع مستوى الحياة والسلوك إلى ما هو فوق النص القديم: سمعتم أنه قيل، أما أنا فأقول....

الامتلاء من الروح القدس هو الاتحاد بالرأس، ربنا يسوع المسيح؛ لكي ننال "من ملئه" -كما قال الرسول- "نعمة فوق نعمة"، وباقي النص يجب أن يُقرأ بعناية "لأن الشريعة بموسى أُعطيت" (هذا عن العهد الأول، أما العهد الجديد "أما النعمة والحق"، فهو لم يعطَ؛ لأنهما ليسا نصًا، بل بذات الدقة اللفظية والحقيقية كتب يوحنا الإنجيلي: "النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا".

النقلة الكونية في التعليم الرسولي في رسالة رومية (٣ – ٤ – ٥):

عندما قدَّم رسول الرب الإنجيل إلى الأمم وإلى جماعة مختلفة من يهود وأمم في روما، فقد خاطب اليهود أولًا مؤكِّدًا دور الشريعة في تحديد خطية الإنسان: "مَن أخطأ بدون الشريعة، فبدون الشريعة يهلك (شريعة الضمير تحاسب) وكل من أخطأ في الشريعة، فبالشريعة يدان" (٢: ١٢)، لأن ليس سماع الشريعة يجعل الإنسان مقبولًا عند الله بل الذي يعمل الشريعة (٢: ١٣)، وكذلك الأمم الذين ليس لديهم شريعة موسى لهم شريعة "مكتوبة في قلبهم"، وهنا يعيد الرسول المبدأ الإلهي، وهو أن الله "جعل الأبدية في قلب الإنسان" (جامعة ٣: ١١).

وحذف الرسول بولس الانتماء العرقي لليهودية في عبارة واحدة: "لأن اليهودي في الظاهر (حسب الممارسات الجسدية) ليس هو يهوديًا ولا الختان في الظاهر في اللحم ختانًا (لأنه ليس أبديًا) بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي (في

القلب) وختان القلب بالروح لا بالحرف المكتوب هو الختان (الحقيقي) الذي مدحه ليس من الناس بل من الله" (رو ٢: ٢٨).

وتعدي الشريعة الموسوية وشريعة الضمير يشغل القسم الأول من الإصحاح الثالث، ويختم رسول الرب ما عرضه من عدد ١ – عدد ١٩ "لكي يستد كل فم ويصير العالم كله تحت حكم الدينونة (القصاص كلمة قرآنية غير معروفة في اليونانية، وهي أحد المصطلحات القرآنية التي أدخلها فان ديك في الترجمة العربية) لأنه بأعمال الشريعة لا يتبرر أمام (الله) كل ذي جسد (كل إنسان) والسبب الواضح هو أن الشريعة **أظهرت فقط** فساد قلب الإنسان لأن بالشريعة معرفة الخطية". لكن الرسول لا يقف عند الضعف، بل لاحظ: "أمَّا الآن فقد ظهر صدق الله (بر الله) بدون الشريعة (بدون الناموس حسب فان ديك) مشهودًا له من الشريعة (الناموس) والأنبياء صدق الله (بر الله) بالإيمان بيسوع المسيح (غير وارد في شريعة موسى) إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون مقبولين (متبررين) مجانًا (حرفيًا δωρεάν) أي "عطية"، وترجمة "مجانًا" ليست دقيقة، بل مقبولين بعطية منه، وهي نعمته[1] بالفداء في المسيح، أو –حسب فان ديك– مجانًا بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدَّمه الله كفارة بالإيمان بدمه .." (٣: ٢١ – ٢٤).

ابراهيم قبل شريعة موسى (رو ص ٤):

إيمان إبراهيم لم يكن بوصية، بل باستعلان الله. ولم يكن حسب شريعة تفرض الإيمان بقوة العقوبة، بل برضى وحرية، ولذلك "آمن إبراهيم بالله فحُسِبَ له برًا" (٤: ٣). لا يوجد أمر (وهنا يصدم بولس كل الأجيال): "أما الذي لا يعمل أعمال الشريعة لكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر (الذي كسر أحكام الشريعة) إيمانه يُحسب له حقًا، أي منهج صحيح في معرفة الله (٤: ٥). ويقدم بولس نص

(١) العطية والنعمة ضد كل ما يقوله ويكتبه الأنبا بيشوي عن الفداء والكفارة ودفع الثمن. حيث يدفع الابن ثمن الخطايا، لا توجد نعمة ولا يمكن الحديث عن عطية .. هذا العمى الوارد إلينا من العصر الوسيط والذي دخل لاهوت عصر الإصلاح يجب أن يتوقف.

المزمور مؤكدًا أنه يعني أن الله يحسب له برًا بدون أعمال (الشريعة) مؤكدًا أن هذا هو إبراهيم نفسه (٤: ٨-٩)، ويتقدم أكثر إلى برهان يصدم اليهود: هل تبرر إبراهيم وهو في الختان أم في الغرلة (٤: ١٠)؟ ويجيب: تبرر وهو في الغرلة (٤: ١٠)؛ لكي يكون أبًا لجميع الذين يؤمنون.

الاعتراض الذي يجب أن نقرأه بدقة:

يقول رسول الرب: "ليس بالشريعة كان الوعد (بالبركة ووراثة الأرض) لإبراهيم ونسله، بل ببر (أي صدق أو حقيقة) الإيمان.

لأنه إن كان الوعد بوراثة الأرض والبركة، هي من الشريعة، أي حكم الشريعة، فلم يعد للإيمان دور: "تعطَّل الإيمان وبَطُلَ الوعد" (٤: ١٤)، وهكذا صار إبراهيم مثالًا؛ لأن ما كُتب عنه " لم يُكتب من أجله وحده، بل من أجلنا" (راجع رو ٤: ٢٣).

الوعد بالبركة ليس من الشريعة، بل حسب غنى وصدق وأمانة الله، ولذلك جاء المسيح الهنا لكي يُظهر لنا أنه هو تحقيق المواعيد، وهو ما يشغل رومية ٥ كله حيث يعرِّف الرسول كونية الخطية – الموت، لكي يصل إلى غاية الإنجيل، وهو مُلك النعمة بالحق أو بالبر للحياة الأبدية، ليس بنصٍّ، بل بشخص يسوع المسيح ربنا.

جئت لكي أُكمِّل:

عود على بدء. عندما أسمع سؤالًا من أكثر من قارئ: ماذا حدث للوصايا العشر في أعمال ص ١٥ عندما قرر الآباء الرسل بقوة وإلهام الروح القدس، أن يُصبح القرار النهائي هو الامتناع عن نجاسات الأصنام (العبادة الوثنية)، والزنا لأنه أحد طقوس المعابد اليونانية – الرومانية، لا سيما في أعياد الآلهة، والمخنوق (أكل الحيوانات الميتة لأن هذا جزء من طقوس السحر في العالم القديم)، والدم (سفك دم البشر حسب أكثر من قراءة قديمة) (أع ١٥: ٢٠)، فإن الجواب هو أنه لم يصدر حكم بنقض الوصايا القديمة، بل نُقلت الممارسات الخاصة بالحياة اليومية من أحكام التوارة إلى

"الأشياء الواجبة" (١٥: ٢٨)، وإلَّا ظلت المسيحية سجينةً في مجامع اليهود[1].

كما أن عبارة القداس الغريغوري: "أكملت ناموسك أو شريعتك عني" تعني أن الإنسان لا يملك أن يزحزح الشريعة من مكانها أو يغيرها أو يكتب شريعة موازية، لكن جاء الرب وأكمل الشريعة، أي أعلن لنا غايتها، فصارت المحبة هي "رباط الكمال" الذي يجمع الله والإنسان معًا في وحدة واحدة. المسيح رب المجد هو إلهٌ وإنسان، أو إلهٌ متجسد متأنس، ولذلك فإن محبتنا لله أو للقريب هي في المسيح يسوع ربنا؛ لأنه الله والإنسان. هو وحده الوسيط الواحد، ولم يعُد للشريعة دور وساطة، وهو محور رسالة غلاطية العدو الغالب لكل حركات التهود حتى تلك التي دخلت أم الشهداء.

يا يسوع، أنت لست شريعةً،

بل الابن الأزلي

السابق والباقي إلى الأبد

الشريعةُ أحكامٌ خاصةٌ بنا

عندما تجسَّدت، تجاوزت كل أحكام الشريعة

لم ترجم الزانية التي أُمسكت تزني،

بل قلت لها: ولا أنا أحكم عليكِ

لم تهب الميلاد الجديد بشريعةٍ

ولا عطاء جسدك ودمك حسب شريعة

ولا الخلود هو حكم من أحكام الشريعة

ولا حتى قيامة أجسادنا التي ستقوم كما قام جسدك.

اصفح عن جهل الحاقدين، وأمحو ذنب الجهلاء،

وأنر القلوب التي غرقت في ظلمة العداوة.

---

(١) راجع مقالة: المجمع المقدس يبحث عن وصية. منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

طهارة الجسد، الدسقولية وتعليم الآباء: أثناسيوس الرسولي وذهبي الفم وكيرلس الكبير[1]

عودٌ على بدء

نعود إلى ذات الموضوع الذي سبق ونشرنا دراسةً وافيةً عنه بعنوان: "تطور النظرة إلى التطهيرات الجسدية"، وحتى لا يتوه القارئ بين تضارب ما ورد في المصادر العربية وبعض ما ورد في رسائل بعض الآباء البطاركة –وقد سبق ونشرنا ذلك– يجب أن يعرف كل قارئ أن قواعد التمييز التي تحكم هذا الموضوع كالآتي:

أولًا: العقيدة أو الإيمان المدوَّن في قانون الإيمان والمعلن في صلوات الكنيسة، لا سيما خدمة سرائر المعمودية – الميرون – الإفخارستيا، هي التي تجعلنا نميِّز بين ما هو أصيل وثابت وبين رأي شخصي يتعارض بشكلٍ ظاهرٍ مع الإيمان؛ لأن ما لا يتفق مع التعليم اللاهوتي حتى لو أخذ شكل قانون وورد في رسالة، يجب غض الطرف عنه طالما لم تأخذ به المجامع المسكونية، أو مجمع مكاني قبلته الكنيسة في مجموعة الشرع الكنسي.

ثانيًا: ما لدينا من ثوابت في هذا الشأن هو رفع حكم الموت والدينونة، وتقديس الجسد في المعمودية ومسحة الميرون، وتحوُّلنا نحن إلى جسد المسيح في الإفخارستيا.

فما يُكتَب أو يقال عكس ذلك يجب فحصه في ضوء هذه الثوابت، وهو ما سوف نراه في حكم الدسقولية على إفرازات الجسد.

---

(1) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ديسمبر ٢٠١٣.

ثالثًا: من الثوابت أيضًا أن ما يُوهَب في السرائر هو عطية أبدية لا يمكن للموت أو الخطية أن تنال منه أو تدمره، ولذلك نحن لا نُعيد معمودية المرتدين، أو نُعيد مسحة الميرون.

رابعًا: التجسد الذي أعطانا شركة في حياة الثالوث، وبالموت رفع حكم الموت، وبالقيامة أعطانا الخلود، وبسكنى الروح القدس فينا جعلنا أبناء الله إلى الأبد، ليس قانونًا ولا هو شريعةً، ولا يُعطى لمن يستحق، بل للخطاة الذي يؤمنون ويعودون للرب، ولأن ما وُهِبَ لنا بالتجسد والصلب والقيامة وسكنى الروح القدس لم يُعطَ بقانون ولا حسب شريعة؛ لذا يجب مراجعة كل ما يقال على عطية الله التي بلا ندامة، لا العكس أي إخضاع عطية الله لقوانين أو شريعة أيًا كانت.

تلك كانت مقدمة هامة للرد على رسالة وصلت لنا من الأخ سامي أسعد ميخائيل، ونحن نعتذر عن عدم نشر هذه الرسالة لأنها تحتوي على ما لا يخص جمهور القراء، ونكتفي بالرد الموضوعي على ما يمكن أن يكون فيه فائدة للجميع.

بدايةً، أشكر محبتك واهتمامك لأن الجيل المعاصر لنا سوف يقود هو النهضة القبطية الآتية لا محالة بما تحمله صحوة الشباب من زخم، خصوصًا وأنه لم يعد يرهب السلطان المزيَّف، وأصبح لديه قدرة على البحث الأكاديمي الصحيح والابتعاد عن السفاهات التي تصدر عن مرحلة ترهل فيها العقل والوجدان، فآن له أن يفتح الطريق أمام الحياة الجديدة خصوصًا وأن كل الوثائق الكنسية صارت في متناول اليد.

بخصوص سؤال محبتك عن قوانين أبوليدس، أقول الآتي:

أولًا: بخصوص التقليد الرسولي – (قوانين أبوليدس) *The Apostolic Tradition of Hippolytas* الأصل هو النص اللاتيني مع ترجمات قبطية – أثيوبية وعربية.

كانت أول طبعة هي للعالم *Dom Botte* الذي نشر الأصل اللاتيني فيما

يُعرف بوثيقة *Verona* وهي طبعًا الأقدم والأصل. ثم نُشرت الترجمة العربية للأب *Cequin* في مجموعة الآباء الشرقيين، وبعدها النص الأثيوبي الذي نشره *Duesnsing* ثم نشر النص القبطي *W. Till* في عام ١٩٥٤.

أخيرًا صدرت ترجمة انجليزية حققها *Gregory Dix* وأعيد طبعها في ١٩٦٨ بمقدمة لأستاذ التاريخ في جامعة أكسفورد *H. Chadwick* .

لا يوجد في الأصل اللاتيني قانون خاص بالـ ٤٠ يوم أو ٨٠ يوم. ولم يظهر ذلك إلاَّ في الترجمة العربية، وهو نص موسع يعود إلى روح العصر الوسيط، ولم يعرفه واضع التقليد الرسولي.

من واقع فصل ١٩ وما بعده عن الموعوظين وخدمة سر المعمودية (الطبعة الإنجليزية ص ٣٠ وما بعدها) يظهر أن الذين ينالون المعمودية هم من كبار السن. طبعًا بسبب الحشمة فقط في فقرة ٦ يقول: "وإذا كانت المرأة طامثًا يجب إبعادها وتعمد في يوم آخر" (المرجع السابق ص ٣١). لأن دم الطمث سوف ينزل في جرن المعمودية. ومن الواضح أنه كان يتكلم عن خدمة عيد الفصح التي كانت تقام ليلًا.

في الفصل ٢١ فقرة ٣ يقول عن معمودية الأطفال: "وسوف يعمِّدون الأطفال الصغار أولًا. ومن كان فيهم قادرًا على أن يجيب، دعهم يجيبون. أما إذا كانوا غير قادرين فعلى الآباء أو أي شخص من أسرتهم أو أي شخص آخر أن يجيب عنهم". وهكذا نلاحظ أنه لا توجد أية إشارة إلى الـ ٤٠ يومًا أو الـ ٨٠ يومًا.

أما بخصوص الإشارة إلى الإجابة هنا، فلأن الاعتراف بالإيمان كان يتم في الماء بعد خلع الملابس كلها والنزول إلى جرن المعمودية، ونزول شماس في جرن المعمودية لكي يسأل: هل تؤمن بالله ضابط الكل .... وبعد كل سؤال عن أقانيم الثالوث الآب والابن والروح القدس، يتم التغطيس ثلاث مرات حسب التسليم الكنسي.

ثانيًا: أرجو يا أخ سامي ألَّا تنزعج مما يُكتب أو يُنشر؛ لأن الشوشرة هي في

النهاية دخان لا يقوى على البقاء. ولذلك راجع الدسقولية "تعاليم الرسل"، الطبعة الثانية المحققة للراحل الكريم د. وليم سليمان المستشار ووكيل مجلس الدولة المصري الذي مُنِعَ من تدريس القانون الكنسي مع مستشار آخر هو د. عوني برسوم.

وفي فصل طويل هو الفصل ٣٣ تحارب الدسقولية دخول العادات والممارسات اليهودية وتقول مثلًا: "لا نختتن نحن مع اليهود ..." (ص ٧٠١)، وتشرح الجدل اليهودي – المسيحي الذي حُكم عليه في مجمع الرسل (أع ص ١٥)، ثم خطاب القديس يعقوب كما ورد في سفر الأعمال وتقول: "إن الذين سبقوا نزول الشريعة مثل أخنوخ ونوح وملكيصادق وأيوب لم يمارسوا الختان" (ص ٧٠٦).

وعن الزيجة تقول: "فهي بغير لائمة لأجل أنه من جهة الرب اتفقت المرأة والرجل ... " (ص ٧١١)، ثم تعيد الحديث عن الختان وتقول: "فلا تختنوا أجسادكم لأنه يكفي المؤمنين ختان القلب" (ص ٧١٢).

وعن تأجيل المعمودية لِما قبل الموت خوفًا من تدنيس المعمودية، تقول عنه: "والذي يقول إني إذا وصلت إلى الموت أعتمد لكي لا أخطئ وأدنس المعمودية – هذا غير عارف بالله".

وعن معمودية الأطفال تقول: "عمِّدوا صغاركم الأطفال وربوهم بالتعليم وبتقديم القرابين التي لله ..." (ص ٧١٤).

أمَّا عن ذبائح العهد القديم، فتقول الدسقولية: "لأن الله ليس بمحتاجٍ للقرابين" (ص ٧٢٤)، والله لم يأمر بالذبائح، بل "رأى شاكرًا أن يقربوا لله ولم يفعلوا ذلك بتكليف – هكذا أعطى موسى أيضًا للعبرانيين أن **يصنعوا هذا ولم يأمرهم**، ولكن سمح لهم أن يكون (ذلك منهم) إذا أرادوا هم ... " (ص ٧٢٤ - ٧٢٥). ولما سقطوا في الوثنية "غضب الله لأنهم لم يشكروه ... فربطهم برباطات لا تنحل ... ولم يقل لهم إذا صنعتم، بل اصنعوا لي مذبحًا" (ص ٧٢٦). ولذلك ربطهم "بساجورة الوصايا" لكي يبعدهم عن الوثنية "ولأجل قساوة قلوبهم ربطهم بهذا بالذبيحة وبالامتناع والتطهير (حتى) يحفظ هذه (الفرائض) ... " (ص ٧٢٧).

ثم عن الكنيسة تقول: "أمَّا أنتم إيها المؤمنون الذين آمنوا بإله واحد ... فقد حلَّكم من الرباطات وجعلكم أحرارًا من العبودية لأنه قال إني لا أدعوكم عبيدًا بل أحبائي ..." (يو ١٥: ١٥)".

وبعد ذلك عن طقوس العهد القديم تقول: "الغسل والقربان والكهنوت والخدمة التي كانت في مكان واحد نقلها إلى نوعٍ آخر. فعوض الاغتسال كل يوم أعطانا معمودية واحدة ... " (ص ٧٣٣). وهكذا نقل أيضًا الذبيحة الدموية و"أعطانا الناطقة بغير دم السرية. هذه التي تكمل لموت الرب".

الدسقولية تشجب الغنوصية والمانوية

وتميِّز الدسقولية بين الناموس الطبيعي (الوصايا العشر) وما دخل بعد ذلك وهو العادات التي ميَّزت بين اليهود والأمم. ولذلك أدعوك إلى قراءة هذا النص جيدًا، فهو سؤال هام: "فإن كان أقوامٌ يحتفظون أو يجتهدون (في العمل) بعادات يهودية، التي هي (اعتبار) التقطير الطبيعي وفيض الليل، ولمس الأموات نجاسة كالناموس، فليقولوا لنا (ألعلهم) في الساعات أو في الأيام (التي) يصيرون على واحدٍ (من هذه الحالات) يستعفون عن أن (يصلوا) أو يأخذوا من شكر الأسرار، أو لا (يلمسون) شيئًا من أسفار الكتب؟".

وجواب الدسقولية:

"وإذا اتفق وقالوا إن الامتناع عن هذه الأعمال ظاهر (الوجوب)، فقد صاروا مقفرين من الروح القدس الكائن الدائم كل حين للمؤمنين ..." (ص ٧٣٩).

والجواب يعني أن حلول الروح القدس الدائم يحفظ قداسة الإنسان وبنصٍ قاطعٍ: "لأن الروح القدس لا يفارق أحدًا من المسيحيين من المعمودية إلى يوم الموت".

المرأة الطامث

ماذا تقول الدسقولية نصًا: "فإن كنت أيتها المرأة المقيمة في الدم سبعة أيام (تفتكرين) أنك صرتِ مقفرة من الروح القدس لهذا السبب، فإنك إذا متِ بغتةً تذهبين وقد صرتِ غريبةً عن الروح القدس وتعوزك الدالة والرجاء الكائن لنا عند الله" (٧٣٩ - ٧٤٠).

والسبب في ذلك يعود إلى قاعدة التمييز:

"(ولكن) الروح ساكنٌ فيكِ بغير افتراق لأنه ليس بمحصورٍ في مكان واحد" (ص ٧٤٠).

ولذلك "يجب عليكِ أن تصلي كل حين وتنالي من الشكر (الإفخارستيا) وتغتنمي حلول الروح القدس عليكِ"[١].

حكمٌ عام لكل المسيحيين

"لأنه بهذه الأعمال هكذا لا يكون (المؤمنون) مع المخالفين وهي (لا تقدر) أن تنجس طبيعة الرجل أعني الزواج كالناموس أو الدم القاطر أو فيض الحلم ولا تقدر أن تفرق منا الروح القدس" (ص ٧٤١).

أساس التمييز والإفراز حسب الإيمان

إذا كان جيل الأنبا شنودة قد أهمل التمييز أو الإفراز ***Discernment*** فلا شك أن جيل الثورة المصرية قد أمسك بزمام الموقف وأصبح يسأل عن الثوابت وعن أساسات الإيمان، ولم يعد يقبل ما يصدر من دراسات عن غير متخصصين، ولذلك تجد أن الدسقولية تحرص على:

١- ثبات أبدي لحلول وسكنى الروح القدس في الجسد والنفس، وهو ما يجعل الإنسان مقدسًا إلى الأبد. ويؤكد ذلك الفصل ٣٦ من التقليد الرسولي

(١) راجع الحاشية ١٢ على ص ٧٤٠ وهي لا تختلف لاهوتيًا بالمرة.

الخاص بالصلوات حيث يذكر صلاة قبل النوم (فقرة ٧ ص ٦٥)، وصلاة نصف الليل، وفي الفقرة ١٠ من نفس الصفحة "إذا كنت متزوجًا فأنت غير نجس (ضد تعليم ماني والغنوصيين)؛ لأن الذين اغتسلوا لا يحتاجون إلى أن يغتسلوا من جديد لأنهم أطهار Καθαρος" (ص ٦٥).

ولا تعليق؛ لأن العلاقات الزوجية ليست نجسة، بل حسب الإضافة التي وردت في الترجمة العربية، وهو نصٌ موسَّع، وهو نفسه في الترجمة الأثيوبية: "وإذا نفخت في يدك اختم ذاتك باللعاب *Spittle* الذي يصدر من فمك لأنك طاهرٌ كليةً حتى قدميك لأن هذه هي عطية الروح القدس ومياه المعمودية التي تأتي من الينبوع الذي في قلب المؤمن قد طهرت من آمن" (ص ٦٦).

أمَّا النص اللاتيني فهو يؤكد نفس المعنى، وختم الذات هنا هو رشم الصليب "وعندما تأخذ نَفَسَك *breath* في يدك اختم نفسك باللعاب لأن جسدك كله طاهرًا حتى قدميك لأن عطية الروح وقطرات المعمودية تنبع من قلب (الذي يؤمن) كما من ينبوع وتطهِّر الذي آمن" (ص ٦٦).

٢- ليس فقط سكنى الروح القدس التي تعطي للمسيحيين التقديس الدائم، بل هي التي تسمح لمن نال سر المعمودية والمسحة أن ينال من سر الشكر لأن هذا هو غنى نعمة الروح القدس.

شهادة الدسقولية والرسائل الفصحية للقديس أثناسيوس الرسولي

يا أثناسيوس العظيم أنت تعود إلينا دائمًا في كل موقف، وفي كل محاولات الشيطان أن يحجب نور حياة يسوع المسيح، تؤكد لنا أن شرائع العهد القديم قد زالت تمامًا لأن الرب جاء لكي "يكمل الناموس"، أو "يكمل الشريعة"، أي لتصل إلى غايتها لأن "طقوس إسرائيل القديم كانت أولًا ظلالًا ... أمَّا نحن يا أحبائي فقد تمت الظلال وتحققت الرموز، ولذلك نحن لا نحتفل بالعيد حسب الرموز؛ لأننا لا نذهب إلى أورشليم الأرضية لكي نذبح حمل الفصح حسب

عادات وطقوس اليهود الفارغة، بل حسب إنذار الرسل علينا أن نعلو على ما في الرموز ... " (الرسالة ٤: ٤ ص ٥١٦ من الترجمة الإنجليزية. راجع أيضًا كتابنا: موت المسيح على الصليب حسب تسليم الآباء ص ٦٣٩ - ٦٤٠).

والرسالة ١٩ هي قطعة لاهوتية فخمة تحتاج إلى دراسة مستقلة، ولكن في هذه الرسالة بالذات نسمع صوت الدسقولية عن رفض الله لذبائح العهد القديم حسب شهادة الأنبياء: (أش ١: ١٤، أر ٧: ٢١، أش ٦٦: ٢).

وعن سفر اللاويين يقول المعلم العظيم: "لقد خُصص سفر اللاويين كله لأجل هذا الموضوع لكي يعرف من يقدم الذبيحة كيف يقبلها الله".

ثم يقول ذات كلام الدسقولية: "إن الشريعة لم تأمر أولًا في البداية بتقديم الذبائح ولم يكن هذا هو تدبير الله الذي أعطى الشريعة، أن تقدَّم له المحرقات، وإنما كان الله يقصد الحقيقة التي أشارت إليها الرموز"؛ لأن الناموس (الشريعة) له ظل الخيرات الآتية، قد رُتِّبَ حتى يجيء زمان الإصلاح أو التجديد" (را: عب ٦: ١٨، ٩: ١٠، ١٠: ١).

وبعد ذلك يذكر أن سقوط الشعب في الوثنية هو الذي جاء "بناموس الوصية الخاصة بالذبائح حتى يتعلموا من تقديم الذبائح للآلهة الكاذبة التي لا وجود حقيقيًا لها، كيف يعبدوا الله حسب وصايا الشريعة. وقال الله عن ذلك لم أطلب منكم الذبائح .. (أرميا ٧: ٢٣)" (راجع كتابنا: موت المسيح على الصليب، ص ٦٤٦ - ٦٤٧).

صوت الدسقولية في عظة للقديس يوحنا ذهبي الفم

ألقى القديس يوحنا ذهبي الفم ٨ عظات ضد المتهودين *Jugizing* من المسيحيين، أُلقيت في إنطاكية حيث كان كل السكان يتكلمون الآرامية، وحدث اختلاط بين المسيحيين واليهود لا سيما في الأعياد. وقد أحجم علماء الآباء عن نشر هذه العظات بحجة تجنب الاتهام بمعاداة السامية *Anti - Semitism* وهو الاتهام السياسي الذي ظهر بعد الحرب العالمية الثانية، ولكن الجامعة الكاثوليكية قدمت ترجمة جيدة لها في سلسلة آباء الكنيسة، مجلد ٦٨.

في العظة الرابعة يقول ذهبي الفم:

"كان الله قد رأى كيف يغلي اليهود بعطشٍ للذبائح. وكان يرى أنهم كانوا على استعداد لأن يعودوا للأصنام، إذا منَعَ عنهم الذبائح ... ولذلك سمح لهم بذبائحهم. وعندما منح هذا الإذن كان ذلك لسبب، بعد أن حفظوا العيد لإكرام الشيطان، سمح لهم الله بالذبائح. وكان كل ما يريده الله أن يقول: أنتم المشتاقين وطالبي الذبائح، إذا أردتم أن تذبحوا، اذبحوا لي. ولكن عندما سمح بالذبائح لم يكن هذا الإذن باقيًا إلى الأبد. وفي حكمة طرقه نزع الذبائح منهم" (عظة ٤ : ٥ ص ٩٠ ترجمة: *Paul. W. Harkins*).

هل الجهاز التناسلي للمرأة تحت حكم الموت، ولذلك هو نجس بالخطية؟

سؤالٌ لم أكن أتوقعه، ولكن يجب الرد عليه، وإذا كان هذا السؤال مبني على ما نشره الأنبا بيشوي –وأنا لم أطلع على النص بعد– فإنني أرجو أن أحصل على النص كاملًا؛ لأن هذا الرأي لا يختلف عن تعليم الغنوصيين والمانيين أتباع ماني *Mani* الذين قالوا إن الجسد هو مصدر الشر. ولكن، حتى أحصل على النص كاملًا، أضع أمامك هذه النقاط الضرورية:

أولًا: المقالة ١٥ في السجود والعبادة بالروح والحق

عندما شرح نص لا ١٢: ٢ يقول القديس كيرلس الكبير حقًا: "المتخصصون قالوا لنا إن الجنين الذكر عندما يستقر في الرحم، وعندما يتكون ويصبح له شكلًا محددًا، فإن هذا يتم في الأربعين يومًا، ولكن في حالة الجنين الأنثى، التطور يكون أبطًا لأن الأنثى أضعف في التكوين، ولذلك قالوا إنها تحتاج إلى ٨٠ يومًا ... " (مجلد ٦٨: ١٠٠٨، يمكنك أيضًا مراجعة الترجمة العربية المجمعة التي أنجزها د. جورج عوض إبراهيم ونشرها المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، نصوص آبائية ١٨٠، ص ٦٢٢).

ولكن ماذا حدث بسبب تجسد الكلمة ابن الآب؟

يشرح القديس كيرلس اللعنة بأنها: "الحزن والوجع في ولادة الأولاد (تك ٣: ١٦)" (شرح متى ٢٨: ٩ مجلد ٧٢: ٤٦٩).

ولكن "عندما تجسد الله، فقد أباد اللعنة التي وُضِعَت على المرأة" (راجع عظة ٢ على إنجيل لوقا مجلد ٧٢: ٦٨٩)، فكيف تم ذلك؟

يجيب القديس كيرلس إن "النساء كنَّ يلدن للموت، ولذلك شعرت النساء بالوجع والحزن، ولكن عندما ولدت امرأة حسب الجسد عمانوئيل الذي هو الحياة، فإن قوة اللعنة قد أُبيدت ومعها قوة الموت والحزن التي وُضِعَت على المرأة" (المرجع السابق).

إن إنكار تجديد الطبيعة الإنسانية هو إنكارُ لتجسد ابن الله ويتساوى معه، وليست هذه عبارات من تأليف كاتب هذه السطور، ولكن هكذا يشرح القديس كيرلس السكندري تجديد الإنسانية في المسيح رب المجد:

> "أخذ الكلمة جسدًا لكي يشفي المرضى، ويحرر الإنسان من الذنب الأول (القديم) ولذلك كان من الضروري أن تنال المرأة شرف البشارة بالقيامة لأن المرأة الأولى قد أغوت آدم للعصيان معها وسمعت خطاب الحية، وصارت هي نفسها

سبب الموت، لذا كان من الضروري محو الذنب والدينونة المخيفة بالبشارة السارة للرسل؛ لأنه حيث كثرت الخطية -كما قيل- ازدادت النعمة جدًا (رو ٥: ٢٠)، وبشارة الخلاص (الإنجيل) أُعطيت للمرأة التي كانت قبلًا خادمة للموت ... " (شرح أشعياء ٣: ١ مجلد ٧٠: ٦٠٨).

وفي التفسير الأنيق *Glaphyra* على سفر اللاويين يشرح القديس كيرلس نص لا ٦: ٢٧ ويقول: "هل حددت الشريعة رفض المرأة من البركة؟ نحن لا نقبل ذلك؛ لأن جنس النساء تقدس معنا. والحقيقة هي أن ما كُتِبَ كان رمزًا وظلالًا، فالشريعة جعلت من الذكر أي الرجل مقدسٌ روحيًا في المسيح ... في المسيح يسوع "ليس ذكرًا ولا أنثى"؛ "لأننا جميعًا نشترك في الخبز الواحد" (غلا ٣: ٢٨، ١ كور ١٠: ١٧)" (مجلد ٦٩: ٥٥٢ - ٥٥٣).

فالإفخارستيا التي تجعل الكل جسد المسيح لا تميِّز بين الرجل والمرأة؛ لأن التمييز هو حسب موهبة الروح القدس وليس حسب الطبيعة القديمة البيولوجية، التي يتمسك بها الأنبا بيشوي، إذا صحَّ ما ذكرته في رسالتك من أنه يقول إن الجهاز التناسلي للمرأة تحت اللعنة.

والمساواة بين الرجل والمرأة تؤكدها نبوة يوئيل النبي عن حلول الروح القدس يوم الخمسين حيث ينسكب الروح على "البنين والبنات" (راجع شرح نبوة يوئيل *Pusey I. 339*).

ثانيًا: صلوات المعمودية

مراجعة صلوات المعمودية نفسها تدحض التعليم الغنوصي المنسوب للأنبا بيشوي -في انتظار النص- لأن كل الصلوات تؤكد تجديد الجسد والنفس لكل من نال المعمودية، ولذلك لا تلد الأمهات من مستودع اللعنة والخطية، بل يلدن أعضاءٌ للمسيح، أي لجسده الكنيسة.

ثالثًا: تجسد الكلمة حوَّل ميلادنا إلى ذاته

يقول أثناسيوس العظيم: "فبينما وُلِدَ جسده من مريم والدة الإله، قيل عنه إنه هو الذي وُلِدَ، مع أنه هو المانح الآخرين الميلاد ليوجَدوا. ولكن ذلك كان **ليحوِّل إلى ذاته ميلادنا** فلا نعود بعد إلى ترابٍ كمجرد ترابيين ... فإننا نُحمل إلى السموات بواسطته" (ضد الأريوسيين ٣: ٣٣).

"لقد قَبِلَ الكلمةُ كل ضعفات الجسد لكي يحرر الإنسان منها، ولذلك لم يعد ألم الولادة هو للموت، بل لأن القيامة أغلقت باب الهاوية. وأمَّا الآن وقد صار الكلمة إنسانًا، وجعل ما يخص الجسد يخصه، فلم تعد هذه الخواص تستعبد الجسد، بسبب الكلمة الذي جاء في الجسد، بل صارت تُستأصَل بواسطته (الكلمة)، والبشر لا يُعَدُّون فيما بعد خطاة ومائتين حسب أوجاع الجسد الخاصة، ولكنهم يقومون بقوة اللوغوس ويبقون إلى الأبد غير مائتين وعديمي الفساد" (ضد الأريوسيين ٣: ٣٣).

فهل ينكر المطران تجسد الكلمة والتحول الجذر الذي جاء به الكلمة المتجسد؟ أرجو ألَّا يكون قد سقط في هذه السقطة الكبرى؛ لأن المحبة لا تفرح بالإثم كما قال رسول الرب.

أخيرًا أخي الكريم، أعتذر لك عن هذه الرسالة المطولة، ولكن الاعتداء على الإيمان –كما شرحته أنت– في عبارات لا أريد نشرها، تجعلني أكتب عن التعليم. أمَّا خطايا وأخطاء البشر، فإن المسيح الرب هو القادر أن يفتِّح العيون وينير البصائر ويرد التمييز المفقود حتى لا ننتهي إلى بديلٍ لا علاقة له بالمسيح يسوع: اليهودية، أو الإسلام، أو الغنوصية.

الرب معك

الصوم والتناول، والعلاقات الزوجية[1]

الصوم أصلاً ليس قانوناً بل هو اختيار إرادي حر. المسيحية لا تعرف الفرائض وحتى التمييز بين أنواع الأطعمة لم يُقنن في الغرب إلَّا في مجمع ترولو (القرن السابع)، وهو مجمع عقدته الكنائس الغربية في ٦٩٢ وهو المجمع الذي أطلق على مجمع أفسس الثاني اسم المجمع اللصوصي (راجع مجموعة الشرع الكنسي — حنانيا إلياس كساب -١٩٩٨- ص ٥٣٦).

وقد منع هذا المجمع زواج الإيبودياكون والشماس والقس بعد السيامة (الرسامة) (قانون ٦) ولم يذكر سبباً عقائدياً. ومن قانون ١٢ يظهر لنا أن الأساقفة المتزوجون كان لهم وجود فعلي حسب مقدمة القانون (راجع ص ٥٥٠)، بل لقد جرت محاولات لفصل الزيجة في حالة الرسامة، ولكن المجمع لم يقبل ذلك في مقدمة القانون ١٣ بالنسبة للشماسة والقساوسة في كنيسة روما نفسها.

ونص قانون ٥٦ يقول: "عَلِمنا أيضاً أنه في مقاطعات أرمينية وفي أماكن أخرى يأكل بعض الناس بيضاً وجبناً في سبوت الصوم المقدس وآحاده، فيلوح لنا أنه يحسُن أن يسود نظام واحد في كنيسة الله في كل أنحاء العالم، وأن يُحفظ الصوم حفظاً دقيقاً، وكما يمتنع الناس عن أكل ما ذُبِح، هكذا يجب أن يمتنعوا عن أكل البيض والجبن، وهما من نتاج الحيوانات الممنوع أكل لحمها. وكل من لا يحفظ هذه الشريعة فليسقط إن كان إكليريكياً، وإن عامياً فليُقطع" (ص ٥٨٤ — المرجع السابق).

---

(1) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٤ إبريل ٢٠١٤.

المؤرخ الكنسي سقراط

ولكن المؤرخ الكنسي سقراط (لا يجب الخلط بينه وبين الفيلسوف الذي عاش قبل المسيح) وقد كتب لنا التاريخ الكنسي من العصر الرسولي حتى ٣٩٨، سجَّل لنا في الكتاب الخامس فصل ٢٢ اختلاف فترات الصوم الكبير، بل وطريقة الصوم، إذ يقول: "الصوم قبل عيد القيامة مختلفٌ من مكان لآخر عن الشعوب. الذين في روما يصومون ثلاثة أسابيع متتالية قبل عيد القيامة ما عدا السبوت والأحاد .. الذين في اليونان والإسكندرية يصومون ٦ أسابيع ويطلقون عليها اسم "الصوم الأربعيني"، آخرون يبدأون الصوم من الأسبوع السابع قبل عيد القيامة ويصومون ٣٥ يوماً فقط منفصلة ورغم ذلك يطلقون عليها اسم صوم الأربعين يوماً. ومن المدهش حقاً بالنسبة لي الاختلاف على عدد الأيام". وبعد ذلك يتابع ملاحظته على أسلوب الصوم فيقول: "ويوجد اختلاف على أسلوب الانقطاع ونوع الطعام أيضاً .. البعض يمتنع عن أكل ما فيه حياة، والبعض يصوم على السمك فقط من ضمن الكائنات الحية والبعض بالسمك ويأكلون الطيور أيضاً قائلين إنه حسب موسى (تك ١: ٢٠) قد خُلِقت من الماء. البعض يمتنع عن أكل البيض وكل أنواع الفواكه، بينما البعض يأكل الخبز الجاف فقط، وآخرون يرفضون هذا ذاته. البعض يصوم للساعة التاسعة ويأكلون أي طعام مهما كان. بينما شعوبٌ أخرى لهم ممارسات أخرى، وكل منهم له أسبابه الخاصة" (راجع ص ١٣١ من الطبعة الانجليزية المجلد ٢ لآباء ما بعد نيقية).

ملاحظة هامة لنفس المؤرخ:

"ولكن حيث أن أحداً لا يستطيع أن يقدم وثيقة مكتوبة كسلطة، فمن الواضح أن الرسل تركوا لكل واحد أن يمارس حريته الخاصة، حتى أنه في النهاية كلٌّ يمارس ما هو نافع (صالح) بل بالغرض أو الضرورة" (المرجع السابق، ص ١٣١ – ١٣٢).

انعدام دراسة التاريخ هو أحد مكونات الأصولية:

لا تقوم المسيحية أو تسقط بنصوص القانون الكنسي، بل تقوم بالبقاء في الاستعلان الإلهي المعلَن في يسوع المسيح ابن الآب، والثابت بقوة وعمل الروح القدس. القانون الكنسي منظِّم للحياة الكنسية، ولكن إن تعارض مع التعليم العقائدي الثابت، فهو يكون قد تجاوز الحدود التي رسمها الإيمان. فما هي هذه الحدود؟

أولاً: إن الطعام ليس نجساً ولا شريراً حتى يُمنع؛ لأن أصحاب هذا الاعتقاد هم أصحاب مدارس الغنوسية التي أسهبت الدسقولية -بناءً على التعليم الرسولي- في محاربة هذا الاتجاه المدمر. وقد وصف رسول الرب هؤلاء بأنهم "تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين في رياء أقوال كاذبة موسومةٌ (مختومة) ضمائرهم". هذه العبارات القاسية قالها الرسول عما يأتي: مانعين عن الزواج (لأن الزواج هو إعطاء الجسد للروح بالولادة للأرواح التي عصت في العالم الروحي وسقطت ونزلت إلى العالم المادي —كان هذا سائداً قبل المسيحية في حلقات افلاطون ومن بعده وأدَّى إلى قيام تناسخ الأرواح).

ثم يضيف الرسول: "آمرين أن يُمتَنع عن أطعمة قد خلقها الله لتُتناول بالشكر مع المؤمنين وعارفي الحق" (أي الامتناع عن أكل اللحوم؛ باعتبار أن أجساد الحيوانات هي أماكن عقاب الأرواح الشريرة التي كانت إنسانية ثم تجسَّدت في الحيوانات لكي تعاقَب على خطاياها). وأضاف الرسول: "لأن كل خليقة الله جيدة" (وهو ضد الغنوسية التي نادت بأن الجسد هو ما خلقه إله الشر، الإله خالق العالم المادي). ثم يكمل الرسول: "ولا يرفض شيء إذا أُخذ مع الشكر لأنه يقدَّس بكلمة الله والصلاة" (أي يصبح الكل مقدسات الله، خلقه الله بشكل خاص من أجل هدفٍ خيِّر). وأخيراً يوصي الرسول تلميذه تيموثاوس قائلاً: "إن فكرت الأخوة بهذا تكون خادماً صالحاً ليسوع المسيح متربياً بكلام الايمان والتعليم الحسن الذي نتبعه" (١ تيمو ١-٦).

ثانياً: لقد أزال تجسد ابن الله كل شرائع التطهيرات القديمة، تلك التي جاءت مع شريعة موسى، وهي: "لا تمس، ولا تذُق، ولا تجس (تختبر)"، ووصفها بأنها: "التي هي جميعها للفناء في الاستعمال حسب وصايا الناس التي لها حكاية حكمة بعبادة لا قيمة لها وتواضُع (إلغاء الصورة الإلهية في الإنسان)، وقهر الجسد ليس بقيمة ما من جهة اشباع البشرية" (كولوسي ٢: ٢١-٢٣). والعبادة النافلة أو الزائدة أو التي لا قيمة لها، كانت قديماً وضع حدود لعدم اختلاط الشعب مع الشعوب الأخرى، وبالذات الكنعانيين، فجاءت الوصايا الخاصة بالاغتسالات وأنواع الأطعمة والزواج والموت .... الخ. ولكن الخلقة الجديدة التي صار لها أساسٌ جديد، ليس في ستة أيام الخلقة، بل في اليوم الثامن، يوم قيامة الرب عندما قام في اليوم الأول من الأسبوع (مرقس ١٦: ٩)، يوم تجديد القديم وردِّ الانسانية إلى الله. ولذلك يصرخ الرسول: "كل الأشياء تحل لي لكن ليس كل الأشياء توافق. كل الأشياء تحل لي لكن لا يتسلط علي كل شيء. الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة والله سيبيد هذا وتلك" (١كو ٦: ١٢-١٣). لأن الدائم والأبدي هو طعام الخلود، هو المن السماوي النازل من عند الآب، أي "جسد ودم عمانوئيل إلهنا".

ماذا عن العلاقات الزوجية بشكل عام:

يقول الرسول عن ما وصله عن ممارسات المجتمع الروماني اليوناني في كورنثوس، وهو الاختلاط العام في ولائم الآلهة والألعاب الموسوية: "من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها فحسنٌ للرجل أن لا يمس امرأة، ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته ولكل واحدة رجلها" (١كو ٧: ١-٢). فقد كانت الحمامات الرومانية عامةً أشبه بالمواخير، وكان العبيد من النساء يمارسن التدليك، واستخدام العطور للرجال وليس للنساء فقط، وهذه هي الخلفية التاريخية التي قد لا تظهر في شرح رسائل القديس بولس (راجع على سبيل المثال:

Paul W. Deming: Paul on Marriage and Celibacy: The Hellenistic Background of I Corinthians, 1995.

يتكلم الرسول عن العلاقات الزوجية، فهو يقول بكل صراحة حسب النص:

١- ليعرف الرجل المرأة حقها الواجب.

٢- كذلك المرأة أيضاً الرجل.

٣- ليس للمرأة وعندما تسلط على جسدها، بل للرجل.

٤- وكذلك ليس للرجل تسلط على جسده، بل للمرأة (١كو ٧: ٣-٤).

والنتيجة هي:

١- لا يسلب أحدكم الآخر إلَّا أن يكون على موافقة إلى حين.

٢- لكي تتفرغوا للصوم والصلاة.

٣- ثم تجتمعوا أيضاً معاً لكي لا يجرِّبكم الشيطان بسبب عدم نزاهتكم.

وأخيراً:

"ولكن أقول هذا على سبيل الإذن لا على سبيل الأمر". وذلك مع أنه يقول: "لأني أريد أن يكون الجميع كما أنا. لكن لكل واحد له موهبته الخاصة من الله. الواحد هكذا والآخر هكذا" (١كو ٧: ٦-٧).

ملاحظات على كلمات الرسول:

١- الحق الواجب هو opheilen وهو ما هو واجب يؤدَّى بالإرادة الصالحة، ليس عن قمع أو فرض، ولذلك ينكر الرسول فكرة الانفراد بالتسلط، واستخدام الكلمة exousia يعني لغوياً القدرة الحرة وليس السلطة.

٢- لا يسلب أحدكم الآخر وحرفياً تعني لا يغش me apostereite فالانقطاع هنا ليس للغش، بل بالاتفاق والاجتماع مرةً ثانيةً هو العلاقة الزوجية في فراش الزواج. الاجتماع synerehesthe.

٣- على سبيل الإذن لا على سبيل الأمر. هذه ليست وصية إلهية، وأقرب كلمة هي concession والأمر هو epitage ليس وصية الهية.

التفرغ للصوم والصلاة:

١- هو اختيارٌ حر بالاتفاق لا يمكن أن يتم بواسطة طرف ثالث مهما كان؛ لأن الامتناع كما يقول ذهبي الفم هو "مصدر شر عظيم، إذا كان هذا الامتناع زائداً عن الحد. فالزنى والعهارة تدمِّر الأسر، وهو نتيجة هذا الامتناع. إذا اقترف رجلٌ متزوج الزنى، فكيف لا يسقط إذا امتنعت زوجته. إذا لم يكن هناك اتفاقٌ، فإن **الامتناع في هذه الحالة هو نوعٌ من السرقة"** (عظة ١٩: ٣ على كورنثوس الأولى راجع ص ١٠٦).

٢- لا محبة بلا حرية. ذبيحة المحبة التي تُقدَّم على حساب الآخر، مرذولةٌ تماماً من الله. ولذلك لا يمكن لقانون مهما كان قائله أن ينظم العلاقة الزوجية، فهي تخضع لاعتبارات شخصية تتوافق مع نضوج الذين دخلوا الزيجة عن محبة ومقدار نمو الفهم والالتصاق بالرب عن حرية وليس عن إرغام.

كيف هدمت طقوسٌ معاصرة، التقديس الأبدي المعطى لنا في السرائر؟

أولاً: ما هي مدة بقاء الاتحاد بالرب بعد التناول؟ إن تحديد هذا بالأيام هو إنكارٌ صريح للاتحاد الأبدي بالرب يسوع الذي عبَّر عنه الرسول بولس بأنه لا يوجد شيء حتى الموت — الحياة — الملائكة — الرؤساء — القوات — أمور حاضرة — أمور مستقبلة — علو — عمق — ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا" (رو ٨: ٣٨-٣٩). ولست أدري الأصل التاريخي للتسع ساعات واليوم الأول ... الخ. هذه كلها خرافات عجائزية حسب وصف رسول المسيح: "الخرافات الدنسة العجائزية فارفضها" (١ تيمو ٤: ٧)؛ لأن ما يُمنَع هو الشر، وعندما وضعنا عبارة الأب مينا المتوحد — قداسة البابا كيرلس السادس: ما هو ممنوع قبل التناول ممنوع بعد التناول، وهو الشر، سأل الظرفاء عندنا عن توثيق عبارات قداسة البابا كيرلس السادس، ولم يسأل هؤلاء عن توثيق أقوال آباء البرية التي كُتبت أحياناً بعد نياحتهم وبواسطة أشخاص لم نسمع

عنهم؛ لأن ما يُقال في إرشادٍ واعتراف، كيف يوثَّق؟ ولكن الواضح أن التقديس بالروح القدس قد ضاع من الوعي الكنسي المعاصر، وأصبحت الدورة الشهرية عند المرأة، والاحتلام عند الشباب، يهدمان ختم وفاعلية المعمودية والميرون، بل وثبات الرب يسوع فينا بواسطة سر الشكر، وصرنا نفتِّش عن الوضوء بالماء[1].

([1]) راجع دراستنا عن تطور النظرة إلى التطهيرات الجسدية، وهي الدراسة التي بسببها مُنعت من التدريس بأمر تلاميذ موسى لا تلاميذ الرب يسوع الذي وحَّد الإنسان به في اتحاده بنا عندما تجسد وجعل الاغتسال بالروح القدس هو الاغتسال الدائم الذي يؤهلنا للقيامة. والدراسة منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية www.coptology.com

ماذا فعلنا بهيكل الروح القدس، "الجسد"؟[1]

طلب مني أكثر من صديق أن أشاهد مقطعًا من عظة للأب داود لمعي، تحدث فيها برقة وحكمة عن إفرازات الجسد، واستخدم الاسم الإنجليزي، بدلًا عن الاسم العربي الشائع، وهو العادة الشهرية، وهو استخدام فيه نوع من الأدب الجم واحترام لإنسانية الأمهات اللائي ولدتنا جميعًا.

قال الأب الفاضل إنه حرص على المشاعر، وإن أمومة الكنيسة تقول للمرأة عليك الاهتمام بنفسك ... الخ.

قارنتُ ذلك بما سمعته من القمص مينا المتوحد، والفاصل الزمني يربو على ٥٠ سنة ذاب فيها، أو ضاعَ الوعي اللاهوتي الإيماني، وحلَّ محل هذا الوعي نوعٌ من الحياء، بل وعدم الفهم، للإبقاء على الممارسة كما هي، مع وضع غلاف رقيق فيه الحشمة والرقة.

ما هو الفرق اللاهوتي الدقيق؟

إن ما هو ثابت وأبدي، ولا يمكن أن ينقص ولا يضيع، هو تقديس الجسد والنفس في سر الانضمام إلى الكنيسة: المعمودية — الميرون — الإفخارستيا .. لست ألوم الأب داود لمعي؛ لأنني أعرف الثمن الذي دفعته بعد نشر كتاب "تطور النظرة إلى التطهيرات الجسدية"، ومحاولات الأنبا بيشوي بالذات باتهامي بأنني أخالف التسليم الكنسي، يدفعه إلى هذا الأنبا شنودة، بل وبعض الأساقفة والكهنة. وهكذا وجد المتنيح الأنبا يوأنس أسقف الغربية نفسه في "عين العاصفة" بعد شكوى قُدِّمت من بعض كهنة الغربية للأنبا شنودة. وتمت محاكمتي في دير الأنبا بيشوي –استراحة الأنبا شنودة– ولم تصل لجنة المحكمة التي كانت تضم

---

(1) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٣ أكتوبر ٢٠١٤.

الأنبا شنودة والأنبا يوأنس – الأنبا بيشوي – الأنبا ثيؤفيلوس أسقف دير السريان المتنيح – الأنبا باخوميوس، وحضر آخر الجلسة الأنبا صرابامون أسقف دير الأنبا بيشوي، ولم يخرج هؤلاء بقرار سوى منع الكتاب من التداول. ومع تكرار الطلب بأن تكون محاضر الجلسة مكتوبة، وأن أحصل على نسخة .. لم أحصل على شيء، ولا حتى على نسخة من شريط التسجيل (الكاسيت).

في هذه الجلسة خرج (العلَّامة) الأنبا بيشوي يقول بأن التبرع بدم مسيحي لمسلم غير جائز لأن دم المسيحي (القبطي الأرثوذكسي فقط) يحتوي على دم المسيح ... ولما طلبت منه أن يكتب هذا، أشار إليه الأنبا شنودة الثالث، فقد كان أكثر ذكاءً منه بكثير، بأن لا يكتب؛ لأنني قلت: خُذ هذا القرار في المجمع المقدس لكي أتهمك بخيانة الوطن وتخريب الوحدة الوطنية. لأن دم المسيحي الذي يحتوي على دم المسيح –حسب قولك– لا ينفع حتى المسيحي نفسه، إن لم يكن لدى هذا المسيحي إيمان عامل بالمحبة؛ لأن هذا الادعاء له خطورته اللاهوتية؛ إذ يُخرج السر الكنسي من وقاره وألوهيته، ويحوِّله إلى شعوذة، ويجعل السر الكنسي أداة سياسية لتخريب وحدة شعب مصر بمنع التبرع بدم الأقباط للمسلمين .. هذه كانت أعظم سخافة تجعل الحجر يرتعش غضبًا كما يقول أهل صعيد مصر.

أعود إلى التسليم الكنسي المودع في الليتورجية، والذي يُمارَس في سر الانضمام إلى الكنيسة جسد المسيح:

* الجسد كله يغطس في مياه الولادة الجديدة التي يحل عليها الروح القدس ويُسكَب فيها زيت الميرون.

* الجسد يُمسح بزيت الميرون مسحة إلهية ٣٦ رشمًا على أعضاء الجسد حسب التسليم الكنسي.

* والجسد يشترك مع الروح في قبول "جسد ودم عمانوئيل إلهنا – هذا هو بالحقيقة آمين" حسب صلواتنا.

كيف –بعد كل هذا– يمكن لإفرازات الجسد –مهما كان نوعها– أن تمسح

العطية الإلهية، وهي:

- التبني.
- ميراث الملكوت.
- سكنى الروح القدس فينا؟!!!

اتحادنا بالرب يسوع:

إن اتحادنا بالرب يسوع ليس اتحادًا مؤقتًا زمانيًا، ولا هو اتحادًا روحيًا فقط، بل هو اتحاد الكيان الانساني كله.

اتحادنا بالرب يسوع هو عطية، لا دخل للإنسان بها، بل هي هبة الله الآب في ابنه، لا في كتاب ولا بنص، بل بشخص، أي اقنوم الابن، وبعملٍ، ليس طقسًا فقط، بل هو حلول الروح القدس أيضًا الذي يعمل في كل صلوات وطقوس الكنيسة.

فكيف يتدخل إفرازٌ جسدي وَضَعَه الخالق نفسه، لكي يُبطِل النعمة، ويحوِّل قداسة الجسد والروح إلى قداسة تخضع لقوة الطبيعة البيولوجية التي خلقها الله؟

هل صارت الخطية أقوى من النعمة بحيث تستطيع أن تخلع النعمة، وتخلع ثباتنا في الرب يسوع المسيح؟

وماذا إذا كانت هذه الإفرازات ليست خطية، بل هي الطبيعة بعينها؟

لقد وضعنا رسالة القديس أثناسيوس الرسولي إلى الراهب آمون في بحث تطور النظرة إلى التطهيرات الجسدية، وكذلك ما ورد في الدسقولية، ولكن يبدو أن هذا لم يحسم الجدل حتى الآن!!!

ونحن نرى أن استمرار الجدل حتى الآن، إن هو إلَّا نتيجة للدخول من الباب الخلفي، لا مناقشة الموضوع مناقشة مباشرة في ضوء العهد الجديد ... ماذا عن كلمة الله في اللاويين والتثنية؟ وهل يوجد لدينا نص في العهد الجديد يقول بأن شريعة موسى قد أُبطلت؟ تردد هذا السؤال منذ ١٩٩٧ ولا زال السؤال يقدَّم

كاعتراض على أن هذه الأسفار القديمة: اللاويين والتثنية، هي كلمة الله التي لا يمكن أن تسقط، وهي وصايا الله الغير قابلة للتغيير!!

هكذا وإلى هذا الحد، وصلت الأصولية — الحكم بنص من الكتاب المقدس .. وهذا، بكل دقة يقبلها الضمير المسيحي الأرثوذكسي، هو العودة إلى مدرسة التوراة .. مدرسة الشريعة — مدرسة العهد القديم، ورفض البقاء في داخل مجال التدبير الجديد للخلاص الذي لم يُشيَّد على نص، ولا حتى على كتب، بما فيها العهد القديم، بل شُيِّد على عطاء حياة شخص الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح له المجد.

وقبل أن نسمع عواء الجهل، نقول إن العهد القديم هو شهادة للرب، ولكن الرب يسوع لم يقدِّم لنا كتابًا، ولم يأتِ لكي يمحو العهد القديم، بل لكي يقبل الشريعة وتعليم الأنبياء إلى نهايتها وإلى الخاتمة أو الكمال، أو حسب النص العربي "أكمل" (متى ٥: ١٧). وهذا يعني أن إكمال التعليم، ليس بالإضافة، بل ببلوغ الهدف والغاية؛ لأن عبارة رسول المسيح قاطعة تُسكت عواء الجهل: "كانت الشريعة مؤدِّبنا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان". وقوة العبارة في الكلمات التالية بعدها مباشرة: "ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا تحت مؤدِّبٍ" (غلا ٣: ٢٤-٢٥).

البحث عن النص حسب عقلية فقهاء الأصولية المعاصرة:

الذين يحاولون التحكم في المرأة بالذات، تركوا أول مجمع من المجامع الكنسية وهو مجمع الرسل الذي سجَّل لنا في سفر الأعمال (ص١٥) هذا هو الموقف حسب سفر الأعمال:

– قام أناسٌ من الذين كانوا قد آمنوا من مذهب الفريسيين وقالوا إنه ينبغي أن يختتنوا ويحفظوا شريعة (ناموس كلمة يونانية) موسى (١٥: ٥).

– بعد مباحثة (تداول) قال بطرس .. الله العارف القلوب شهد لهم (للأمم) معطيًا لهم الروح القدس كما نحن أيضًا" (١٥: ٧)، واعتبر رسول الرب أن نوال الأمم عطية الروح القدس دون حفظ شريعة موسى هو دليلٌ على عدم التزام الأمم

بهذه الشريعة، ولذلك يقول بعد ذلك مباشرةً: "ولم يميِّز بيننا وبينهم بشيء إذ طهَّر بالإيمان قلوبهم" (١٥: ٩)، ثم يضيف: "**لماذا تجرِّبون الله** بوضع نير على عنق التلاميذ لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله".

عجيب، لقد وصف القديس بطرس **حفظ شريعة موسى بأنه تجربة للرب نفسه!!** (١٥: ٩-١٠)، فماذا بعد هذا الوصف؟!!!

- يتكلم القديس يعقوب الرسول بعد مقدمة لاهوتية رائعة عن بناء خيمة داود، وعن عودة الأمم إلى الله، ثم يضيف: "لذلك أنا أرى أن لا يُثقَل على الراجعين إلى الله من الأمم" (١٥: ١٩).

الحكم الصادر من مجمع الرسل:

"إذ قد سمعنا أناسًا خارجين من عندنا (أورشليم) أزعجوكم بأقوال مقلِّبين نفوسكم وقائلين أن تختتنوا وتحفظوا الشريعة (الناموس) الذين نحن لم نأمرهم (يعني تعليم غير رسولي) .. لأنه قد رأى الروح القدس ونحن (هل يكفي قرار الروح القدس، أي الله؟) أن لا نضع عليكم ثقلًا أكثر غير هذه الأشياء الواجبة":

١- أن تمتنعوا عما ذُبِحَ للأصنام.

٢- وعن الدم.

٣- والمخنوق.

٤- والزنا.

التي إن حفظتم أنفسكم منها فنعمًا تفعلون. كونوا معافين (أع ١٥: ٢٨-٢٩).

لم يكن الحكم إذن خاصًا بمنع الختان فقط، بل جاء حكمًا عامًا يشمل شريعة العهد القديم كلها. وإذا بحث السلفيون والأصوليون عن نصٍّ، فليعلموا أنهم بحماقةٍ يهدمون العهد الجديد.

ولكن يجب أن نسير الميل الثاني معهم كما علَّمنا الرب نفسه.

احتجاج رسول الرب المقدَّم للعبرانيين:

كان الاحتجاج الأول الذي قدمه الرسول بولس دليلًا على عدم العودة إلى العهد القديم، هو كهنوت المسيح، والقارئ الفطن يعرف أن كهنوت الرب جاء من ملكي صادق وليس له علاقة بالمرة بكهنوت هارون. يمثل الإصحاح السابع من العبرانيين هذه النقطة التي تفصل بين العهدين: العهد القديم والعهد الجديد.

أقول للسلفيين والأصوليين الذين فقدوا الأرثوذكسية: هل قبلتم كهنوت الرب يسوع الذي وُهِبَ لنا من الآب بقَسَمٍ من الآب نفسه (عب ٧: ٢١)؟

إن قبول هذا الكهنوت كما يشرح رسول الرب، معناه أن الإيمان يعني بالضرورة زوال شريعة موسى. والبرهان على ذلك هو من كلام الرسول نفسه: "إذا تغير الكهنوت فبالضرورة يصير تغيير للشريعة" (عب ٧: ١٢). وبعد ذلك يكشف الرسول عن السبب في عدة مواضع: "يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها" (٧: ١٨). والسبب الاخر هو التغيير الدائم لرئيس الكهنة في العهد القديم، حيث يموت واحد ويأتي آخر وثالث ورابع .. الخ. وتظل الشريعة باقية؛ لأنه جاء لكي يخدم الشريعة (٧: ٢٣).

أما الرب:

– فيبقى إلى الأبد له كهنوت لا يزول (٧: ١٤). وبالتالي له عهد وشريعة لا تزول، ليست هي اللاويين والتثنية، بل شريعة الروح القدس. شريعة العهد الجديد وهو ما يقدمه الرسول في الاصحاح الثامن.

– "لو كان ذلك الأول (العهد) بلا عيب لما طُلِبَ موضعٌ لثانٍ" (٨: ٧)، ثم "هوذا أيام تأتي يقول الرب –لاحظ التعبير– حيث **أكمِّل** مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا عهدًا جديدًا" (عب ٨: ٨).

وصاحب هذه النبوة هو ارميا (٣١: ٣١) الذي بشَّر بالعهد الجديد. جديرٌ بنا أن نقف عند كلمات الرسالة الذي أخذها الرسول من ارميا. الله يقول "لائمًا"

معاتبًا (٨: ٨) ويقول "لا كالعهد الأول" عهدًا "أجعل شرائعي في أذهانهم وأكتبها على قلوبهم" (٨: ٩-١٠).

الخاتمة التي كتبها الرسول بولس للسلفيين والأصوليين:

"فإذا قال جديدًا (عهدًا) عتَّق الأول، جعله قديمًا، وأما عتق وشاخ، فهو قريب من الاضمحلال (٨: ١٣).

بالرغم من أنه شاخ وصار قديمًا، إلَّا أن البعض يريد أن يعيده جديدًا.

الكهنوت – الهيكل والذبائح:

لا يمكن فصل الكهنوت عن الهيكل ولا عن الذبائح .. هذا حبل مثلث واحد إذا انقطع واحد انقطع الثلثين.

- رئيس الكهنة الأبدي قدَّم نفسه بروح أزلي (عب ٩: ١٤).
- رئيس الكهنة في السماء هو وسيطُ عهدٍ أفضل (عب ٨: ٦).
- السماء هي خدمة رئيس الكهنة الأبدي؛ لأن شريعة موسى هي ظِل، وليست النور (عب ١٠: ١).
- الذبائح والقرابين بكل أنواعها لم يُسر بها الله (عب ١٠: ٤).

- لذلك، نزع العهد الأول ومعه الكهنوت ومعه الهيكل (عب ١٠: ٩)، والاصحاح التاسع كله يشرح الهيكل وما فيه من أدوات الخدمة مؤكدًا أن الخدمة السنوية في يوم الكفارة مصدرها "أن المسكن الأول له إقامة"، ولذلك لم يعلن الروح القدس أن طريقًا للأقداس سوف يستعلن (عب ١٠: ٨). لأن المسكن الأول، أي الهيكل هو رمزٌ للوقت الحاضر الذي تقدم قرابين وذبائح لا يمكن من جهة الضمير أن **تكمِّل** الذي يخدم .. موضوعةً إلى زمان التجديد (عصر الإصلاح) (٩: ١٠). لذلك جاء المسيح، ولاحظ أنه صُلِبَ خارج هيكل سليمان عند أسوار اورشليم بعيدًا عن المسكن الأول، فالمسكن الأعظم، أي

الناسوت (الأكمل) غير المصنوع بيد؛ لأنه لم يولد بقوة زواج، ولذلك هو ليس من هذه الخليقة، بل جاء بقوة الروح القدس (٩: ١١).

أما خلاصة الكلام: "ليس بدم ثيران وتيوس ... الخ ولذلك من الحماقة أن نقول إن المسيح قُدِّم لكي يكمِّل عمل ذبائح العهد القديم.

وماذا بعد، هل بقى شيء؟ .. نعم بقى قول الرب وهو يجاوب الفريسيين (إنجيل مرقس ص ٧)، ونقول لهم ولسلفيي وأصوليي هذا العصر، ذات كلام الرب: "مبطلين كلام الله بتقليدكم، "ليس ما يخرج من الإنسان ذلك ينجس الإنسان" (يسوع في مرقس ٧: ١٠) بل ما يخرج من الداخل من القلب هو ما ينجس الانسان.

هدم العهد الجديد:

مَن يهدم العهد الجديد عن جهل يمكن أن يُشفى بالتعليم، ولكن من يهدم بعناد فليعلم أنه يعاند ما أقامه الرب يسوع المسيح نفسه.

العهد الجديد اسمٌ ورد أولًا كعهد على لسان رب المجد عند تقديم الكأس: "هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم" (لوقا ٢٢: ٢٠). فهذا العهد هو عهدٌ نال قوة حياة يسوع (عب ٧: ١٦)، قوة حياة لا تزول. وقوة الحياة التي لا تزول جعلت يسوع ذاته ضامنًا لعهد أفضل" (عب ٧: ٢٢) ثابت على مواعيد أفضل (٨: ٦)؛ لأن له خدمة أفضل (عب ٨: ٦). أليس حفظ السبت من الوصايا العشر؟ فكيف تجاسر بولس أن يقول: لا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت. التي هي ظل الأمور الآتية" (كو ٢: ١٦)؟

وعندما يحل ملء اللاهوت جسديًا في تجسد ابن الله (كولوسي ٢: ٩) لأنه صار بذلك الوسيط الوحيد بين الله والبشر، تكون قد انتهت وساطة الشريعة.

نفاق السلفيين:

الاحتكام إلى اللاويين والتثنية يعني حسب شريعة موسى، ليس فقط العودة إلى تطهيرات العهد القديم، بل:

١- الرجوع إلى الختان في اليوم الثامن.

٢- تقديم الذبائح كما كانت تقدم في العهد القديم.

٣- الابتعاد عن الأطعمة المحرمة حسب الشريعة.

٤- العبادة يوم السبت.

٥- عدم وضع عظام القديسين في الكنائس لأن هذه العظام هي نجاسة.

٦- عدم استخدام الايقونات ولا زال السلفيون من الإخوة الإنجيليين يسألون عن الوصية التي تمنع الأيقونات.

٧- العودة إلى الأعياد الفصح والحصاد والمظال وغيرها.

إمَّا كل الشريعة، وإما حذف كل الشريعة.

وهناك سؤالٌ حائر: ما الذي يجعلك تختار ما تمنعه وأن تُبقِي على ما تسمح به؟ على أي أساس تم هذا الاختيار؟؟؟

- إذا كانت شرائع التطهير لازمة وتقدس الإنسان .. انتفى تقديس المعمودية...

- إذا كانت وظائف الأعضاء الجسدية تهدم نعمة الله، لم يعد لمسحة الميرون فاعلية ولا حتى الإفخارستيا.

وأخيرًا: هل لديكم إيمان بأن الجسد هو هيكل الروح القدس؟

لقد صار الجسد هو هيكل الروح القدس بسبب تجسد ابن الله. لعل الله لم يعد يسكن في هياكل مصنوعات الأيادي كما صرخ شهيد المسيحية الأول اسطفانوس (أع ٧: ٤٧)، أم أن لكم رأيًا آخر؟؟؟؟

ال ٤٠ يوماً وال ٨٠ يوماً والعودة إلى الشريعة[1]

رداً على رسالة القارئ الأستاذ جرجس:

سعدتُ كثيراً، بل ابتسمت؛ لأنك تركتَ الهذيان القائل بأن الأنثى تُولد بخطية أكبر من خطية الذكر. وهو الهذيان الوافد إلينا من ثقافة تحتقر الجسد، بل والإنسان عموماً. ووصل الاحتقار إلى كراهية جعلت من العنف الدموي حلاً لكل المشاكل المتراكمة عندنا طوال قرون، هذه المشاكل لا تعود إلى عصر الرئيس السابق حسني مبارك، ولا حتى إلى عصر الرئيس جمال عبد الناصر، بل هي ثقافة مصرية جمعت بين المسيحية والإسلام وبقايا الفرعونية (كديانة لا حضارة).

وعندما تنحدر كرامة الإنسان إلى أدنى درجة، يصبح القتل سهلاً، ويطفو العدوان على سطح الوعي، ويتحول إلى هذيان تراه في حرق الكنائس وقطع رؤوس الأبرياء، وخطف القاصرات.

في هذه النظرة الدونية يجد المجتمع الإنساني كله، وليس المصري فقط، أن الشريعة هي الحصن والحامي الوحيد للعلاقات الإنسانية. الشريعة مطلب أساسي جداً في حماية العلاقات، ولكنها لا تزرع الاحترام والوقار في قلوب البشر. تأمَّل: أنت لا تقتل خوفاً من العقاب، ولكن هذا لا يمحو العداوة، ولا يجعلك تحب الآخر كما تحب نفسك. ثم تأمل كيف تتراجع العلاقات الإنسانية تحت وطأة الخوف. إن جندياً ألمانياً واحداً كان يقود مئات من المقبوض عليهم للموت، بينما لو أمسك عشرة أو عشرين منهم بهذا الجندي لتغيَّر الموقف، ولكن الخوف هو الذي ساق "الأغنام" إلى الذبح.

ثم تأمل تطور العلاقات الإنسانية: إذا كانت أعمال الخير تمحو الخطايا، هنا

---

[1] مقال نشر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ديسمبر ٢٠١٣.

يصبح عمل الخير من أجل محو الخطايا هو العمى الروحي الحقيقي؛ لأن الإنسان لا يطلب عمل الخير من أجل الخير، بل لكي يتفادى عقاب الشر والخطية. وقد تجد في المجتمع من يدافع عن هذا بكل شراسة؛ لأن عمل الخير لمحو السيئات يعطي نوعاً من السلام للضمير، ولكن فاعل الخير بغرض محو السيئات لن يعرف طريق المحبة الحقيقية لأن المحبة ترفع الإنسان إلى سلوك إلهي وهو العطاء المتجرد الذي لا يبحث عن أسباب للعطاء، ولا يرجو مكافأة، ولذلك قال معلم الحق، الرب يسوع: "أن نُقرض من يحتاج دون أن ننتظر أن يرد القرض" (راجع لو ٦: ٣٥).

أعود إلى تطبيق أحكام شريعة العهد القديم، وبشكل محدد تلك التي منعت الإنسان من الصلاة والعبادة بسبب إفرازات الدم (سبق ونشر الموقع دراسة مطولة عن تطور النظرة إلى التطهيرات الجسدية، يمكن أن تتطلع عليها)، ولكن السؤال الحقيقي هو لماذا يعتبر الأنقياء -وهم عادة جمهور واسع الانتشار عندنا- أن هذا "فطر"؟!!!

هنيئاً لك يا أخ جرجس عبورك نفق هذيان نجاسة الجسد، ولكن الفطر الذي يمنع من التناول وممارسة السرائر، له ذات الجوهر، أي ينتمي إلى ذات قاعدة التحريم، وهي "الموانع الشرعية"، بينما في ديانة الإله المتجسد، الموانع ليست محددة بالشريعة، بل هي: الارتداد عن الإيمان – الهرطقة – الانغماس في الشرور والخطايا، فقط لا غير. أما ما يخص الجسد من إفرازات وضعها الخالق، فهي ليست موانع. طبعاً الاستعداد الشخصي مسألة شخصية لا يحكمها قانون، بل تُراجَع دائماً مع أب الاعتراف.

وهذيان من لا يفهم له جذور تعود إلى فقدان الرؤيا الأرثوذكسية للإنسان؛ لأن الإنسان في الأرثوذكسية ليس:

فرداً،

ولا هو

مجرد إنسان،

بل هو إنسان الشركة في عضوية الجسد الواحد، هذا هو ما سقط من الهوية، أي صورة الله ومثاله (تك ١: ٢٦)، فهو أعظم من كل الكائنات التي على الأرض، بل حسب كلمات المزمور كل شيء وُضِع تحت قدميه (مز ٨ كله). وهذا ما لا ترضى به ثقافة وحضارة النظرة الدونية.

وعندما يصلي الكاهن لكي تعود مياه المعمودية إلى طبعها الأول إلى الأرض، فهو في صلاة تسريح المياه، يقطع كل طريق على هذيان الجهل؛ لأن الإنسان لا يعود إلى الطبع الأول في المسيح، بل هو ينمو نحو مجد المسيح نفسه، بل الكون كله سوف ينحل، حتى الكنائس بكل ما فيها من جمال، لن تنال القيامة المجيدة، بل الإنسان، وهنا ليس الإنسان كفرد، ولا هو الإنسان لمجرد أنه إنسان، بل لأنه عضو في جسد المسيح الكنيسة، والكنيسة والمسيح الجسد الواحد موضوع يزعج الذين ينكرون حرية الإنسان في المسيح.

وكما ذكرت، كانت النظرة القديمة ترى أن الأم تنزف دماً أكثر بولادة الأنثى —راجع المقال نفسه– لكن رغم احترامي الشديد لمحاولة إضفاء مسحة تقوى على رقم ٤٠ إلاَّ أن الرموز هي إشارات للواقع نفسه، وهو اتحادنا الأبدي بالمسيح.

لقد ظل موضوع مطاردة الأب متى المسكين يشغل قلبي طوال ٣٠ عاماً، أحاول أن أعرف الأسباب الحقيقية، وهي ليست العداوة والحسد، فهي لا تصلح للبحث – أي عداوة وحسد الذين كانوا يهاجمونه– وكان السؤال الوحيد الحقيقي هو: ماذا حدث لاتحادنا بالمسيح؟ ولماذا غاب هذا الموضوع غياباً كاملاً عن مقالاتهم في الجرائد والكتب القبطية طوال ٤٠ عاماً، في الوقت الذي احتل فيه هذا الموضوع أحد المراكز الأساسية في كتب الأب متى المسكين ومقالاته؟ والجواب معروف لنا جميعاً: إن الاتحاد بالمسيح، أي اتحاد كل مؤمن بالمسيح يؤدي إلى:

١– أن كرامة كل شخص في الكنيسة مصدرها يسوع المسيح رب المجد.

٢– تحجيم السلطان المفرط الذي انتزعه الإكليروس من الله نفسه، سلطان الحرمان من الشركة دون وجه حق.

٣- حرية كل شخص في التعبير، طالما أنه لا يهدم هذا الاتحاد.

٤- محاصرة ما صار يُعرف بـ "الحرمان"؛ لأن الحرمان قرار يمس الرأس نفسه، أي يسوع المسيح رأس الكنيسة.

ولكن أنت تعرف ما آلت إليه الأمور.

أخيراً يا أخي، لا يوجد رمز أو إشارة إلاَّ وهي تخدم ذلك الهدف الإلهي الذي لأجله تجسد الابن ومات وقام وسكب علينا روح الآب. نحن نمتنع عن التناول لأسباب شخصية، ولكن أمورنا الشخصية هذه تُراجَع مع أب الاعتراف. وحتى ما يُعرف باسم "قوانين التوبة"، كانت تسمى في العصر الوسيط "دواء لعلاج النفس وإعادة الإنسان إلى الشركة"، ولكن تأمل ماذا حدث للذين قُطِعوا دون ذنب من الشركة. إن الذي قطعهم هو ذاته الذي قُطِعَ، وليس العضو البريء.

الرب معك

المجمع المقدس يبحث عن وصية!!![1]

بدايةً، لا يجب أن يكون ما يدور في أروقة المجمع المقدس من الأسرار التي ينبغي أن يلفها الصمت؛ لأن هذه الاجتماعات خاصة بحياة الكنيسة كلها، وبالتالي هي ليست شأناً خاصاً.

فقد اجتمع المجمع المقدس لكنيستنا القبطية في ١٩ نوفمبر الماضي، وكان ضمن جدول الأعمال، مناقشة التعليم الشعبي السائد عن منع المرأة من التناول في فترة الـ ٤٠ يوماً والـ ٨٠ يوماً بعد ولادة طفل ذكر أو طفلة أنثى .. وللأسف، لم يأخذ المجمع قراراً باتاً في هذا التعليم. وسمعنا من البعض أنه كان هناك شبه إجماع عام على أن الولادة وما يعقبها ليست نجاسة، وبالرغم من ذلك ظلّ التعليم الشعبي بعدم التناول موضوعاً معلقاً! وكان الاعتراض الوحيد الذي يستحق التعليق عليه، هو أنه ليس لدى الكنيسة وصية من الرب يسوع نفسه تؤكد إلغاء هذه الممارسة.

اعتراضٌ يبدو للوهلة الأولى أنه لائق، ولكن ما أن تتناوله بقليلٍ من التأمل، إذ به يكشف عن "يهوديةٍ" ضاربةٍ بجذورها في فكر صاحب الاعتراض، بل وفي قلب الذين وافقوه ولم يعترضوا عليه.

تعالوا نفكر معاً حسب الأسفار، لا حسب العواطف الهوجاء.

هل لدينا وصية من الرب يسوع بإلغاء الختان؟ الجواب: بكل يقين لا. وقد يقول قائلٌ إن الرب يسوع نفسه اختتن في اليوم الثامن، وهو قولٌ صحيح، ولكن حجةُ القائلين بأن الرب يسوع نفسه خُتِّنَ في اليوم الثامن، هي حجةٌ ساقطة تماماً؛ لأنه "وُلد تحت الشريعة أو الناموس" (غلا ٤: ٤ — لوقا ٢: ٢١). وبالرغم من أن

[1] مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٨ ديسمبر ٢٠١٤.

يسوع نفسه كان قد ولد تحت الناموس أو الشريعة إلَّا أنه هو نفسه من أثار مسألة حفظ السبت مع اليهود، وهي وصية يكسرها كل أب وأم، إذا جاء موعد الختان في يوم سبت، إذ يجب ختان الطفل حسب الوعد مع ابراهيم (يوحنا ٧: ٢٢)، بغض النظر عن السبت. **وهكذا يسبق الوعد الإلهي، أحكام الشريعة**، وهو محور أساسي في دفاع رسول الرب عن بشارة الإنجيل وصحتها في كل رسالة رومية، عندما يكتب: "لأنه ليس بالشريعة (الناموس) كان الوعد لإبراهيم .." (رو ٤: ١٣). وكذلك الأمر في رسالة غلاطية، التي يخاف المتهودون من دراستها لا سيما في عظات ذهبي الفم، حيث يقول رسول الرب: "أقول هذا إن الشريعة (الناموس) الذي صار بعد ٤٣٠ سنة لا ينسخ عهداً قد سبق وقرره الله في المسيح حتى يبطل الوعد" (راجع الأصل القبطي واليوناني لنص غلاطية ٣: ١٧).

إذن، أيهما يعلو: العهد (أو الوعد) الذي سبق أن قرره الله في المسيح، أم الناموس (الوصايا)؟

دعونا نرى كيف عالج الرسل موضوع الختان في أول مجمع كنسي حقيقي، عُقد ضد دعوة التهود، وكان دعاة التهود قد قالوا عن الختان إنه هو علامة العهد مع إبراهيم .... كيف قال الرسل: "قد رأى الروح القدس ونحن" (أع ١٥: ٢٨).

كان المقصود بالدعوة إلى التهود: الختان وحفظ الناموس (أع ١٥: ٢٤). ولكن الآباء الرسل اعتبروا أن هذه الدعوة ليست فقط "مزعجة"، بل قالوا عنها: "**مقلِّبين أنفسكم** وقائلين أن تختتنوا وتحفظوا الوصية" (أع ١٥: ٢٤)، لذلك لم يُصدر مجمع الرسل قراراً بإلغاء الختان كأحد بنود دعوة التهود، بل قالوا: "لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة، أن تمتنعوا عن:

- ما ذُبِح للأصنام
- عن الدم
- عن المخنوق والزنا (أع ١٥: ٢٩).

وبالتالي زالت كل الفرائض الأخرى.

وهنـا يثـور التسـاؤل: ألا يتخـذ المجمـع المقـدس لكنيسـتنا القبطيـة، مجمـع أورشليم، نموذجاً يحتذى، فيصدر قراراً متوجاً بـ "قال الروح القدس ونحن"؟ طبعاً، لو كان من أبدى الاعتراض، ومن قبلوه في قلوبهم، يؤمنون بأنهم يأخذون عطية الروح القدس لا مواهبه فقط، لأمكنهم عندئذٍ أن يصدروا هكذا قرار.

ما هو الصك الذي كان علينا؟

الصك الذي كان علينا لم يكن هو سقوط آدم، ولم يكن دفع ديون آدم، أو إيفاء العدل الإلهي حقه[1] -كما يدعي اللاهوتي الأوحد علّامة دمياط وكفر الشيخ- بل كان هو فرائض الشريعة. ولكي ندرك أن الرسول يتحدث عن موضوعٍ أعظم من سقوط آدم، علينا أن نعود إلى المعنى الكلي الظاهر بوضوح في الفقرة كلها. يقول الرسول:

١- "كنتم أمواتاً في الخطايا وغلف أجسادكم
أحياكم معه
مسامحاً لكم بجميع الخطايا

٢- إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض
الذي كان ضداً لنا
وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه في الصليب

٣ - فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التي هي ظل الأمور الآتية" (كولوسي ٢: ١٣-١٦).

موت الخطية ظاهرة كونية

غلف الجسد لم يعد له أية دلالة بالمرة؛ لأن العائدين إلى الله من الأمم قد نالوا ختان المسيح في المعمودية، وهو ليس ختاناً صُنع باليد، أي بواسطة البشر (كو٢: ١١).

---

(1) راجع مقالة الأنبا بيشوي "عقيدة الفداء والكفارة" ابتداء من ص ٣ إلى أخرها.

هكذا حذف الرسولُ الشريعةَ في الفقرة الأولى، وفي الفقرة الثالثة في سطرٍ واحد، ألغى كل ما نعرفه عن اليهودية:

- الأكل والشرب
- الأعياد
- طلوع الهلال لتحديد موعد الفصح،
- بل السبت

فهل كان لدى الرسول وصية، عندما قال إن كل هذه هي ظل الأمور الآتية في المسيح؟

الصكُ هو وثيقةٌ مكتوبةٌ فعلاً لدينٍ يجب أن يُدفع، ولكن في أشعياء (٤٣: ٢٥) يقول الرب نفسه: "أنا هو الماحي ذنوبك ولن اتذكر خطاياكم (س)". إذن، الصك هو الفرائض كما قال الرسول، وليس هو الخطايا، بل هو δόγμασίν أو الوصايا أو الشرائع أو القانون. ولذلك يتحدث الرسول هنا عن تعدي الشريعة، وتعدي الفرائض (بالجمع)، وليس وصية عدم الأكل من الشجرة. المقصود هنا هو شريعة موسى، والدليل على ذلك في الفقرة الثالثة يقول الرسول: "لا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو جهة عيد أو هلال أو سبت".

رفَعَه من الوسط

حسب ترجمة كنيستنا نقرأ النص القبطي:

Ⲟⲩⲟϩ ⲛ̀ⲑⲟϥ ⲁϥⲱⲗϥ ⲉⲃⲟⲗ ϧⲉⲛ ⲑⲙⲏϯ ⲉⲁϥⲧⲓϥⲧ ⲛⲁϥ ⲉϧⲟⲩⲛ ⲡⲓⲉ⳩

"وقد نقله بعيداً، أو بالحري أزاله من الوسط" (أي من علاقة الله بالإنسان؛ لأن الفرائض كانت هي الوسيط، وقد صار المسيح الرب هو الوسيط الواحد "مسمِّراً إياه في الصليب".

هل لدينا وصية من المسيح تقول بأن الإنسان هو هيكل الله، أي هيكل الروح القدس؟

هل تريدون وصيةً تقول إن الإنسان في العهد الجديد هو هيكل الروح القدس، أم أن هذا هو واقع الأمور؟

يقول الرسول: "أنتم هيكل الله" (١كو ٣: ١٧) والجسد هو "هيكل الروح القدس" (١كو ٦: ١٩)، لماذا؟ لأن الإنسان عندما يُقدَّس بالتغطيس في مياه المعمودية، ويحل فيه الروح القدس بمسحه وختمه بسر الميرون ٣٦ رشماً يصبح هيكلاً لله، فكيف يعود الإنسان (هيكل الله) إلى الأركان الضعيفة؟ أقول مرةً أخرى: هل ترك الرب لنا وصيةً تقول إننا هيكل الروح القدس؟

أكتب هذا بقلبٍ حزين على فقهاء شريعة موسى طالبي الوصية.

هل لدينا وصية عن تشييد كنائس وتدشين مذابح؟

أم أن وحدة السماء والأرض جعلت الكنيسة، الشاهد المنظور على حضور الله في وسط الشعب؟

هل لدينا وصية بأن الأحد صار هو سبت المسيحيين؟

وإذا كانت وصية السبت قد كُتبت في لوح من حجر، وهي الوصية الرابعة، فلماذا إذن لا تنضمون إلى السبتيين وشهود يهوه؟

أولم يكن الشهيد اغناطيوس يدرك أن القيامة هي شمس الحياة الجديدة التي أشرقت في اليوم الثامن، وأن بداية العهد الجديد هو بقيامة الرب "اليوم الذي صنعه الرب" يوم حياتنا، أي المسيح؟ ولأنه كان يدرك ذلك ويدريه تماماً، تجده يكتب: "الذين عاشوا بمقتضى العادات القديمة قد قبلوا الرجاء الجديد، وتحرروا من شريعة السبت ليعيشوا يوم الرب الذي طَلَعَت حياتنا فيه (المسيح) وبموته، فكيف ينكر بعضهم أننا بهذا السر نلنا الإيمان" (الرسالة إلى مغنيسيا ٩: ١-٣).

لكن، ماذا تعني العودة إلى العادات القديمة؟ وماذا يعني المضاد لهذا، أي رفض الحياة حسب القيامة، إلَّا إعادة أسر الإنسان إلى التدبير القديم، الذي اقتضاه فصل شعبٍ عن باقي الشعوب الوثنية، ولهذا جاءت أسفار اللاويين والتثنية بوصايا جسدانية قائمة بقرابين وذبائح لا يمكن من جهة الضمير أن تكمِّل الذي يخدم. وهي قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات وفرائض جسدية فقط موضوعة إلى وقت التجديد" (عب ٨: ١٠-١١).

إنكار فاعلية السرائر بالممارسة:

حسب صلوات سر المعمودية، نحن نصبح:

- هيكلاً للروح القدس
- نُعتَق من عبودية الفساد
- نمتلئ من القوة الإلهية
- متشبِّهين بالابن الوحيد ربنا يسوع المسيح صائرين واحداً.
- انتقلنا من الظلمة إلى النور
- انتقلنا من الموت إلى الحياة
- نُولد مرة أخرى بحميم الميلاد الجديد
- دُعينا إلى النور الطاهر
- الامتلاء من قوة الروح القدس

وأكثر من ذلك

-"لا يكونوا بعد أبناء الجسد، بل أبناء الحق
- قبول الروح القدس (وليس مجرد قوة).

وفي المعمودية ننال:

- "خاتم المسيح
- نصير حُلة نورانية

- نلبس لُباس الخلاص
- خرافاً ضمن قطيع المسيح
- بنيناً للخِدر السمائي
- وارثين الملكوت غير الفاسد الأبدي

فهل يمكن بعد أن يقول الكاهن: "جدِّد ميلادهم بالحياة الأبدية"، وبعد كل ما ذُكِرَ من نِعم نُقِلَ فيها الإنسان من التدبير القديم كله، وصار له ميلاداً جديداً أبدياً، بل هل بعد أن يقول الكاهن: "لكي لا يصيروا أبناء الجسد، بل أبناء الملكوت"، هل يعقل بعد هذا كله أن تقول لهم الممارسة أن كل هذا ذهب أدراج الرياح، لأنكن يا من تلدن قد عُدتن بالولادة إلى الأركان الأولى الفقيرة الجسدانية؟ بل هل يعقل أن تصير هؤلاء الأمهات اللاتي "تصوَّر المسيح فيهن بصبغة الميلاد الجديد"، مثل نساء العهد القديم؟!!!

ولكي نزيد الأمر إيضاحاً، نقول -قياساً على ذلك- إن كل الصلوات التي تقال من أجل تقديس مياه المعمودية، تذهب أيضاً أدراج الرياح:

- ماءً لحميم الميلاد الجديد	أبطلته الممارسة
- حياةً أبدية	صارت ترابية خاضعة للشريعة
- لُباس غير فاسد	فسد بالقانون الطبيعي أي بالولادة
- نعمة البنوة	زالت، وعادت عبودية الشريعة

وقبل التغطيس يقول الكاهن:

- "لكي يخلع الذين يعتمدون منه الإنسان العتيق الذي يفسد كشهوات ضلاله ويلبسوا الجديد الذي يتجدد مرة أخرى كصورة خالقه"، ولكن -طبقاً لهذه الممارسة الفاسدة- صارت صورة الخالق هذه -ويا للعجب- غير مؤهَّلة لطعام الحياة الأبدية، في حين أن ما يمنع من شركة السرائر هو الارتداد عن الإيمان — الهرطقة — الحرمان الكنسي الذي صدر من مجمع، أما غير ذلك، فإن أي قرار يمنع التناول، يعني العودة إلى شرائع تفصل الإنسان عن نعمة الله في ربنا يسوع المسيح.

مسحة الميرون:

طبقاً لهذه الممارسة الفاسدة يصبح رشم كل أعضاء الجسد بالـ ٣٦ رشماً لا لزوم لها بالمرة؛ لأن ولادة طفل أصبحت تُبطِل هذه الرشومات، وهي لا تُعاد مثل سر المعمودية، فكلاهما يعطى مرة واحدة.

- مسحة عربون ملكوت السموات — لم تعد تنفع، فقد ولدت الأم.
- دهن شركة الحياة الأبدية غير المائتة — عادت الحياة إلى حكم الموت.
- مسحة مقدسة للمسيح إلهنا وخاتم لا ينحل — يجب أن ينحل بالولادة.
- كمال نعمة الروح القدس — يظل الروح القدس غريباً، إذ لم تعد الأم هيكلاً للروح القدس.

سر السرائر، جسد الرب ودمه:

الذبيحة الطاهرة التي تطهرنا إلى الأبد. و"الذبيحة الطاهرة" هي ترجمة للأصل اليوناني القبطي "مقدسة"؛ لأنها قُدِّست بذات الروح القدس الذي أُعطيَ في سر الانضمام إلى جسد الرب، أي الكنيسة، وهو الذي يقدِّس كل شيء، تقديساً أبدياً؛ لأن الذبيحة هي:

- الذبيحة الإلهية
- الذبيحة غير المائتة.
- الذبيحة السمائية

وماذا يحدث لنا وللأمهات اللاتي يتناولن قبل الولادة؟ هل أخذوا شيئاً، أم اتحدن بالمسيح الرب الذي ليس هو شيء حتى يمكن تدميره أو إبطاله؟

هؤلاء هم "جسد واحد وروح واحد" مع الرب ومع الشعب كله، فكيف وبأي حق يمكن لأي إنسان -مهما كان- أن يمنع هؤلاء من المائدة السمائية؟

كل إجابة على هذا السؤال، يجب أن تكون إجابة نعمة، وليس إجابة شريعة. الموانع السابق ذكرها تجعل المرأة الأم مثل المرتد — الهرطوقي — الذي

ارتكب فعلاً فاضحاً، ومنع من التناول لأنه مقيَّد مع التائبين ..

أما الولادة التي جاءت بكل هؤلاء الأساقفة من تلاميذ موسى، فهي لم تكن ضد النعمة، بل جاءت بكل أغصان الكرمة الإلهية جسد المسيح الكنيسة.

ما هي دلالة البحث عن وصية؟

عندما قال لي القمص مينا المتوحد أبي الروحي في عيد تجسد الرب ١٩٥٨ أن أحفظ التسبحة؛ لأن التسبحة تُعيد الوعي بعظمة تجسد الرب، فقد عاد بعد ذلك ليقول لي إن التسبحة لا تمجِّد القديسة مريم فقط، بل تُعظِّم تنازُل الابن الوحيد إلينا، وكان يحب مرد: "هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له". وقال أيضاً: إننا نحتاج للعمر كله لكي نستوعب ما جاء به تجسد الرب من تجديد.

وكان القديس اثناسيوس هو الذي أكَّد منذ ١٦٠٠ سنة أن ما كتبه هو قليل جداً: "الأعمال التي حققها المخلص بتأنسه عظيمة جداً في نوعها، وكثيرة في عددها، حتى أنه إذا أراد أحد أن يحصيها، فإنه يصير مثل الذين يتفرسون في عرض البحر ويريدون أن يُحصوا أمواجه .. فمن الأفضل ألَّا يحاول الإنسان أن يتحدث عنها كلها مادام لا يستطيع أن يوفي ولو جزء منها حقه .. فإننا نترك باقي الأعمال كلها للتعجب منها" (تجسد الكلمة ٥٤: ٤ ص ١٦٠-١٦١ ترجمة د. جوزيف فلتس).

إن عدم استيعاب التجسد، وما حققه المخلص بتأنسه، كفيلٌ ليس فقط بالبحث عن وصية من الرب يسوع تسمح للمرأة بتناول الأسرار المقدسة، بل يؤدي بنا في النهاية إلى التردي في هاوية الارتداد الكامل عن نعمة ربنا يسوع نحو الناموس والشريعة.

نحن في حاجة ماسة وشديدة جداً لأن نستوعب سر تأنس الابن الوحيد، بل يبدو أننا بحاجة لأن يكتب لنا القديس بولس الرسول رسالة غلاطية من جديد!!

إن الصمت إزاء التعسف مع الأمهات أولاً؛ لأنهن نجسات، ثم ثانياً؛ لأنهن لا يستطعن التناول، هو إنكارٌ صريحٌ للإيمان وللنعمة الأبدية التي تعطى في السرائر.

موجز التعليم المسيحي الأرثوذكسي عن التقديس

الكلمة العبرانية "قدش" ومشتقاتها وردت ٨٤٢ مرة في العهد القديم وهي حسب الأصل العبراني تعني:

أولاً: ما يُخصَّص لله ولا يجوز استخدامه لأي غرض آخر. فالتقديس هو تخصيص (خروج ٢٩: ٢١) مثل ملابس الخدمة والمذبح وكل ما هو متصل بالخدمة في العهد القديم (خروج ٣٠: ٢٩ - لاويين ٦: ١١ — تث ٢٢: ٩).

ثانياً: عندما يذكر العهد القديم إن الله قدوس، فهو لا يعني أنه بلا خطية؛ لأن هذا لا يليق بالله، بل الله قدوس تعني لا مثيل له وفريد وغير متغير له مجد خاص به (حزقيال ٢٠: ٤١ — ٢٨: ٢٢ — ٣٦: ٢٣ — ٣٨: ١٦ — ٣٩: ٢٧).

ثالثاً: والسبت خُصِّصَ للراحة، ولذلك هو حسب العبادة الأولى مقدَّسٌ للرب (تك ٢: ٤ خروج ٢٠: ١١).

رابعاً: والذين يُقدَّسون من البشر هم الذين يُخصَّصون لخدمة الله (عدد ١١: ١٨ — يشوع ٣: ٥ — ٧: ١٣ — ١صم ١٦: ٥) ولذلك يعلن الله ما هو مخصص أو مقدس له أي لخدمته (عدد ٣: ١٣ — ١ملوك ٩: ٧ — أش ٢٩: ٣٣).

خامساً: ولذلك حتى ذبيحة الخطية توصَف بأنها قدس أقداس للرب (لاويين ٦: ٢٤) ومن الخرافات الشائعة عندنا أنها تنقل خطية مَن يقدِّمها، ولكن هذا التفسير لا يتسم مع اسم المكان نفسه، وهو القدس، مكان تقديم الذبيحة (لاويين ٦: ٢٩)؛ لأنه مكانٌ مخصَّصٌ لخدمة الرب، ولأن الذبيحة خُصِّصَت للاعتراف والتطهير، ولذلك المذبح يتقدس أو يتطهر أو يكفر عنه بالدم (لاويين ٨: ١٤-١٥).

العهد الجديد:

الاسم الشائع في رسائل بولس "القديسين" (رو ١: ٧ — ١كو ١: ٢)، هم الذين تقدسوا، وقد قدَّم القديس كيرلس بحثاً عن التقديس في كتابه "الكنوز: ٣٤ مجلد ٧٥: ٦٠٩- ٦١٢)، وهو شركتنا في طبيعة قداسة الروح القدس (شرح إنجيل يوحنا ١١: ١ - راجع مقدمة الطبعة الثانية لكتاب الروح القدس للقديس باسيليوس والمقالة المرفقة باللغة الإنجليزية).

كلمة صريحة لمن يريد المحبة الأزلية النارية للثالوث القدوس:

سوف تنطلق ألسنةٌ كثيرة تتهم، وسوف تجد مَن يقاوِم، ويضع طقوساً تنال من عطية التقديس التي وهِبَت لنا بالروح القدس، وسوف تسمع أن الروح القدس لا يسكن في الخطاة، وأننا ننال مواهب وليس حياة أبدية من الثالوث، وسوف وسوف ... الخ ولكن هذه هي الثوابت الأرثوذكسية:

<u>أولاً</u>: لا ينزع الموت، ولا حتى الخطية، نعمة التبني التي تُوهَب في أسرار الانضمام إلى الكنيسة؛ ولذلك لا تستمع إلى عواء ذئاب بشرية تحاول أن توظِّف الإيمان إلى سلطان كهنوتي زائف يريد العودة إلى شريعة موسى. إلى عهدٍ قريب، وفي القاهرة كانت إحدى كنائس القاهرة قد خصَّصت غرفةً للنساء اللواتي عليهن العادة الشهرية للوقوف للصلاة .. تأمل كأن فرز هؤلاء النسوة هو مسرة الروح القدس الذي لا يُفارق الإنسان بالمرة إلَّا في يوم الدينونة إذا كان شريراً (الروح القدس — القديس باسيليوس ف ١٦: ٤٠).

<u>ثانياً</u>: نحن في ملكوت الله في فردوس الكنيسة الجامعة، وأمامنا شجرة الحياة، جسد الرب ودمه، ولا يمكن لأي قوة أن تعيد إلينا حالة آدم بعد السقوط؛ لأن الموت هُدم، والدينونة أُبيدت، والنعمة أبدية، والخلود عطية من الثالوث ولا تنبع من الإرادة، ولذلك مَن يريد أن يعيش حراً في المسيح، يخطئ إذا طلب فتوى من قس أو أسقف.

لقد غاب موضوع الحرية؛ لأن ثقافة المجتمع طوال ٥٠ عاماً من غياب ممارسة الديمقراطية دخلت الكنيسة. حتى الاختيار الحر للأسقف والقس، تم الاعتداء عليه بأسماء أخرى من ضمنها عدم وعي الشعب وعدم فهم الشعب ... الخ.

علينا أن نثبت في الحرية التي دعانا إليها المسيح، ولا نرتبك بالأعمال التي لن تزيد النعمة ولن تهدم النعمة، ولكن البقاء في شركة محبة الثالوث هو التوبة الحقيقية.

المرأة والتناول،
وما غاب من الاتهامات طوال أربعين عاماً[1]

صفحة مجهولة:

لم يكن كتاب الأب الراهب يوئيل المقاري هو أول ما صدر في هذا الشأن، بل كان أحد حلقات حوار بدأ في مؤتمر دولي عُقد بمقر دير الأنبا بيشوي في وادي النطرون عام ١٩٧٩ نظَّمه مجلس كنائس الشرق الأوسط مع مجلس الكنائس العالمي، وهيئة اليونسكو. حضر المؤتمر سيدات من مصر - لبنان - سوريا - العراق - فلسطين - السودان. كان أحد المساهمين هو المطران جورج خضر مطران جبل لبنان، وحضر كل حلقات المؤتمر المتنيح الأنبا شنودة الثالث.

أعقب ذلك مؤتمرٌ آخر عالمي عُقد في بيروت في نفس السنة، فقد كان عام ١٩٧٩ هو العام الدولي للمرأة. تقدَّمتُ بدراسة مطوَّلة بالعربية والإنجليزية، فقد حضرتْ وفودٌ من الولايات المتحدة الأمريكية والمانيا وقبرص واليونان، بجانب الذين جاءوا من الدول العربية. وطُبِعَ البحث الذي قدمته، ثم نُشر في القاهرة بعد ذلك بعنوان: **تطور النظرة إلى التطهيرات الجسدية**. شمل البحثُ مسحاً شاملاً من العصر الرسولي حتى القرن العاشر وما تلاه، ثم نُشِر هذا البحث فيما بعد على موقع الدراسات القبطية، ثم نشرته دار جذور في عام ٢٠١٣ بالقاهرة.

كانت تداعيات هذه الدراسة أن عقد الأنبا شنودة جلسة محاكمة في استراحة دير الأنبا بيشوي حضرها كلٌّ من المتنيح الأنبا يؤانس أسقف الغربية - الأنبا باخوميوس أسقف البحيرة - الأنبا بيشوي أسقف كفر الشيخ - المتنيح الأنبا ثاؤفيلوس أسقف

([1]) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٤ مايو ٢٠١٦.

دير السريان. كانت النية والقصد هو قطع رأسي، وكان الاتهام يشمل حسب ادعاء الأنبا شنودة نفسه أن تناول المرأة أثناء الدورة الشهرية يجعل دم الرب يسوع "ينزل في دورة المياه"، وهو ادعاءٌ غريب، يترتب عليه أن يتحوَّل الاتهام الموجَّه إليَّ إلى اتهام للأنبا شنودة الثالث نفسه بما يعني أنه لا يفهم صلوات القداسات التي يرددها على الأقل مرة واحدة في الأسبوع. حيث تقول تلك الصلوات إننا نحن الذين نتحول إلى المسيح رب المجد الجالس على الشاروبيم[1]، لا المسيح هو الذي يتحول فينا إلى عنصرٍ ترابي مائت؛ لأن ما هو عكس ذلك، ينفي تماماً أن الرب قام بلا فساد: "لا تدع قدوسك يرى فساداً" (أع ٢: ٢٧).

وسيراً على ذات الدرب تطوع الأنبا بيشوي بفتوى مؤداها عدم التبرع بدم الأقباط للمسلمين لأن دم الأقباط يحتوي على دم المسيح، وكان يرى أن يصدر قرار من المجمع المقدس بهذا الشأن. فطلبت منه أن يذكر هذا كتابةً، ولما بدأ بالكتابة، قال له الأنبا شنودة، وكان أكثر ذكاءً "اسأله هيعمل أيه بالورقة؟ وقلت له: سوف أنشرها في جريدة الأهرام، باعتبارها اتهاماً بخيانة الوطن وتمزيق الوحدة الوطنية على أساس خرافة سائدة؛ لأن دم المسيح ليس سحراً يعمل بدون الإيمان، ولا هو تعويذة سوف تجعل المسلم مسيحياً إذا نُقِلَ ليه دم القبطي .. ولم تتم مناقشة كتاب "تطور النظرة"، وكان العنوان اللبناني: "المرأة في التراث الشرقي". طبعاً سوف لا نعدم من يُكذِّب هذه السطور. ولكن تلك هي حقيقة ما حدث بالضبط.

الأساس اللاهوتي الغائب:

طبعاً، لكي يبرر الأنبا شنودة موقفه مني منعني من التدريس موحياً بذلك أنه على حق، ولم أُعد إلى التدريس إلا بعد أن اختلف مع الأنبا غريغوريوس، وشعر بأنه يحتاج إلى مساندتي. ليست هذه كلها من الإيمان، ولا من العقيدة، بل هي كلها مشاعر نفسية وثقافة جهل بالتراث، وسلطة لا تستند إلى المعرفة، بل إلى

---

[1] لاحظ أن تعبير "الجالس على الشاروبيم" هو تعبير الليتورجية القبطية.

عكاز أسود طويل لا معنى له بالمرة.

وإذا كان لنا أن نشير إلى ما غاب عن هذا الحوار بكل دقة (مطلوبة من الجميع)، يمكننا أن نعدد ما يأتي:

أولاً: أبدية نعمة السرائر

وهي نعمة: التبني والتجديد الأبدي لكيان الإنسان، وهو ما نناله جميعاً في سر المعمودية ومسحة الميرون.

لقد أدرك نيافة الأنبا أبيفانيوس أسقف دير الأنبا مقار –بالحس الروحي– أن أفضل مقدمة لكتاب المرأة والتناول هي صلاة من القداس الكيرلسي، وهي في تراثنا الأرثوذكسي تغني عن القول؛ لأننا نتقدس بالاتحاد بالرب في سر الإفخارستيا، طالما أن سر المعمودية وسر الميرون كلاهما غاب من الوعي المعاصر.

فهل بعد الاتحاد بالرب في سر الانضمام إلى المسيح وإلى جسده، وهي الأسرار الثلاثة: المعمودية – المسحة – الإفخارستيا، هل ما نزال تحت سلطان وهيمنة العهد القديم برمته، لا سيما شرائع الاغتسالات، والتي هي بالمناسبة، تشمل الرجل والمرأة معاً، لا المرأة وحدها؟ الإجابة عند بعض الذين حضروا محاولة محاكمتي، هي: نعم، شريعة العهد القديم قائمة علينا وضدنا، وبذلك يصبح كل ما جاء في رومية – غلاطية – كولوسي — العبرانيين، هو بلا قيمة، ولا يوجد من يسمعه، بل لا جدوى من إعادة كتابة ما ذكره رسول الرب بالمرة عن العهد الأول الذي زال برمته؛ إذ لا يوجد "زمان تجديد" حسب قول الرب نفسه عن عهده الجديد، أو "زمان إصلاح" حسب قول رسول الرب بولس (عب ٨: ١٠).

لا يوجد عهدٌ جديد في وعي الذين يعودون إلى العهد القديم، أو حتى إلى بعض مقاطع في قوانين كنسية لم تُقبل مسكونياً، فليست القضية هي نصوص مهما كانت، بل القضية الأكبر والأبدية هي:

* الأساس الجديد لحياة جديدة أبدية في المسيح يسوع ربنا.

* يسوع هو القيامة.

* يسوع هو الحياة.

* يسوع هو البكر الوارث الذي أدخلنا ميراث الآب (رو ٨: ١٧)، منه نولد وبه نصلب وندفن ونقوم في المعمودية (رو ٦: ١-٨)، وهذا ليس من الشريعة الموسوية، بل من محبة وصلاح الله الآب (يوحنا ٣: ١٦).

ثانياً: غاب يسوع وحل محله شريعة موسى

فقد غاب الأساس الأبدي وحل محل الأساس الأبدي: الإفرازات الجسدية - أحوال الجسد الترابي المعد للمجد الأبدي في يسوع لكي يقوم كما قام يسوع (فيلبي ٣: ٢١)؛ لأننا سننال ذات الجسد بلا فساد بعد أن أخذنا العربون.

هؤلاء لا يؤمنون بتحول الإنسان في المسيح، وهو لُب الصراع ضد الأب متى المسكين، وهو لُب التمسك والإصرار على البقاء تحت قيادة موسى، وكأن يسوع لم يحقق شيئاً لنا، ولم يتم تجديد الإنسان، وكأن المعمودية - المسحة - الإفخارستيا ليس لها قيمة أبدية؛ لأن قانون الطبيعة (الإفرازات الجسدية) قادر على أن يوقف ويمنع ما يوهب بالنعمة.

هكذا ضاعت الأسرار الثلاثة في وسط الصراع حول التاريخ القديم، ولكن مَن ذا الذي يمكن أن يقول إن يسوع هو تاريخ قديم يمكن أن يُسجن في التوراة؟

وهكذا ضاع التبني الأبدي في خضم الدفاع عن شريعة الموت (والاسم هو للرسول بولس في ٢كو ٣: ٧)، تلك التي جاءت معها دينونة الإنسان، وجاء معها الموت، وبها أصبح للموت اليد الطولى. لهذا قال رسول المسيح: "كانت خدمة الموت المنقوشة بأحرف في حجارة قد حصلت في مجد لم يقدر بنو اسرائيل أن ينظروا إلى وجه موسى بسبب مجد وجهه الزائل"، ثم "إذا كانت خدمة الدينونة مجداً، فبالأولى كثيراً تزيد خدمة البر في مجد؛ لأن "الزائل" (وهو اسم خدمة العهد

القديم كلها التي قال نفس الرسول إن الرب نفسه هو الذي سوف ينزعها) "ينزع الأول (العهد القديم) لكي يثبت الثاني (العهد الجديد) (عب ١٠: ٩). بل في عبارة أقوى عن العهد الجديد: "فإذا قال جديداً عتق الأول. وأما ما عتق (صار قديماً) وشاخ فهو قريب من الاضمحلال (عب ٨: ١٣).

ثالثاً: غياب الوعي بتقديس الجسد:

دُهشت لإنكار العهد الجديد وإنكار التقديس؛ إذ يقول أحد المعترضين المأجورين والذي لا زال تحت شريعة موسى، إن رسالة القديس أثناسيوس إلى آمون الراهب لم تذكر العادة الشهرية، كما قال آخر إنها لم تذكر التناول من جسد الرب ودمه.

والسبب الأول للدهشة هو أن كليهما يريد فتوى قاطعة مفصلة.

والسبب الثاني يفوق الأول، وهو أن الكلام الإلهي عن تقديس الجسد لا يدخل في تفاصيل الافرازات مهما كانت، وذلك للأسباب الآتية:

١- لأن قانون الطبيعة لا يغلب ولا يتفوق على النعمة الإلهية.

٢- لأن التقديس هو هبة الروح القدس، وهو من روح القداسة نفسه، وهو ليس خاضعاً لأي قوة في الطبيعة المخلوقة بسببٍ غاب في حمى النقاش، وهو أن الله لا يأخذ قداسته التي يشارك الإنسان فيها من آخر، بل هي طبيعة الله. وعندما يكتب الرسول أننا نؤدَّب لكي "نشترك في قداسته" (عب ١٢: ١٠)، فهو يعني بالتأكيد شركة الروح القدس (٢كو ١٣: ١٤)، فهي ليست شركة في طاقة أو قوة مخلوقة، بل نحن شركاء في الجسد وشركاء في شكل (المسيح) وشركاء في خلافة أو ميراث المسيح (صلاة خضوع قبل التناول) ولذلك يطلب الكاهن: طهِّر إنساننا الداخل ⲉⲧⲥⲁϦⲟⲩⲛ كطهر ابنك الوحيد هذا الذي نضمر أن نأخذه" (صلاة خضوع قبل التناول).

والسبب الثالث لتلك الدهشة هو عدم الوعي بأن يسوع نفسه الذي صار

"بكراً بين أخوة كثيرين" (رو ٨: ٢٩)، يصير -بذلك- تحت حكم الشريعة الموسوية، لأننا عندما نصير جسداً واحداً وروحاً واحداً معه، يصبح هو نفسه ليس رب المجد ينبوع التقديس حسب صلواتنا، بل عبداً ساقطاً تحت أحكام الشريعة الموسوية!!!

هل يمكن أن يكون هناك طرفاً ثالثاً يدخل في العلاقة بين المرأة والثالوث؟

لم تعرف المسيحية الأرثوذكسية هذا الترتيب غير المسيحي وغير الكنسي الذي يجعل من إنسانٍ ما موجهاً وولي أمر وصاحب سلطة ومقرر حياةٍ لآخرين. وهنا، نحن نرى أن هؤلاء الآخرين هم -على الأقل- نصف مجموع الكنيسة، أي النساء، على اعتبار أن عدد النساء يساوي عدد الرجال تقريباً. وهؤلاء النساء هم أعضاء الجسد الواحد الكنيسة، الذي لا مكان بالمرة فيه لتفرقةٍ بين رجلٍ وامرأة: "ليس ذكراً ولا أنثى". فإذا سقط عدم التمييز هذا بين الرجل والمرأة، سقط تماماً العهد الجديد نفسه (راجع غلاطية ٣: ٢٣-٢٩)، حيث يذكر الرسول: "كلكم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح ليس يهودي ولا يوناني (سقط التمييز العرقي Ethnic ليس ذكر ولا أنثى (سقط التمييز على الأساس البيولوجي Gender لأنكم جميعاً واحد (جسد واحد، وهو ما تعطيه المعمودية بصريح العبارة)؛ لأننا جميعاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنا أم يونانيين، عبيداً أم أحرار وجميعنا سقينا روحاً واحداً" (١كو ١٢: ١٣ مع غلاطية ٣: ٢٨). هكذا يمزِّق الجسد الواحد.

من هذا الذي يمكنه بعد ذلك أن يدَّعي أن شريعة موسى، أو وظائف الأعضاء تدخل طرفاً ثالثاً في العلاقة بين المرأة والثالوث؟!!

لو حدث أن تجاهَل أو أنكر قانونٌ كنسي نعمةَ التبني، فهذا القانون عندئذٍ يكون قانوناً غير مسيحي. ولو تعدَّى كاتبٌ مسيحيٌّ على نعمة الثالوث، ووضعها تحت سلطان الشريعة الطبيعية، وجعل الفساد يعلو على القيامة التي

أخذنا عربونها هنا، فليعلم أنه يجهل أنه ينتمي إلى حركة التهود التي عادت إلى الظهور منذ العصر الرسولي، ووجدت في الثقافة السائدة في المجتمع نظرة دونية Demeaning لصورة الله المفتداة في المسيح.

الخلقة الجديدة في المسيح:

في حديث استغرق أكثر من ثلاث ساعات في مقر الأب متى المسكين (في استراحة الدير بالكيلو ٧٠)[١] قلت للأب متى: إن عدم الوعي بمكانة الإنسان في المسيح هو الذي جعل سكين الحرمان والقطع مسلطة على رقبته طوال أيام حياته. ودار حديثٌ مع بعض الرهبان حول كتاب الخلقة الجديدة، وكانت الطبعة الأولى قد وُزِّعت، وتجمهر عددٌ من الرهبان الذين لم يشربوا روح الرهبنة، ولا استلموا الأرثوذكسية في مقر الضيافة حيث كنت أتعشى، وكان الحوار كله حول الكتاب، وأذكر جيداً أن الراهب المقاري سرجيوس هو الذي أحضر كتاب خدمة سر المعمودية لكي نقرأ معاً ماذا تقول الصلوات، وطال الحوار حتى الثالثة صباحاً عندما دق جرس صلاة نصف الليل.

فقد بات من الواضح أن الكيان البيولوجي الطبيعي أصبح هو أساس الحياة، لا الكيان الذي نال التجديد في المسيح، وهذا يشرح سبب التمسك بشريعة موسى.

الخلقة الجديدة ليست إفرازاً طبيعياً من الطبيعة المخلوقة من العدم، بل هي حسب صلواتنا:

- "أنت دعوت عبيدك من الموت إلى الحياة.
هب لهم خلاصاً أبدياً
وَلِدْهم مرة ثانية بحميم الميلاد الجديد ومغفرة الخطايا
أعدَّهم هيكلاً لروحك القدوس بابنك الوحيد".

---

(١) غفر الله للراهب سرجيوس المقاري الذي رفض أن يعطي لي نسخة من شرائط الكاسيت التي تم تسجيل هذا الحديث عليها.

ثم

- عزِّهم من عتيقهم
  جدد حياتهم
  اِملأهم من قوة روحك القدوس

بوحدانية وعزاء ابنك الوحيد (أي ليكونوا واحداً مع ابنك الوحيد ويمتلئوا من ذات الروح الذي ملأ يسوع (لوقا ٤: ١).

ولاحظ:

- لكي لا يكونوا بعد أبناء الجسد، بل أبناء الحق (الحق هو الثالوث، وهو اسم الرب يسوع نفسه.

ثم

- هيئ نفوسهم لكي يقبلوا روحك القدوس
  وليستحقوا حميم الميلاد الجديد
  واللباس غير الفاسد (الذي لا يمكن أن تبيده إفرازات الجسد).
  إذ تعدهم هيكلاً لروحك القدوس".

وهل يوجد أعظم من هذا:

- "يصيروا حلة نورانية – أبناء النور — وارثين الملكوت — يحفظوا اللباس بغير اضمحلال.

وفي مسحة الروح القدس تقول الصلوات:

- "دهن شركة الحياة الأبدية غير المائتة".

هذه هي ذات الكلمات الخاصة بالشركة في حياة الله الثالوث؛ لأنه لا توجد حياة أبدية أخرى غير حياة الله. ووصف هذه الحياة بـ "غير المائتة" هو الاسم الطقسي، أو الخدمة الليتورجية: "قدوس الذي لا يموت"، إنها مسحة التأله؛ لأن بعدها: "مسحة مقدسة للمسيح إلهنا". هي ذات مسحة يسوع حسب شهادة يوحنا الإنجيلي: "أنتم لكم مسحة من القدوس .. والمسحة التي أخذتموها منه (واعوجاج

ترجمة فان ديك هو اعوجاج مذهبي؛ لأننا لم نأخذها "منه" حسب ترجمة فان ديك، بل "فيه": Έλάβετε άπ αυτού έν ύμίν

(١ يوحنا ٢: ٢٠ و٢٧)، وهو نفس تعبير القديس أثناسيوس الرسولي: "لأجلنا قدس ذاته وفعل هذا عندما تأنس، ومن الواضح أن نزول الروح عليه في الأردن كان نزولاً علينا لأنه أخذ جسدنا" (ضد الأريوسيين ١: ٤٦). وحسب تعليم تلاميذ موسى، هذا كله يسقط بسبب عمل وظائف الأعضاء. لكن في مسحة المسيح ينقل إلينا التسليم الكنسي:

- "مسحة مقدسة للمسيح الهنا".

ثم:

- "وخاتم لا ينحل".

وأخيراً بعد الرشومات:

- "كن إناءً طاهراً بواسطة يسوع المسيح ربنا".

ولكن حسب تعليم تلاميذ موسى تنقضي هذه الطهارة التي وُهِبت من المسيح بوظائف الأعضاء.

هل توجد مأساة ومصيبة أعظم من أن تُهدم النعمة الإلهية بوظائف الأعضاء؟

مقدسون بإرادة يسوع المسيح (عب ١٠: ١٠)

يقول رسول رب المجد بعد أن شرح عدم فاعلية ذبائح العهد القديم، وكيف لم يُسر بها الله (عب ١٠: ٤-٩) أن هذا جاء بأعظم عطية إلهية.

"فبهذه الإرادة -إرادة يسوع- نحن مقدسون بتقديم جسد المسيح مرة واحدة". لقد قدم المسيح ذاته مرة واحدة حسب إرادة الآب (عب ١٠: ٩). وقوة التقديم في أنها نزعت الموت والدينونة، ثم صار لنا تقديساً. فما هو التقديس الذي ورد على الأقل ٨٤٢ مرة في أسفار العهد القديم:

أولاً: التقديس في العهد القديم:

١- هو التخصيص لخدمة الرب مثل ملابس كهنة العهد القديم والمذبح (خروج ٢٩: ٢١) وكل ما له صله بالذبائح (لاويين ٦: ١١ - تثنية ٢٢: ٩)، وهو تخصيص وافراز ما يخص خدمة الرب.

٢- الله "قدوس"، وهو نفس المعنى بأنه ليس مثل كل الأشياء أو الكائنات هو Unique لا مثيل له ولا شبيه له خاص على نحو لا يمكن أن يعمل الانسان له صورةً أو تمثالاً، وهو ما ورد في (خروج ٢٠: ٤١ - ٢٨: ٢٢ - ٣٦: ٢٣ - ٣٨: ١٦ - ٣٩: ٢٧ وبالذات (أش ٦: ١ وبعده).

٣- السبت مقدس له يوم خاص أُفرز للراحة والعبادة (تك ٢: ٣ - خروج ٢٠: ١١).

٤- يتقدس للرب (يشوع ٢٠: ٧) أي لخدمة الرب (عدو ٣: ١٣ - ١ ملوك ٩: ٧.

الصفة "قُدس"، "وقدوس"

القدس في الهيكل (لاويين ١٩: ٨)، بل دم ذبيحة الخطية التي توصف بأنها "قدس أقداس" (لاويين ٦: ٢٤) ثم "كل من مس لحمها يتقدس" (٦: ٢٧).

ثانياً: التقديس في العهد الجديد:

١- أولاً في العهد الجديد القداسة هي حياة الثالوث. الآب القدوس (يو ١٧: ١١ مع ١بطرس ١: ١٥). وتقديس اسم الرب في الصلاة الربانية (متى ٦: ٩ - لوقا ١١: ٢٢) يعني أن يُذكَر اسم الرب خصوصاً في الصلاة والأمانة والحق، وليس في المعاملات العامة الاجتماعية.

٢- المسيح قدوس (مرقس ١: ٢٤ - لوقا ١: ٣٥ - يوحنا ٦: ٦٩ - ١ يوحنا ٢: ٢٠ - أع ٣: ١٤).

٣- روح القداسة أو الروح القدس، وهو أكثر الأماكن استخداماً لكلمة قدس وقدوس ولذلك تركنا الشواهد.

٤- الكنيسة المقدسة، هي مثل هيكل العهد القديم، ولكنها الآن من البشر، ولذلك لم تظهر الألسنة في يوم العنصر إلا على البشر، وامتلأ البشر من الروح القدس (أع ٢: ١-٤)، ولذلك دُعيت الكنيسة كما دعي شعب العهد القديم "جنس مختار وكهنوت ملوكي" (١بطرس ٢: ٩)، ولأن الكنيسة هي جسد المسيح (١كو ١٢: ١٢-١٣)، فحلول الثالوث في الكنيسة "نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم قديسين (حرفياً قدوسين)" (١ بطرس ١: ١٥-١٦).

والكنيسة غُرست في أصل مقدس (الشعب القديم) (رو ١١: ١٦) وهي أغصان الزيتونة الجديدة، ولذلك عند دعوة الموعوظين تقول صلوات المعمودية: "أدهنك يا (   ) باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، زيت عظة (لفلان) في كنيسة الله الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية.

وإلى كنيسة كورنثوس التي كانت تعاني من الانقسام والسلوك الرديء يكتب رسول الرب: "إلى كنيسة الله التي في كورنثوس المقدسين في المسيح يسوع المدعويين قديسين ..." (١كو ١١: ٢)؛ لأن الذي قدس الكنيسة هو حلول الروح القدس فيها "اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح الهنا (١كو ٦: ١١)، ولذلك يقدم الرسول الكنيسة قربان لله الآب بالروح القدس حسب (رو ١٥: ١٦).

بعد أن صالحنا الرب وجاء بنا إلى الحياة الأبدية وهدم كل عائق أمامنا (أفسس ٢: ١١ — ١٨) نحن أنفسنا صار لنا قدوم أو دخول "في روح واحد إلى الآب" ولذلك "لسنا بعد غرباء وأجانب، بل شعب واحد مع القديسين وأهل بيت الله (لسنا بيت يعقوب بل بيت الله) لأننا بكل جسارة حسب نعمة الله صرنا "مسكناً لله في الروح" (أفسس ٢: ١٩-٢٢) والله لا يسكن في مواهب بل "في الروح".

تقديس الكنيسة الدائم:

من كثرة الحديث عن الخطية طوال ٤٠ عاماً كدنا ننسى أن التقديس دائم، وأن طلبة المزمور الـ ٥٠ "اغسلني" ليست كلمة جوفاء، بل لقد أسلم الرب نفسه لأجل الكنيسة "لكي يقدسها مطهِّراً إياها بغسل الماء (المعمودية) بالكلمة (الاستنارة وهي عمل الروح بالكلمة) لكي يحضرها (عمل دائم) لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب" (أفسس ٥: ٢٦). بينما يذكرنا ذهبي الفم: "هو (المسيح الرب) لم يغسلها فقط، بل زيَّنها وجعلها مجيدةً، فلم يعد فيها بقعة وسخ ولا جلد مجعد (الشيخوخة) أو شيء من هذا" (عظة ٢٠ على أفسس ٥: ٢٧).

وقد فسر العلامة أوريجينوس النص بأنه خاص بالجمال، وقال: "بلا دنس ولا بقع (شامة أو ندبة أو mole) وهي التي تظهر على الجسد مثل بقع سوداء" (شرح أفسس R. E. Heine, p237)؛ لأننا مختاري الله القديسين المحبوبين (كولو ٣: ١٢) لأن الله ذاته أنقذنا من سلطان الظلمة وأهَّلنا لشركة ميراث القديسين (الحياة الأبدية) في النور (يسوع) الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته (كولوسي ١: ١٢-١٣).

شركة قداسة الروح القدس:

كان الابن البكر يُدعى "قدسٌ" للرب (خروج ١٣: ٢)، والذين دُعُوا لخدمة الرب "قُدِّسوا من البطن" مثل أرميا (١: ٥)، ولكن في العهد الجديد تأتي دعوة الله الآب لنا لكي "يتصور أو يتكوَّن المسيح فينا" (غلا ٤: ١٩)، وعن تكوين المسيح فينا، وهو أعظم بكثير من دعوة ارميا أو ميلاد بكر إسرائيل، يقول كيرلس عمود الدين:

"المسيح يتكون أو يتصور فينا لأن الروح يغرس صورته الإلهية بالتقديس والتبرير لأن الروح القديس يجددنا، فهو يطبع صورة الله الآب على نفوسنا" (على أشعياء ٤:

٢ مجلد ٧٠: ٩٣٦). وطبع الصورة الالهية فينا هي العمل الإلهي نفسه، فيقول: "إن الروح القدس سكن في نفوس أولئك الذين يؤمنون بالروح الحقيقي نفسه والذي بواسطته (الروح) يقودهم إلى صورتهم الأولى أي أنه يجعلهم مشابهين له (للروح) عندما يقدسهم لأنه يعيدنا إلى صورتنا الأولى، أي إلى ختم الآب. ومن جهة الدقة في التعبير، وحدة الجوهر لأن الابن ذاته هو الختم الحقيقي، ولأن الروح القدس نفسه هو شبه واضح وطبيعي للابن والذي نتغير نحن بالتقديس بواسطته أي لنأخذ صورة الله (غلا ٤: ١٩)" (الحوار السابع مجلد ٧٥: ٥٩٧).

لماذا ندعى هيكل الله؟

يجيب القديس كيرلس: "لأننا لسنا شركاء نعمة مخلوقة، لا كيان حقيقي لها، بل لأننا هياكل للروح الحقيقي الكائن، ولهذا فنحن ندعى آلهة لأنه من خلال اتحادنا به (بالروح) نصبح شركاء الطبيعة الإلهية غير الموصوفة" (المرجع السابق).

وبعد، لعل كلمات القديس كيرلس تكفي لرد تلاميذ موسى إلى بركة الإنجيل: "يقينا لا يرسم الروح القدس فينا الصورة الالهية كما يرسم أي رسام؛ لأن الرسام ليس هو الصورة التي يرسمها، فالروح لا يعطي لنا صورة الله كما يفعل رسام، بل لأن الروح ينبثق من الله فهو يطبع ذاته بنحو غير منظور على قلوب الذين يقبلونه كما يطبع الختم شكله على الشمع، فهو بالشركة وكمثال قداسته يطبع طبعنا مجدداً إياها إلى جمالها الأول خالقاً الإنسان من جديد كصورة الله.." (الكنوز ٣٤: مجلد ٧٥: ٦٠٩-٦١٢).

ما هي القضية الحقيقية؟

في الأخير، إذا أردنا أن نلفت النظر إلى الخطورة الحقيقية الكامنة وراء هذا الجدل -الذي يبدو أنه لن ينته في المستقبل المنظور- فإننا نقول بمنتهى الوضوح إن القضية الحقيقية:

١– ليست هي تناول المرأة، بل هي فاعلية سر التناول نفسه، أي تلك القوة والنعمة التي لا تنتهي أمام عمل وظائف الأعضاء الإنسانية، وبالتالي استخدام الحياة الإنسانية لضرب وتدمير سر الإفخارستيا.

٢– تحقير النعمة الإلهية لكل السرائر من أول المعمودية حتى الكهنوت نفسه؛ لأن نعمة الكهنوت تفقد فاعليتها بعدم طهارة الكاهن نفسه، ولذلك تصبح السرائر طقوساً تخضع لمؤهلات الإنسان لا لعمل الله الواهب الكل في يسوع المسيح بالروح القدس، وبالتالي يسقط العهد الجديد برمته.

هكذا يريد هؤلاء إعادتنا إلى الخليقة القديمة، فلا سرائر، ولا سكنى للروح القدس، ولا تقديس، ولا اتحاد بالرب، ولا عودتنا إلى جمالنا الأول، حيث لا زال السقوط كائناً .. وماذا نقول بعد كل الذي قلناه؟ إن ضمير الخطية الذي لم يتطهر بعد لا زال هو الحاكم العنيد (عب ٩: ١٤)، ولا زال لهؤلاء "ضمير خطايا" (عب ١٠: ٢) يريدون أن يجعلوه هو أساس كل شيء لكي يهدم نعمة التقديس ويلاشي الحياة الأبدية، ويمنع سكنى الروح القدس فينا، ومن ثمَّ لا تكون هناك فاعلية لسر الشكر لأننا نأخذ ناسوت الرب فقط .... فماذا تبقى لهؤلاء لكي يهدموه؟!!!

جعل الاثنين واحدًا، أي السماء والأرض[1]

"فلنسبح اسم الرب؛ لأنه بالمجد تمجَّد"، هي تسبحة عبور البحر الأحمر، وهي جزء من صلاة وتسبيح عندما يخرج الكاهن من الهيكل حاملًا الإنجيل في عشية وباكر والقداس الإلهي قائلًا: "مبارك الآتي باسم الرب إله القوات. فلنسبح الرب لأنه بالمجد قد تمجَّد". فقد دخلنا، ليس أرض الموعد، بل ملكوت السموات؛ لأن الرب بصعوده وحَّد السماء والأرض تحت رأسٍ واحدٍ، هو ذاته الجالس عن يمين الآب رئيس كهنة الخيرات الحاضرة والمستقبلة (عب ٦: ٢٠ – عب ٧: ٢٢ – عب ٨: ١-١٦). فهو الآن حسب –تدبير الأزمنة– يجمع كل شيء ما في السموات وما على الأرض (أفسس ١: ١٠). وقد صار رأس الجسد الكنيسة؛ لأن فيه "سُرَّ أن يحل كل الملء وأن يصالح به الكل لنفسه عاملًا الصلح بدم صليبه سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات" (كولوسي ١: ١٩-٢٠).

هذه الخدمة الكهنوتية للرب يسوع، المصالحة وجَمعُ السماء والأرض تحت رأسٍ واحدٍ، هي رئاسته الكهنوتية الأبدية.

الكلمة الأخيرة:

بعد كتاب الأب يوئيل المقاري عن تناول المرأة، والرد على أصوات الأنبا بيشوي وعودته إلى فتاوى العصر الوسيط، أصبح من الواضح أن أدب الأب الراهب يوئيل لا يمكن مقارنته بالإسفاف وأسلوب الصحافة المصرية الهابطة التي أشاعت فحشاء القول عندنا. ولكن الواضح بشكل لا يمكن أن تعمى عنه عيني القارئ المسيحي، هو ثلاث قضايا أساسية لا يمكن أن تغيب أبدًا:

---

(١) نُشِر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢ يوليو ٢٠١٦.

الأولى: هي أن يسوع المسيح رب المجد وُضِعَ تحت الشريعة الموسوية بدعوى أنه واضح الناموس أو الشريعة، ولا يمكن أن يكسر الشريعة. وحسب هذا الادعاء لن يدخل اللص إليمين الفردوس بالرغم من أن يسوع أدخله معه. ولا يمكن له أن يغفر للمرأة التي أُمسكت في ذات الفعل (يوحنا ص ٨)، ولا أن يشفي في السبت، ولا أن يقبل بطرس الجاحد في الشركة. أمَّا لمس نازفة الدم، فهو أسهل من لمس المرأة الزانية له، والتي سمح لها أن تقبِّل قدميه وهي نجسة حسب الشريعة لأنها زانية، ولذلك قال الفريسي: "لو كان هذا نبيًا لَعَلِمَ مَن هي هذه المرأة". وحسب الشريعة، لم يكن للابن الضال الحق في العودة إلى منزل أبيه.

وصوت المعلم وهو جالس على الجبل في متى ٥، ٦، ٧ وغيرها يقول: "أما أنا فأقول لكم"، وهو ما تصرح به الشريعة، وفي مقدمة كل ما قال ضد الشريعة: محبة الأعداء. نعم ضد الشريعة.

الثانية: تحوُّلنا إلى جسد المسيح، وهي قضية لا يمكن أن تمر. فقد ضُرِبَت بالادعاء بما أطلق عليه الأنبا شنودة والأنبا بيشوي "نظرية الأجساد الثلاثة"، وهي فكرة قوبلت بصمت غريب لا معنى له إلا غياب الوعي بأن المسيح رأس الجسد الكنيسة، بل حُرم الطقس وحُرمت الليتورجيا من أن تساهم في تأكيد أننا "جسد واحد وروح واحد"، ليس مع الرب وحده، بل مع جميع القديسين الذين سبقونا إلى "كورة الأحياء". وحدث تعديل في بعض الصلوات الطقسية دون العودة إلى العقيدة، وهو ما سوف نعود إليه. وبذلك أصبحت وحدة السماء والأرض، والذبيحة السمائية التي تجمع الكل: "سلامًا وبنيانًا لكنيسة الله الواحدة الوحيدة" في شركة مع الثالوث، لم تعد في الوعي.

عندما سألت بعض الأخوة عمَّا إذا كانوا يعلمون أن "السلام لجميعكم" التي تُقال في القداسات وفي كل الصلوات، ليس مجرد تحيةٍ، بل -حسب شرح القديس كيرلس الكبير في إنجيل يوحنا- هو عطية الروح القدس، وأنه طلب الروح القدس ليكون معنا وفينا عند ابتداء الأواشي، فقال كل الحاضرين إن "إيريني باسي" هي

زي صباح الخير أو مساء الخير، أو إزيكم يا جماعة، أنا بسلِّم عليكم، وكانت إجابتهم نكتة سخيفة.

فقد غاب البعد السمائي، حتى عن الفهم الأرثوذكسي لسر الشكر، وتحول إلى سائل في دم المرأة ... إلى آخر ما يعف اللسان والقلم عن كتابته؛ لأن "خبز الله النازل من فوق الواهب الحياة للعالم، ومن يأكلني يحيا بي، وأنا أكون فيه (حسب نص إنجيل يوحنا ص ٦ القبطي واليوناني أيضًا)، أصبح بعيدًا عن الخطاب المعاصر الذي أصبح يفتش عن كلمة لكي يشتم ويتهور في الهجوم على الأرثوذكسية نفسها.

ثالثًا: ومع سيادة الشريعة، وغياب مصالحة السماء مع الأرض، وغياب البعد السمائي، غابت مفاعيل السرائر بما فيها السر المجيد الذي في كل صلواتنا، وبالذات في صلاة القسمة هو "طهارةً لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا". ولكننا تركنا طهارة النفس، وبدأنا نصدر الفتاوى حول طهارة الجسد، وعُدنا طبعًا إلى شريعة موسى. وهنا نتساءل: أين تجد نجاسة الجسد، ليس فقط في العهد الجديد كله، بل في اللاويين وفي التثنية، وهي أسفارٌ لم يعد لها أي مكان في شرح تدبير الخلاص، وكأن كهنوت الرب -الذي جاء على طقس ملكي صادق، وليس على طقس هارون- يجب أن يخدم سرائر العهد الجديد حسب شريعة العهد القديم، كأن يسوع كاهن من سبط لاوي لا من سبط يهوذا حسب رسالة العبرانيين التي تؤكد أن ربنا طلع من سبط يهوذا الذي لم يخدم شريعة العهد القديم (عب ٧: ١٤). ولكن الأنبا شنودة والأنبا بيشوي ومَن لف لفهم يريدون أن يعود الرب يسوع ويضع نفسه تحت الشريعة، رغم أن كهنوت الرب هو من الله الآب، وليس من موسى حسب نبوة المزمور: "أقسم الرب ولن يندم (لن يتراجع عن قراره) أنك أنت الكاهن إلى الأبد على طقس ملكي صادق". وعندما يردد المرنمون معنى النبوة للأب البطريرك بالذات، وبالرغم من ذلك يعود الأب البطريرك شنودة الثالث لكي يضع نفسه تحت شريعة موسى، فإن الردة ظاهرة، وحكم هذه الردة هو عند الله الذي منحه كهنوت ملكي صادق، وهو ذاته كهنوت يسوع المسيح، فرفضه لأنه يريد الكهنوت اللاوي المرفوض في تدبير العهد الجديد (عب ٧: ١١)!!!

أُنادي الرب يسوع وأقول له:

لقد طال ليلُ الابتعاد عن النعمة، وطال زمان الردة إلى وساطة الشريعة،

وطالت عتمة فرض الأوضاع الجسدانية على ما هو إلهي،

مُد يديك المثقوبتين بمسامير العهد الجديد،

وأنر بصائر العميان قبل أن تدهمنا ظلمة هذا الدهر.

الطبيعة والنعمة

والزواج شريعة الله[1]

سؤالٌ عن الزواج كشريعة وضعها الخالق عندما خلق آدم وحواء وباركهما بطبيعة قادرة على الإنجاب؛ لأن الرب قال: "اثمروا واكثروا واملأوا الأرض" (تك ١: ٢٢). والسؤال هو عن الفرق بين الزواج كشريعة إلهية، والزواج كسر كنسي؟

وصاحب السؤال من الجيل الذي لم ينل تعليماً لاهوتياً في كنيسة مصر، فهي ضحية التعليم المؤسسي الصادر عن مؤسسة، وهو ليس التعليم الكنسي الذي له ثوابت واضحة معروفة في الأسفار المقدسة (العهدين القديم والجديد)، وما سُلِّمَ إلينا من كتابات الآباء وقرارات المجامع المسكونية والمكانية، وما استقر في القانون الكنسي الذي يتفق مع التسليم الكنسي.

التعليم المؤسسي الصادر عن مؤسسة يقول لنا إن ما يُعرف باسم "الزواج المدني" هو زنى، وإن أي علاقة بين رجل وامرأة في زيجة حسب شريعة الخالق لا تكون الكنيسة طرفاً فيها هي زنى، ذلك؛ لأن المؤسسة تحرص على بقاء العبيد في طاعة تضمن تدفق الأموال ونمو السلطان الكهنوتي الذي تحول من خدمة ونعمة يمارَس من خلالها الثالوث القدوس تقديم هبات الدهر الآتي لأعضاء جسد الرب، إلى سلطان مستقل ذاتي يصول ويجول ما يشاء ليصدر "فتاوى شرعية" مثل اعتبار الزواج الذي لا يتم في الكنيسة زنى.

وقد واجهنا هذه المأساة من قبل، عندما صدر منشور من البابا الراحل وُزِّع على الأساقفة ولم يُنشر علناً. واعترض عليه قساوسة الكنيسة الإنجيلية،

---

[1] مقال نشر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٥ أغسطس ٢٠١٥.

وبالتحديد: فايز فارس – صموئيل حبيب – لبيب مشرقي، وكان مضمون هذا المنشور أن زواج الإنجيليين هو زنى لأنه ليس "سراً كنسياً". وكتبت مقالين في مجلة الكنيسة الإنجيلية "الهدى" بعنوان "قدسية الزواج في الكنائس الإنجيلية والكاثوليكية"، وجرت محاكمة صورية في دير الأنبا بيشوي حضرها البابا الراحل – الأنبا يوأنس الراحل – الأنبا بيشوي – الأنبا باخوميوس، ولم يصدر قرار عن هذه الجلسة، بل ولا يوجد لدى البابا الراحل ولا غيره أي وثيقة تتعلق بهذه المحاكمة، فقد حرص على أن لا يوثق شيئاً؛ لأن التوثيق –بالنسبة له–فضيحة كبرى؛ لأنه يمس زواج كل المصريين، بل وشعوب الأرض على اتساعها، ويعفي الأقباط الأرثوذكس فقط من الزنى.

وسؤال الأخ أشرف يعيدنا إلى ذات المربع الأول، وهو تلك الدائرة التي تحرص عليها المؤسسة الدينية، لا الكنيسة التي لديها لاهوت وتاريخ كنسي، على أن تبقى مغلقة على أصحاب الفتاوى، وهي تقسيم الكون إلى مقدس وغير مقدس، والمقدس هم ما يتم في الكنيسة، وغير المقدس، أي النجس، هو ما يتم خارج الكنيسة. وهو عودة إلى ذات الحوار الساخن الذي دار في القرون الأربعة الأولى، وبالذات بين الغنوسية وشيعة المانويين من جانب، والكنيسة الجامعة من جانب آخر، وهو أحد أسباب كتابة كتاب الرد على الهرطقات، وهو أول مؤلف لاهوتي للمعلم الكنسي ايريناوس (حوالي سنة ٢٠٠)، وتبعه بعض الآباء مثل اكليمنضس السكندري وغيره، في حوار حول خليقة الله التي هي بالطبيعة طاهرة ولا يدنسها إلَّا الشر النابع من قلب الإنسان.

وقد تصدى معلِّم الحياة نفسه لكل ممارسات التطهيرات التي أشار إليها إصحاح كامل في إنجيل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، أي إنجيل مرقس مؤسسها، في الاغتسال وقواعد التطهير، ليضع الرب نفسه قاعدة التمييز: "كل ما يدخل الإنسان من خارج لا يقدر أن ينجسه لأنه لا يدخل إلى قلبه" (مرقس ٧: ١٨)، ولكن "الذي يخرج من الإنسان ذلك ينجس الإنسان لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشرير، زنى فسق قتل. سرقة طمع خبث مكر عهارة عين

شريرة تجديف كبرياء جهل. جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الإنسان" (١٨: ٢٠-٢١). ولعل الحكم القاطع في نفس السياق هو عبارة الرب نفسه: "رفضتم وصية الله لتحفظوا تقليدكم" (مرقس ١٨: ١٩)، هو حكمٌ على مؤسسة الفريسيين، وعلى كل الذين يمسكون "بتقليد الشيوخ" الخاصة بأشياء كثيرة تسلموها للتمسك بها (مرقس ٧: ٤).

وحتى بطرس تلميذ الرب، رغم نواله نعمة الروح القدس في يوم العنصرة، إلَّا أنه كان لا زال يهودياً في نظرته للآخرين، فقد كان يتمسك بالطعام الطاهر والطعام النجس حسب شريعة موسى، وعندما جاع لأنه كان صائماً ورأى السماء مفتوحة وإناءً نازلاً مثل ملاءة فيها كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء، وصار إليه صوت قم يا بطرس اذبح وكل"، وكان رد بطرس: "كلا يا رب لأني لم آكل قط شيئاً دنساً أو نجساً"، ثم سمع ثلاث مرات ذات الصوت السمائي يقول له "ما طهره الله لا تدنسه أنت" (أع ١٠: ١٠-١٦). ومع أن الرؤيا كانت خاصة بالطعام -حسب شريعة موسى- إلَّا أنها كانت دعوة لبطرس لأن يعمِّد كرنيليوس (أع ١٠: ١٧)، ورغم ذلك عندما ذهب إلى إنطاكية حيث كانت الجماعة المسيحية مكونة من يهود وأمم وجاء عدد من اليهود من أورشليم، بدأ بطرس يأكل مع اليهود. وحسب الشرح الدقيق لعبارة الرسول في (غلاطية ٢: ١٢-١٣) كان بطرس قد امتنع عن شركة الأمم في عشاء الرب: "كان يؤخر نفسه ويفرز نفسه"، والعبارة لا يمكن أن تكون خاصة بالطعام العادي، ولذلك كتب بولس الحار بالروح: "ولما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل" (٢: ١٣)، فقاومه بولس وعاد بطرس إلى الإيمان مرة ثالثة.

أعود فأكرر ما سبق ونشر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية عن "تطور النظرة إلى التطهيرات" وغيرها. إن ما جعله الله نفسه شريعةً طبيعيةً، عاد العهد الجديد وأكَّدها بقوةٍ؛ لأن الكلمة اللوغوس هو خالق كل الأشياء، وبدقة يقول رسول الرب: "فإنه فيه (الابن) خلق الكل:

- ما في السموات
- وما على الأرض
- ما يُرى وما لا يُرى
- الكل به
- وله قد خُلق...
- وفيه كل شيء يقوم (يبقى) كولوسي ١: ١٥-١٧.

فهو، الابن له المجد "حامل كل الأشياء بكلمة قدرته" (عب ١: ٣)، ونحن نعرف أن ما دوَّنه رسول الرب بولس ظلَّ سارياً طوال عصور الكنيسة، وهو الزواج لدى السلطات المدنية، ثم الذهاب بعد ذلك إلى الكنيسة لكي تشترك الكنيسة كلها في خدمة وتقديم العون والدعم والصلاة، وهو ما صار بعد ذلك يُعرف باسم "صلاة الإكليل".

لم نعثر في كل وثائق التاريخ القبطي حتى العصر الحديث عن وثيقة واحدة تؤكد لنا أن الزواج سِرٌ كنسي. وما وصلنا من صلوات في برديات الدير البيض وطقوس القرون الثالث عشر والثاني عشر لا تذكر سر الزيجة، وإنما عندما ساد التعليم بالأسرار السبعة، حُسِبَت الزيجة واحداً من الأسرار السبعة، وهو تحديد شرعي وقانوني عُرف في الغرب، وقننه مجمع ترنت في القرن السادس عشر، لا قبل ذلك.

لم يكن الزواج سراً في العهد القديم كله: فهل كان هذا زنى؟ وعندما يذكر رسول المسيح الزواج المختلط بين مسيحي وامرأة غير مسيحية، فهل وصف الرسول هذه العلاقة بانها زنى "إن كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهي ترتضي أن تسكن معه فلا يتركها المرأة التي لها رجل غير مؤمن وهو يرتضي أن يسكن معها فلا تتركه"؟ ولعل صوت المؤسسة يسكت أمام شهادة الكنسية: "الرجل غير المؤمن مقدس في المرأة والمرأة غير المؤمنة مقدسة في الرجل" (١كو ٧: ١٢-١٤)، والتقديس هنا هو بقاء هذه العلاقة في إطار ما أسسه الله نفسه من تخصيص والتزام ومحبة؛ لأن أحد معاني كلمة تقديس = تخصيص.

لماذا اذن لدينا صلوات للزيجة؟

والجواب هو أن الطبيعة مقدسة، وشريعة الله طاهرة، ولكن ما يتم في الكنيسة هو دعوة ما هو مقدس حسب الطبيعة إلى شركة في حياة الثالوث وشركة في حياة الجسد الواحد، ليس لأن الطبيعة التي خلقها الله القدوس في حاجة إلى تقديس، بل لأن الطبيعة وشريعة الله تدخل إلى دائرة استعلان الثالوث التي تضع كل كيان إنساني في مجال الشركة الإلهية، ولذلك السبب كان رشم العروسين، بل تقديم جسد الرب ودمه لهما في صلاة الإكليل هو دعوة الثالوث للدخول إلى مجال النعمة الأبدية. هنا يصبح الزواج ممارسة لشريعة الله التي نالت شركة في الثالوث.

أمَّا الادعاء بأن الذين يتزوجون خارج الكنيسة هم زناة، فهي دعوة تكفير على طريقة جماعات الإرهاب المسلح التي تفرز من معها ومن ضدها حسب إيمانها الأعوج.

إذن، هل الزيجة سر كنسي؟

والجواب حسب التسليم، أن كل ما يدخل مجال النعمة الإلهية من مخلوقات، هو سِرٌّ مثل تقديس المياه، تقديس الميرون، رشم الصليب، تكريس مباني الكنائس وأواني الخدمة، ثم الخدمات الإلهية التي يُستعلَن فيها الثالوث: المعمودية، الميرون، الإفخارستيا، مسحة المرضى، الرسامات، الزيجة، ثم سر تطهير النفس بالروح القدس الذي تحول تحت وطأة ضغط لاهوت العصر الوسيط إلى "سر التوبة والاعتراف"؛ لأنه سر استعادة قوة المعمودية واستنارة النفس التي وُهِبَت في مسحة الميرون الإلهية والشركة في الثالوث. ولكن حصار العصر الوسيط واستعارة مصطلحات لاهوت الغرب الكاثوليكي أفقدتنا النظرة السرية *Mystical* التي كانت القوة الحقيقية التي ولدت لنا أنطونيوس الكبير وأثناسيوس الرسولي وغيرهم.

ليت قوافل الجهل التي لا تجيد إلَّا الصراخ، تصمت وتترك المجال لدراسات

أمينة صادقة لاستعادة التعليم عن السر الكنسي في مجاله الإلهي، حيث يشرق الثالوث بالتبني – غفران الخطايا – شفاء النفس والجسد، والأهم هو انسكاب روح الآب، روح المحبة (رو ٥: ٥) فينا لكي يجدد كياننا.

ملاحظة هامة:

الزواج المدني هو مصطلح غربي وُلِدَ في الغرب بعد انهيار سلطان الكنيسة الكاثوليكية الذي بدأ في التراجع تحت ضغط حركة الإصلاح، ثم حركة التنوير، ولا يوجد -تاريخياً- زواج مدني وآخر كنسي، بل زواج حسب شريعة الخالق، وزواج حسب النعمة.

عندما شرح الأب متى المسكين سر غسل الأرجل، قامت الدنيا ولم تقعد؛ لأن قوافل الجهل أسرى الأسرار السبعة، اعتقدوا أنه أضاف سراً جديداً، وبالتالي أفقد الرقم ٧ بريقه ورمزيته، في حين أنهم لو دققوا في الصلوات الليتورجية لتحققوا من أنه سِرٌّ، ولكن صرخات العصر الوسيط غلبت التعليم الكنسي المودع في صلوات الليتورجية.

حفظ الله الثالوث أُم الشهداء من صراخ صوت المؤسسة، وأعاد إلينا صوت وشهادة وجمال الأرثوذكسية.

العلاقة الزوجية، وعلاقة المسيح بالكنيسة[1]

يسوع المسيح إلهنا الذي أقامنا من فساد الموت، يكلل حياتَكَ، ويرفعها إلى أمجاد السماء، حيث الآب السماوي الذي فتح أحضانه الأبوية، أي ابنه الوحيد الكائن في حضن الآب، وجاء وأخبرنا بالمحبة الأزلية التي كانت تراقب الدهور في انتظار الملء، وهي هذه المحبة التي يقدِّمها لنا الثالوث الأقدس، يا ليتنا نعيش لها وفيها، فهذه هي السماوات بعينها[2].

قرأت رسالتك ودُهشت لما جاء فيها، ذلك أنني لا أعتقد بأن الكنيسة قد وضعت قوانين تمنع العلاقة الجنسية قبل التناول، وهذا ما أُقرره بعد دراسة جيدة لكل قوانين الكنيسة. وهناك فرقٌ بين ما تشجِّع عليه الأُم، وما تحرِّمه الأُم، وأنا أعني بالأُم هنا، الكنيسة الجامعة.

يا أخي المحبوب: إن كلَّ ممنوعٍ قبل التناول، هو بكل يقين ممنوعٌ أيضاً بعد التناول. قبل الاتحاد بالمسيح، وبالكنيسة في الإفخارستيا، نحن نتوب، وكل ما نتوب عنه لا يجوز أن نعود إليه، ولذلك لا يمكن أن نضع الطعام والعلاقات الجنسية والأحاديث وانشغال العقل ....إلخ ضمن المحرَّمات، لأنها ليس محرَّمة، فلا حرام ولا حلال في المسيحية على الإطلاق، بل يوجد ما يصلُح ويوافق –حسب تعبير الرسول– وما لا يصلُح ويوافق، وقاعدة التمييز هنا هي درجة محبتنا لله.

---

(1) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٤ مارس ٢٠١٦.

(2) رداً على رسالة لأحد الأحباء.

العلاقة الزوجية ليست علاقة جنسية. هذا عكس ما يكتبه بعضُ المسيحيين اليوم تحت تأثير الأفلام والكتب الرخيصة، وفقدان رؤية **المثال الصحيح لعلاقة الرجل والمرأة، أي المسيح والكنيسة**. ولكننا، وفي إطار هذا المثال الكامل، أي ذلك السر العظيم، اتحاد المسيح بالكنيسة، يمكننا أن نفهم لماذا يليق بنا نحن الذين نحيا في ظل هذا النموذج الإلهي أن نمتنع عن المعاشرات الزوجية، وأن نعود إليها، بل ما هي أسباب الامتناع، وما هو طريق العودة إلى المعاشرات الزوجية بعد أن نكون قد نلنا استنارةً من هذا النموذج الإلهي، أي المسيح والكنيسة، ولا سيما في سر الإفخارستيا.

إنَّ ربنا يسوع له المجد، عندما تجسد كان يهدف إلى أن يكون واحداً معنا، وأن يكون واحداً فينا. وبكلمة "**معنا**"، ندرك حضوره في وسطنا، أمَّا "**فينا**"، فهي تعني اتحاده بكل شخص منَّا. هذا الاتحاد هو الذي يكوِّن الكنيسة الجامعة. وهو أيضاً الذي يجعل هذه الكنيسة، جسده الواحد. فالكنيسة ليست سوى جسد المسيح الواحد. ولأهمية الكلام عن الجسد الواحد، أكَّد القديس بولس هذا التعبير، ليس في مواجهة الانشقاق فقط، بل أيضاً في مجال الكلام عن غاية الحياة المسيحية، وهي تآلف كل الأعضاء لتكوِّن في النهاية الجسد الواحد.

وعندما اتَّحد الرب يسوع المسيح بنا، أي عندما أخذ جسداً مثل جسدنا من العذراء مريم، فقد كان يريد أن يعيد إلينا هذا الجسد المتَّحد بلاهوته، لكي يجمع حوله كل الذين يقبلون الإيمان، وصار بذلك مثل الخميرة التي تخمِّر العجين كله. على هذا النحو السِّري ينتشر المسيح فينا بلاهوته وناسوته، ويجمع في وحدة واحدة كل المؤمنين به. هذا السِّر العظيم شرحه الرسول بولس في تتابع الإصحاحات ١٢ - ١٤ من رسالته الأُولى إلى كورنثوس، وعاد إليه في مواضع معروفة بارزة في رسائله الأُخرى.

يجب أن نسأل: إذا كانت وحدتنا بالمسيح هي أعظم من اتحاد أعضاء الجسد الواحد (١كو ١٢: ٢١)، فهل يتم هذا الأمر مرةً واحدة، وهل يحدث

هـذا بشـكل أوتومـاتيكي؟ والسـؤال يمكـن أن نقولـه بصـورة أُخـرى لاهوتيـة: لمـاذا نتناول كل يوم أحد، مع أن التناول مرةً واحدةً يكفي؟ هذه الأسئلة سمعتها أكثر مـن مـرة، وهـذا يعـني أن سـر المسـيح والكنيسـة لـيس معروفـاً بالشـكل العقيـدي الصحيح، بل لقد سألني البعض منذ أكثر من ثلاث سنوات: إذا كانت الكنيسة جسـد المسـيح، فكيـف تأكـل الكنيسـة المسـيح، هـل تأكـل الكنيسـةُ جسـدها؟ وأضـاف واحـدٌ سؤالاً آخراً: إذا كانـت الكنيسـة جسـد المسيح ونحـن أعضـاء هـذا الجسد، فكيف نأكل بعضنا البعض؟

إن مثـل هـذه التصـورات لا تصـدر إلا عـن عقـلٍ لا يعـرف عقيـدة الكنيسـة، ولذلك يجب أن نعـود إلى كلمـات الرسـول بـولس نفسـه، حتى لا نُتهم بأننا نعلِّـم النـاس الافـتراء، وحـتي لا نتهـور في الـرد علـى الـذين لا يفهمـون. يقـول الرسـول بـولس: إن الرجـل هـو رأس المـرأة، لأن المسـيح هـو رأس الكنيسـة (أف ٥: ٢٣)، وطبعاً الرأس من الجسد، ولا رأس بلا جسد، كما أنه لا يوجد جسدٌ بلا رأس. نحن هنا لا نتكلم عن الدماغ، أي الجمجمة بما فيها، وإنما نتكلم عن الوظيفة التي يؤديهـا الـرأس، وهـو مـرتبط بمعنى الخضـوع. هـذا الخضـوع لا يمكـن تذوُّقه بشـكل صحيح إلا في إطارٍ واحد، وهـو المحبة الصحيحة. لأن مـا هـو خـارج المحبة مثل التسلط وحب الرئاسة والقهر، هو ما أشهره المسيح وفضحه بالتجسد والصليب.

ويقـول الرسـول بعـد ذلـك: "إن المرأة هـي جسـد الرجـل" (أف ٥: ٢٩)، ومثـال ذلـك هـو المسـيح والكنيسـة. فقـد أخـذنا كياننـا الجديـد مـن المسـيح، مـن لحمـه ومـن عظامه (أف ٥: ٣٠)، تماماً مثلما خُلِقت حواء من لحم وعظام آدم. فهي كانت بلا وجود حتى تحنن الرب على آدم وصنع له شريكاً ومعيناً، ولم يكن من تراب الأرض، بل منه هو لدلالته على الاتحاد العظيم والمطلوب من خلق حواء. هنا المحبة فقط هي الـتي تميِّز معـاني الكلمـات: المـرأة مـن لحـم الرجـل وعظامـه. وهـذا الامتـداد يعـني كيانـاً آخـر، هـو مـن كيـان الرجـل، ولا يختلـف عنـه في الطبيعـة. لكـن هـذا الكيـان الـذي لـه نفس الطبيعة، خاصٌّ بشخصٍ آخر هو المرأة. **هنا الطبيعة واحدة والشخصية مختلفة. بذلك تصبح الوحدة الطبيعية هي قاعدة الاتحاد. أي أن الاتحاد على مستوى الطبيعة**

موجود، ولكن الذي يجب أن يتحقق هو الاتحاد على مستوى الإرادة والمحبة، وهو أن يصبح الرجل والمرأة جسداً واحداً (أف ٥: ٣١). وأعتقد أن المشكلة التي تحيِّر البعض هي عبارة "جسد واحد". فالمقصود منها بكل دقة "شخص"، وليس الوحدة البيولوجية، فهي أصلاً لا تفيد بالمرة، لا سيما في حالات انعدام المحبة. **يصبح الرجل والمرأة جسداً واحداً، رغم أنهما أصلاً وحسب الكلام السابق، جسداً واحداً، ولكن ما يتحقق هنا هو أن يصبح الجسد الواحد ليس "وحدة طبيعية"، بل "وحدة شخصية". هنا يتداخل الخلق والخلاص في وحدة واحدة. لقد خلق الله الرجل ثم خلق المرأة من جسد الرجل، أي من لحمه وعظامه لكي تعود المرأة إلى الرجل ويتحد الرجل بالمرأة، ويصبح الجسد الواحد هنا الوحدة الكاملة التي تتحقق. هذا لا يتم بالقانون أو بالقوة، بل بالنعمة وفي المحبة وحدها.** ويمكن أن نقول إن الجسد الواحد حسب الطبيعة، يصبح كذلك فعلاً، في تجلي المحبة وبهاءٍ سريٍّ Mystical فائقٍ، تظل يد الرجل غير يد المرأة، ورأس الرجل غير رأس المرأة، ولكن مع ذلك كلاهما بقلبٍ واحدٍ وإرادةٍ واحدةٍ، ومع وجود رأسين وأربعة أيادٍ ....الخ حسب الظاهر. إلا أن الحقيقة الواضحة هي أن الاثنين صارا واحداً. وهنا يجب أن نقول **إن هذه الوحدة العظيمة ليست مضادة لعمل الخلق، ولكنها محقِّقةٌ لعمل الخلق، وهذا ما يقصده الرسول من الكلام عن الجسد الواحد، وكأننا أمام السر العظيم، نرى بوضوحٍ كيف تتحول الطبيعة الإنسانية من لحمٍ ودم إلى وحدةٍ روحية قوامها اللحم والدم،** ولكنها أعظم بكثير من كل قوانين اللحم والدم؛ لأن هذه القوانين –بدون الوعي والإدراك– تصبح قوانين المادة غير العاقلة، وغير المدرِكة لجمال محبة الله. وإن كان الله في النهاية يفتح المادة على هذا الإدراك بشكل سريٍّ لا يمكن التعبير عنه، وهو ما جعل الرسول يكتفي بالكلام عن مخاض ميلاد الكون كله (رو ٨: ٢٢).

إذا عُدنا إلى الأصل، أي المسيح والكنيسة، استطعنا أن ندرك لماذا نتناول أكثر من مرة، **رغم أن اتحادنا بالمسيح هو اتحادٌ أبديٌّ لا يمكن أن يتوقف، ولا يمكن أن يهدده الانقسام. لكنه أيضاً لا يبقى اتحاداً إلا برغبة كل الأطراف، أي المسيح والمؤمنين.** فالذين يرفضون هذا الاتحاد لا يمكنهم البقاء، ولا يرغم

المسيحُ أحداً على أن يكون عضواً في جسده، فهذا أصلاً ضد قاعدة المحبة التي تقف عليها حرية الاختيار، وتمارِس بشكلٍ واعٍ مسئوليتها، لذلك يعود المسيح إلينا ونعود نحن إليه في الإفخارستيا. هو يطلب الكنيسة بقوله: "اصنعوا هذا لذكري"، ونحن نطلبه بقولنا: "إلى مَن نذهب يا رب وكلام الحياة الأبدية هو عندك"، هو يأتي إلينا حسب وعده: "إذا اجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمي، فهناك أكون في وسطهم"، ونحن نأتي إليه لأننا أعضاء جسده. **وهنا الاتحاد على مستوى الطبيعة قائم. نحن واحد معه في الناسوت، فهو آدم الثاني الذي يشبه آدم الأوَّل كثيراً، ولكنه لا يُشبهه في قوة الحياة، ومجد القيامة من الأموات.** ويمكننا أن نرى بكل وضوح أن الابن الذي تجسد وصار ابن الإنسان، لا ينفع غير المؤمنين بشيء إلا عندما يعودون إليه بالإيمان. هو ابنُ إنسانٍ، أو أبن آدم مثل كل أولاد آدم، ولكن هذا لا يفيد إلا الذين يأتون إليه. وعندما يأتون إليه، تصبح وحدتهم الطبيعية وانتمائهم إلى الإنسانية هي قاعدة العلاقة مع المسيح. ولكن ماذا يحدث بعد العودة إلى المسيح والاشتراك في حياته؟

هنا يتم الزواج الإلهي بنا. نصبح واحداً معه، ويصبح واحداً فينا. وهو ونحن جسد واحد، وليس جسدين أو أكثر. لكن هذه الوحدة ليست وحدة طبيعية فقط، بل وحدة حياة، فالجسد بكل ما فيه لا يفيد شئياً، فبدون الروح، وبدون الوعي والإدراك، وبدون المحبة، يظل الجسدُ جسداً. أمَّا في المحبة، فيصبح ذلك الجسد شركةً وتجلٍّ لمجد ومحبة الله.

لقد عانق يهوذا الرب وقَبَّلَه، وكان عناق الخيانة وقبلة الغش. فالاقتراب من الجسد لا يفيد بالمرة، بل أحياناً يكون للدمار والهلاك، والتصاق جسدٍ وجسدٍ لا يفيد، ذلك أن الالتصاق موجودٌ أصلاً، ولكنه يأخذ شكل الاستيلاء والأنانية، ويصبح تعبيراً عن فساد الخطية وقسوتها، **ولذلك السبب قال الرسول: إن كل مَن التصق بزانيةٍ "فهو جسد واحد"، دون أن يعني أن هذا الاتحاد مثل اتحاد الزيجة، بل البقاء في أسر وعبودية قانون الطبيعة الإنسانية القائم على اتحاد الكل في آدم الأول.** وكل الذين يطلبون مثل هذه العلاقة تضيع عليهم الفرصة لاكتشاف ما

هو أفضل وأعمق من مجرد الالتصاق بجسد واحد، أي الوحدة الزوجية التي عاد الرسول بولس يقول عنها: "أمَّا مَن التصق بالرب فهو روحٌ واحد"، أي "حياة واحدة"، "المسيح يحيا فيَّ". ولذلك السبب بعينه حرص الرسول على القول بأننا عندما ننضم إلى جسد المسيح الواحد، فإن الذي يفعل ذلك هو الروح الواحد "بروحٍ واحدٍ اعتمدنا إلى جسدٍ واحد"(١كو ١٢: ١٣)، ونحن لا ننضم إلى الجسد الواحد إلا بالمعمودية؛ لأن شريعة البقاء في جسد المسيح -كأعضاء- هي شريعة الصليب والقيامة، أي المشاركة في آلام الرب منتظرين مجده الإلهي الذي يوهَب لنا. أمَّا الحياة في الجسد الواحد، أي الكنسية، فإنها تؤخذ من الروح الواحد الذي يسقي الكنيسة الحياة الواحدة "وجميعنا سُقينا روحاً واحداً"(١كو ١٢: ١٣).

هذا كله يؤكِّد لنا بشكلٍ واضحٍ لا يمكن فهمه إلا في إطار المحبة، إنَّ الوحدة التي نسعى إليها جميعاً هي وحدة روحية؛ لأن البقاء في عضويتنا في الكنيسة جسد المسيح، هو سر وحدة Mystery Of Union وليس العودة إلى وحدة طبيعية، لم يستطع آدم وحواء الاحتفاظ بها، بل سرعان ما انهارت بسبب الغواية وبسبب ما أضافته الخطية إلى الطبيعة الإنسانية من حب الذات الذي تأصَّل في الإنسان بسبب الموت وبسبب ظن الإنسان أن الحرص على حياته هو وحده الذي يدفع عنه خطر الموت. لذلك السبب، **صار من الواضح أن عودة الإنسان إلى الحياة بالمسيح وعودته إلى الاتحاد بغيره من المؤمنين، أي الكنيسة، ليست قانوناً حتمياً من قوانين الطبيعة، بل سعيٌ حثيثٌ دائمٌ نحو الوحدة؛ لأن هذه الوحدة تأخذ بدايتها من الثالوث، وقوتها من التجسد، ودوامها من الروح القدس، وتظل في حركة دائمة نحو الكمال.**

عندما يتزوج رجلٌ وامرأة، فإن الوحدة التي تبدأ، وفي حالات القداسة، لا تزول إلا بالموت حسب تعليم الآباء الرسل. ولكن هذه الوحدة تظل في حاجةٍ إلى النمو، وتظل ساعيةً نحو الكمال، هذا الكمال هو اكتشاف أعماق المحبة، وهو اكتشافٌ لا يتحقق إلا في ضوء المداومة على الوحدة.

لقد صار الكلام عن الشركة نادراً إلى الحد الذي يتعذَّر علينا فيه أن نجد مَن يؤمن بأسرار الشركة. هذه الأسرار قائمةٌ على اشتراك اثنين. واشتراكُ اثنين معناه اجتماعُ إرادتين في وحدة حياة. ولا يقلل من ذلك، الكلام عن وحدة الإرادة، فليست الإرادة إلا ثمر حياة، والذين يتكلمون عن شركة في العمل[1] لا يدركون إن العمل هو خلاصة الحياة، وبالتالي الشركة في العمل هي ثمرةُ اتحادٍ، وليس العكس. ومثال هذا هو كلام الرب نفسه: "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل"، فهي شركة في العمل نابعة من شركة في الجوهر. وعلى نفس المثال، نشترك نحن في عملٍ واحد؛ لأننا من ذات جوهر المسيح (١كو ١٢: ١٢). **وشركتنا مع المسيح، ليست سوى شركة المسيح في حياتنا الإنسانية التي أخذها منَّا عندما صار واحداً معنا. نحن نشترك في حياته، كما سبق واشتركنا في حياة آدم الأول التي جلبت علينا الموت والفساد (رو ٨: ٢١)، لكن شركتنا مع آدم هي شركة في الطبيعة مطلوبٌ منها أن ترتفع إلى شركة إرادة، ووحدة عمل. ولأننا واحدٌ مع المسيح، لا نستطيع أن نميِّز على المستوى الجسدي بيننا وبين المسيح، وهذا هو معنى عبارة "جسد واحد"، ولكن المطلوب أن نميِّز على المستوى الروحي بين المسيح مصدر الحياة، وبيننا نحن الأوعية الفارغة التي تصب فيها حياة المسيح.**

لقد ظنَّ بعضُ حكماء هذا الدهر أنهم بسؤالٍ واحدٍ يمكنهم القضاء على الإفخارستيا تماماً، عندما قالوا: كيف يوجد جسد المسيح على المذابح المتعددة في كل الكنائس في وقت واحد؟ وإجابة بعض حكماء هذا الدهر كانت أفدح، لأن البعض صوَّر الجسد مثل مرآة كُسِرت إلى عدة مرايا، وكل شفرة منها، هي مرآة. **لكن الواقع هو أن الجسد موجودٌ على المستوى الطبيعي، أمَّا ما نحصل عليه، فهو الحياة والشركة.** وكما أنهما جسد واحد، حتى وإن ذهب كل منهما إلى بلد بعيد، ولا حاجة للبحث عن وحدة الجسد، إلاَّ أن اجتماعهما معاً، هو الذي يحقق الوحدة.

---

(١) "اشترك في العمل مع عبيدك في كل عملٍ صالحٍ"، أوشية المسافرين.

ومن أسرار الشركة أيضاً أننا يجب أن نكون على وعي بأن الشركة لا تنمو مطلقاً إلا على أرض الحرية والاختيار الحُر وحده، الذي يحقق الوحدة. ولكن عندما تتحقق الوحدة، فإن الحرية لا تختفي، بل تظل تمارس دورها في قبول الشريك أو الاخر. هذه الممارسة يُعبِّر عنها اللقاء المتكرر، وعندما يلتقي الرجل والمرأة معاً، فإنهما لا يتزوجان من جديد، فالزواج قد حدث، ولكن اللقاء يكون تجديداً للمحبة ودواماً للشركة. هذا يحدث لأن الرجل ينشغل بعمله اليومي كما تنشغل المرأة أيضاً بعملها اليومي، ويصبح من الضروري أن يعود كل منهما ويتفرغ للآخر لئلا يُبدد الانشغال الوحدة القائمة بينهما.

وعلى نفس المثال، نحن لا نستطيع أن نمتنع عن لقاء المسيح في الإفخارستيا، ليس بسبب الضعف الروحي، بل لأن كلَّ مرةٍ نتناول من جسده ودمه "نخبر بموت الرب إلى أن يجئ". هذا يعني بالدرجة الأولى، **أن كلَّ لقاءٍ معه في السر المجيد، هو إدراكٌ لما أخذناه معه، ولِما قبلناه مع الكنيسة.**

وتماماً كما يكتشف الرجل في زوجته أعماقاً جديدةً وحياةً وفرحاً جديداً، هو ليس اكتشافاً غريباً، بل امتداد لِما سبق وحدث، هكذا نحن أيضاً نكتشف ما نلناه في المعمودية، وما أخذناه من أسرار الكلمة في الوعظ، وما نعيشه معاً كجماعةٍ لها قلب واحد. وعندما يتحقق كل هذا فينا، فإن وحدتنا تكون قد صارت فعَّالةً.

الوحدة تتكون في الزيجة، وباستمرار تعبُر الوحدةُ سائرةٌ إلى ما هي عليه. هذا هو جوهر الشركة. فإن الوحدة لا يمكن أن تتوقف عند نقطة البدء، ولا يمكن أن تتجمد عند مستوى معين، بل هي دائماً تصير ودائماً تسير نحو ما بدأت فيه. ولعلنا من الناحية الفلسفية البحتة ندرك أن نقطة البدء والنهاية هما واحد، لأن الألف والياء، البداية والنهاية هما واحد، هو يسوع المسيح الذي به صارت الوحدة بين الرجل والمرأة، وبين الله والكنيسة ممكنة، بل محقَّقة.

إن المجال لا يتسع للكلام عن آثار التجسد، وهي الآثار الظاهرة في تكوين

الإنسان الجديد في المسيح. فهذا الإنسان يعرف أنه سوف يصل إلى ما بدأ منه. وهذه هي قوة وثبات الحياة الجديدة، فهي عكس الحياة القديمة، تلك التي تريد أن تصل إلى أي شيء، وتطلب ما هو مستحيل، مثل "التشبُّه بالله" دون أن تعرف ما هو التشبُّه بالله (تك ٣)، وتسعى نحو كل جديد، وتطرح القديم تماماً؛ لأن الموت جعل ظِل الجديد نوعاً من العزاء أو الهروب منه. وما القلق والقرف الذي يصيب الإنسان من القديم، سوى إحساسٌ دفين بأن الحياة منتهية، وبأن الجديد هو عودة للحياة.

كل هذا زائفٌ ولا قيمة له.

أمَّا عندما تجسد ابن الله وردَّ الإنسانية إلى الله فيه، فقد صار هو الرأس الذي لا يمكن رفضه؛ لأن رفضه معناه الموت، ولكن البقاء على صلةٍ بالرأس معناه على الأقل أثناء حياتنا على الأرض، هو أن نرفض كل مقاييس الحياة القديمة القائمة على العصيان والتمرد، وطلب إرضاء الذات، ومِن طلب إرضاء الذات، تنبع كل رغبات الإنسان في الجديد. لكن عندما صارت نقطة البدء، هي النهاية أيضاً بسبب مجيء "الألف والياء"، صار من الواضح إن الإنسان لا يمكنه أن يعيش مع الله إلا إذا قَبِلَ الله كما هو، أي "الألف والياء"، أي أن يرضى به وحده كمصدر للحياة؛ لأن البحث عن مصدر آخر للحياة غير الله لم يكن سوى السقوط، وهو ما نراه في حياتنا اليومية أينما كان.

لقد تكلمت عن اتحاد الرجل والمرأة، ولكن كما نرى كان الكلام عن اتحاد المسيح والكنيسة، فالتداخل حتمي بسبب العلاقة الوثيقة التي اختارها الرب نفسه. هذه العلاقة لا تسمح لنا إلا بأن نكون على يقين من **أن إدراك سر المسيح والكنيسة، هو إدراكٌ لإسرار الشركة بين الرجل والمرأة.**

لماذا يليق بنا أن نمتنع عن العلاقات الزوجية قبل التناول؟

إن هذا الأمر معروفٌ للكاملين، **فليست هذه العلاقة نجاسةً، ولا هي تكرارٌ لخطيئة آدم مع حواء. كل هذه الخرافات باطلةٌ تماماً؛ لأن الربَّ لا يأخذ إطار**

الخطية، أي العلاقة بين الرجل والمرأة، ويجعلها تحيا في ظل اتحاده بالكنيسة. وكان من اللائق بالرسول بولس أن يبحث عن تشبيهٍ آخر غير الزواج للدلالة على عمق وقوة اتحاد الكنيسة بالمسيح. ولولا أنه موضوعٌ واحد، لَمَا تداخلت قصة الخلق والزواج الأول بين آدم وحواء، واتحاد الله الكلمة بالكنيسة في زيجة أبدية.

وهناك زاويةٌ أُخرى هامة لا تقل أهمية عن الزاوية التي نحن بصددها، وهي أن الكنيسة لا تتكلم مطلقاً عن المعاشرات الزوجية بعد التناول، وهو ما يؤكد فساد تعليم الغنوسية واتباع ماني، لاسيما المعاصرون لنا. ولا يجب إضاعة الوقت في الردِّ على تفاهات وأضاليل الهراطقة، يكفي أن نقول بكل وضوح إن مَن يقولون إن العلاقة الجنسية بين آدم وحواء هي السقوط، لا يفهمون على الإطلاق حقيقة السقوط، ولم يعرفوا بعد ما هي الخطيئة التي جعلت الإنسان يترك الشركة مع الله ويتحوَّل إلى الموت.

إن الامتناع عن المعاشرات الزوجية هو جزءٌ جوهريٌّ من آداب مائدة الرب. فالذين يجلسون إلى مائدة المسيح هم الذين يرغبون في الاتكاء معه وقبول أسراره الإلهية. ولا يوجد أي دليل بالمرة على أن هناك استعدادٌ معيَّنٌ، ذلك أن كل نفس، إنما تقبل المسيح على قدر استعدادها، فكل إنسانٍ يستعد على قدر طاقته. وحتى الصوم، لا يوجد قانونٌ واحدٌ يحدد فترة الصوم، ولكن ساد الرأي الطبي المعروف في الطب القديم بأن المعدة تخلو من الطعام في مدة تسع ساعات. وطبعاً لا نحتاج أن نقول إن الطب الحديث لا يقبل هذا الرأي بالمرة. وما التفسير الرمزي الذي شاع في العصور الوسطى بأن التسع ساعات هي فترة حَبَل العذراء بالمسيح، إلا محاولةٌ تعسفية، ذلك إن الحَبَل لا يقتضي الصوم، ولا يوجد أدنى علاقة بين الحَبَل بالرب يسوع، وقبول المسيح. ذلك أن المسيح، إنما نقبله في أرواحنا وأجسادنا، وهو ليس طفلاً أو جنيناً يحل في الأحشاء مثلما حلَّ في أحشاء العذراء مريم. ولعله من أجل هذه التصورات وغيرها قال الرسول بولس: "إن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد، لكن الآن لا نعرفه حسب الجسد". كل هذه التفسيرات، إنما هي تفوّت الفرصة علينا لإدراك آداب مائدة المسيح. **لقد كان حرص القدماء**

على أن يكون المتناول صائماً يعني في آداب مائدة المسيح أن يأتي بجوع النفس والجسد إلى خبز الحياة. فهذا الجوع وحده هو الذي يعطي المتناول الفرصة للاستعداد للتناول. وطبعاً، إن صوم الجسد بالامتناع عن الطعام سهل، ولكن صوم النفس الحقيقي، وهو جحد الذات، هو ما لا نتكلم عنه كثيراً، وصار قضيةً تدخل تحت باب الرهبنة أو الحياة النسكية الفائقة، بينما الأمر ليس كذلك بالمرة.

فجحد الذات هو الأساس المتين الذي قامت عليه دعوة الإنجيل لوراثة ملكوت الله، وهو العلاج الذي قدَّمه الرب يسوع الطبيب الحقيقي لكل إنسان يريد أن يكون تلميذاً له، ويسلك معه الطريق كله من بيت لحم إلى الصليب، حتى الصعود والجلوس عن يمين الآب، **فليس من سبيل لبلوغ الإنسان الحياة الحقيقية، إلاَّ بأن يترك حياته تماماً ويتخلى عنها. تلك الحياة التي يظن الإنسان أنه يملكها، والتي تفرض عليه السلوك الخاطئ، وهي ذاتها التي تجعله غريباً عن الله. بجحد الذات نحن نعود إلى قوة المعمودية الكامنة فينا، ونعود إلى الحياة الحقيقية التي تأتي من الله. وهذه هي حياة عدم الخطأ في صورتها الأولية.** مَن لا يخطئ؟ يقول الرسول: "المولود من الله"، وهو لا يخطئ لأن حياته ليست ملكاً له، ولا هي منه، أمَّا الذين يملكون حياتهم، هؤلاء يخطئون ويسقطون لكل شهوة أو فكرة. ومع جحد الذات تنمو المحبة الحقيقية، هذه المحبة لا يمكن أن تعيش إذا عاش الإنسان لذاته، وعلى هذا الأساس نفهم وصية الرب: "أحب قريبك مثل نفسك"، ليس لأن حب النفس هو مقياس محبة القريب، وإنما لأن جحد الذات صار أساس التلمذة، ومَن يجحد ذاته لذاته ضاعت منه، ومَن وجد ذاته في الآخرين، فهو الذي أحب قريبه كنفسهِ.

بسبب الموت تأصَّلت فينا المحبة الأنانية، وصارت مثل جذرٍ ضاربٍ في أعماق النفس، صار محركاً لكل تصرفات الإنسان وأعماله، يدعوه إلى أن يفعل كل شيء، وكأنه هو وحده الذي يعيش في هذه الدنيا. ذلك لأن السقوط جعل الإنسان يظن أن حياته منه أو أنه ذاتي الحياة αυτοζοε - autozoe ، ولذلك

يشد كل شيء نحو ذاته. هذا نوعٌ من محبة الذات إلى الحد الذي لا يسمح لأحد آخر بأي شيء، بما فيه الله نفسه. ولذلك، فإرضاء الذات، وإرضاء الله هو تناقضٌ مطلق لا يمكن حله إلا على حساب الطرف الآخر. فكيف يمكن لمن في هذه الحالة أن يحب قريبه وأن يحيا معه في شركة؟ هنا فقط يمكن أن نفهم معنى عبارة المسيح "احب قريبك كنفسك"، وهي أن تموت الذات تماماً لكي يمكن الوصول للقريب.

المنع من الشركة في جسد الرب ودمه بسبب وظائف أعضاء الجسد[1]

من النجاسة إلى الاستعداد الجسدي

يبدو أن الجيل الذي تربى على تدبير العصر الوسيط، واعتبار أن شريعة موسى هي أحد مكونات العهد الجديد، بدأ يجمع الشمل حول "الاستعداد الجسدي" بعد أن أنكر صراحة النجاسة. لكن الجدير بالملاحظة هو أن ما يصدُر من بيانات تطالب أحيانًا بترك الأمر للبحث، وأحيانًا أخرى تؤكد المنع على أساس أن هذا ما استقر في الكنيسة، دون أن نسأل منذ متى تم هذا الاستقرار الذي صار معروفًا في عصر المتنيح الأنبا شنودة فقط، بينما كان البابا كيرلس السادس يصلي كل يوم.

الامتناع عن الشركة بسبب وظائف أعضاء الجسد بالنسبة للرجال والنساء هو أمرٌ يُترك للضمير، ولا يوجد تعليم أو قانون يمكنه أن ينظِّم هذه الممارسة؛ ذلك لأن المنع بقانون هو منعٌ خاصٌّ أولًا بالهرطقة، وثانيًا بالخطايا العامة التي عُرِفَت وصار الخاطئ بسببها تحت قانون توبة. أما المنع باسم الاستعداد الجسدي ومهابة السر وما إليه من ألفاظٍ رنانةٍ، فهو ما لا قيمة إيمانية له. لأن طعام الخلود، أي جسد الرب ودمه، إنما "يعطى خلاصًا وغفرانًا للخطايا وحياةً أبديةً لمن يتناول منه"، فهو "طهارةٌ للنفس والجسد"، بل "هو شفاءٌ للمرضى". والله هو خالق الجسد، ولا يمكن لأي جسدٍ أن يستعد بالامتناع، بل يستعد عندما يتحد بالنفس

---

[1] مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٢ ديسمبر ٢٠١٦.

ويصبح أداةَ سلامٍ ومصالحةٍ ومرآةً تعكس ما في النفس من أعمالٍ وحياةٍ صالحة. أما الالتجاء إلى ممارسةٍ يهوديةٍ، وتغطية هذه الممارسة بأسماءٍ بريئة مثل "مهابة السر"، أمرٌ ينكر أن الجسدَ -بكل وظائفه- قد قُدِّسَ في المعمودية والميرون، وقُدِّسَ بالاتحاد الأبدي في الإفخارستيا عندما نال من أنضم إلى جسد المسيح الكنيسة "سر الانضمام"، وهو السر الثلاثي: المعمودية — المسحة — التناول.

الغنوسية والمانوية تحت براءة الألفاظ:

حسب كلاهما، الغنوسية بكل مدارسها، وسبقتها المانوية، الجسدُ مِن صُنع إله الشر. وكان ترتيب العهد القديم عن طهارة الجسد، يهدف إلى تحريم الممارسات الكنعانية التي ترى في المعاشرات الجنسية مثل الزنى إرضاءً للآلهة عشتاروت إلهة الإخصاب الجنسي، وكان دمُ الحيض يستخدم في السحر. ولكن بعد أن جاء الإنجيل، وزالت الوثنية، تم تقديس الجسد، وصار الزواج مكرَّمًا، وأدرك الإنسانُ أن الجسدَ هو مِن صُنع إله الخير، وقُدِّس الجسد لأنه اتحد بالقدوس ابن الله عندما تجسد، بل وَهَبَ لنا المتجسد ذات الاتحاد الذي جعلنا أعضاء جسده. وصار الاتحاد بالرب أبديًا لا دخل لوظائف الجسد، أو لأي ممارسةٍ دورٌ في تقديسه؛ لأن التقديس هو هبة روح القداسة، الروح القدس. لذا أصبح من الواضح أن المنع من الشركة هو ضد الإيمان بأن الله هو خالق الجسد بكل وظائف أعضاؤه، وأنه لا أعضاء للجسد أقدس، أو أقل قداسة

الاتحاد بالرب يسوع في السر المجيد

لا يقدم الخطاب الشائع في زماننا عن الموانع قبل التناول، شيئًا عن الاتحاد بالرب يسوع في السر المجيد، وهنا نضع أمام القارئ الملاحظات الآتية:

أولًا: الاتحادُ سبقَ التناول؛ لأنه تم في المعمودية والميرون، وكَمُلَ بالتناول، فقد حرصت الكنيسة الأرثوذكسية -طوال تاريخها- على عدم الفصل بين الأسرار الثلاثة: المعمودية والميرون والإفخارستيا؛ لأن هذه السرائر الثلاثة هي سر

الانضمام إلى جسد المسيح الكنيسة. ولأن الاتحاد، قد تم فعلًا بالنعمة المعطاة في سر الانضمام، فإن الاتحاد بالرب، أي اتحاد العضو بالرأس ربنا يسوع المسيح (كولوسي ٢: ١٩) هو اتحادٌ لا يقبل أيَّ شكلٍ من أشكال الانفصال (راجع رو ٨: ٣٨). فهو اتحادُ محبةٍ قال عنه رسول المسيح: "لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة. ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع" (رو ٨: ٣٨)، فهي محبة الله التي في المسيح، وليست محبتنا نحن التي تتعرض من آنٍ لآخر للضعف.

ما يسبق التناول بعد الاتحاد بالرب هو حياتنا اليومية العادية التي لا تفصلنا عن الرب. فلا الجسد، ولا وظائف الجسد، ولا حتى الخطية التي تجاسر البعض وقال إنها تفصل الإنسان عن المسيح، تقدر أن تفصلنا عن المسيح. لأن مَن صار خلقةً جديدةً وخُلِقَ من جديد بقوة الله الآب، وخُلِقَ ليكون عضوًا في جسد ابنه ربنا يسوع المسيح، لا يمكن أن يعود إلى الخلقة القديمة. قد نُصاب بالفتور والضعف، وقد نعود إلى بعض الخطايا لأن حياتنا معرَّضةٌ للتجارب والفشل، ولكنها لا تصبح خلقةً قديمةً؛ لأن التجديد هو عملٌ إلهيٌّ أبديٌّ غيرُ قابلٍ للعودة إلى الوراء. هذه هي قوة عمل الرب فينا؛ لأن صراعنا ضد جنود الشر على المستوى السمائي، لا يحرمنا من بقاء ما فعله الرب فينا ولأجلنا، لأن عمل الرب يسوع ليس هشًا بحيث يمكن أن يزول أو يتبدد.

ثانيًا: وإذا كان التعليم المعاصر ينسى أن الانضمام إلى الكنيسة هو أساس حضورنا القداسات، ويصرخ بكل ما يملك من تعنُّت عن الاستعداد قبل التناول، فماذا عن البقاء في الشركة، أي شركة الاتحاد التي أخذناها، ليس فقط في سر الانضمام إلى الجسد، أي الكنيسة، بل بقاء كل واحد منا في الشركة؟ هل فُقدت الشركة بسبب وظائف أعضاء الجسد؟ **هل استطاع الوضع الترابي المؤقت للجسد أن يمنع ما هو أبديٌّ وباقٍ إلى الأبد؟** أذكر جيدًا أنني لم اسمع ولم أقرأ شيئًا عن بقائنا في الشركة بعد التناول، سوى أننا نسير بخوفٍ من السقوط (وهذا جيد)، ولكنه لا يكفي؛ لأن ما هو سلبي لا يكون إيجابيًا، ولا يقود إلى ما هو إيجابي.

البقاء في الشركة بعد التناول

ماذا تعلمت من أبي عن البقاء في الشركة بعد التناول؟

كان يقول دائمًا إن الحياة المسيحية الأرثوذكسية نوعان:

الأولى: حياةٌ تبدأ بالفكر، وتجعل الفكر هو محورها.

أما **الثانية**، فهي حياةٌ تبدأ بالمحبة، ولا تصبح المحبة هي فقط محورها الأساسي الذي يحركها، بل هي أيضًا التي تخلق الفكر وتحرك الإرادة. فإمَّا أنك تفكر لكي تحب، أو تحب لكي تجعلك المحبة تفكر بأسلوبٍ آخر مختلف.

طبعًا لا يوجد هنا انفصالٌ للمحبة عن الفكر، ولكن عن السيادة. إما أن يسود الفكر على المحبة ويحددها، بل ويجعلها محايدة، وإما أن تسود المحبة على الفكر وتخلق مسارات جديدة للفكر.

كان يقول إن التأمل والهذيذ، قد يكون تدريبًا عقليًا نافعًا عند البعض، ولكن التأمل والهذيذ النابع من المحبة، والذي تحرِّكه المحبة هو الذي يقود إلى رؤيتنا لله.

وطبعًا كان السؤال هو: ماذا أفعل؟ وكان الجواب مُوجَزًا: أَحِب قبل أن تتكلم، وأَحِب قبل أن تفكر، وأَحِب قبل أن تصلي وتصوم. وكان البقاءُ في الشركة هو محور التعليم. الشركة هي الاتحاد بالمسيح. وكان يقول: المحبة تجعلني أعف عن الحديث لأن اسم يسوع أحلى من العسل، والمحبة تجعلني أسهر؛ لأن البقاء في حضرة من أُحِب هو عربون حياة الدهر الآتي. والمحبة هي التي تجعلني أُصلِّي قداسا كل يوم، وهي التي جعلت من جسدي ذبيحةً وقربانًا للرب. عندما أرفع القربانة وأُصلِّي: "مجدًا وإكرامًا للثالوث القدوس ..."، فإن مرد الشماس يطلب أن نصلي "من أجل هذه القرابين المقدسة الكريمة وضحايانا والذين قدموها"، وقد ظن البسطاء والسذج أن المقصود هو تقدمات الخبز والخمر، ولكنها عنَّا جميعًا؛ لأننا صرنا ذبائح روحية حية في المسيح (رو ١٢: ١). ولذلك، نطوف حول المذبح لكي يقبل الربُ كلَّ ذبائحنا من كل جهات الأرض الأربع؛

لأن المركز هو المذبح المقدس، عرش الثالوث.

وعندما سألت عن الأمور التي يجب أن أفعلها، قال لي بكل بشاشةٍ: لا شيء مطلوب منك، فقط أن تجعل محبتك للرب هي التي تحركك. وقد تبدأ هذه المحبة بالفكر **ولكن إيَّاك، حِسَّك عينك أن تطلب فكرة جديدة تحرِّك عواطفك؛ لأن هذا يجعل محبتك عاطفية وخاضعة للفكر**. ولكن عندما تضعف أطلب معونة الروح القدس.

وهناك ثلاثة أمور يجب أن تنتبه إليها:

الأول: إن المحبة ليست هي العواطف، بل هي الانتباه إلى حضور الرب في الكون كله، وفي الآخرين.

الثاني: المحبة هي إرادة القلب أن يلتصق بالرب، ليس بالفكر وحده، بل بالعزيمة، أي بالإرادة وبالنية القلبية.

الثالث: لا تبحث عن الرب؛ لأنه حاضرٌ في قلبك دائمًا، ولا تحاصره، ولا تحاول أن تحس به كما تحس بجزء من جسدك، بل اجعل اسم يسوع هو إحساسك الروحي، ولذلك عليك أن تحفظ الإبصاليات لاسم ربنا يسوع.

طريق المحبة هو طريق الحياة الأبدية؛ لأن الله محبة.

الشر، وشجرة معرفة الخير والشر[1]

ورد إلى الموقع سؤال من الأخ ج. حكيم تعليقاً على كتاب وراثة الخطية أم سيادة الموت؟ يقول:

أستاذنا الكبير ومنارة هذا الجيل الدكتور جورج بباوي;

جاء في ردكم الرائع على تعاليم "الأنبا بيشوي" غير الأرثوذكسية بعنوان: "وراثة الخطية أم سيادة الموت؟"، وتحديداً في صفحة ٦٤ (في مستهل الفصل الرابع):

{في الرسالة إلى الوثنيين يؤكد القديس أثناسيوس ما سبق وذكرناه: "الشر لم يكن له وجود من البدء بل هو غير موجود الآن في القديسين" (١: ٢)؛ لأن الشر من اختراع الإنسان، وهو ثمرة المخيلة، ولذلك اخترع الإنسانُ الشر على صورته هو ومثاله هو، وهو ما أدى إلى الوثنية.}

نعم سيدي، أتفق معك تماماً في أنَّ الإنسان ليس بالطبيعة شريراً وأنّ الشر لم يكن له وجود من البدء ولكنه وُجد وبدأ عندما داهم فكر الكبرياء قلب ذلك الكروب الشقي واستسلم له. لكنني توقفت طويلاً متحيراً أمام العبارة التي اعقبتها "لأن الشر من اختراع الإنسان"!!

فكيف يكون الشر من اختراع الإنسان وهو (أي الشر) موجود قبل وجود الإنسان؟ ألا تدلنا شجرة مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ (تك ٢: ٩) التي غرسها الرب الإِلهُ في جنة عدن على أن الشر كان موجوداً قبل سقوط الإنسان الأول؟ وإلا فما دلالة التسمية؟

---

[1] مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٨ إبريل ٢٠١٦.

لا يوجد بالكتاب المقدس ما يدعم فرضية سقوط الإنسان قبل سقوط "لوسيفر" إن جاز لنا أن نستخدم هذه الفرضية كي ننسب اختراع الشر للإنسان!!!

فإن كان الشر من اختراع العقل الإنساني يترتب على ذلك أن الإنسان بالشر الذي ابتكره عقله مسئول عن سقوط "لوسيفر"، أي هو الذي أغواه وليس العكس كما يعلمنا الكتاب وكما تفضلتم وأشرتم إلى ما كتبه القديس أثناسيوس في رده على أبوليناريوس: {الله لم يخلق الإنسان خاطئاً، بل خلق في عدم خطية، ولكن غواية الشيطان جعلته يعصي وصية الله، فأخطأ للموت...ص ٦}. فهل غواية الشيطان الذي أسماه الكتاب "الشرير" وعلمنا سيدنا المسيح أن نصلي: "ولكن نجنا من الشرير" تخرج عن نطاق الشر؟

رغم الإيجاز الشديد والغموض الأشد اللذان اكتنفا الإصحاحات الأولى من سفر التكوين وعدم الإشارة إلى توقيت خلق الملائكة إلا أن الأمر المفروغ منه والذي لا جدال فيه هو أنّ الإنسان كان آخر المخلوقات. وبناء على ذلك فالذي سقط أولا هو الذي عرف الشر وعمله أولا قبل خلق الإنسان.

الإنسان ضحية حسد وإغواء الشيطان (وهذا طبعاً لا ينفي مسئولية الإنسان الذي خُلِقَ بإرادة حرة واستلم وصية واضحة من الخالق مع تحذير بعقوبة إن خالفها).

آمل أن يسمح وقتكم بتوضيح هذه النقطة بتفصيل أوسع ولكم خالص مودتي وتقديري على عملكم التنويري البديع.

رداً على تعليق الأخ ج. حكيم عن أصل الشر، وبالذات عبارة "الشر من اختراع الإنسان"، وهي عبارة القديس أثناسيوس: "البشر بدأوا يخترعون الشر حسب تصوراتهم" (الرسالة إلى الوثنيين ٢: ١ راجع ترجمة جيدة جداً د. جوزيف مورس ص ٦).

السؤال هنا هو: ما علاقة مخيلة الإنسان بشجرة معرفة الخير والشر؟ والجواب هو أن الإنسان كان يجب عليه أن يأكل من شجرة الحياة التي لم يُمنع من الأكل منها (تك ٢: ٩)؛ لأن الحياة هي مصدر المعرفة، ولكن كان اختيار آدم هو أن تصبح المعرفة هي

مصدر الحياة، ولذلك سقط في ازدواجية المعرفة، أي طلب معرفة الخير والشر معاً، أي ما هو موجود، أي الخير (تجسد الكلمة للقديس اثناسيوس ٤: ٥ راجع ترجمة د. جوزيف فلتس ص ١١)، وأن يسعى إلى ما هو غير موجود في الواقع. ولذلك، يقول أثناسيوس: "كل ما هو شر فهو عدم"؛ لأنه من تصور الإنسان.

والشجرة هي تعبير عبراني قديم يؤكد ثلاثة أشياء: **أولاً**: النمو. **ثانياً**: الامتداد بالفروع. **ثالثاً**: التنوع. وهذه الصفات الثلاثة هي صفات نراها في كل شجرة، فهي تنمو، ثم تمتد إلى ما هو أكبر وأطول من الجذر، ثم تتنوع الفروع في عدة اتجاهات. هذا ما تراه في المعرفة الإنسانية؛ لأنها الآن –إذا بدأنا من الصفة الثالثة– متنوعة بشكل فائق. وقد جعل التنوع كل إنسان عاجزاً عن أن يحيط بكل فروع المعرفة من علوم وفلسفة ... الخ. وهي معرفة تمتد من جيل إلى جيل، ولذلك جاء مع كل معرفة إنسانية جيدة وصالحة إمكانية استخدام هذه المعرفة في التدمير والقتل. ولعل ما نراه الآن على شبكة المعلومات، وهي أكبر ثورة معرفية في عصرنا، دليل دامغ على ما نقول، فقد دخل على الشبكة الأفلام الإباحية وطرق صنع القنابل والسموم وفنون الاغتيالات وتزوير التاريخ، بجانب ما هو جيد ونافع جداً، ويصبح على الإنسان أن يختار من شجرة الانترنت أو شبكة المعلومات ما يلائمه.

أما آدم فقد أدرك أنه إذا طلب معرفة الشر استطاع أن يتفوق، وأن يرى كما قال أوغسطينوس "الجانب المضاد للخير"، وهو حب الاستطلاع والفضول الذي له أصل في كيان الإنسان، أي صورة الله ومثاله التي كان يجب أن تدفعه إلى الممارسة والاختبار قبل الخيال والتصور وإدراك حقيقة وجود الكائنات، بل حقيقة وجوده هو كإنسان بأنها تعود إلى إله الخير الذي لا شَرَّ فيه، وهو ما أسهب في شرحه القديس أثناسيوس (الفصل الثاني في الرد على الوثنيين ص ٦-٩). واستخدام كلمة "الجنة" كاسم رمزي (٢: ٤ ص ٩)، يؤكد أن ما حدث كان أكبر من أن يعبِّر عنه سفر التكوين بدون رموز.

لذلك يؤكد أثناسيوس أن النفس الإنسانية كان لديها القدرة من خلال ذاتها

أن ترى الله كما في مرآة -كما يقول الرب: "طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله" (متى ٥: ٨)، فقد تحول الإنسان بفكره من إدراك الأمور الإلهية إلى "ما هو عكس ذلك" (الوثنيين ٣: ٣ ص ١١)، فالابتعاد عن الخير (الوثنيين ٤: ٢ ص ١٣)، وهو بالتحديد: "التفكير في أمور لا وجود لها محولة القوة التي تملكها في داخلها ... في رفضها للخير بالقطع سوف تفكر فيما هو ضد الخير (٤: ٣ ص ١٤). ويعود أثناسيوس فيقول: إن ما له وجود لأن الله خالقه هو الخير: "ما له كينونة فهو الخير، أما الذي لا كينونة له فهو الشر، وأقول إن ما له كينونة فهو الخير لأنه يجد له نموذجاً في الله الكائن، أو لأنه يستمد كيانه من الخالق الذي رتَّب تكوينه، وما لا كينونة له فهو الشر؛ لأنه لا يوجد في الواقع، إلا أنه تم اختراعه بالخيالات داخل أفكار البشر .. " (٤: ٣ ص ١٤).

هل كانت الشجرة هي مصدر ازدواجية المعرفة؟

الجواب: بكل تأكيد لا، فقد سبق شجرة المعرفة، أي معرفة الخير والشر، شجرة الحياة؛ لأن من يحيا يعرف، ومن لا يحيا، بل يريد أن يعرف فقط دون أن يكون لحياته مصدراً للمعرفة، هو ما نراه في الواقع الإنساني نفسه من تدمير وقتل وزرع المتفجرات والاعتداء على الأبرياء وقطع الرؤوس وما إليها من فظائع نابعة من عقل الإنسان. لقد أكتشف الإنسان الحديد وتحول الحديد إلى عمل السيوف، فالمشكلة ليست في وجود الحديد، بل في خيال الإنسان الذي يريد أن يدمر غيره. والآن، الطاقة الذرية قبل اختراعها في شكل قنبلة أبادت هيروشيما وناجازاكي في الحرب العالمية الثانية، فالمشكلة سوف تبقى دائماً: ليس ما هو موجود، بل كيف نستعمل ما هو موجود. ولنا مثال معاصر، فقد خدمت المياه جيش مصر في حرب ١٩٧٣. إذن نحن أمام قصة لا يمكن ان تُكتب في تلك الحقبة من تاريخ الإنسان إلَّا بشكل رمزي، وهو ما يجعل القصة تشير إلى الحقيقة التي لا تزال معنا.

الحياة الحقيقية والمعرفة الحقيقية:

الحياة الحقيقية تفرز معرفةً حقيقيةً، والحياة المزيفة هي التي تفرز معرفة مزيفة، ولذلك منع الله آدم من الأكل من شجرة الحياة حتى لا يحيا إلى الأبد، أي يحيا في حياة مزدوجة، ثنائية. الموت فكرة تدخل عقل الإنسان قبل أن يموت، ولذلك دخلت كلمة النهاية وكلمة الموت وكلاهما له ذات المعنى الواحد في الواقع.

يبقى لديَّ ملاحظة هامة أتركها لك لكي تفكر فيها وحدك: إذا كان الشر من اختراع الإنسان ولا وجود له، أي ليس هو مثل الجبال والأنهار والشجر، بل يولد من فكر الإنسان ويمس ويغير الواقع، ولذلك يقول المزمور عن الأشرار: "تتبدد أفكارهم عند موتهم (عند شيول)"، فهذا هو ما يجعلنا نعيد التفكير في عبارة رسول الرب في (٢كو ٥: ١٧-٢١)، إذ كتب الرسول إن الرب صار خطية لأجلنا، فالخطية ليس لها وجود مادي، هي أفكار ومشاعر في قلب الإنسان قال عنها الرب: "من الداخل (قلوب البشر) تخرج الأفكار الشريرة: زنى، فسق، قتل، سرقة، طمع، خبث، مكر، عهارة، عين شريرة، تجديف، كبرياء، جهل" (مرقس ٧: ٢١-٢٢)، فالرب إذن صار ذبيحة خطية، ولم يحمل خطية بالمعنى الحسي، بل مات، والموت هو الوجه الآخر لذات العملة، أي الخطية (راجع رو ٥: ١٢-٢١).

لا زالت الإنسانية تأكل من شجرة معرفة الخير والشر، وصحف وجرائد أي يوم تؤكد لنا جميعاً ذلك، ليس فقط في جرائم الشر، بل ما يفعله القادة دون أي تفكير في عاقبة الأمور أو حساب المستقبل.

سقوط الشيطان:

لم يقدم لنا التسليم الكنسي الكثير عن سقوط الشيطان؛ لأننا لا يجب أن ننشغل بالأمور التي تفوق إدراك الإنسان والتي لا تمس حياته اليومية، وطبعاً -كما يذكر سفر الحكمة: "بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم" (صلاة الصلح أيضاً)، فالجانب السمائي كائن وفعال، ولكن علينا أن نهتم بما ذكره الرب، أي بالقلب.

أرجو أن أكون قد أجبت على سؤالك. الرب معك.

الرد على نقد العهد القديم[1]

كان Jean Astruc (١٦٨٤-١٧٦٦) هو أول من تخيل أن التوراة، أي أسفار موسى الخمسة تحتوي على عدة أسماء إلهية، أهمها إلوهيم – يهوه، وبالتالي ظنَّ أنه توجد وثيقتين جُمعا معاً: الأولى خاصة بإلوهيم، والثانية خاصة بيهوه؛ لأن اختلاف الاسمين جعله يعتقد أن التوراة هي مجموعة وثائق جُمعت معاً.

هذه نظرية وفرض؛ لأن عدم العثور على وثيقتين، يجعل فكرة دمج وثيقتين مجرد احتمال لا يرقى إلى الحقيقة. وتقدمت فكرة Astrus إلى البحث في النصوص التي تكررت، ومع تكرار بعض النصوص توصَّل إلى: الوثيقة J يهوه – الوثيقة E إلوهيم – الوثيقة D شرح التثنية - الوثيقة P أي الشرح الكهنوتي. إلَّا أن هذه الفكرة لم تجد رواجاً حتى جاء Julius Wellhausen (١٨٤٤-١٩١٨) وصار هو المدافع الأول عنها، لا سيما بعد أن حصل على وظيفة أستاذ العهد القديم أولاً في Marburg وبعد ذلك في Gottingen

ونقدِّم هنا مثالاً يوضح دور الخيال والافتراض، وهو اعتبار أن (تكوين ١: ٤) مكون من قسمين:

"ورأى الله النور أنه حسن – القسم الأول إلوهيم

"وفصل الله بين النور والظلمة – القسم الثاني إلوهيم

التعسف في هذا التقسيم ظاهر في أن اسم الله "إلوهيم" (تكوين ١: ١) حتى آخر قصة الخلق هو إلوهيم؛ لأن الفكرة الأساسية هي أن اختلاف أسماء الله يعني تعدد وثائق.

---

(١) ثلاث مقالات جُمعت معًا ونشرت تباعاً على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في الفترة من ١١ – ٢١ اكتوبر ٢٠١٥.

ما فشلت فيه النظرية الافتراضية:

أولاً: هو الاعتماد المطلق على أن النص يؤسِّس العقيدة، وهي فكرة غير تاريخية؛ لأن عقيدة الشعوب السامية لم تبدأ بنصوصٍ، بل باختبار ومشاهدة وحوار واستعلان إلهي كما حدث مع إبراهيم، وبعد ذلك كتب النص.

ثانياً: تعدد أسماء الله مثل يهوه – إلوهيم – إل EL – إيل عيلون – إيل شداي – أدوناي – صباؤوت، ليس له علاقة بوثائق، بل هو الاختبار الشخصي لله الذي هو إلهٌ شخصي Personal يتحدث مع البشر ويعطي المواعيد ويحرك أحداث التاريخ.

ثالثاً: الإحصاء الرقمي يوضح حقيقة هامة، وهي أن تطور الشعور والحس الديني يجعل بعض الأسماء تنال أهميةً أكبر لأسبابٍ تاريخية مثل اسم "يهوه" الذي ورد في العبرانية ٦,٨٢٣ مرة، ولأنه اقترن بقصة الخروج صارت له أهمية أكبر في التاريخ من باقي الأسماء التي لم تختفِ، ولكن قَلَّ استعمالها، ولذلك بعد العودة من السبي، أبطل اليهود استعمال اسم "يهوه"، وساد استعمال اسم "أدوناي". وحتى في قراءة الأسفار عندما يرد اسم "يهوه" كان القارئ يقرأ الاسم "أدوناي"، رغم أن الاسم "يهوه" هو المكتوب، وذلك تقديساً للاسم.

وفي الشتات حلَّ الاسم اليوناني Kyrios محل اسم أدوناي، وصار هو الاسم المعتاد لفظة الرب.

وحتى الآن، عند اليهود المحافظين، يرددون فقط "الاسم" ويقولون "بارخ هاشم"، "أي بارك الاسم"، ويعني "الله"، دون أن يُنطق.

وخلاصة القول، لم تأخذ النظرية بعين الاعتبار:

- دور الأسماء الإلهية في التاريخ اليهودي
- تطور العبادة اليهودية

وحتى مع افتراض صحة وجود وثائق جُمعت معاً: J – E – P – D فإن لدينا نصوصٌ

كثيرة جمعها M. H. Segal مؤكداً أن النص الواحد لا يمكن تقسيمه إلَّا بتعسف شديد مثل تكوين ٢٢: ١١ حسب العبرانية:

"ودعى ملاك يهوه من السماء وقال لإبراهيم ...

الآن أنا أعلن أنك تخاف ألوهيم ...".

وطبعاً، يمكن استخدام الخيال لتصوُّر ما هو غير موجود في النص، ولكن يبقى النصُّ سائداً على النظرية التي فشلت في شرح السبب الحقيقي لدمج هذه الوثائق.

ومثال آخر صارخ، وهو أن (تكوين ٤: ٢٦) يقول إن ولادة أنوش لابن نوح شيت كانت بداية الدعاء باسم يهوه، بينما يؤكد سفر الخروج أن اسم "يهوه" استعلن لموسى (خروج ٣: ١٣-١٥)، والحل أبسط، وهو من اقتراح Claus Westermann فالقبائل السامية لها تاريخ سماعي غير مدون، يُنقل شفوياً، وأداة نقل التاريخ هي العبادة، أي الصلاة، وحتماً بعد الرحيل والاستقرار في أرض مصر، لم يعد للاسم "يهوه" أي مجال في العبادة، ولذلك جاء النص: "من الآن لا تدعوني إله آبائي، بل من الآن اسمي هو يهوه" (تكوين ١٧: ٥، ١٧: ١٥)؛ لأن سيادة اسم "إله الآباء" على العبادة، لم يعد له مكان، وهو ما يؤكده سفر الخروج بعد ذلك (٦: ٢-٣). أما الذي ظهر لإبراهيم واسحق ويعقوب فكان "إيل شداي"، ولم يكن اسم "يهوه" قد استعلن لهم، فالأسماء ليست وثائق، بل هي استعلانات إلهية خاصة بأشخاص تحدثوا مع الله.

ما هو جدير بالانتباه هو أن نفس الاتجاه مس القرآن الذي لم يسلم من طعنات النقد على أساس لغوي عند Arthur Jeffery وعلى أساس جمع السور عند David Muir وأخيراً ظهرت أول طبعة نقدية للقرآن نشرها استاذ القانون الدولي الفلسطيني الأصل سامي عوض الذيب أبو ساحليه بالرسم الكوفي المجرد والعثماني والاملائي في مجلد يقع في ٦٢٨ صفحة.

ولعل المثقفون العرب لا يعرفون أن الكتبَ سلعٌ تباع، وأن كل كتاب له أسباب دون أن يكون له انتماء أكاديمي، فهو لا يرقى إلى مستوى العلم، بل هو

في دائرة البحث والتكهن. ولا زالت مخطوطات صنعاء في اليمن التي لم تُنشر كلها، تؤكد لنا أن التاريخ يسبق النص، وأن التاريخ هو عادات وصلوات واحتياجات البشر التي صاغت كل النصوص.

التوراة البابلية

صار من السهل على كل من لديه ورقة وقلم، وكان على اتصال بناشرٍ ما، وله حظٌّ في موضعٍ ما على موقع من مواقع شبكة المعلومات، أن يدون ما يشاء بلا حساب، وبلاً التزام بالتاريخ، أو حتى بالعودة إلى الوثائق التاريخية التي تؤكد صدق أو على الأقل تسند ما يخطه القلم.

فقد ساد اعتقاد عام لدى جمهور عريض من القراء الذين لهم مزاج واضح في القدح في اسفار الكتاب المقدس بوجود وثيقة، أطلق الخيال وحده عليها اسم "التوراة البابلية". خيالٌ جامحٌ لا أساس له في الواقع.

يعرف الذين درسوا العهد القديم -على الأقل- كتابين: الأول منهما ترجمةً لكل وثائق العالم القديم التي لها اتصال بالعهد القديم، وهو كل ما ساد مناطق ما بين النهرين والحضارات القديمة ووادي النيل، وهو ما يشمل قصص الخلق وتكوين كل ما هو على الأرض؛ لأن كل الحضارات القديمة كان لها قصصٌ دينية تشرح الحياة والموت، الميلاد والزواج، الحروب .... الخ، والكتابين هما:

James B. Pritchard Ancient Near Texts: Relation to the Old Testament.

الطبعة الخامسة ١٩٩٢.

ثم:

William Foxwell Albrght: Archeology and the Religion of Israel.

الطبعة الخامسة ١٩٨٦ وهي تشمل ما عُثر عليه في فلسطين حتى سنة ١٩٨٦ وما وجد من آثار قديمة.

ثم ما صدر بعد ذلك من موسوعات، لعل أهمها هو كتاب الأب Ronald P. Vaux بعنوان إسرائيل القديم، وصدرت آخر طبعة منه في ١٩٩٧.

أكتب هذه السطور وأنا أحاول أن أفهم سر العداء العنيف للعهد القديم والقدح والذم في أقدم كتاب نادى بالتوحيد في وقت كان عدد كبير من البشر يعبدون الحيوانات.

الخيال، وربما شُرب قدر كبير من المشروبات الكحولية أطلق العنان للخيال ليكتب ما يشاء دون العودة إلى الوثائق القديمة، ولكن يجب أن نلاحظ أن كل شعوب الأرض لديها قصة أو قصص عن أصل الإنسان، وعن القوة أو القدرات الإلهية التي خلقت الكون. لدى كل إنسان سوي إحساسٌ بالله الخالق، وهو إحساس طبيعي يقول عنه سفر الجامعة إن الله "جعل الأبدية في قلوب البشر التي بدونها لا يفهم الإنسان غاية العمل الذي يعمله الله من البداية إلى النهاية" (جامعة ٣ : ١١). المشكلة ليست في الاتفاق حول عقيدة، ولكن الاختلاف في التفاصيل، ولعل قصة الخلق المصرية القديمة (الفرعونية) عن الإله آتون نشرها Pitchard في ص ٣ تؤكد قوة الإله Atum ولا يوجد فيها الخلق في ستة أيام ولا الخلق بالكلمة؛ لأن ترتيب الأيام السبعة خاص باليهود، وهو تأكيد على أن السبت اليوم السابع هو ترتيب إلهي، ولا توجد أية إشارة إلى "نسمة الحياة"، أو "الصورة الإلهية". فالخلاف ضروري؛ لأننا نسير جميعاً على أرجلنا، ولكن هدف السير مختلف؛ لأن من يسير للقتل، ليس كمن يسير أو يجري للرزق، والعيب ليس في السير، والمشكلة ليست في القدمين.

إن جمع الحابل بالنابل هو عمل الجهل الذي لا يقبله العقلاء، وحشد أكبر أكاذيب عن التاريخ القديم، لن يعيد كتابة التاريخ، ولكن يبقى علينا أن نسأل:

١- أين هي التوراة البابلية؟

٢- وهل نُشِرت أم أنها نتيجة زجاجة ويسكي؟

وثمّةَ سؤالٌ آخر أهم: هل كل قصة عن خلق الإنسان هي من مصدر واحد؟ وإذا تعددت المصادر، فما هو الخلاف حول محاولة الانسان وضع نفسه في الكون من أجل تحديد خارطة طريق حياة وموت وبقاء ونضال؟

كفى الله القارئين شر جهل مَن يكتبون مساقين بالتعصب والحماقة معاً؛ لأن التعصب يدخل من باب الغباء، ويسكن في دار الحماقة، وكلما استمر في الإقامة في دار الحماقة، كلما ظن أنه على صواب.

التوراة البابلية – خرافة ثقافة التخلف

لا أريد أن أذكر أسماء السادة الذين جمح القلم في يديهم، وصال وجال وأخذ من الخيال وحده ذلك الكم من الصفحات التي تشي عن عقول لا تعرف قواعد البحث التاريخي، أو اللغوي، أو حتى أبسط ما هو مقبول في الأبحاث الدينية.

لكي نكتب بأمانة عن التوراة البابلية، لابُد من وجود نص أو توراه، والاسم الصحيح هو توراه، وهو اسمٌ عبراني يعني "تعليم"، وهو الاسم الخاص بالأسفار الخمسة الأولى التي تحمل اسم موسى النبي. على أنه لا وجود لكتاب أو مجموعة من النصوص أو النقوش تحمل هذا اسم "التوراة البابلية". فهذا الاسم هو اسمُ فكرة خيالية، لا وجود لها.

عند كل الشعوب القديمة في العراق (ما بين النهرين) – سوريا الكبرى – مصر الفرعونية .. الخ قصصٌ عن أصل الكون وأصل الإنسان؛ لأن كل الحضارات القديمة في العالم القديم كله، وُلِدَت في داخل الديانات القديمة. هي حضارة دينية بما فيها حضارة، بل ثقافة العالم اليوناني – الروماني الذي، رغم خروج مدارس الفلسفة من قلب الأفكار الدينية، إلّا أن الفكر الديني أو الأفكار الدينية هي التي خلقت رؤية الإنسان إلى: أصله – الميلاد من الأب والأم – الزواج – الأسرة – الميراث .. الخ. الحياة على الأرض والحياة بعد الموت.

فهل يعرف السادة أصحاب الأقلام الحائرة اننا امام احتمالين:

الأول: هو أن التوحيد كان هو المبدأ الأول السائد، وأعقبه الوثنية.

الثاني: إن الوثنية كانت هي المبدأ السائد الذي أدَّى إلى التوحيد.

وكلا الاحتمالين له من يسانده ومن يعارضه؛ لأننا نحاول أن نقرأ التاريخ والعادات والعقائد بنظرة أدق، وليس لدينا في حقيقة الأمر حقائق تاريخية، بل الافتراضات التي تساعدنا على الاقتراب من التراث الإنساني القديم والعالمي أيضاً. حتما يوجد تشابه بين عقائد كل الشعوب، وحتماً يوجد اختلافات. التشابه يظهر في تعامل الإنسان وصياغة الصلوات والتعبير عن المشاعر والآمال الإنسانية التي لا يختلف عليها إنسان مع أخيه الإنسان، رغم اختلاف اللغة والبيئة والمكان الجغرافي. الآمال والمخاوف والحب والكراهية والحسد والعنف، هذه كلها سمات عامة لكل شعوب الأرض، مهما كان زمانها أو مكانها، ومهما كان اختلاف التعبير عنها.

عندما درسنا ثقافة العالم القديم كان لدينا مرجع هام لم يصل بعد –حسبما أعرف– إلى بيوت الترجمة والنشر وهو كتاب:

James. Pritchard: Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament.

إصدار جامعة برنستون في أمريكا – عدة طبعات.

الذين يخافون من التفكير قاوموا بشدة ترجمة ونشر الكتاب في لبنان، وجاءت عواصف حرب لبنان، وعاد المترجم الأرمني د. خانجيان إلى أمريكا، ومات المشروع.

تراث الإنسانية القديم لا يلغي الوحي، ولا يحذف دور الأنبياء، ولا يجعل من العهد القديم كتاب خرافات عبرانية، بل تؤكد القراءة الدقيقة، إن ما سُجِّل في سفر التكوين الإصحاح الأول، وبعد ذلك في مزمور ٨ عن خلق الكون والإنسان، كان ضد ثقافة الشعوب الأخرى التي عبدت الحيوانات والبشر، وأقامت الأصنام بينما يقول المزمور الثامن:

- أرى السموات عمل اصابعك
- القمر والنجوم أنت التي كونتها (٨ : ٣)

وعن الإنسان

- من هو الإنسان حتى تذكره؟ وتنقصه قليلاً عن ألوهيم[١]
- بمجد وبهاء تكلله
- تسلِّطه على أعمال يديك
- جعلت كل شيء تحت قدميه، الغنم والبقر جميعاً
- وبهائم البر ايضاً وطيور السماء ... (٨ : ٤-٨)
- أيها الرب سيدنا ما أمجد اسمك في كل الأرض (٨ : ٩).

بل، هناك الخلق الذي ينتهي بأعظم مكانة للإنسان، وهي أنه "صورة الله ومثاله" (تك ١ : ٢٦)، وهو تعليمٌ غائبٌ، ليس تماماً في العصر الحديث، وغاب من العصر الوسيط شرقاً وغرباً.

حتماً سوف نقرأ الكثير من قصصٍ قديمةٍ عن الخلق، ولكن تبرز قصة خلق الإنسان في سفر التكوين في أن الله خلقه لكي يكون الإنسان "صورته ومثاله"، من أهم ما جاء في العهد القديم.

---

(١) حسب الأصل العبراني، أي أقل من الله.

العنف الدموي في العهد القديم[1]

كثيراً ما سمعت وقرأت هذا التساؤل عن العنف في العهد القديم، ومن ذات التساؤل يستنتج بعض الأخوة سؤالاً آخر: هل إله العهد القديم هو ذاته إله العهد الجديد؟ ماذا عن قتل الرجال والنساء، وأخذ النساء سبايا (عدد ص ١٣)؟ كيف يأمر الله بالعنف الدموي، وهو إله المحبة؟

أولاً: لا يوجد كتاب اسمه العهد القديم، بل حسب التقسيم القديم، توجد التوراه – الأنبياء – الكتب التاريخية – أسفار الحكمة. وقد اختُصِرت هذه الكتب بحسب النطق العبراني في الكلمة "تناخ": توراه – نبيين – حكمة. ولعل القبطي الأرثوذكسي قد لاحظ أن هذه المجموعة من أسفار (العهد القديم) لا تُقرأ في القداسات، وإن كانت بعض الفصول المختارة تُقرأ في أسبوع البصخة، وتشمل النبوات عن المسيح، ونبوات الأنبياء عن نهاية إسرائيل حكومةً وملكاً ومملكةً وهيكلاً، بل نهاية العهد القديم في أرميا ٣١: ٣١.

وعندما لا يميز المسيحي بين العهدين، عهدٌ قام على الشريعة، وعهدٌ قام وتأسس على شخص الله الكلمة، فإن الانحراف عن قصد الله في نقل الإنسانية من الطفولة إلى البلوغ، يصبح غير واضح.

ثانياً: العهد القديم هو مملكة كانت تحت قيادة الأنبياء، صموئيل النبي، وقيام داود بعد سقوط شاول الملك إلى السبي البابلي في عهد منسى الملك.

إذن، فتلك تشريعاتٌ خاصةٌ بالحرب وتأسيس مملكة ثيوقراطية تحكم باسم الله، وتجد هذه المملكة ذاتها مُلزمةً بالحرب، ولم تكن تصرفات بني إسرائيل في

[1] مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١١ مايو ٢٠١٨.

الحـرب تختلـف عـن تصـرفات الشـعوب الأخـرى مثـل الفـرس والأشـوريين، بـل والمصريين أيضاً.

ثالثاً: أما العهد الجديد، فهو ليس حكماً ثيوقراطياً، ولا هو مملكةً أرضيةً، وليست الشريعة هي حجر الأساس فيه، بل يسوع الرب "عهدٌ جديد بدمي الذي يسفك عنكم وعن كثيرين يُعطى لمغفرة الخطايا"، لا لعقاب الخاطئ.

رابعاً: لم تطلب الشريعة القديمة تجسد ابن الله، ولا صلبه، ولا قيامته (يو ٣: ١٦)، بل أرسل الآب ابنه لكي يفدي ويحرر الذين هم تحت الشريعة (غلا ٤: ٤ – ٦).

وعلى ذلك، فاختلاف العهدين هو الجواب الواضح، وليس الله الواحد الذي لا ينقسم إلى إلهين، إله عهد قديم وإله عهد جديد.

أساس العهد الجديد هو يسوع، وهو شخصٌ وليس شريعةً. وقد أبطل يسوع كل أحكام الشريعة لأن السبت جُعِلَ لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت. وقد كتب القديس بولس الرسول بحثاً، هو الرسالة إلى رومية أوضح فيه:

١- وأما الآن -عندما تجسد ابن الله- فقد ظهر بر الله بدون الشريعة (رو ٣: ٢١).

٢- بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون (رو ٣: ٢٢).

٣- إذ نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون الأعمال التي تطلبها الشريعة.

٤- كان إيمان إبراهيم هو الذي بره لأنه حُسِبَ له (تك ١٥: ١ – ٦)، إذ آمن إبراهيم بالرب فحُسِبَ له براً. كان الإيمان هو سبب تبرير إبراهيم (رو ٥: ١)، وهنا يجب أن نقول إن استعارة الكلمة القرآنية "بر"، هي استعارة غير موفقة؛ لأن "بر" تعني الإحسان، أما حسب لغتنا القبطية، فالكلمة تعني "ⲦⲘⲉⲑⲘⲏⲓ"، أي الحق، وهي أيضاً: "ص د ق"، فالصدق هو الحق. وعلى ذلك يكون المعنى: ظهر صدق الله وحقه في أنه ليس تحت وصاية الشريعة، ولم يخلق الكون والإنسان لأن شريعةً حكمت بالخلق، ولا توجد

شريعة تحكم بفداء الإنسان، سوى صلاحه ومحبته، وهي ليست شريعة.
ولذلك يقول رسول الرب: لم أعرف الخطية إلا بالشريعة (رو ٧: ٧).

وحسب تاريخ العهد القديم لم يكن شعب إسرائيل أفضل أخلاقياً من الشعوب الأخرى المحيطة بهم، ومن السخافة أن يقول بعض الذين لم يفهموا الفرق بين العهدين إن الله عاقب هذه الشعوب بواسطة بني إسرائيل؛ لأن السبي جاء ليقول لنا، بل يصرخ: إن الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله.

إن الفرق بين المملكة والكنيسة هو أحد الفروق الهامة بين العهدين: عهد الظلال، وعهد النور.

فالشريعة من الله لحكم مملكة لها قانون.
أما الفداء، فمن الله لكي يحرر الإنسان بالشركة في حياة الثالوث، وهي شركة نعمة من الآب بالابن في الروح القدس.

الأسفار القانونية التي حذفها مارتن لوثر ويوحنا كالفن[١]

اتهمني شخص على إحدى الفضائيات في الولايات المتحدة في برنامج باللغة العربية بأنني ومعي القديس اثناسيوس الرسولي لا نؤمن بالأسفار القانونية الثانية التي حذفها مارتن لوثر ويوحنا كالفن. ودهشتي الكبرى هي أنني لم أكتب ولم أذكر شيئاً عن هذه الأسفار بالذات وهي بالتحديد:

طوبيا (طوبيت) – حكمة سليمان – حكمة بن سيراخ – باروخ – نشيد الفتية الثلاثة – قصة سوسنة – دانيال النبي والتنين – يهوديت – المكابيين – خاتمة سفر استير – صلاة الملك منسى – مزمور ١٥١.

أذكر مقالة لأستاذنا الكبير يسى عبد المسيح، ومقالة أخرى ربما لم تنشر لأستاذنا العظيم د. وهيب عطا الله، ومحاضرة لأستاذنا د. وهيب جورجي. وقد أشار هؤلاء إلى رسالة القديس اثناسيوس – رسالة عيد القيامة في عام ٣٦٧ وحسب ترقيم مجموعة الآباء اليونانيين P.G. الرسالة رقم ٣٩ – نُشرت الترجمة الإنجليزية في المجلد ٤ الطبعة الانجليزية ص ٥٥١ – ٥٥٢ وترجمة النص كالآتي:

"هذه هي أسفار العهد القديم وعددها ٢٢ كتاباً. وكما سمعت أن هذا الرقم هو عدد حروف الأبجدية العبرانية عند العبرانيين وهي حسب الترتيب والأسماء: الأول هو سفر التكوين، بعده الخروج ويليه اللاويين وبعد ذلك العدد ثم سفر التثنية. ويلي ذلك يشوع بن نون ثم القضاة وراعوث. وأيضاً بعد ذلك أربعة أسفار للملوك الأول والثاني يعتبران كتاباً واحداً وهذا ايضاً الثالث والرابع كتاباً واحداً. ثم أيضاً الأخبار الأول والثاني يعتبران كتاباً

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في أغسطس ٢٠١١.

واحداً. سفر عزرا الأول والثاني (نحميا) هما معاً كتاب واحد. وبعد كل هذه الأسفار — سفر المزامير ويتبعه سفر الأمثال ثم سفر الجامعة ونشيد الأناشيد. أيوب بعد هؤلاء، وكتاب واحد للأنبياء الاثنى عشر، سفر واحد لأشعياء، وبعده ارميا وباروخ، المراثي والرسالة ارميا، كتاب واحد. وبعد هذا حزقيال ثم دانيال كل منهما كتاب واحد. هذه هي اسفار العهد القديم.

وأيضاً ليست هذه مشقة أن أتكلم عن العهد الجديد. فهو أربعة أناجيل حسب متى، مرقس، لوقا ويوحنا. ويلي الأناجيل سفر أعمال الرسل، ثم الرسائل وهي سبعة يعقوب رسالة واحدة ورسالتين لبطرس وثلاثة ليوحنا ثم رسالة ليهوذا. ويضاف إلى هذه أربعة عشر رسالة لبولس كتبت حسب الترتيب الأولى إلى رومية ورسالتين إلى كورنثوس وبعدهما رسالتين إلى غلاطية وبعدها رسالة إلى أفسس ثم فيلبي ثم كولوسي وبعدهما رسالتين إلى تسالونيكي ثم العبرانيين وأيضاً رسالتين إلى تيموثاوس وواحدة لتيطس وأخيراً الرسالة إلى فليمون وأيضاً سفر الرؤيا.

هذه هي ينابيع الخلاص وكل مَن يعطش سوف يجد شبعه بالكلمات الحية في كل هؤلاء. ففي هذه الأسفار وحدها أستعلن تعليم التقوى. ولا يجب على أي إنسان أن يضيف إلى هذه الأسفار أو أن يحذف منها شيئاً. لأن الرب قال للصدوقيين مخجلاً إياهم: أنتم تخطئون لأنكم لا تعرفون الكتب. ووبخ اليهود قائلاً: "فتشوا الكتب لأنها تشهد لي" (متى ٢٢ : ٢٩) ومن أجل الوضوح الكبير يجب ان أضيف إلى هذه الأسفار — من أجل ضرورة أن يكون لدينا فهم أشمل أنه توجد أسفار أخرى غير تلك التي ذكرتها سابقاً لم تحسب ضمن قانون الأسفار، ولكن قد رُتِّبَت بواسطة الآباء لكي يقرأها الذين يرغبون في الانضمام إلينا، وهم الأعضاء الجدد (الموعوظين) الراغبين في تعلم كلمة التقوى وهي:

سفر حكمة سليمان — حكمة بن سيراخ — أستير — يهوديت — طوبيت وتعليم الرسل (الديداكي) وهرماس. هذه يا أخوة لم تُضَف إلى قانون الأسفار، بل تُقرأ فقط ولا يوجد سفر آخر بين هذه يوصف بالأبوكريفا، وما عدا ما ذكرت توجد أسفار اخترعها الهراطقة وهم يكتبون حسبما يشاؤون ويضيفون إلى هذه الأسفار خيالاتهم بل يكتبون تاريخاً لها، ويستعملونها كأسفار قديمة لكي يجدوا فرصة لكي يضلوا السذج".

فهل يمكن بعد هذا الشرح المطول لإنسان وهو المعلم الكبير الملقب حقاً

بالرسولي دون باقي أساقفة الاسكندرية أن أقول شيئاً آخر بعد أن وضعني الأنبا شنودة الثالث معه في ذات قفص الاتهام بالشرك بسبب التعليم عن الشركة في الطبيعة الالهية.

هل انحدرنا نحو هذه الهاوية، وهي جهنم نفسها إذ أصبح الكلام سهلاً عبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية كلام دون دقيق. والأخطر هو تصفية حسابات وزرع الشكوك وإثارة غرائز الدفاع عن المصالح الشخصية، لا قوة الروح القدس للدفاع عن الحق. انحدار رهيب أن نكذب وندعي بعد ذلك أن روح الحق روح يسوع ساكن فينا يعطينا الحياة للشهادة.

الخلفية التاريخية للأسفار التي حُذفت:

كانت هذه الأسفار تُقرأ في مجامع يهود الشتات، وبالذات في مدينة الإسكندرية التي أراد الفاتح الإسكندر أن يجعلها عاصمة المسكونة كلها. وفي الإسكندرية بالذات بدأ يهود الشتات في ترجمة أسفار العهد القديم إلى اليونانية. وأول وثيقة عن ترجمة الأسفار إلى اليونانية وردت في رسالة شخص يُدعى *Aristeas* في رسالة إلى شخص آخر يدعى *Philocrates* وتاريخ الرسالة غير معروف، ولكن الفترة هي القرن الثاني قبل الميلاد. وتقول الرسالة إن ٧٠ شخصاً جاءوا من فلسطين إلى الإسكندرية لترجمة الأسفار العبرانية وبالذات التوراة (أسفار موسى الخمسة) إلى اليونانية. وطبعاً —كما هي العادة — يدور جدل طويل حول هذه الرسالة لا يخص أي قارئ، لكن كان أمام يهود الشتات مشكلتين:

١- إهمال اللغة العبرانية التي كانت معروفة عند الخاصة منهم.

٢- عدم فهم عامة يهود الشتات اللغة العبرانية ولا حتى الآرامية، وهو ما جعل الترجمة السبعينية هي الكتاب المقدس ليهود الشتات قبل ظهور وانتشار المسيحية، ولكن اللغة اليونانية هي لغة الثقافة العالمية والمتعلمين.

انتشار الترجمة السبعينية[1]:

كان مجمع يمنة *Jamnia* (التاريخ المؤكد غير معروف، والسائد هو بداية القرن الأول المسيحي)، قد انعقد في هذه القرية خارج مدينة غزة في فلسطين وقرر هذا المجمع قبول الأسفار المعروفة في فلسطين باللغتين العبرانية والآرامية فقط واستبعاد تلك التي ذاعت بين يهود الشتات[2].

خلف هذا التشدد تكمن ثلاث حقائق:

١- انتشار الترجمة السبعينية ليس فقط بين يهود الشتات، بل في كنائس المسيح واستخدامها في نشر المسيحية.

٢- استخدام النص اليوناني للعهد القديم في اثبات عقائد المسيحية الكبرى، ولعل خير مثال هو حوار الشهيد يوستينوس حوالي سنة ١٥٠ مع الرابي *Rabbi* تريفو حول النبوات التي وردت في العهد القديم عن يسوع الناصري.

٣- تمسك المسيحيون بالنص اليوناني للعهد القديم؛ لأن أغلب الذين انضموا إلى الكنيسة كانوا من الأمم (غير اليهود) الذين لا يعرفون العبرانية أو الآرامية. وكان تمسك المسيحيين بالنص اليوناني له سبب واحد هو أن الترجمة قام بها اليهود أنفسهم وأنهم كانوا ولا زالوا يقرأون هذه الترجمة في المجامع.

وقد أدرك العلامة أوريجينوس حقيقة المشكلة، ولذلك جمع ما لديه من ترجمات ونصوص في سداسية *Hexapla* حيث وضع في أعمدة متوازية (حوالي سنة ٢٥٣) النص العبراني — النص العبراني بحروف يونانية — النص اليوناني بحروف عبرانية ثم ثلاثة ترجمات يونانية شائعة بين اليهود، وهي ترجمة أكويلا — سيماخوس — ثيؤدوثيوس.

---

(١) يرمز لها دائماً في الكتابات الأوربية بالأرقام الرومانية LXX أي ٧٠.

(٢) راجع البحث التاريخي J.P. Lewis نشر بعنوان Jamnia Revistited في مجلد:

The Canon Debate on the Origin and Formation of the Bible, 2002 edited by L.M. McDonald and J.A. Sanders.

ولم تكن رسالة عيد القيامة للقديس اثناسيوس هي الوثيقة الوحيدة الذائعة في المسكونة، بل جاء القديس جيروم *Jerome* بعد ذلك بضرورة العودة إلى الأصل العبراني، وذكر في مقدمته لأسفار الملوك أنه يترجم عن العبرانية مباشرةً ولا يهتم بالترجمة اليونانية، ولذلك نشر الترجمة اللاتينية *Volgate* واعتبر أن الأسفار الذائعة بين يهود الشتات مثل طوبيت ويهوديت .. الخ هي الأسفار القانونية الثانية[1].

الترجمة الموحدة للكتاب المقدس:

هذه الترجمة صدرت من جمعية الكتاب المقدس – بيروت – وهي غير ترجمة فانديك التي نشرها المرسلون والتي ذاعت في مصر ونشرت الترجمة الموحدة الأسفار القانونية الثانية:

طوبيا – يهوديت – أستير – حكمة سليمان – حكمة يشوع بن سيراخ – باروخ – رسالة ارميا – تتمة سفر دانيال – المكابيين الأول والثاني وهي الأسفار التي ضمها مجلد LXX.

هل غاب الأصل العبراني عن الأسفار القانونية الثانية؟

كان جيروم هو أول من جمع سبع إضافات يونانية لسفر استير وضمها إلى الترجمة اللاتينية وهذه الإضافات معروفة في LXX.

وتتمة سفر دانيال حسب LXX هي صلاة عزريا وتسبحة الفتية الثلاثة في أتون النار ولها أصل عبراني، ويضاف لها قصة سوسنة العفيفة واشتهرت هذه في شرح هيبوليتوس لقصة سوسنة، وكذلك في شرح نفس القصة عند العلامة أوريجينوس وجيروم وأوغسطينوس. أمَّا الصلوات فهي معروفة في كل صلوات الكنيسة الغربية والشرقية على حدٍ سواء، فهي تظهر في صلوات البصخة لا سيما الخاصة بالسبت الكبير في عصر مبكر، وعُرفت في الكنيسة الناطقة بالسريانية

---

[1] نظراً لعدم توفر ترجمات حديثة الشرح الكتاب المقدس للقديس جيروم نحيل القارئ على:
J. N. D. Kelly: Jerome: His life, writings, 1988, pp 153-67.

(الآرامية) وشرحها ذهبي الفم والمفسر السرياني ثيؤدوريت.

وقصة دانيال والتنين تظهر في شرح كل من أثناسيوس الرسولي – ذهبي الفم – بلاديوس –كيرلس الأورشليمي وفي أشعار مار أفرام السرياني. وصلاة الملك منسى هي أيضاً من صلوات تسبحة السبت الكبير، ولست أعرف شرحاً لأي من آباء الكنيسة في القرون الخمسة الأولى. أمَّا الأصل الأرامي وشذرات من الأصل العبراني لسفر طوبيا فقد عُثِر عليها ضمن مخطوطات قمران في البحر الميت. ودراسة لغوية لسفر يهوديت تؤكد أن السفر كُتِب أصلاً بالعبرانية أو الآرامية ولم يكتب أصلاً باليونانية، ولكن لم يعثر العلماء بعد على الأصل العبراني.

سفر حكمة بن سيراخ وُجِدَ له أصل قديم في ترجمة سريانية والأصل الأرامي معروف في شرح علماء اليهود للسفر، ومما هو جدير بالذكر أن مخطوطات مجمع بن عزرا في مصر القديمة – جمهورية مصر عُثر فيها على شذرات عبرانية في المجموعة التي تعرف باسم *Genizah* وهي قصاصات من كتب الصلوات التي لم تعد صالحة للاستعمال وهي لا تحرق ولا تدمر، بل جمعت معاً في مكان واحد؛ لأن الورق الذي يحتوي على اسم الله لا يمكن تدميره، كما عثر على بعض الشذرات في قمران عام ١٩٥٢ وفي حصن مصعدة *Masada* وهو آخر حصون تحصن فيها اليهود ضد الرومان إبان حصار أورشليم وسقط الحصن لأن المدافعون انتحروا جميعاً وفضلوا الموت على الأسر(١).

حكمة سليمان له أصل سامي *Semetic* لا زال مفقوداً.

مزمور ١٥١ عرف في LXX والعنوان حسب LXX هو "مزمور لداود بعد ما هزم جليات" عُثر على النص العبراني في المغارة في قمران – البحر الميت ورقم المخطوط هو 11Q5.

---

(١) الجدير بالذكر ان في هذا المكان بالذات الذي يشرف على البحر الميت يقسم كل الجنود وضباط الجيش الاسرائيلي قسم الولاء للدولة. وسار في كتب علم النفس المعاصر عقدة المسادا وهو الاسم اللاتيني للحصن ولكن الاسم العبراني هو "مصعدة".

لم يدخل في أي قطمارس أرثوذكسي، ولكنه عُرف بشكل خاص في كتاب "دلال سفر المزامير". النص العبراني نشر على شبكة المعلومات ولا بأس من مراجعة:

James C. Vanderkan The Psalms Scolls from Judean desert, 2002, pp 189-193.

بعد اكتشاف بعض النصوص العبرانية لا سيما لسفر طوبيا وباقي الأسفار ما يؤكد أن هذه الأسفار كانت تُقرأ حتى في فلسطين.

بالطبع سفر المكابيين هو سفر تاريخي نال اهتماماً كبيراً في عظات بعض الآباء مثل ذهبي الفم لأن المكابيين هم نموذج للشهداء.

أخيراً: أقول لدعاة التحزُّب ونشر الفرقة بين المسيحيين، هل درسنا كل أسفار الكتاب المقدس، ولم يعد أمامنا إلاَّ الأسفار التي حذفها قادة حركة الإصلاح لكي نتشاجر عليها. من العيب أن لا نتمسك بما هو مشترك بيننا، وهي أسفار العهدين وأن ندرسها بعناية.

تسبحة الثلاثة فتية:

الذين عاشوا مع القمص مينا المتوحد وحضروا أو اشتركوا معه في التسبحة السنوية يعرفون أن الرجل كان يتجلى بشكل خاص عندما كان يُمسك بالدف لكي يسبِّح ويصلي تسبحة الثلاثة فتية. كان وجهه يشرق بنور وابتسامة خاصة تراها على وجهه، وحرارة الصلاة، وبعد .. هل كانت هذه الصلاة من وحي الروح القدس؟ والجواب غريبٌ على آذان الذين يعيشون تحت سلطان الحرف، فكل صلاة لأي مسيحي فيها أنفاس الروح القدس. وهناك عبارة لذهبي الفم تبدو غريبة على آذان البعض يقول فيها: "إن صلاة المسيحي هي أقوى من كل المزامير لأنها تنال زخم العهد الجديد الذي أُسِّسَ بدم الرب يسوع المسيح".

من الصعب علينا أن نُعلم جيلاً عاش تحت عبودية الحرف ما هي حرية المسيحي ... ولعل راهب الطاحونة الذي جاز أتون تجارب الحياة وجد في انتصار الرب يسوع ابن الآلهة الذي كان يسير مع الفتية في الأتون لأنه هكذا رآه الوثنيون

"ابن الآلهة"، وجد الراهب مينا المتوحد أنغام وكلمات الصلاة نشيداً خاصاً به يتألق قلبه بقوة انتصار يسوع الحي.

حتى لا نسقط تحت سلطان شريعة موسى[1]

لكي لا نقع في هذه الأخطاء الشائعة شرقًا وغربًا. أرجو أن نلاحظ:

أولًا: الكتاب المقدس ليس كتابًا واحدًا يُقرأ من التكوين للرؤيا بالتتابع، بل هو كتابٌ ينقسم إلى قسمين: العهد القديم، وهو حسب التسليم الكنسي الأرثوذكسي مكوَّن من التوراة – الأنبياء – الكتب (التاريخية) المزامير – أسفار الحكمة (الأمثال – الجامعة – حكمة سليمان – يشوع بن سيراخ). ثم العهد الجديد، وهو حسب التسليم الكنسي الأرثوذكسي مكوَّن من الأناجيل (الأربعة)، الرسائل (رسائل بولس) الرسائل الجامعة أو الكاثوليكون – ولا يُقرأ سفر الرؤيا في القداسات.

في اليهودية كل سفر خاضع لما جاء في التوارة (أسفار موسى الخمسة).

في المسيحية الأرثوذكسية، التوراة تخضع للتعليم النبوي، والتعليم النبوي للأنبياء يُفهم في نور العمل الكوني لروح الرب أو الحكمة – هذا الموضوع بالذات يحتاج لشرح موسع، ولكن اقرأ ثانيًا.

ثانيًا: الذي يشرح العهد القديم برمته هو شخص المسيح الإله المتجسد، وهو أقنوم الابن الكلمة، فهو ليس كتابًا يخضع لشرح نصوص أو تفسير عبارات أو كلمات. لذلك اقرأ ثالثًا.

ثالثًا: العهد الجديد ليس كتابًا، بل هو المسيح الرب نفسه المستعلَن بالروح القدس، وهو أيضًا استعلان الثالوث. ومن لا يؤمن بالثالوث الواحد، ليس مسيحيًا؛ لأن الثالوث هو استعلان الألوهة الحقة في الابن بالروح القدس.

---

(1) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٤ أكتوبر ٢٠١٤.

إذن، العهد الجديد له أساس أبدي، هو شخص الابن الوحيد وعطية الروح القدس.

العهد الجديد هو المسيح الوسيط الذي لا يمكن أن تحل كل نصوص العهدين مكانه، أو تقوم مقامه؛ لأنه –حتى في حياتنا الأرضية هنا– لا يوجد كتاب يمكن أن يحل محل أي شخص نعرفه، ولا يمكن لأي رسالة أو نصوص أن تخلق رابطة محبة بين البشر لأن المحبة كامنة في القلب. لذلك اقرأ رابعًا.

رابعًا: العهد القديم الذي شُيِّد على الكهنوت والذبائح والهيكل قد زال تمامًا، ولم يدخل في تكوين الاستعلان الجديد؛ لأنه مثل معاهدة بين يهوه وشعب اسرائيل. أما العهد الجديد، فالمسيح الرب هو الذي جاء بالعهد نفسه في شخصه، وهو ليس معاهدة بين طرفين الله والبشر، بل هو عطية تعطى بلا مقابل وبلا شروط. شرح رسول الرب بولس هذه الحقيقة في ٤ رسائل هي رومية – غلاطية –كولوسي – والعبرانيين التي لا تدرس بعناية كافية.

لذلك يا أحباء الله الآب ارجو أن تفحصوا عن أعماق قلوبكم حتى لا يضاف من العهد القديم شيئًا إلى عمل الوسيط الرب يسوع المسيح، لا سيما الأفكار والمحتويات العقلية التي دخلت اللاهوت المسيحي في العصر الوسيط، ولذلك عليك عزيزي القارئ أن تلاحظ ما يأتي:

أولًا: لا تُخضع الرب يسوع لشريعة موسى؛ لأن مَن يدقق في خضوع الرب لشريعة موسى سوف يكتشف أنه لا يؤمن بألوهية الرب يسوع سوى إيمانًا لفظيًا. لذلك، اقرأ ثانيًا.

ثانيًا: والدليل على خضوع الرب يسوع لشريعة موسى عند المرتدين إلى شريعة موسى هو جمع نصوص الذبائح القديمة لشرح ذبيحة الرب يسوع، وهؤلاء سقطوا في نفس الأفكار السابقة. لذلك، اقرأ ثالثًا بكل دقة.

ثالثًا: يصرخ تلاميذ موسى بعبارة الرب نفسه التي دُوِّنَت في إنجيل متى: "لا تظنوا إني جئت لأنقض الناموس (الشريعة، أي يبطلها) أو الأنبياء. ما جئت

لأنقض بل لأكمِّل .." (متى ٥ : ١٧). و"أكمِّل"، أو "لكي يكون الكل"، تعني أن يتم ويكمُل الهدف، ولذلك بدأت بشارة الرب: "قد كَمُلَ الزمان واقترب ملكوت السموات" (مرقس ١ : ١٥). إن ما يزعج حقًا هو أن كلمات الرب هذه وردت في العظة على الجبل، الأمر الذي يزيل تمامًا التفسير الموسَّع المعروف باسم Halakah للشريعة. والكلمة العبرية مثل العربية، وتعني "حلقة"، أي ما يُضاف للأصل؛ ولذلك كان الرب يقول: "قد سمعتم أنه قيل للقدماء أو للسابقين"؛ فهو لم يأتِ بشريعة جديدة، تُضاف إلى القديم، بل جاء بالحياة الجديدة في ملكوت السموات. لذلك، اقرأ رابعًا.

رابعًا: يمكنك أن تتأكد من صحة الشرح السابق بدراسة ولو سطحية لكلمات رسول المسيح في (غلا ٤ : ٤-٦): "في ملء الزمان أرسل الله ابنه"، أي عندما كَمُلَ زمان التدبير الأول، وفَقَدَ قدرته على تحريك أو تقديم الجديد، جاء الربُّ "مولودًا تحت الشريعة" لكي يفتدي الذين هم تحت الشريعة، ولذلك قال رسول الرب إن الشريعة كانت معلم الأطفال الصغار أو المؤدِّب إلى أن يأتي المسيح لكي نتبرر بالإيمان (غلا ٣ : ٢٤)، ولاحظ أنه بعد ما جاء الإيمان (أي بشارة الإنجيل) لسنا بعد تحت معلِّم الأطفال، أو المؤدِّب. وهنا يضع الرسول بولس السبب في نوال هذه الحرية: "لأنكم جميعًا أبناء الله بالإيمان .. ثم يذكر المعمودية المقدسة التي أزالت الفروق العرقية والاجتماعية: ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر. ليس ذكر ولا أنثى لأنكم جميعًا واحد في المسيح يسوع. وهنا أدعوك -عزيزي القارئ- لتتذكر كيف كانت تُعامَل النساء حسب شريعة موسى.

حقًا أيها الأحباء، لقد فقدنا قوة العهد الجديد، أي يسوع نفسه، وسقطنا في فخ الشرح والتفسير؛ فصرنا يهودًا، بل ومسلمين دون أن ندري. أليست هذه مأساة: أن يصير الشخص، رب المجد، فكرةً ونظريات، وتصير الأفكار أعظم وأكبر من الأقنوم المتجسد، بل صارت هي المدخل إلى فهم الأقنوم؟ نحشد الفكر، ونظن أن الفكر يقوم مقام الروح القدس، **بينما العبد وحده هو الذي يجعل أفكاره أعظم منه، ولكن مَن نال عطية التبني في يسوع يعرف أنه هو**

كإنسان، أعظم من كل الأفكار .. أفكارنا مثل الأطفال الذين نلدهم ونربيهم، ومع ذلك، نخاف منهم ونجعلهم مربِّين لنا.

لا شك أن من خلق هذه المأساة هو زوال الوعي فينا بأننا "صورة الله الجديدة في يسوع المسيح".

عزيزي القارئ، اعترَض كتابةً كما تشاء، ولكن لاحظ أن الكلمات ليست هي قوة يسوع، بل يسوع هو قوة يسوع. كن حرًا، ولا تسقط وترتد إلى الشريعة.

مستعدٌ للحوار؛ لأن اشتعال محبة الرب يسوع هي وحدها التي يجب أن تسود.

الإيمان والكتاب المقدس[1]

دار حوارٌ شبه ساخن -تابعته على بعض مواقع التواصل الاجتماعي- بين طرفين عما إذا كان الإيمان يسبق الكتاب المقدس، وأن الإفخارستيا تسبق الكنيسة. وسخونة الحوار مصدرها عدم قراءة ودراسة الهرطقات القديمة بطريقة أرثوذكسية، أي عدم استيعاب الأساس الذي دار حوله الصراع مع الأريوسية كمثال، وهي أخطر مدرسة فلسفية واجهت الكنيسة الجامعة.

فطبقاً لهذه المدرسة، الآبُ أزليٌّ سبق الابن؛ لأن الابن مولود من الآب في الزمان، وقد خُلِقَ لكي يخلق العالم. هكذا دخل بُعد الزمان في اللاهوت لكي يفرض على التدبير الإلهي أن نفهم كل شيء حسب ترتيب أبعاد الزمان.

الأسبقية -حسب التدبير- ليست زمانية، بل هي حسب الترتيب. والترتيب كلمة هامة ضاعت -للأسف- من الوعي، فهي الكلمة التي تشير إلى ترتيب الخدمات والتي شُرِحَت بكلمةٍ أخرى لا علاقة لها بالكلمة الأصلية، وهي كلمة ἀκολουθία التي فُهِمَت خطأ على أنها طقس τάξις بينما كلمة طقس تعني أصلاً رتبة أو جماعة منظمة مثل جماعة الملائكة، أي *Band* جمهرة من. أمَّا الكلمة "ترتيب"، فهي لا تعني حلقات زمانية يرتِّبُها الزمان، بل حلقات متصلة؛ لأنها صادرة من شخصٍ حيٍّ هو أقنوم الابن المتجسد العامل فينا بالروح القدس الرب المحيي. وحيثما ذُكرت كلمة "الحياة"، أصبح من الضروري استعادة النظرة أو الوعي الشامل، لا الوقوع في فخ الأسبقية الزمانية.

بالطبع، حسب الترتيب الخاص بالتدبير، توجد "أسبقية ترتيبة"، أي أن يكون

(1) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٢ مايو ٢٠١٤.

الإيمـان حيًّـاً في الـنفس، مُعلنـاً بـالروح القـدس. والاسـتنارة الإلهيـة لا تؤخـذ مـن نصـوص أو كلمـات، حتى مـن نصـوص أو كلمـات الكتـاب المقـدس نفسـه. وهنـا تصبح كلمات وأسفار الكتاب المقدس هي الشهادة على صحة الاختبار، وصحة الرؤيا، وصحة الشركة التي جاء بها الإيمان.

الإيمانُ بدوره هو "اختبارٌ حُرٌّ"، وَرَدَ أولاً في الأسفار، وحسب شهادة الأسفار عن إيمان إبراهيم أب الآباء، وهو النموذج الأول للإيمان الذي قدَّمه حتى بولس نفسه في رسالة رومية كسابقٍ على شريعة موسى، لا سيما في الإصحاحات (٣-٥).

اختار إبراهيم مواعيد الله بالبركة، وأن يكون نسله مثل نجوم السماء والرمل على شاطئ البحر. وبهذا الاختبار سار إبراهيم في طريقٍ آخر يختلف عن الطريق الأول.

لم يكن الإيمان -حسب التاريخ الكنسي المسيحي- هو تقديم مجموعة من الأفكار، بل تقديم اختبارات، إمَّا تقود إلى الثالوث، وإمَّا إلى فراغ الحياة، الذي هو الخطية.

لكن ما يحدث في زماننا هذا "غير السعيد"، هو طرح مقولات كتابية تعتمد على شرح وتفسير عقائد أو إصحاحات من الأسفار الإلهية. هذا يدخل تحت اسمٍ آخر، هو تعليم الموعوظين. وفي زماننا هذا، صارت الأغلبية من الذين نالوا سر الحياة الأبدية، أي سر الانضمام إلى الكنيسة: المعمودية – المسحة – الإفخارستيا، هؤلاء صاروا "موعوظين" حيث لا تُقدَّم الخبرة.

في اختبار الإيمان شهادة الأسفار. حسب الشرح المطول في كتاب الروح القدس للقديس باسيليوس، لا يوجد أسبقية زمانية، بل يسبق التعليم كل شيء؛ لأن أي قراءة غير صحيحة للأسفار هي حقاً قراءة كل الهراطقة الذين حولوا المسيحية إلى دستور أو شريعة مُعلَنة في كلمات.

حسب التاريخ الكنسي، أسَّس الكتاب المقدس، كنائس حركة الإصلاح في القرن الـ ١٦، وبذلك صار للكتاب المقدس أسبقية زمانية، بل أسبقية ترتيبية، ولا

يجب أن نقع نحن في هذا الخطأ.

عندما يخرج الكتاب من الحياة الليتورجية، يفقد معناه تماماً، ويصبح مثل مؤلفات فقهاء الإسلام. ولذلك أيضاً لا يجب أن نظن أن لدينا مصدرين للمسيحية:

- الكتاب المقدس.

- والتسليم الكنسي، الذي تحوَّل إلى ما يُعرف باسم "التقليد".

وكلمة "التقليد" ليست معروفة لدينا قبل مجيء الإرساليات الأوروبية التي جاءت بكل الصراعات الفكرية والكنسية الأوروبية، لكي تلوث الحياة الأرثوذكسية. وأعتقد أن فان ديك المسئول الأول عن ترجمة الكتاب المقدس إلى العربية —الترجمة البيروتية— كان سيء القصد؛ لأن مراجعة أفعال "تسليم"، وأسماء "التسلم" تؤكد أنه ابتعد عن استخدام الترجمة العربية القديمة "تسليم"، وأراد استخدام كلمة "تقليد" التي لها معنى سيء؛ لأنها كانت تشير إلى تحجُّر استخدام الشريعة حسب مذهب الفريسيين.

لقد ضاعت صرخة العودة إلى قراءة صحيحة للكتاب المقدس طوال ٣٠ عاماً في فضاء الصراعات الكنسية؛ لأن انعدام القراءة الصحيحة يعيدنا دون أن ندري إلى براثن الهرطقات القديمة، والمثال الصارخ على ذلك هو غياب حرف "الـ" من اسم الروح القدس في بعض النصوص، ووجود حرف "الـ" أداة التعريف في غيرها عند الرسول بولس، مما جعل البعض يظن أن عبارة "روح قدس" تعني "مواهب"، بينما الروح القدس تعني الأقنوم[1]. وخرج علينا من يقول إننا لا نأخذ الروح القدس، بل المواهب. بل تجاسر قومٌ وقالوا المواهب فقط، وتجاسر آخرون وقالوا بالحلول المواهبي. لكن حسب الترتيب الخاص بالتدبير، إذا لم نأخذ الحياة الأبدية من الثالوث في الابن بالروح القدس، بل نأخذ المواهب فقط، فإننا سوف

(1) راجع لنا بالتفصيل: مواهب الروح القدس، دراسة في الكتاب المقدس والآباء والطقس، دراسة منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

نموت أبدياً، أي لا نحيا حياة أبدية؛ لأن الحياة الأبدية هي حياة الله نفسه "العظيم الأبدي".

أعود إلى موضوع "الحوار". طبعاً لم يكن لدى إبراهيم أب الآباء كتاباً مقدساً، بل الوعد الإلهي الذي عاشه، والذي كُتِبَ بعده حسب تقرير الرسول بولس بـ ٤٣٠ سنة (غلا ٣ : ١٧). وهو لا يمكن أن الشريعة تنسخ الوعد الإلهي؛ لأنها ليست خاصة بالوعد.

لقد جرى تزييف للإيمان في مصر طوال ٤٠ سنة أطلق عليه أحد الأخوة "أسلمة اللاهوت المسيحي"؛ لأنه أخضع النعمة والشركة للشريعة، وأخذ من المذهب الإنجيلي الأهمية المطلقة للكتاب المقدس، ونسى التسليم الكنسي عن عمد؛ لأن الكتاب المقدس هو "المسرح" الذي يظهر عليه كل دعاة المذاهب، بينما التسليم الكنسي لا يسمح للدعاة بالوجود.

أعود إلى أسبقية الإفخارستيا على الكنيسة، وهي ليست أسبقية زمانية، مهما كانت صحة الحجة عن العشاء الرباني في العلية. الأسبقية هي أنه لا توجد ثنائية بين الكنيسة والإفخارستيا، ولكن المشكلة هي أننا أطلقنا اسم العشاء السري – العشاء الرباني – الإفخارستيا، وأهملنا أن هذا الاسم يعني **عطاء حياة يسوع**. الإفخارستيا هي يسوع نفسه، ولا عجب بعد أن ساد اسم الإفخارستيا أن يخرج علينا من يقول إننا نأخذ الناسوت فقط.

لكن الكنيسة كُوِّنت في بيت لحم، في اتحاد اللاهوت بالناسوت. هذا هو ترتيب التدبير الذي هتف به الأب متى المسكين، فردَّ عليه أحدهم بسيلٍ من الاتهامات الجنونية: إذن فقد وُلدنا من العذراء مع المسيح. هكذا قال، وهكذا ظنَّ أنه أصاب كبد الحقيقة، ولكنه كان أبعد ما يكون عن الإيمان. لأن الكنيسة –حتى في أشعار مار افرام ويعقوب السروجي وعظات ذهبي الفم– وُلدت في المسيح عندما تجسد، ومن جنبه وُلدت كولادة حواء من جنب آدم، وكان خروج الدم والماء من جنب المسيح إعلاناً عن ما تم من ولادة.

شهادة الكتب المقدس تقول: "بدون إيمان لا يمكن إرضاءه"؛ لأن الإيمان هو اختبار حياة الشركة والحياة مع الثالوث. ولذلك، الأسبقية هنا هي في الاختبار الشخصي أيضاً، وهذا له مجال آخر سوف نعرض فيه أسباب الاختبارات في زماننا غير السعيد، ولماذا حلَّ محل يسوع المسيح أشخاصٌ زائلون، ونظرياتٍ عقيمة، ومذاهبَ تؤدي إلى تحجر القلب والفكر معاً.

أهيب بالأخوة المتحاورين أن يبتعدوا عن "الاختزال"؛ لأن اللاهوت ليس مثل صرخات المظاهرات في مصر، ولأن الاختزال يطمس الحقائق. لذلك؛ فإن عرض الموضوع عرضاً كاملاً، صار ضرورةً في زمان غاب فيه الوعي.

ولنا عودة إلى الاختبارات في زماننا "غير السعيد".

الإيمان والكتاب المقدس،
وموجة الإلحاد المعاصرة[1]

الشرح والتفسير

الفرق بين الشرح والتفسير غيرُ ظاهرٍ في الآداب العربية المسيحية. ولذلك، لدينا شرح الآباء وعظات الآباء على الكتاب المقدس. ولم يستخدم الآباء العظام كلمة تفسير إلَّا في حدود ضيقة جداً، وهي ظروف الدفاع عن الإيمان ضد الهرطقات.

الشرحُ دائماً هو شرحٌ عقيدي، والمثال الواضح على ذلك، هو الشرح الذي قدَّمه القديس كيرلس لإنجيل يوحنا؛ لأن الشرح يتناول المضمون الذي يحتويه النص، وما هو متعلق بهذا المضمون. وعلى سبيل المثال، رغم تعدد الأمثلة، يقول القديس كيرلس السكندري إن الرب يسوع جاء إلى عرس قانا الجليل لكي يبارك الزواج، وهو ما لم يذكره النص، وإنه جاء لكي يقدس بداية الوجود الإنساني الذي يتم باتحاد الرجل والمرأة، وهو ما لم يذكره النص بالمرة[2].

فالشرح إذن يأخذنا إلى المجالات التالية:

أولاً: علاقتنا الجديدة في يسوع المسيح مع الآب والروح القدس.

ثانياً: ما يقدِّمه التدبير من نعمة وعطايا، يذكرها النص مثل "شركة الروح

---

(1) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٧ مايو ٢٠١٤.

(2) شرح إنجيل يوحنا، المجلد الأول، ص ١٧٥، وما بعدها، سلسلة نصوص آبائية رقم ١٤٢، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، القاهرة، ٢٠٠٩.

القدس" (٢ كور ١٣: ١٤)، ولكن لا يمكن تفسيرها حسب النص، بل حسب التدبير؛ لأن الشركة والشركاء هي أهم ما جاءت به شركة المحبة الثالوثية.

ثالثاً: سكنى الله الثالوث فينا، مثل: "يحل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً وأنتم مملوؤن فيه" (كو ٢: ٩ - ١٠). والامتلاء من اللاهوت يحدده التدبير، في بقاء الإنسان إنساناً مع نوال كمال الشركة في الحياة الإلهية، وهي حياة القداسة، الصفة الذاتية لأقنوم الروح القدس، والذي يُشارِك فيها الآب والابن.

إذن، الشرح هو عودةٌ إلى التدبير، أي عودة إلى شهادة النص، لا إلى تفسير النص؛ لأن تفسير النص حسب كلمات النص لا تؤدي عادةً إلى اتساع الرؤيا لمجال التدبير، بل الانحصار في معاني الحروف والكلمات؛ لذلك الشرح الكنسي هو ذلك الشرح الذي يلتزم بما يقدمه الثالوث من عطايا، وهي ثوابت لها صفة الأبدية مثل البنوة، ومثل ميراث الملكوت.

لكن، ما هو التسليم الكنسي؟

هو **أولاً:** ما يقدمه "مجال الأسفار" (ضد الأريوسيين ٣: ٢٨، ٢٩، ٣٥). والشرح حسب "الحس الكنسي" (ضد الأريوسيين ١: ٤٤)؛ لأن العودة إلى اليهودية، وشرح الأسفار بالطريقة اليهودية، هي شرح الأسفار بدون التجسد، وهنا تكون العودة إلى الأسفار وحدها، وفهم هذه الأسفار حسب الفهم الذاتي، يجعل مَن يفسر، بلا "تمييز" (ضد الأريوسيين ١: ٥٢)، بل ويجعل لهؤلاء قاعدة للتفسير *canon* تختزل كل ما في الأسفار إلى فكرهم الذاتي (ضد الأريوسيين ١: ٥٢).

ومجال الأسفار هو الشرح المتكامل الذي لا يقف عند عبارة واحدة، أو كلمة، أو كما درجنا في مصر أن نقول "آية"، وهو تعبير له خطورة ظاهرة لأن الآيات هي التعبير عن التنزيل اللغوي القرآني، في حين أن الكتاب المقدس كله ليس فيه آيات، بل شهادات.

فشرح الأسفار إذن، هو ألَّا ينفرد الشارح بعبارةٍ من هنا ومن هناك على

عادة الهراطقة التي ذكرها القديس باسيليوس في كتابه عن "الروح القدس"، وهي تتلخص في حشد أكبر قدر من نصوص الأسفار لتأييد فكره.

ثانياً: التسليم الكنسي لا يؤيد فكرةً مهما كانت، وإنما هو تأييد ممارسة. فحسب التسليم الكنسي، الثالوث ليس فكرةً عن ثلاثة في واحد، بل شركة محبة تُستعلَن في اتحاد المؤمنين؛ لأن الاتحاد اختبار، والممارسة هي اختبارٌ حيٌّ لا يبدأ بفكرةٍ، بل بما أُعلِن من علاقةٍ جديدةٍ يشهد بها سفر أو الأسفار المقدسة، وتقدَّم كممارسة.

التجسدُ أيضاً ليس فكرةً، لأن الجسد الإنساني ليس فكرة. ولذلك، أكبر عوار يقال الآن عن الإيمان المسيحي هو أنه "مجموعة من الغيبيات". في حين أنه عكس ذلك تماماً؛ لأن الله المتجسد في اللحم والدم، دخل القاسم المشترك الأعظم بين الله والإنسان، وبين الإنسان والإنسان، وهو الجسد، أو كما نقول "الناسوت". وأصبح الناسوت، أو –بدقة أكثر– إنسانية يسوع هي مجال استعلان الألوهة.

ألوهية المسيحِ ليست فكرة "غيبية"، فلا غياب ولا تطلع إلى ما وراء الطبيعة، بل هي **أولاً**: التعليم المتجذِّر في أن الإنسان هو صورة الله. وعلى ذلك فألوهية المسيح هي عودة إلى أصل الإنسان، وهي **ثانياً**: أشواقُ الإنسان إلى ما هو أعظم. فالجذر هو الإنسان كصورة الله التي تنمو الآن حسب صورة الله المعلَنَة في الإنسان يسوع المسيح لكي تدرك ألوهيته.

حلولُ الروح القدس ليس فكرةً، بل يُعرَف الروح القدس فينا من استعلان يسوع بواسطة نفس الروح الذي كوَّن جسده ومسحه في الأردن، وبه صُلِبَ، وبه قام؛ لأنه امتلك الروح أزلياً قبل التدبير، وامتلك الروح القدس في زمن التدبير؛ ولذلك، وهَبَ نفس ما مُسِحَ به للتلاميذ بعد القيامة (يو ٢٠: ٢٢ وما بعده).

يعطي لنا يسوع الروح القدس لكي نكون فعلاً مسيحيين[1].

---

(1) القديس باسيليوس، الروح القدس، ف ١٠: ٢٦، ترجمة د. جورج حبيب بباوي، مطرانية الغربية للأقباط الأرثوذكس، الكلية الإكليريكية اللاهوتية، سلسلة آباء الكنيسة رقم ١١، مايو ١٩٨١، والطبعة الثانية قيد الطبع.

السرائرُ ليست منظومةً عقليةً؛ لأن حتى كلمة "سر"، تتحدى كل منظومات العقل مهما كانت. فالسر هو ما يعلو على الممارسة اليومية العادية لأنه لا يوجد له مثيل يشرحه أو حتى يقابله، فيقارَن به. وهو ما دعا الأب *C. Vagaggini* إلى بذل أكبر جهد يمكن أن يبذله عالم ليتورجيات في إصدار مجلد من ٩٩٦ صفحة لاسترداد الوعي بما جاء في التسليم الكنسي عن "السر"[1]، وذلك بدلاً من موروث العصر الوسيط: "وسائط النعمة"، أو "نعمة غير منظورة في علامة منظورة"، وهو تعريف السر كما ساد في الغرب في العصر الوسيط.

لقد عانت الأسرار من الهجوم العقلي الفج الذي لا يفهم المحبة، ولا يؤمن أصلاً بالمحبة، وهي آفة الاتجاه العقلي الذي جاء مع حركة الإصلاح الأوربية في القرن السادس عشر؛ لأن المحبة لها منطق وشركة ترفع -حتى- الحواس إلى ما هو أكبر وأشمل من المعرفة الحسيَّة.

والسرائر تؤخذ كلها من الليتورجية، وبالمناسبة، فهي ليست مجرد مجموعة صلوات، بل هي ترتيبٌ يرتفع نحو التاؤريا (الرؤيا) الإلهية للعطاء، الذي يرتكز على ركيزةٍ إلهيةٍ، وهي المحبة الثالوثية.

إننا "**نحب لكي نعرف، بعكس آدم الأول الذي يعرف لكي يحب، ولذلك تحدد معرفتُه محبَتَه**".

هذه مشكلة لا يمكن تجاوزها إلَّا بالعودة إلى التعليم المسيحي الحقيقي عن المحبة؛ لأن بالمحبة وفي المحبة تتسع الرؤيا حتى تبلغ إلى الجالس معنا في العليِّة، وعند المذبح ليوزِّع علينا حياته، أي جسده دمه. ولكن الذين غاب عنهم رؤية محبة الثالوث لنا، خلقوا الاعتراضات العقلية التي نقرأها في دهشةٍ؛ لقصور العقل عن إدراك محبة الابن لمن جاء وقدَّم ذاته لأجلهم.

---

(1) Theolohical Dimension of the Liturgy ISBN – 10 – 0814609287.

طبيعة الإيمان المسيحي

تختلف طبيعة الإيمان المسيحي عن أي إيمان آخر؛ لأن الإيمان المسيحي يخاطِب الحقيقة الواضحة التي لا تحتاج إلى برهان عقلي، وهي الإنسان، الجسد والنفس بما فيهما من قدرات. وعندما قال معلم الحق يسوع إن "ملكوت الله داخلكم"، فقد كان يشير إلى حقيقة إنسانية كبرى، وهي أن الإنسان له في كيانه بذرة الإيمان، وهي حرية الاختيار التي تختار دائماً.

الإيمانُ هو اختيارٌ حُرٌّ لِما يريد الإنسان أن يكون، لا أن يبقى في الحال أو الوضع الذي يجد نفسه فيه. من هنا بالذات جاء التعليم عن تجديد الكيان، وعن تجديد الحياة، وعن رفضٍ تام للحياة القديمة التي تخلو من الحرية، تلك الحياة حسب معتقدات وممارسات الناس التي تكبِّل الإرادة، وتشبه "قميص الكتاف" الذي يوضع على "المجانين" للسيطرة على عنفهم.

عندما وصل التعليم إلى تدمير حرية الاختيار، ووضع الله كَسدٍّ منيعٍ أمام التقدم والحرية، انفجرت موجات الإلحاد. وما نشاهده اليوم على اتساع العالم العربي كله، وعلى مواقع التواصل الاجتماعي من تهكم وسخرية وهجوم لاذع على كل المعتقدات، وكل الكتب المقدسة، هو انفجارٌ عقلي جاء لأن التعليم فشل في أن يقول إن الإيمان مرجعية إنسانية لحياة إنسانية آتية، لا حياة إنسانية سُجِنَت في الماضي.

نحن لا نستطيع أن نحيا حياةً اجتماعيةً بدون التوقيت، وبدون خرائط، وبدون حساب الأيام والأسابيع، والاتجاهات الأربع، وإشارات المرور والقوانين، بل والأعراف الاجتماعية نفسها ... هذه كلها تحيط بفراغ الحياة، وتملأ هذا الفراغ لكي يحيا الإنسان حُرّاً، ولكي يمارس حياته كما يجب، وكما يريد.

إنَّ بشارة الإنجيل هي الخبر المفرح لما يجب أن تكون عليه حياة الإنسان. المسيح يسوع هو خارطة طريق الإنسان إلى الإنسان، ومن ثمَّ إلى الله. هذا هو التعبير المعاصر عن "الكلمة صار جسداً وسكن بيننا" كإنسانٍ تعلِنُ إنسانيتُه الألوهة في جوهرها الصحيح، لا كما يتصورها الإنسان، ولا كما جاءت في تقاليد

السابقين. ولعل من يقرأ الأناجيل الأربعة يكتشف أن المسيح يسوع لم يقتبس أيَّ نصٍّ من نصوص العهد القديم لشرح أي تعليم، وأن ما ورد من نصوص العهد القديم كان في الجانب الدفاعي ضد هجوم الشيع التي لا تعرف إلَّا الحرف مثل الفريسيين، وهم أقرب إلى الحركات السلفية المعاصرة في المسيحية والإسلام.

لكن يسوع ابن الإنسان مُعلِن الآب في إنسانيته جاء ليقول: "الذي رآني فقد رأى الآب"، بل يمضي ليقول عن الحياة الأبدية كاختيارٍ أبدي للإنسان: "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يو ١٧: ٣)؛ لأن الإله هنا ليس هو "يهوه"، بل الآب، وهذا ليس تغييراً في الأسماء، بل تقدُّماً في الإعلان. ولذلك، لم يتحدث المسيح عن "الله"، أي "يهوه" إلَّا مرتين، الأولى على الصليب، والثانية بعد قيامته. وبعد القيامة يقول: "إلهي وهو إلهكم"، أي الآب الذي في يديه "استودع روحي"، وهو الذي أقام يسوع من الأموات. فقد جاء الاستعلان الجديد، بعهدٍ جديد، جعل الله هو الآب مُعلَناً في بنوةٍ تُقدَّم كهبةٍ، وتُختارُ في اختيار حُرٍّ. هنا يصبح الاختيار والاختبار هو التذوق الإنساني للحياة الإلهية.

الإيمان المسيحي هو اختيار مصير، ورحلة اكتشاف. وحقاً قال واحدٌ من أعظم لاهوتي القرن الخامس، مكسيموس المعترف: "الشكُ فضيلةٌ، إذا ظلَّ سؤالاً يبحث عن إجابةٍ. ويصبح رذيلةً إذا ظنَّ الإنسانُ إنه سؤالٌ وجوابٌ معاً، أو هو الجواب الوحيد". ولم يكن ظهور الرب يسوع لتوما، رفضاً للشك، بل دعوةً لمواجهة الشك بالاستعلان والاختبار، لكي يصبح الاختبارُ اختياراً: "ربي وإلهي".

والمصير هو أن يحيا الإنسان حياةً إلهيةً، أي أبدية: "هبة الله هي حياة أبدية في المسيح"، أي مشاركة ذات مصير الحي القائم من بين الأموات. والهبةُ لا تُفرض، ولا تُعطى لقهر الحرية، بل هي "تودُّدُ" الله ببشارة الفرح والخلاص والبقاء حياً في أعلى صورة للحياة مع الله، وفي الله نفسه.

لقد مرَّ وقتٌ طويل في حرب العقائد بين جهات متصارعة على الألقاب

والنفوذ، وأخجل من أن أقول، وعلى الأموال التي تأتي في الانتقال من خدمة إلى أخرى، أو كنائس الدرجة الأولى، أو كرسي البطريركية الذي بات مهدداً بحربٍ عقائدية تشعلها مواقد الجهل والسعي نحو الإيقاع بالآخرين.

وعندما تصبح العقائدُ أفكاراً، ويصبح الخلافُ هو على تفسير، عندئذٍ تغيب حقائق الإيمان، وتختفي صدمة التجسد، بل وعثرة الصليب.

التجسدُ لا يسمح بالسباحة العقلية في بحر الكلمات والأفكار؛ لأن التجسد صخرةٌ لا يمكن لكل أمواج الفكر أن تعلو عليها وتغرقها في بحر الحروف والألفاظ. يسوع المسيح الإله المتجسد، مشاركٌ لنا في إنسانيتنا، وعندما نرتل: "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له"، فلا مجال للتفسير، بل المجال هنا للشرح. هذه ليست مجرد كلمات، بل هي حركة المحبة التي تبادُل الإنسان مكانه لكي ينتقل الإنسان إلى مكان الكلمة المتجسد. والكلمة المتجسد ليس مجرد إنسان، بل هو الإله الوحيد وابن الآب. وعندما يأخذ مكاننا لكي نأخذ مكانه "أجلسنا معه في السماويات" كما قال بولس العظيم، فإن الشرح يجب أن ينصب على المصير، وعلى ما يحدث للكيان الإنساني، ذلك القاسم المشترك مع الكلمة المتجسد.

لقد تجسد الكلمة، ومن عجبٍ، أننا نصارع نحن لكي نعيد التجسد إلى مربع الكلمات ونترك الكيان الإنساني!!

إن تحول كيان الابن الوحيد ابن الآب إلى "ثمن يُدفَع لخطايا الإنسانية"، هو مثالٌ صارخٌ لما نقول. هذه الفكرة تخلع التجسد، وألوهية الرب، والثالوث من الوعي الإنساني، وتحول الحي ابن الله إلى فكرةٍ في عقل الإنسان. لأنه، عندئذٍ – طبقاً لهذه الفكرة– "ليس المساوي، أو الواحد مع الآب في الجوهر"، ليس هو "ابن محبة الآب"، وليس هو الإله "خالق كل الأشياء" بحسب التسليم الكنسي وشهادة الأناجيل الأربعة، بل بعد سلسلة هذه الاختزالات الشيطانية كلها، يصبح الابنُ ثمناً!

يا لتعاسة هذا الفكر، فقد تحول الأقنوم أو الشخص إلى ثمنٍ مثل ما يُدفَعُ في

الأسواق، وتحولت محبة الله الحرة الباذلة إلى قضيةٍ قانونيةٍ تجعل الابنَ يُدفَعُ ثمناً لخطايا لم يمارسها، بل هي –في الحقيقة– الأمراض التي جاء لكي يعالجها بأفعاله الإرادية.

هكذا ضاعت المحبة الإلهية، ودخلنا ذلك النفق المظلم طوال أربعين عاماً لم يجسر فيها أحدٌ –إلّا عددٌ لم يتجاوز أصابع اليد الواحدة– على المناداة علناً بأن المحبة ضاعت تحت معول الفكر القانوني الغريب تماماً عن الأرثوذكسية.

لعله بات من الواضح الآن أن طبيعة الإيمان هي أنه دائرة الحياة التي تُقدَّم للإنسان لكي يختارها، وأن هذا الاختيار يحول كيان الإنسان إلى اتجاه آخر، إلى الحياة الإلهية أو الأبدية، أو قل ما شت من الأسماء، طالما أن لهذه الأسماء مرجعية تؤكد صحتها، وهي تجسد ابن الله الكلمة.

ولعله بات من الواضح أن الإيمان المسيحي يضع الإنسان أمام إنسانيته كما يجب أن تكون عن طريق تحول كياني، سوف نعود إليه لكي ننقذ الإيمان من وحشية الهجوم الإلحادي الجديد الذي يظنُّ أنه يهاجم المسيحية، في حين أنه –في الحقيقة– لا يهاجِم إلَّا التراث الشعبي الذي دخل من الباب الخلفي للجماعة المسيحية في أعوام غياب الوعي.

المسيح قام، وأقام حياتنا العقلية فيه.

الإيمان المسيحي وقضايا الغيب[1]

المسيحيةُ تاريخانيةٌ. أساسُها شخصٌ وُلِد مثلنا، وعاش معنا، وصُلِب، وقام.

تلك أحداثٌ مُطابقةٌ لواقعٍ تاريخيٍّ، سُطِّرت في "كتاب العهد الجديد". وأيٌّ من هذه الأحداث لم يكن مجردَ روايةٍ، أو خبراً أو خطاباً، أو تعبيراً عن فكرة أو مجموعة أفكار، بل وقائعُ حياةِ شخصٍ، جاء لكي يُعلن لنا حقيقة "الحياة الإلهية" في "حياته الإنسانية".

حُبِل به ووُلِد، لا حسبما نعرف عن كل إنسان، بل حسبما جاء هو لكي يُخبرنا به، ألا وهو "ولادة الإنسان" مرةً ثانيةً "من الله نفسه"، فصار ميلاده "المثال" الذي يجعل خبر ميلاده حقيقةً تُعاش، وهي عودة الإنسان إلى الله كآب لكل البشر، وهو ما صار يُشار إليه بالتبني في أسفار العهد الجديد، لا سيما في إنجيل القديس يوحنا، وبعض رسائل القديس بولس.

ومات يسوعُ مصلوباً، فأعلن من على الصليب رسالة الغفران، ليس بالنطق وحده، بل بقبول لصٍّ صُلِب معه، عُرِف في التقليد الكنسي باسم "ديماس"، أو اللص اليمين.

وقام في اليوم الثالث، فصارت القيامة هي "الاستعلان الحي"، وصارت بؤرة الإنجيل، هي الإنسان ودعوة الإنسان إلى أن يكون في "مُلك الله"، أو "ملكوت السموات"[2]، ودخول الإنسان إلى ملكوت السموات هو "تحوُّلٌ" وتجديدٌ لكيان الإنسان الذي نعبِّر عنه أحياناً باسم "القلب"[3]، وهو ما نراه في الكتابات

([1]) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٨ يناير ٢٠١٩.

([2]) باعتبار أن الاسم الآرامي القديم لله، هو "السموات"، حسب عبارة الرب يسوع نفسه في مثل الابن الضال أو الابن الشاطر: "أخطأت إلى السماء"، أي إلى الله. وأيضاً حسب تعبير الصلاة الربانية: "أبانا الذي في السموات ..".

([3]) "القلب" هو الاسم المصري القديم الذي يعبِّر عن الكيان الإنساني، حتى جاء أبوقراط واعتبر العقل هو محور الحياة الإنسانية، ولذلك كان المصريون في عملية تحنيط الموتى، يحفظون القلب وينزعون "المخ"، الذي كان وربما لا زال يمثل أهم

القبطية بالذات، حيث "القلبُ" هو "الشعور" "والعواطف" و"الفكر" التي تمتزج معاً لتكوِّن الوعي بالذات. ومن هنا جاء "معلم الحياة" ليقول: إنه هو "الحياة"، بل حسب الترجمة القبطية: "أنا هو الطريق إلى الحياة الحقيقية"، وليس مجرد "الطريق والحق والحياة"، وعلى ذلك صارت هذه الكلمات هي علامات الانتماء إلى الله والإنسانية معاً في آنٍ واحدٍ؛ لأن يسوع المسيح ليس مجرد إلهٍ فقط، ولا هو مجرد إنسانٍ فقط، بل هو الإله المتجسِّد الذي أعلن اتحاد الله بالإنسان في "شخصه"، لا في "كتابٍ" أو قول.

من هنا بالذات، صارت كلمة "الغيب" لا تنطبق بشكلٍ واضح على المسيحية الأرثوذكسية؛ لأن الإنسانَ ليس "غيباً"، بل هو "حياة كائنة" في الجسد، وفي تاريخ البشر الذي ينتمي اليه كل إنسان. وهكذا دخل الله دنيا الإنسان في شخصٍ عاش ولا يزال يعيش حيَّاً بسبب القيامة، التي جعلت تجسُّدَه حقيقةً أبديةً غلبت أهم معوقات الحياة، وهي الموت، بل وحتى الإيمان والاعتراف بالروح القدس، ومن ثمَّ بالثالوث نفسه، هو اختبارُ التمايز والوحدة. إذ صار الثالوثُ المثالَ الواضح لكل تمايُزٍ، بل واختلافٍ يجمعُ ولا يفرِّق، يوحِّد ولا يفصل. وصار دخولنا في الحياة الإلهية هو شركة في حياة الله نفسه: "ونحن ناظرين بوجهٍ مكشوف، نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها"، أي صورة يسوع نفسه بالتحول من "مجد إلى مجد"؛ لأن ما نراه يحولنا إلى حقيقة ما نراه، أي إلى ذات الرؤيا.

هذه السطور كانت محورَ حديثٍ مع صديقٍ ترك المسيحية إلى الإلحاد، بدعوى أن المسيحية تدعو إلى "مجموعة من الغيبيات" لا وجود لها إلا في عقول الداعين إليها. وعندما طُرِح موضوع الإنسان، وهو المحور الإنساني - الإلهي من ناحيتنا نحن؛ لأن الإنسان هو "صورة الله ومثاله"، وهو المحور الإلهي الإنساني، لأن اشراق الحياة الجديدة جاء بتجسد الابن الوحيد له المجد، صَمَتَ صديقي بعض الوقت، وقال إنه عندما كان يذهب إلى الكنيسة، كان يسمع مجموعة من

مقومات الإنسان حتى بعد أبوقراط، وكُتب الطب اليونانية التي سادت العالم القديم.

الأفكار والمُثُل الأخلاقية، ولم يكن لدى معظم الذين سمعهم أيُّ إحساس بأن محور رسالة يسوع هو الإنسان؛ لأن يسوع نفسه هو "ابن الإنسان"، أي بشر حقيقي، وهو معنى هذا اللقب الآرامي الأصل أيضاً.

الإيمان، والاعتراف بالله والإنسان معاً:

يُعد قانون الإيمان النيقاوي (٣٢٥-٣٨١) صيغة شاملة تبدأ بـ "خلق الإنسان"، وتنتهي بـ "قيامة الإنسان"، وهي: "الله الآب ضابط الكل خالق السموات والأرض .. نزل من السماء ... وتجسَّد ... وصُلِب وقام في اليوم الثالث ... وبالروح القدس .. وقيامة الأموات وحياة الدهر الآتي". وحياة الدهر الآتي ليست قضية "غيبية"، بل هي مُستعلنة في تجلي المسيح على جبل طابور، وفي رد الحياة للموتى وشفاء المرضى وتحرير الإنسان من سلطان الشيطان، وفك قيود الشر، وهو ما نعبِّر عنه أحياناً باسم "غفران الخطايا".

دار الحديثُ أيضاً حول مَن يُدعون مسيحيين بالاسم فقط، وقلت: لا يوجد مسيحي بالاسم إلا في الإطار الاجتماعي الذي ينتمي إليه كل بشر على وجه الأرض، أما في الواقع حسب الإيمان، المسيحي هو مَن يحيا تابعاً لنفس حياة ربنا يسوع المسيح.

هل الإيمان بأُلوهية يسوع هو إيمانٌ بقضية غيبية؟

بكل يقين لا، رغم أننا نرى في الحياة بشراً درسوا العهد الجديد وآمنوا بالمسيح. ولكن في داخل الكيان الإنساني نفسه، نجد التحول الذي قد يبدأ بتغير السلوك، ولكنه ينتقل إلى ما هو أسمى من السلوك الأخلاقي، إلا وهو الاتحاد بيسوع، وهو وما نراه في كتب قادة الحياة المستيكية شرقاً وغرباً من أنطونيوس الكبير في الشرق إلى إيكهارت في الغرب، وهم رهطٌ من الذين ارتحلوا من عالم المعرفة الواسع إلى حقيقة الاختبار الشخصي لذاك الذي هو أقربُ إلينا من

نبضات القلب، وهو الرب نفسه، الذي يشاركنا وجودنا، وقد جاء لكي نشاركه كيانه وحياته الإلهية المتجسدة.

ألوهية المخلص،
وخلق الإنسان على صورة الله[1]

تعقيبا على مقال "الإيمان والكتاب المقدس وموجة الإلحاد المعاصرة — ٢" وردًّا على طلب من أحد القراء بتوضيح جملة قد وردت بالمقال وهي "ألوهية المسيحِ ليست فكرة "غيبية"، فلا غياب ولا تطلع إلى ما وراء الطبيعة، بل هي **أولاً**: التعليم المتجذِّر في أن الإنسان هو صورة الله. وعلى ذلك فألوهية المسيح هي عودة إلى أصل الإنسان. وهي **ثانياً**: أشواقُ الإنسان إلى ما هو أعظم. فالجذر هو الإنسان كصورة الله التي تنمو الآن حسب صورة الله المعلنَة في الإنسان يسوع المسيح لكي تدرك ألوهيته."

وللتوضيح:

ما نُطلِق عليه اسم الغيبيات هو فكرة عامة لا يوجد لها شاهد من التاريخ، ولا يوجد لها حتى علامة أو رمز يؤكد وجودها.

ألوهية الرب يسوع لها ثلاث ثوابت:

١– خلق الإنسان على صور الله ومثاله، وهو خلق الإنسان بطبيعة روحية عاقلة تسعى إلى ما هو أعظم وأجمل وأكمل من الحياة البيولوجية العادية. الحياة السامية التي ترتفع إلى ما هو فوق الوجود البيولوجي، وهي الحياة العاقلة التي لها جذر إلهي، وهو حرية الاختيار ورغبة عارمة لدى الإنسان في أن يتجاوز الواقع الذي يحياه. وهو ما عبَّر عنه الإنسان بالغناء والشعر والموسيقى والفلسفة وسائر

---

(1) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٤ مايو ٢٠١٤.

العلـوم الإنسـانية الـتي تؤكـد أن الإنسـان يمتلـك قـدرة عقليـة جـاءت كهبـة مـن اللوغوس الخالق Logos. جاء اللوغوس نفسه لكي يعطي للحياة الإنسانية كمالها ويمـلأ الحيـاة العقليـة بمـا هـو جديـد وأفضـل؛ لأن الإنسـان حسـب تعبـير القـديس أثناسيوس هو "ظل الكلمة"، يتبع الكلمة مثل تبعية الظل للنور.

٢- في تطلع الإنسان إلى ما هو أجمل وأعظم وأكبر وأكمل، جاء تجسد الكلمة "والكلمة صار جسداً وسكن بيننا"، فصار وجود الكلمة في الجسد هو إشارة واضحة على أن ألوهة المسيح تُدرَك لا من نصوص، بل من الحياة الإلهية التي عاشها في الجسد لأنه جاء لكي يعلن لنا أبوة الله الآب من خلال حياته. وهنا بالذات، تؤكد الأرثوذكسية الحقة أن حياة الرب وتعليمه هما معاً فعل واحد لا يمكن فصله؛ لأن حقيقة الألوهة استُعلِنَت في المحبة والتواضع الذي جعل الكلمة يقبل حياةً جسدانية إنسانية ويرفع هذه الحياة من خلال وحدانية شخصه وتعليمه إلى معرفة ثابتة يقينية؛ لأن قبوله للإنسانية عبَّر عنه التجسد، ومحبته عبَّر عنها الصليب، وقوته استُعلِنَت في القيامة.

لذلك عندما نقول إن ألوهية الرب يسوع متجذِّرةٌ في حقيقة وجود الإنسان، فنحن نعني ذلك الوجود الذي لم تعد الفكرة تنفصل فيه عن الحياة، وهو ما جاء به تجسد الكلمة لأن انفصال الفكرة عن الكيان هو ما يسمى بالاسم العام لدينا وهو "السقوط"، فهو الشرخ الذي أصاب الكيان الإنساني، لكن المسيح رب الحياة جاء متجسداً، ولم يجيء بكتاب. وجاء معلناً الحياة بالوجود في الجسد؛ لأن الوجود الجسداني للإنسان هو وجود ثابت لا يمكن إنكاره.

٣- وهي دعوة المسيح لنا لكي نشترك في حياته حيث لا يمكن فصل التعليم عن الشخص، ولا يمكن فصل كلاهما عن الحياة الإنسانية في شكلها الضعيف والمريض والمنكسر، وفي دعوتها إلى حياة جديدة. يسوع دعا الإنسان لأن يكون إنساناً في "التطويبات"، وفي رد ثوابت الشريعة إلى القلب لا إلى الحرف، وفي البحث عن أهداف الوصية التي تسمو بالإنسان كإنسان، وهكذا ردَّ

المسيحُ إلينا إنسانيتنا؛ لأنه جاء لكي يجدد الصورة الإلهية التي فينا بالمحبة وبعمل إلهي مباشر. عودة الإنسان إلى صورة الله هي سر فرح الإنسان بالمطلق، ذلك المطلق الذي لا وجود له إلَّا في "الملكوت"، وفي شركتنا في حياة الثالوث. وقراءة دقيقة لإنجيل يوحنا/الإصحاح السابع عشر بالذات، تؤكد لنا أننا دُعينا إلى حياة جديدة هي حياة يسوع، وأن التعليم الذي جاء به يسوع هو الباب الذي منه ندخل إلى هذه الحياة الجديدة لكي نصبح فعلاً كل منا إنسان حقيقي وليس إنساناً مزيفاً يحيا حياةً فكريةً منفصلةً عن الكيان نفسه.

أخيراً: الحياة الإنسانية الخاضعة للشريعة أو الناموس هي حياة تحاصر الوجود الإنساني؛ لأن الإنسان يراقب ذاته دائماً: هل أنا طاهر ونقي؟ هل أنا خالفت الوصية؟ هل فعلت ما هو مطلوب مني؟ ولذلك ترد الشريعة الإنسان إلى كيانه المنقسم والقديم والساقط والمنكسر. لكن دعوة الإنجيل هي دعوة التحرر من الإنسان القديم أو العتيق، وهو ما دعانا إليه الرب باسم "جحد الذات"، أي رفض الحياة حسب مقاييس الحياة الآدمية الساقطة، أو ما أعطاه رسول الرب بولس اسم "الإنسان القديم" الذي يفسد بالغرور وبالشهوات.

وهذا ما كنت أقصده بجذر الحياة التي فينا "التي تنمو حسب صورة الله المعلَنة في الإنسان يسوع المسيح"؛ لأننا قبلنا ألوهية الرب من تجسده. وربما تحتاج هذه النقطة الأخيرة إلى إيضاح؛ لأننا نحشد نصوص الكتاب المقدس للدفاع عن ألوهية الرب وننسى أن هذه الألوهة معلَنة في تجسده.

صوت الكنيسة يقول:

"أخذ الذي لنا (أي الإنسانية) وأعطانا الذي له (أي حياته الإلهية المتجسدة)".

الاستحالة السرية، والاستحالة الجوهرية[1]

ردًا على مجلة الكرازة – العدد ٢٧ – ٢٨ – ٤ يوليو ٢٠١٤

كتب أستاذنا الكبير، والرجل النبيل د. موريس تاوضروس مقالًا يحاول فيه أن يُلصق تعليم الكنيسة الغربية الكاثوليكية بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ونحن نقصد تعليم الاستحالة الجوهرية *Transbstantiation*. والاستحالة الجوهرية مصطلح لاتيني اعتمد على فلسفة أرسطو التي تميِّز بين الجوهر والعَرَض، وهو التعليم الذي قبلته كنيسة روما في مجمع اللاتران الرابع في ١٢١٥، وقد سبق هذا التعليم كتابات رومانية، ثم عادت الكنيسة الكاثوليكية لتأكيد ذات التعليم في مجمع ترانت في ١٥٥١ في الجلسة ١٣ ضد تعليم حركة الإصلاح.

غياب تاريخ العقيدة المسيحية

ما يُحزن قلبي هو ما يُنشر في مصر في غياب كامل للخلفية التاريخية، وبالذات ذلك الفرع من العلوم اللاهوتية الذي يتصدر دراسة اللاهوت في أي معهد أو جامعة محترمة، وهو *History of Christian Doctrine* وقد صدرت دراسات جيدة جدًا لا تحتوي على أي اتجاه مذهبي باللغات الأوربية الحديثة. وقال لي صديق إن د. حنا الحضري أصدر دراسة عربية لتاريخ العقيدة، ولكني لم أطلع عليها.

والعودة إلى تاريخ العقيدة ضروري؛ لأن بعض الإجابات العقائدية كانت ردًا على أسئلة ومشاكل رعائية، وأخرى أثارها الهراطقة، فهي أي هذه الإجابات لم تنشأ من فراغ، بل لها تاريخ معروف يجعلنا قادرين على فهم:

([1]) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٥ يوليه ٢٠١٤.

أولًا: المصطلحات اللاهوتية التي سبقت عملية الحوار.

ثانيًا: ما نشأ من مصطلحات لاهوتية بسبب هرطقة أو سؤال.

لكن انعدام الجانب التاريخي يؤدي إلى الوقوع في فراغ يسير فيه الكاتب بلا هدى معتمدًا على الحس والمعرفة، وقد يكون هذا جيدًا، ولكن فقدان الجانب التاريخي يجعل أي بحث بلا أساس حقيقي.

مرحلة السبي البابلي

أطلق المطران يوحنا زيزيولاس هذه التسمية على الكتابات اليونانية التي استعانت بالنظام اللاهوتي الكاثوليكي الذي عرفه علماء اليونان بعد ترجمة الخلاصة اللاهوتية للعالم الكاثوليكي توما الإكويني مثل *Dyobounites* بل وأيضًا *Androutsos* وغيرهما من علماء القرن التاسع عشر، وأول العشرين، إلى أن جاء عصر التحرر من السبي البابلي من كتابات المعاصرين لنا مثل ***Christos*** ***Yannaras*** — ***P. Nellas*** وغيرهما من الذين أعادوا تراث الآباء الشرقيين، وأصرُّوا على استعادة كتابات الآباء باسم الرؤيا الجديدة ***Neo - Patristic*** وهو تعبير عن الأبحاث المعاصرة لنا التي نُشِرت في الـ ٥٠ سنة الأخيرة.

بالطبع، ترجمة المصطلح اللاتيني إلى اليونانية ليست مسألة شاقة. وتاريخيًا، كان أول مَن استخدم المصطلح في ثوبه اليوناني هو بطريرك القسطنطينية المعروف *Scholarius* جورجيوس، وكان أحد الذين اشتركوا في مجمع فلورنسا ١٤٣٩، وصار بطريركًا في ١٤٥٣ وله عظة بعنوان "الجسد السرائري لربنا يسوع المسيح"، نُشرت في مجموعة الآباء اليونانيين ١٠٩ عامود ٣٥١ — ٣٧٤ وهو أول مَن استخدم تعبير "μετουσίωσις" حيث يقول: "لأن تحول μεταβολή الجوهر οὐσις إلى جوهر جسد الرب ودمه مع بقاء الأعراض συμβεβηκότα للخبز والخمر، إذ تبقى أعراض الخبز والخمر بلا تغيير" (عامود ٣٥١).

وعن بطريرك القسطنطينية نشر غبريال ساويروس، وهو أسقف أُقيم على المدينة

القديمة فيلادلفيا في تركيا ١٥٧٧ شرحًا للقداس البيزنطي، واستخدم في هذا الشرح ذات المصطلح السابق، وهو دفاعٌ عن السجود أثناء القداس الإلهي نُشِر بعد ذلك مترجَماَ إلى اللاتينية ١٦٧١ في طبعة حققها *O. Richard Simon*.

لكن قبل مرحلة السبي البابلي، يجب العودة إلى روما، وبالذات الصراع الفكري اللاهوتي مع *Berngar* من *Tours* وكان تلميذًا لـ *Fulbert* وكلاهما درس مقالة *Ratramn* بعنوان "جسد ودم الرب". كان *Berngar* ولد في سنة ١٠٠٠ ودرس في كاتدرائية *Touros* وصار رئيس شمامسة في ١٠٤٠وهو الذي بدأ به الجدال وانتهى إلى تعبير الاستحالة الجوهرية.

كانت البداية هي عبارة *Berngar* بأن هناك اعتقاد عام خاطئ بأن "الجسد الذي يقدَّم يوميًا على المذبح ليس الجسد الحقيقي، ولا الدم الحقيقي، بل هو شبه ومثال" (الرسالة الأولى، مجموعة الآباء اللاتين، مجلد ١٦٣، عامود ١٢٨٩)، مما دعى الأسقف *Hugh* أسقف *Langres* أن يكتب إليه باعتباره صديقًا وتلميذًا درس معه في نفس الكاتدرائية: "إن طبيعة وجوهر الخبز والخمر تتغير؛ لأن إنكار هذا يعني أن جسد المسيح ودمه هو في العقل فقط كفكرة (وهو نفس تعليم الإنجيليين حتى الآن)". ولكن *Berngar* كتب رسالة إلى *Lanfrace* في ١٠٥٠ وقد صار بعد ذلك رئيس أساقفة كانتربري، محاولًا اقتباس عبارات من أمبروسيوس وأغسطينوس جمعها كاتب ايرلندي مشهور باسم يوحنا *Scot* وعُرِف باسم *Scotus Erigena* ولكن البابا لاون التاسع، وقد وصل الحوار إليه في نفس السنة، عقد مجمعًا في روما وأصدر فيه قرارًا بحرمان *Berngar* وتوالت الحرمانات بعد ١٠٥٠ في مجامع مكانية خارج روما في *Vercelli* وآخر في باريس، وثالث في *Tours* ورأس المجمع *Hildebrand* الذي صار بعد ذلك البابا غريغوريوس الثاني، وحضر *Berngar* المجمع، فقد حرصت كنيسة روما منذ إنشائها على ألَّا يُحاكَم أي شخص غيابيًا، وأنكر *Berngar* ما نُسِبَ إليه، وأن الخبز والخمر بعد التقديس هما جسد ودم المسيح الحقيقيان (السرد حسب التاريخ للمؤرخ *Witmund* في مجموعة الآباء اللاتين ١٤٩ عامود ١٤٨٧)، ولكن كانت هناك

هواجس لم تُقنع السلطات الكنسية.

فعقد البابا نيقولا الثاني في ١٠٥٩ مجمعًا في روما حضره *Berngar* وفيه وقّع على وثيقة خطية تقول: "أنا *Berngar* خادم كنيسة القديس موريس في Augers اعترف بالإيمان الحق الكاثوليكي الرسولي وأحرم كل هرطقة، وبالذات تلك التي جلبت عليَّ سمعة سيئة ... أؤكد أن الجسد الحقيقي ودم ربنا يسوع المسيح والذي تعاينه الحواس *Sensualirer* ليس فقط مجرد سر *Sacrament* بل حقيقة تمسك بها أيدي الكهنة، وتؤكل بواسطة أسنان المؤمنين" (الآباء اللاتين، مجلد ١٥٠: ٤٠٩ – ٤١١).

ولكن لا نعرف تاريخيًا لماذا لم يقف الجدال عند هذا الحد، إذ عُقد مجمع آخر ١٠٦٣ في مدينة *Rouen* لمحاربة تعليم *Berngar* وتم في هذا المجمع بالذات صياغة فتحت الباب أمام تبني تعليم الاستحالة الجوهرية، وهذا هو نص قرار المجمع:

> "نؤمن بكل القلب ونعترف بالفم أن الخبز الذي يوضع على مائدة الرب هو خبزٌ للتقديس، وأنه بعد التقديس يتحول بقوة فائقة إلهية إلى ذات طبيعة وجوهر الجسد، وهو ليس جسدًا آخر، بل هو نفس الجسد الذي حُبِلَ به بالروح القدس، وولد من مريم العذراء، وأنه هو لأجلنا ولأجل خلاصنا جُلِد وعُلِّقَ على الصليب، ودُفِنَ في القبر وقام في اليوم الثالث من الأموات، وأنه يجلس عن يمين الله الآب. ونفس ما ذكرناه الخمر الذي يُخلَط بالماء ويُوضَع في الكأس يُقدَّس ويتحول إلى الدم الذي سال من الجنب الجريح عندما طعنه الجندي بالحربة من أجل فداء العالم" (تاريخ المجامع Hardouin مجلد ٤: ١١٤١ – ١١٤٢).

وكان آخر قرار هو الذي صدر في المجمع الذي عُقد في روما ١٠٧٩ تحت رئاسة البابا غريغوريوس السابع ووقع فيه *Berngar* على آخر صيغة إيمان، ورد فيها نصًا:

> "أنا Berngar بكل قلبي واعترف بلساني أن الخبز والخمر اللذان يوضعان على المذبح في السر وبالصلوات المقدسة وبكلمات الفادي تتحول جوهريًا إلى جسده الحقيقي الواهب الحياة، وإلى دم ربنا يسوع المسيح" (تاريخ المجامع Hardouin مجلد ٤: ١٥٨٣).

ومع أن علماء اللاهوت تحفَّظوا على تعبير الاستحالة الجوهرية بعد ذلك، واكتفوا بالإشارة إلى تحول الخبز والخمر، لكن فلسفة أرسطو صارت أحد مكونات اللاهوت النظري *Syctematic* ومع ذلك لم يتراجع البعد السري *Mystical* إلى أن عُقد مجمع اللاتران في ١٢١٥ تحت رئاسة البابا أنوسنت الثالث، وصاغ المجمع هذه الصيغة التي استقرت بعد ذلك كتعليم رسمي في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية:

"في هذه الكنيسة، المسيح نفسه هو الكاهن والذبيحة، وجسده ودمه حقًا في سر المذبح تحت أعراض الخبز والخمر، الخبز تحول جوهريًا إلى جسد الرب والخمر إلى دمه بقوة الله" (المرجع السابق مجلد ٧: ١٥ - ١٨).

تعليم آباء الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية

لم تذكر مصادر القون الثلاثة الأولى شيئًا عن تحول الخبز والخمر، وذلك لسببين:

الأول: ندرة ما كُتِبَ عن سر الشكر.

الثاني: لم تكن الكنيسة تعلن التعليم الخاص بالأسرار ، وهو ما عُرِف بـ "التسليم السري"، حتى لا يتحول إلى مادة للهجوم على الإيمان.

وحتى الآباء المدافعون مثل الشهيد يوستينوس، ذكر العشاء الرباني بشكل عام دون أن يدخل في التفاصيل.

جاءت شذرات عابرة في الرسائل الفصحية للقديس أثناسيوس الرسولي دون تفاصيل أو حتى أي شرح، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

"نحن لا نأتي إلى عيد أرضي -يا أحبائي- بل عيد سمائي وأبدي، ولا نحتفل به في ظلال ولكن بالحقيقة. لقد امتلأ اليهود من لحم الغنم غير العاقلة عندما يحتفلون بالعيد (عيد الفصح)، ودهنوا قوائم الباب بالدم لعبور الملاك المهلك، ولكننا نحن الآن نأكل اللوغوس الذي من الآب، وقوائم قلوبنا تُختَم بدم العهد الجديد معترفين بنعمة المخلص التي أعطاها لنا" (رسالة ٤: ١).

"نحن نأكل من طعام الحياة ونعطش دائمًا، وتفرح نفوسنا دائمًا كما من ينبوع، بدمه الثمين" (رسالة ٥: ١).

"لنستعد لكي نقترب من الحمل الإلهي، ونلمس الطعام السمائي" (رسالة ٥: ٥).

أمَّا في تعليم الموعوظين للقديس كيرلس الأورشليمي[١]:

"الخبز والخمر في الإفخارستيا قبل استدعاء الثالوث القدوس المسجود له هما خبز وخمر بسيط λιτός ولكن بعد الاستدعاء، يصبح جسد المسيح والخمر دم المسيح" (عظة ١٩: ٧).

ويقول في العظة ٢١: ٣:

"احترسوا من أن تظنوا أن زيت الميرون هو زيت عادي ψίλον لأنه كما أن خبز الشكر بعد استدعاء الروح القدس لم يعد خبزًا عاديًا λιτός بل جسد المسيح، ويصير عطية نعمة المسيح بحلول الروح القدس عليه صالحًا لأن يعطي ألوهيته ...".

وحتى التعبير اليوناني الذي استخدمه القديس غريغوريوس النيسي لا يؤدي إلى الاستحالة الجوهرية، حيث يقول:

"لأن الروح يقدس جسد الذي يعتمد، وكذلك مياه المعمودية ... والخبز قبل التقديس هو خبزٌ عادي، ولكن بالتقديس السرائري يصبح كما ندعوه نحن أيضًا جسد المسيح ... هذه القوة غير المنظورة والنعمة التي فيها تحوله μεταμορφωθεις إلى ما هو أعظم" (الآباء اليونانيين، مجلد ٤٦: ٥٨٤).

وأيضًا القديس كيرلس السكندري في شرح إنجيل يوحنا ٣: ٥ يتحدث عن تحول الماء في المعمودية لأن الروح القدس حول الماء إلى قوة إلهية، واستخدم كلمة αναστοιχείούται.

أمَّا السكين العقلية أو النطقية، وهي الكلمات التي وردت في صلواتنا القبطية، يقول عنها غريغوريوس النيزينزي في الرسالة ١٧١ إلى أمفلوخيوس:

([١]) استخدم القديس كيرلس الأورشليمي تعبير μεταβέβληται في العظة ٢٣: ٧ "لأن ما يقدسه الروح القدس حقًا يُقدَّس ويتحول".

"لا تهمل الصلاة والتشفع لأجلنا لأنك بالكلمة تستدعي اللوغوس، وبسكين غير دموية تقسم جسد الرب وتوزع دمه؛ لأن صوتك هو هذه السكين".

وإذا عدنا إلى معلم المسكونة الحقيقي القديس كيرلس عمود الدين في شرح إنجيل لوقا ٢٢: ١٩، النص اليوناني، مجلد ٧٢: ٩١٢، نجده يقول:

"كان ضروريًا لنا أن يكون (المسيح) فينا بالروح القدس بتدبير إلهي كي ما تمتزج أجسادنا بجسده المقدس ودمه الكريم الذي نتناوله في البركة المعطية الحياة في الخبز والخمر، ولكي لا نُصاب بالرعب والشلل بسبب رؤيتنا جسد ودم على المائدة المقدسة في الكنائس يتنازل الله إلى ضعفنا ويرسل قوة الحياة إلى (الخبز والخمر) ويحولهما μεθίστησιν إلى قوة ενεργεία جسده الخاص لكي نتناوله كواهبٍ للحياة، ولكي يعطي لنا جسدُ الحياة، حياةً، ويبقى فينا بذرةٌ واهبة الحياة".

وفي نصٍّ فريد عن العشاء السري (مجلد ٧٢: ١٠٢٨ - ١٠٢٩) يقول القديس كيرلس:

"إذا كان جسد الله يعطى لنا، وهو هنا الإله الحق والمسيح والرب وليس مجرد ψιλός إنسان أو ملاك كما يدَّعي (الهراطقة) أو واحد من الأرواح المخلوقة. وأيضًا إذا كان ما نشربه هو دم الله فهو ليس فقط مجرد إله، بل أحد الثالوث المسجود له وابن الله نه الكلمة المتجسد ...".

لماذا نرفض الاستحالة الجوهرية، ونتمسك بالاستحالة السرية؟

١- يبدو بشكل سطحي أن التمييز بين الجوهر والعَرَض هو تعليم بريء غير ضار، ولكن الحقيقة هي غير ذلك؛ لأن الجوهر فلسفيًا هو ما يكوِّن الوجود أو الحياة. وجوهر الإنسان هو النطق — العقل — الإرادة — الفهم، وليس الجسد، ولا شكل الجسد مثل طول القامة أو لون الجلد أو أية خصائص جسدية.

والإيمان بالتجسد لا يقبل أن يقع رب الحياة تحت هذا التقسيم الأرسطوطاليسي، فليس في المسيح جوهرٌ وعَرَض، بل هو الإله واهب الحياة. عندما تجلَّى على جبل طابور كانت ملابسه تسطع بنورٍ يفوق نور الشمس -هذا

عند أرسطو عَرَض- وعندما تفل على الأرض وصنع من التفل طينًا وطلى عيني الأعمى، أبصر الأعمى -هذا عند أرسطو عَرَض. والجروح التي ظلت في جسده بعد القيامة ليست "عَرَضًا"، بل نحن نقول في صلواتنا: "لكي نضيء بشكلك المحيي" (القداس الكيرلسي). ولقد رفضت التقوى الأرثوذكسية أن تصف جسد المسيح بكلمة "جزء"، بل وصفته بـ "جوهرة"، وهي ليست من "الجوهر"، بل تعني بها ما هو ثمين، ولذلك نقول إن أصغر جوهرة هي جسد الرب، وكل نقطة من الكأس بعد التقديس هي دم المسيح.

٢- الأجساد البشرية كلها مزيَّفة. فقد زيَّفها الموت، ودخلت عليها قوة الخطية، ولم يعد في التاريخ البشري جسدًا حقيقيًا إلَّا جسد يسوع: "جسدي مأكلٌ حق، ودمي مشربٌ حق". والحق هنا لا يمكن أن ينقسم إلى جوهر وعَرَض، لأن جسدنا الترابي هذا — في أطول نص في العهد الجديد شغل ١ كور ١٥ كله، يتحول إلى جسد سمائي روحاني، وهو لا يفنى؛ لأن كل الأعراض الجسدية: الطول والوزن ...إلخ حسب أرسطو، تتحول بسرٍّ لا ندركه الآن، فلا يفنى الجسد. وما يزرع قوة القيامة التي فينا هو سر الشكر حسب النطق الإلهي: "وأنا أقيمه في اليوم الأخير". ولذلك -حسب الترجمة القبطية للصلاة الربانية- الإفخارستيا هي "خبزنا الذي للغد"؛ لأن الغد هو القيامة، وهو صدى لأقدم شرح للصلاة الربانية للعلَّامة أوريجينوس.

٣- لم يكن الرب يسوع يحيا حياةً حسب الجوهر، ولها صفات عَرَضية؛ لأن حتى المرأة نازفة الدم، لما لمست هُدبَ ثوبه، "شُفِيَت"؛ لأن قول الرب "قوة خرجت مني" صارخٌ في الآذان أن حياةً واحدة لا تنقسم فلسفيًا، وبالتالي لا يقسَّم السر نفسه، سر اتحادنا بالمسيح.

٤- وتشديد الآباء على أن الخبز والخمر بعد استدعاء الروح القدس، ليسا مثل أي خبز أو خمر، بل صارا جسد الرب ودمه، يؤكد لنا أن التحول يبدأ أولًا في المعمودية والميرون؛ لأننا في صلاتنا نطلب تحول الموعوظين إلى أبناء النور، أبناء

الحق، ويسأل الكاهن: "حولهم – ابدلهم". فالانتقال إلى ملكوت الله، هو تلك الرؤيا المستيكية التي يتم فيها تحول المياه إلى قوة خالقة تلد الإنسان، وتقدس الميرون، وتنقل الخبز والخمر حسب استدعاء الروح القدس في القداسات الأرثوذكسية التي حرصت على استخدام تعبير: "ليصيرا". وحسب النص اليوناني بعد استدعاء الروح القدس

"καί ποίησον τόν μέν άρτον, τίμιον εώμα τού χριστού σου

واجعل هذا الخبز جسد مسيحنا".

٥– ولعل غياب تعبير "الاستحالة الجوهرية" من القداسات الأرثوذكسية، يجعلنا ندقق في ألَّا نعلِّم بشيء لا وجود له في التسليم الكنسي؛ لأن فاعلية حلول الروح القدس –حسب صلواتنا القبطية– هي: "اظهره قدسًا لقديسيك"؛ لأن ما يُستعلَن في الإفخارستيا هو جسد الرب، وليس حسابًا عقليًا أو تحليلًا فلسفيًا. ولم يكن أرسطو في العلية ليلة تأسيس السر لكي يحكم على العطية الإلهية بأنها حسب الجوهر، وشكلها عَرَضي. ولعل في عبارة الرب يسوع نفسه: "أنا هو خبز الحياة" (يو ٦: ٣٥، ٤٨، ٥١)، و "الخبز الذي أنا عطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم" (يو ٦: ٥١)، نقول لعل في هذه العبارة القول الفصل.

فلا ثنائية بين الخبز والخمر، وبين المسيح رب الحياة. وخبز الحياة هو يسوع، كما أن يسوع هو خبز الحياة، وعلينا أن نحذر الانقسام الفكري؛ لأنه يضعف محبتا للعطية الإلهية.

أرجو أن نتحرى الدقة التاريخية.

الاستحالة السرية، واسترداد الوعي السرائري المستيكي[1]

رسالة الأخ ديفيد -تعليقًا على مقالنا عن الاستحالة السرية والاستحالة الجوهرية- تبعث شجونًا قديمة في القلب. نحن لا ننكر أن للحواس الخمس دورًا أساسيًا معرفيًا في حياتنا الإنسانية. كان أستاذنا الدكتور وهيب عطالله يردد دائمًا بأن نقطة البدء ليست دائمًا فلسفية. ونقطة البدء هي بقاء شكل وطعم الخبز والخمر بعد التقديس، وهذه حقيقة تدركها الحواس بالنظر والذوق معًا. لعل الجيل المعاصر لنا لم يدرك التسليم الكنسي والليتورجي؛ لأن إقامة هذا العدد الكبير من الأساقفة والقساوسة دون تسليم من شيوخ الكنيسة لا يقل ما قضوه في الرهبنة عن ٥٠ سنة، كان هو السبب المباشر في ضعف الحياة الليتورجية.

إذا عدنا إلى التسليم الليتورجي نفسه -كما ورد في صلوات القسمة- نجد أن صلاة قسمة القداس الغريغوري تسلِّمنا الحقيقة الكنسية التالية:

"مباركٌ أنت أيها المسيح ضابط الكل مخلص الكنيسة. أيها الكلمة الناطق والإنسان المنظور. الذي من قبل تجسدك غير المدرَك أعددت لنا خبزًا سمائيًا جسدك المقدس، هذا السري **ⲟⲩ ⲙⲩⲥⲧⲏⲣⲓⲟⲛ** والمقدس في كل شيء (دائمًا). ومزجت لنا كأسًا من كرمةٍ حقيقيةٍ التي هي جنبك الإلهي غير الدنس. هذا الذي بعد أن أسلمت الروح، فاض لنا منه دمٌ وماء، هذان الصائران طهرًا لكل العالم".

وفي ذات التسليم تقول صلاة قسمة يا حمل الله:

"من كأس دمك نشرب. أعطنا مذاقة روحية لنذوق أسرارك المحيية (لنستطعم

[1] مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٤ أغسطس ٢٠١٤.

مذاقة أسرارك الروحية)؛ لكي بذوق جسد (لحمك) نؤهَّل لذوق نعمتك. وبشرب دمك نؤهَّل لحلاوة محبتك. وهبت لنا أن نأكل لحمك علانيةً. أهِّلنا للاتحاد بك خفيةً ... وهبت لنا أن نشرب من كأس دمك ظاهرًا. أهِّلنا أن نمتزج بطهارتك سرًا ...".

خلف هذه الصلوات، ربما اختفى عن إدراك القارئ المعاصر لنا أن هناك قصة قديمة عن "انفتاح العيون". حدثت أولًا بعد الأكل من شجرة معرفة الخير والشر، إذ يذكر سفر التكوين: "انفتحت أعينهما وعرفا أنهما عريانان" (تك ٣: ٧)، وكان هذا هو أحد جوانب المعرفة التي اختلط فيها الخير والشر، وانفتح إدراك آدم وحواء معه إلى حقيقة الوجود بدون شركة. لكن بقية القصة -ولها بقية هامة- هي في لقاء رب الحياة بعد القيامة مع تلميذي عمواس، إذ يذكر القديس لوقا أن الرب "اتكأ معهما. أخذ خبزًا وبارك وكسر وناولهما، فانفتحت أعينهما وعرفاه ثم اختفى عنهما" (لو ٢٤: ٣٠ - ٣١). فقد لمست قوة الحياة التي للمخلص إدراك التلميذين، وانفتح الإدراك، ولاحظ عزيزي القارئ قوة التعبير، إذ أن انفتاح العيون جاء بعد الكسر والتناول.

إذا عدنا إلى الصلوات الليتورجية في قداسي غريغوريوس وكيرلس، وجدنا إشارة ذات دلالة عن "المذاق"، وبالتحديد التناول، هي:

* ذوق النعمة
* حلاوة محبة الرب
* الاتحاد الخفي أو السري
* الامتزاج بطهارة الرب، أو بالحري، قداسته سرًا

فما يحدث للحواس بعد المعمودية، هو ذلك الانفتاح الذي يناله الكيان الإنساني في سر مسحة الميرون الإلهي، وهو رشم العينين والفم والأنف واليدين، وقبل ذلك رشم الرأس. فختم أو رشم الحواس هو بداية تقديس الحواس لكي تنال بقوة وعمل الروح القدس، الارتفاع إلى معرفةٍ أعظم بكثير من المعرفة التي تأتي عن طريق الحواس. وعندما يسخر أحد الأخوة الإنجيليين من رشومات الميرون، ويدَّعي

أنه يأخذ الروح القدس مباشرةً من الله، فنحن لا ننكر أن الله هو الواهب والعاطي بشكل مباشر، ولكن الذي غاب عن الوعي هو أن العطية هي لتقديس الحواس الجسدانية؛ لأن الروح القدس يعمل في القلب وفي كل أعضاء الجسد، وإلَّا ما معنى عبارة رسول المسيح بولس بأن الجسد هو هيكل الروح القدس الساكن فينا؟ (راجع ١ كور ٦: ١٩).

عمل الروح القدس في انفتاح العينين

سبق تلك العطية إرهاصات كثيرة في معجزات الرب، وهي شفاء المولود أعمى (يو ٩: ٦ وما بعده)، وفي خدمة التلاميذ قبل صعود الرب "ارفعوا عيونكم" لكي تروا الحصاد في الحقول (يو ٤: ٣٥)، ورد البصر إلى شاول، بل حتى في إقامة طابيثا، إذ فتحت عينيها (أع ٩: ٤٠). والعيون التي لا ترى عمل الله (رو ١١: ٨) هي عيونٌ فَقَدَ صاحبها الإدراك (رو ١١: ١٠). لكن استنارة الإنسان يطلبها رسول الرب إلى كنيسة أفسس "لكي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته، مستنيرةً عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات ..." (أف ١١: ١٧ – ٢٠). فالنور الإلهي يشرق بمعرفةٍ جديدةٍ جدًا "لأن الله الذي قال أن يُشرق نورٌ من ظلمةٍ هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح" (٢كور ٤: ٦).

والسؤال الهام، هو ما هي علاقة رؤية العينين بالقلب؟

انشطار المعرفة في الإنسان يعود أصلًا إلى الخلقة الساقطة، ولكن فداء وتقديس الإدراك هو أحد مكونات الخلقة الجديدة، ولذلك، لا بُد وأن يشرق "نور معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح". هذا الإشراق يحول الرؤيا المنظورة إلى إدراك ما هو غير منظور. ولكي نترك العموميات التي أفسدت الحياة الروحية في التعليم يجب أن نقدم مراحل تدرج المعرفة الإنسانية غير المنقسمة:

* الوجه العابس الغاضب هو ملامح منظورة، ولكن ما هو خفيٌّ في القلب والعقل، يدركه الإنسان دون شرح وبلا حاجة إلى تجاوز المنظور؛ لأن ما هو منظور معروفٌ بدلالته العقلية أو القلبية.

* الجمال لا يحتاج إلى برهان يثبت وجود؛ لأنه ظاهر، ومع أننا قد نختلف على أشكال الجمال وأنواعه، إلَّا أن إنكاره مستحيل تمامًا لأن فيه "مسحة سرية تُعيد إلينا نسمات الفردوس"، فهو، أي الجمال يقود الإنسان إلى ما هو غير منظور مثل الإعجاب والفرح، وقد يقود أيضًا إلى تحريك الغرائز، ولكن هذه ليست مسئولية الجمال، بل ما اختزنه القلب والذاكرة من ذكريات وخبرات قديمة تختلف من إنسان إلى آخر.

* ما هو منظور ليس فقط منظور، بل يحمل دلالات داخلية تدركها الحواس أولًا ويفهمها العقل مثل إشارات المرور في الشوارع أو رموز الأندية ...إلخ

إن ما حدث مع تلميذي عمواس له خلفية، وهي أن كلاهما عرفا الرب من كسر الخبز والتناول من الخبز؛ لأن يسوع الحي كسر الخبز، وهناك ملامح غابت من السرد نفسه، ولكنها معروفة، فقد رأى التلميذان جروح اليدين وسمعا كلمات الشكر التي تسبق كسر الخبز، وهي الممارسة اليهودية القديمة السابقة على ميلاد رب المجد يسوع، ولكن الأهم هو ما يسجله لوقا بأن القلب كان "ملتهبًا"، فقد اشتعل بنور ونار الروح القدس، فأدرك كلاهما أن ذلك الشخص الذي "أُمسكت أعينهما عن معرفته" هو الرب يسوع نفسه. وإمساك العينين هنا هو تعبير عن انغلاق الحيرة وعدم اليقين، إذ أن كلاهما لم يصدِّقا بشارة النساء بالقيامة، وكان الموت المرعب على الصليب لرجلٍ كان هو محط الرجاء بأنه جاء لكي "يفدي إسرائيل" من حكم الرومان، ولكنه مات ولم تقم الثورة المسلحة التي كان كلاهما يتوقعانها. هذا هو "انغلاق العينين"، الفكر الذاتي الذي حدد خدمة المسيح بشكل سياسي مثل داود وشمشون والقضاة السابقين، ولذلك عندما لم تتم هذه الخدمة بالشكل المطلوب، فَقَدَ الإدراك رؤية الرب الذي تظاهر بأنه ذاهبٌ إلى قريةٍ أبعد،

ولكن حلول مساء اليوم ألزمهما بتقديم واجب الضيافة لأن هذا الواجب هو واجب ديني وأخلاقي كان يلتزم به أي يهودي في زمان الرب يسوع. على أن انفتاح العيون، سبقه التعليم من موسى والمزامير والأنبياء. هنا نجد أصول الليتورجية في شكلها البدائي القديم: التعليم، ثم السر الكنسي، أي قداس الموعوظين ثم قداس المؤمنين؛ لأن ذلك لم ينشأ من فراغ، بل من اختبارات الآباء الرسل.

هل غاب من الوعي المعاصر أن يسوع ربنا هو الذي يعطي جسده ودمه؟

أرجو أن تكون إجابة السؤال واضحة جدًا، وهي أن التسليم الليتورجي يقول إن يسوع المسيح هو الكاهن الوحيد والأوحد الذي منه تنال الكنيسة هذه الخدمة، هو الذي يشكر ويبارك ويقدس ويقسِّم ويعطي، وقد سجَّل لنا القداس الغريغوري بشكل أوضح هذه الحقيقية.

إذا عدنا إلى الحواس الخمس، وأدركنا أن لدينا "حِسًّا" روحيًا، ربما يمكن وصفه بالحاسة السادسة، كان أستاذنا د. وهيب عطاالله يسميه بـ "الحدس، أو *Intuition*"، هو أحد جوانب الاستنارة الروحية.

و"الحدس" هو إدراكٌ فوري لا دخل للحواس الخمس فيه، وكلنا لديه هذا "الحدس" عندما يشرق نور معرفة أشياء كثيرة كانت غامضة، وأمور رأيناها ولم نفهمها في وقتها مثل استنارة القلب في فهم كلمات الوحي، قال عنها الأب متى المسكين إن فهم أقوال الرسل فهمًا صحيحًا يجعلنا في ذات مستوى معرفة الآباء الرسل؛ لأن الروح القدس هو نفسه الذي يعمل في كل أعضاء الجسد الواحد، جسد المسيح الكنيسة.

حسب التسليم الليتورجي، يقدم لنا رب المجد جسده ودمه، وحسب الخبرة الإنسانية العادية، كل طعام نأكله مع صديق أو حبيب ينال بُعدًا شخصيًا. وعندما يقدم لنا شخصٌ له مكانة كبيرة في قلوبنا، ولو قطعة خبز أو ملعقة سكر،

فإننا نأخذها بورعٍ ومحبة، وأحيانا بخشيةٍ مقدسة؛ لأن مع التقديم، تُستعلَن المحبة والألفة والشركة، ولا تبحث الحواس في حجم أو حتى طعم ما يقدَّم لنا لأن المحبة والشركة تطغى على ما هو تحت الحواس الخمس، إذ ندرك بـ "الحدس"، تلك الإلفة والرقة والحنان التي تملأ القلب.

من هذا الواقع الحي الإنساني، ندرك لماذا تحرص صلاة استدعاء الروح القدس على أن تحتوي على هذه الطلبات:

"نسجد لك بمسرة صلاحك. ليحل روحك القدوس علينا،

وعلى هذه القرابين

ويطهرها

وينقلها

ويظهرها

قدسًا ϵⲩⲟⲩⲁⲃ

لقديسيك".

قبل حلول الروح القدس على القرابين، يحل على المؤمنين. والتطهير هنا هو ما تشرحه الكلمات التالية، هو النقل من الخلقة الأولى القديمة، وهو ما سبق الآباء مثل كيرلس الأورشليمي، وغيره (راجع المقالة السابقة)، وأكدوا عليه بأن الخبز لم يعد خبزًا بسيطًا أو عاديًا مثل أي خبز، ولكن الأهم هو الاستعلان، الذي تعبِّر عنه الصلاة بكلمة "يُظهرها"، والكلمات التالية موجزة وكثيفة جدًا، فالقرابين هي قدسٌ للقديسين؛ لأنها قوة وعمل روح التقديس، أي قداسة الروح القدس الواحدة التي لا تنقسم، وإنما يتعدد عملها، فلا انقسام في الروح؛ لأنه الروح الواحد (١كور ١٢ كله)، رغم تعدد الأعمال وتوزيع العطايا والمواهب. فذلك التقديس الذي أُعطي لنا، والذي نالته العيون في أختام الميرون وسائر أعضاء الجسد يتفاعل بشكل سري يدركه كل واحد منا حسب محبته وحسب احتماله ونموه.

الرؤيا السرائرية

الإيمان هو دعوة لأن نحيا ليس حسب المعارف الحسية، ولذلك كانت نقطة البداية التي حذرنا منها في السطور الأولى من هذه الدراسة المختصرة، هي تلك المتعلقة بتحكم الحواس كالنظر والذوق في الإدراك. على أن الإدراك و"الحس" الروحي لا يرفض الحواس مطلقًا، وهذا واضح في الأمور اليومية مثل القراءة أو الكتابة أو قيادة السيارات التي تحتاج إلى جانب الحواس، إلى تقدير عقلي للمسافة والسرعة واكتشاف مقاصد السائقين. كما أننا اعتدنا عندما نقرأ، ألَّا نقف عند الحروف والكلمات، بل تتحول تلك الحروف والكلمات إلى معاني.

كتب مقاتلو "داعش" على منازل المسيحيين في المناطق التي سيطروا عليها في العراق حرف الـ "نون"، فصارت الـ "ن" تعني نصراني، وصار الحرف دالًا على العداء.

ولذلك يجب أن نستعيد الجانب المستيكي للتناول؛ لأننا "نتغذى باللوغوس الذي يعطي جسده الحقيقي"، وقد غابت فكرة "طعام الخلود"، رغم وجودها في الألحان القديمة التي لازال بعضها يُرتَّل –ليس دائمًا– بل سجَّل بعضها خولاجي القمص عبد المسيح المسعودي، وحفظت صلاة الشكر بعد تناول الأسرار المعنى القديم:

"نشكرك يا أبانا القدوس خالق الكل ورازق الجميع الذي أعطانا هذا الطعام المقدس غير المائت السري (لاحظ أن العبارات التالية تسلِّم لنا معنى الفداء)
– الذي فتح لنا طريق الدخول التي للحياة.
– الذي أرانا طريق الصعود إلى السموات" (القداس الغريغوري).

وتضيف صلاة الشكر بعد التناول في القداس الكيرلسي:

"لأنك فيما نحن مطروحون لحكم الموت ومغموسون في حفرة خطايانا
– أنعمت علينا بالحرية
– أعطيتنا من هذا الطعام غير المائت السمائي
– أظهرت لنا جميع هذا السر المخفي".

الأسرار غير المائتة السمائية الإلهية

هذه هي أوصاف الخبز السمائي الذي نأخذه. فنحن لا نأكل طعامًا من ثمار الأرض، بل الطعام الذي "نُقِلَ" ودخل ملكوت السموات وصار طعامًا إلهيًا. وإذا كان لدينا الحس الروحي بأن المسيح يسوع الكاهن العظيم هو الذي يوزع علينا جسده ودمه "يا الذي أعطى تلاميذه القديسين في ذلك الزمان أعطنا نحن أيضًا"، فإن الإحساس الروحي الذي يعطيه الروح القدس يجعلنا ندرك أن الرب يعطي ذاته ويقدم لنا حسب عبارة الشهيد أغناطيوس الأنطاكي "طعام الخلود وترياق عدم الموت".

لقد فُصِلت القيامة عن الإفخارستيا، رغم أن الترتيب الليتورجي الذي فيه نستدعي الروح القدس، والذي فيه وبه أيضًا الرب عند المذبح أو المائدة (لا فرق لاهوتي بالمرة بين اللفظين)؛ لأن الرب يقول: "أنا هو خبز الحياة"، وبعدها: "الخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي أبذله عن حياة العالم"، بل هو ليس خبزًا عاديًا، بل لاحظ دقة إنجيل يوحنا: "أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن اكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد والخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي أبذله عن حياة العالم" (يو ٦: ٥١). والخبز الحي لا يختلف عن استعلان يسوع "أنا هو القيامة والحياة" (يو ١١: ٢٦).

نحن نقابل الرب يسوع المسيح الأقنوم الثاني في الليتورجية لكي نشترك في حياته، في قوة قيامته وشركة آلامه: "آمين. آمين. آمين. بموتك يا رب نبشر وبقيامتك المقدسة وصعودك إلى السموات نعترف". يسبق هذا الاعتراف، استدعاء الروح القدس؛ لأننا دخلنا مجال الشركة الإلهية التي لا تقوم على إدراك حسي من الحواس، بل إدراك حسي من الاستنارة.

طبعًا، لا يمكن للحواس النابعة والتي تعمل للخلق الأول الذي لازالت قوته وعمله، أن تفهم وتستوعب السر حسب إدراك النظر والذوق، ولكن خلف النظر يوجد الحضور الإلهي لعمانوئيل خادم وموزع الأسرار. وخلف حاسة الذوق نجد

العطش إلى محبة الرب التي تجعلنا نذوق السرائر كطعام خلود "يُعطى عنا خلاصًا وغفرانًا للخطايا وحياةً أبدية لمن يتناول منه".

لماذا نرفض الاستحالة الجوهرية؟

يبدو أن المقالة الأولى لم تكن واضحة بدرجة كافية، ولكن بعد تقديم التسليم الكنسي الذي حفظته الليتورجية، فإن التعبير "تحت أعراض الخبز والخمر" معناه الحقيقي هو خضوع السر الإلهي الفائق للحواس الخمس، وبالتالي نسيان حتى الحاسة السادسة أو الحدس. وخضوع السر لهذا التعريف *Definition* المتأخر جدًا هو تنازل كبير عن تراثنا المستيكي؛ لأن:

- طعام الخلود
- الأسرار غير المائتة
- واهبة الحياة الأبدية
- غفران الخطايا
- ميراث الملكوت

وعندما يقول القداس الغريغوري: "الذي أرانا طريق الصعود إلى السموات"، فإننا مع رسول الرب: "أجلسنا معه في السماويات" (أف ٢: ٦)، عند ذلك يجب أن نتمسك بما هو سمائي، حيث لا جوهر ولا عَرَض، وحيث تستنير الحواس وترتفع إلى ما هو سمائي في المسيح، وليس بمحاولة قتل الحواس، بل بتجلي الحواس بنور الرب؛ لأن استنارة العين تفتح الإدراك لترى "الخلقة الجديدة" التي لا زمن فيها ولا مسافات ولا موت، بل الحياة الأبدية التي أعطاها لنا الآب في ابنه يسوع المسيح، حياة غير مخلوقة؛ لأن "النعمة غير مخلوقة"، ولأن الرب أخذ الجسد المخلوق وجعله "جسد مجده" (فيلبي ٣: ٢١). ولأن تحوُّلنا يبدأ هنا، ودخولنا الرؤية المستيكية *Mystical* بالروح القدس لا يقمع الحواس، بل يسمو بها إلى ما هو أعلى "إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن

يمين الله. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض" (كو ٣: ١ – ٢). وما وقعت فيه الكتب الغربية من مأزق عقلي تحاول تجاوزه في كتابات كاثوليكية لعلماء كبار مثل الأب كبريانو *Vagaggini* في أعظم مجلد ظهر حتى الآن *Theological Dimension of the Liturgy* في ٩٩٦ صفحة هو بلا شك عمل عظيم فاق كل ما كتبه علماء الكنيسة الأرثوذكسية في زماننا.

هل تريد أن تدخل الخلقة الجديدة؟

نعم، كيف؟

اخلع آدم القديم عبد الحواس، وألبس الإنسان الجديد لأن يسوع رب الحياة في انتظارك يحاول معك بالرفق وبالنور الإلهي أن يرفع الإدراك إلى ما هو سمائي فائق.

استعادة الوعي الأرثوذكسي بالسرائر والإفخارستيا، صارت ضرورة قصوى[1]

كتب أحد آباء الإسقيط رسالة شخصية يقول فيها:

"رجاء يا دكتور جورج عدم الاستسلام للتعبيرات الشاذة عن ما هو أمامنا وما يدخل في أسماعنا وقد لا نفهمه بل نؤمن به فنفرح وتتغذى أرواحنا. جسد المسيح ودمه الأقدسين يؤكلان بالإيمان بل ويدخلان -حسب أبونا متى المسكين- لا في بطننا الجسدي، بل في بطننا الروحي، ولا شأن لعقلنا في هذه اللحظات الخارجة عن أدوات ووسائط العالم الأرضي.

فكلمة "استحالة" لم ترد في أي صلاة ليتورجية، ليس عن جهل، بل عن اكتفاء بصلاة "انقلهما"، وهي صلاة موجَّهة لله ليحقق وعده (في إنجيل يوحنا ٦)، وليس لعقولنا لنفهم "كيف؟"، فلم يرد المسيح على سؤال اليهود: "كيف" يعطينا هذا جسده لنأكله؟ وكذلك "اجعلهما" هي صلاة تعبِّر عن عمل الله الذي نؤمن به وننتظره، فتصير لنا حياة أبدية في المسيح؛ إذا أكلنا جسده وشربنا دمه الأقدسين. أمَّا الاستحالة والتحول، فهما ينفعان في علم الكيمياء الذي كنا ندرسه في المدرسة الثانوية، وكنا ننذهل من "تحول" و"استحالة" الحامض إلى شيء آخر إذا أُضيف اليه قلوي! ولكن ذلك لم يكن يحرك شيئًا في حياتنا ومصيرنا الأبدي" أهـ.

والأب الراهب الفاضل على حق فيما ذكر، لا سيما وأن كلمة "الاستحالة" لم ترد في أي صلاة ليتورجية، وكما قال -ليس عن جهل- بل اكتفاءً بصلاة "انقلهما"، وهي صلاة موجهة لله.

---

(1) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٩ أغسطس ٢٠١٤.

طبعًا، استعمال أي كلمة في التعبير عن "سر المسيح" لا يخلو من مجازفة. ولكن في مواجهة التعليم الغربي القائل بالاستحالة الجوهرية، كان من الضروري تحويل الوعي إلى الجانب السري. وصياغة "الاستحالة السرية" هي جانب دفاعي شُرِح بما ذكره القديس كيرلس الأورشليمي أن باستدعاء الروح القدس "يصبح" الخبز والخمر جسد ودم المسيح (عظة ٣: ٢١).

والكلمات اليونانية التي ذكرناها في المقال الأول تصب في اتجاه واحد، وهو الوعي الجديد بالسرائر، ولكن لدينا قضية كبرى أكبر مما ذُكر في المقالتين، ويا ليت الأب الراهب الأسقيطي يسهم ولو بمقال واحد في دفع الوعي الذي تجمد وفقد الرؤيا اللاهوتية التي تغرسها الليتورجيات، بتمسُّكه بتعليم العصر الوسيط، ونقله دون تمييز أو تدقيق، الكثير من كتب الكاثوليك والانجيليين مثل عقيدة الفداء والكفارة في المقام الأول — صفات الله الأدبية — الاستحالة الجوهرية — رئاسة البابا لكنيسة جسد المسيح (استبعاد الرأس الحقيقي ربنا يسوع المسيح)، بل والاستغراق الشديد في تمجيد القديسة مريم والدة الإله في مدائح تحمل كلمات فرعونية — إسلامية مثل "يوم نصب الميزان" وغيرها، وهو ما لا مجال له هنا، فما هي القضية الكبرى التي أشير إليها هنا:

١- استرداد المصطلحات الكنسية اللاهوتية من الليتورجية ومن الآباء.

٢- فتح باب الحوار على مصراعيه، ويكفي أننا لا نستطيع الحوار أو حتى الإشارة إلى حقائق الايمان دون أن تضربنا آلة الإعلام الكنسي بكل ما في الإعلام من حيل وأكاذيب وألفاظ يعف عنها اللسان والقلم، تكشف عن الانتماء الحقيقي للذين يكتبون؛ لأنهم يقلدون القنوات الفضائية التي تظن أن إثارة الجماهير هي الحل لأي قضية، أو اجابة مطلوبة على أي سؤال.

٣- استرداد الوعي بدخولنا في شركة حقيقية كيانية مستعلَنة في الابن من الآب وتُعطى بالروح القدس، وهي التي تعبِّر عنها بداية القداس الإلهي: "مجدًا وإكرامًا للثالوث القدوس"، لكي يرتل الشعب بعدها تمجيد الآب، بعد نداء

الشماس "واحد هو الآب القدوس .. الابن القدوس — الروح القدس القدوس، ولاحظ: (يا جميع الأمم سبحوا الرب)؛ لأن هذه الكلمات بالذات كانت تمثل انتصار الله على آلهة الشعوب، لذلك (ولتباركه كافة الشعوب)؛ لأنه يستعلَن بقوة. ولعله حان الوقت لأن ندرك ونفهم أن استخدام مقاطع من سفر المزامير في صلواتنا، لها أصل تاريخي وطقسي سابق على المسيحية، وكان دائمًا يرتل في أناشيد الأعياد والمناسبات الطقسية؛ لأنه استعلان قوة ومجد الله.

الوعي والكلمات المناسبة:

الوعي تحركه الكلمات، ويتطور الوعي ناميًا إلى أعلى أو ينحدر إلى أسفل بسبب الكلمات والمحتويات التي تدخل في تكوين الرؤيا العقلية الواعية. وعلى سبيل المثال عندما يقول أحدهم إن "الغفران مدفوع الثمن"، فالوعي هنا ينتقل إلى عالم التجارة والمعاملة بالمثل، بل يغيب تمامًا عن الوعي كل إدراك إيجابي عن النعمة؛ لأن النعمة عطية بلا مقابل، وتُعطى لعدم الاستحقاق، ولذلك ينحدر الوعي والإدراك إلى الابتعاد تمامًا عن الثالوث، وهكذا يدخل الوعي في دائرة الانحطاط الروحي. تمامًا مثل فكرة أن دم المسيح دُفِعَ ثمنًا لخطايا الإنسان. بل عندما يقول آخر ويكتب إن خطايانا هي سبب صلب الرب، فإن هذا القول إنما ينزع الجانب الالهي، وهو حرية البذل؛ لأن الرب صُلب بسبب محبته أولًا لا بسبب خطايانا. ومحبته هي التي جعلته يقدم ذاته، فالدافع هو المحبة وليس خطية الإنسان، وهو ما شرحه القديس أثناسيوس في تجسد الكلمة (فصول ٤-٦).

وطبعًا، الاستحالة الجوهرية، دخلت الصلوات القبطية الارثوذكسية في الطبعة الإنجليزية الأولى للقداس الذي قام بها نيافة الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف، ثم في إضافة نداء الشماس نقلًا عن الكنيسة القبطية الكاثوليكية: "بتحول هذا الخبز إلى جسدك المقدس يا رب نؤمن". وعندما انتهرت شماسًا -صدقوني بوداعة، اعترض الأب الكاهن وغضب الأخ الشماس، وكان الخولاجي المقدس في يديَّ، وقلت له: كيف تضيف عبارات ليست موجودة في الخولاجي؟ وطبعًا لم أسمع إجابة .. فقد

صارت لدينا جسارة على العبث بالصلوات لأسباب وأجندة شخصية.

الكلمات تنقلنا إلى ما هو أعظم، إذا كان لدينا الوعي بأن "النقل" يتم في سر المعمودية، وفي طلب خادم السر بأن يكون من ينال سر المعمودية "ذبيحة مقبولة على المذبح الناطق السمائي بواسطة خدمة الملائكة"، وهو النص الذي ورد أصلًا في أوشية القرابين، وهو استجابة لطلب رسول المسيح: "قدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله خدمتكم (عبادتكم) العقلية"، مؤكِّدًا بعد ذلك أن المقصود بالذبح هو "لا تشاكلوا هذا الدهر"، بل "تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة" (رو ١٢: ١-٢).

لدينا مقال واحد يتيم عن تجلي الجسد بالروح القدس للأب صفرونيوس، ترجمه العالم العظيم الأنبا مكسيموس بالاشتراك معي، واندهشنا من عمق الوعي. وأعاد المقال ما ورد في رسائل القديس أنطونيوس الكبير عن توبة الجسد والروح معًا. فلا زال الجسد تحت حصار الشريعة الموسوية، ولم يدخل عدد غفير منا، أي من أبناء الكنيسة، نعمة العهد الجديد بسبب التعليم الذي يصاغ في فتاوى عن طهارة الجسد وطمث المرأة، وغيرها.

بدء الوعي المستيكي:

ولأن راهب الأسقيط أشار إلى الأب متى المسكين، فتلك مناسبة لنشير إلى أن آخر لقاء كان لنا معًا في عام ١٩٨٨ وكان لديَّ سؤالٌ عن خبرته طوال هذه السنوات. وتم تسجيل الحديث على وعد بالحصول على نسخة منه، ولكن تعذَّر ذلك.

كان حديثًا مؤلمًا له ولي؛ لأنه تعرَّض فيما ذكر لكيف حلَّت الطقوس محل العقيدة والإيمان، فصار إتمام الطقس أهم من الإيمان، وفصل الطقس عن استعلان عمل الروح القدس، إذ انحصر الاهتمام فيما يجب أن يقوم به خادم السرائر، وما يجب أن يقوله الشعب، دون أن يفهم أيهما الترتيب اللاهوتي الذي يسلِّمه الطقس.

ولعل شرح العصر الوسيط لعدد خبزات القربان، ولماذا هي ٣ – ٥ – ٧ – ١٢ يكشف عن انهيار الجانب اللاهوتي. فقد استغرق هذا الشرح في تفاصيل ردها إلى الثالوث، أو إلى ذبائح العهد القديم للأبرار من البطاركة، أو إلى آخر ذلك المتداول في هذا الخصوص. ولكن الترتيب اللاهوتي يقول عكس ذلك؛ لأن كل ما حدث قديمًا لم يكن هو السر، ولذلك، الاختيار هو خبزة واحدة أي قربانة واحدة، ويتم رشم باقي ما يقدَّم بالخمر، وبعلامة الصليب، تأكيدًا على أن ما حدث قديمًا هو ظلال الحقيقة التي استُعلِنَت في المسيح، في "الحمل الواحد" الذي يظل مخفيًا حتى يأتي الرب ويكونه على المذبح عندما تُرفع اللفائف كلها عندما يقول الكاهن: "ووضع لنا هذا السر العظيم الذي للتقوى".

أكتُبُ بكل صدق وأمانة، فقد حدث عندما كنت أحمل معي كتاب "منارة الأقداس"، وكتب أخرى عن الطقوس، أن نظر إليَّ القمص مينا المتوحد، وقال لي: "بلاش يابني الكتب اللي هتخليك أعمى".

لذلك، ولغيره، فقد طلبت في خطاب شخصي من قداسة البابا تواضروس الثاني أن يفتح باب الحوار على صفحات مجلة الكرازة، ولو مرة كل شهر، وأن تسمح المجلة بنشر ما هو جيد ومطلوب. فقد كان ضروريًا أن تنشر الكرازة مقال الرد على أستاذنا د. موريس تواضروس، ولكني من "المطاريد" الذين لا يُسمح لهم بنشر مقال، حتى وإن كان ردًا على ما يتعارض مع التقوى الأرثوذكسية، حتى وإن كان أحد الآباء الأساقفة قد أعطاني لقب "المعترف" بسبب اضطهادي من بعض الإكليروس من أجل الأرثوذكسية، ولكنني أحجمت عن استخدام اللقب حتى لا تثور الزوابع.

لقد كان انعدام الحوار هو سبب محاكمتي غيابيًا، وكنت قد طلبت محاكمة علنية في وجود مطران دمياط، لعله يذوق طعم الأرثوذكسية الحقيقية بدلًا من سم العصر الوسيط، ولكنه كان يعرف ما الذي كان سوف يحدث له ولغيره، ليس لأنني قوي، ولكن لأن عشرين قرنًا من التاريخ تشهد بما أقول، وبما هو مدوَّن ونُشِرَ، ولم يكن في

أي يوم من الأيام رأيًا شخصيًا لي، ولذلك رفضوا علنية المحاكمة.

قال الأب متى المسكين أيضًا إن مطاردة النعمة باسم الناموس قديمة جدًا، وهي أحد أسباب ضعف الحياة الروحية عندنا.

فالناموس أو الشريعة ترد الوعي إلى الممارسة، أي إلى ما يجب أن يفعله الإنسان، لا إلى ما يجب أن "يقبله" أو يأخذه. فالشريعة أو الناموس لا تعترف بالنعمة؛ لأن الناموس يحاكِم ويفرز الشر، بينما النعمة تبرر — هل يذكر القراء الهجوم العنيف على الأب متى المسكين بخصوص موضوع التبرير، ذلك الهجوم الذي نُشر في كتاب "بدع حديثة"؟ إن تكرار ما نشر عن هذا الموضوع عيبٌ يرفضه العقل والقلم معًا.

لكن ما سُلِّم إلينا بواسطة الشيوخ الذين كان لهم أكبر فضل في تعليمي، هو أن الوعي بالسرائر يبدأ بالصلاة —تمامًا كما ذكر الأب الراهب. والصلاة ليست كلمات، بل هي انفتاح القلب والفهم على ما يحركه الروح القدس.

هل كان غريبًا أن تهاجَم كتب العنصرة، والباركليت في حياة الناس؟

لم يكن ذلك غريبًا؛ لأن منهج العصر الوسيط العقلي لا يعترف ولا يعطي للروح القدس مكانه الحقيقي في فعل الاستنارة، "ونقل" الكيان الانساني جسدًا وروحًا إلى "الشكل المحيي" الجديد في الخلقة الجديدة.

هل كان غريبًا أن يشن البعض هجومًا -يعرفه بعض رهبان دير القديس الأنبا مقار- على كتاب "الخلقة الجديدة" الطبعة الأولى؟

كان الكتابُ صدمةً للمنهج العقلي العصر أوسطي الكامن في الحياة النسكية، والذي تجاوزه شيوخ الأديرة في صمت؛ لأنه إذا جاز لنا أن نعلل، نقول إن شريعة الخلقة الجديدة تبدأ ليس بما يدركه العقل من كلمات؛ لأن التعليم بنصوص، هو منهج اليهودية والإسلام؛ لأن كلاهما مبنيٌّ على الشريعة، بل تبدأ الخلقة الجديدة بوعي الإنسان بما يفعله المسيح وبما يستعلَن، وهو يبدأ:

أولًا: بالشركة، وبالشركة، أي بالعلاقة الكيانية. ولو كتبت كلمة "الشركة" مليون مرة، فعلى القارئ أن يعذرني.

ثانيًا: نحن "نشترك" ونفهم ما نشترك فيه من خلال الشركة، وما نفهمه هو ما هو مُستعلَن ليس بالكلمات، بل في سر المسيح، والسر ليس شيئًا خفيًا بعيدًا غامضًا، بل هو ما هو فوق مستوى الإدراك المنظور، هو رد الكلمة والعبارات إلى الشركة وليس إلى القواميس.

أخيرًا:

لا أريد أن أعتذر عن كلمة "الاستحالة السرية"؛ لأننا لا نتكلم عن استحالة فقط، بل استحالة سرية مستيكية. وكل كلماتنا -مهما كانت- هي فقط اقترابٌ من السرائر، ويا ليت الجيل الذي عاصرته والذي يعاصرنا يمتنع عن الادعاء بالعصمة، وها هو تلميذ الرب يقول لنا: "لا تكونوا معلمين كثيرين يا أخوتي عالمين أننا نأخذ دينونةً أعظم لأننا في أشياء كثيرة نعثر جميعًا .." (يعقوب ٣: ١-٢).

رجاء من القرَّاء الأحباء إعادة قراءة رسالة "الصليب ختم القيامة" للأب صفرونيوس — وهو منشور على موقع الدراسات القبطية واللاهوتية، وقد تم ترجمته عن القبطية بمعرفة الراحل الكريم الأنبا مكسيموس — وجورج حبيب بباوي.

يسوع حياتنا،
رسالة للباحثين عن الحياة[1]

من أجل المتألمين؛ لأنهم طلبوا الحياة من الذين لا حياة فيهم، فقد تنازلوا عن النعمة الغنية، فصاروا تلاميذًا لموسى

المسيح هو رأس الجسد الكنيسة (كولوسي ٢: ١٩)، والذين يجعلون من أنفسهم رأسًا بديلًا عن "الرأس"، هم أولئك المعلمون الكذبة الذين حوَّلوا الكهنوت من خدمة ونعمة إلى سلطان وسيادة، جعلت واحدًا منهم يصف نفسه بأنه "الرجل الحديدي"، وليس "الإنسان في المسيح".

يا مَن تقرأ هذه السطور، إن كنت تبحث عن الحياة، فليس لك حياة إلَّا في الذي قال: "أنا الحياة".

الطقوس هي تعليمٌ كنسي، وليس حركات جسدانية. تعليمٌ يؤكد اتحادنا بالرب ابتداءً من رشم الصليب، وهو "حزام الاتحاد بالمصلوب لأجلنا"، إلى صلوات الجنازات، عندما نرقد ووجهنا شرقًا، ليس ناحية النور فقط، بل ناحية تحولنا بالاعتراف بالرب في سر المعمودية بعد أن جحدنا الشيطان منتظرين أن يكمل موتنا الجسداني قوة المعمودية التي وحدتنا بالرب.

ما هي هذه الدعوة؟

ليست هذه دعوة إلى ترك أو الانفصال عن الكنيسة أُمُّ الشهداء بل هي دعوة للعودة إلى أساس الحياة وجذره، يسوع رب الحياة.

---

[1] مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٨ سبتمبر ٢٠١٥.

أنت حيٌّ

أنت حيٌّ بقوة الذي قال: "أنا الحياة". تصلي أُمُّ الشهداء في الأوشية: "ولا يقوى علينا موت الخطية"؛ لأن موت الخطية أُبيد بموت الرب وقيامته، لذلك أنت لا تحتاج لقس أو أسقف أو بطريرك أو واعظ ليكون الوسيط بينك وبين الرب مخلصك الوحيد.

لقد أخذتَ هذه الحياة في سر المعمودية كبذرة أبدية غير قابلة للموت. ولكنك أُصِبتَ بالنسيان، ونسيت القوة والحياة التي أخذتها، بل نسيت أنك مُسحت بذات مسحة يسوع (١يوحنا ٢: ٢٧) التي ينكرها بعض الإكليروس اليوم ويدَّعون كذبًا أنك أخذتَ مواهب فقط وليس الروح القدس المعزِّي الملك السمائي، الذي نعود إليه عندما نصلي قطع الساعة الثالثة.

الآباء الكهنة خُدَّام النعمة وليسوا مصدرًا لها. لا تصدق هذه الكذبة والتعليم الشيطاني الذائع في وسطنا بأن "أبونا هو مصدر النعمة". النعمة من الواهب يسوع المسيح، وهو الذي يعطي كهنوته لهؤلاء لكي يصبحوا خُدَّامًا.

عندما فقدنا الصلة بالرأس يسوع رب الحياة؛ حلَّ الأسقف أو القس أو الخادم محل يسوع، فدخل الكذب والقهر والتسلط، وغابت المحبة؛ لأن مصدر المحبة وينبوعها الوحيد هو الثالوث القدوس.

الآن أَفِق وافتح عينيك قبل أن تقتلك برودة الحياة ... يسوع هو حياتك.

الثالوث هو الذي يخدمنا، ونحن لا نخدمه

فَتَحَ الثالوثُ أحضانه الإلهية عندما جاء الابن الوحيد "الكائن في حضنه الأبدي كل حين" (قسمة صوم الميلاد)، وجَعَلَنا أبناء للآب فيه عندما "وحَّد إنسانيتنا بأُلوهيته". لكن معلمي الكذب ينكرون علينا نعمة التبني، تلك النعمة الأبدية التي تحفظنا للأبد في شركة أبدية مع الآب والابن والروح القدس. هؤلاء

الكذبة –بلسان الشيطان نفسه– يسألون: هل أنت وُلِدتَ من جوهر اللاهوت مثل الابن؟ ويحتار غير الثابتين في الإيمان.

طبعًا، لم يتفوه أحد بهذه الكذبة الشنيعة، بل هي مثل كذبة الشيطان في الفردوس "أحقًا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة" (تك ٣: ١)، لكي يقود المرأة إلى الفخ: "من ثمر الجنة تأكل"، ثم تضيف حواء: "أما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا" (تك ٣: ٢-٣)، ويقود الشيطان المرأة بالنفي: "لن تموتا" (٣: ٣). فعلى نفس المنوال يتساءلون: أحقًا أنت مولود من جوهر الآب، أو من جوهر اللاهوت؟ لا، بل أنا مولود في المسيح. وتجيء الخدعة والكذبة: ولكن المسيح وحده هو ابن الله الوحيد، أمَّا أنت فخاطئ وخائن .. الخ آخر الكلمات والأوصاف التي تضرب على وتر الشعور بالذنب. وقد يجد من استنار بالروح ردًا ليقول: ولكنني أنا مثل ما حدث لناسوت الرب. ولكن الشيطان يقول: "أبدًا، ما حدث لناسوت الرب هو خاص بالرب يسوع وحده". وهنا تدق الحيرة والخوف، ونسمع صوت الشيطان على لسان واحد كبير منهم يقول: إهانة أُلوهية الرب هي إما أن نجعل الرب إنسانًا مساويًا لنا، أو نجعل البشر آلهة مساويين للرب". ونسى هذا الكبير أن أُمَّ الشهداء تعلِّمنا أن نرتل: "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له"، ونسى أن الابن تنازل وأخذ الناسوت ..

لا. هو لم ينسَ. هو يكذب لكي يجرِّدك من نعمة التبني.

الثالوث يخدمنا؛ لأن الابن جاء إلينا مثل "الراعي الصالح"، أو كما نقول: "كأب حقيقي تعبت معي أنا الذي سقط" (القداس الغريغوري)، وهي صدى لمِثَل الابن الضال.

"ربطتني بكل الأدوية (الشافية) المؤدية للحياة (عليك عزيزي القارئ أن تلاحظ أن العقوبات قد حلَّت محل هذه الأدوية).

وأيضًا: "أنت خدمت لي الخلاص لما خالفت شريعتك أو ناموسك"، ولكن تلك الخدمة تحولت إلى اعتداء الآب على الابن الوحيد لدرجة أن الكبير منهم

يقول إنه "احترق في نار العدل الإلهي وتحول إلى رماد"، وبذلك ينكر هذا الكبير أن الرب "بموته أباد الموت"، بل يعلِّم بأنه وقع هو نفسه تحت حكم الدينونة وحكم عليه الآب بالموت، بينما هو جاء لكي يقبل موتنا بالإرادة الحرة لكي يميت الموت، فهو له سلطان أن يضع حياته (يوحنا ٢: ١٨).

ويقوم الرب من الأموات لكي يعطي لنا نحن القيامة كما أعطانا التحرر من سلطان الموت. يقوم لكي يخدم كل نفس على النحو الذي أشار إليه في رسائله للكنائس السبع في سفر الرؤيا.

ويرسل الابن الوحيد الروح القدس من عند الآب لكي يكون المرشد والمعلِّم لأنه "مالئ الكل" وواهب الخيرات لكي يحل فينا حلولًا لكي يكون لنا فيه حياة وافرة (يوحنا ١٠: ١٠)، ولكي نعود إلى الرب الذي جاء لكي "يجمع ابناء الله المتفرقين إلى واحد" (يوحنا ١١: ٥٢).

لقد مات على الصليب كما قال هو له المجد لكي لا يبقى وحده، بل مثل حبة الحنطة مات لكي يأتي بثمر كثير" (يوحنا ١٢: ٢٤)، وهو لذلك النور الحقيقي الذي نطلبه في صلاة باكر؛ لأن كل من يتبعه "لا يمكث في الظلمة" (يوحنا ١٢: ٤٦)، وهو لا زال يغسل أقذار حياتنا، أي تلك المعوقات التي تمنع عنا محبته؛ لأنه أعلن في صراحة واضحة: "أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلَّا بي" (يوحنا ١٣: ٦). ولم يتركنا لبحار الفكر، بل أعطانا "المعزِّي الآخر روح الحق لكي يمكث معنا ويكون فينا إلى الأبد" (يوحنا ١٤: ١٧).

هل بعد كل هذا، أنت في حاجة إلى وسيط؟ ألا تعرف أنك بهذه الحاجة تنكر الرب يسوع عن جهل؟ هل تريد مخلصًا آخر غير يسوع؟

سلطانٌ مزيَّفٌ يُجزِّئ كلمات الرب يسوع ودعوته

آه من الجهل الذي قطع كلمات من إرسالية الرب للتلاميذ للكرازة "مَن غفرتم خطاياه تغفر له. ومَن أمسكتم خطاياه أُمسكت" (يوحنا ٢٠: ٢٣).

والذي حُذِف أيها المخدوع هو: "كما أرسلني الآب أرسلكم أنا"، فهل كانت إرسالية المسيح قوة وسلطان، أم خدمة؟

ثم: "اقبلوا الروح القدس". كان الروح هو الذي مسح يسوع، فصار "المسيح" الذي مُسح بالروح القدس "مسحه الله بالروح القدس والقوة الذي جال يصنع خيرًا ويشفي المتسلط عليهم إبليس .." (أع ١٠: ٣٨)، فهو لم يُمسح ليكون رجلًا حديديًا، بل رجل أوجاع حمل أوجاعنا لكي يشفيها ... عجبًا.

هل وردت كلمة سلطان في عبارة أو كلمات الرب؟

بل: "اقبلوا الروح القدس. مَن غفرتم خطاياه تغفر له...".

وهكذا شرح القديس كيرلس السكندري[1] هذه العبارة الربانية بأن الآباء الرسل أخذوا نعمة الروح القدس لكي يعطوا الولادة الجديدة في المعمودية لمن يعود إلى الرب ويمنعوا هذه النعمة عن الذي لم يتطهر، ولذلك جاءت الكلمات: "أمسكتم خطاياه أُمسكت". يا للعار كيف يمسك إنسان خطايا آخر، وهو يردد في الصلاة الربانية: "اغفر لنا خطايانا كما نغفر نحن لمن أخطأ إلينا"، أو حسب القبطية: "اترك لنا ما علينا"، فكيف يمسك إنسانٌ على إنسانٍ آخر خطاياه أو خطية إلَّا إذا كانت الارتداد أو إنكار الرب يسوع.

هل وردت كلمة سلطان في صلاة التحليل القبطية الأرثوذكسية؟ أبدًا، بل "أنعمت للذين يعملون في الكهنوت أن يحلوا ويربطوا ..". ثم تأمل، يضع القس أو الأسقف نفسه مع الخطاة عندما يعطي صلاة التحليل وليس سلطان التحليل. استعلان فك رباطات الخطية التي يعملها الروح القدس؛ لأن الرب قال "اقبلوا الروح القدس". بل تؤكد صلاة تحليل أخرى: "ليكن عبيدك محاللين من فمي بروحك القدوس"، فأي سلطان أيها الخائر العزم المرتعش الركبتين الخائف لأنك آمنت بالرب القاسي الذي صَلَبَ الابن، بينما الحق هو أن الابن نزل إلينا إلى

[1] حارب بعض الأساقفة شرح انجيل يوحنا بكل دهاء وكذب. راجع الترجمة العربية تعريب د. جورج حبيب بباوي.

ذات حفرة الموت لكي يرفعنا إلى حياة عدم الموت.

اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات (يع ٥: ١٦):

الاعتراف لكل مَن أخطأنا ضده هو تعليم الرب نفسه. كم مرة -يسأل بطرس- يخطئ إليَّ أخي وأنا أغفر له. هل إلى سبع مرات (٧ رقم الكمال) قال يسوع لا أقول لك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرة سبع مرات. (متى ١٨: ٢١-٢٣).

قبل هذه المواجهة يقول الرب: إن أخطأ إليك أخوك، فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما (الرب لا يحب التشهير بالخطية) إن سمع منك، (ماذا سيسمع؟ تعليم الرب عن الغفران وترك الإساءة)، فقد ربحت أخاك. إن لم يسمع منك خذ معك اثنين أو ثلاثة لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة" شهود على رفض المصالحة.

إن لم يسمع منك فقل للكنيسة .. إن لم يسمع من الكنيسة، "فليكن عندك كالوثني والعشار". لا يعني ذلك أن يكون مرفوضًا؛ لأن الرب علَّم بمحبة الأعداء قبل ذلك في العظة على الجبل، ولكن يعامَل بمحبة مَن ليس له شركة في الأسرار، رغم أنه أخٌ؛ لأنه رفض الغفران، وهو ضد صرامة قول الرب القاطع: "إن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم السماوي زلاتكم" (متى ٦: ١٤-١٥).

وبعد ذلك يقول الرب: "كل ما تربطونه على الأرض (لا توجد إشارة للسلطان، بل تعليم صريح عن ممارسة المحبة والغفران) وكل ما تحلونه على الأرض .. مؤكدًا أنه حاضر إذا اتفق اثنان منكم على الأرض .. حضور الغفران لمن قَبِلَ، وحضور إدانة لمن لم يقبل الغفران.

في هذا الإطار يجب أن نفهم أن الاعتراف هو مصالحة الكنيسة، ومصالحة كل عضو مع كل عضو آخر، حسب تعليم الرب نفسه، لا حسب ما ساد بعد ذلك في العصر الوسيط.

وفي نفس الإطار، يرتِّب رسول المسيح يعقوب حياة الكنيسة: "أعلى أحدٌ بينكم مشقات فليصلي ..... أمسرور أحد فليرتل ... أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الايمان تشفي المريض والرب يقيمه". والشفاء ظاهر بالشفاء، وبالتالي من شفاء الخطية؛ لأن الرب كان يقول للمرضى: "مغفورة لك خطاياك"، فهو "حِلٌّ رباني" للشفاء، ولذلك: "إن كان قد فعل خطية تغفر له" (يع ٥: ١٣-١٥). وقد يكون في هذا اعترافٌ بالخطايا؛ لأن بعدها مباشرةً: "اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات"، وهو ما ورد في الصلاة الربانية "وصلُّوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا" (يع ٥: ١٦). هذا ليس سر الاعتراف حسب ممارسة العصر الوسيط، بل مصالحة وشفاء.

أخيرًا، يا مَن خُدعت بالسلطان، هل مَن يصلي له سلطان؟

إذا كان له سلطان، فلماذا يطلب في الصلاة ما يملكه؟ ولكن، لأنه لا يوجد سلطان، بل نعمة وخدمة، لذلك يصلي كل أمين على خدمة الكهنوت لكي يعمل الرب.

النعمة،

حسب التسليم الكنسي المدوَّن

في كتاب الروح القدس للقديس باسيليوس[١]

ثرثرة الهراطقة:

"لقد بات واضحًا أنهم يثرثرون كثيرًا حول الحروف لكي يدعِّموا رأيهم المنحرف" (٢: ٤)، فالجدل حول استخدام الألفاظ مأخوذ من الفلسفة الوثنية (الفصل الثالث)؛ لأن استخدام حروف الجر هو "استخدام غير مفيد، بل هو حسب التعبير المطلوب" (٤: ٦)[٢].

الروح القدس مقيم فينا ومنه ننال الحياة الأبدية:

"وتوجد أمثلة أخرى استُخدِم فيها حرف "من" للروح القدس، مثل: "من يزرع بالروح يحصد من الروح الحياة الأبدية" (غلا ٦: ٨). ويوحنا أيضًا يكتب: "ومن هذا نعلم أنه مقيم فينا من الروح الذي أعطاه لنا" (يوحنا ٣: ٢٤) (٥: ٩).

الروح يوزِّع ولا يعاني التقسيم:

"جوهره بسيط وقوته متنوعة، حاضرٌ كله في كل أحد؛ لأنه حاضرٌ في كل مكان. موزَّعٌ على الكل دون أن يعاني التقسيم، يشترك فيه الكل دون أن يفنى ..

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٠ أغسطس ٢٠١٧.

(٢) نرجو من القارئ مراجعة الكتاب، إما على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية، أو في الطبعة الورقية التي صدرت مرتين، كانت آخرهما في مايو ٢٠١٤، بالقاهرة عن جذور للنشر.

والذين ينالونه يتمتعون به على قدر ما تحتمل طبيعتهم وليس على قدر قوة الروح القدس" (٩: ٢٢).

الروح يتَّحد بالنفس:

"وإنما اتحاد الروحُ بالنفس يحدث عندما تختفي الأهواء التي تنمو في النفس بسبب اتحادها ومحبتها للجسد .. وعندما تتنقى النفس من عار الدنس ... وتعود إلى جمالها الطبيعي، تتمسك بالصورة الملوكية وتسترد شكلها القديم .. والروح القدس مثل الشمس يساعد العين النقية، فترى عينك -في الروح القدس نفسه- صورة غير المنظور أي الله ... هكذا النفوس التي يسكن فيها الروح القدس، وتستنير به، تصبح بدورها روحانية وتشع منها نعمة للآخرين. وتنال هذه النفوس من الروح معرفة المستقبل، وفهم الأسرار، وإدراك الخفايا وتوزيع العطايا الصالحة، والمواطنة السماوية .. **وبقاءً دائمًا في الله والتشبه به وأسمى من كل هذا أن نصير آلهةً**" (٩: ٢٣).

كيف نصبح مسيحيين؟

كيف نصبح مسيحيين؟ "الإجابة معروفة للكل بالإيمان ... بوضوح نولد من جديد **بالنعمة** التي تُعطى في معموديتنا. وهل هناك طريقة أخرى سوى ذلك بها نخلص؟ (١٠: ٢٦)

بالروح القدس نسجد، وبه ننال عطية التبني:

"ومَن يجحد هذا الإيمان فليس له نصيب في السجود الحقيقي، فلا يستطيع أحد أن يسجد للابن إلَّا بالروح القدس، فلا يستطيع أحد أن يدعو الآب أبا إلا بروح التبني أي الروح القدس" (١١: ٢٧).

النعمة ليست معنوية:

"أما النعمة فهي تعطى بالدم" (١٤: ٣١).

عمل الروح القدس في المعمودية:

الحياة الجديدة تحدث لنا "عندما تتقبل المياه الجسد مثلما يتقبل القبر الجسد، بينما يسكب الروح القدس المحيية، ويجدد نفوسنا من موت الخطية، ويعيدنا إلى الحياة الأولى. وهذا هو ما يحدث في الميلاد الجديد من الماء والروح، أي الموت الذي يتم في الماء، كذلك الحياة التي تُبعث فينا من جديد بواسطة الروح .. ومن هذا يتضح لنا أن النعمة ليست من المياه .. وإنما حضور الروح القدس .." (١٥: ٣٥).

ماذا يعمل الروح القدس فينا ولأجلنا؟

"بالروح القدس، استعدنا سكنانا في الفردوس، وصعودنا إلى ملكوت السموات، وعودتنا إلى مكانة البنوة وحريتنا لأن ندعو إلهنا الآب، وشركتنا في نعمة المسيح، وتسميتنا أبناء النور وميراثنا في المجد الأبدي، وباختصار شديد حصولنا على ملء البركة (رو ١٥: ٢٩)" (١٥: ٣٦).

ولا يجب أن نخطئ؛ لأن باسيليوس يضيف إلى ما سبق: "في هذه الحياة (الحاضرة) والحياة الآتية وكل العطايا الصالحة التي أُعدت لنا والتي نراها حسب المواعيد .. نرى انعكاس هذه العطايا كأنها حاضرة ولكننا ننتظر التمتع الكامل بها، فإذا كان العربون هكذا، فكم يكون الكمال؟ وإذا كانت باكورة الثمار فائقة، فماذا عن الكمال؟" (١٥: ٣٦).

الروح القدس والمواهب ضد التدليس المعاصر:

"في كل أعمال الله، فإن الروح غير منفصل عن الآب والابن، وعندما يوزِّع الله الأعمال، والابن يقوم بتوزيع الخدمة، أما الروح القدس الحاضر معهما دائمًا، فهو بإرادته يوزِّع المواهب لكلٍّ حسب استحقاقه، ولذلك قيل: "أنواع مواهب مختلفة أما الروح فواحد، أنواع خدم لكن الرب واحد وأنواع أعمال ولكن الله واحد هو الذي يعمل الكل في جميع الناس" (١كو ١٢: ٤-٦)" (١٦: ٣٧).

الروح القدس هو مصدر قداسة القوات السماوية:

لأن هذه القوات حسب كلمات باسيليوس نفسه تظل مقدسة لأنها تنال نعمة التقديس بواسطة الروح القدس" (١٦: ٣٨). "فلا تقديس بدون الروح القدس .. وتقديسهم يأتي إليهم من خارج طبيعتهم ويبث فيهم كمالهم بشركة الروح القدس" (١٦: ٣٨). ولو حدث انفصال عن الروح حسب عبارات باسيليوس "ولو افترضت أنك أزلت (حذفت) الروح القدس تنحل قوات الملائكة وتهلك الكراسي ورؤساء الملائكة" (١٦: ٣٨). "إن الإعلان عن الأسرار هو بنوع خاص عمل الروح القدس حسبما كُتب "الله يعلنه لنا بالروح (١كو ٢: ١٠). "وكيف يمكن أن يروا وجه الآب بدون الروح القدس" (١٦: ٣٨).

التدبير يتم بواسطة الروح القدس:

"وإذا تحدثنا عن التدابير الخاصة بالإنسان التي تمت بواسطة إلهنا العظيم ومخلصنا يسوع المسيح (تيطس ٢: ١٣)، فمن يمكنه أن ينكر أنها تمَّت بنعمة الروح القدس؟ ... صار الروح مسحةً وصار حاضرًا بلا افتراق في جسد الرب" (١٦: ٣٩).

"وهو حاضر فينا سريًا" (١٦: ٤٠) ولذلك "عندما نستنير بالقوة التي فينا .. وعندما يكون روح المعرفة حاضرًا بلا انفصال قائمًا في ذاته لمن يحب رؤية الحقيقة وقوة معاينة الصورة لا من الخارج، بل يقودهم إلى معاينتها في ذاته (الروح القدس)" (١٦: ٤٧).

ما هو المقصود بعبارة من الخارج؟

وجواب القديس باسيليوس أن قداسة الخليقة "ليست كامنة في كيان المخلوقات بل توهب من الخارج من الله" (١٩: ٤٨)، أي أنها تضاف إلى الكيان المخلوق الذي لا توجد فيه هذه النعمة.

في الفصل ٢١ يحذر القديس باسيليوس من الوقوف عند المعنى الحرفي "ويشغل نفسه بحفظ الشريعة ويصبح كمن صار قلبه مغلقًا بالمعنى الحرفي اليهودي" (٢١: ٥٢).

وتحذير القديس باسيليوس يجب أن يؤخذ بكل عناية. فقد كتب: "ولم أعرف بعد شخصًا واحدًا نال شركة الروح القدس ويقبل الاستهانة بكل ما ذكرته أو ينسى اشتراك الروح القدس في كل شيء مع الآب والابن أو يفصله عن الآب والابن" (٢٤: ٥٥).

وبما عرف عن باسيليوس من دقة لغوية ولاهوتية، وبعد أن أكَّد وحدة عمل الثالوث يسأل: "كيف يمكن أن نفصل الروح عن قوته الإلهية المحيية .. حقًا إن الروح هو عطية الله، ولكنه عطية الحياة؛ لأن شريعة روح الحياة هي التي جعلتنا أحرارًا (رو ٨: ٢)، وعطية القوة "لأنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم" (أع ١: ٨)، فهل لذلك السبب تستهين به؟ ألم يعطنا الله الآب نحن البشر ابنه الوحيد عطيةً، ولذلك قيل: "الذي لم يضن بابنه بل بذله لأجلنا فكيف لا يهبنا معه كل شيء" (رو ٨: ٣٢).

وأخيرًا: يصرخ باسيليوس لعل الآذان تسمع؛ لأنه بعد أن شرح الإيمان، وأكَّد أن الروح القدس هو ذاته عطية، ختم: "وطبقًا لذلك يصبح الذين يتخذون من محبة الله العظيمة وشفقته فرصةً للتجديف أشد نكرانًا من اليهود، هؤلاء يقاومون الروح لأنه أعطانا الحرية لأن ندعو الله أبانا وأرسل روح ابنه إلى قلوبنا صارخًا أبا أيها الآب" (٢٤: ٥٦).

كلمة تعزية من القديس باسيليوس:

"وكما أن الذي يتعلم الفن يظل فيه، هكذا نعمة الروح القدس تظل في الذي يقبلها حاضرة دائمًا، ولكن لا تعمل في النفس بشكل دائم .. لأن الفن يظل كامنًا في الفنان ويعمل فقط عندما يسمح الفنان لقوة الفن بأن توجهه، **هكذا**

الـروح القـدس حاضـرٌ دائمًـا في الـذين يسـتحقون عملـه، ولكنـه يعمـل حسـب الاحتيـاج .. والـروح القـدس يسـكن في الـنفس مثـل الإدراك الـذي يكـون فكـره في القلب وأحيانًا يتحول إلى كلمة ينطقها اللسان، وهكذا يكون عمله عندما يشهد لأرواحنـا (رو ٨: ١٦)، أو عنـدما يصـرخ في قلوبنـا أبـا أيهـا الآب (غـلا ٤: ٤) (راجع ٢٧: ٦١).

****

أيها الملك السمائي المعزِّي،

لقد افترى عليك قومٌ عندنا وقالوا من على المنابر إننا ننال قوتك فقط،

وكأن أُقنومك الإلهي هو مجرد قوة وليس الأقنوم الثالث.

اغفر لنا إن كنا تأخرنا في الرد عليهم،

اطرد روح الزعامة والكبرياء،

وحِل فينا دائمًا حسب وعد الابن الوحيد،

واحفظ أُم الشهداء من عثرات المعلمين الكذبة.

الكنيسة المشتعلة بنار الروح القدس[1]

لا نزال ندخل الهياكل بدون الأحذية. ترتيبٌ شاهده كاسيان عندما زار الإسقيط، وشَرَحَه القديس كيرلس الكبير بأن جلد الحيوانات الميت لا يدخل حيث ينبوع الحياة الغزير.

الرمز القديم، وهو العليقة المشتعلة، كان أول همسة إلهية عن تجسد الابن الوحيد، وظلت تقوى الكنيسة تقول إننا نخلع الأحذية؛ لأننا ندخل إلى مكان استعلان الابن الوحيد. وسبق الهيكل، التكوين الإلهي للظهور الإلهي، حيث الأردن (المعمودية)، وبيت لحم، وعرش الثالوث الهيكل والمائدة السمائية. ليست هذه طبوغرافيا للتسلية، بل يربط الروح القدس بين أماكن الاستعلانات الإلهية. وغالبًا، ينسى الذين لم يعاينوا "تكريس كنيسة" أن هذه الأماكن تُقدَّس بزيت المسحة الإلهي "الميرون". هو نفسه، أي الميرون الذي يقدِّسنا بعد المعمودية، ويقدِّس ماء المعمودية، والأيقونات، والمذابح، والهياكل، مسحة واحدة تقدِّس الكل لكي تشتعل الكنيسة بنار التقديس.

يجمعنا الروح القدس الواحد الذي سَكَنَ في الآباء الرسل والشهداء وقديسي الكنيسة، ونحن ندخل إلى "مجمع" هؤلاء في التسبحة، بل وقبل قراءة الأسفار في طلب الشفاعات؛ لأن بولس هو الذي يقرأ شهادته لنا: "لكي نعلم ونفهم ما هي منفعة تعاليمك المقدسة التي قُرأت علينا الآن بواسطته ⲉⲃⲟⲗ ϩⲓⲧⲟⲧϥ وكما تشبَّه بك أنت يا رئيس الحياة. هكذا نحن أيضًا اجعلنا مستحقين أن نكون متشبِّهين به في العمل والإيمان ممجِّدين اسمك القدوس ومفتخرين بصليبك كل حين" (سر البولس).

---

(1) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١ ديسمبر ٢٠١٥.

يجمعنا ذات الروح، ولذلك نطلب شفاعتهم أو طلباتهم، لا فرق بالمرة بين الكلمتين؛ لأن أحد معاني كلمة شفاعة، هو "طلبة". وتخصيص كلمة "شفاعة" لأم النور وكلمة "طلبة" لباقي القديسين هو عبثٌ لغوي بلا أساس لاهوتي؛ لأن أم النور مع خورس الشهداء في شركة واحدة ليس فيها درجات أعلى وأدنى؛ لأن هذا يجوز أن يكون خاصًا ببعض المؤسسات، وليس بالكنيسة الواحدة الوحيدة الجامعة الرسولية.

نحن ندخل الكنيسة وعلى كياننا -الروح والجسد- أختام الميرون، الـ ٣٦ رشمًا. نحن ندخل، وفي داخلنا ذات الروح القدس الذي قدَّس بيت لحم (مكان إعداد القربان)، والأردن (مكان حميم الميلاد الجديد)، والهيكل حيث "عمانوئيل إلهنا في وسطنا"، وندخل إلى ذات خورس القديسين، الأعضاء الحية في جسد المسيح الواحد، الكنيسة التي لا يقوى عليها الموت؛ لأن الرب "بالموت داس الموت".

تلك النار الإلهية السرية، أي الخفية التي يحس بها الذين اشتعلوا بالمحبة الإلهية للثالوث الذي سكب محبته فينا بالروح القدس (رو ٥: ٥).

سيمفونية المحبة الثالوثية:

تبدأ هذه السيمفونية باستعلان: "مجدًا وإكرامًا"، أي المجد والكرامة الخاصين بالثالوث. و"سلامًا"؛ لأن المصالحة أبدية. و"بنيانًا لكنيسة الله"؛ لأن شركتنا في الثالوث تبني حياتنا. وتصرخ القلوب المستنيرة بنور الشركة بتماجيد الثالوث؛ لأننا أتينا بالتقدمة التي قدَّمها رئيس الكهنة يسوع المسيح الذي منه نأخذ "الحِل" (تحليل الخدام)؛ لأننا ندخل إلى ذات الخدمة التي نالها وخدمها معلمي الإيمان.

يفتح الروح كنوز الحكمة من الأسفار، ونسمع شهادتهم، ونطلب ذات الحياة التي أخذوها من الثالوث القدوس: "اجعلنا مستحقين نصيبهم وميراثهم، وانعم لنا كل حين أن نسلك في آثارهم ونكون متشبِّهين بجهادهم" (سر الكاثوليكون).

التقدمة على المائدة –والكلمة اليونانية الأصل "ابروسفارين" تعني (تقدمة)، وتغطية التقدمة لها سبب تاريخي معروف، وهو وجود الموعوظين.

لقد أقامنا المسيح، بل وأجلسنا معه في السماويات (أف ٢: ٦) ونداء الشماس: (للصلاة قفوا) لا يخص الوقوف، بل القيامة؛ لأن الخبر السار، الإنجيل هو بشارة الحياة: "أيها الرب إلهنا الذي خلَّصنا وأدخلنا إلى هذه الحياة" (خولاجي الدير المحرق ص ٢٢١).

وإذا تسألنا: متى استعملت الكنيسة: "قدوس الله. قدوس القوي. قدوس الذي لا يموت ... "؟ العبرة في الاستنارة وليس التاريخ؛ لأن ما يضاف عبر العصور، ليس بمزاج أو بمشاعر غامضة، أو مجرد استحسان، بل هو "فصلة" في ذات النغم الإلهي؛ لأننا نتقدس عندما نقدِّس، أي عندما نعترف بخصوصية الثالوث الذي لا شبيه له. وهو تقديس الذي لا يموت؛ لأننا نحن في المسيح لا نموت. القدوس أعطانا شركةً في قداسته (عب ١٢: ١٠). نحن لا نرتِّل كلمات سبق حفظها، بل نرتل لنعمةٍ أخذناها، عاملةٍ فينا، وهي حسب تقوى الكنيسة: "لا نتكل على برنا، بل على رحمتك هذه التي أحييت بها جنسنا" (صلاة الحجاب في القداس الباسيلي).

ينادي الشماس الشعب: "قفوا للصلاة"، وهي دائمًا تسبق الأواشي. نصلي من أجل سلامة الكنيسة، الكائنة من أقاصي المسكونة؛ لأن أمواج العالم تضربها، فلا تنتهي شهادتها ولا تسقط في الارتداد، ونطلب ذات الثبات للخدام لكي يكمل "تقدمه في الخدمة"، وقيادة الكنيسة، وهي المعنى الصحيح لعبارة "رئاسة الكهنوت"، وليس رئاسة الكهنة، والدليل على صحة ما نقول هو في كلمات الأوشية: "مكملًا رئاسة الكهنوت ... مفصلًا كلمة الحق باستقامة راعيًا شعبكَ بطهارةٍ وبر". وتكمل هذه الأوشية، أوشية الاجتماعات.

"انصتوا بحكمة الله .. استمعوا إلى التعليم الصحيح المودَع في قانون الإيمان؛ لأننا على أساس الإيمان والاعتراف، نبقى لكي ننال ما دُعينا إليه.

المصالحة الثالوثية:

أرسل الآب ابنه لكي "بظهوره المحيي" يهدم "الموت الذي دخل بحسد ابليس".

لم يكن الموتُ عقوبةً من الله، بل سعى إليه الإنسان حسب (سفر الحكمة ٢: ٢٣ و ٢٤ وايضًا تجسد الكلمة فصل ٤) وعندما هُدم الموت بالظهور المحيي، امتلأت الأرض من سلام سماوي لا يمت بصلةٍ لأي نظام أرضي، ولا هو عطية أرضية، بل هو تلك العطية التي من أجلها تسبح الملائكة الثالوث القدوس وتعطي له المجد؛ لأن الله سُرَّ بالبشر من جديد؛ لأن الساكن في وسط البشر هو الكلمة الذي تجسد وحلَّ بيننا.

مسرةُ الله أن يملأ قلب الإنسان المضطرب من السلام، وأن يخدم الإنسان، وأن يطهِّره من:

- الدنس،
- ومن الغش،
- ومن الرياء،
- ومن كل فعل فيه عودة للسيرة السابقة،
- ومن محاولة الانسان أن يكون صورةً إلهيةً بدون الله، وهذا هو تذكار الشر الذي جلب الموت.

هذه المصالحة التي يهبها الله هي التي تفتح طريق الأكل من شجرة الحياة: "لكي ننال بغير وقوع في دينونة" من الموهبة السماوية الجسد والدم التي لها ذات صفات الألوهة:

- أولًا: غير المائتة.
- ثانيًا: السماوية.

لأننا ننال جسد المسيح الممجَّد الذي غلبَ الموت، وداسَ الجحيم، وحَكَمَ على الدينونة بأنها ليست هي الدواء الواهب الحياة.

والاستعلان الإلهي في المصالحة تعبِّر عنه أُنشودة:

"تعال إلينا اليوم يا سيدنا المسيح

وأضيء علينا بلاهوتك الفائق (العالي)

ارسل علينا هذه النعمة العظيمة

التي لروحك القدوس المعزِّي.

(أسبسمس آدام بعد صلاة الصلح – خولاجي الدير المحرق، ص ٢٤٧).

✠✠✠✠✠

"نشكرك يا يسوع، يا واهب الروح القدس، ينبوع الحياة، الروح القدس الذي أخذته من الآب لأجلنا عندما مُسحت في الأردن، لا لكي تحتفظ به لذاتك، بل تعطيه لنا لكي يكون لنا شركة معك في ذات مسحتك" (١يوحنا ٢: ٢٠).

الصليب هو قوة الحياة التي أخذناها في المعمودية، وفي مسحة الميرون[1]

قرأت ما نشره د. حنين عبد المسيح، عن عبادة الأصنام في الكنيسة الأرثوذكسية.

وهو في الحقيقة مثله مثل ألوف من الأقباط الضحايا الأبرياء الذين وجدوا أنفسهم بين عشية وضحاها يصارعون الحياة والفكر في مرحلة دقيقة من التاريخ شكلتها محاور ثلاثة. فهو مثل غيره من الأغلبية الساحقة من الأقباط الذين شربوا حتى الثمالة من مستنقع العصر الوسيط الأوربي، من ناحية. ومن ناحية أخرى رزحوا تحت وطأة رواسب الثقافة المصرية التي تشرب كل يوم من راديكالية التوحيد الإسلامي، أضف إلى ذلك ما ترسب -على مدى قرون طويلة- في وجدان الأقباط من أوطاخية عدَّلت وطوَّرت في شكلها الأخير السائد في أدبيات العصر الوسيط القبطي.

ليس غريباً أن يلتقي الإسلام مع النسطورية، ومن قبلها الأب الروحي الآريوسية، ولا مع المنوفيزية (الأوطاخية)، فالكل لدية اتجاه واحد، هو إلغاء الإنسان والكون، والفصل التام والمطلق بين ما هو إلهي وما هو إنساني.

ولم يكن غريباً أن تأتى حركة الإصلاح في صورتها المتطرفة علي يد زوينجلى وليس علي يد لوثر براديكالية تلغى وحدة السماء والأرض في المسيح (أفسس ١: ١٠)، وإنكار كل مستوي للشركة بين الثالوث والبشر في الابن له المجد وفي الروح القدس. ولم تجد تلك الدعوة المضادة – لما ساد في العصر الوسيط الأوربي –

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٨ أغسطس ٢٠٠٩.

بقيادة الكنيسة الرومانية - التي لم تحارب الممارسات الشعبية السائدة في تلك الفترة - إلاَّ ذات الحل القديم الذي نادت به هرطقة الغنوصية، أي البتر الكامل والتام لكل ما جاء من التاريخ القديم، العهد القديم، الجسد الإنساني، الكون المنظور، هرباً من مسئولية النمو الشاق والصاعد إلي صورة الله في يسوع المسيح الإله المتجسد.

ما هو جوهر المشكلة في فكر د. حنين عبد المسيح؟

أولاً: هو ضحية التعليم السائد الذي لازال يتمسك بكل شراسة بتقوى العصر الوسيط.

أمَّا رؤية البخور يُقدَّم للصليب، والأيقونات، الرهبنة...الخ علي النحو الذي قدَّمه، فليست جديدة بل سبق أن عُرضت في الجيل السابق علينا، والجيل المعاصر لنا. فقد عرضها بنيامين شنيدر في كتاب "ريحانة النفوس"، وحارب فيها بشراسة طقوس وعقائد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية التي خرجت جريحة تئن تحت وطأة نير العصر العثماني وقبله العباسي فالأموي؛ لأن مصر -كما قال أستاذنا الكبير لطفي السيد - لم يحكمها مصري منذ فتح مصر علي يد الإسكندر الأكبر حتى ثورة يوليو ١٩٥٢، فقد كانت مزرعة روما، ثم مزرعة دمشق، ومزرعة بغداد، ثم إسطنبول، ولندن. فالمحاصيل الزراعية، والخراج، بل حتى طين وادي النيل حُمِل إلي لندن. كل هذا انعكس على السياق العام الذي عاش فيه الأقباط، وشكل إطاراً عاماً لما تخلف عن المحاور الثلاثة التي أشرنا إليها.

لكن ما يهمنا أن نشير إليه بكل قوة أنه لا يمكن مع فترات السحق والقتل و تدمير العقل، وسيطرة البطش علي الثقافة أن ينمو تيار ثقافي يقبل تجسد ابن الله، ولا نغالي إن قلنا إن التجسد بكل ما يعبِّر عنه من معاني ما زال بعيداً عن الوعي الكنسي المعاصر، وإن كان القمص متى المسكين قد أفلت منه؛ لأن الله لا يترك نفسه بلا شهود، مثلما أفلت منه الأنبا بولس البوشى الأسقف الوحيد الذي أستوعب روح الآباء في العصر الوسيط.

راديكالية الإلغاء

ما الذي يُلغى الآخر؟ ونقصد بالآخر هنا الله.

ليس الإلغاء مثل النفي؛ لأنه إذا كانت عبارة "لا إله إلاَّ الله" تعبر عن نفى لكل صور وأشكال الألوهة، فهذا جيد ومطلوب، ولكن دون الانزلاق إلى الإلغاء. لأن النفي يعترف ضمنياً بما يُنفى، أمَّا الإلغاء، فهو ليس مجرد إنكار، بل تدمير وقلع لما هو موجود، ويصبح كل ما هو كائن كأن لا وجود له.

ولكن التجسد جمع معاً الآخر والأخر، الله والإنسان في شخصٍ واحد، هو ربنا يسوع المسيح. ووحد المسيح بين الألوهة والإنسان في إعلان جديد، هو البذل والمحبة التي لا تعرف الحدود، بما فيها حدّ الموت نفسه. ورفع الإنسان من عابدٍ للأصنام إلي رتبة الألوهة والتبني والخلود بمجد القيامة وسكنى الروح القدس.

ولكن تلك الدعوي ببشارة الحياة، لم تجد المجتمع الإنساني ولا حتى الثقافة التي تقبل أن يكون الإنسان مساوياً لمجد وشرف وكرامة ابن الله. فقد كانت هذه الدعوي هدماً لهرم السلطة في الإمبراطورية الرومانية، وكان دفاع القديس أثناسيوس عن قرار مجمع نقية ٣٢٥م يؤكد هذا الصدام العنيف. وكان ما أزعج الإمبراطور قسطنطين هو "الواحد مع الآب في الجوهر Homo-ousios"؛ لان هذا لا يجعل للسلطة المطلقة مكاناً ولا يعطى لها شرعية إلهية للحكم القائم علي سلطة مطلقة، فقد أصبح كل إنسان تحت حكم الإمبراطور = (يساوي) المسيح ابن الله؛ لان المسيح جاء ليكون "بكراً بين إخوة كثيرين"، بل تأمل شدة وقع كلمات الرسول "وارثون لله ووارثون مع المسيح" (رو ٨: ١٧). وبالتالي كانت القضية المطروحة هي كيف يمكن التعامل مع الآخر الذي له رأس في جوهر اللاهوت ويحمل ذات الطبيعة الإنسانية، أي المسيح؟

ولم يكن ارتداد يوليانوس الجاحد، وهو الذي تربى وعاش في بلاط الإمبراطور قسطنطين عن دين يسوع المسيح غريباً بالمرة، فقد رأي بعينيه غروب الثقافة اليونانية — الرومانية على يد المسيحية، ولذلك حارب المسيحيين، وأطلق عليهم

اسم "الجليليين"، أي أتباع يسوع الذي من الجليل"، ومنعهم من تدريس الآداب اليونانية القديمة، تلك التي كتبها هوميروس وغيره. ولو عاش يوليانوس عشر سنوات فقط لشهدت الإمبراطورية أكبر حركة ارتداد واضطهاد؛ لان يوليانوس استوعب قصور وعجز الوسائل التي مُورست تحت حكم دقلديانوس وغيره.

بل لقد كان غريباً أن يعانى اليهود تحت حكم هادريان، ومنع ممارسة "الختان" بقوة القانون، وصودرت الأملاك تماماً كما حدث مع المسيحيين؛ لأن روما رأت أن الولاء لإله اليهود يزعزع سلطان الإمبراطور ويفتح باب الثورة، تماماً كما رأي نسل قسطنطين أن الإيمان بإله واحد متجسد وثالوث يزعزع مكانة السلطة المطلقة؛ لأن الدعوة ترفع من شأن الإنسان.

وهكذا من تفاعلات ثقافة تقدِّس السلطة المطلقة، وحضارة قامت علي نشر السلام الروماني بالقوة والخضوع لسلطان روما، وفلسفة لا تقبل مطلقاً أن يسكن الله ويتحد بالإنسان وأن يفتح الباب لشركة في الحياة الإلهية، واستناداً على بعض نصوص الكتاب المقدس، نص من هنا (أمثال ٨: ٢٢)[١] ونص من هناك (يوحنا ١٧: ٣)[٢] وجدوا ما يفتح الباب لهدم دعوة الشركة في الحياة الإلهية.

ولم يأتِ عصر الأمويين – العباسيين – المماليك –العثمانيين – بثقافة إنسانية تعطى للإنسان أي قيمة. ألم يسمع أحمد عرابي كلمة تلخص الموقف كله "أنتم عبيد إحساناتنا" من فم الخديوي سلطان وحاكم مصر المطلق؟

أمام السلطان المطلق "ثقافياً" لا مجال بالمرة لدعوي الإله المتجسد إلاَّ عند الشهداء والأبطال، أمَّا عامة الناس، فالحرص علي الحياة مهما كان نوع هذه الحياة لا يفارق الإنسان ولا يقاومه المجتمع نفسه.

---

(١) "اَلرَّبُّ قَنَانِي أَوَّلَ طَرِيقِهِ مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِ مُنْذُ الْقِدَمِ".
(٢) " أَنْتَ الإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ".

راديكالية إلغاء التجسد

نلتقي عبر التاريخ بكثير من المدارس الراديكالية وليدة الثقافة:

- الدوستية: أي تلك التي اعتبرت جسد وإنسانية الرب يسوع خيالاً.
- الآريوسية: التي فزعت من التنازل الإلهي وتواضع ومحبة الله للبشر، وبالرغم من أنها جعلت من يسوع نبياً، إلاَّ أنها لم تمتنع عن استخدام ألقاب مثل "الرب" و "الإله" و "الله" باعتبارها ألقاباً "شرفية" وردت في أسفار العهد الجديد.
- الأبوليناريـة: الـتي رأت في العقـل الإنسـاني مصـدر الخيـال وجمـوح الفكـر المحرك، بل ينبوع الشر ورفضت أن يكون ليسوع المسيح عقلاً إنسانياً.
- النسطورية: التي عجزت عن أن تري أن الجنين المولود من الأم العذراء هو الله وجـاءت لتقـول قبـل غيرهـا: "الله لم يلـد ولم يولـد"، وتلـك هـي عبـارة نسطور نفسه.
- الأوطاخية: وهـي أكثر الكـل راديكاليـة، فهـي تلغـى الناسـوت كلـه، وهـو حـل الغنوصـية، لا داع بـالمرة للجسـد، فقـد ذاب مثـل قطـرة عسـل (وليس الخل) في بحر اللاهوت.

لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذَلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ سَيُحْضِرُهُمُ اللهُ أَيْضاً مَعَهُ.

لكن تلك المدارس كانت تصطدم بالسرائر الكنسية، بالكنيسة جسد المسيح الحي، بالقديسين الأحياء والراقدين بيسوع (١ تسالونيكى ٤: ١٤)[١].

ويمتد خط الفصل، المسيح في السماء لا صله له بالأرض، ورافد هذه الفكرة غير المسيحية هو أن الأسقف أو القس ينوب عنه ويمثله، هكذا تم فصل "الرأس

(١) " لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذَلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ سَيُحْضِرُهُمُ اللهُ أَيْضاً مَعَهُ".

أي المسيح عن الجسد أي الكنيسة". وإذا عجز الفصل عن ذلك، تحولت السرائر الكنسية: المعمودية، الميرون، الإفخارستيا، إلي رموز لما حدث في الماضي، وأصبحت بالتالي مجرد علامات أو رموز تُنهض الذاكرة، أمَّا بقاء الشركة في حياة المسيح كلها بالروح القدس، فهو لا يحول السرائر الكنسية إلي رموز، بل استعلان المحبة الإلهية.

إن ما غاب من الوعي هو أن التجسد هو اتحاد اللاهوت بالناسوت بدون وساطة "الزمان" وبدون وساطة شريعة موسى، وبدون أي وساطة أخري، وبالتالي فلا وجود لرموز وعلامات تدل علي ما حدث، بل رموز وعلامات تدل علي:

- ما هو حادث الآن، أمس واليوم وغداً.
- علي ما يُعطى وهو الشركة.

تلك هي أساسات الممارسات الكنيسة كلها من عقائد وطقوس (ترتيب)، فهي تعلن للإنسان ما يناله، وتؤكد بقاء ما أخذه.

ما أعظم الفرق بين أن يكون الصليب مجرد علامة تُمارس بحركة اليد، وبين أن يكون الصليب هو ختم المعمودية والميرون، وبالتالي يكون علامةً على دخولنا إلي أعماق الشركة في محبة المسيح الفائقة. أليس تحريك اليد من الشمال إلي اليمين، هو انتقالنا من الدينونة والموت إلي الحياة الأبدية؟ أليس تحريك اليد من اليمين إلي الشمال حسب طقس (ترتيب) الروم هو سكني الروح القدس في القلب؟ أليس هذه هو الجانب السري في الحياة الدائمة التي لا انقطاع فيها حتى بالموت البيولوجي؟ ولكن إن تحول الصليب إلي علامة خارجية لا تنبع من قلب الإنسان، ومن قوة وعمل الروح القدس، فإن الطقس يفقد علاقته بالسرائر، ويغري السذج علي الهجوم عليه.

وماذا عن البخور؟

الصلبان من المعادن والأخشاب وغيرها، ليست في جوهرها قطع فنية وأشياء تُقتنى. كانت قديماً توضع علي أجساد الشهداء قبل استعمالها؛ لأن الشهيد هو تجسد حقيقي في اللحم والدم لصليب يسوع نفسه. وكانت قديما توضع حول العنق بعد المعمودية وليس قبلها، لكي يحمل كل مسيحي ختم الانضمام إلي الكنيسة. وكانت قديما - حسب رؤية معلمي الكنيسة - الاحتفال اليومي لكل مسيحي بالمصالحة مع الله ومع الكون ومع غيره من البشر. حتى في العصر الوسيط كتب أسقف بابليون الأنبا يوحنا يقول "كيف ترشم نفسك بعلامة الصليب وتبغض أخيك أو تكرهه؟".

ولكن يبدو أن هذه الرؤيا أصبحت غريبة عن الثقافة السائدة في أيامنا. وقوام هذه الرؤيا هي:

- إن الكون كله الذي يتمخض الآن في مخاض الميلاد نحو الحياة الأبدية وفداء الجسد بالقيامة (رو ٨: ٢٢)، هو الكون الذي "يشرب من نهر النعمة الإلهية من الآب بالابن في الروح القدس".

- كما أن المياه تدخل شريكا من الكون في ميلادنا.

- وكذلك الزيت كمسحة من شجرة الزيتون مع أطياب لها رائحة لا تفسد، مؤكده لنا أن الجسد مُسح بعدم الفساد في يسوع.

- أمَّا البخور فقد غاب عن الوعي المعاصر أن القداسات وكل "ترتيب"، أي طقوس الكنيسة، هو وليمة العريس السمائي التي تجمع كل المفديِّين الذين رحلوا والذين لا زالوا علي قيد الحياة. حيث يجلس الرب علي رأس المائدة وعن يمينه الملكة وعن يساره المدعوين وحول المائدة الملائكة والشعب. هذا هو طقس أو ترتيب جسد المسيح الكنيسة. ويُقدم البخور لكل هؤلاء وللشعب الحاضر الشريك أو الشركاء في وليمة المسيح له المجد. الكل يُقدَّم له البخور؛ لان الكون المادي المنظور لم يُستبعد من الفداء؛ ولأن ما هو **مادي** هو في ناسوت الرب

نفسه، وقد تجلى بالنور الأزلي غير المخلوق، ولأن هذا ليس قاصراً علي الرب وحده بل يجمع كل "أبناء الله المتفرقين إلي واحد" (يوحنا ١١: ٥٢).

فهل يُقدم البخور للصلبان والأيقونات؟

إن الدفاع من العهد القديم هو دفاع باطل مهما بدأ مغرياً للقارئ. وإنما الدفاع الأرثوذكسي الحقيقي هو أن "الكلمة صار جسداً وسكنى بيننا"؛ لكي يقدِّس الكل: الإنسان والكون بكل ما فيه، وأن نقدم الكون بكل ما فيه لله؛ لأننا أصلاً خُلقنا آلهةً تُقدِّم الكون لله حسب كلمات المزمور الثامن[1]. وعندما غابت الهوسات والتسبحة السنوية من الوعي المعاصر لم ندرك أن المسيح يتجلى في الكون، فهو "ينفخ في الأشجار حتى تزهر"، وكل الخليقة تشترك في ليتورجية كونية، ولذلك صارت الصلبان والأيقونات والبخور والقداسات، وحدة واحدة إلهية – إنسانية، رأسها المسيح. وصارت المادة تلمع بالاستعلان الإلهي ، ليس من تلقاء ذاتها، ولا لأننا نراها بعين الخيال البشري، وإنما لأن الحقيقة الكامنة فينا، الحقيقة الأبدية التي أخذناها في السرائر، لا تختلف عن ما هو كائن في الكون الصغير، أي كون الكنيسة الذي هو "خميرة الملكوت" المطلوب منها أن تخمر العجين كله. الصلبان مهما كان نوعها، والبخور، والمذبح، ليست أشياء منفصلة عن الحقيقة التي أخذناها والتي نعيشها. عندما هجرنا اللغة القبطية، غاب عنا أن الميرون له اسم آخر هو ذات أسم البخور **ⲡⲓⲥ̀ⲑⲟⲓⲛⲟⲩϥⲓ** وهو ذات اسم ذبيحة الصليب، وهو اسم من أسماء الصلاة، الكل يشترك في مجد المسيح، مجد عدم الفساد، وفى التقديم والبذل.

[1] "أَيُّهَا الرَّبُّ سَيِّدُنَا مَا أَمْجَدَ اسْمَكَ فِي كُلِّ الأَرْضِ حَيْثُ جَعَلْتَ جَلاَلَكَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ! مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ أَسَّسْتَ حَمْداً بِسَبَبِ أَضْدَادِكَ لِتَسْكِيتِ عَدُوٍّ وَمُنْتَقِمٍ. إِذَا أَرَى سَمَاوَاتِكَ عَمَلَ أَصَابِعِكَ الْقَمَرَ وَالنُّجُومَ الَّتِي كَوَّنْتَهَا. فَمَنْ هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ وَابْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ!. وَتَنْقُصَهُ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ وَبِمَجْدٍ وَبَهَاءٍ تُكَلِّلُهُ. تُسَلِّطُهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ. جَعَلْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ. الْغَنَمَ وَالْبَقَرَ جَمِيعاً وَبَهَائِمَ الْبَرِّ أَيْضاً. وَطُيُورَ السَّمَاءِ وَسَمَكَ الْبَحْرِ السَّالِكَ فِي سُبُلِ الْمِيَاهِ. أَيُّهَا الرَّبُّ سَيِّدُنَا مَا أَمْجَدَ اسْمَكَ فِي كُلِّ الأَرْضِ"

كيف تم تفكيك الكنيسة في عصرنا؟

لا أريد أن أخوض في عرض التهكم والسخرية، بل والشتائم أحياناً التي انهالت علي القمص متى المسكين، بخصوص موضوع الكنيسة، فهذا حديث آخر يطول، ولكننا لن نخوض فيه لأنه لا يخدم في النهاية إلاَّ بقاء تلك النار التي تقضى علي ما تبقى من حياة الكنيسة. لكن إذا حاولنا تحليل تعليم واحد من التعاليم السائدة في عصرنا وهو أن المسيح الرب دفع دمه ثمناً لخطايانا، فما هي تداعيات هذا التعليم الوافد إلينا من العصر الوسيط الأوربي؟

١- وُضع الصليب خارج الحياة الإنسانية كما نحياها الآن، فهذا حدث تم علي مستوي علاقة الآب بالابن دون أن يمس الحياة الإنسانية في داخلها. ويجرد الصليب من كونه علامة الانتصار وسحق الموت، ويصبح آداه الانتقام أو التشفي وليس علامة المصالحة. كما ينزعه عن الحياة اليومية، فلا علاقة بين المعاناة اليومية الروحية أو الاجتماعية والمصلوب يسوع المسيح.

٢- يفصل بين الصليب والقيامة ويحول الصليب إلى شيء، أي يحول شخص المصلوب أقنوم الله الكلمة إلي ثمن، في حين أن الثمن شيء آخر غير الشخص، وهكذا يعود بنا إلي أفظع ما تصنعه الخطية، وهو تحول الكائن إلي شيء.

٣- هل بعد أن دفع المسيح يسوع الثمن يصبح للإفخارستيا أي قيمة؟ وهل يمكن أن نقول إن الدم في الكأس هو عهد الرب الجديد، بعد أن دُفع للآب؟!

وهكذا، مَن ذا الذي يرشم الصليب أو يقبِّله، إذا كان شيئاً غريباً لا جذور له في الحياة الشخصية، بل وكفَّ عن أن يكون صفةً شخصيةً ليسوع المسيح: "يسوع الناصري المصلوب قد قام" (مرقس ١٦: ٦).

عذرٌ ولا عذر

إنني اعذر د. حنين عبد المسيح، ولكني لا أعذر بالمرة الذين جلسوا علي كراسي المعلمين ينشرون تقوي زائفة تهدم السرائر وتحارب الثالوث، إذ تحوله إلي صفات ذاتية أو جوهرية، وتسخر من الكنيسة جسد المسيح، وتنكر سكنى الروح القدس، فتفصل الكنيسة كلها عن ينبوع الحياة الإلهية، وتمارس سر المعمودية في سرعة طقس "أحد التناصير" بلا إعداد وبلا تعليم لتدور عجلة الطقوس بلا مضمون روحي عقائدي آبائي، لكي يولد جيل يعيش كل جوانب الإلغاء في ثقافة شبه إسلامية تطرفت، فتحول النفي إلي إلغاء[1].

عندما شرحوا طقوس الكنيسة علي أنها ترتيب، وأن كل جماعة تحتاج إلي نظام يوحد العبادة، كان هذا هو ربع الحقيقة، أما الباقي فهو:

- أنها ترتيبٌ يقود إلي غاية.
- ترتيب موازي للحياة الشخصية التي نالت التجديد في السرائر.
- ترتيب يقود إلي الشركة في الإعلان الإلهي.
- ترتيب يعلن استمرار نعمة الله.

غفر الله لنا جميعاً

[1] رغم أن هذه الثقافة أنجبت جلال الدين الرومي – الحلاج – أبو اليزيد البسطامي – رابعة العدوية – ابن عربي – ابن الفارض وغيرهم من عظماء الحياة الروحية في الإسلام، إلاَّ أنه تم فرض ستار من التعتيم على معظمهم لأسباب معروفة، طبعاً لا سيما "الحلاج" الذي يثير اسمه غضب الكثيرين من دعاة الإلغاء عند المسلمين.

الروح القدس في الليتورجية[1]

ورد إلى الموقع سؤال من الأخ مكاريوس صبحي فارس سعد، يقول:

"كل ما نصلي القداس الغريغوري خاصة .. شعبك وبيعتك يطلبون اليك نجد الشعب يصلي. ارحمنا يا الله الآب ضابط الكل. ارحمنا يا الله مخلصنا (الابن). ارحمنا يا الله ثم ارحمنا (....) المفروض أن الليتورجيا ثالوثية ودائماً نصلي للآب والابن والروح القدس. فلماذا لا نصلي ارحمنا الثالثة للروح القدس المعزي؟ ثم يسأل هل القديس غريغوريوس اللاهوتي نسى الروح القدس هنا؟ أم أن هناك قصد لاهوتي من وراء ذلك لم نفهمه؟

يا أخ مكاريوس لم ينسَ غريغوريوس الناطق بالروح القدس، وهو مغزى لقب الناطق بالإلهيات، روح الله المحيي، ولكن الذي غاب عن الجيل هو التسليم الكنسي.

أولاً: نص الليتورجيا هو ليس كما أخذته أنت من الذاكرة، بل كما ورد في الخولاجي: "لأن شعبك وبيعتك يطلبون إليك (الابن)، وبك (الابن، شفاعة الابن رأس الجسد) إلى الآب معك قائلين ...

لأننا نطلب مع رئيس الكهنة ورأس الجسد، ولتأكيد المساواة مع الآب، فإننا نطلب منه هو وبه ومعه؛ لأن رسول رب المجد يقول عن شفاعة رب المجد: "لا يستحي أن يدعوهم أخوة: قائلاً أخبر باسمك اخوتي وفي وسط الكنيسة اسبحك" (عب ٢: ١١)؛ لأننا أعضاء جسده التي به تتقدم إلى الآب (١كو ١٢: ٢٧). وشفاعة الرب يسوع ليست طلبة مثل طلبات المؤمنين، بل هي نقل الحياة الجديدة إلى أعضاء جسده، أي نحن.

---

(1) مقال نشر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٦ ديسمبر ٢٠١٥.

ويبقى السؤال: وماذا عن الروح القدس؟

وقبل أن أكتب الرد أرجو أن تحصل على نسخة من كتاب الروح القدس للقديس باسيليوس (وهو مرفوع على موقع الدراسات القبطية، وصدرت الطبعة الثانية منه بالقاهرة في ٢٠١٤)؛ لأن التسليم الكنسي شُرِحَ بعناية وافرة.

نحن لا نتعمد إغفال استدعاء الروح القدس، ولا يوجد خطأ في الترجمة، ولا هو من قبيل السهو، ولكن إذا عدنا إلى القداس الغريغوري وجدنا أن الخدمة تبدأ بصلاة سرية: "أيها الرب الإله ضابط الكل العارف أفكار البشر .. ارسل عليَّ نعمة روحك القدوس، وأجعلني مستحقاً أن أقف عند مذبحك المقدس بغير وقوع في دينونة. وأقرب لك الذبيحة الناطقة غير الدموية .. مجداً لك ولابنك الوحيد والروح القدس المحيي المساوي لك..".

وفي صلاة ثانية: "ارسل لنا (الخادم والشعب) عطية روحك القدوس لكي نأتي إلى مذبحك المقدس ونكمل هذه الخدمة أمامك كما يرضيك".

ثم طلب عمل الروح القدس في صلاة الصلح حسب نعمة الثالوث، ولكن لاحظ: "بنعمتك ومسرة أبيك الصالح وفعل روحك القدوس". وطبعاً أنت تذكر بكل تأكيد صلاة استدعاء الروح القدس: "ارسل علينا نعمة روحك القدوس لكي تطهِّر (تقدس) وتنقل هذه القرابين الموضوعة إلى جسد ودم خلاصنا"، وبعد التقديس تأتي الطلبة التي ذكرتها.

التسليم الكنسي حسب شرح القديس باسيليوس:

أولاً: بسبب نوال عطية الروح القدس "يصبح صوت الروح القدس هو نفسه صوت الذين نالوه" (ف ٢٤: ٥٧، ص ١٤٤)، بل بعد ذلك يقول عن الروح القدس: "يسكن الروح القدس في النفس مثل الإدراك الذي يكون فكرة في القلب وأحياناً يتحول إلى كلمة ينطقها اللسان. وهكذا يكون عمله عندما يشهد لأرواحنا (رو ٨: ١٦) أو عندما يصرخ في قلوبنا أبا أيها الآب (غلا ٤: ٤)" (ف ٢٦: ٦١، ص ١٥٠).

وبسبب سكنى الروح القدس فينا يصبح "الروح هو مكان القديسين وكل قديس هو حقاً مكان الروح القدس؛ لأنه يقدم ذاته ذبيحةً وهيكلاً لسكنى الله، ولذلك قيل إنهم هيكل الله (١كو ٦: ١٩)" (راجع ف ٢٦: ٦٢، ص ١٥١)، ولأن كل مسيحي تقدَّس بالروح القدس، فإن الروح القدس هو الذي يعطي لنا معرفة الآب والابن؛ لأنه يقودنا إلى معرفة الآب والابن في ذاته أي في أقنومه" (ف ١٨: ٤٧، ص ١٢٨). ولذلك "كما أنه لا أحد يعرف الآب إلا الابن" (متى ١١: ٢٧) أيضاً لا يقول أحد أن يسوع هو رب إلا بالروح القدس (١كو ١٢: ٣) .. هذا يوصلنا إلى أن الروح القدس هو الذي يعلن في ذاته مجد الابن الوحيد وانه هو الذي يمنح الساجدين الحقيقيين المعرفة الحقيقية لله" (المرجع السابق)، وهكذا يعني –بكل تأكيد– "طريق معرفتنا بالله يبدأ بالروح الواحد من خلال الابن الواحد إلى الآب الواحد، وبذلك يصلنا الصلاح الإلهي وقداسة الله ومجد الملكوت من الآب بالابن الوحيد في الروح القدس" (المرجع السابق) حركة نزول النعمة إلينا هي من:

الآب بالابن في الروح القدس.

قبولنا للنعمة هو:

في الروح بالابن إلى الآب؛

لأننا بالنعمة نتحول إلى حياة جديدة، وهي ما تجعل شفاعة الروح القدس فينا أساسية (رو ٨: ٢٦–٢٧). وأكاد أسمع صراخ القديس باسيليوس ضد الذين يظنون أن الشفاعة هي توسل العبيد؛ لأن الروح ليس أقل في الألوهة ولا في الكرامة من الآب أو الابن، ولذلك "لا نخطئ في فهم معاني الشفاعة لأن الروح القدس فيك (إذا كان حقاً فيك) ولا تحسب أنه إذ يعلمنا نحن العميان ويقودنا إلى اختيار الأفضل فإنه يصبح بذلك أقل من الله. لا تسمح لنفسك بسبب الفهم الخاطئ أن نفقد العقيدة الصحيحة المقدسة الخاصة بالروح القدس. لا تجعل من محبة مَن يُحسن إليك وتعطفه بوفرة فرصة لإنكار الجميل لأنه مكتوب لا تحزنوا

الروح القدس" (أفسس ٤: ٣٠)" (ف ١٩: ٥٠، ص ١٣٣).

ولذلك السبب جاءت صلاة استدعاء الروح القدس في القداس الكيرلسي واضحة، إذ تقول عن الروح القدس: "البارقليط. الكائن بأقنوم. الحال في كل مكان ... ولا يحويه مكان. والفاعل بسلطة حسب مسرتك الطهر (التقديس) في الذين أحبهم وليس كالخادم".

ثانياً: الروح القدس فينا وبه نسجد للآب والابن:

يقول القديس باسيليوس: "لا يمكن لأحد أن يتمسك بالإيمان الصحيح بالآب والابن بدون الروح القدس .. ومن يجحد هذا الإيمان، فليس له نصيب في السجود الحقيقي، فلا يستطيع أحد أن يسجد للإبن إلا بالروح القدس، ولا يستطيع أحد أن يدعو الآب أبا إلا بروح التبني أي الروح القدس" (ف ١١: ٢٧، ص ٩٨).

فالروح القدس يعمل فينا على هذا النحو:

"استعدنا سكنانا في الفردوس، وصعودنا إلى ملكوت السموات، وعودتنا إلى مكانة البنوة، وحريتنا لأن ندعو إلهنا الآب، وشركتنا في نعمة المسيح، وتسميتنا أبناء النور، وميراثنا في المجد الأبدي .." (ف ١٥: ٣٦، ص ١١٢).

والروح الأقنوم الحي "المتمايز بطبيعة التقديس"، ولكن ما هو التقديس؟ والجواب هو: الرب الآب يدبِّر، والكلمة يخلق، والروح القدس يثبِّت. وما هو التثبيت سوى التكميل بالتقديس، والتكميل يعني الثبات وعدم التغير، والتمسك بالصلاح، فلا تقديس بدون الروح القدس" (ف ١٦: ٣٨، ص ١١٦).

ثالثاً: الصلاة إلى الآب بالابن هي أصلاً بالروح القدس الذي يقدمنا إلى الإبن والآب، وهو؛ لأنه فينا يوجِّه الوعي للآب والابن، وهو الوعي الذي غرسه فينا وفتح عيوننا على جمال ووحدة جوهر الثالوث. الروح يخدمنا لأنه يقود صلواتنا، ولأننا نرى الاب في الابن، فإننا نرى الابن في الروح .. لأن الروح يعمل

فينا ونستنير بالنور. لأنه يُعلن في ذاته ألوهية الرب يسوع المسيح، ولذلك السجود هو سجود للآب والابن، فهو غير منفصل عنهما، ومن يفصل نفسه عن الروح القدس لا يستطيع أن يسجد للآب والابن، ومن يصبح في الروح فلا يوجد ما يمكن أن يفصله عن الله" (ف ٢٥: ٦٤، ص ١٥٣).

وعليك يا أيها الأخ الكريم مراجعة الفصل الخاص بالتسليم، وهو (ف ٢٧) من كتاب الروح القدس للقديس باسيليوس.

إذن، نحن نصلي بالروح الناطق فينا، كلمات حية للرأس الذي مُسح بالروح القدس والذي مَسَحَنا نحن أيضاً لكي نرى جمال خدمته الكهنوتية.

أيها المعزّي الناري والمتواضع. افتح عيون قلوبنا لنراك فينا، وبك نرى الابن، وبه نرى الآب، الثالوث الواحد غير المنقسم الذي يخدمنا خدمة حياة أبدية.

لماذا نستدعي الروح القدس على الخبز والخمر في القداس الإلهي؟[1]

مقدمة

لم يكن غريباً علينا بالمرة أن نقرأ تعاليم الهراطقة أريوس ونسطور وسابيليوس في مقالات وعظات الأنبا شنودة. فقد تدرج في السقوط لأنه ترك الروح القدس رب الكنيسة المحيي، فسقط في انحدار متدرج نحو فصل الله عن الخليقة باسم مقاومة الشركة في الطبيعة الإلهية، وكأنها دعوة للعودة إلى مذهب وحدة الوجود. لقد أدرج الأنبا شنودة أقانيم الثالوث تحت اسم الوجود والعقل والحياة، فجعل أقانيم الثالوث ثلاثة صفات. وقد دافع عن هذا الرأي في محاضرة مشهورة قدمها إلى اللجنة المسكونية للشباب. وبذلك صار الأقنوم عنده صفة من صفات الذات الواحدة، فوقع في نفس تعليم سابيليوس.

ثم بعد ذلك أراد أن يدمر نعمة الشركة في حياة الثالوث، فاعتبر أنها عودة إلى خطية آدم الأول فصارت النعمة عنده خطية. وعند ذلك دعا إلى أن الكنيسة ليست جسد المسيح، منكرا ومتجاهلاً أن ذلك تعليماً رسولياً. وسخر، من هذا التعليم، وقال عبارته المشهورة: "إذا كانت الكنيسة جسد المسيح فهل هي تأكل نفسها في القداس الإلهي؟ وهل هي تسجد لنفسها عندما نقول نسجد لجسدك المقدس؟". وصار سبب السخرية ظاهراً عندما قدم ذات كلمات وعبارات نسطور إذ تحول الرب الواحد يسوع المسيح إلى لاهوت متحداً بالناسوت، ولما خشي

---

(1) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٩ سبتمبر ٢٠١١.

على نفسه قال: "بدون اختلاط ولا امتزاج ..الخ". ثم استدرك وقال إننا لا نأكل اللاهوت، لأننا لو نأكل اللاهوت ونشربه بالمعنى الروحي السرائري، فإننا نبقى بعيداً عن كل تعاليم الهراطقة اللذين أنكروا صلة الله بالبشرية. وهكذا دمر اتحاد المسيح بالكنيسة "الجسد الواحد" لكي يدمر اتحاد الرب بالمؤمنين. وكان قد سبق له أن مزق هذا الاتحاد بالادعاء بأن التعليم الرسولي "نكون مثله" (١يوحنا ٣:٢) هو إنكار لألوهية الرب وتقليل من رفعة لاهوته. وقبل ذلك كله كان قد فصل بين المواهب والأقنوم وادعى بأننا نأخذ مواهب الروح القدس فقط، وبذلك يكون قد أنكر تماماً الحياة الأبدية والقيامة من الأموات، "وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم" (رو ٨ :١١). القيامة ليست موهبة من مواهب الروح القدس، بل هي شركة في قيامة الرب يسوع حسب قول الرسول: "لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبها بموته" (في ٣:١٠). الروح القدس يسكن فينا حتى بعد موت الجسد لأن القيامة هي عامة للكل في يوم الدينونة.

هذا الدمار الذي امتد لأكثر من ربع قرن من الزمان سكت عنه ضعاف العقول والصغار الذين ينتسبون إلى الكنيسة زوراً حتى لو كانوا من أصحاب العمائم السوداء. وصارت الشهادة ضعيفة بل منعدمة تماماً بعد أن حل الخوف محل الإيمان...

لماذا نستدعي الروح القدس في القداس الإلهي؟

يجيب القداس نفسه على هذا السؤال في صلاة الحجاب في القداس الكيرلسي:

"يا خالق البرية .. أنا الضعيف العاجز غير المفلح بين خدامك، عندما أتقدم إلى قدس أقداسك وألمس هذا السر المخفي المقدس، أعطني يا رب روحك القدوس النار غير المادية التي لا يُفكَّر فيها التي تأكل كل الضعيفات، وتحرق كل الموجودات الرديئة. ليجعل فيَّ الكلمات الخاصة بالتقديس (المطهرة) لكي أكمل هذا القربان الموضوع الذي هو سر جميع

الأسرار، بصحبة وشركة مسيحك (الابن الوحيد) هذا الذي يليق بك معه المجد مع الروح القدس المحيي المساوي لك".

لو كان القربان مجرد خبز، ولو كان جسد الرب يسوع مجرد جسد، ودمه مجرد دم اتحد بلاهوت الابن، فلماذا هذا الخوف، ولماذا هذا التوسل؟ لأن الاتحاد بلاهوت الابن حسب تصور نسطور أمر لا يدعونا إلى هذه الخدمة الإلهية المخيفة. ولماذا "بصحبة وشركة مسيحك"؟ ولماذا تعطى لنا هذه الذبيحة "صفحاً ... غفراناً"؟ لماذا نقول: "عمانوئيل إلهنا في وسطنا الآن بمجد أبيه والروح القدس يباركنا ويطهر قلوبنا ويشفي أمراضنا ... نسجد لك أيها المسيح"؟ كان يجب أن نقول نسجد إلى لاهوتك فقط أم نسجد إلى ناسوت متحد بلاهوت رب المجد. إن هذا هو نفس اعتراض نسطور ..!

ثم لماذا نطلب حلول الروح القدس وليس مواهب الروح القدس، بحسب تعليم الأنبا شنودة؟ نحن نطلب الروح القدس وليس مواهب الروح القدس:

"الباراقليط – الأقنوم – الرب المحيي – واهب القداسة بسلطة مسرتك – شريك عرش مملكة مجدك، وابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح، علينا نحن عبيدك وعلى هذه القرابين ..

وهذا الخبز يجعله جسداً مقدساً للمسيح، وهذه الكأس أيضاً دماً كريماً للعهد الجديد الذي له".

ولا تقف الصلوات عند ذلك بل تقول:

"تجديداً للنفس والجسد والروح".

ليس هذا هو سقوط آدم الأول (الذي اشتهى الألوهة) كما يزعم الذين يضللوننا عن الحق، بل

"مجداً لأسمك القدوس، ... وشركة في الحياة الأبدية وعدم الفساد".

لأن الشركة في الحياة الأبدية هي عطية الآب في ابنه يسوع المسيح، وعدم الفساد هو ما حدث لناسوت الرب يسوع المسيح نفسه، وهو الوعد الإلهي

الثابت الذي بشر به الرسول بطرس في يوم العنصرة (أع ٢-٢٥: ٢٨) كما أعلنه الرسول بولس بعد ذلك في (١ كو ١٥: ٤٩ — ٥٥).

هل أجابت الصلوات على السؤال؟

نعم... لأننا أمام حقائق رسولية معلنة في الكتاب المقدس، وفي صلوات الكنيسة.

+ تجسد الابن الوحيد رب المجد "من الروح القدس ومن العذراء والدة الإله"، ولذلك يقدم البخور في أثناء الصلاة تأكيدا للمعنى الرسولي؛ لأن العذراء "المجمرة النقية الذهبية" وبالذات عندما يقول الكاهن:

"ووضع لنا هذا السر العظيم الذي للتقوى".

+ مُسِح الرب يسوع في الأردن وصار "المسيح"؛ لكي يمسح كل الذين يؤمنون به "وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس"، هذه المسحة هي التي تجعلنا مسيحيين ثابتين في الابن المتجسد بقوة الروح القدس (١ يوحنا ٢: ٢٠).

+ ولذلك، فنحن نستدعي الروح القدس لكي ندخل ذات الشركة السرية الإلهية، وبحسب وصية الرب لكي يكون كل شيء "بصحبة وشركة المسيح يسوع ربنا"، وأيضاً لكي "يجعلنا مستحقين لشركة وإصعاد أسراره الإلهية غير المائتة"، ولكي "ننال هذه الجمرة الحقيقية المعطية حياة للنفس والجسد والروح التي هي لجسدك المقدس اللذان لمسيحك..".

هل تقرأ يا أنبا شنودة هذه الكلمات، وهل توقف قلبك وفكرك أمام هذه الكلمات:

"أنعم علينا بروحك القدوس لكي بقلب طاهر ونية مستنيرة ...

وبمحبة كاملة ورجاء ثابت".

أليس التناول من الأسرار هو امتلاء من الروح القدس، ذات الروح الذي كوَّن جسد ونفس ربنا يسوع المسيح، وهو ذات الروح الذي مسحه في الأردن، وهو

ذات الروح الذي نمسح به في سر الميرون، وذات الروح الذي سوف يُقيم أجسادنا في اليوم الأخير؟

ما معنى ما يقوله القداس الكيرلسي:

"نحن وارثون لك يا الله الآب، وشركاء في ميراث مسيحك".

تأمل سقوط آدم الأول والخلاص في آدم الثاني .. آدم الأول الذي اشتهى الألوهية بدون الله، وآدم الثاني الذي جاد بالألوهة بالنعمة.

هذا هو تعليم أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير.

آدم الأول	آدم الثاني الرب يسوع
الافتخار والشر الأول الذي هو العظمة	من أجل الذي اتضع وحده لأجلنا
الخوف	من أجل الذي تألم بالجسد عنا وأقام غلبة الصليب
المجد الباطل	من أجل الذي لطم وجلد من أجلنا وأخلى ذاته
الحسد والقتل والانقسام والبغض	من أجل حمل الله حامل خطية العا لم
الغضب وتذكار الشر	من أجل الذي سمر صك خطايانا في الصليب
الغضب وتذكار الشر	لكي يمنع الرب يسوع مقالات مجلة الكرازة
الشياطين وإبليس فليهربوا	من اجل الذي شتت رؤساء الشر وهتك سلاطين الظلمة
كل فكر رديء أرضي	من أجل الذي صعد إلى السماوات

وبعد كل هذا، هل هذا جسد ودم متحد بلاهوت الرب، أم الرب يسوع عمانوئيل الذي في وسطنا الآن بمجد أبيه والروح القدس (لحن يا ملك السلام).

كيف يمكن أن نقاوم هذه الرذائل: الافتخار — العظمة والشر الأول — الخوف — المجد الباطل — الحسد والقتل والانقسام والبغضة، الشياطين وإبليس وكل فكر أرضي رديء؟ وكيف نقاوم ونثبت إلاَّ لأن حياة الرب يسوع المسيح الواحد تسكب فينا التواضع الحقيقي، وليس التواضع الكاذب الذي يرفض حياة الرب نفسه "لأنك أنت هو حياتنا كلنا" (أوشية الإنجيل). فهل هي حياته الإنسانية فقط؟... ولماذا الفصل يا أنبا شنودة؟ لأنك تريد أن تتجنب كل إشارة إلى الحياة الإلهية.

ثم نعود إلى السؤال الذي يمثل محور هذا النداء: هل يحل الروح القدس على الخبز والخمر لكي يحول الخبز والخمر إلى جسد ودم عمانوئيل إلهنا لكي ننال نحن في النهاية ناسوتاً فقط؟!!!

الإجابة الأرثوذكسية من خلال صلوات القداسات:

"جسد ودم عمانوئيل إلهنا. هذا هو بالحقيقة آمين".

"نصير شركاء في الجسد وشركاء في الشكل وشركاء في خلافة مسيحك".

"هذا الذي أنت (الآب) مبارك معه (الابن) مع الروح القدس المحيي المساوي لك".

أليس هذا هو الرب الواحد غير المنقسم من بعد الاتحاد إلى اثنين "شرح القديس كيرلس السكندري لإنجيل يوحنا الإصحاح السادس، نشر باللغة العربية ولا عذر لمن يتجاهل تراثنا الأرثوذكسي (الترجمة الانجليزية — الأصل اليوناني في مجلد ١ ص ٤١٣ — ٥٥٤).

+ اعملوا لا للطعام البائد .. يوحنا ٦: ٢٧-٣٧:

"الطعام السماوي الروحي هو الطعام الروحي والمستيكي الذي به نتقدس، بالروح وبالجسد وبالنفس ونحيا فيه (المسيح)" (المرجع السابق ص ٤٤٠).

+ خبز الله النازل من السماء الواهب الحياة للعالم (يوحنا٦: ٣٣):

"الابن الوحيد وكلمة الله الذاتي المولود من ذات جوهر الآب هو حقاً الحياة بالطبيعة ويعطي الحياة للكائنات .. لذلك يُعطى هو أيضاً بواسطة قوة الروح القدس حياة للنفس وليس هذا فقط بل أيضاً يحفظ الجسد في عدم فساد (مجلد ١: ٤٥٨).

ألا يشرح هذا لماذا يُستدعى الروح القدس في القداسات؟ بسبب وحدة عمل الأقانيم للثالوث الواحد.

+ "أنا هو خبز الحياة من يقبل إلي فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبدا" (يوحنا٦ :٣٥):

"ننال الحياة والنعمة بواسطة الجسد المقدس الذي صارت له ذات خواص الابن الوحيد το ιδιον أي الحياة التي تقدم لنا επεοκρινεται" .(مجلد ١: ٤٧٢).

هل نأكل ونشرب اللاهوت؟

شرح القديس كيرلس السكندري:

"بماذا يعد المسيح؟ ليس بشيء فاسد، بل بالأحرى بالألوجية (البركة) أي الشركة في جسده ودمه الأقدسين. هذه الشركة التي ترد الإنسان بالكمال إلى عدم الفساد، فلا يعود يحتاج إلى الغذاء والشراب اللذان يدفعان الإنسان إلى الموت، أي موت الجسد. وهنا يدعو (المسيح) الماء أي التقديس بالروح، أو لأن "الماء" هو اسم الروح القدس نفسه الذي ورد في الأسفار المقدسة. وجسد المسيح المقدس الواهب الحياة لكل من يتناوله ويحفظ كل المتناولين في عدم الفساد لأنه يختلط بأجساد المتناولين، لأن هذا الجسد ليس جسد آخر سوى جسد من هو بالطبيعة الحياة الذي اتحد اتحاداً كاملاً بالكلمة فصار له خواص الكلمة πεποιωμενον واهباً بذلك قوته التي تقيم الكل وتحفظ الكل باقياً إلى الأبد" (المجلد الأول – ص ٣٧٦).

وقبل ذلك يحذرنا القديس كيرلس السكندري من أن نقع في ذات غباوة المرأة السامرية أي انعدام الحس الروحي *συσμαθιαν* (مجلد ١: ٣٧٢)؛ لأن المسيح حسب عبارات القديس كيرلس في شرح قول الرب: "الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة، حيث فيقول معلم الكنيسة الجامعة:

"هو يملأ جسده الشخصي بفاعلية الروح الواهبة للحياة، لأنه الآن يسمي الجسد "بالروح" ليس أنه استبعد عنه كونه جسداً: بل بسبب اتحاده الكامل به، وقد تأيَّد الآن بقوته كلها المانحة الحياة، لهذا ينبغي أيضاً أن يدعى "الروح" (راجع الترجمة العربية الجزء الثالث — القاهرة أغسطس ١٩٩٨ ص ١٧٤).

ويؤكد القديس كيرلس:

"أن طبيعة الجسد لا تستطيع من ذاتها أن تحيي، لأن المخلوقات لا تعطي الحياة بل تحتاج إلى من له القدرة والقوة لأن يُحيي. ولكن من يدقق النظر في سر التجسد ويعرف من الذي حل في الجسد سوف تعرفون —كما قال هو — أنكم إذا آمنتم بقوة اللاهوت لا تقدرون أن تنكروا القوة المانحة الحياة. لأن "الجسد لا يفيد" شيئاً ولكن حيث انه اتحد بالكلمة المحيي صار محيياً بسبب اتحاده بالطبيعة الفائقة. إن جسد بولس الرسول –على سبيل المثال– وجسد بطرس وأي شخص آخر لا يمكنه أن يعطي الحياة إلا جسد مخلصنا المسيح وحده الذي، "حل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً" (كولوسي ٢: ٩). وهل يمكن –إلا إذا تمسكنا بالغباوة– أن نتصور أن حلاوة العسل لن تسري في الأشياء التي ليس فيها حلاوة إذا اختلطت بالعسل؟ هذا مثال يؤكد لنا أن طبيعة الله الكلمة لن تعجز عن أن ترفع إلى صلاحها الجسد الذي اتحدت به"(مجلد ١: ٤٣٦).

وفي شرح يوحنا ٦: ٥٤ "أنا أقيمه في اليوم الأخير"، يقول القديس كيرلس عمود الدين:

"أنا أقيمه في اليوم الأخير، وبدلاً من القول: جسدي سوف يقيمه، أي يقيم من يأكل هذا الجسد، قد نطق بالضمير أنا في كلامه "أنا أقيمه" لأن جسده ليس جسد آخر بل جسده الذاتي لأنه بعد الاتحاد لا يمكنه أبداً أن ينقسم إلى اثنين. لهذا يقول، أنا الذي صرت فيه من خلال جسدي الخاص نفسه، أي أنني أنا سوف أقيم في اليوم الأخير ذاك الذي يأكل جسدي، لأنه كان من المستحيل حقاً أن ذاك الذي هو الحياة بالطبيعة . لأنه منذ أن صار .المسيح فينا من خلال جسده الخاص، فإننا سنقوم يقيناً" (الترجمة العربية، الجزء الثالث ص ١٥٥).

"بما أن كلمة الله الواهب الحياة (حرفياً المحيي) عاش في الجسد حول إليه صلاحه الذاتي أي الحياة. وحسب الاتحاد الفائق جعل جسده محيي كما هو بالطبيعة محيي، لذلك السبب يعطي جسد المسيح الحياة لكل من يتناوله فهو يطرد الموت في الذين هم في قبضة

الموت ويطرد الفساد لأنه يحمل بالكمال الكلمة الذي يمحو الفساد"(مجلد ١: ٥٢)

كيف يعطي الجسد الحياة؟

يجيب القديس كيرلس:

"الجسد حسب خواصه بلا قوة ويعجز عن أن يعطي الحياة، إلَّا انه يعمل بقوة الكلمة المحيي لأنه يحمل قوته (الكلمة) الكاملة عندما يُعطى" (مجلد ١: ٥٥١ – ٥٥٢).

وهنا نقرأ صلواتنا القبطية التي لا تختلف عن كلمات شرح إنجيل يوحنا. لذلك، وحسب كلمات التقوى الأرثوذكسية في شرح إنجيل يوحنا وإنجيل لوقا (راجع الترجمة الإنجليزية ص ٥٦٨ في شرح إنجيل (لوقا ٢٢: ١٧–٢٢) يستخدم القديس كيرلس أهم ما وصلنا من شرح للإفخارستيا:

"لأن حلول وسكنى المسيح فينا هو روحي حسب اللاهوت، وجسدي بسبب الشركة في الإفخارستيا σωματικοωσ και πνενματικωσ".

وتختم هذه الفقرة بنص واحد –وضعت أهم كلماته بالعربية واليونانية لمن يريد أن يراجع للأصل في مجلد ١: ٤٧٣:

"عندما دعانا المسيح إلى ملكوت السماوات، عند ذلك صار "المن" رمزاً لا يخصنا بالمرة؛ لأننا لا نقتات بحروف موسى، بل من الآن بالخبز الذي نزل من السماء، أي المسيح الذي يغذينا بالحياة الأبدية؛ لأنه يعطي لنا الروح القدس ويهبنا الشركة في جسده الذاتي الذي يبث infuses فينا الشركة في الله. "نحن شركاء μετεσχηκαμεν فيه روحياً وجسدياً معاً في آن واحد؛ لأنه عندما يسكن (يحل) المسيح فينا بالروح القدس وأيضاً بواسطة الإفخارستيا المستيكية mystical فإن ناموس الخطية يموت فينا تماماً" (مجلد ٣: ٢١٣).

والشركة الروحية والجسدية معاً بالروح القدس وبالإفخارستيا التي هي محور صلواتنا الطقسية الأرثوذكسية:

"أعط يا رب أن تكون مقبولة أمامك ذبيحتنا عن خطاياي وجهالات شعبك؛ لأنها طاهرة كموهبة روحك القدوس".

"اجعلنا يا سيدنا أهّلا بقوة روحك القدوس أن نكمل هذه الخدمة".

"لكي ننال بغير وقوع في دينونة من موهبتك غير المائتة السمائية".

وعندما نصل إلى صلاة استدعاء الروح القدس، فإن الكلمات تصبح أدق، فهي قدس القديسين أو مصدر قداسة الذين تقدسوا في المعمودية والميرون حسب شرح قديم .. ولذلك تجيء الشركة الروحية الجسدانية: غفران الخطايا – الحياة الأبدية – جسداً واحداً وروحاً واحداً – ونصيباً وميراثاً مع جميع القديسين".

"يا الله الذي قدس هذه القرابين الموضوعة بحلول روحك القدوس عليها وطهرتها[١] لكي نكون مملوئين من روحك القدوس".

وعن الاتحاد الجسدي بالرب هي طلبات الشفاء، شفاء الجسد والنفس .. ولعل أبلغ صلاة بعد التناول وهي ذات ملامح كتابات الآباء:

"يا رئيس الحياة وملك الدهور، كلمة الله الآب ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، الخبز الحقيقي الذي نزل من السماء واهب حياة لمن يتناوله".

هنا يتعذر على أي إنسان له ضمير ووجدان روحي أرثوذكسي أن يفصل اللاهوت عن الناسوت، لا سيما وأن الكلمات التالية واضحة:

"اجعلنا أهلاً بغير وقوع في دينونة أن نتناول من جسدك المقدس ودمك الكريم. وليصيرنا تناولنا من أسرارك المقدسة واحداً معك إلى الانقضاء .. أنت هو ابن الله لك المجد معه (الآب) ومع الروح القدس المحيي إلى الأبد. آمين".

وهنا تنقل ليتورجية المؤمنين ذات صلاة الرب يسوع المسيح التي في إنجيل يوحنا ١٧: ١ – ٢٦. وتجيء كلمات الرب يسوع المسيح نفسه: "ليكونوا واحداً كما نحن" ١٧: ١١ – ثم "ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا" (١٧: ٢١). ولذلك تعلن صلاة القسمة، وهي للقديس كيرلس:

"وكما أنك واحد في أبيك وروحك القدس نتحد نحن بك وأنت فينا، ويكمل قولك ويكون الجميع واحداً فينا".

---

(١) عند مراجعة كل الكلمات الخاصة بالتطهير في القداسات الثلاثة يظهر بوضوح أن الترجمة القبطية ثم العربية تعود أصلًا إلى النص اليوناني "للقداس" كما ورد في القداس السكندري القديم أي قداس مار مرقس.

وبعد ماذا نقول لهؤلاء الذين سقطوا في البدعة النسطورية بسبب مقاومة الإيمان الرسولي؟ وماذا يمكن أن نقول أكثر مما قلناه؟ لكن يبقى لدينا ملاحظات إيمانية أرثوذكسية خاصة بالممارسة:

أولاً: بعد الذي ذكرناه من صلوات القداسات، هل يحل الروح القدس على الخبز والخمر لكي يصبحا جسد الرب يسوع ودمه المتحد بلاهوت الابن وبعد الاستحالة يفارق الروح القدس الذبيحة لأن عمله انتهى، أم أن الروح القدس حل على الابن المتجسد لكي نمسح نحن فيه وتبقى لنا هذه المسحة الإلهية التي تقربنا من سر الإفخارستيا وتعلن لنا هذا السر بعد أن نستدعي الروح القدس علينا وعلى القربان؟

واستدعاء الروح القدس لا يعني - حسب فكر الهراطقة- أنه غائب، بل يُعلن الاستدعاء حضوره الدائم لكي ينتبه الذهن ويستنير القلب ويخرج من ظلمة الخطية إلى نور استعلان الابن الوحيد كلمة الله.

ثانياً: هل يفارق اللاهوت الناسوت عند التناول، وبذلك نتناول جسداً ودماً بلا لاهوت حسب شرح الأنبا شنودة؟

مخيف جداً هذا الكلام الذي انطلق بكل عداوة لنعمة الله. وهو مخيف للأسباب التالية:

١- لأن المسيح يفارقنا بقوة لاهوته في أقدس مناسبة وهي الاتحاد به، فلم يعد الراعي الصالح الذي يبذل ذاته عن حياة الخراف ولم يعد هو "قيامتنا كلنا" حسب أوشية الإنجيل ولا حتى غفران وطهارة نفوسنا.

٢- إذا فارقنا لاهوت الابن وظل معنا الناسوت فقط الذي أخذناه في السر المجيد، فإننا هالكون لا محالة؛ لأننا حسب شرح الأنبا شنودة لا نعرف ولا نشترك في الرب يسوع وليس لنا صلة بلاهوت الابن وبالتالي ليس لنا صلة بالثالوث.

٣- يقول الرسول بولس "إن الله كان مصالحاً العالم" وقبل هذه الكلمات يقول "كان الله في المسيح مصالحاً العالم لنفسه" والكلام هنا عن الثالوث، فلماذا إذا اقتربنا من خدمة المصالحة في الذبيحة الإلهية اختفى الله وترك أو انفصل عن الناسوت لأننا من خلال ألوهية الابن المتجسد نشترك في الآب والروح القدس كما سبق وذكرنا.

ثالثاً: إذا فارق اللاهوت الناسوت عند تناول سر الشكر، فكيف ستكون لنا شركة أبدية مع الثالوث؟ وكيف نرث الملكوت؟ ونحيا فيه؟ هل بقوتنا الذاتية، أي خلود طبيعي وقدرة على البقاء مصدرها الطبيعة المخلوقة وليس الله الواهب الحياة الأبدية في يسوع المسيح؟!!!!!! وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا (رو ٦ :٢٣). ما أفظع ما قيل بكل استهتار عن القضاء على وتدمير نعمة الله وبشارة الخلاص بالحياة الأبدية، لكي يكمل الأنبا شنودة تدمير ما تبقى من الأرثوذكسية.

رابعاً: إذا فارق اللاهوت الناسوت عند التناول وأكلنا نحن ناسوتاً فقط حسب تعبير نسطور والأنبا شنودة، فكيف ومتى تتكون الخليقة الجديدة التي نالت التجديد في المعمودية، ورُدت إليها صورة الله التي في صورة المسيح؟ "إلى أن يتصور المسيح فيكم" (غلا ٤ :١٩). فكيف يتصور المسيح فينا وبأي قوة ننال صورته وبأي نعمة نقوم "على صورة جسد مجده" (في ٣ :٢١)؟ وهذا إذا تم بقدرات الإنسان وحدها، أليست هذه عودة صريحة إلى الهرطقة البيلاجية؟!!! وإلى الخلاص بالأعمال الصالحة؟!!! وفي حقيقة الأمر هذا هو سر الهجوم ضد ما كتب عن موضوع التبرير في رسالة رومية شرح الأب متى المسكين.

خامساً: إذا كنا نعيش حالة الانفصال وعدم الشركة مع الله في الدهر الآتي وهنا على الأرض أيضاً بحسب تعليم الأنبا شنودة، فلا نشترك في حياة الله، أليست هذه هي صورة إسلامية محضة ينقصها الجانب الحسي الوارد في تفاسير القرآن عن الحور والطعام وما إليه؟!!!

سادساً: لماذا غاب موضوع الشركة تماماً من كتابات الأنبا شنودة؟ عند مواجهة الهراطقة لم يقف الآباء عند حد رد فكرهم الهرطوقي، بل شرحوا التعليم الأرثوذكسي. حسناً، فإن كنت تنكر الشركة في الطبيعة الإلهية وتتهم كل من يقول بها بالهرطقة، فلماذا لا تشرح لنا ما تقدمه الأسفار عن الشركة؟!!! أمثلة على ذلك، تعبير الرسول بولس، "شركاء الروح القدس" (عب ٦: ٤) "ولكي نشترك في قداسته" (عب ١٢:١٠). وغيرها من العبارات الرسولية، مثل: "لأنه مكتوب كونوا قديسين لأني أنا قدوس" (١ بط ١:١٦). هل تكتفي بالاتهامات والشتائم والسخرية؟ وهل هذا هو كل ما عندك؟ فإن كان لديك أي تعليم عن الشركة نريد أن نسمعه منك.

سابعاً: إذا لم نصبح واحداً مع الرب حسب الروح وحسب الجسد ونكون في وحدة مثل وحدة الثالوث حسب تعليم الرب يسوع المسيح في (يوحنا ١٧: ١-٢١)، فما هي الكيفية التي يمكن لنا بها أن نصير واحداً كتعبير الكتاب، بدون اللاهوت وبدون الشركة في حياة الرب يسوع المسيح غير المنقسم من بعد الاتحاد؟ لا بد أن تكون هذه الوحدة هي نتيجة نزوع سياسي اجتماعي يسقط كل نعمة مُنحت للكنيسة جسد المسيح. ولا غرابة، فإن هذا الموضوع قد غاب تماماً عن كل ما كتبه الأنبا شنودة. إن وحدة جسد الرب مع تنوع الأعضاء واختلاف المواهب وتعدد المؤمنين لا يمكن أن تكون وحدة إرادية بحسب الجسد أو وحدة نظامية تنشأ من الطقوس أو القانون أو من تناغم الإرادة وحدها. بل لا بد أنها نتيجة لأن يجمع الرب أعضاء جسده، أبناء الله المتفرقين إلى واحد (يوحنا ١١:٥٢)، وأننا نحن أعضاء جسد المسيح، "هكذا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح وأعضاء بعضا لبعض كل واحد للآخر (رو ١٢:٥). فإذا تخيل العقل أن هذا الجسد الواحد مع تعدد الأعضاء وتنوعها واختلافها بحسب ما ورد في كو ١٢: ١٢ - ٣١ وأن هذه الوحدة عائدة إلى الشركة في ناسوت الرب وحده دون اللاهوت، وقع صاحب هذا التعليم في إنكار صريح لكل النتائج التي حصدتها البشرية من تجسد الرب يسوع. لأن تجسد الرب هو الذي جمع المؤمنين وجعلهم

واحداً، وهو الذي جعل الكل خليقة جديدة في يسوع المسيح (٢ كو ٥: ١٧). بل ذلك نفي لكل مفاعيل التجسد ومفاعيل الصليب ومفاعيل القيامة. ألم يجمع الرب يسوع الكل فيه لكي يموت الكل فيه ومعه (رو ٦ :١-٨)، ولكي يحيا الكل فيه؟

فكيف نحيا مع الله؟

فقط في شركة الرب يسوع الذي هو ميراثنا.

هل يفارقنا الروح القدس عندما نخطئ؟[١]

سؤالُك يا أخي سامح قديمٌ جديد. جال فيه علماء العصر الوسيط، وجادت عليهم أفكارهم بما ترسَّب عندهم من ثقافة غير مسيحية غير ملتزمة بالأسفار والتسليم الكنسي. والذي يدرس تاريخ الطقوس والقانون، سوف يجد في بعض المخطوطات طقساً يسمَّى: "ترتيب القِدر لمن نجَّس جسده بالزنى أو جحد الإيمان". وقد شهد المؤرخ اليسوعي فانسليب هذا الطقس، وأروده في أول كتاب له عن الكنيسة القبطية، كتبه عندما كان مرسلاً كاثوليكياً يجوب بلاد مصر. والطقس هو صلاة على قِدر من الماء، يوضع به بعض قطرات من زيت الميرون، ثم يُغسل به جسد الزاني أو المرتد. وتجد هذا الطقس في مجموعة بعنوان قوانين من أجل صعوبة الأيام[٢]. وهو ما يشبه إعادة المعمودية.

وطقس القِدر ذكره أبو البركات ابن كبر قس المعلَّقة[٣]. وحسب دراسة الأستاذ برمستر (راجع حاشية ٢) كان الطقس يمارَس حتى القرن ١٩ وهو تخمين قريب من الواقع؛ لأن الرحالة اليسوعي فانسليب زار مصر وشاهد الطقس. وآخر مدونة للطقس هي ١٥٦٧ للشهداء أي ١٨١٥ ميلادية. وكان فانسليب وهو ألماني[٤] الأصل كتب بالفرنسية، قد توغل في صعيد مصر حتى سوهاج (ولد في ١٦٣٥-١٦٧٩)، فهو قريب جداً من التاريخ الذي ذكره أستاذنا برمستر (أستاذ

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٧ مايو ٢٠١٥.

(٢) عرفت باسم قوانين أكليمنضس وأقدم مخطوط عربي هو Mingana. Ar. Chr. Ms 79 راجع أيضاً Grat المجلد ١١٨ من مجموعة Studia e Testi روما — صفحات ٥٨٠-٥٨١.

(٣) راجع Burmester في بحث جيد بعنوان The Egyptian or Coptic Church, page 316??.

(٤) كتاب فانسليب نشر في طبعة حديثة بعنوان:

Nouvelle relation en forme de Journal, d'un Voyage fait en Egypte: par le P. Vansleb. R.D. En 1672-1673.

اللغة اليونانية سابقاً في الكلية الإكليريكية). وطبع الأسقف روفائيل الطوخي الطقس كله في الخولاجي القبطي — العربي — روما ١٧٦١-١٧٦٢.

كان الاعتقاد السائد هو أن المرتد والزاني يفارقه الروح القدس، ولذلك كان من الضروري إعادة غسله بماءٍ مخلوطٍ بالميرون حتى يعود الروح القدس يسكن فيه. بل كان المتشددون من أصحاب هذه النظرة غير المسيحية يعلِّمون بأنه لا غفران للمرتد إلَّا إذا دخل الرهبنة أو نال الاستشهاد.

على أن هذا الرأي السائد لم يكن الرأيُ الوحيد في هذا الشأن، فالأنبا بولس البوشي، وهو أعظم من كتب بعد عصر الآباء لا يقبل الرأي القائل بمفارقة الروح القدس بعد المعمودية. أمَّا الجانب المتشدد، فقد بنى رأيه على أن السقوط بعد المعمودية في الخطايا العظمى يعني عودة الإنسان إلى حالة آدم بعد السقوط. وإن كان كلا الجانبين من علماء العصر الوسيط لم يكن لديهما أدنى شك في أن الروح القدس فارق الإنسان عندما أخطأ لسببٍ واحد، وهو الموت ووقوع الإنسان تحت حكم الموت.

كانت نسمة الحياة هي هبة الروح القدس لآدم، وهو التسليم الكنسي الذي دوَّنه القديس كيرلس الكبير في شرح إنجيل يوحنا[١]. ولأن الروح القدس هو "الرب المحيي" فهو لا يسكن أو يحل في الإنسان الذي أخضع كيانه للموت بحكم إلهي "موتاً تموت"[٢].

---

(١) شرح انجيل يوحنا ٢٠: ٢٢ مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٧٤: ٧١٣-٧١٦ — راجع أيضاً كتابنا: الخليقة الجديدة، ص ١٣٠، القاهرة ٢٠١٤.

(٢) راجع دراستنا: الخليقة الجديدة في المسيح يسوع، ص ١٢٧ وما بعدها القاهرة ٢٠١٤

لماذا فارق الروح القدس آدم؟

حسب التسليم الكنسي، كان ثيئوفيلوس الأنطاكي (حوالي ١٩٠ وربما قبل ذلك) هو أول من قال لنا إن الموت صار بركةً بدلاً من اللعنة، مؤكِّداً أن الموت جاء ببركة واحدة، وهي ألَّا يبقى الإنسان في الخطية إلى الأبد"[١].

ويهمنا هنا نص القديس كيرلس الكبير الذي رأى في موت آدم تحوُّل حكم الموت إلى محبة للبشر؛ "لأن آدم تعدَّى ونال جزاء التعدِّي الذي حذَّره منه الخالق، ولكن الله الصالح حوَّلَ العقوبةَ إلى خلاصٍ؛ لأن بالموت ينحل الإنسان الخاطئ وتنتهي كل أعماله الشريرة، وفي نفس الوقت يتوقف الألم ويتحرر الإنسان من الحزن والمعاناة، وتنتهي كل شهوات الجسد. وهكذا مَزَجَ الديان السمائي محبته بالجزاء"[٢].

وغريغوريوس النزينزي يقول إن حكم الموت "منعَ الشرَّ من أن يكون أبدياً أو خالداً، وهكذا اعتقدنا أن هذا هو أسلوب الله في العقاب"[٣].

هكذا كان من المستحيل أن يظل روح الحياة في الإنسان الخاطئ؛ لأن المانع الحقيقي هو الموت.

وراثةُ الموتِ، لا وراثة الخطية:

الرجا مراجعة دراسة لنا نُشِرت بعنوان: وراثة الخطية أم سيادة الموت[٤]، وضَّحنا فيها أن الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية تختلف عن كل الكنائس الغربية في تعليمها بأن البشرية ورثت الخطية، ولكن لدينا في تراثنا المسيحي الأرثوذكسي طريق واضح، وهو أن محور مشكلة الإنسان هو الموت وليس الخطية.

عندما يقول رسول الرب إنه كما بواحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية

---

(١) الرسالة إلى Autolykos ٢: ٢٢٦.

(٢) تجسد الرب ٦ مجلد ٧٥: ١٤٢٤ D.

(٣) عظة ٣٨: ١٢ مجلد ٣٦: ٣٢٤ CD - راجع أيضاً عظة ١٨: ٣ لذهبي الفم مجلد ٥٣: ١٥١).

(٤) الطبعة الأولى، القاهرة، نوفمبر ٢٠١٤، وهذه الدراسة منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

الموت (رو ٥: ١٢)، فإن حكم الموت سرى على الجميع رغم عدم اشتراكهم في خطية آدم، وعبارة رسول الرب حاسمة: "ملك الموت من آدم إلى موسى (أي قبل الشريعة) وذلك (على البشر) الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم (خطية آدم) الذي هو مثال الآتي (يسوع ربنا) (رو ٥: ١٤). وقد جاء الحكم إلى الجميع (رو ٥: ١٨) وذلك للأسباب التالية:

١- وحدة الجنس البشري البيولوجية والروحية، ولذلك فأي إصابة في إنسان واحد تمتد إلى الكل.

٢- لا يستطيع كيان سقط تحت حكم الموت أن يلد حياة لا تموت، بل حياة خاضعة بدورها للموت.

٣- الموتُ عامٌ، ليس فقط بسبب وحدة الجنس البشري، بل لأن حتى الحياة الاجتماعية والثقافية، والأسرة والمجتمع تفرز كل أشكال الموت: الأنانية — العدوان إلى درجة القتل — الكراهية — الاستهتار بالمحبة — الزنى، والوثنية الحديثة وهي عبادة القوة والمال والجنس وسيطرة المعرفة الشريرة على كل عواطف أفعال الإنسان.

شوكة الموت هي الخطية (١كو ١٥: ٥٦):

اللاهوت الغربي يتجاهل مركزية الموت، ويعطي للخطية مساحةً أكبر، ويجعل من الخطية سبب تجسد الرب وموته على الصليب، بينما الأرثوذكسية ترى أن مشكلة الإنسان الأولى ليست الخطية، بل الشوكة التي تلدغ وتقود الإنسان إلى الخطية، أي شوكة الموت.

بالخطية دخل الموت، ومع الموت خَلَق الإنسان لنفسه رغبة الخلود، فصارت رغبة الخلود لدى الإنسان هي المحرك الأول لقتل المعارِض، وجمع المال، والشراهة في الطعام، والسمعة وجمع الألقاب، وصارت هي بذرة النرجسية، أي الإفراط في محبة الذات بل التفاخر الكاذب والخيال الجامح وليد الكبرياء، والقائمة تطول.

الخلاص من الموت هو الموضوع المحوري لكتاب تجسد الكلمة:

سوف أكرر الشكر للأستاذ د. جوزيف فلتس على نشر ترجمة عربية جيدة لكتاب تجسد الكلمة. لذا أرجوك عزيزي القارئ أن تحاول أن تقرأ الكتاب كما كتبه أثناسيوس نفسه، لا كما يُقال عنه، وكما يُساء اقتباسه عند بعض الإكليروس. سوف تجد أثناسيوس يقول:

- "سيجلبون الموت على أنفسهم .. ويبقون إلى الأبد في فساد الموت .. البقاء في فساد الموت إلى الأبد" (٣: ٥).
- "الإنسانُ فانٍ بطبيعته لأنه خُلِقَ من العدم: (٤: ٦).
- "صاروا هم أنفسهم السبب فيما حدث لهم من فساد الموت .. بدأ الفساد يسود عليهم" (٥: ٢).
- "صارت للموت سيادة شرعية" (٦: ٢).
- "رأى الله أن الجنس البشري العاقل يهلك، وأن الموت يملك عليهم بالفناء، وإذ رأى أيضاً أن حكم التعدي (الموت) قد خلَّدَ الفناءَ فينا .." (٨: ٢).
- "رأى أن كل البشر تحت سلطان الموت" (٨: ٢)[1].

وعندما يقول العهد الجديد عن الرب إنه صار خطيةً، أو أنه حمل خطايانا في جسده، فهو بكل يقين يؤكِّد موت سلطان الخطية، فقد أباد الرب بموته، ليس الموت وحده، بل شوكة الموت؛ لأن شوكة الخطية هي الشريعة حسب كلمات رسول المسيح (١كو ١٥: ٥٦-٥٧)، ولاحظ دقة تعبير الرسول: "نحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح" (أفسس ٢: ٦). "وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا أحياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا" (كولوسي ٢: ١٣).

إذن، فقد قلع الربُّ شوكة الموت، أي الخطية، بموته، فصارت مغفرة الخطايا من ضمن العلاج الإلهي. شفى الرب الجذر، فصار الفرع غير قادر على أن يثمر، أي الخطايا.

---

[1] راجع أيضاً محاضرات في تجسد الكلمة (١٠ محاضرات) نُشرت على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية، وطُبعت في جزئين بالقاهرة ٢٠١١ وبشكل خاص الجزء الثاني من ص ٤٢ حتى نهاية الكتاب.

وهكذا حدثت ثلاثة أشياء ذكرها الرسولي أثناسيوس:

الأولى: "رفع الموت فوراً عن جميع نظرائه من البشر" (٩: ١).

الثانية: "أبطل شريعة أو ناموس الموت، ولذلك "نحن الآن لا نموت بعد كمدانين (تحت الدينونة) بل كأناسٍ يقومون من الموت ننتظر القيامة العامة للجميع التي سيبينها في أوقاتها التي يحددها الله الذي أتمها والذي وهبنا إياها (في المسيح)" (١٠: ٥).

الثالثة: "وضع نهاية لناموس (شريعة) الموت الذي كان قائماً ضدنا، وصنع لنا بدايةً جديدةً للحياة برجاء القيامة" (١٠: ٥).

هل نعود إلى حالة آدم بعد السقوط؟

أولاً: لا توجد قاعدة لاهوتية تقول إن الخطية هي انفصالٌ عن الله. وسبب رفض هذه الفكرة الخاطئة هو أن الخليقة كلها وأولها الإنسان لا يمكن أن يبقى إذا انفصل عن الله؛ لأن "كل شيء به كان" (يوحنا ١: ٢)، وعن الرب نفسه الذي "هو حامل كل الأشياء بكلمة قدرته" (عب ١: ٣). ويقول رسول الرب عن المسيح ربنا: "الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة، فإنه فيه خُلق الكل ما في السموات (وهذا سهل علينا) وما على الأرض (أي كل البشر وهذا صعب على البعض)، وبعد أن يذكر الرتب السمائية يقول: "الكل به وله قد خُلق" (كولو ١: ١٥-١٦). و"الكل به"، سهلةٌ، ولكن "له"، أي لكي يعيدها فهي ملكه، فلم تنل الاهتمام الكافي في زماننا.

ثانياً: تفوُّق العهد الجديد، وهو عهدٌ امتاز بما يلي:

١- وُهب من الله، لا دخل لنا فيه، بل جاء بمحبة الله للبشر.

٢- إنه بُني وشُيِّدَ على المسيح وحده كوسيطٍ وحيد، فهو ليس معاهدة بين طرفين: الله والبشر؛ لأن العهد الأول كان بين الله وإبراهيم، ثم باقي الآباء. أمَّا العهد الجديد، فهو حسب نبوة أرميا نفسه: "ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً. ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم

يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر ... بل هذا هو العهد ... أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً .. لأني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد" (أرميا ٣١: ٣١-٣٤). ولذلك يقول الرسول إن الرب قد صار ضامناً لعهدٍ أفضل (عب ٧: ٢٢)، بل هو عهدٌ أعظم (٨: ٦)، ويصرخ بولس في وجه تلاميذ موسى الذين يعبدون حسب التوراة لأنه بعد أن اقتبس كلمات النبي أرميا (٣١: ٣١-٣٤) يقول: "فإذا قال جديداً صار الأول قديماً (عتَّقَ الأول)، وأما ما صار قديماً وشاخ فهو قريب من الاضمحلال" (عب ٨: ١٣). ولكن ما أكثر الذين يريدون إعادة العهد الأول القديم الذي شاخ وعجز عن أن يقدم لنا حتى الغفران نفسه؛ لأن يسوع صار الآن بذبيحة حياته هو ذاته يطهِّر حياتنا من كل دنس (عب ٩: ١٤).

يقول الرسول إن الله نزع العهد الأول لكي يثبِّت العهد الجديد (راجع بدقة عب ١٠: ١-٩)، فكيف تُبطِل الخطيةُ عملَ المسيح، وتعيد الإنسان إلى الموت. وللمرة العاشرة -على ما أذكر- أقول إن الخطية التي للموت الذي ذكرها رسول المسيح في (١يوحنا ٥: ١٦) هي ارتكاب أية جريمة عقوبتها القتل في القانون الروماني، ولذلك "توجد خطية ليست للموت" (١يو ٥: ١٧)، ولتلك الخطية يطلب منا الرسول أن نصلي، أما الخطية التي للموت، فهي الخيانة العظمى والقتل حسب القانون الروماني.

أما عبارة الرسول: "مَن ولد من الله لا يخطئ" (١يو ٥: ١٨)، فهي تعني بكل يقين أنه لا يخطئ في معرفة أبوة الله الذي ولده؛ لأن كل مَن يؤمن أن يسوع هو المسيح، فقد وُلِدَ من الله (١يو ٥: ١)، ولذلك يقول الرسول قبل ذلك: "يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا. إن أخطأ أحد، فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار، وهو كفارة لخطايانا" وقبل ذلك: "إن قلنا إننا بلا خطية نُضِلُّ أنفسنا وليس الحق فينا (والحق هو المسيح)".

ثالثاً: الروحُ أُعطيَ لنا عطيةً أبديةً:

يقول الرب نفسه: "أنا أطلب من الآب فيعطيكم معزِّياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله؛ أما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم" (يوحنا ١٤: ١٦).

العهد الجديد هو يسوع نفسه، هو مؤسِّس العهد بدمه لغفران الخطايا، كما قال الرب نفسه في العلية عندما سلَّم لنا جسده ودمه عهداً جديداً بدمي.

أخيراً:

لعل الصورة تكون قد بدأت تظهر بوضوح، ولكن من أجل خطورة ودقة الموضوع يجب أن نتوقف عند هذه النقاط الأساسية:

أولاً: الخطية ليست هي القاعدة التي تفسِّر وترتِّب كل البنية اللاهوتية، وليست هي سبب تجسد الابن، بل سبب تجسد الابن هو صلاحه كخالق ومحبته الخاصة للبشر على النحو الذي ذكره المعلم الرسولي أثناسيوس في تجسد الكلمة.

ثانياً: لا يوجد تعليم عن الخطية كانفصال عن الله في الكتاب المقدس بعهديه، وقد دخلت هذه الفكرة في بعض شروحات العلَّامة أوريجينوس، ولكنها أُسقطت تماماً عند الآباء الذين قاموا بمراجعة كتب أوريجينوس، وفي مقدمة هؤلاء الرسولي أثناسيوس الذي كتب "تجسد الكلمة" رداً على كتاب "المبادئ" للعلَّامة أوريجينوس. ولأن أثناسيوس رجلٌ مسيحيٌّ عظيم، لم يشهِّر بالعلَّامة أوريجينوس، بل مَدَحَه مرةً في الرسالة الخامسة إلى سرابيون عن الروح القدس ووصفه بأنه "المجاهد العظيم".

ثالثاً: تجاهَلَ أكثر من جيل، خصائص العهد الجديد الأبدي، الذي فيه تمَّت إبادة الموت، والذي ترتل له الكنيسة طوال فترة الخمسين، وهي زمان الانتصار، حيث تسير في موكب الانتصار الذي تلوَّثَ بالاسم الشعبي الدنيء "زفة الأيقونة"، أو "زفة القيامة"؛ وذلك لغياب التعليم بإبادة الموت.

رابعاً: وهكذا، عندما صارت الخطية، لا الموت، الموضوع المحوري في التعليم، تم ترتيب شرح الإيمان على النحو الذي ورد سابقاً، ولكن الله يعمل فينا بالابن وفي الروح القدس[1].

خامساً: التعليم بوقوع الإنسان تحت سلطان الموت بعد الفداء العظيم الذي جاء بمحبة الثالوث لنا هو إنكارٌ صريحٌ لأبدية هذا الفداء.

في هذا المجال يجب أن نلاحظ أن الحبل المثلث الذي لا ينقطع هو:

- **المحبة الإلهية التي يسكبها روح الله فينا** (رو ٥: ٥)، وهي محبة لا تموت؛ لأن الله محبة، ولأن هذه المحبة غلبت الموت على الصليب وأقامت الحياة الغالبة للموت.

- **معرفتنا بالآب والابن والروح القدس**، معرفة غير قابلة للموت؛ لأنها معرفة حياة وتعطي الحياة الأبدية (١ يو ١: ١ - ٣).

- **عطية التبني التي لا تقوى عليها الخطية والموت**، وهي غير قابلة للانفصال عن الله حسب كلمات رسول الرب في (رو ٨: ٢٩)؛ لأننا دُعينا أبناء الله، وإخوة للرب بسبب التبني، وهذا ليس بصلاحٍ أو تقوى فينا، بل بسبب محبة الله الفائقة، ولذلك ينشد الرسول قائلاً: "فإني متيقنٌ أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا" (رو ٨: ٣٨ - ٣٩).

لذلك يا أخي علينا الحذر من أي تعليم لا أساس له في الأسفار، وكل اجتهاد -مهما كان- يجب أن يكون له أصلٌ في الأسفار، وظاهر في التسليم الكنسي؛ لأن عطية الله هي "بلا ندامة".

مع محبتي

---

(١) راجع الرسالة الخامسة من رسائل القديس أثناسيوس إلى سرابيون ودراستها بعناية.

التقديس والتطهير،
عمل الروح القدس الدائم في النفس والجسد[1]

هل أصبح عمل الروح القدس في النفس والجسد، موضوعاً غائباً؟

حسب تسليم الكنيسة، نطلب من محب البشر أن "لا يقوى علينا موت الخطية". وفي قداسنا الكيرلسي، نطلب: "طهِّر إنساننا الداخل **ⲉⲧⲥⲁϦⲟⲩⲛ** كَطُهرِ ابنك الوحيد هذا الذي نضمرُ أن نأخذه ..". والطُّهر والطهارة هي ترجمة قبطية لكلمة "تقديس"، ومقارنة الكلمة والفعل في القداسات الثلاثة تؤكد لنا ذلك:

- ففي تقديم الخبز والخمر، نقول: قدِّسهما **Ⲁϥⲉⲣⲁⲅⲓⲁⲍⲓⲛ**

- وفي استدعاء الروح القدس على القرابين، نقول: يطهرها **Ⲛⲧⲉϥⲧⲟⲩⲃⲱⲟⲩ**

ونحن هنا إزاء أحد أركان العهد الجديد الذي يقدم لنا شركة في قداسة الله؛ لأننا نؤدب من "أجل المنفعة لكي نشترك في قداسته" (عب ١٢: ١٠)، وهي القداسة التي وهبَت لنا في المسيح يسوع عندما قدَّم ذاته ذبيحةً وقرباناً؛ لأننا "بهذه الإرادة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرةً واحدةً" (عب ١٠: ١٠)

وهنا نذكر بالفضل أستاذنا الراحل الكريم يسى عبد المسيح، فقد كان هذا هو أول درس سمعته منه.

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٠ يونيو ٢٠١٧.

لقد جاء التقديس بالاتحاد بالرب يسوع، وهو اتحادٌ ننمو فيه، ولا يمكن أن تقوى عليه الخطية؛ لأن شوكة الموت نُزعت من الخطية: "أما شوكة الموت فهي الخطية، وقوة الخطية هي الشريعة (الناموس)" (١كو ١٥: ٥٦). وهو ما نردد صداه ونؤكد عليه في القداس الباسيلي: "والموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس، هدمته بالظهور المحيي الذي لابنك الوحيد ربنا يسوع المسيح".

إذن، لا يمكن للخطية أن تبني مرةً ثانيةً ما هدمه الرب، ليس فقط لأن الرب أقوى، بل لأن: "النعمة قد ازدادت لكثيرين" (رو ٥: ١٥)، ولأن "**النعمة تملك** بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا" (رو ٥: ٢١)، ولأن مُلك المسيح لا يمكن أن ينقض؛ لأننا "مُتَّحدين معه بشبه موته"، ولذلك "نصير بقيامته" (رو ٦: ٥).

الشك في التقديس بسبب انتشار فكرة الانفصال عن الله:

ذاعت فكرة الانفصال عن الله تحت تأثير الأفلاطونية المحدَثة، وكانت إحدى ركائز مدارس الغنوسية التي نشرت التعليم الشيطاني بأن الجسد من صُنع إله الشر، وأنه هو، أي الجسد، سبب انفصال الإنسان عن الله. ودخلت هذه الفكرة في التعليم الإنجيلي (البروتستانتي) أيضاً في القرن الثامن عشر، ومن هنا جاء الرسم المشهور الذي يصوِّر الله واقفاً على رأس هوة بعيدة تفصل بينه وبين الإنسان، إلى أن جاء المسيح ووضع نفسه فوق الهوة لكي يعبر الإنسان من فوقه إلى الله.

ضد هذه الفكرة، وضد كل تصوُّرٍ آخر عن الانفصال، تقف كلمات الإنجيل: "كل شيء به كان"، وليس هذا عن الماضي فقط، بل: "فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس". ولم يقف الرسول عند هذه الحقيقة، بل "والنور يضيء في الظلمة" (يوحنا ١: ٢-٣). ولا يجب أن يقود الفعل "كان" و"كانت" إلى تصوُّر أن هذا هو الماضي السابق على سقوط آدم؛ لأن الحقيقة المعاشة هي:

"فإنه فيه خُلق الكل ما في السموات وما على الأرض .. الكل به وله قد خُلق الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم (قوام) الكل" (كولوسي ١: ١٦-١٧).

وكلمة "يقوم" في هذا النص تعني "يبقى في الوجود"، ولذلك كتب الرسول بما لا يدع مجالاً للشك أو الجدل أن الرب هو "حامل كل الأشياء بكلمة قدرته" (عب ١: ٣). فكل ما هو كائن، إنما هو كائن بقدرة الابن الكلمة، ولو كان انفصل، لَعاد إلى الفناء.

وعندما سقط آدم وسمع الحكم: "موتاً تموت"، لم يرجع آدم إلى العدم الذي خُلق منه، بل أبقت عليه رحمة الله وصلاحه، وهو ما شرحه القديس أثناسيوس الرسولي بكفاية في تجسد الكلمة في الفصول الستة الأولى.

إذن، الانفصال عن الله خالقنا تعليمٌ خطير، تظهر خطورته في أنه لا يأخذ بعين الاعتبار مطلقاً أن الخليقة لا وجود لها بدون الصلاح والرحمة. وهو ما يظهر في أن الخطية، رغم أنها جرحٌ مميت، طرد الإنسان من جنة عدن، إلا أن الإنسان استمر عائشاً بعد ذلك. وجاء شيث، وأخنوخ وإبراهيم، وإسحق، ويعقوب، وسلسلة طويلة من القضاة، والأنبياء، والملوك، لكي يؤكد الله أن هؤلاء كانوا على شركة بالله، وما علينا إلا أن نقرأ سفر المزامير بدقة للتأكيد على ذلك.

وقد جاء التعليم اليوناني الكلاسيكي بموت الجسد وخلود الروح، وهو تعليم ينكر صراحةً أن هبة الله هي الحياة الأبدية التي لا تُوهَب إذا كان الإنسان أو حتى روح الإنسان خالدة بالطبيعة.

فعندما ضرب الموتُ الإنسان، ضَرَبَ كل ما فيه: الروح والجسد. ولكن، إذ ظل الإنسان موجوداً، فهذا سببه الرحمة الإلهية، لا قدرات في الطبيعة الإنسانية.

وعندما نتكلم عن فداء الإنسان وتحريره من الموت، فنحن نعني أن ذلك تم بعمل إلهي كامل للرب يسوع، تم فيه تجديد الروح والجسد، وإن الروح أُنقذت من الموت الروحي (الذي لا نتحدث عنه إلا قليلاً)، وإن نهاية وكمال تحرير الإنسان هو بقيامة الجسد في اليوم الأخير كما قال معلمنا القديس بولس في (رو ٨: ٢٣) "نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا".

النعمة أبدية وغير قابلة للزوال:

لا يوجد ضرر أكبر من ضرر الغموض، فهو صنو العمومية. وقد عانى الإنجيل كبشارة حياة، من الغموض الذي اكتنف شرح كلمات ومصطلحات هامة ابتُذِلَت في التعليم الشعبي مثل: تقديس وقداسة — جوهر وأقنوم — فداء وكفارة — تجديد وغفران — حكم ودينونة. وحاول –عزيزي القارئ– أن تبحث عن كلمة "عقاب" ابتداء من سفر التكوين حتى سفر الرؤيا، وسوف تجد مفاجأة سارة في انتظارك، وهي أن كلمة "عقوبة" لم ترد ولا حتى في سفر التكوين، بل تم استخدام الكلمة فيما ساد من شروح مختلفة.

والغموض الذي اكتنف شرح كل هذه الكلمات، شمل أيضاً "النعمة"، وإن كنا نشير إلى أنه صدرت عندنا دراسة واحدة عن النعمة، وهي رسالة دكتوراه للأستاذ وهيب قزمان: النعمة عند القديس أثناسيوس، ومقالة جيدة جداً للبار أبينا القمص متى المسكين بعنوان "النعمة في العقيدة وفي الحياة النسكية"، وتوقف البحث.

النعمة هي المسيح نفسه:

النعمةُ ليست مجرد عمل خارجي قام به الرب، بل **هي الابن نفسه** حسب عبارة رسول الرب: "أنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح، أنه من أجلكم أفتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره" (٢كو ٨: ٩). وهذه هي حقيقة تجسد ابن الله الذي "كان في صورة الله"، ولكنه افتقر، أي "أخلى ذاته آخذاً صورة عبد صائراً في شبه البشر" (فيلبي ٢: ٦). افتقر عندما وَضَعَ، وهو الغني، ذاته للموت؛ لكي بتواضع الرب، ننال نحن غنى قيامته. ولذلك، فالبركة الرسولية هي: "نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم" (٢كو ١٣: ١٤).

نعمة البنوة

ومع الرب وتجسده، جاءت "نعمة البنوة" (راجع قسمة عيد الغطاس: إذ أعطيتنا نعمة البنوة بحميم الميلاد الجديد وتجديد الروح القدس). وهذه النعمة هي التي تجعلنا كما نقول في قسمة الخماسين: "نضيء بشكلك المحيي" والشكل ⲥⲙⲟⲧ هو الأيقونة أو الصورة التي نالت نعمة الحياة في المسيح يسوع؛ لأنه "أنعم علينا بالعتق من العبودية" (صلاة قسمة للآب). وأضاء ظلمة النفس بالمعرفة التي أنعم بها علينا؛ لأنه أعطانا "علم معرفتك" أيها الآب. وأشرق "كنور حقيقي للضالين وغير العارفين".

وفي نهاية القداس الإلهي، وبعد أن ندخل أعماق التدبير، وفي صلاة سرية يقول الكاهن: "كمُلَت نِعَمُ شفقةِ ابنك الوحيد" حسب الأصل القبطي ⲛⲓϩⲙⲟⲧ ⲛⲧⲉ ϯⲙⲉⲧⲣⲉϥⲉⲣⲡⲉⲑⲛⲁⲛⲉϥ لأن كلمة "إحسان" غريبة تماماً عن الإنجيل، وعن مُحب البشر "الخبز الحقيقي الذي نزل من السماء واهب الحياة لمن يتناوله". المسيح ربُّ المجد مملوء نعمةً (يوحنا ١: ١٤)، ومنه قَبِلنا النعمة والسلام (رو ١: ٥ — ١: ٧). هو "الذي به أعطانا نعمةً بغنى فائق" (أفسس ٣: ٧).

الأهم هي "نعمة الحياة" (١بطرس ٣: ٧). وفي هذه النعمة، نحن ننال الخلاص من الموت؛ لأن حياة المسيح هي النعمة التي تملك (رو ٥: ٢١)، وهي لا تملك ملكاً مؤقتاً، بل أبدياً (رو ٥: ٢١). ولذلك، يوبخ رسول الرب كل مَن يجادِل: هل النعمة مخلوقة أم غير مخلوقة؟

لأن القول بأنها مخلوقة، أريوسية صريحة؛ إذ يصرخ رسول الرب: "إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه (لذاته) حسب مسرة مشيئته لمدح غنى نعمته التي أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة" (أفسس ١: ٤-٧). هذا سابقٌ على خلق العالم؛ لأن الآب اختارنا في الابن قبل خلق العالم (أفسس ١: ٤).

أبدية النعمة:

بحسب التعليم الذي يروجه بعض الإكليروس في الكنيسة القبطية، جرى تمزيق العمل الإلهي الواحد حسب تنوع الألفاظ، حتى صار اللفظ خطأً لاهوتياً منفصلاً لا علاقة له بالآخر. وهكذا جرى التأكيد على أن "هبة" و"عطية" و"موهبة"، هي أعمال متنوعة لا تمت بصلة للروح القدس، أو بالابن ربنا يسوع. وأُضيف إلى ذلك الكلمة الرابعة: "نعمة". كأن عمل الثالوث فينا هو مثل بضاعة، تنقطع الصلة بالبائع بعد الشراء. وهكذا جرى فصل الطاقة والقوة عن الروح القدس الواهب، بل تجاسر أحد الإكليروس (مطران دمياط) على أن يصف الحياة الأبدية نفسها بأنها "حياة مخلوقة"، دون أن يدري أن المخلوق والأبدي، هما على طرفي نقيض، لا يمكن أن يجتمعا. وقد بنى هذا المطران جسارته على أن الأبدي بلا بدء، وأن الأبدية تُعطى في الزمان، وما دامت تعطى في الزمان، فهي مخلوقة!!! بالتأكيد لا يعرف هذا المطران أن البدء الجديد هو الرب نفسه، وأن البداية في الزمان خاصة بآدم الأول. وأن البدء الجديد له بداية حسب الناسوت في الزمان في بيت لحم، ولكن له بداية سابقة على خلق العالم في ذلك الذي "كان في البدء" (يوحنا ١: ١-٣)، والذي "فيه خُلق الكل ما يُرى وما لا يُرى" (كولوسي ٢: ١٥). وأنه لو كان للحياة الأبدية بدء في الزمان كما يُظن، فهذا زمان الاستعلان لا البدء الذي فيه كُوِّنت أو خُلقِت (بحسب اعتقاده). والادعاء بأن الحياة الأبدية مخلوقة، هو قولٌ أريوسيٌّ محض، يجب أن يُحاكم عليه، أو على الأقل يعود عن جهله.

عندما كتب رسول الرب: "هبة الله فهي حياة أبدية في المسيح يسوع ربنا" (رو ٦: ٢٣)، فالرسول يعرف أن المسيح الإله الأبدي "الكائن على الكل" (رو ٩: ٥)، لا يعطي هبةً زمانيةً مخلوقةً، وأن هذه الهبة هي حياته هو: "أنا هو الطريق والحق والحياة"، بل "أنا هو القيامة". ورغم أن القيامة تمَّت في زمان التدبير، لكنها تعود إلى أُلوهية شخص الحي إلى الأبد حتى قبل أن "يذوق الموت بالجسد"؛ لأن إشراق الحياة الغالبة الموت كان هو ذات إشراق ونور الخلود: "الذي أنار الحياة

والخلود بالإنجيل" (٢تيمو ٢: ١٠). وهو إشراق القوة والنعمة التي توهَب لنا لنقوم نحن أنفسنا لقيامةٍ بلا موت، وهو ما هو متعذِّرٌ على أي طبيعة مخلوقة.

حياة أبدية تنكشف فيها معرفة الله:

كانت المرايا في زمن الرسول تصنع من المعدن المصقول، ولذلك كانت الرؤيا فيها غير واضحة، ولذلك كتب "نحن نرى كما في مرآة، ولكننا سوف نرى كل شيء، ليس في مرآة، بل "بوجهٍ مكشوف"، وذلك بعكس الوجه الذي غطَّاه موسى بالبرقع، وبذلك نتحول إلى ذات صورة المسيح، "من مجد إلى مجد كما من الرب الروح" (٢كو ٣: ١٧-١٨).

سلسلة الانفصال:

عندما سادت المعرفة السطحية غير المتأصلة في الحياة الليتورجيا، ولا في التسليم الكنسي، بدأت سلسلة الانفصال تمارس دورها الهدام في ثقافة شعبية لها ملامح المسيحية، ولكنها في حقيقة الأمر تدمِّر المسيحية الأرثوذكسية من الداخل:

١- انفصال الإفخارستيا عن أقنوم الله الكلمة؛ إذ صار التناول هو جسد الرب فقط.

٢- انفصال الروح القدس عن الطاقة والقوة والنعمة؛ إذ صار الروح القدس الرب المحيي مثل ضيف يقدِّم شيئاً ثم يرحل.

٣- انفصال الرأس المسيح ربنا عن الجسد، أي الكنيسة. وصار للرب ثلاثة أجساد، والهدف الخفي غير المعلن جهاراً هو الحرب على الشركة في الحياة الإلهية.

٤- انفصال الابن عن الآب؛ لأنه صار موضع غضب الآب، وأنه جاء لكي يدفع الثمن. واخترع أصحاب مدرسة الانفصال نظرية "البديل العقابي"، وبالرغم من أن العقوبة تعني عدم الغفران، لم يسأل هؤلاء كيف استطاعت العقوبة أن تثمر الغفران.

ماذا أفسدت سلسلة الانفصال؟

جاءت سلسلة الفصل هذه بنقل الإنسان تماماً بعيداً عن استعلان الله لأنها أنكرت شركتنا الحقيقية فيما يقدمه الثالوث لنا:

١- الآب رضى عن الإنسانية لأنه صبَّ غضبه على الابن، فصار الفداء هو فداء الله الآب من الغضب.

٢- سقطت وساطة الابن المتجسد؛ لأن أُلوهيته أُبعدت حتى عن سر الإفخارستيا. إذ صار تناول الناسوت دون اللاهوت ليس فقط هو أشر ما جاء في هرطقة نسطور، بل ضاع علينا كهنوت الرب نفسه، رئيس الكهنة إلى الأبد الذي به ندخل إلى حضرة الآب لنجد الفداء والغفران (وهو مجمل رسالة العبرانيين).

٣- لم يعد للروح القدس أي عمل في الكنيسة، فهو يوزِّع مواهب وعطايا، كلها زمانية مثل النبوة التي سوف تُبطل (١كو ١٣: ٨). وطرد الشياطين .. الخ. أما هو نفسه، أي الأقنوم، فليس له أي حضور حقيقي، وحتى بعد الاستدعاء، يذهب ويترك المواهب مهما كان نوعها، وبالتالي يصبح "هيكل الله" بلا إله. وهذا خطيرٌ جداً لأننا لسنا إزاء استعلان إلهي نشترك فيه حقاً، بل نحن أمام مسرحية نراها ونعود بعد مشاهدتها إلى الذاكرة أو القراءة دون أن نكون قد أخذنا نعمة حقيقية.

كيف أفرغ الاستعداد الجسدي المعمودية والميرون من معناهما؟

هذه هي صورة تقوى مزيَّفة: بالملابس النظيفة، والاستحمام بالماء، تنال رضى الله وتعبِّر عن مهابة السر!!! ينسون أن الله قديماً رفض كل مظاهر الانسحاق، ووضْع الرماد، وشق الملابس؛ لأنها لا تعبِّر عن توبة، أي عودة حقيقية لقلب الإنسان، بل رَفَضَ حتى الذبائح نفسها .. "لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب. اتخمت من محرقات كباش .. ما أسر به. حينما تأتون لتظهروا

أمامي. مَن طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دوري. لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهة لي، رأس الشهر والسبت ونداء المحفل. لست أطيق الإثم والاعتكاف" (أش ١: ١١-١٤). بل يصرخ أرميا: "محرقاتكم غير مقبولة وذبائحكم لا تلذ لي" (٦: ٢٠). ولذلك "أصلحوا طرقكم وأعمالكم .. لا تتكلوا على كلام الكذب .. على كلام الكذب الذي لا ينفع. أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذباً .. ثم تأتون وتقفون أمامي في هذا البيت .. هل صار هذا البيت الذي دُعي باسمي عليه مغارة لصوص في أعينكم" (أرميا ٧: ٨-١١).

تُرى متى تُرفع الكراهية والأحقاد والاتهامات الكاذبة وأولها الإتهام بالهرطقة أو الإلحاد وحشد كل أنواع الكذب؟

هل ينفع الاستحمامُ القلبَ المشحون بالغيظ الناطق بالكذب؟ هل توجد قيمة لدى الله في الحرص الزائف على مهابة السر، بينما يدبِّر القلبُ المكائد، ويدفع الأموال، ويحرِّض على شباب الكنيسة، بل على قداسة البابا تواضروس؟

هل تنفع نظافة الجسد، نيافة المطران المحرِّض الأول على عودة الممارسات اليهودية، والذي لا يؤمن بأن اتحاد اللاهوت بالناسوت في الابن المتجسد قد نقل للإنسان المؤمن التحول العظيم والأخير الذي يتم في سري المعمودية والميرون، فيصير الجسد الذي يغطس في مياه المعمودية ويُمسَح بـ ٣٦ رشماً بالميرون، يحتاج إلى نظافة بعد أن قُدِّس؟

لقد كان الإنسان تحت حكم الموت والفساد، وتقدس بالابن في الروح القدس، فهل بعد ذلك يحتاج إلى مهابةٍ تقدَّم إلى الله غير أن يظل في التقديس، ولا يعبر من التقديس إلى العداوة، ويصبح خادماً للشر، وبوقاً للشر؟

آخر معاقل الأريوسية والنسطورية:

سد قانون الإيمان الطريق أمام الأريوسية، فلم تقدر أن تتسلل إلى ليتورجية الكنيسة الجامعة. ولكن مزجَ اللاهوت بثقافة عصر الإقطاع والقيم الحضارية التي

تتمثل في أن الاعتداء على الأمير ليس مثل الاعتداء على واحد من عامة الشعب، وتطبيق ذلك على الله نفسه باعتبار أن عدم طاعة الشريعة هي اعتداء على كرامة الله، لا تدمير للإنسان نفسه، وهو الأمر الذي يجعل تقديم ترضية إلى الله، ضرورة لكي يسكن غضب الله، سَمَحَ هذا المزج للأريوسية بأن تقدِّم **فكراً لاهوتياً لا علاقة له بالتسليم الكنسي، ولا بأي ممارسة ليتورجية، مؤداه أن يكون الابن هو من يقدِّم الثمن والترضية لله الآب، بل ويصير هو نفسه هذا الثمن.**

وكما سد قانون الإيمان الطريق أمام الأريوسية، سدَّت تراتيل القرن الخامس الباب أمام النسطورية. كذلك صار توسُّع الآباء في شرح سر الإفخارستيا، صخرة تأكيد اتحاد اللاهوت بالناسوت؛ لأننا نتناول "الجسد المحيي"، ونشترك في حياة الرب نفسه.

لكن من عجائب الأمور أن كل الذين توسعوا في شرح ما ساد في الفكر الشعبي الإنجيلي بالذات، باسم عقيدة الكفارة والفداء، وساروا في طريق أبطال هذا الفكر مثل: عوض سمعان – ابراهيم سعيد –كتاب علم اللاهوت النظري – تفاسير وليم أدي - تفاسير سبرجن – إصدارات جمعية خلاص النفوس – إصدارات كنيسة الأخوة، ثم محاضرات اللاهوت النظري لأوجين دي بليسي – عقيدة الكفارة والفداء لنيافة الأنبا بيشوي، هؤلاء أصبحوا –عند البعض وعن غير حق– هم الآباء الحقيقيون، وليس أثناسيوس أو كيرلس أو ذهبي الفم!!!

كيف عادت النسطورية مع البدلية العقابية؟

أولاً: لأنها لا تؤكد أن الذي عُلِّق على خشبة الصليب هو الإله المتجسد، وأنه هو الذي قتل الموت بالصليب، وبسبب الاتحاد، أي اتحاد أُلوهة الابن بالناسوت.

ثانياً: لأنها عادت تقول بعدم فاعلية الأسرار الثلاثة: المعمودية والميرون والإفخارستيا. فالأولى لا تعطي تقديساً، والثاني لا يعطي حلولاً للروح القدس،

والثالث، أي الإفخارستيا هو مجرد شركة في الناسوت فقط؛ لأن الشركة في اللاهوت -حسب زعم هؤلاء فقط- تجعل الذي يشترك إلهاً مثل الله، وكأن الله فريسة قابلة للافتراس، وبلا إرادة ينال كل مَن يهجم عليه ما يريد (وهو تصور يكشف عن خلل نفسي ومرض عقلي عند هؤلاء)، وهو ما يجعل الشركة ليست شركة حرية ومحبة، بل هجوم واقتحام وسيادة وقهر.

أخيراً: ظهرت مفاسد التعليم المزيف وظهرت دائرة الموت التي تحيط به وبكل من يدخلها، فهو بلا شركة، بلا تأله أي بلا خلود، بلا بنوة، ولا ينال إلا مواهب، ولا يأخذ إلا ناسوت الرب وحده!!!

رسالة اعتذار وناقوس خطر

وما رسالة الاعتذار عن عدم التقديس أو الاشتراك في القداس الإلهي التي قدمها أحد الكهنة على الملأ، بتاريخ ٢٠١٧/٦/١٧، على صفحته على موقع الفيسبوك، لقداسة البابا تواضروس وكل أحبار المجمع المقدس، إلى أن يتم تصليح الأوضاع (بحسب تعبيره)، باعتبار أن قرارات أو توصيات اللجنة الطبية بالمجمع في دورته الأخيرة خرقت الاستعداد الجسدي (الذي أمر به رب العالمين في لاويين ١٢، لاويين ١٥)، أقول ما رسالة الاعتذار هذه إلا الثمرة الناضجة والطبيعية لسيادة التعليم الذي ينكر عمل الروح القدس في حياة الكنيسة، وحصار هذا العمل في الحلول المواهبي، وبذلك تكون هذه الرسالة قد كشفت عن مفاسد هذا التعليم المزيف الذي ساد على مدى أكثر من أربعين عاماً مضت. وهي رسالة تحتاج من الكنيسة إلى دراسة متأنية لكي تدرك مدى الانحدار الذي حدث، ليس فقط في التعليم، بل وفي التزييف المتعمد في تسليم وديعة الإيمان والتسليم الرسولي إلى الحد الذي لم يؤدي فقط إلى الجهل بالفرق بين العهد القديم والجديد، بل ووصل إلى استخدام عبارات تعتبر خارج سياق التعبير المسيحي من قبيل: "الذي أمر به رب العالمين"، و"حتى يفهم الناس أن التناول ..."، "أحمل وزر نفسي فقط بدلا أن

أتحمل أوزار من أناولهم"، وهي تعبيرات تفصح عن مدى البعد عن لغة الإنجيل والليتورجيا. وبالتالي فهذه الرسالة بمثابة جرس الإنذار الذي يجب أن نلتفت إليه بشدة ونأخذه بمحمل الجد، واتخاذ القرارات اللازمة لوضع الكنيسة القبطية على المسار الصحيح وإعادة ترتيب الأوضاع بما يضمن سلامة التعليم وتصحيح أخطاء الماضي. هي رسالة تعبِّر عما يمكن أن نصل إليه من نتائج عملية لإنكار اتحاد اللاهوت بالناسوت اتحاداً أبدياً، وبالتالي العودة إلى شريعة موسى.

فقد يندهش القارئ من الاستشهاد بأسفار العهد القديم مثل أسفار اللاويين والتثنية في هكذا أمور، وهو لا يدري أن هذه الأسفار لا تُقرأ في اجتماع الكنيسة، أي في الليتورجيا أو القداس، وأن الفصول القليلة التي تُقرأ في الصوم الكبير وأسبوع الآلام من أسفار العهد القديم تهدف إلى تقديم الرمز، أي العهد القديم الذي أشار إلى سر المسيح؛ لأن هذه الفصول كانت قد رُتِّبَت عند قبول الموعوظين، ولكن العهد القديم لا يُقرأ برمته، فهو ليس كتاباً يُقرأ في القداسات، بل يُقرأ للتعليم فقط.

ولذلك، علينا أن نلتفت بانتباه شديد إلى ما ورد في الرسالة إلى العبرانيين عن:

١- تغيير الكهنوت الذي اقتضى تغيير الشريعة (عب ٧: ١٢).

٢- العهد الأفضل ليسوع (عب ٧: ٢٢)، وهو الذي جاء بكهنوت جديد، ليس من سبط لاوي "كهنوت لا يزول" (عب ٧: ٢٤)، نال قوته من قيامة الرب (عب ٧: ٢٤ - ٢٥).

٣- أُعطيت لنا خدمة المسيح يسوع، وهي بالتحديد: خدمة أفضل — لوسيطٍ أعظم — مواعيد أفضل (عب ٨: ٦).

٤- عندما جاء العهد الجديد، صار العهد الأول قديماً، وبكلمات راسخة رسوخ الابن نفسه: "أما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال" (عب ٨: ١٣).

٥- التطهير الداخلي لا يمكن أن يتم حسب طقوس شريعة موسى؛ لأن

كل هذه كما قال الرسول: "أطعمة وأشربة وغسلات مختلفة وفرائض جسدية فقط موضوعة لوقت الإصلاح" (عب ٩: ١٠).

٦- لقد نلنا الفداء الأبدي في المسيح (عب ٩: ١٢)، وهو وحده الذي يطهر الضمائر من كل النجاسات والأعمال الميتة لكي نخدم الله الحي (عب ٩: ٢٤).

٧- وأخيراً، لقد أكمل الرب يسوع كل ما يخص شركة الإنسان في الله بقربان واحد، وبكل قوة العمل الإلهي يقول رسول الرب: "بقربان واحد أكمل المقدسين إلى الأبد" (عب ١٠: ١٣)، بل كما يقول الرسول: "أيها الأخوة لنا ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرَّسه لنا جديداً حيَّاً، أي بالحجاب، أي جسده" (عب ١٠: ١٩)، وهو ما نردده في صلاة قسمة سبت الفرح: "يا يسوع ذو الاسم المخلص ..."، فقد كان الحجاب هو الذي يفصل القدس عن قدس الأقداس، ولذلك انشق عندما صُلِب الرب لأن الفواصل انتهت.

ليت الذين يفتشون عما في ضمائر وقلوب الناس، يدركون أن ذلك نوعٌ من اللصوصية الغريبة على المسيحية الأرثوذكسية والاستهانة بحرية أولاد الله، فيكفُّون عن الشغب؛ لأن الثالوث القدوس لم يمنحنا أن نكون "مفتشين"، بل "خُدام". وأيقونة العشاء الرباني في العلية بمثابة توبيخ لكل من تسول له نفسه التلصص على قلوب وضمائر أعضاء جسد الرب؛ لأن التلاميذ كانوا في حيرة وشك وخوف، ومع ذلك كسر لهم الرب جسده. وكان بينهم بطرس الذي قال له الرب إنه سوف ينكره، ومع ذلك أعطاه نصيبه من الجسد والدم. وكان بينهم يهوذا وكان الرب يعلم أنه سوف يسلِّمه، ومع ذلك غسل قدميه وأعطاه سر الشركة حسب التسليم الكنسي، الذي وُضِعَ تحت مطرقة الإنكار في زماننا، حتى أدى الأمر إلى حذف عظة ذهبي الفم التي تقرأ في خميس العهد والتي يؤكد فيها ذهبي الفم على صحة هذا التسليم الرسولي. هذا الزمان الذي تحول فيه "الخادم" إلى "مدعٍ عام"، و"مفتش" في ضمائر الشعب، آخذاً مكان الله جاعلاً من نفسه ديَّاناً، لا الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف.

الامتلاء من الروح القدس في المسيح يسوع ربنا

بعض ملامح التدبير حسب الإيمان الأرثوذكسي[1]

ورد إلى الموقع السؤال الآتي من الأخ مينا حلمي:

في انجيل لوقا ٤:١ يقول الكتاب "ورجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس"، السؤال هنا يا دكتور من فضلك، كيف امتلأ من الروح القدس عند هذه اللحظة، أليس هو الله وروحه من وقت الميلاد، أم أنه لم يكن ممتلئاً من الروح القدس قبل ذلك؟ وعندما بحثت عن تفسير الآية وجدت تفسير القديس كيرلس الكبير يقول: (فلم يكن بمستغربٍ إذن أن يكون بِكْرنا أول من يتسلَّم الروح القدس، مع أنه هو مانح الروح القدس حتى يهبه لنا نحن إخوته الأعزَّاء. وأشار إلى ذلك بولس الرسول بالقول: "لأن المقدَّس والمقدَّسين جميعهم من واحد، فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم إخوة قائلًا: "أُخبر باسمك إخوتي" (عب ٢: ١٢).) ولكن عندي تعليق على هذه النقطة أنه مكتوب أن يوحنا المعمدان امتلأ من الروح القدس من بطن أمه، وهذا هي أول مرة يرد ذكر الامتلاء من الروح القدس، وكان هذا قبل ميلاد المسيح، إذن كيف يكون هو باكورة البشرية في الامتلاء. وأنا أعلم أن معظم التفاسير والشروح تتحدث عن نقطة أن الناسوت هو من امتلأ بالروح، لكن أنا عندي صعوبة في فهم هذه النقطة بما أن المسيح هو روح الله ساكن فيه، ونحن نقول إن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين.

آسف للإطالة، ولكن أريد إجابة مقنعة. شكرا.

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٥ إبريل ٢٠١٥.

الأخ الفاضل مينا حلمي

سلام ومحبة لشخصك الكريم ،،،

هذه إجابة على أكثر من سؤال. ولا داع بالمرة للأسف يا أخي مينا؛ لأن شرح الإيمان، والمشاركة في الشرح، هي تعزية أبدية لي ولك وللأخوة والأخوات القراء.

أولاً: الرب يسوع المسيح هو الابن المتجسد، وهو طبعاً روح؛ لأن "الله روح" حسب عبارة الرب نفسه. وكلمة "روح" كلمة عامة، خاصة بالثالوث الآب والابن والروح القدس، ولكنها تُستخدَم بشكل خاص، وباسم خاص، هو "الروح القدس"، أو "روح الآب"، وأحياناً "روح يسوع" في إشارة إلى الروح القدس.

ثانياً: لدينا أساس لاهوتي ثابت في الأرثوذكسية، وهو التدبير، أي خطة الله لخلاص الإنسانية، بل والكون كله. والتدبير يا سيدي الكريم -بكل أسف- موضوعٌ لم يُدرَس بكفاية فيما نشر عندنا باللغة العربية، ما عدا مقالات متفرقة للأب متى المسكين تجدها تحت هذه العناوين: البكر — العريس وغيرها. وهذه المقالات لا يقرأها إلَّا الأحرار الذين تحرروا من الخوف، ومن الدعاية الشيطانية السامة التي أُطلِقَت على الأب متى المسكين طوال ٤٠ عاماً.

أساسات التدبير:

أولاً: وحدة جوهر الثالوث القدوس، الآب والابن والروح القدس. ثالوث واحد في وحدانية الجوهر، وتمايز الأقانيم الذي يؤكِّد لنا أن الآب غير الابن، والابن غير الروح القدس. وعلى أساس هذا التمايز استُعلِنَت خطة الخلاص أو التدبير في الزمان، وفي التاريخ، وفي حياة الكنيسة أيضاً.

ثانياً: ما استُعلِن في الزمان في التدبير، أساسه ومصدره هو الحياة الإلهية الواحدة للثالوث القدوس غير القابل للانقسام؛ لأن الانقسامَ خاصية من خواص الخطية والموت، والله لا يخضع لأيهما، فحتى والابن على الصليب، وقد "ذاق

الموت بالجسد"، إلَّا أنه لا زال "القدوس الذي لا يموت".

ثالثاً: إخلاء الابن لذاته الإلهية، وهو موضوع شَرَحَه الأب متى المسكين بشكل موجز في تفسير رسالة فيلبي وفي مواضع كثيرة، ونال أكبر اهتمام من آباء الإسكندرية العظام: أوريجينوس – اثناسيوس الرسولي –كيرلس الكبير.

لكن ماذا يعني إخلاء الابن لذاته؟

١– قبول طبيعة محدودة هي الإنسانية، أو الناسوت حسبما ساد عندنا (الناسوت كلمة سريانية الأصل). والله وحده هو القادر على أن يأخذ ويتحد بطبيعة أخرى غير طبيعته؛ لأن الاتحاد بطبيعة أخرى غير ممكن لأي مخلوق، وحتى الذين يقعون تحت عبودية الأرواح النجسة، يكونون فقط تحت سيطرة القوة الشريرة، أمَّا الاتحاد بين شيطانٍ وبشر، فهو مستحيل –حسب إيماننا– لأن هذا الاتحاد يعني أن للشيطان **قوة خالقة** تجعله قادراً على أن يقبل طبيعة أخرى ليست هي طبيعته، ويتَّحد بها ويجعلها من كيانه. لذلك، عندما نقول إن الرب الابن له المجد "أخلى ذاته"، فهذا عمل إلهي لا يقدر عليه مخلوق من المخلوقات.

٢– أخذ الابن الطبيعة الإنسانية "القابلة للموت" حسبما سلَّمنا معلمنا القديس أثناسيوس الرسولي، وسجَّل هذا في كتاب تجسُّد الكلمة، لا سيما في الفصول (٣ – ١٦)، طبيعة عارية قابلة **للفناء** لأنها جاءت من العدم. **والفناء ليس العدم**، بل هو انحلال الوجود الإنساني وعودته إلى التراب، فلا يبقى الإنسان إنساناً.

٣– لم يكن الابن محتاجاً لذلك، ولكن أحد مفاتيح التدبير هو عبارة قانون الإيمان التي وردت أكثر من مرة في العهد الجديد: "لأجلنا نحن البشر". وأرجو مراجعة المقالة الثالثة في الرد على الأريوسيين للقديس أثناسيوس ودراستها كلها، وأيضاً مراجعة عبارات القداس الغريغوري الذي يقدِّم لنا تجليات التدبير: "من أجلي"، والتي تشرح تجسُّد وموت الرب وقيامته، وهي القوة الإلهية التي تستعلن في الإفخارستيا:

- "من أجل تعطفاتك الجزيلة (التي لا توصف).
- من أجلي ألجمت البحر.
- أنت الذي أرسلت لي الأنبياء من أجلي أنا المريض.
- لأجلي يا سيدي لم ترد وجهك عن خزي البصاق.

وبين السطور أو العبارات السابقة تجد كل استعلانات التدبير، ولهذا السبب كان التسليم الكنسي القديم عندنا هو أن نصلِّي القداس الغريغوري طوال الخماسين؛ لأنه استعلان كمال التدبير. أظن -وأرجو أن أكون مخطئاً- أن هذا غائب عن وعي الجيل المعاصر لنا.

آدم الأخير أو آدم الثاني في (١كو ١٥: ٤٥ - ٥٠):

أخذ هذا الموضوع، وهو أحد أساسات التدبير، فصولاً كاملة في رسائل القديس بولس لعل أهمها هو (رو ٥: ١٢ - ٢١)، وهو عن المقارنات بين الإنسان الأول – الخطية والموت، ثم آدم وهو مثال الآتي، أي ربنا يسوع لكي يصل بعد ذلك إلى مقارنات أخرى أكبر في (١كو ١٥)، وهو يسلِّمنا تاريخ الخلاص في عبارة واحدة:

- إذ بالموت بإنسان
- بإنسان أيضاً قيامة الأموات.
- كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيُحيا الجميع (١كو ١٥: ٢١-٢٢).

وقد شرح القديس ايريناوس هذا الموضوع في أهم مراجع الجيل الثاني المسيحي، وهو كتابه ضد الهرطقات[1] والمقارنات هنا ذات دلالة عند ايريناوس.

---

(1) ترجم الدكتور نصحي عبد الشهيد الكتابين الأول والثاني، من هذا الكتاب، ونشره المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية تحت رقم ١٧٨ سلسلة نصوص آبائية، ٢٠١٣، كما قام بترجمة الكتب ٣، ٤، ٥، ونُشِر تحت رقم ١٩٤ في سلسلة نصوص آبائية، ٢٠١٦.

- الإنسان الأول من تراب الأرض / الإنسان الثاني من الله، وُلِدَ من رحم العذراء (٣: ١٩ - ١).

- الإنسان الأول فَقَدَ صورة الله ومثاله / الصورة والمثال جُدِّدا ورُدَّا إلينا في المسيح (٣: ٣١ - ١).

بل قارَن ايريناوس بين حواء، والعذراء القديسة مريم، حيث يقول: "عُقدة المعصية لحواء حلَّتها بالطاعة مريم" (٣: ٣١ - ١).

وكان حتماً أن يعود موضوع آدم الأخير بقوةٍ وزخمٍ أكثر في سنوات الصراع ضد الأريوسية[1]. ويتلخص جوهر الأريوسية في إنكار وحدة جوهر الثالوث — إنكار إخلاء الابن لذاته — جَمع كل كلمات الوحي المقدس الخاصة بالإنسان يسوع المسيح واعتبارها خاصة بلاهوته لكي يتمكن الأريوسيون من تأكيد أن يسوع هو إنسان مخلوق لا وجود أزلياً له؛ لأنه ليس من ذات جوهر الآب.

لكي يحيا الابن له المجد حياةً إنسانيةً كاملةً، أخذ ما حدده الرسول بولس في عبارة جازمة: "افتقر وهو غني"، أي أخلى ذاته (فيلبي ٢: ٦)، لكن بقية العبارة ذات مغزى عميق جداً؛ لأنه يقول:

- إنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع
- إنه من أجلكم افتقر وهو غني
- لكي تصيروا أنتم أغنياء بفقره (٢كور ٨: ٩).

هكذا جاءت النعمة التي نتحدث عنها، وهي في التعليم المعاصر عند كثيرين هي مجرد **فكرة عقلية** تقال، بينما افتقار الابن -لكي تصل إلينا النعمة- في حقيقته يعني أن يبدأ بالإنسانية الميِّتة، أي الإنسانية كلها، **فيخلق إنساناً جديداً**؛ لأن الخلق الجديد هو تحوُّل ما هو مائت إلى حياة. وقد شُرِحَ هذا بشكل واضح في صلوات المعمودية لأم الشهداء.

---

(١) أعتقد أن الأريوسية لم تُدرس بعناية عندنا، وهي كامنة في عقول وتعليم بعض الإكليروس.

لكن يجب أن نسجّل هنا مراحل تحوُّل الإنسانية في الابن المتجسد؛ لأنه **تحوُّلٌ في كيان، وليس مجرد تغيير أفكار**.

أولاً: اتحاد اللاهوت بالناسوت لا يعني تحول الناسوت بسبب الاتحاد؛ لأن هذا ينفي تماماً هدف التدبير. ولو كنت أملك أن أحفر كلمات على حجر لتكون شاهداً للكل، لحفرت الآتي:

لقد اتَّحد بنا نحن الموتى عندما تجسَّد، وسمح لإنسانيته أن تنمو حسب خواص وطبيعة ما هو إنساني، ما عدا الخطية.

(راجع معلمنا العظيم حقاً، وثالث عشر الرسل حقاً، أثناسيوس في الرد على الأريوسيين مقالة ٣ فقرات ٥٢ — ٥٣). فقد ضاعت هذه الحقيقة من الوعي لسبب واحد، وهو أننا لم نكن ندرس حتى أثناسيوس نفسه في الإكليريكية، إلَّا في مذكرة موجزة عن الأريوسية لأستاذنا العظيم د. وهيب عطا الله.

ونضع هنا أمام القارئ عبارة هامة للقديس أثناسيوس في فقرة ٥٢: "تقدَّم الجسد، وبتقدُّم ونمو الجسد، نما أيضاً استعلان اللاهوت لكل من كان يراه. ولأن اللاهوت كان يُستعلَن في استعلان ينمو، كانت نعمة (يسوع) كإنسان تنمو أيضاً للكل؛ لأنه كإنسان، حُمل طفلاً إلى الهيكل (أي جسده)، وظل في الهيكل كطفلٍ يافعٍ في الهيكل يسأل الكهنة عن الشريعة. كان جسده ينمو تدريجياً، وكان استعلان الكلمة ينمو أيضاً فيه" (راجع أيضاً فقرة ٥٣).

وفي عبارة موجزة في فقرة ٥٤ "كان جسده ينمو، ولذلك قيل إنه هو كان ينمو لأن الجسد (الذي أخذه) هو جسده الخاص".

وفي الفقرة ٥٦ يقول: "كان يتوسل لكي يعبر عنه الكأس (في جثيماني)، ولكن لم يكن رعب الموت خاصاً بلاهوته".

مفتاح هذه العبارات وغيرها، هو أن الرب قَبِلَ كل ضعفات الجسد من موت وخوف وعطش وجوع .. الخ. لكي يبيد كل هذه الضعفات من الناسوت، وهو ما شُرح بشكل أوفر في الفقرة ٥٧.

معمودية يسوع والامتلاء من الروح القدس:

سبق أن نشرنا دراستين عن معمودية ربنا يسوع[1]، ولكن السؤال الذي يلح على الأخ مينا هو امتلاء يسوع من الروح القدس حسب شهادة إنجيل القديس لوقا (٤: ١).

بعد أن سجَّل الإنجيلي معمودية الرب في (٣: ٢١)، بدأ في تقديم صراع ابن الإنسان الجديد، أو آدم الثاني مع الشيطان في (٤: ١): "أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس وكان يُقتاد بالروح في البرية". سبق النبي اشعياء وأخبر عن مسحة يسوع بالروح القدس (أش ١١: ٢٢ – ٦١: ١). مسحة يسوع جعلته المسيح، والإنسانية فيه، أي في يسوع، مُسِحَت بالروح القدس، وهذا هو أهم ما يُعطى لنا في التدبير.

لاحظ –عزيزي القارئ– لغة وطريقة شرح أثناسيوس العظيم: كيف قُدِّس يسوع بالروح القدس مع أنه هو قدوس؟ والجواب هو: "لقد قيل إنه تقدَّس لأنه الآن قد صار إنساناً، والجسد الذي تقدَّس هو جسده .. وعندما قيل عنه الآن إنه مُسح إنسانياً كنَّا **نحن الذين مُسحنا فيه،** ولأنه اعتمد، فنحن الذي اعتمدنا فيه" (ضد الأريوسيين ١: ٤٧).

أولاً: حسب التدبير يوجد مجالين ***Scopes*** وأُسلوبين في الشهادة لتجسد الرب في الأسفار المقدسة، ولذلك نجد شهادتين مختلفتين، أو ثنائية في الأسفار عن المخلص. الأولى: أنه هو دائماً وأزلياً الله والابن؛ لأنه الكلمة وشعاع جوهر الآب وحكمة الآب، ولكن بعد ذلك –وهذا هو المجال الثاني– ولأجلنا نحن أخذ جسداً من العذراء مريم والدة الإله وصار إنساناً. وفي هذا المجال ***Scope*** نجد الاهتمام الخاص به في كل الأسفار الموحى بها" (ضد الأريوسيين ٣: ٢٩، عن الأصل اليوناني مجلد ٢٦: ٣٨٥ A).

---

[1] الأولى بعنوان: لماذا اعتمد يسوع؟ دراسة عند الأبوين أثناسيوس الرسولي وكيرلس عمود الدين. والثانية بعنوان المعمودية في القرون الخمسة الأولى. والدراستان تجدهما منشورتين على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

هكذا يجب أن تزول حيرة كل قارئ، لأن الاستعلان الأول هو أزلية الابن، والاستعلان الثاني هو تجسُّد وتأنس الابن. ولكن هنا يجب أن نتوقف أمام أحد حقائق التدبير، وهي ماذا حدث للناسوت أو لإنسانيتنا نحن، لأننا عندما نعلِّم بالتجسُّد، فنحن نعلِّم بالتحول العظيم والأخير في الكيان الإنساني.

ثانياً: حسب التدبير كانت الإنسانية، وليس الابن المتجسد، هي التي تحتاج إلى المسحة. لم يكن لدى المتجسد أيُّ احتياجٍ، ولكنه نزل إلى "فقرنا"، افتقر وهو الغني كما ذكر الرسول بولس. أخذ الإنسانية المحتاجة إلى المسحة.

حتماً هو الابن المتجسد، وهو متمايِزٌ عن الروح القدس. وعلاقة الإنسانية بالروح القدس لم تكن علاقة كاملة. كان الروح القدس يعمل في الملوك والأنبياء فقط، فقد فارق روحُ الربِّ الإنسانية بعد السقوط.

هكذا يشرح القديس كيرلس الإيمان الأرثوذكسي:

"الإنسان الأول المخلوق من التراب قد سقط في فخٍّ مرير، وهو العصيان، فعاد إلى التراب، الأم التي منها أُخذ، ولأنه سقط في الفساد والموت، نقل الحُكمَ إلى كل الجنس البشري ... الإنسان الأول آدم لم يحفظ النعمة التي أُعطيت له من الله الآب، لذلك أراد الله الآب أن يرسل من السماء آدم الثاني الذي أرسله الآب في شكلنا البشري، فظلَّ الابنُ بالطبيعة، دون تغيُّرٍ أو تحوُّلٍ؛ لأنه لم يعرف الخطية. وكما أنه بمعصية الإنسان الأول كنا تحت الغضب الإلهي، هكذا بطاعة الإنسان الثاني تحررنا من اللعنة والشر اللذين أصابا الجنس البشري" (شرح إنجيل يوحنا *Pusey* ١: ١٨٣-١٨٤).

وبعد ذلك يقول نفس المعلم السكندري: "فارق الروح القدس الإنسانيةَ؛ لأنه لا يحتمل أن يسكن في الفساد" (المرجع السابق ١: ١٨٤).

لكن الآن:

"ظَهَرَ إنسانٌ آخر، ومَنَحَ عودة الروح؛ لأن هذا الإنسان بلا خطية" (المرجع

السابق ١: ١٨٤). وعندما شرح القديس كيرلس نص يوحنا (٧: ٣٩)، فقد أعاد نفس الشرح السابق، ولكنه أكَّد على مبدأين أساسيين في التدبير:

المبدأ الأول: هو أن يأتي إنسانٌ ثابتٌ بلا تحوُّلٍ ولا تغيير، بل صالح.

المبدأ الثاني: أن يقبل هذا الإنسان الروح القدس لكي يعود الروح القدس للإنسانية:

"في المسيح بدأ الله يعطي من جديد الروح، ونال المسيحُ الروحَ؛ لأنه باكورة الطبيعة الجديدة" (شرح يوحنا ٧: ٣٩ مجلد ١١: ٦٩١-٦٩٢).

هكذا بدأ تجديد الإنسانية بتجديد إنسانية يسوع نفسه بواسطة الاتحاد بالإنسانية، وبواسطة الآب والروح القدس.

ويكرر القديس كيرلس نفس الكلام:

"نال المسيح الروح لكي ننال خيرات الروح منه نحن .. كلمة الله صار إنساناً وأخذ الروح القدس كإنسان؛ لكي يحفظ ثبات العطية الصالحة لنا نحن البشر" (المرجع السابق ٦٩٢).

ماذا حدث لنا بسبب آدم الثاني ربنا يسوع المسيح؟

أولاً: وحسب شرح القديس كيرلس السكندري، "كان خلقُ الإنسان الأول هو من العدم ... أمَّا الإنسان الثاني المسيح، فقد نالت الإنسانية بدايةً جديدةً، وجُدِّدَت لحياةٍ جديدةٍ، وعادت إلى عدم الفساد؛ لأنه إن كان أحد في المسيح فهو خلقة جديدة -كما قال بولس- (٢كو ٥: ١٧)، وفيه نلنا نحن قبول تجديد الروح القدس المانح لنا الحياة الأبدية بعد أن مُجِّد المسيح بالقيامة، عندما حلَّ قيود الموت واستُعلِن أسمى وأعظم من كل أنواع الفساد" (المرجع السابق ١: ١٩٢-١٩٤).

ثانياً: لأن الرب هو باكورة الخلقة الجديدة، فما هي العلاقة بين الباكورة يسوع والجنس البشري؟ والجواب هو للقديس كيرلس السكندري الذي يقدِّم لنا

مثلاً:

"كما أن أي نبات لا ينمو فوق تراب الأرض إلَّا إذا كان لهذا النبات جذره الخاص به، هكذا لم يكن مستحيلاً علينا نحن الذين صار لنا جذرٌ جديدٌ *root* خاصٌّ بنا هو الرب يسوع المسيح، أن لا ننمو من هذا الجذر .. وبنزول الروح القدس بدأ زمان التجديد كما لو كان منتظِراً على الأبواب .. لأن الروح الذي فارق الطبيعة الإنسانية قد عاد إلينا بفضل الذي جَمَعَنَا فيه وخَلَقَنَا حسب الصورة الإلهية، وهو المخلِّص الذي أعطانا الروح من جديد، وأعادنا إلى وضعنا القديم مجدِّداً إيانا إلى صورته".

ثالثاً: "من مئله نحن جميعاً أخذنا" (يوحنا ١: ١٦). من العبارات اللاهوتية التي صارت قانوناً في كل فروع علم اللاهوت، عبارة للقديس غريغوريوس النزينزي كتبها ضد أبوليناريوس الذي أنكر أن للرب يسوع روحاً ونفساً إنسانية، وهي ملخص الرسالة ١٠١ إلى القدس كلودينوس يشرح فيها تدبير الخلاص:

What has not been assumed has not been healed. It is what is united to his divinity that is saved.

"ما لم يأخذه (الابن عندما تجسَّد) لم ينَل الشفاء، وما اتحد به بلاهوته، فقد نال الخلاص".

إذن، من ملء المسيح أخذنا نعمة فوق نعمة. فما هي هذه النعم؟

١ – أخذنا ميلاداً جديداً. فقد ولد خالق الكل من والدة الإله لكي يحول أصلنا إلى كيانه حتى لا نعود نحن البشر الذي خُلقنا من التراب إلى التراب؛ لأننا التصقنا *knit* بالكلمة الذي من السماء، ونُحمل إلى السماء بواسطته" (ضد الأريوسيين ١: ٣٣ راجع الرسالة إلى أدلفوس: ٤).

٢ – ولما امتلأ من الروح بعد أن مُسِحَ يسوع يقول رسول الرب: "الذي يثبِّتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله الذي ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا" (٢ كو ١: ٢١ – ٢٢)، ولذلك يؤكد رسول الرب: "أنتم لكم مسحة من

القدوس" (١ يوحنا ٢: ٢٠)، ولذلك صار المسيح هو رأس الجسد الذي منه يعطى الروح القدس والذي به، أي بالرب يسوع، نمتلئ بالروح.

٣– أخذنا القيامة من الأموات وحياةً أبديةً، وهو التسليم الرسولي الذي شُرح في (١ كو ١٥: ٣٥ – ٥٠)، وهو التحول النهائي والأخير:

- الإنسان الأول من الأرض ترابي ..
- الإنسان الثاني الرب من السماء ..
- كما هو الترابي هكذا الترابيون أيضاً ..
- وكما هو السماوي هكذا السماويون أيضاً ..
- وكما لبسنا صورة الترابي، سنلبس أيضاً صورة السماوي.

أمَّا الأهم، فهو عطية الروح القدس؛ لأننا به، أي بالروح ننال في المسيح البنوة (غلا ٤: ٤ – ٦). وميراث الملكوت والقيامة من الأموات (رو ٨: ١١– ١٧ و٨: ٢٩–٣٠)، وكل ما يعطى لنا بالابن، يعطي لنا بالروح القدس.

كيف يعطينا الثالوث الحياة الأبدية؟

ولكي لا نترك مجالاً بعد للحيرة لدى أي قارئ، علينا أن نتتبع كيف يعطي لنا الثالوث حياة أبدية وفي الدهر الآتي:

١– الابن المتجسد له المجد هو رأس الجسد الكنيسة الذي منه تولد كل الأعضاء، ليس ولادةً فكريةً روحيةً عقليةً فقط، بل ولادة كيانية (كولوسي ٢: ١٩). ولذلك، نحن المتَّحدين معه في موته ودفنه وقيامته ونلنا هذا الاتحاد في سر المعمودية المقدسة (رو ٦: ١–٨)، لا نجد أقوى من كلمة "اتحاد" أو "التصاق"؛ لأننا بسبب تجسده صرنا "من لحمه وعظامه" (أفسس ٥: ٣٠). هذه الوحدة الكيانية مع الرب، إذ صرنا معه جسداً واحداً وروحاً واحداً كما سُلِّم إلينا في كل القُدَّاسات الأرثوذكسية، تجعل ما للمسيح هو لنا، أو حسب أدق عبارة عن التدبير: "**أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له**". أو حسب شرح القديس أثناسيوس

الرسولي حقاً، وثالث عشر الرسل بكل حق لا يزيِّف الكلام، في رسالته إلى إبكتيتوس، وهو يفضح خبث وشر الأريوسيين: "لقد فشلوا في فهم أن اللوغوس عندما صار إنساناً لم يُضِف بتجسده شيئاً إلى جوهر اللاهوت، ولكن بتجسُّده أعطى القيامة. ولم يولد الكلمة حسب ألوهيته من مريم لكي ينمو، وإنما ولد لكي يغذِّي الجنس البشري. فكيف يقدرون على أن يتخيلوا أن الجسد الذي افتُديَ وقام من الموت بالكلمة، قد أضاف شيئاً إلى جوهر اللاهوت، عندما أقامه الكلمة من الموت؟ العكس هو الحق؛ لأن الإضافة الجديدة والعظمى حدثت للجسد نفسه بسبب الشركة والاتحاد بالكلمة. إذ لم يعد ميتاً، بل صار خالداً، ورغم كونه جسداً حياً، إلَّا أنه صار جسداً روحياً، ورغم أنه خُلق من تراب الأرض، إلَّا أنه الآن يدخل أبواب السماء نفسها" (فقرة ١٠).

٢- حسب الطبيعة التي خُلِقنا منها، وهي العدم، نحن لا نملك في ذواتنا أي شيء يؤهِّلنا لأن ننال أي عطية من الثالوث القدوس، ولكن لما جاء الوسيط ورأس الخلقة الجديدة، وملأ كيانه بكل خيرات اللاهوت، صار لنا أن ننال من ملء الكلمة المتجسد الذي أخذ من الآب ومن الروح القدس كل ما يحقق الخلق الجديد والحياة الأبدية. نحن حسب الطبيعة الإنسانية -كما يقول أثناسيوس- "مائتون بالطبيعة ولا قدرة لنا على القيامة" (الرسالة إلى إبكتيتوس فقرة ١٠).

لكن مِن الوسيط نأخذ ما أخذه الوسيط لأجلنا.

٣- إذا لم يكن يسوع قد امتلأ من الروح القدس، فكيف ملأ الروح القدس تلاميذ الرب؟ وكيف يملأ الروح القدس كل المؤمنين؟ ما هو مؤهِّل أيِّ مؤمنٍ لكي ينال الروح القدس، بدون المسيح؟ حسب ترتيب الكنيسة أم الشهداء، وفي صلاة خضوع للآب بعد القسمة، نصلِّي مع خادم السر: "نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر لكي إذ تطهرنا كلنا تؤلفنا بك من جهة تناولنا من أسرارك الإلهية؛ لكي نكون مملؤين من روحك القدوس، وثابتين في إيمانك المستقيم، وممتلئين من شوق محبتك الحقيقية، وننطق بمجدك".

عثرة الجيل المعاصر لنا:

هذه الفقرة لا تخص قارئاً بالذات، بل هي خاصة بما حدث لأم الشهداء طوال ٤٠ عاماً في تيه وحيرة لا تختلف عن تيه وحيرة الشعب في سيناء. هذه بعض الملامح التي تعرفها يا أخي، والتي نراها على صفحات بعض الكتب التي تُنشر في مصر، وتسمعها في عظات تفتقر إلى أبسط حقائق الإيمان المسيحي.

أولاً: عثرة التقسيم إلى أحزابٍ وشيع، وكل حزب وشيعة لها اسم أسقف أو قس أو واعظ. ولا داعِ لذكر الأسماء، لكن أفظع تقسيم هو جبهة الأنبا شنودة، وجبهة الأب متى المسكين. وللحقيقة، لم يكن الآب متى المسكين هو من خلق التقسيم، بل الذين حاربوه.

ثانياً: الهجوم الحاد القذر على كتابات الآباء والادعاء بأن هذه الكتابات مزوَّرة أو من تأليف البروتستانت أو الكاثوليك، واتهام كل من يترجِم -بدون أي دليل- بأن ترجمته فيها أخطاء.

ثالثاً: تزييف الأرثوذكسية نفسها، وحصر التعليم في الـ ٤٠ سنة الماضية فقط، أمَّا كل ما سبق من تعليم على مدى عمر أم الشهداء ١٩٠٠ سنة تقريباً هو بلا وجود في وعي وفي كلام المزيِّفين.

أمَّا ما هو أخطر من كل هذا:

١- محاولة الالتفاف على العطية الإلهية، أي سكنى الروح القدس فينا، مرةً باسم حروف الجر، ومرةً باسم أداة التعريف الـ، ومرات بذكر زعيم الشيعة التي يتبعها هذا وذاك، وغاب ذكر التسليم الكنسي في القدَّاسات وصلوات الخدم الإلهية.

٢- تقديم فتاوى تعتمد على تقطيع جزء من نص، مثل حذف الإشارة إلى الروح القدس، والاكتفاء بذكر القوة، وذلك كما فعل العلَّامة العظيم مطران دمياط المحترم، يذكر القوة في كلمات الرب يسوع (أع ١: ٨)، ولا يذكر بقية

كلام الرب: "ستنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم". وعلى نفس المنهج يسير بعض القساوسة، حيث يذكرون المجد كشيء منفصل عن الله الآب أو الابن، ويقولون: نحن شركاء المجد، ولكن هؤلاء الأريوسيين الجُدد يظنون أن قول الرب: "أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني" (يوحنا ١٧: ٢٢)، هو خاصٌّ بالرسل فقط، أو أنه مجد مخلوق، كما قال زعيمٌ لهم. وبذلك، أنكروا حتى قيامتنا نحن حسب مجد يسوع المسيح؛ لأننا كما قال رسول الرب: "ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب استطاعته أن يخضع كل شيء لنفسه" (فيلبي ٣: ٢٠ - ٢١)، فقد صار مجد الابن نفسه غريباً عن ألوهية الآب والروح القدس.

فهم يحاربون بكل مكرٍ وخبثٍ وشَرٍّ شركتنا في الطبيعة الإلهية، وهو ما ظهر فيما جادت به قريحة مطران دمياط، وقدرته على تزييف التعليم من قول بأن

الشركة في الطبيعة الإلهية

ليست هي

شركاء الطبيعة الإلهية (٢بطرس ١: ٣).

وكأنه توجد أنواع ودرجات من الشركة، كما توجد أنواع ودرجات من الخلود، خلود مخلوق ليس خلوداً إلهياً — وحياة أبدية مخلوقة، وليست إلهية، بل وبنوة الإنسان لله الآب صارت هي أيضاً مخلوقة.

فكيف صار المخلوق خالداً؟

وكيف صارت الحياة الأبدية مخلوقة؟

وكيف يشترك الإنسان في حياة الثالوث بشكل شرفي مثل الانتماء إلى النادي الأهلي أو الزمالك؟

هذه عثرةُ جيل من الإكليروس يحارب الله، ويحارب النعمة، ويتجاسر على القول بأنه يدافع عن الأرثوذكسية.

وأنت يا أخ مينا تحيا مع هذا الجيل، ولكن لك:

- صخر الدهور يسوع الذي أعطاك حياته
- السكنى الأبدية للثالوث القدوس.
- أنت هيكل الله، ولا توجد قوة على الأرض تستطيع أن تنزع هذه العطية منك أو من غيرك.

ولكن ثق أن الرب سوف يقيم أساقفةً وقساوسةً وشمامسةً وشعباً أرثوذكسياً يحيا قبل أن يتكلم، ويتحول إلى الحياة الحقة قبل أن يشهد.

يسوعُ ربٌّ بالروح القدس[1]

يقول رسول رب المجد:

لا يستطيع أحد أن يقول "يسوع ربٌّ إلا بالروح القدس" (١كو ١٢: ٣). من هذا نفهم أن نداء القلب الصادر منا للرب يسوع، هو نداءٌ صادرٌ من الروح القدس ومنا نحن أيضاً. هو نداءٌ مشترَك. هو أحد جوانب عمل شفاعة الروح القدس فينا. فالروح ينادي يسوع ربّاً بنا ومعنا؛ لأنه، أي الروح القدس، يقدِّمنا إلى المخلص لكي ننال منه، من يسوع، الحياة الجديدة الأبدية، ولكي يُدخلنا الروح في حياة يسوع؛ لكي ننال معرفة الروح بالابن، وهي المعرفة الأبدية الباقية معنا وفينا.

ولكي كما يعرف الروح يسوع، نعرفه نحن في معرفة نامية تزيد كل يوم مع تقدُّمنا في المحبة؛ لأن محبة الروح القدس التي أُعطيت لنا (رو ٥: ٥)، أُعطيت كذبيحة حب (فعل يسكب في رو ٥: ٥ فعلٌ خاص بسكب دم الذبائح).

وعندما تقول الإبصالية: "كل من يقول يا ربي يسوع معه سيف يصرع به العدو"، فالسيف هو سيف الروح الناطق فينا بنداء الإيمان "يسوعُ ربٌّ" (١كو١٢: ٣).

لننادي مع الروح يسوع الرب؛ ليكون لنا حياة.

([1]) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٧ مايو ٢٠١٦.

قداسُنا ...[1]

قداسُنا يا أحبائي هو شركتنا في الثالوث. إنساننا يسوع في جوهر اللاهوت، حياً، ممجداً بالاتحاد الأقنومي.

من نهر حياة ألوهيته يسكب الابن حياته التي لا تموت، الحياة الغالبة بالقيامة.

عطاءٌ من أُلوهيته التي تهبَ الوجود والحياة والحركة للناسوت.

الرب الواحد الحي وواهب الحياة يعطي الخلود وقوة القيامة، ذات خلود إنسانيته.

من اتحاده الأقنومي ننال ذات الاتحاد، لا لكي يتكاثر المسيح، ويتعدد، بل لكي يأخذ كل عضو في جسده ذات الحياة، وينمو مُتَّحداً ومتمايزاً رغم شركة الحياة الواحدة بما يشتعل به من لهيب المحبة، فلا درجات في النعمة، وذلك لأن الميراث واحد، ولكن كل عضو ينمو حسب محبته، وحسب اختياره.

---

(1) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٥ فبراير ٢٠١٥.

قداسنا الأبدي[1]

الملامح الأساسية لخدمة الليتورجية (القداس)

+ خلف الشمعتين والمذبح والبخور والصلوات يختفي، ليس عن عمدٍ، بل لأننا لا زلنا في الزمان، يختفي ما هو أبدي؛ لأنه مستعلَن في الشهادتين.

الشمعتان على المذبح: شهادةُ الأسفار، وشهادة الرب نفسه، أي العهدين الأول والثاني.

+ البخور هو سحابة المجد الإلهي، الشاكيناه التي تقدَّم؛ لأننا دخلنا ذلك المجد سرياً إلى أن يُستعلَن بقوة في يوم مجد الرب عندما يأتي للدينونة.

+ الخبز والخمر هو عطية الخليقة الأولى، أي ثمرات الأرض التي دُعيَت إلى وليمة الملكوت.

+ الأسفار المقدسة هي شهادةُ ما هو حادثٌ، وما يحدث وما يأتي.

+ الصلواتُ هي ردُّ الكنيسة على دعوة الثالوث، وابتهالٌ لقبول الدعوة، واستعلانُ عمل الابن رئيس الكهنة الذي منه وحده يأتي روح الحق المعزِّي ليفتح ينبوع التقديس.

+ الخادم أو الخدام، نالوا نعمة الخدمة من خادم العهد الجديد ربنا يسوع المسيح نفسه، الذي يوزِّع خدمة كهنوته حسب احتياجات الدهر الحالي والآتي أيضاً.

---

(1) مقال نشر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٨ اكتوبر ٢٠١٥.

ملامح الأبدية

+ المحبة الثالوثية هي حركة حياة الأقانيم، هي حركة منحة وعطية للخليقة، لا تتوقف.

+ الحياة الأبدية هي انسكاب حياة الثالوث القدوس فينا من الآب بالابن في الروح القدس.

ليس لدينا ثالوث + أبدية، فلا توجد أبدية خارج الثالوث.

+ المحبة الثالوثية محبة أبدية، هي عطاءٌ أبدي لا يتوقف، ولا يحده الزمان أو المكان، ولا حتى خطية البشر.

+ المحبة الثالوثية الأبدية هي تدفُّق الصلاح الإلهي الذي لا يتوقف ولا يبطُل يوم الدينونة، بل في نقلةٍ نوعية، يتدفق لكي يعطي لنا كمال المحبة الذي نأخذه هنا "عربوناً" إلى أن نُعتق بالقيامة من الموت الجسداني الذي أدخل في وعي الإنسان فكرة البداية والنهاية.

ملامح لاهوتية

+ عطاءُ الجسد والدم تمَّ حسب التدبير الأزلي (الأزلي كلمة آرامية وتعني الأبدي، أو الإلهي)، ولذلك فهو عطاءٌ سابقٌ على كل حدود الزمان.

هو عطشُ اللوغوس، وشوقُ اللوغوس إلى الاتحاد بنا؛ لأن المحبة الحقيقية هي اتحادٌ، وبدون اتحاد لا توجد محبة.

+ عطاءُ الجسد والدم للغفران ليس هو العمل الوحيد، بل هو أحد جوانب عمل العطية في الزمان في حياة الزمانيين؛ ولذلك –حسب تعليم الرب نفسه– يُعطى لأجلنا خلاصاً، وحياةً أبديةً، وغفراناً للخطايا".

+ ما هو في ترتيب العطاء –حسب احتياجات الدهر الحالي– لا يسود على ما هو في ترتيب العطاء الإلهي حسب حياة الدهر الآتي، ولا يجب أن نشرح

الترتيب الزماني، أي بداية ونهاية القداس، على أنه فعلاً يبدأ وينتهي؛ لأن البداية هي في الأبدي يسوع والنهاية هي في الأبدي يسوع الذي يكمُل به اتحادنا يوم استعلان ذلك الاتحاد الأبدي.

+ عندما غَلَبَ فكرُ الموت، أي النهاية، وقبلها البداية، الزمانيين، جعلوا من الأبدي الذي في حضن الآب زمانياً خاضعاً لترتيب واحتياجات الدهر الحالي وحده، ولذلك هؤلاء يظنون أن عطاء الدم والجسد هو لمغفرة الخطايا فقط، وليس للحياة الأبدية والقيامة من بين الأموات.

+ يقول الرب: "جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق"، والحق ليس زمانياً فقط، بل هو أبدي في الأساس، واستعلانه في الزمان لا يسحب منه أبديته؛ لأن الذي قال: "جسدي مأكل حق"، هو ذاته الذي قال: "أنا هو القيامة والحق".

+ عندما ينتهي القداس حسب ترتيب الدهر الحالي، فإننا -بالاتحاد بالرب- نبقى في القداس الأبدي، وهو القرار الإرادي بعطاء الحياة الأبدية، واستمرار وعد الرب بأن من يشرب من هذا الماء يصبح هذا الماء ينبوع حياةٍ له؛ لأن الواهب هو الأبدي ابن الله.

+ عندما تتوحَّد إرادتنا نحن الزمانيين بإرادة مَن هو أبدي، فإننا نعود إليه لكي نتطهر من رائحة وعمل فكر الموت (البداية والنهاية) الانفصال، الاغتراب .... الخ. ولذلك، التناول الدائم كما قال الشهيد أغناطيوس الأنطاكي، هو "ترياق عدم الموت".

أمثلة لمن يخاف الاتحاد

+ هل رأيت إنساناً يمسك بسكين يقطع أعضاء جسده؟

إذا عُدَّ هذا الإنسانُ مريضاً يحتاج إلى علاج .. فكيف نتصور أن يقطع الربُّ عضواً في جسده، هو أنت وأنا؟

قول الرب: "الغصن الذي لا يأتي بثمر يقطعه" (يوحنا ١٥: ١)، كان على أمة اليهود التي رفضت. وقوله: "وكل ما يأتي بثمر ينقيه ليأتي بثمر أكثر"، هو عن الرسل وعن كنيسة الأمم التي جاءت بثمر أوفر من اسرائيل.

+ عندما نرى شخصاً مريضاً يحتاج إلى علاج، هل نقدِّم له السُّمَ أم الدواء؟

هل يمكن لأي إنسان عاقل أن يقول إن العقوبةَ علاجٌ للخطية؟

وإذا كانت العقوبة هي أحد مظاهر الشر؛ لأن الألم والحزن هما معاً من جوانب السقوط، فكيف يُعالجَ شرٌّ بِشَرٍّ آخر رغم اختلاف الأصل والهدف؟

+ هل استطاعت خطايا البشر أن توقف المحبة الإلهية؟

إذن كيف نفهم أن من مات لأجلنا وقام وداس الموت بالموت، يمكن أن يجمع أو يمسك هذا الذي داسه تحت قدميه، ويعيد تقديمه للضعفاء والعاجزين عن المحبة؟!!

كيف نفهم أن يعيد المسيح الحياة للموت بعد أن أباد الموت؟ ... فماذا إذن حقق الرب؟

كُتِبَت هذه السطور رداً على أسئلة ثلاثة من الأخوة.

الأرواح السبعة أمام العرش الإلهي (رؤ ١ : ٤)[١]

ورد سؤال إلى الموقع من الأخ سامح جورجي، يقول:

من هم سبعة ارواح الله المذكورة في سفر الرؤيا وما علاقتهم بسبعة أعين الله التي تجول في كل الأرض؟؟؟؟؟ أنا أتعثر كثيرا عند قراءة هذا السفر(الرؤيا)، فتوقفت عن قراءته، فبماذا تنصحني، أطلب إرشاد، كيف أفهم؟؟؟؟؟؟؟

وللإجابة عن هذا السؤال، نقول:

أقدم تفسير لسفر الرؤيا هو تفسير *Oecumenius* وهو من مؤلفي القرن السادس، وربما كان معاصراً للقديس ساويرس الأنطاكي (٥٣٨)، وله عدة تفاسير على انجيل متى ورسائل القديس بولس.

كذلك كتب أندراوس أسقف قيصرية في القرن السابع، هو أيضاً تفسيراً لسفر الرؤيا. ومن تراثنا القبطي، هناك شرح سفر الرؤيا لابن كاتب قيصر، وقد نُشِر على الأقل مرة واحدة. ثم يوجد أيضاً شرح سفر الرؤيا في السلسلة *Ancient Christian Commentary on Scripture* مجلد ١٢ وهو عبارة عن اقتباسات لعدة مؤلفين.

ثلاث ملاحظات على سفر الرؤيا:

هناك ثلاث ملاحظات على سفر الرؤيا:

أولاً: لا يُقرأ سفر الرؤيا في قداسات الكنائس الأرثوذكسية: القبطية –

(١) مقال نشر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٤ يوليو ٢٠١٥.

السريانية – الروم – الأرمن. وهو غير موجود في كتب القراءات الكنسية. ولكن انفردت الكنيسة القبطية بقراءة سفر الرؤيا في أسبوع الآلام، وتحديداً بعد خدمة دفن المخلص، في ليلة سبت الفرح، وتُعرف هذه الليلة في التراث الشعبي باسم "أبو غلامسيس" وهي تعريب لاسم سفر الرؤيا اليوناني – القبطي.

ثانياً: لا يوجد إجماع حول محتويات السفر، وقد انقسم الرأي حوله إلى قسمين:

+ قسمٌ يرى أن موضوع السفر هو صراع الكنيسة في العالم في كل العصور. وأن الحديث عن الكنائس السبع، هو خلاصة تاريخ الكنيسة؛ لأن رقم ٧ هو رقم الكمال (ستة أيام + السبت = ٧).

+ وقسمٌ يرى أن موضوع السفر هو عن صراع الخير والنور، والظلمة والشر في الامبراطورية الرومانية، ولذلك، النبوات التي فيه، قد تمت كلها بانتصار بشارة الانجيل.

ثالثاً: الاسم نفسه "رؤيا" لا يجب أن يكون موضوع تأمل أو بحث، بل انتظار أن تتم الرؤيا أو النبوة. والانتظار أفضل من الانشغال بأي موضوع آخر غير نبوات المستقبل. والمثال الواضح لنا هو رسائل القديس بولس الذي كان هدف حياته هو أن يُصلب ويموت ويظل متحداً بالرب يسوع. هذا تحذير لكل من ينشغل بأمور عالية تفوق الإدراك.

الأرواح السبعة أمام عرشه:

يقول إيكيومنيوس في الخطاب الأول على رؤيا ١: ٤:

"الأرواح السبعة هي الملائكة السبعة، ولكنها ليست بالمرة مساوية للثالوث القدوس الواحد بالجوهر، بل هم خدام معاونون وأمناء؛ لأن النبي يقول مخاطباً الله: "كل الأشياء تخدمك" (مزمور ١١٩: ٩١ س)، وضمن هذه الأشياء،

الملائكة أيضاً. وفي موضع آخر يقول عن الملائكة: "باركوا الرب يا قواته الخدام الذين يعملون إرادته" (مز ١٠٣: ٢١ س). ونفس أسلوب (رؤيا ١: ٤)، نجده في (١تيمو ٥: ٢١) إذ يقول: "أناشدك أمام الله ويسوع المسيح والملائكة المختارين"، وعندما يقول سفر الرؤيا: "الذين أمام عرشه"، فهو يضيف شهادتهم كخدام فقط، وليس لأن لهم ذات الكرامة التي للثالوث". وهو نفس شرح اندراوس اسقف قيصرية.

في الغرب اللاتيني وصلنا أكثر من شرح لسفر الرؤيا، فُقِدَ أغلبه، وهو شرح للأسقف *Tyconius* وهو أحد معلمي القديس أوغسطينوس، وقد قسَّم عصور التدبير الإلهي إلى سبعة عصور (سوف نعود اليها في مناسبة أخرى). ولكن التفسير شبه الكامل هو تفسير *Apringius* وهو كاتب مسيحي في القرن السادس، أصلاً من تونس عاش في *Beja* وهي اليوم باجة. ولعله هو أول من قال إن الأرواح السبعة هي مواهب الروح القدس السبعة. وهو يشرح كلمات الرؤيا على هذا النحو:

"هنا سر رقم سبعة الذي يوجد في مواضع متعددة (من الأسفار)، وهنا الأرواح السبعة، قد قُدِّمت لنا؛ لأنها روحٌ واحد بعينه، أي الروح القدس الواحد الذي له اسم واحد، وقوى سبعة متعددة، غير منظور ولا منقسم، ولا هو مادي، والذي لا يمكن فهم حقيقته. أشعياء العظيم أعلن لنا رقم سبعة والقوة الكاملة للروح عندما كتب "روح الحكمة والفهم — لأنه بالفهم والحكمة يُعلم أنه خالق كل الأشياء — روح المشورة والقوة — وهؤلاء الذين يؤمنون يخلقهم الروح — روح المعرفة والتقوى (المخافة) — الذي يسود على الخليقة وبالمخافة يدرب على قبول المعرفة لأن غاية الروح هي الرحمة.

روح مخافة الرب، عطية خوف الرب، تُستعلن فقط للكائنات العاقلة، هذه هي قداسة الروح الخاصة به، والتي بها نخدمه، وهي أي العطايا السبعة، تحتوي على التسبيح غير المعبَّر عنه باللفظ (شرح سفر الرؤيا — راجع مجلد ١٢ السابق ذكره).

أرجو أن تنشغل بالرب وحده؛ لأن المحبة لها طريق واضح خاص بها يقودنا إلى معرفة خاصة. البحث والدراسة نافعة جداً، ولكن الأعظم هو طريق المحبة؛ لأنه الطريق الأبدي الذي جعل الثالوث القدوس يختاره بنفسه لكي يكون منزلاً في داخلنا (يوحنا ١٤: ١٣).

لا يجب أن يكون لنا هدف آخر أعظم من محبة الرب يسوع، وكل الأفكار والمشاكل العقلية هي هباء بالمقارنة بمحبته لنا، ومحبتنا نحن له.

الدالة والشفاعة
وردٌّ موجز على
الذين غاب عنهم الوعي الكنسي[1]

أولاً: الدالة والشفاعة

لقد تاهت المعايير الكنسية الصحيحة في عصرٍ غاب عنه الحديث والتعليم الصحيح عن الكنيسة "جسد المسيح الواحد". وفي غياب ما يحمله هذا الاسم ويؤكد عليه من علاقة عضوية بين الرأس يسوع وبين الأعضاء (١كو ١٢: ١١ – ١٣)، يفتح هذا الغياب أبواب التهور في أحكام القطع والمنع من التناول أو الخدمة.

كما يفتح هذا الغياب أيضاً باب التفسير الفردي الذي يمسك فيه شخصٌ ما بكلمات الوحي الإلهي لكي يحول الكنيسة جسد المسيح الواحد إلى عدة جماعات أو أفراد متباعدين لا تربط بينهم إلاَّ المشاعر والأفكار المشتركة (إذا وجدت في عصر الانقسامات والتشرذم).

لماذا نصلي كلٌ من أجل الآخر؟ هل يحتاج هذا الأمر إلى شواهد من العهد الجديد؟ "مصلين بكل صلاة وطلبة" (أفسس ٦: ١٨)، "صلاة الإيمان تشفي المريض" (يع ٥: ١٥). ويقول رسل الرب: "أمَّا نحن فنواظب على الصلاة" (أع ٦: ٤)، بل يطلب الرسول أن يتفرغ الذين تزوجوا للصلاة والصوم (١كو ٧: ٧)، بل ويطلب الرسول مساعدة الكنيسة في الصلاة من أجل خدمته (٢كو ١: ١١)، بل يطلب من أجل كنيسة روما "متضرعاً دائماً في صلواتي" (رو ١: ١٠)،

([1]) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٦ سبتمبر ٢٠١١.

ولاحظ: "ذاكراً إياكم في صلواتي" (أفسس ١: ١٦)، بل سوف يهب الله له الحياة بصلاة فليمون (فل: ٢٢).

لماذا لا يكتفي الأخ الذي يحتج على شفاعة القديسين، بشفاعة المسيح وشفاعة الروح القدس، حسب قوله؟ وإذا كانت شفاعة المسيح وشفاعة الروح القدس هي التي تمنع شفاعة القديسين، بل وتبطلها حسب تعليم المذهب الإنجيلي الذي غاب منه - وعن وعي - الذين يتمسكون بما ينادي به هذا المذهب، فماذا يقول الأخوة الإنجيليون عن الكنيسة؟ وهل سبق أن حظي تعبير "جسد المسيح" بأي اهتمام في الكتابات الإنجيلية المصرية؟

أقول لهذا الأخ، عليك أن تلاحظ ما يواجهه من مقاومة، ما يذكره الأب متى عن الكنيسة، ودفاع رهبان الدير -في كتابين- عن الأصول الآبائية الأرثوذكسية لكتابات الأب متى المسكين (راجع الكتاب الأول عن الكنيسة جسد المسيح).

لقد غاب ذات التعليم عن الكنيسة جسد المسيح عند الأرثوذكس الذين يهتفون ويصفقون (مع زغاريد النساء) لقيادات كنسية أخذت مكان المسيح الرب في الكنيسة.

وبالطبع، غاب التعليم بأن الإفخارستيا تكوِّن *makes* الكنيسة؛ لأن عشاء الرب أصبح هو موضوع الحوار الساخن في ساحات الرمز والاستعارة، وتحوُّل تجسد الرب - الذي له جسد حقيقي - إلى مجرد رمز وذكرى، عندما يأخذ الإنجيليون عشاء الرب. ويحتج هؤلاء بأن الرب في السماء التي صعد إليها لأنه لم يعد معنا إلاَّ في الذاكرة.

هل قرأنا وسمعنا في العصر الحديث -قبل كتابات الأب متى المسكين، وترجمة رسائل القديس أثناسيوس عن الروح القدس- بأن الرب يسوع معنا وفينا بالروح القدس؟!!

أعود إلى الكنيسة التي تصلي كلها للأسباب التي سُلِّمت إلينا، وهي ذات الأسباب التي نراها في التعليم الرسولي نفسه المدون في الأسفار.

أولاً: كل صلاة في الكنيسة هي صلاة تقدَّم للآب من خلال الرأس يسوع المسيح. وقد قال أوغسطينوس في العظة على مزمور ٢١: "إن الخاطئ يعترف، ويعترف معه الرأس، ليس لأن الرأس أخطأ، بل لأن كل علاقة شركة مع الآب هي من الأعضاء للرأس، يسوع وبقوة الروح القدس". وعندما نصلي كلٌ من أجل الآخر، فالصلاة ليست قاصرة على مَن يطلب؛ لأن الرب يعمل في كل الأعضاء — ويعطي "الفرد الواحد من أجل الكل، ويعطي الكل من أجل الواحد" هذا هو المبدأ الذي يشرح صلاة الكنيسة.

ثانياً: الشفاعة هي توسُّل، والتوسُّل هو طلبة الكنيسة كلها وليس طلبة شخص واحد بعينه. والشفاعة والتوسُّل هي كلمات تحدد الهدف الذي لأجله تطلب الكنيسة، فهي تطلب الشفاء للمرضى — مواهب الروح القدس للشهادة (هذه ممنوعة في الوقت الحاضر). هذه كلها من الأعضاء للرأس وبواسطة الرأس.

ثالثاً: عندما يتصوَّر صاحب السؤال أن العذراء والرسل والملائكة هم في السماء، بينما نحن على الأرض، ويفصل بيننا وبين هؤلاء مسافة (لا أدري كيف يحدد أحد ما هذه المسافة)، تبدو لنا الشفاعة -عندئذٍ- وكأنها تدخُّل في عمل الابن، الذي هو ذاته عمل الروح القدس والآب أيضاً.

لكن الأيقونة الحقيقية هي أن الذين على الأرض جميعاً هم الذين يأتون إلى "مجمع" القديسين وإلى جماعة الرب الأحياء في أورشليم السماوية. هؤلاء كما يقول رسول الرب هم سحابة الشهود، ولكن هذا المعنى ضاع من جيلٍ يجهل معنى الشهادة الشهود، تحت مطارق الخوف، بل و"التقية" التي ضربت كل شيء عندنا (تراها في توزيع كتب الأب متى المسكين سراً وكأنها نوع من المخدرات).

أمَّا الشهود، فهم معنا؛ لأن الشاهد ليس "غائباً"، وغياب الشاهد يجعله عاجزاً عن الشهادة. الشهود أحياء وليسوا موتى كما يقول البعض — والشهود لم

ينالوا كل المواعيد؛ لأنهم لن ينالوها بدوننا (عب ١١: ١٣). الكنيسة "تكمُل" بحياة الأعضاء معاً، أمَّا الانقسام الذي نعانيه، فهو كسرٌ في قارب الحياة يدخل منه المذهب الفردي، مع أباطيل الاستعانة بشواهد الكتاب المقدس لتبرير الانحلال والضعف الذي نعانيه.

فالكنيسة حية بالكل، وحياة المسيح تجمع والدة الإله وكل القديسين معاً. والصلاة هي صلاةٌ في يسوع.

الدالة، والشفاعة لدى المسيح: "ليس لنا دالة عند ربنا يسوع"، هي الكلمة اليونانية القبطية παρρησια وتعني حسب قاموس العهد الجديد اليوناني:

- الجرأة في الكلام – الشجاعة – الكلام المتجاسر (مرقس ٨: ٣٢).
- الكلام علناً (كولوسي ٢: ١٥).
- الكلام بلا مانع (أعمال ٢٨: ٣١).
- الثقة في الكلام أو الطلب (١يوحنا ٣: ٢١ – ٢كو ١٥: ٣).

هذا موجز لاستعمال الكلمة في العهد الجديد.

هذه الجرأة، وتلك الشجاعة تجد مصدرها في:

* ميلاد المسيح من العذراء، وهو حدث التجسد الإلهي. الحدث الدائم الذي جمع الإنسانية كلها في الأم، وهي مريم التي ولدت رب الوجود يسوع ابن الله.

لقد غاب معنى تجسد الرب عن الوعي، لأنه لو عاد إلى الوعي أن **الإنسانية في مريم** ولدت الله الكلمة، لأدركنا أن ما حدث -وهو يفوق كل قدرات الخيال- قد أعطى لنا في مريم هذه الجرأة وتلك الثقة في علاقة الأم العذراء بمن ولدت، ليس لأنه بعيدٌ أو منفصل عنَّا، أو هو في السماء وحدها وليس على الأرض، بل لأنه هو رأس الكنيسة.

غير ذلك لا يعدو أن يكون خرافات قبطية معاصرة تجعل أحفاد العصر الوسيط يقولون بكل استهتار إننا لا نملك الاقتراب من المسيح. وبكل استهتار أيضاً ينكرون

"محب البشر"، ويقولون "نحن لا نستحق أن نأتي أو نتكلم مع الرب".

هذا جحدٌ تام للعلاقة الشراكية، أي علاقة الشركة التي لنا في يسوع ابن الله. إنكارٌ للبنوة وعودة إلى حالة "العبيد"! وعندما يقول اللحن إن رب الوجود جالسٌ على حجر الأم العذراء؛ فهو يعبِّر هنا عن اندفاع المحبة الإلهية وتنازلها؛ لأن مريم التي حملت الله الكلمة هي أيقونة الكنيسة التي تحبل وتلد الأبناء الذين يُولدون من الماء والروح مثل ولادة يسوع، "ليس من جسد ولا دم ولا من مشيئة رجل، بل من الله" (يوحنا ١: ١٣).

هذا جاء وحل فينا أو سكن بيننا لكي يجمع الكل فيه.

* الشجاعة والجرأة التي لنا لا تعود إلينا، بل إلى التجسد، إلى ذلك الاندفاع الإلهي بقوة التواضع الإلهي. ومريم لا تطلب إلاَّ في يسوع، ولا دالة لها إلاَّ في يسوع، وهي تطلب البتولية للعذارى، والإيمان والقداسة لكل من يريد أن يقدم أبناءً لله مثل بولس الذي يمر بمخاض الولادة حتى يتكوَّن (يتصوَّر) المسيح في قلوب الغلاطيين الأغبياء (راجع غلاطية ٣: ١ — ٤: ١٩).

فأيُ كتابٍ مقدس نتحدث عنه؟

هل استقر في وعي الأرثوذكس أن العهد الجديد مثله مثل العهد القديم، تدوين لتاريخ وحياة الذين قبلوا الاستعلان الإلهي؟ أي هل قبلوا الكتاب المقدس باعتباره تسليماً، أم حَسِبوه مجرد ذلك المجلد الذي يمسك به كل فرد على حدة؛ لكي يقطع به رقاب الذين يختلفون معه، ويأخذ كلمات الروح القدس لتصبح سكاكين يقطع بها أوصال الجسد الواحد؟

مَن الذي يقول إن العذراء أفضل وأقدس من أي مسيحي؟

إن صاحب هذه المقولة لم يستوعب بعد سر المعمودية وسر سكنى روح يسوع فيه؟ من أين جاءت فكرة أن هناك قديسين أكثر قداسة من قديسين، أو أن هناك درجات في ملكوت السموات، البعض أقرب والبعض بعيد؟ ... هذه

صورة مجتمع الطبقات الذي استند إلى شرحٍ خاطئ لكلمات الرسول: "إن نجماً يمتاز عن نجم في المجد" (١كو ١٥: ٤٠)، تلك الكلمات التي بُترت وقُطعت من سياقها، فقرأ هؤلاء الشُّراح مجتمع الملكوت قراءةً طبقية، وتركوا كلمات الرسول الواضحة جداً:

- أجسام سماوية — أجسام أرضية.
- مجد السماويات شيء — مجد الأرضيات شيء.
- مجد الشمس شيء — مجد القمر آخر (١كو ١٥: ٣٩ — ٤١).

ولكن الرسول عاد ليقول: "هكذا في قيامة الأموات يُزرع في فساد ويُقام في عدم فساد — (١كو ١٥: ٤٢ - إلخ). فلم يكن الكلام هنا عن مكانة القديسين، بل عن طبيعة الأجساد. أمَّا جسد القيامة فهو جسد واحد.

العذراء القديسة ليست أقرب للرب من أي مسيحي مؤمن. مَن يقول هذا هو من ينكر أن الكل أعضاء في جسد الرب. وما العبارات الفخمة عن القديسة مريم إلاَّ تعبيرات عن النعمة التي سوف تكون لنا، والتي وُضِعَت أمامنا عن علاقة حميمة قوية، هي ذات العلاقة المفتوحة والمقدَّمة لكل نفس مسيحية.

إنني أقول هذه العبارات: "ليس لنا دالة ... الخ"، ليس لأنني بلا نعمة، بل لأن النعمة منحتني هذه الشجاعة. وليس لأن القديسة مريم لها دالة عند الرب لا مثيل لها، بل لأن هذه الدالة هي الشجاعة، شجاعة الأم ومحبتها لمن ولدت، ولمن هم أولاد مع يسوع البكر الولد الذي ولدته.

لقد تغنَّى شعراء السريان: إفرام ويعقوب وغيرهما بالعذراء مريم، ولكن أناشيد هؤلاء تعدت العذراء إلى إظهار مجد الإنسانية التي ولدت الله الكلمة.

من الطبيعي جداً أن تصبح فكرة وحدة الجسد الواحد، فكرة غريبة على نساطرة القرن العشرين، كما كانت غريبة على النساطرة الأُوَل. وبنفس القدر تصبح هذه الفكرة غريبة أيضاً على الذين ينكرون تجسد الرب كحقيقةٍ تُعاش في

السـرائر وفي الصـلاة. وكمـا فعـل النسـاطرة الأُوَل، هكـذا يمـزق النسـاطرة الجـدد "الجسد الواحد" بكلمات الكتاب المقدس، عن جهل وكراهية.

يا أم النور صلي لأجلنا؛ لكي نصبح مثلك في عرس
الملك السماوي يسوع المسيح.

ثانياً: شفاعة الروح القدس الرب المحيي

الفعل اليوناني ἐντυγχάνω

استُخدم الفعـل في الترجمـة السـبعينية حسـب المعـنى الكلاسـيكي القـديم: في دانيال ٦: ١٣ – مكابيين الأول ٨: ٣٢ بمعنى تقديم شكوى أو طلب معين.

في العهـد الجديـد استخدم القـديس بـولس ذات الفعـل في شـكوى النـبي إيليـا المقدَّمـة ضـد إسـرائيل، ومـع أن الترجمـة العربيـة نقلـت المعـنى "إيليـا كيـف يتوسـل إلى الله ضــد إسـرائيل" (رو ١١: ٢) إلاَّ أن المعـنى لا يسـتقيم بـالمرة، فـلا توسـل في الشكوى، لأن النبي يشتكي ويحتج[١].

ولكن الفعل يتعدى تقديم طلب أو شكوى، وقد ورد ثلاث مرات في (رو ص ٨):

المـرة الأولى الـتي ورد فيهـا هـذا الفعـل في (رو ص ٨) كانـت عـن أن الـروح القـدس "يشـفع فينـا بأنَّـاتٍ لا ينطـق بهـا" (٨: ٢٦)، والأنَّـات مـن "الأنـين"، وهـي ليسـت لغـة الشـكوى، ولا هـي أيضـاً لغـة التوسـل السـائدة في المجتمـع حيـث يسـود الأقويـاء علـى الضـعفاء، ويبحـث الضـعيف عـن إنسـان قـوي أو ذي شـأن لكـي يتوسـل مـن خلالـه. لا يجـب أن نسـقط *project* الانحـلال الاجتمـاعي علـى الله مثلمـا فعـل ذلـك واحـد مـن الإكليروس يقـول بكـل جسـارة: إن الـرب يسـوع قـال

([١]) ورد هذا النص في الترجمة الكاثوليكية التي نشرتها دار المشرق بلبنان، هكذا: "أولا تعلمون ما قال الكتاب في إيليا؟ كيف كان يخاطب الله **شاكياً** إسرائيل فيقول".

للآب وهو معلق على الصليب: "سامحهم علشان خاطري"!! هذا تهافت مصدره التربية الاجتماعية السائدة في المجتمع والتي لا تنتمي إلى حق الإنجيل. لأنه عندما يدخل الفكر السياسي في شرح أسفار الله، أي أسفار الكتاب المقدس، فإن الله يصبح مثل الفرعون أو "الباب العالي" الذي لا يمكن الدخول إليه إلاَّ عن طريق وسيط وبروتوكول.

لا بُد أن نكون على وعي تام بأننا عندما "نُسقط" هذا التصور السياسي على الله نفسه، فإننا نهدم وحدة الحياة الإلهية أو وحدانية الجوهر الالهي للثالوث. كما نحذف من الوعي ومن العبادة (الخدمة) الايمان الصحيح بألوهية الروح القدس، وبألوهية الرب يسوع، ونتصور أن الأقنوم الثالث والأقنوم الثاني هما معاً أقل من الآب. وهذه عودة مقنَّعة للأريوسية.

لا يقبل الايمان المستقيم (الأرثوذكسي) التعرج بين فرقتين: الأولى تؤمن بوحدانية الجوهر ولا تفصل الأقانيم. والثانية تفصل وتخلق "تراتبية"، أي رُتَبٍ *ranks* في الثالوث، فيكون هناك أعظم وأقل، والأعظم هو الآب القاسي القلب الذي لا يتحرك ولا يعطي شيئاً إلاَّ بعد توسل وتذلل نراه، حتى في اجتماعات الصلاة؛ حينما تتحول الصلاة إلى "مرافعة" محام ماهر يريد استمالة القاضي، ناسياً ذلك المحامي الفذ أن الآب هو ينبوع المحبة الذي أرسل ابنه بسبب محبته لكي يخلص العالم (يوحنا ٣: ١٦)!

لماذا يشفع الروح القدس فينا بأنَّاتٍ لا يُنطق بها (رو ٨: ٨ – ٢٦)؟

لقد دمرت العظات التي تدور حول عبارة واحدة، أو "آية واحدة"، ليس فقط وحدة الكتاب المقدس نفسه، بل وحدة العقائد الكبرى، وفي مقدمتها الثالوث.

ولكي نفهم معنى كلمات الرسول عن شفاعة الروح القدس، علينا أن نعود إلى (رو ٨: ١٨) وما بعدها.

١- آلام الزمان الحاضر (١٨) حقيقة معاشة عبر كل العصور.

٢- لكن مع هذه المعاناة، فهي "لا تقاس بالمجد". ولاحظ عبارة الرسول: "العتيد (الآتي) أن يُستعلن فينا". فالمجد الآتي هو جزءٌ من انتظار الخليقة (١٩) التي تتوقع تمجيد أبناء الله، ومع تمجيد أبناء الله سوف يمتد المجد إلى الخليقة التي أُخضعت للبطل (٢٠) أي الفساد والانحلال دون أن يكون لها إرادة "ليس طوعاً"، وإنما لأن آدم الذي هو "صورة الله ومثاله" نال السلطان الإلهي لإخضاع الخليقة (مزمور ٨) وعندما سقط، انجرفت معه الخليقة التي خضعت له"[1].

٣- سقوط آدم كما ورد في (تكوين ص ٣) يؤكد الفوضى والفساد والصراع الذي دخل بين الرجل والمرأة، وبين آدم والخليقة.

٤- ولكن الفساد له زمان، وسوف يأتي الانعتاق أو الحرية، ولاحظ أن هذه الحرية حسب عبارة الرسول في (رو ٨: ٢١) هي "حرية مجد أولاد الله"، أي هؤلاء الذين لهم ذات مجد يسوع البكر بين إخوة كثيرين (رو ٨: ٢٩)، وهو ما طلبه الرب نفسه في صلاة رئيس الكهنة في (يوحنا ١٧: ١٠-٢٢)، فهو ممجد فينا، والرب أعطانا المجد الذي ناله من الآب؛ لأن قبول هذا المجد هو الذي سوف يؤهِّل المؤمنين لأن ينظروا مجد الابن الأزلي؛ لأن الرؤيا في الدهر الآتي هي شركة وليست (فُرجة).

٥- وماذا عن الزمان الحاضر المشحون بـ "مخاض" الولادة الجديدة، حيث تئن الخليقة ومعها يئن الإنسان نفسه (٢٢)، حتى الذين نالوا "باكورة" الروح القدس؟

ولاحظ هنا تعبير "باكورة"، فهو خاص بأول الثمار التي تظهر مبكراً[2] قبل موعد الحصاد؛ لأن الحصاد هنا هو زمان الانعتاق، هو يوم "حرية الخليقة"، ولكن هذا التعبير يعني أن الروح القدس قد أعطى مبكراً في زمان التجديد حسب عبارة

---

(١) راجع عظات ذهبي الفم على رومية ١٤: ٥ مجلد ٦٠ عامود ٥٣٠ ويقبل هذا الشرح *Fitzmyer – Lampe – Dunn* وكل المفسرين في العصر الحديث.

(٢) الباكورة وردت في الأصل اليوناني (١كو ١٥: ٢٠، ٢٣ – ١كو ١٦: ١٥ – ٢تسا ٢: ١٣ يعقوب ١: ١٨ – رؤ ١٤: ٤ وفي رومية ١١: ١٦، ١٦: ٢٥ απαρχη الثمر المبكر – First – Fruits).

الرب يسوع المسيح نفسه: "الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد .." (متى ١٩: ٢٨). ولعل تعبير άπαρχη يُسكت الذين يفصلون بين الأقنوم والمواهب؛ لأن زمان التحرير أو الانعتاق من فساد الجسد وانحلال الخليقة هو الزمان الذي سوف يُستعلن فيه "الروح الذي أقام يسوع من الأموات" الساكن فينا وهو الذي "أقام المسيح من الأموات سيُحيي أجسادنا المائتة "بروحه" الساكن فينا (رو ٨: ١١ مع الاعتذار لإعادة صياغة كلمات الرسول حتى يظهر المعنى). هنا العمل الالهي الأخير هو عمل الخالق، عمل الله، الذي سكن فينا نحن الباكورة لكي يتم كمال هذا العمل في يوم الحصاد، يوم القيامة على صورة قيامة يسوع المسيح نفسه من الأموات.

٦- نحن "نئن" في انتظار كمال التبني (٢٣) والتبني هنا ليس رتبة شرفية حسب ضلال البعض، وإنما هو كمال الخلق الجديد ليكون حسب صورة قيامة جسد يسوع الممجد (فيلبي ٣: ٢١).

٧- في (٢٤ – ٢٥) يقدم الرسول – رجاء – صبر – توقع الفداء للجسد. هذا في وسط معاناة وعواصف الدهر ومتاعب الزمان.

الأنين والشفاعة:

١- هو أنين الخليقة. ٢- هو أنين المؤمنين. ٣- هو أنين الروح القدس نفسه.

أنين الخليقة مع أنين المؤمنين هو أنين انتظار الانعتاق، ولكن الروح القدس غير مُستعبد للفساد ولا هو يعاني في أقنومه الانحلال والموت؛ لأنه "الروح القدس الرب المحيي"، ولكن الروح يئن بأنَّاتٍ غير قابلة للترجمة حسب اللغة، أو هي فوق قدرة اللسان على التعبير. فالشفاعة هنا ليست توسلاً بالكلمات بل هي **آلام** مَن يرى ما هو حادث، وما سوف يكون من تعب، ومعاناة، واضطهاد، ومن ثمَّ المجد والحرية والكرامة الإلهية، ولذلك يئن في صبر إلى أن يحين الانعتاق.

والرسول يقول: "لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله". كيف يصلي الشهيد؟

كيف يصلي طريح السجون من أجل الرب؟ كيف يصلي الراقد على فراش مرض مـزمن؟ كيـف يصـلي المضـطَهَد يوميـاً في مكـان عملـه؟، أو المطَـارَد مـن الأمـن والقضاء والزوجة، أو البريء الذي زُجَّ به في السجن، وبالإضافة إلى هؤلاء، البريء الذي مُنِعَ من التناول ظلماً؟ ... من أجل كل هؤلاء يئن الروح في **حزن**.

مع ملاحظـة أن الرسـول قـد حـذَّرنا مـن أن نحـزن الـروح "لا تحزنـوا الـروح"، فالروح يئن حزيناً لأننا نطفئ بمياه الخطية شعلة النار الإلهية: "لا تطفئوا الروح". وبالمناسبة، لو كان الذي فينا هو مواهب فقط، فكيف تئن المواهب؟ وكيف تحزن المواهـب؟ وكيـف تنطفـئ المواهـب؟ ألـيس الأنـين، والحـزن همـا مـن ميـزات حيـاة الشخص أو الأقنوم.

فما هي شفاعة الروح القدس (رو ٨: ٢٧)؟

يشـفع فينـا الـروح القـدس حسـب مشـيئة الله، وهـو يشـفع في القديسـين؛ لأن مشيئة الله هي "قداستنا"، وتلك هي المرة الثانية التي يرد فيها الفعل في (رو ص ٨):

١- يصـرخ فينـا الـروح القـدس "أبَّـا أيهـا الآب" (غـل ٤: ٤)، وهـي صـرخة الفرح بعودة الخليقة إلى الله.

٢- قيادة الاستنارة؛ لأنه هـو الـذي ينير شركاء حياته، وحياة الروح القدس هي التقديس لنا والقداسة له (عب ٦: ٤)؛ لأن شركاء الروح القدس هم شركاءٌ في قداسته عب ١٢: ١٠.

٣- يـتكلم فينـا في زمـان الشـهادة بقـوة لا يقـدر حـتى معانـدي يسـوع أن يقاوموهـا (مـتى ١٠: ٢٠ – لوقـا ١١: ١٣ لأن الآب يهـب الـروح وهـو يعطـي حكمة لو ٢١).

٤- ويعطي الفرح في الضيق عندما يذكِّر ويُعلن للنفس المجد الآتي، حتى أن اسطفانوس استنار عندما رأى مجد يسوع (أع ٧: ٥٥ مع أع ٦: ١٥).

٥- ويبقى الجانب الشخصي الذي يكتشفه كل مسيحي حسب احتياجاته وعمق شركته في الآلام الرب التي تقوده إلى مجد القيامة: "لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته لكي أبلغ إلى قيامة الأموات" (فيلبي ٣: ١٠). هذه صرخة رسول الرب الذي يجد في شفاعة الروح القوة التي تسند، لأن الروح الساكن فينا والعامل فينا ينطق أحياناً بكلمات الصلاة، أو رسالة نبوة، والأنبياء في تاريخ الكنيسة القبطية نطقوا بما هو فوق حدود الزمان: يوحنا الأسيوطي، وصموئيل المعترف، ومرقس المتوحد بجبل أنطونيوس ... وما أكثر هؤلاء الذين ارتفع صوتهم في زمان الأنين بالخلاص الآتي.

٦- ألا يئن الروح القدس في قلوب المعذَّبين بأنواع عذاب مختلفة ليقول: "يسوع هو الرب" (١ كو ١٢: ٣)؛ لأن الروح يسوق المعذَّبين للاعتراف بالإيمان — هكذا سمعنا عن الذي حدث في الزاوية الحمراء وغيرها حينما نطق أنين الروح القدس على ألسنة وأفواه شهداء عصرنا جهاراً .. وربما في صمت .. في لحظات الموت .. أنها ليست أنات التوسل .. ولكن النطق والاستعلان بما هو آت، أي بالمجد الذي لا نراه بالعين، والذي قد ينكره الواقع نفسه حيث الآلام، ولكن الروح يكشفه بعين النبوة؛ لأنه روح الرب الناطق في الأنبياء، إذ ينطق فينا في القلب في صمت أو جهراً بكلمات الحق؛ لكي ننال ذات الشركة مع سحابة الشهود (عب ١٢: ١)، ونسمع صوت الروح ينطق فينا بالشهادة: "يسوع هو الرب لمجد الله الآب" (فيلبي ٢: ٦-٧).

أمَّا المرة الثالثة التي يرد فيها هذا الفعل في الإصحاح الثامن، فهي: "من هو الذي يدين المسيح هو الذي مات، بل بالحري قام أيضاً الذي هو أيضاً عن يمين الآب يشفع فينا" (رو ٨: ٣٤)، فقد قيل الكثير عن شفاعة المسيح يسوع، ونسي القائلون إنه:

١- عن يمين الآب.

٢- وأنه لن يدين؛ لأن الإدانة والشفاعة لا تعملان معاً.

أنَّات الروح القدس
رسالة ديونيسيوس أسقف الإسكندرية
(٢٤٨م–٢٦٥م)

يشرح ديونيسيوس بابا الإسكندرية وتلميذ العلامة أوريجينوس أنَّات الروح القدس الذي يخلي ذاته لكي يسكن فينا:

"ما هو معنى كلمات الرسول: "الروح نفسه يعين ضعفنا، لأننا عندما لا نعرف كيف نصلي أو ماذا نصلي، الروح يشفع فينا بأنَّاتٍ لا يُنطق بها" (رو ٨: ٢٦ – ٢٧) لا يقبل الروح الكلي القداسة أن يسكن حيث توجد خطية، ولكنه هو نفسه الآن يحيا إلى الأبد في قلوبنا البشرية الخاطئة.

ما أعمق معاني كلمات الرسول بولس: "أنَّات لا ينطق بها". لقد قال الرسول نفسه في موضع معين: "لا تطفئوا الروح" (١ تس ٥: ١٩)، ونحن كثيراً ما نطفئ الروح عندما يصبح قلبنا بارداً، وهو ما حذَّرنا منه الرب يسوع المسيح، لأن القلب يبرد بالإثم (متى ٢٤: ١٢).

المحبة هي رباط، ولكن ذلك الرباط ليس للعبودية، بل هو رباط الروح الذي يطهِّرنا من الأنانية. فالروح الذي هو نار المحبة الالهية نحن لا نهتم به، وهو يصرخ فينا، نحن نسكب عليه مياه الخطية الباردة لكي نطفئ اللهب، وهو يعاني ويتألم من طردنا إياه، إلاَّ أنه لا يتركنا إلاَّ في يوم الدينونة. يشتاق الروح أن يعطي لنا كل الصلاح، إلاَّ أنه يرى أن قلوبنا باردة.

لقد أخلى الروح ذاته وتخلى عن قداسته لكي يغسل قذارتنا. هل رأى أحدٌ منَّا ملكاً عظيماً يخلع تاج ملكه وملابسه الملوكية لكي ينحني لكي يغسل قذارة شحاذ مغطى بالقذارة، ثم يضمد جراحه، ويُلبسه ملابس ملوكية، ثم يئن مشتاقاً

لأن يعطي له التاج والملابس الملوكية.

حقاً يتواضع الروح أكثر من تواضع الابن عندما تجسد؛ لأن الابن أخذ نفساً وجسداً من مريم وجعلهما مقدَّسين بالاتحاد بالطبيعة الإلهية، ولكن عندما يعمل فينا الروح القدس، نحن الذين ليس لنا طبيعة مقدسة لكي يعمل فيها، بل مدنسة بالخطية فهو يخلي ذاته".

انثولوجية قصيرة آبائية
على كلمات رومية ٨: ٢٠ وما بعده

- ١ -
انتظار الخليقة

القديس ايريناوس:

"الله الغني في كل شيء، وكل الكائنات ملك له، رأى أنه من المناسب أن الخليقة نفسها ستعود إلى ما كانت عليه من قبل، أي حالتها الأولى، وهي بدورها ستكون تحت سلطان القديسين" (ضد الهرطقات ٥: ١٠٣٢).

العلامة أوريجينوس:

"عندما يذكر الرسول بولس انتظار الخليقة، فهو يقول ذلك عن المجد الفائق والعظيم الذي سوف يناله هو والذين يعانون مثله الآلام" (شرح رومية ٤: ٤٨).

القديس كيرلس السكندري:

"تنتظر الخليقة استعلان أبناء الله وذلك في الزمان الآتي، ومَن الذي يعرف كيف سيحدث ذلك – أي انعتاق الخليقة؟ ولكن تدبير الله الفائق يرتِّب الصلاح لكل الكائنات ويدبِّر ما هو أفضل عندما تأتي نهاية الزمان ويتجدد الذين عاشوا حياة البر وتحولوا من المذلة والفساد إلى المجد وإلى عدم الفساد، فإن الخليقة نفسها سوف تتجدد إلى ما هو أفضل" (شرح رسالة رومية مجلد ٧٤: ٨٢١).

-٢-

أُخضِعَت للبُطل Futility

العلامة اوريجينوس:

ما هو "البُطل" الذي أُخضعت اليه الخليقة. هذا يبدو لي خاصٌ بالجسد المادي المنظور، فهو مع غيره من الكائنات قد أُخضِعَ للبُطل" (شرح رسالة رومية ٤: ٥٠).

ذهبي الفم:

"يقصد الرسول أن الخليقة قد خضعت للفساد. كيف ولأي سبب؟ بسببك أنت أيها الإنسان، لأن جسدك خضع للموت وصار مائتاً وخضع للألم، ومع الإنسان أخذت الأرض اللعنة وأنتجت حسكاً وشوكاً (تك ٣: ١٨) ..

هكذا عانت الخليقة البُطل، ولكنه ليس بُطلاً غير قابل للتجديد، لأن الخليقة سوف تنال عدم الفساد مرةً ثانيةً لأجلنا نحن البشر. وهذا ما يقصده الرسول بقوله: "أُخضعت على رجاء" (عظات على رومية ١٤: ٨).

القديس كيرلس السكندري:

"لا تعرف الخليقة المنظورة المحسوسة أي شيء عن الوعد الذي أُعطى لنا لأنها لا تفهم، ولكن إذا كان من استطاعة الخليقة أن تفهم ما حدث، فإنها كانت بكل تأكيد لا تقبل الاستعباد الذي خضعت له أو أن تحفظ حتى علاقة حميمة مع الذين لا ثمار صالحة لديهم. ولكن بولس يقول إن الخليقة "أُخضِعَت على رجاء"؛ لأن القديسين المختارين سوف ينالون الخلاص، وعند ذلك سوف يرفع الله النير الذي وُضِعَ على عنق الخليقة .. لكن الآن الخليقة تئن وهي على نحو ما تتمخض وتحزن، ولو كان لدى الخليقة أي وعي بما يحدث لنا لصرخت معنا صراخاً عالياً" (شرح رسالة رومية مجلد ٧٤: ٨٢١).

-٣-

تحرُّر الخليقة

القديس جيروم:

"عندما ينال أولاد الله المجد، سوف تتحرر الخليقة من العبودية" (عظة على مزمور ٥٨ – ٤٨: ٤١٨).

-٤-

أنين وشفاعة الروح القدس

العلامة أوريجينوس:

"أحياناً لا يعرف الانسان المريض كيف يسأل الطبيب، فلا يطلب الدواء الذي يعطي له الشفاء، بل قد يسأل شيئاً يزيد من أوجاع المرض.
هكذا نحن، عندما نذوق مرارة الحياة وضعفها قد نسأل الله ونطلب أشياءً غير نافعة، لكن الروح يعين حياتنا الجسدانية، وعندما يرى الروح أن أرواحنا تصارع مع أهواء الجسد التي تثقلنا، عند ذلك يمد الروح القدس يده لكي يعين ضعفنا" (شرح رسالة رومية ٤: ١٣٦).

ذهبي الفم:

"الروح معنا دائماً لكي يعين ضعفنا، ولكن لأننا نجهل ما هو نافع لنا نطلب أحياناً ما هو غير نافع لنا، ولكن عطية الصلاة قد ينالها شخص معين في الكنيسة اختاره الله لكي يطلب ما هو نافع. وعندما يستخدم الرسول كلمة "الروح"، فهو الاسم الذي يعطيه الرسول لهذه العطية التي توهب للنفس التي

تعطى هذه النعمة لكي تتشفع عن (الكنيسة) لدى الله. ومَن يُحسب أهلاً لهذه النعمة عليه الانتباه الشديد؛ لأنه هو نفسه سيدخل الأنين الروحي عندما يقف أمام الله سائلاً ما هو نافع للكل. في أيامنا الشماس هو رمزٌ لهذه الخدمة؛ لأنه يقدم صلاةً عن الشعب" (عظات على رومية ١٤: ٩).

أوغسطينوس:

"من الواضح أن الرسول يتكلم عن الروح القدس؛ لأننا نحن لا نعرف كيف نصلي لسببين. السبب الأول هو أننا لا نعرف بشكل واضح ما هو المستقبل الذي نرجوه وما هي الأحداث التي سوف تحدث لنا في المستقبل. والسبب الثاني هو ما أكثر الأشياء التي نراها مناسبة وجيدة في هذه الحياة وأخرى نراها عكس ذلك، وعلى سبيل المثال عندما تحدث ضائقة لأحد خدام الله لكي يتعلم منها شيئاً، فإن هذه الضائقة قد تبدو للآخرين كما لو كانت بلا فائدة، بل باطلة، لأننا لا نعرف طرق الله. ولكن الله يساعدنا في الضيقات، بل أن الأيام التي نرى فيها عذوبة الحياة قد تصبح هي ذاتها مصيدة لنا؛ لأنها تصطاد النفس بالمسرات وبمحبة الحياة أكثر من الله ... هنا يئن الروح ويجعلنا نحن أنفسنا نئن مشتاقين لمحبة الروح نفسه للزمان الآتي" (شرح أوغسطينوس لرومية ناقص نشره مركز دراسات الكتاب والآباء في الولايات المتحدة، فقرة ٥٤: ٢٧).

الكنيسة، وشفاعة القديسين[1]

لا يوجع القلب إلاَّ التطرف والمغالاة وسوء القراءة وسوء التفسير. لقد قلنا أكثر من مرةٍ إن موضوع الكنيسة جسد المسيح غائب تماماً من الوعي المعاصر. لا يوجد لدينا كنيستين: واحدة على الأرض، والأخرى في السماء، بل كنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية في الأرض والسماء معاً.

الشهداء والآباء والأمهات الذين سبقونا في الإيمان، وسبقونا إلى حياة المجد، هؤلاء أيضاً أحياء في جسد المسيح الواحد، فلا موت لمن هو في المسيح يسوع "من آمن بي ولو مات فسيحيا"، وأضاف الرب: "ومن كان حياً فلن يرى الموت". لن يرَ ظلام الحياة وغياب الله لأن المسيح هو "نور العالم".

لا توجد درجات للقديسين مثل درجات الوظائف ومراتب الكبار. الكل أعضاء في الجسد الواحد. ولا يوجد شفيع – مهما كان – إلاَّ وهو في يسوع المسيح وحده. وقد صار كل قديس وشهيد شفيعاً؛ لأن يسوع هو "الرأس"، وهو "الشفيع" الذي يعطي خدمة الشفاعة لكي يشترك معه الذين في السماء تماماً كما في مثل الدرهم المفقود عندما جمعت المرأة الكل حولها، أو حسب قول الرب نفسه: "يكون فرح في السماء".

القديسة مريم والملائكة والشهداء ليسوا وسطاء ولا هم شفعاء يقفون بين الكنيسة والمؤمنين الذين على الأرض ، هذا تعليم العصر الوسيط. الكل معاً الراقدين والأحياء أعضاء في جسد واحد، والرب يسوع هو الذي يدعو القديسين للصلاة من أجل الذين على الأرض لأنه يريد جسداً واحداً حياً منتصراً ثابتاً في

---

[1] مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٣ نوفمبر ٢٠١١.

الإيمان. القديسة مريم ليست أفضل من أي مسيحي. هي أم النور، نعم. وقد عرفت الرب معرفة أعمق وأكبر من كل القديسين، ولكن الرب يسوع يحفظ الكل في وحدة واحدة، لا يوجد كبير ولا صغير في الملكوت، ولا يوجد عظيم وحقير، بل يوجد ملكوت واحد وربٌ واحد وجسد واحد ومعمودية واحدة وكنيسة واحدة. وتنوع الأعضاء إن هو إلاَّ تنوع في الموهبة وليس في درجة الشركة في يسوع. وتوزيع المواهب ليس حسب قداسة الإنسان، هذا هو تعليم الهرطقة البيلاجية، بل هو حسب اختيار الله وصلاحه.

لا يوجد لدينا قديس درجة أولى، وآخر درجة ثانية، بل إن معرفة والدة الإله بالمخلص، وهي معرفة اختبارية خاصة، لا تجعل القديسة العذراء مريم أفضل وأعظم لأنها لا تحيا بدون المسيح ولا وجود لها خارج شركة الجسد الواحد.

أخيراً: إن التطرف الذي نسمعه بأن أي إنسان لا يستطيع أن يصلي أو يقترب من المخلص والرب بدون القديسين وبدون والدة الإله، هو تطرف الجهل في استيعاب وحدة الكنيسة الجسد الواحد.

وقد قال واحد من هؤلاء: هل أنت مثل العذراء؟ والسؤال خبيث حقاً، ولكنه خبث الجهل؛ لأننا كل الذين نالوا المعمودية والمسحة، هم أبناء الله، ونعمة البنوة عامة للكل ولا توجد نعمة بنوة خاصة بقديس معين، والذين نالوا المسحة، أخذوا روح التبني (غلا ٤: ٤)، والبنوة عامة للكل. صحيح أن أم النور قالت: "تبتهج روحي بالله مخلصي"، لكن لا كاتب هذه السطور، ولا غيره حبل بالرب ولده وعاش معه ٣٣ سنة وأرضعه اللبن ووقف عند الصليب. طبعاً لم ينل أحد من الناس ما نالته والدة الإله لا سيما "وأنت يجوز في نفسك سيف"، ولكن السماء ليست درجات، والرأس الواحد يجمع الأعضاء في السماء وعلى الأرض، وفيه وحده ننال جميعنا هذه الوحدة التي لن تكمل إلاَّ في القيامة.

الشفاعة،
بين نعمة التبني، وتوسُّل العبيد[1]

"التوسُّل" بين حُمَّى الدفاع واستعمال الأسفار المقدسة

تدور في أوساطنا القبطية الأرثوذكسية أحاديثُ تقودها مصطلحاتٌ لم يتم فحصها بدقة، وهي أن لدينا ثلاثة أنواع من الشفاعة: كفارية خاصة بالرب يسوع، وتوسلية خاصة بالقديسين (ولا أدري لماذا لم يذكر المحاورون الملائكة)، وشفاعة الروح القدس التي لم تحظى بعد باسمٍ، بل لم تُبحَث أصلاً إلا في نطاق ضيق في شرح رومية لأبينا البار القمص متى المسكين.

تاريخياً -(لأن التاريخ المعاصر لم يكتب بعد)، ونحن نقصد تاريخ تدوين استعمال المصطلحات العربية في شرح عقائد المسيحية- لم يظهر التمييز بين أنواع الشفاعة إلا في العصر الحديث، وهو عصرٌ بدأ في العشرينات من القرن الماضي، ونال دفعةً في الأربعينات بواسطة الأستاذ حبيب جرجس. وجاء بعده الرجل العظيم د. وهيب عطا الله (نيافة الأنبا غريغوريوس)، وكانت بؤرة الاهتمام هي الدفاع عن إيمان وطقوس وتاريخ أُم الشهداء. ونشهد أن كلَّ مَن كتب ونشر، إنما كان يكتب بكل أمانة وإخلاص حسبما يعرف.

الدفاع له حمى ذات حرارة عالية تجعل المدافع يحشد كل ما لديه من معرفة، دون أن يلتفت إلى نقاط الضعف في دفاعه. وهنا لا يستطيع المنطق ولا التاريخ أن يسيطر على فكر المدافع، لأننا درجنا في شرقنا العربي على الخلط بين التاريخ والعقائد والشخص. ولأن الدين هو أساس معظم العلاقات الاجتماعية؛ لذلك اختلط التدين والإيمان بنظرة الشخص إلى ذاته، وتحوَّل الإيمان إلى هوية شخصية

---

(1) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٢ مايو ٢٠١٧.

وانتماء شخصي. وإن كان هذا ليس عيباً أو شراً، ولكنه أحياناً يتحول إلى أصولية وعصبية وشتائم، حينما يعجز العقل عن الرد على السؤال؛ لذا يجب أن نكون على حذر في الدفاع عما نعتقد في صحته.

إعادة تقييم استخدام كلمة "التوسُّل"

لعل هذه السطور تساعد القراء على إعادة تقييم استعمال كلمة "التوسل"؛ لأن مراجعة الأسفار المقدسة لم تستخدم هذه الكلمة في أي مجال عن الصلاة، بل وردت حسب الترجمة العربية ثلاث مرات وهي (أر ٢٧: ١٨ — أش ٧: ٧ — رو ١١: ٢). التوسُّل هو لغة العبيد ولغة الأسرى، وهو حديثُ توسُّل مَن "أُمسِكَ في ذات الفعل"، الذي يرى أن السيد أو الأب أو الله قاسي القلب لا يرحم. وهي لذلك لغةُ مستعارة مما يحدث على المستوى الاجتماعي، بينما يخاطبنا الرسول بولس: "كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله" (رو ٨: ١٤). ولم يقف الرسول عند هذه الحقيقية، بل أضاف معلناً قلب الإيمان المسيحي: "إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل **أخذتم روح التبني** الذي به نصرخ يا أبَّا الآب" (رو ٨: ١٥). ثم عاد وأكَّد: "الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله" (رو ٨: ١٦)، ثم "فإننا ورثة الله ووارثون مع المسيح .." (رو ٨: ١٧). وحتى نقطع الطريق على المدافعين يجب أن نقرأ بدقة استعمال العهد الجديد لكلمة "عبد".

* أطلق بولس على نفسه اسم "عبدٌ ليسوع المسيح" (رو ١: ١)؛ لأن بولس عاش في زمان كان البشر يباعون فيه في سوق العبيد، وكان العبد بلا حرية وبلا حقوق، ولذلك كان بولس يرى نفسه كعبد في المجتمع الروماني؛ لأن حياته كلها هي للمسيح في نداء لم نسمع مثله في تاريخ الكنيسة (فيلبي ٣: ٧-١٠). ولا زالت تلك الصرخة القوية: "لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح" (فيلبي ١: ٢١)، تُسمَع في كل زمان ومكان، على الرغم من إنكار البعض لدينا أن حياة المسيح تسري فينا وفي كياننا.

هو عبدٌ؛ لأن المسيح يتعظم في جسده "سواء كان بحياةٍ أم بموت" (فيلبي ١: ٢١)، وهو يفتخر بأنه صار عبداً ليسوع مع تيموثاوس (في ١: ١).

* لكن تلك العبودية ليست عبودية العبد المقيَّد، ولذلك تحتاج الترجمة العربية إلى تصحيح؛ لأن الله الذي "أعبده بروحي" (رو ١: ٩) هي حسب الأصل اليوناني Λατρευω أي "أخدمه" وليست أعبده، ولذلك ليس لدينا "عبادة"، بل "خدمة" كما في (رو ١٢: ١) لأن "العبادة العقلية" حسب ترجمة العبيد الذين لهم وافر الشكر على الترجمة والنشر، في الأصل اليوناني هي Λογικην Λατρειαν الخدمة العقلية.

* فالرب يسوع نفسه يقول لنا، كما قال للآباء الرسل: "أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيتكم به. لا أعود أسميكم عبيداً لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده. لكني قد سميتكم أحباء لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي" (يوحنا ١٥: ١٤-١٥). ولذلك السبب عينه أخذنا "روح التبني" (غلا ٤: ٤-٦).

أما الاستخدامات الأخرى لكلمة "عبد وعبادة"، فهي لا تخضع فقط إلى العودة إلى الأصل اللغوي اليوناني، بل إلى هبات الله الآب في العهد الجديد. ولعلنا يجب أن نبدأ من ذلك النشيد القديم: "الذي كان في صورة الله لم يحسب مساواته لله اختلاساً بل أخذ صورة عبد" (فيلبي ٢: ٦).

وعندما عاش وصُلِب من اتخذ صورة العبد؛ رُفِعَ إلى ذات مجد الآب، لذلك "تجثو له كل ركبة مما في السماء ومما على الأرض .. ويعترف كل لسان أن يسوع هو الرب لمجد الله الآب" (فيلبي ٢: ١٠-١١). وهو ذات المجد الذي يُوهب لنا في المسيح، وطُلِبَ علانيةً من الآب بفم الابن: "أنا أعطيتهم المجد الذي أعطيتني" (يوحنا ١٧: ٢٢)، وهو ذات المجد الأزلي "الذي كان لي عندك قبل كون العالم" (١٧: ٥).

جوانب مفتَقَدة في فهم العبودية حسب العهد الجديد:

١- تجاهل الأصل التاريخي والثقافي السائد في زمان الرب وفي زمان الرسول بولس، حيث كان العبد يُباع ويُشترى، وهو ما جعل بولس يرى نفسه عبداً اشتراه الرب من عبودية الشريعة (عب ٢: ١٥). لاحظ أن الرسول بولس يقول: "حسب مذهب عبادتنا الضيق جداً أو الأضيق عشت فريسياً" (أع ٢١: ٥).

٢- العبودية للآلهة الوثنية (١كو ١٠: ١٤ – غلا ٥: ٢٠ –كولو ٣: ٥).

٣- العبودية للخطية والشر حسب قول الرب نفسه: "مَن يعمل خطية فهو عبدٌ للخطية" (يوحنا ٨: ٣٤).

٤- الفرق بين كلام الرب قبل أن يتمجد عندما كان لا زال في صورة العبد (فيلبي ٢: ٦)، وإعلانه أنه بالصعود، سوف يدخل إلى مجده (لو ٢٤: ٢٦).

أخيراً: تأثير الثقافة السائدة التي لا تعرف الصلاة الربانية: "يا أبانا الذي في السموات .."؛ لأن هذه ليست كلمات عبيد، بل كلمات أبناء.

عودة إلى كلمة "التوسُّل"، وماذا جدَّد المسيح؟

لعل اجتثاث الحشائش الطويلة التي كانت تخفي مكانة الإنسان في المسيح يسوع، يكشف عن ذلك الإنسان الذي يجد حياةً إنسانيةً لإنسانٍ مُتَّحدٍ بجوهر الآب والروح؛ لأنه الإله الأقنوم الحي إلى الأبد.

فنحن لم نعد عبيداً؛ لأننا نلنا في المسيح أن نكون جسده الذي ننضم إليه في أسرار الإنضمام إلى الكنيسة جسده الحي (١كو ١٢: ١١-١٢). وهو، وقد داس على العبودية، ورُفِعَ إلى يمين العظمة في الأعالي، ودخل قدس الأقداس الحقيقي (وهو الموضوع الذي شغل صفحات من الرسالة إلى العبرانيين – راجع أيضاً صلاة قسمة سبت الفرح: يا يسوع ذو الاسم المخلِّص)، فإننا أمام حقيقة ثابتة، لسنا نحن مصدرها، ولم نصل نحن إليها بقدراتنا، بل هي هبةٌ لا يمكن أن

نرفضها باسم التواضع؛ لأن هذا الرفض يعني إنكارٌ صريحٌ للنعمة ورفضٌ حقيقيٌّ باسم تقوى مزيَّفةٍ تهدف إلى التمسك بما هو سائد في الثقافة المعاصرة.

لماذا غاب التوسُّل في صلوات الكنيسة الجامعة؟

وصلتنا الآن كل صلوات القرون الأولى، ونُشرت في ثلاثة مجلدات باللغة الإنجليزية بعنوان:

Worship in the Early Church by Lawrence J. Johnson.

والأصول القديمة: القبطية واليونانية والسريانية، موجودةٌ أيضاً، ولا حُجة لمن لا يدرس. لكن نلاحظ أن لغة العبيد غابت عن هذه الصلوات، ونحن نعزو ذلك لثلاثة أسباب رئيسية:

أولاً: عطية التبني التي أشرنا إليها، وتصريح الرب نفسه بأننا لسنا عبيداً بل أحباء الرب، والمحبة لا تعرف العبودية، بل لا تعرف التوسُّل. وحتى في أقدم صلواتنا، وهي المزامير، وحسب الأصل العبراني، لم يكن هناك توسُّلٌ، بل ابتهالٌ وصراخٌ في الضيق مثل: "اقض لي يا الله وخاصم مخاصمتي مع أمة غير راحمة .." (٤٣: ١). لم يكن هناك توسُّلٌ، بل كان التسبيح بخلاص الله، بل لاحظ الثقة المطلقة في مراحم الله: "استيقظ. لماذا تتغافى يا رب. انتبه لا ترفض إلى الأبد. لماذا تحجب وجهك وتنسى مذلتنا .. قم عوناً لنا وافدنا من أجل رحمتك" (٤٣: ٢٣ – ٢٦). أو "اسمع يا شعبي فأتكلم. يا إسرائيل فأشهد عليك" (٥٠: ٧).

أمَّا عندما كان الارتداد إلى عبادة البعل أو الهزيمة في الحروب، كان لبس الملابس القديمة الممزقة ووضع الرماد على الرأس وما إليها، هي أصلاً من طقوس الجنازات والنوح، ولم تكن تذلُّلاً أمام الله لأن الله أراد ذلك، وإنما هو تذلُّلُ مَن شَعَرَ بالخسارة الفادحة، ونرى ذلك في المراثي بشكلٍ خاص. وأياً كان الأمر، فإن صلوات العهد الأول العتيق الذي شاخ وهو في طريقه إلى الزوال (عب ٨: ١٣)، لا تخصُّنا نحن الذين دخلنا "العهد الجديد وعلى خدمةٍ أفضل" (عب ٨: ٦)، قال عنه الرسول حرفياً: "عهدٌ أعظم قد تثبَّت على مواعيد أفضل" (عب ٨: ٦).

ثانياً: نحن جسد المسيح، ونصلي للآب في الابن بالروح القدس، وهو وضعٌ خاصٌّ، تميَّز عن العهد القديم؛ لأن رأس الجسد ليس هو هارون، أو أيٍّ من بني لاوي، بل هو الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح، الذي صار وسيط العهد الجديد (عب ٩: ١٥)، وهو ليس في أقداسٍ مصنوعةٍ بواسطة البشر، "بل السماء ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا" (عب ٩: ١٥)، ولأننا فيه صرنا مقدَّسين بتقديم جسده (عب ١٠: ١٠)، فهو الآن بعد أن أكمل التدبير، جلس إلى الأبد عن يمين الله وبقربانٍ واحدٍ قد **أكمل إلى الأبد** الذين تقدَّسوا" (عب ١٠: ١١).

إن كهنوت ربنا يسوع المسيح هو الموضوع الغائب من الكتابات القبطية المعاصرة، ومن فهمنا نحن لخدمة الكهنوت. هذا الغياب حجب عنا حقيقة خدمة المسيح ربنا لنا نحن الذين نلنا فيه "التبني". وبالتالي فلا مجال للتوسل، ولا يمكن أن يتوسل الابن له المجد، بل هو الذي قال: "ومهما سألتم باسمي، فذلك أفعله لكي يتمجد الآب بالابن. إن سألتم شيئاً باسمي فإني أفعله" (يوحنا ١٤: ١٣-١٤).

ثالثاً: وحتى في ذِكر شفاعة أُم النور والقديسين، فأننا نطلب ولا نتوسل؛ لأننا جسدٌ واحدٌ مع هؤلاء. ولكن، بعد أن قُسِّمت الكنيسة إلى كنيسة مجاهدة وأخرى منتصرة، وتم الفصل بين الاثنين، وزاد الطينَ بلةٍ، الحديثُ الغبي عن ثلاثة أجساد: التجسد — الإفخارستيا — الكنيسة، وتم تمزيق الجسد الواحد يسوع الذي يجمع الكل في كيانه الواحد؛ صار من السهل الحديث عن التوسُّل، بل فُصِلَت صلوات القديسين الأحياء والراقدين عن عمل المسيح الكهنوتي، وهو عكس ما تعلمنا إياه صلوات الليتورجية: "شعبك وبيعتك يطلبون إليك (الرب) وبك (الشفيع والرأس) إلى الآب معك قائلين: ارحمنا يا الله .." (القداس الغريغوري).

ولا يجب أن يغيب عنا أن الشفاعةُ في اللغة وفي العهد القديم هي وساطة بين طرفين، وهي تطوُّعُ شخصٍ بأن يتوسط لدى آخر؛ لأن لديه مكانةً وحظوةً ومقبولٌ لكي يحل مشكلةً. كان رئيس الكهنة في العهد الأول وسيطاً بين شعب إسرائيل ويهوه، وكان يدخل قدس الأقداس مرةً واحدةً في السنة بدم ذبيحة يوم

الكفارة. وكانت عبارة الأنبياء، وهم أصلاً ليسوا كهنةً من سبط لاوي: "حيٌّ هو الرب الذي أنا واقفٌ أمامه اليوم"، تعني أنه الوسيط في إعلان إرادة الله، أو الكشف عن الأخبار المستقبلية، وتحذيرُ الشعب عما سيحل به من مصائب، ونرى ذلك بشكل واضح في الأسفار التاريخية: صموئيل – ملوك.

لكن الوضع اختلف تماماً بالتجسد. فقد جاء من وحَّد الله والإنسانية في كيانٍ واحدٍ؛ لأنه جاء من عند الآب، وصار "يهوه" هو الآب. وغياب اسم "يهوه" من أسفار العهد الجديد هو غيابٌ مقصود؛ لأن "يهوه" الكائن، صار مستعلَناً كآب كائن يعلن الأبوة في الابن، وأن هذا الاستعلان لم يكن قولاً فقط، بل ملموساً في مجيء الابن متجسداً من العذراء بالروح القدس، فدخل روح الآب منذ لحظة الحبل بالرب في رحم أُم النور شريكاً في استعلان الابن كآدم الثاني المولود أزلياً من الآب حسب الجوهر، وزمانياً من القديسة مريم حسب التدبير.

ما هو الجديد؟

١- لم يعد هناك عوائق يمكن للإنسان أن يصنعها تمنع شركة الإنسان في الحياة الإلهية. فقد وحَّد الابنُ الألوهةَ والإنسانية في وحدةٍ لا تقبل الانفصال، ولا يمكن أن تنقسم، وهو الإيمان الذي كان محور الصراع الذي شهدته الكنيسة الجامعة في محنة النسطورية.

٢- ولم ينفصل الابن عن الآب بسبب التجسد، وهو ما شدد عليه الرب نفسه "أنا في الآب والآب فيَّ" (يوحنا ١٤: ١٠). ولذلك، كل مَن يدَّعي أن الابن قدَّم ثمناً للآب عن خطايا البشر، فليعلم أنه يدخل من الباب الخلفي للأريوسية، دون أن يشعر؛ لأن أعمال التدبير لا تسمح بانفصال الآب عن الابن لأن جوهر الألوهة واحد.

٣- وفي ضوء ما ذكرناه الآن، جاء الربُّ إلينا لكي يبيد الدينونة ويُبطِل الموت. عند هذا تفترق الطرق:

الطريق الرسولي الآبائي: وهو استمرارية عمل المسيح في كل إنسان. فقد كان التجسد والصلب والقيامة والصعود بدايةً تامةً كاملةً. والبداية لا تُعاد ولا تتكرر؛ لأن البدءَ هنا هو إعادةُ تكوين وتجديد الإنسان ورَدَّه إلى "الصورة الأولى" التي تظهر في صلوات وتسابيح الكنيسة الأرثوذكسية. فهو عملٌ دائمٌ مستمر، ويجب أن يكون لدينا الوعي الأرثوذكسي بأن أول ناسوت تجدَّد وتم فداءه، هو ناسوت الرب نفسه حسب شرح معلمنا أثناسيوس الرسولي: "الكلمة لا ينتمي إلى المخلوقات .. فقد لبس الجسد البشري المخلوق لكي يجدده كخالق" (ضد الأريوسيين ٢: ٧٠). وقد "لبس الجسد المخلوق بمشيئة الآب لكي يُحيي بدم نفسه هذا الجسد الذي أماته الإنسان الأول" (ضد الأريوسيين ٢: ٦٥). وهذه هي شفاعة المسيح، أي توسُّطه لكي يجدد كل من يأتي إليه في المعمودية ويمسحه الرب بالميرون، ويقدم له الرب جسده ودمه، وهو ما تؤكده الليتورجيات. وإنه وإن كان لاهوت العصر الوسيط جاء ليقول إن الأسرار يتممها الكاهن بسلطان الروح القدس، لكننا رأينا تحول سلطان الروح القدس إلى سلطان الإكليروس تدريجياً.

طريق حركة الإصلاح الذي سلكه بعض الإكليروس: وهو اعتبار أن كل شيء تم وانتهى يوم الجمعة الكبيرة، وأن المعمودية والعشاء الرباني تذكار لما حدث.

واضحٌ تماماً أن هذين الطريقين لا يلتقيان أبداً.

شفاعة الرب هي ذات شفاعة الروح القدس:

في الرسالة إلى رومية وضع الرسول بولس أمامنا التعليم عن تجديد الخليقة التي أُخضعت للبطل (رو ٨: ٢٠)، ثمَّ تطرق إلى التعليم عن انعتاق الخليقة من عبودية الفساد (٨: ٢١)، ثم تكلم عن مخاض وأنين الخليقة، فلما جاء دور الإنسان، إذ به يكتب: "بل نحن أيضاً الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا" (رو ٨: ٢٢). ولذلك، ونحن في الانتظار، نحتاج

إلى الصبر (٨: ٢٦). وهنا تبرز شفاعة الروح القدس، فهو الذي يقدم لنا الرب، ويجعل الالتصاق بالرب هو غاية الحياة معه وفيه: "كذلك الروح يعين ضعفاتنا لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما يجب ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنَّاتٍ لا يُنطق بها" (٨: ٢٦)، فالروح يعلمنا ما يجب أن نصلي لأجله ونطلبه، ونحن في أغلب الأحوال لا نفهم، لذلك: "يئنُّ الروح". ويقول الرسول: "ولكن الذي يفحص القلوب (الله) يعلم ما هو اهتمام الروح (تجديد واستنارة الإنسان) لأنه بحسب مشيئة الله (الآب) يشفع في القديسين (٨: ١٧).

شفاعة القديسين لا يمكن فصلها عن شفاعة الرب، أو شفاعة الروح القدس:

التقسيم الثلاثي إلى شفاعةٍ كفَّارية، وشفاعة توسلية، وشفاعة الروح القدس، تقسيمٌ ساد في عصر التخلف. وهو ذلك العصر الرهيب الذي أطبق بكل أسنانه على فريسة اسمها أم الشهداء. هو ذاته العصر الذي تم فيه تقسيم الكنيسة إلى مجاهِدة على الأرض، وأخرى منتصرة في السماء، رغم الاعتراف في قانون الإيمان بأننا نؤمن بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية!!

فما هي صلة جماعة القديسين سواء على الأرض أم في السماء بشفاعة المسيح؟

هؤلاء هم سحابة الشهود (عب ١٢: ١). وقد ذكر الرسول أغلب أبطال العهد القديم المشهود لهم بالإيمان في (ص ١١)، وختم الرسول بأن هؤلاء لم ينالوا الموعد، وهنا تأتي حياة الكنيسة الواحدة: "إذ سبق الله فنظر لنا شيئاً أفضل لكي لا يكمَّلوا بدوننا" (عب ١١: ٤٠). هؤلاء يقفون أمام عرش النعمة يصلُّون لأجلنا لكي ننال مواعيد الله: الغفران — الحياة الجديدة الأبدية.

أذكر أنني أثناء إعداد رسالة الدكتوراة في جامعة كامبريدج أن سألني الأستاذ المشرف على البحث عن معنى عبارة: "بشفاعة والدة الإله القديسة مريم يا رب أنعم لنا بمغفرة خطايانا"، فقلت له: يجب أن نذكر بقية اللحن: "نسجد لك أيها

المسيح مع أبيك الصالح والروح القدس لأنك قمت وخلَّصتنا". فطلب غفران الخطايا بشفاعة أُم النور، هو طلبٌ في منتهى الجرأة أن نكون أنقياء وأطهاراً مثلها لأننا في حضرة الثالوث القدوس مقدِّس أُم النور نفسها، ولذلك نسجد للمسيح مع الآب ومع الروح القدس؛ لأنه قام. وفي غير يوم الأحد نقول: "لأنك أتيت وخلصتنا". فالخلاص هو منحة الرب لنا. ونوال شركتنا مع القديسين، وتطهيرنا، هو ما نطلبه من الثالوث بشفاعة أُم النور، وهو أحد جوانب غفران الخطايا، وذلك على خلاف لاهوت حركة الإصلاح الذي حصر الغفران في أنه رفعُ عقوبة الموت، ولكننا في الشرق نرى الغفران: حل رباطات الخطايا — الاستنارة — التجديد — العودة إلى شركة الجسد الواحد الكنيسة.

إن شفاعة القديسين هي طلبات تُقدَّم باسم أو في شخص ربنا يسوع المسيح. وهو ما يعبر عنه في منتهى الوضوح لحن الهيتنيات الذي يسبق قراءة البولس، حيث يُختتم طلب الشفاعة بعبارة: "يا رب انعم لنا بغفران خطايانا"، وهي طلبة توحِّدنا بما تطلبه "سحابة الشهود"، وهذا هو ما كان يعنيه الأب فليمون المقاري بعبارة: "بلاش تقولوا يا عدرا"[1]، وذلك تحسُّباً للشعور بأن شركتنا في الثالوث يمكن أن تعاني الانفصال، وهو ضد التعليم الرسولي في (رو ٨: ٣٧ – ٣٩): "لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة أو مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي لنا في المسيح يسوع ربنا".

يا أُم الشهداء كم من دخيلٍ أساء إليك، لَبِسَ عمامةَ أسقفٍ أو قسٍّ، وصار يعلِّم بما هو غريبٍ عن نسيج الحياة الذي نسجه الرب نفسه، وسُلِّم إلينا، والذي تشهد له صلواتنا الليتورجية، والتي نرجو ألا تعبث بها أيدي الصبية الذين لا

(١) راجع: رسائل أبونا فليمون المقاري، تقديم ودراسة د. جورج حبيب بباوي، القاهرة، ٢٠١٥، ص ٥٨ — ٥٩. وعلى مَن هاجم هذا الكتاب، وهاجم أبونا فليمون بسبب هذه العبارة أن يراجع الرسالة الثانية والعشرين حيث يشرح فيها تسليم الشيوخ عن الهيتنيات، ويقول بكل وضوح: "نحن نبدأ بوالدة الإله ... ونحن نطلب شفاعتها كأم لنا، وهي وإن كانت قد فارقت العالم الفاني، إلا أنها عضو حي في جسد الرب".

يعرفون إلا ما وصل إلينا من العصر الوسيط، ومؤلفات الكاثوليك والإنجيليين.

الشفاعةُ في كنيستنا هي شفاعةٌ واحدة، يُشرِك فيها الرب معه، الروح القدس، وقديسي الكنيسة لكي يبنى جسده المقدس.

"سلاماً وبنياناً لكنيسة الله الواحدة الوحيدة ...".

شرحٌ للتسليم الكنسي

تغطية يدي الكاهن أثناء الصلاة

تغطية يدي الكاهن أثناء الصلاة بعد أن يرفع الابروسفارين، ليس كما ساد في زماننا عن أن هذه التغطية هي عري آدم، فلا علاقة بين عري آدم وخدمة السر، وإنما لأن اليدين اللتين تخدمان السر هما يدي المسيح رب المجد رئيس الكهنة، وليس يدي خديم السر. هكذا يقول ذهبي الفم نفسه: إن الكاهن الخديم يقدم يديه وفمه للرب أثناء الليتورجية.

نداءُ الشماس واستعادة الشركة:

حسب الأصل اليوناني هي ما قُدِّمَ حسب التسليم لأن **тропоꙟ** تعني ما هو ثابت ومعروف وحسب الحدود. وهنا نحن نقدم ذواتنا لمن قدَّم ذاته، ونقف برعدةٍ؛ لأننا سندخل الخدمة السماوية التي يخدمها الثالوث بالابن في الروح القدس؛ لأننا في اعترافنا بالمسيح الرب قد استدرنا من الغرب إلى الشرق، عندما قبلنا الرب يسوع في المعمودية: "إلي الشرق انظروا"، وهو النظر أو الفهم حسب الاعتراف، وهو ما يؤكده مرد الشعب:

- رحمة السلام الذي وُهِبَ في المصالحة
- وحياتنا التي صارت ذبيحة التسبيح للرب.

لذلك يرشم الخديم الشعب بعلامة الصليب؛ لأن المذبوح لأجلنا هو معنا يقبل ذبيحة حياتنا، كما يقبل ذبيحة حياة الخديم، فهو معنا "ومع روحك أيضًا".

ويطلب الخديم وحدانية الذين يخدمون معه في الصلاة:

"أين هي قلوبكم .. هي عند الذبيح الرب يسوع".

عند ذلك، "فلنشكر الرب"؛ لأنه وحَّدنا به وبذبيحة حياته.

"مستحقٌ" وردت في سفر الرؤيا في تسبيح السمائيين (رؤ ٥: ٩). والاستحقاق هنا ليس مكافأةً ولا هو هبة، بل هو الانجاز العظيم الذي تم بتحرير الخليقة من فساد الموت، وسيطرة دينونة الموت، وفيض المغفرة.

ورغم ما أصاب كلمة "عادل" من تشويه، إلا أنها بعد كلمة "الإنجاز العظيم"، تصبح ردَّ ما سقط، وإعادة المائل إلى وضعه الصحيح؛ لأن العدل هو العدل الشافي الذي لا يعرفه البشر.

حقًا "مستحقٌ الرب"؛ لأنه خلَّصنا وأتى بنا إلى خدمة الخلاص.

إن عظمة التدبير تستعلن في أن العظيم خالق السموات والأرض، هو الآب "أبو ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح"، حيث لا يوجد فصل بين الخلق والخلاص. وأن مخلصنا يسوع المسيح هو الخالق مع الآب؛ لأن قدرة المخلص هي ذات قدرته كخالق لنا.

وعندما نقف في معية القوات السموات مرة ثانية "إلي الشرق انظروا"، فهذا نداءٌ يسبق شركتنا مع الشاروبيم والسارافيم. فقد فُتِحَ الفردوس، وتمَّت المصالحة مع الكاروبيم المتقلد السيف الناري الذي كان يمنعنا من الأكل من شجرة الحياة، ولذلك نحن نسمع ذلك التسبيح، ومعهم نرتِّل: "قدوس. قدوس. قدوس ...".

إن قوة التدبير تستعلن في أن العظيم هو الذي يأتي لكي يخدمنا، فالعظمة والقوة هي في تدبير الخلاص.

لم تتركنا عنك أبدًا (إلى الانقضاء):

عندما افترق التعليم السائد عن التسليم الكنسي المودع في الليتورجيا، تسللت أفكارٌ كثيرة خاطئة، ودخلنا في تعليم نظري أبعد الإيمان عن الممارسة.

والمثال اللافت على ذلك هو أنه لا يوجد في التسليم الكنسي المدوَّن في الليتورجيات الأرثوذكسية أية إشارة إلى انفصال الله عن الكون والإنسان بعد السقوط، وإنما الثابت هو أنه حتى بعد أن "سقطنا من الحياة الأبدية .. لم تتركنا عنك أيضًا ϣⲁ ⲉⲃⲟⲗ إلى النهاية، أو أبدًا، أو إلى الانقضاء". والدليل الباهر على ذلك هو مجيء الأنبياء. وبالرغم من أن الإنسانية لم تكن قد تابت عن خطاياها، ولكن "في آخر الدهور أو الأيام" ظَهَرَ، أي استُعلِن المخلِّص، رغم فساد الانسانية، أو حسب شرح الرسولي العظيم: "كان تجسده هو رد فعله على سقوطنا" (تجسد الكلمة).

والعبارة كافية: "ظهرَت لنا نحن الجلوس في الظلمة وظلال الموت". فنحن لم نطلب هذا الظهور، ولكن تطوع ربُّ المجد بالمجيء إلينا متجسدًا من البتول.

تجسد وصار إنسانًا مثلنا في كل شيء ما خلا الخطية وحدها:

بشارةُ الخلاص، يعبِّر عنها تقديم البخور في الشورية. فدورات البخور في باكر وعشية ليست طقسًا غريبًا مبهمًا لا معنى له، بل حَفِظَ لنا الطقس قبولنا للتجسد في تجسيد الإيمان في اتحاد النار بالفحم، وهو التشبيه الذي ورد عند أسد الإسكندرية كيرلس الأول – ختم الآباء، كما يوصف في عدة مصادر تاريخية، بما فيها المصادر البيزنطية.

فالكنيسة تقبل وتعيش الاتحاد الأقنومي المستعلَن في عدم الفساد الذي يعبِّر عنه البخور، وهنا تجسيد للاعتراف الحقيقي؛ لأننا عندما نقدِّم شيئًا، فإن الإرادة والإدراك والعقل والقلب يكون منشغلًا بما نقدم، لا سيما إذا كان ما نقدمه هو اعترافنا بتجسد الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح.

أسلم ذاته فداءً عنا إلى الموت:

لو راجع الذين يصرخون بتعليمٍ عن الكفارة والفداء، لو راجعوا عبارة القداس، لوجدوا أنها ضد تعليم العصر الوسيط.

أولًا: لأن الرب "أحب خاصته الذين في العالم". هذا عمل محبة، وليس ضرورة فرضها العدل الإلهي حسب تُرَّهات العصر الوسيط الذي يدافع عنها بكل شراسة كل من المطران وأستاذه المتنيح.

ثانيًا: "أسلم ذاته فداء عنا إلى الموت"، وهنا لا يوجد أي أثر حتى لفكرة الموت النيابي أو الموت النيابي العقابي؛ لأن الرب هو الذي أسلم ذاته ⲁϥⲧⲏⲓϥ ⲙ̀ⲙⲟϥ ⲙ̀ⲙⲟⲩ ⲙⲙⲟⲩ إلى الموت؛ لكي يهدم الموت، وهو ما سبق واعترفنا به في صلاة الصلح: "والموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس هدمته بالظهور المحيي الذي لأبنك الوحيد ...".

ثالثًا: كان الموت يملك علينا، وكنا نحن مثل عبيدٍ مربوطين به، أو حسب ترجمة أولاد العسال: "ممسكين به مباعين من قبل أو بواسطة خطايانا". هذه هي سيادة الموت، وحكم الموت، ومُلك الموت علينا كما شرحها رسول الرب في (رو ٥: ١٢-٢١)، ولاحظ: "ملكت الخطية بالموت أو في الموت".

رابعًا: وهو خاتمة اطلاق سراح العبيد: "نزل إلى الجحيم"؛ لكي يطلق سراح الأسرى، وبعدها مباشرةً "قام من الأموات".

إن خطورة التعليم بدفع الديون تبدو في أن القائلين بهذا التعليم والمدافعين عنه لم يدركوا أنهم جرَّدوا الآب والابن والروح القدس من الصلاح والجود والرحمة، وجعلوه أسيرًا لحكم العدل بلا إرادة حُرةٍ، وصار مثل أي مخلوق خاضعٍ لحكم العدل.

المدلول المسيحي لكلمة "دين"

الادعاء بأن الديانات الثلاثة تجليات لحقيقة واحدة، هو ادعاءٌ عام يخلو من الدقة التاريخية. وقد انفرد د. زيدان مثل غيره بالكتابة في موضوعات لم يتخصص فيها وليس لديه شهادة جامعية تؤكد إلمامه بأسلوب البحث التاريخي الخاص بتاريخ المسيحية.

من الألفاظ العامة الموروثة عندنا كلمة "دين"، وهي الاسم العام الذي عرفناه من القرآن ومن الأدبيات الإسلامية. لم ترد كلمة "دين" في العبرانية الخاصة بالعهد القديم، ولا في اليونانية الخاصة بالعهد الجديد. وعندما تظهر كلمة "دين" في الترجمة العربية للعهد الجديد، فمن الواضح أن الترجمة العربية تأثرت بالثقافة العربية السائدة، وهذا في حد ذاته ليس عيباً ولا نقصاً، ولكن علينا أن نؤكد المعنى المسيحي الذي يجب أن يشرح المعنى السائد للكلمة. هذه هي نفس مشكلتنا مع كلمة "عبادة"، فهي ليست معروفة في العهد الجديد اليوناني أو القبطي ودخلت مع التعريب، ولا بأس من استخدام هذه الكلمات القرآنية مع مراجعة معانيها في إطار العلاقة الإنسانية الإلهية التي جاء بها المسيح يسوع، والتي أسسها هو على حياته الشخصية، وليس على كلمات أو تعليم ينقل بالكلام وحده، بل ينقل بالكلام وبالحياة التي يعرفها الروح القدس نفسه للمؤمنين.

التعريب السائد في المراجع العربية

كلمة عربية لا وجود لها في اليونانية أو القبطية وأصلها العربي "الديْن" كما نقول "دنت الرجل" أي أقرضته، فهو "مدين" ومديون.

ودانَ فلان يَدينُ دَيْناً: استقرض وصار عليه دَيْنٌ، فهو دائِنٌ.

ودانَهُ ديناً، أي أذلَّه واستعبده. يقال: دِنْتُهُ فدانَ.

دانه ديناً أي حازاه.

المدين: هو العبد، وعندما يقال: دَيَّنْتُهُ: مَلَّكْتُهُ.

الأصل هو الدال – الياء – النون، ولذلك حسب الصحاح في اللغة تعني الانقياد والذل. فالدين الطاعة. يقال دان له يدين ديناً. إذ اصحب وانقاد وطاع.

ويؤكد ذات المعنى لسان العرب والقاموس المحيط.

الكلمة اليونانية في رسالة القديس يعقوب ١: ٢٦ – ٢٧

أولاً: كلمة دين θρησκος ومنها جاءت كلمة ديانة θρησκεια وردت الكلمة في الأصل اليوناني في أعمال ٢٦: ٥[١] ويجب عدم الالتفات إلى الترجمة العربية – كما وردت في كولوسي ٢: ١٨[٢] وتُرجمت إلى عبادة الملائكة، وهي ترجمة لا تؤدي إلى المعنى الدقيق؛ لأن هذه العبارة مبنية على الخوف، بينما الإيمان في المسيحية الأرثوذكسية مبنيٌ أولاً: على دعوة الله للإنسان في يسوع المسيح لكي يكون ابناً وليس عبداً تحت سلطان الخوف. وثانياً: الإيمان هو سكنى المسيح يسوع فينا "المسيح فيكم رجاء المجد" (كولوسي ١: ٢٨)؛ لأن المسيح "يحل فينا بالإيمان" (أف ٣: ١٧) وثالثاً: الإيمان هو شركة "لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته لكي أصل إلى قيامة الاموات" (فيلبي ٣: ١٠ – ١١).

وعلى هذا الأساس، نحن لسنا تحت دين وليس لنا ديون، ولكن إذا عدنا إلى الكلمة اليونانية في معناها الصحيح بعيداً عن الترجمة العربية، فهي تعني ترتيب الحياة حسب دعوة الله في يسوع المسيح، أي التشبُّه بالمسيح الذي يقود إلى الطهارة، أي التقديس.

وقد حرص المترجم القبطي على ترجمة الكلمة اليونانية في كولوسي ٢: ١٨ إلى ⲟⲩϣⲉⲙϣⲓ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲓⲁⲅⲅⲉⲗⲟⲥ خدمة الملائكة وليس "عبادة".

---

(١) "عَالِمِينَ بِي مِنَ الأَوَّلِ، إِنْ أَرَادُوا أَنْ يَشْهَدُوا، أَنِّي حَسَبَ مَذْهَبِ عِبَادَتِنَا الأَضْيَقِ عِشْتُ فَرِّيسِيًّا".

(٢) "لاَ يُخَسِّرْكُمْ أَحَدٌ الْجِعَالَةَ، رَاغِبًا فِي التَّوَاضُعِ وَعِبَادَةِ الْمَلاَئِكَةِ، مُتَدَاخِلاً فِي مَا لَمْ يَنْظُرْهُ، مُنْتَفِخًا بَاطِلاً مِنْ قِبَلِ ذِهْنِهِ الْجَسَدِيِّ".

وحرص المترجم القبطي أيضاً وعن فهم دقيق للأصل اليوناني لكلمات القديس يعقوب الرسول على أن يترجم كلمة "دين" إلى خدمة ⲟⲩⲣⲉϥϣⲉⲙϣⲓ ⲡⲉ أي من يظن أنه يخدم ولكن الخدمة النقية ⲡⲓϣⲉⲙϣⲓ عند الله الآب هي ... الخ.

تُرى متى سنقرأ العهد الجديد بألفاظ مسيحية بعيدة عن روح القهر والاستبداد والذل والديون والخوف؟ .. لا أمل إلاَّ في عودتنا إلى الترجمة القبطية، وهو أمل يجب أن يتولاه العلمانيون وحدهم مع عدم انتظار أي تشجيع أو معونة من أحد آخر.

الخلط بين الممارسات والعقائد، ضربة شيطانية[1]

عندما تسود الكراهية، تتحول أبسط الأمور إلى خلاف قد لا يستدعي فقط الغضب، بل الخصام والقطيعة.

الممارسات ليست عقائد

رشمُ الصليب عندنا ينتهي من الشمال إلى اليمين، ولهذا معنىً جميل، وهو أننا عن يمين الآب. وعند الروم الأرثوذكس ينتهي من اليمين إلى الشمال؛ لأن القلب في شمال الصدر، والروح القدس يسكن في القلب. هذا أيضاً معنى جميل. العقيدة هي رشم الصليب، ولكن الممارسة هي حرية الاختيار.

دخولنا الهيكل حفاة، أمرٌ شاهده يوحنا كاسيان في الإسقيط في القرن الرابع؛ لأن الهيكل هو استعلان الثالوث، كما استُعلن يهوه في العليقة وخلع موسى نعليه؛ لأن خلع النعل هو اعترافٌ بأن الله ملكٌ. عند السريان والأرمن والروم لا توجد هذه الممارسة. ولكن الهيكل عند الكل، هو هيكل رب القوات الذي يسكن في وسط الكنيسة. هذه ممارسة قبطية خاصة تعبِّر عن تقوى عميقة وإحساس قوي بحضور الثالوث. وهذه ليست عقيدة رغم وجود سبب إيماني خلفها.

الصوم قبل التناول هو ممارسة تختلف من كنيسة إلى كنيسة. هذه ممارسة ولكن التناول نفسه عقيدة.

---

(1) مقال نشر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في٦ يونيو ٢٠١٦.

تناول المرأة هو بدوره ممارسة وليس عقيدة. إذا تحول إلى عقيدة، فجَّر هذا التحول تلك الانفجارات الشيطانية، التي لم يدرك الذين أشعلوها أنهم يهدمون السرائر .. سر المعمودية — سر الميرون — سر الإفخارستيا؛ لأننا نتقدس جسداً وروحاً رجالاً ونساءً بهذه السرائر.

متى نفيق من هذه الضربة الشيطانية لكي نميِّز بين ممارسة وعقيدة. الإيمان ثابت والممارسات هي التي تتغير. لم يكن لدينا صوم يونان حتى جاء بطريرك سرياني هو إفرام بن زرعه وجلس على كرسي مار مرقس، وأدخل الصوم الذي أبطله البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث في كنيسة السريان.

الصوم ليس عقيدة، بل ممارسة؛ لأننا عندما لا نصوم في أيام الخماسين، هل نكون قد تركنا الايمان، أو نعيش بلا عقيدة.

الرب ينزع البغضة من قلوب حافظي البغضة.

حول مصير الأطفال الذين يموتون قبل المعمودية[1]

لا شيء يؤلم قدر قرار حرمان أبدي من ملكوت السموات، يصدر من إنسان لا يملك أن يعطي، ولا يملك أن يمنع عطية الملكوت عن إنسان مهما كان هذا الإنسان.

وقد علمتنا كنيستنا المقدسة أن نقول في أوشية الراقدين: "ليس أحد بلا دنس ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض"، هذا يقال عن الكل، عن البطريرك والأسقف والقس وكل أفراد الشعب. والدنس هنا هو الخطايا الطوعية الشخصية، وتلك التي نسقط فيها بمعرفة أو بغير معرفة بالقول والفعل والفكر. هذه الرؤيا الرسولية الأرثوذكسية لا يجب أن تغيب عن الأذهان، ولا يجب أن نقع في بئر فتاوى عصر الأنبا شنودة الثالث الذي أفرز أساقفة حصلوا على المعرفة من العمامة والعصا والجلابية السوداء، ولم يتمكن أغلب هؤلاء من دراسة القانون أو اللاهوت أو التاريخ.

لم يحدد الآباء الكبار مصير الأطفال الذين يموتون بدون معمودية.

الغرب الكاثوليكي لم يحدد مصير هؤلاء إلَّا في عام ١٢٦٧ في صيغة الاعتراف بالإيمان التي قُدِّمت إلى الإمبراطور ميخائيل إمبراطور القسطنطينية، وهي صيغة لم تُقبل بشكل نهائي، حيث قالت الوثيقة إن هؤلاء يُحرمون من ''السعادة في السماء''، ولم تُضِفْ أكثر من ذلك. قبل ذلك قال أوغسطينوس في مقالته عن (الخطية والاستحقاق فقرة ١: ١٦) إن الأطفال يعانون نوعاً من الألم من خسارة لم يحددها، وهو ذات الرأي الذي أبداه القديس غريغوريوس النزينزي في (المقالة اللاهوتية ٤٠).

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٣٠ سبتمبر ٢٠١٢.

هـذه كلهـا اجتهـادات وآراء لا تصـل إلى مسـتوى التعلـيم العقيـدي، ولكـن الثابـت أنـه لا يوجـد تعليم عـن هـلاك هـؤلاء؛ لأنهـم لم يصلوا إلى مرحلـة النضـوج الـذي يسـمح لهـم بالخطيـة .. ولـذلك في مقالـة القـديس غريغوريـوس النيسـي عـن مـوت الأطفـال يقـول إن هـؤلاء ليسـوا مثـل البـالغين، وأنهـم لا يُعـاقَبون، وأكَّـد أنـه يعبِّر عن رأيه.

بالطبع هناك أطفال بيت لحم الذين ماتوا ذبحاً بدون معمودية، ومع ذلك لم تعلن صلواتنا أنهم هلكوا، بل اعتُبروا بداية الشهداء، رغم أنهم لم يكن لهم معرفة ولا إيمان بالمسيح.

وفي البردية التي نشرها crum ومحتواها سؤال عن مصير الأطفال الذين يموتون بـدون نـوال المعموديـة، "هـل سيُقبلون في الملكـوت"؟ وجـواب القـديس كـيرلس: "بكـل يقـين نعـم؛ لأن الملكـوت هـو لهـم؛ لأنهـم مـن لحظـة تكـوينهم في أرحـام أمهاتهم قد كُتِبَت أسماءهم في ملكوت السموات، وكما أن الأصل مقدسٌ كذلك الأغصـان؛ لأن الـذي يُقدِّس والـذين يتقدسـون هـم مـن واحـد، وهـو المسـيح (نشـر البردية العالم الألماني Ehrhard).

هـذه النظـرة الكونيـة متأصِّـلة في كونيـة الخـلاص الـذي أتمـه المسيح؛ لأن بعـد التجسد "أباد الابن اللعنة التي وضعت على المرأة الأولى" (شرح يوحنا ٢: ٢-٣ مجلد ١: ٢٠٠ – ٢٠١).

مجمـع مصـر القديمـة الـذي عقـد في ١٢٣٧ وحضـره الصـفي ابـن العسـال هـو الـذي قـرر حرمـان هـؤلاء مـن ملكـوت السـموات، ولكـن قبـل ذلـك عَرِفَ الشـرق مجموعة الأسئلة التي تُنسب للقديس اثناسيوس الرسولي، وهي إجابات عن أسئلة أفتيوخـوس وتـذكر الإجابـة أن الأطفـال هـم في حالـة وسـط Limbo وهـو رأي أشـبه بشكل كبير بما ساد في المصادر الكاثوليكية، بينما نشر الأستاذ بشارة بسطوروس في عـام ١٩٣٨ تعلـيم القـديس بطـرس ذكـر فيـه أنـه تُـرجم عـن القبطيـة أن هـؤلاء الأطفال سيدخلون جهنم.

أمام تأرجح الآراء هذا، يجب أن نكون على حذر من إصدار حكم هو خاص بالله وحده. نحن نعرف مصير الذين ينالون المعمودية ويعيشون حياة القداسة ... هذه معرفة عامة لا يمكن أن ترقى إلى مستوى الحكم النهائي؛ لأن الحكم النهائي خاص بالله وحده، ولذلك القاعدة العامة في الأرثوذكسية هي أن الأمور الخاصة بحياة الدهر الآتي واضحة بالنسبة للذين يؤمنون، وحتى مصير هؤلاء معروف بشكل نهائي لله؛ لأنه هو وحده "ديان الأحياء والأموات".

حول خلع الأحذية عند دخول الهيكل[١]

مشكلة هذا الجيل أنه فقد الرؤيا الليتورجية، وهي أننا في خدمة الثالوث القدوس لنا (القداس الإلهي)، نحن ندخل حياة الدهر الآتي التي لا موت فيها. هذه الرؤيا ليست شيئًا يُستهان به، بل هي رؤيا شاملة يسبقها الصوم؛ لأننا لا نأكل خيرات الأرض الصالحة في شوقٍ وانتظار لخبز الحياة الأبدية، الإفخارستيا. وهذا هو سبب الصوم قبل التناول، ولست أعرف سببًا آخر له. والصوم هنا ليس قانونًا ولا فرضًا، بل هو تعليم موجَّه وموجِّه للقلب لكي يترك بحرية ومحبة، ويختار ما هو أبدي في حدود استطاعة كل فرد حسب الظروف الصحية والسن، بل والقدرة على الامتناع عن الطعام.

أعود إلى مسألة "التحفِّي"، أي الدخول إلى الهيكل بقدمين حافيتين؛ لأن هذا هو التسليم الكنسي الذي عَرِفَ أننا في حضرة الثالوث بصورة أكثر كمالًا من تلك التي حدثت لموسى عندما قيل له اخلع نعليك؛ لأن الأرض التي تقبل حلول الله لا تقبل أن يكون في الإنسان شيءٌ ميِّتٌ، وهو جلد النعل – هذا هو شرح القديس كيرلس عمود الدين.

هل هذا ينطبق على الملابس المصنوعة من الصوف والحقائب .. الخ؟ هنا ندخل نفق "الفتاوى"؛ لأن التعبير الرمزي "للتحفِّي" هو تحول الوعي الإنساني من الحياة العادية إلى الحياة السمائية، تلك التي نعبر عنها في صلاة الساعة الثالثة: "إذا ما وقفنا في هيكلك المقدس فنحن نحسب مع الواقفين في السماء". الموضوع هنا ليس من قبيل الإلزام والقانون، بل هو ارتفاع العقل والقلب والوعي إلى ما هو

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في يونيو ٢٠١٤.

أعظم، هو اختيار المحبة النارية التي تطلب ما هو فوق. "ارفعوا قلوبكم"، أي إلى ما هو سمائي، أو حسب قول رسول الرب: "أجلسنا معه في السماويات".

بالطبع، تجنُّب الفتاوى والفروض ضروري لمن يحيا حسب "حرية الروح"، وإلزام المحبة النارية ليس مثل إلزام الشريعة؛ لأن المحبة تلزم مَن يطلب ما هو أعظم، وهو هنا الشركة في الحياة الإلهية.

أمَّا فرضُ أزياء وملابس من نوعٍ معين بقوة الشريعة، فهذا غريب تمامًا على المسيحية وعلى الأرثوذكسية بشكلٍ خاص، بل حتى فرض الصوم الانقطاعي قبل التناول هو ضد حرية المحبة، وحرية المحبة ليست هي الفوضى والانحلال.

لا أخفي جزعي على جيلٍ لم يستلم الحياة الأرثوذكسية، وهو لذلك، يُعدُّ ضحيةً سهلةً لكل فتاوى الإكليروس، وسقوط هذا الجيل في شباك الفتاوى هو أخطر ما يصيب الحياة المسيحية الأرثوذكسية.

التسليم الكنسي يدعونا إلى سلوك المحبة التي تولد فينا بالروح القدس (رو ٥: ٥) وهو ما يجعل غاية كل ما نقوم به من طقوس هو اكتشاف الحضور الإلهي للثالوث؛ لأننا نبدأ الخدمة: "مجدًا وإكرامًا إكرامًا ومجدًا للثالوث القدوس"، أي المجد والإكرام الخاص بالثالوث القدوس، وهو المجد المستعلَن في تقديم الابن لذاته لنا في سر الشكر.

عندما نفقد هذه الرؤيا الإيمانية التي تغرسها العقيدة، تتحول الطقوس إلى قيد غامض غير مفهوم.

يبقى أن نقول إن دخول الهياكل بالأحذية هو ممارسة إخوتنا في الإيمان السريان والأرمن والروم، وتفرُّد الطقس القبطي يجب أن يُفهم بعيدًا عن تأثير الإسلام؛ لأن يوحنا كاسيان زار الأديرة في القرن الرابع قبل دخول الإسلام مصر بحوالي ٢٠٠ سنة، وسجَّل دخول الهيكل بدون نعال أو أحذية كممارسة لآباء الإسقيط.

أخاف من التطرف لغياب التعليم عن المحبة الثالوثية التي تضبط الحرية ولا

تسمح بالتهور؛ لأن التهور هو انفلات العبد من سلاسل العبودية، أما الحرية فهي التي تشحذ المحبة وتجعلها تميِّز بين القيد أو السلسلة الوافدة من الشريعة، وبين الرموز والعلامات التي تكشف لنا عن حضور الله الثالوث لكي يشاركنا في حياته.

أُرحِّبُ بأي تعليق مهما كان؛ لأن السؤال والتعليق يؤكد لنا ضرورة السير في الاتجاه الصحيح، ولا خوفَ في المحبة ولا رفضَ للحوار.

مع محبتي الخاصة للأخت نادية سليدس تكريمًا لأستاذنا سمعان سليدس الأستاذ السابق بالكلية الإكليريكية الذي تعلمنا الكثير من كتابه "الصلاة على المنتقلين".

حول الصلاة على المنتقلين[1]

أكتب هذه السطور بحزنٍ ووجع أولاً على ما يحيط بالحادثة الأخيرة من حزن. وثانياً على تضييق دائرة التدبير، وأقصد بذلك الاستعمال الحقيقي للحرية حسب المحبة.

كان الوضع القديم السائد في القرون الخمسة الأولى هو أن المعمودية والميرون والزواج والجناز، هذه كلها لا يمكن فصلها عن الذبيحة الإلهية، والشاهد على هذا الوضع هو جناز القديس الأنبا باخوم أب الشركة، وهو أيضاً ما ورد في كتاب رئاسة الكهنوت للأريوباغي، أي إقامة الجناز والقداس معاً. وفي العصر الحديث قدم لنا دير الأنبا مقار تطبيقاً جديداً لذات الوضع، فهكذا دُفِنَ القمص متى المسكين شيخ الإسقيط، حيث رتَّل الرهبان التسبحة، ورفع البخور والجناز والقداس الإلهي.

لكن يبدو من الدراسة الدقيقة للعصر الوسيط، وبسبب الأوضاع السياسية، انفصال الجناز عن القداس الذي كان يقام خصيصاً من أجل الراقدين في الرب، تماماً كما انفصل تذكار الأربعين عن القداس واقتصر الأمر على صلاةٍ تقام خصيصاً وتوضع صورة الراحل أو الراحلة أثناء هذه الصلاة، وبذلك يكون قد حدث انفصال الجناز عن ذكر الراقدين في الذبيحة الإلهية التي تطلب الرحمة لكل الراقدين على رجاء القيامة والتي لا تعطى لمن أقدم على الانتحار.

دائرة التدبير

ما هي دائرة التدبير؟ العروسان اللذان ماتا بثياب العرس -على ما يبدو- ليسا من أبناء الكنيسة، وهم أيضاً أعضاء في الكنيسة الرسولية. هل يوجد مانع

---

(1) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٣٠ يناير ٢٠١٦.

قانوني يمنع طلب الرحمة لهما؟ والجواب هو –حسب التدبير الكنسي– يمكن إقامة صلاة خاصة في مبنى الكنيسة بدون رفع بخور وبدون الطقس المعروف.

وهناك اقتراح آخر، هو أن يُسمَح للقس الرسولي بأن يقوم هو بالخدمة مع مشاركة حقيقية من القس الأرثوذكسي بالصلاة الخاصة؛ لأن إجابة طلب الرحمة لكل من ينتقل هو واجب المحبة.

لا يوجد قانون كنسي يمنع صلاة الجناز إلا على من صدر ضده حكمٌ بالرِّدة، أو كان ينتمي إلى الهرطقات والشيع التي حددها القانون الكنسي الذي لم يذكر –في هذا الصدد– لا الكاثوليك ولا البروتستانت، وتصنيف أيهما هو تصنيف مرفوض؛ لأن إنكار الثالوث وألوهية الرب يسوع والروح القدس والحياة الأبدية والقيامة، أي بنود قانون الإيمان، ليس ضمن الخلافات التي بين كنيستنا وكنائس الكاثوليك والبروتستانت، وبالتالي وبحسب ما صدر من تشريعات سابقة على عصر الإصلاح في القانون الكنسي بشعبتيه القبطي والبيزنطي، لا يخضع كل من الكاثوليك والبروتستانت للتحريم الذي توقف في الكنيسة البيزنطية عند القرن الخامس عشر.

وثمة موضوع آخر أهم من النظرة القانونية، وهو سيادة المحبة على القانون مهما كان، وأسبقية المحبة والمشاركة الإنسانية في مصاب قومٍ ضرب الحزنُ حياتهم هو واجب المحبة النابع من محبة ذاك الذي أقام ابنة أرملة نايين ورده إلى أمه لأنه "**تحنن**" عليها، وهو حنانٌ جاء من المحبة لا من شريعة موسى.

حكمة التدبير

لا يمكن لمن له تبصُّرٍ أن يتحدث عن أن العروسين قد أصبحا من البروتستات، وبالتالي لا يمكن الصلاة عليهما؛ لأن البروتستانتي الذي وُلِدَ ونال المعمودية وهو طفل في كنيسة مصر أُم الشهداء، لم يفقد مكانه في جسد المسيح الكنيسة رغم أنه ترك الكنيسة وانضم إلى كنيسةٍ أخرى لأسبابٍ يطول شرحها،

ولكن يبقى السؤال: لماذا يطلب بعض هؤلاء جنازاً في الكنيسة الأم؟ سؤالٌ لم نسمع له رداً ولن نسمع له رداً بعد أن وقعت الفاجعة والمصاب. ولكن أليس ذلك تعبير عن الحنين إلى أُم الشهداء الأم الرؤوم؟

أما الادعاء العام بأن البروتستانت لا يقبلون قانون الإيمان، فهو كذبة رخيصة؛ لأن إيمانهم بالثالوث، وبكل ما ورد في قانون الإيمان ظاهرٌ في التعليم والترتيل، ولا يجب أن نقدم ما يصدم الحزانى الذين فُجِعوا في مصابٍ شديد الوقع على كل نفسٍ إنسانية.

يقول القانون السابع من قوانين مجمع القسطنطينية ٣٨١م: "إن من يرتد من البدعة إلى الإيمان القويم وإلى حظ الذين خلصوا، نقبله حسب الطريقة أو العادة الآتي بيانها: إن الأريوسيين وأتباع مكدونيوس وأتباع نوفاتيان نقبلهم بعد أن يعطوا صكاً برفضهم ضلالتهم ولعنهم لكل بدعة لا تتفق مع تعليم كنيسة الله المقدسة الجامعة الرسولية، ومن ثم يُختَمون ويُمسَحون بالزيت المقدس على جباههم ... إلخ وعندما نثبِّتهم نقول: (ختم موهبة الروح القدس)" (مجموعة الشرع الكنسي للأب حنانيا كسَّاب، ص ٢٧٩ منشورات النور، لبنان).

من هذا يتضح أن الكنيسة لم تكن تعيد معمودية الأريوسيين والمكدونيين، واكتفت بالرشم بالميرون، وهذه حكمة التدبير لشفاء الانقسام. وهو الوضع السائد الآن في الكنائس البيزنطية التي امتدت وانتشرت في المهجر بسبب حكمة التدبير، بينما حاصرت القساوة أُم الشهداء بسبب تحجُّر قلب غير الدارسين للتدبير، وظن بعض الإكليروس أن القساوة هي الدواء لشفاء الانقسام.

نصف الحقيقة أن الإنجيليين ينكرون أسرار الكنيسة، ولكن التعليم السائد عن سبعة أسرار، هو تطور لاهوت الأسرار كما حدث في الغرب وقُنِنَ في مجمع ترنت في القرن السادس عشر للرد على حركة الإصلاح. وعن الأشقاء الكاثوليك نقلنا دون تمييز – هذا ليس اتهاماً، بل دعوة للمراجعة والعودة إلى الأصول الآبائية كما شُرِحَت في عظات كيرلس الأورشليمي وذهبي الفم، وكما استقرت في

التسليم الليتورجي لأُم الشهداء الذي حَفِظَ اسم "السر" لخدمة غسل الأرجل، الأمر الذي لما أعاده الأب متى المسكين إلى الوعي، نالته بسببه الشتائم.

أما النصف الثاني، فإنهم يؤمنون بالثالوث والتجسد والقيامة ....إلخ

ليست هذه دعوة لرفض ما جاء في العصر الوسيط، بل كانت دعوتنا دائماً إلى التبصُّر وانفتاح الوعي على التطور الذي حدث عبر العصور. أما الادعاء بأن صلوات الجناز تشمل كل ما في الكنيسة من تعليم، فهو ادعاءٌ عام وكاذب، يفقد مصداقيته أمام أي فحص دقيق، ولكن عندما تسود الفتاوى وتتغلب على التسليم، فلا رجاء في العودة إلى حكمة التدبير، ولا رجاء في استنارة القلب بالمحبة.

هكذا تبدو الصورة بعد قرار منع صلاة الجناز: نحن جماعة يقودها التعصب وتحتكم إلى الكراهية والرفض لا إلى المحبة، التي تصل إلى محبة الأعداء!!!

عندما هدَّدني الأنبا شنودة الثالث بأن الكنيسة (وكان يقصد نفسه) لن تصلي عليَّ عند موتي، قلت له: لقد حضرت الجناز العام الذي يقام في أحد الشعانين على الأقل ٣٠ مرة، وواحدة فقط من هذه المرات كافية. لقد صلَّت الكنيسة عليَّ صلاة الموتى في أسبوع آلام الرب أثناء شركتي في هذه الصلوات التي لا سلطان لأحدٍ عليها لأنها نعمة الرب. لذلك، فإن مجتمع العبيد، الذي يُقاد بالفتاوى، لا رجاء في تقدِّمه.

درسٌ من التاريخ الكنسي

على الرغم من أن القديس أثناسيوس لم يقبل معمودية الأريوسيين؛ "لأن الأريوسيين لا يعمدون باسم الآب والابن، ولكن باسم خالقٍ ومخلوق، وباسم خالقٍ وخليقته، ومن يغطس بواسطتهم يتدنس بعدم الإيمان ولا يُفتدى" (ضد أريوس ٢: ٤٢)، إلا أن القانون السابع من قوانين المجمع المسكوني الثاني –والذي أشرنا إليه بعاليه– أراد شفاء الانقسام حتى لا تنشأ كنيسة أريوسية تقاوم الكنيسة الأم.

هذا درسٌ علينا أن نستوعبه، والدرس الآخر تعلمنا إياه حكمة باسيليوس

الكبير في الرسالة رقم ١٨٨ حيث قسَّم الخارجين عن الكنيسة الجامعة إلى:

١- منشقين Schismatics بسبب خلافات كنسية

٢- هراطقة، وحدد هؤلاء بأنهم المانوييون وأتباع شيع الغنوصية، وهم يرفضون الإيمان وأيضاً أتباع مونتانوس.

أما المنشقون، فهؤلاء لا تُعاد معموديتهم، بل يُمسحون بالميرون، وهو نفس اتجاه مجمع القسطنطينية المسكوني، بهدف القضاء على الانقسام.

في ضوء ذلك يمكن اعتبار من له ذات الإيمان بالثالوث، رغم أنه لم يصرح به، منشقٌّ، وبالتالي، ولأجل شفاء الجراح، يمكن اعتبار البروتستانتي مسيحي منشق؛ لأن إيمانه بالله وبالتجسد وبالروح القدس وبالأسفار المقدسة وبالقيامة وبالحياة الأبدية، لا شك فيه لأنه مُعلَن في ما يُنشر ويقال وما يصلون به، وبالتالي يجب أن نمكن له المحبة.

تدبير المحبة

لقد دفع قرار عدم الصلاة البعض إلى اعتبار الصلاة على المنتقلين بدعة، وأكثر ما أُحذِّر منه هو أن استمرار تعنت الإكليروس سوف يدفع إلى انفجارات متتالية داخل الكنيسة لا يعلم مداها إلا الله. لذا أرجو إعادة طبع كتاب أستاذنا الكبير سمعان سليدس: القول اليقين في الصلاة على المنتقلين؛ لأن اعتبار طلب الرحمة بدعة هو بمثابة تحالفٍ مع الشيطان؛ لأن القلب الذي يخلو من الرحمة هو قلبٌ لم يدخله نور ربنا يسوع المسيح.

لذا أرجو أن تقام خدمة جناز الأربعين، وهي تأبين الراقدين كما جرت العادة في القرن العشرين في الكنيسة التي رفض كاهنها الصلاة على العروسين المنتقلين، كنوع من الاعتذار، حتى لا يظهر الوجه المتعصب القبيح الرافض القاسي، والذي يبني رفضه على ما يظن أنه صحيح الإيمان؛ لأن الإيمان والرجاء والمحبة هم معاً لا يمكن فصلهم، وإن كان رسول ربنا يسوع المسيح قد جعل المحبة

أعظم، فهي لذلك تعلو على كل فتاوى العصر الوسيط، وعندما تعلو المحبة، عندئذٍ نكون في حكمة التدبير.

أنا أعرف أن هذه المساهمة قد تفتح عليَّ باب الشتائم التي يلقيها الذين خرجوا على الآداب المسيحية، بل والآداب المصرية، والحس والذوق الاجتماعي السليم، ولكن علينا أن نكون عبيداً لمن وضع ذاته لأجلنا، لا لمن لا يعرف المحبة ولا البذل ولا الغفران، بل يعوم في بركة القساوة والشماتة والرفض مع الشيطان نفسه.

غفر الله لنا جميعاً.

إجابة عن سؤال من أخت قارئة عن الموت[1]

الموت مع المسيح هو في المسيح، هو ليس موتًا جسمانيًا حينما يتوقف القلب ... الخ بل هو موتٌ يجتازه القلب والإرادة والإدراك. هو موتٌ بوعي لقيامة حياة جديدة.

هو موت الأهواء، نعبِّر عنه ليتورجيًا برشم الصليب الذي يتم بذات صيغة المعمودية؛ لأن رشم الصليب هو تجديد الوعي بالولادة الجديدة التي فصلها الصليب والقيامة عن أصلها الآدمي القديم، وأدخل الإنسانية في "سر المسيح"، وهو سر التمسك بسيادة وتفوق المحبة على كل قوى الطبيعة الآدمية القديمة التي لا مكان فيها للمحبة ولا تعرف الغفران.

هو أيضًا "صلب الذات" التي لم تعد محور الوعي، وليست هي مقياس البقاء أو الاستمرار في الحياة. نحن نأكل ونشرب ونؤدي كل الواجبات اليومية الخاصة بالحياة الجسدانية، ولكن في داخل هذه الحياة الجسدانية تنمو الحياة الجديدة. نولد من الماء والروح، وننمو بمسحة الروح القدس، ونتغذَّى بالقوت السماوي، جسد الرب ودمه. في كل مرة نسمع فيها قول الرب: "خذوا كلوا هذا هو جسدي .. هذا هو دمي"، نقترب من الموت الجسداني بقوة المصلوب؛ لأنه أعطانا شجاعة المحبة، ليس لإنكار الموت الجسداني، بل باعتباره كما قال رسوله الشجاع بولس: "الموت هو ربح"، ولكنه قال أيضًا: "مع المسيح صُلبت، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ".

نحن بوعي نقترب من الموت في الساعة السادسة، أي منتصف النهار عندما عُلِّقَ الربُ على الصليب لأجلنا. ونذوق معه موت الجسد في كل عطاء، لا سيما

---

[1] مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية بتاريخ ٣١ يوليو ٢٠١٨.

عطاء الرب لجسده ودمه، ليس لأن موتنا فداء البشر، وإنما لأن موت الرب هو موته المحيي الذي أباد الموت، إذ فَقَدَ الموت سلطانه علينا لأن الرب "أقامنا معه"، وفيه أيضًا، ولن نرث فساد الموت ونبقى في المدافن، بل في "كورة الأحياء إلى الأبد، في أورشليم السمائية"، تلك التي نعاينها مع الذين سبقونا عندما يجمعنا الرب معهم في كل قداس إلهي.

نحن نستعد للقاء الرب في صلاة نصف الليل، وفي الزواج الإلهي الذي تم بين المسيح والكنيسة، والذي جعلنا من لحمه وعظامه.

في كل مرة نقترب فيها من المذبح في الكنيسة، نرى مكان حلول الرب يسوع بالروح القدس مذبوحًا قبل خلق العالم، لأنها إرادة الرب أن يقدم حياته لأجلنا، لذلك نحن نرشم الصليب ونسجد عند المذبح لكي نقدم حياتنا ذبيحة حية متحدة بالذبيح الأعظم.

قدَّم الرب حياته لنا لكي نبقى أحياء إلى الأبد معه؛ لأنه جاء لكي "يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد"، وفيه وبه ومعه ننال مجد الحياة الآتية.

له المجد والكرامة مع الآب بالروح القدس.

أيقونات الكنائس وتمثال حلوان[1]

لم يستقر احترام ووجود الأيقونات في الكنائس إلا بعد صراعٍ طويل دام ما يقرب من ٦٠٠ سنة مرَّت فيها الكنائس بمحنة محاربة الأيقونات وحرقها بأمر من الإمبراطور لاون الأيسوري (٧٢٦ – ٧٣٠)، حتى عُقِدَ مجمع نيقية الثاني، وأيَّد وجود الأيقونات في الكنائس. وكان الأباطرة يرسلون أيقونات لأهم عواصم الإمبراطورية، وكان تكريم هذه الأيقونات بمثابة تأكيد على الولاء للحاكم الروماني. وكان المجمع الذي حضره ٣٥٠ أسقفًا (إما في عام ٧٨٣، أو في عام ٧٨٨)، قد أكَّد التمييز بين الاحترام والعبادة (الأصح الخدمة حسب الأصل اليوناني λατρεια).

بالطبع كانت الوصية الأولى والثانية حاسمتين، ومنع التماثيل أنتج صراعًا في العهد القديم، ربما بدأ بعبادة العجل الذهبي بعد خروج بني إسرائيل من أرض مصر، ويمكننا أن نجد ملامح هذا الصراع ظاهرة في محاولة وجود الآلهة التي أشار إليها الشهيد الأول اسطفانوس في خطابه المشهور في سفر أعمال الرسل ٦ – ٨.

بالنسبة لنا في مصر، كان الأب دي بورجيه المسئول عن قسم المصريات في متحف اللوفر بباريس، وغيره يعتقدون أن المصريين كانوا يرسمون على جدران الكنائس على النحو الذي شاع في العصر الفرعوني. وهكذا لا يمكن الجزم بوجود أيقونات في الكنائس المصرية، ولعل أقدم أيقونة عاشت هي التي وصلتنا من دير باويط بصعيد مصر والتي يظهر فيها الرب يسوع محيطًا بمار مينا الأسقف، وهي ربما من آثار القرن السادس أو ما قبل ذلك. ولا تزال كنيسة القديس سرجيوس

---

(1) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٠ أبريل ٢٠١٩.

(أبو سرجة) في مصر القديمة تحفظ ما تبقى من رسومات على الأعمدة التي ترفع سقف الكنيسة.

ولعل اختفاء الأيقونات التي رُسِمَت على الخشب يعود إلى ما ذكره كتاب عمل الميرون من أن الأيقونات القديمة كانت تُستخدم كوقود لإنضاج زيت الميرون عند طبخه.

ما هو الفرق بين الأيقونة والتمثال؟

لا يمكن مقارنة فرع من الفنون بآخر. النحت وعمل التماثيل هو فنٌ رفيع لازال بعض ما تبقى من تماثيل الفراعنة يشهد بذلك. لكن الفرق اللاهوتي بين الأيقونة والتمثال واضح من تطور الخدمة الليتورجية المسيحية، فهذه الخدمة هي المائدة الملوكية، التي يجلس فيها الرب يسوع على رأس المائدة، وعن يمين الرب الملكة القديسة العذراء مريم، ثم أكبر الضيوف وهم يوحنا المعمدان والقديسين. هؤلاء هم أعضاءٌ حيَّةٌ في الكنيسة الواحدة التي لم يقسِّمُها الموت ولا الزمان إلى كنيستين، بل هي جسد المسيح الواحد والحي، وهؤلاء الذين رحلوا إلى الحياة ''في كورة الأحياء إلى الأبد في أورشليم السمائية''، هم معنا في خدمة القداس الإلهي، وأيقوناتهم تحمل لنا هذه الرسالة، إذ يُقدَّم لهم البخور لأن البخور هو عطر الحياة، ولأن اسم الرب هو ''طيبٌ مسكوب'' (نش ١: ٣)، وهو ما تؤكده الصلاة في أوشية البخور: ''أيها المسيح إلهنا العظيم ... طيبٌ مسكوبٌ هو اسمك القدوس''، والطيب هو أحد أسماء مسحة الميرون حسب النص القبطي (رسالة الرسل، من مؤلفات القرن الثاني أو الثالث)، ولذلك يُقدَّم بخورٌ أو الطيب المسكوب للرب لاجتماع الكنيسة في كل زمان ومكان. كذلك يُقدَّم البخور للشعب أيضًا؛ لأن الكل حاضر في الوليمة الملوكية.

الأيقونات هي رسمُ وجه Prosopon الشخص أو الأقنوم. وعندما أخذت الكنيسة بفصل الهيكل عن باقي المبنى، دخل حامل الأيقونات بعد انتشار

مؤلفات الأريوباغي، صار حضور الأحياء إلى الأبد في أورشليم السمائية أثناء الخدمة الإلهية (القداس) مؤكِّدًا على وحدة السماء والأرض، ووحدة جسد المسيح في السماء وعلى الأرض. هؤلاء حاضرون بالوجه، وهي شركة غير حسيِّة مادية، تعبِّر عن وجودها الأيقونات، لكي يرتفع الإدراك إلى ما هو سمائي بالوعي بحضور الرب يسوع وأمه والقديسين والملائكة.

أما التمثال، فهو تجسيدٌ منظور حسِّي يملأ الوعي بما هو ملموس ومنظور، لاسيما إذا كانت التماثيل بالحجم الطبيعي، أو تفوق الحجم الطبيعي، ولذلك لا مجال للمقارنة بين الأيقونة والتمثال في خصوص شركتنا في الخدمة الليتورجية، الأحياء والمنتقلين.

إضافةً إلى كل ما تقدم، يجب مراعاة المناخ السياسي والديني والاجتماعي السائد في مصر، وأن إقامة تمثال لكل من رحل في ساحة الكنائس، وأن يُقدَّم له البخور، أمرٌ لا يتلائم مع هذا المناخ السائد، ولا الذوق العام، خصوصًا وأن عيونًا أخرى ترى في هذا عودة إلى الوثنية.

إن الالتزام بقرار المجمع المقدس هو التزامٌ مسيحي بالشركة، والخروج على قرار المجمع هو خروجٌ على السلوك المسيحي، يهدم أهم أركان الحياة الأرثوذكسية التي توحِّدنا بالذبيحة الواحدة والرأس الواحد ربنا يسوع المسيح، والجماعة الواحدة الكنيسة الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية. لذلك فإن أي قرار منفرد هو بمثابة تعدِّي واضح على مقتضيات هذا السلوك، وهو أمرٌ لا يجب على الشعب أن يشجعه، بل أن يمنعه.

المطران،
وصوت الراعي الصالح يسوع المسيح[1]

طلب مني أكثر من صديق أن أترك المطران تمامًا، وكان ردي هو أنه جعل نفسه مُعلِّمًا، بل اللاهوتي الأول، وهو ما يشيعه ويروج له ثِلةٌ من الملتفين حوله والمنتفعين بقربه، وقد يصدقه البعض من شعبنا القبطي الذين يجلون الكهنوت فينخدعون بسهولةٍ فيمن يرتدون زيه؛ لأن انتشار التقوى الشعبية لدى البسطاء والسذج قد تجعلهم يجدون في أفكاره وما ينشره بعض الصدق، وإن كنت أتمنى أن يواصل الكتابة ليظهر الوجه الحقيقي الذي يختفي خلف نعمة الكهنوت.

ما هو المعقول في الأرثوذكسية؟

في ص ١٠ فيما أسماه "دراسة بحثية عن كتاب رسائل أبونا فليمون المقاري"، تعليقًا على ما تم من حوار بيني وبين البابا كيرلس السادس بخصوص قول أبونا فليمون لربيتة الدير "أنا اتناولت قبل خلق العالم"، يقول الأنبا بيشوي: "هل يعقل أن يوافق البابا كيرلس على أن شخصًا تناول قبل خلق العالم، بل يؤيده ويشرحه؟"

وتساؤل الأنبا بيشوي عما يُعقل أو ما لا يُعقل، يطرح التساؤل عن المعقول في الأرثوذكسية، والمعايير التي تجعل شيئًا ما معقولًا أو غير معقول.

والتساؤل عن المعقول حقًا في الأرثوذكسية، سؤالٌ حقيقيٌّ لا يُترك للخيال أو العواطف أو حملات الشك الصادرة عن كراهية.

([1]) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٣ أغسطس ٢٠١٥.

حسب التسليم الكنسي لدى اثنين من عمالقة الكنيسة الجامعة: النيسي وأغسطينوس هناك قاعدة مؤداها: "أؤمن لكي أفهم"، فالإيمان إذن -حسب التسليم الكنسي- هو دعوة للفهم لا تحدد الذكاء، ولا تمنع الحوار والبحث، بل العكس هو الصحيح.

إذن، ما هو معقول في الأرثوذكسية، هو كذلك لأنه:

أولًا: من الإيمان.

وثانيًا: لأن الإيمان له أساس ثابت هو "التدبير" أو "الإيكونوميا". وهنا يجب أن ننتبه إلى عبارة القداس الغريغوري: "أكملت التدبير بالجسد"، وهي عبارة تعني وصول التجسد إلى غايته، أي إلى "إعادة الشركة بين الإنسانية والثالوث".

وثالثًا: إن ما هو معقول، إنما يُدرك في إطار تدبير محبة الثالوث لنا، وهي محبة خاصة للإنسان حدث فيها التنازل الأبدي بتجسد الابن وصلبه ودفنه وقيامته، ثم انسكاب الروح القدس في يوم العنصرة ليسكن فينا إلى الأبد (يوحنا ١٤: ١٥).

كيف نفهم التدبير؟

ولم يكتفِ المطران بالتساؤل عن المعقول، بل اعتراض أيضًا على سماع الأب فليمون المقاري صوت الرب يسوع، بل رؤيته، وهو اعتراض إسلامي بحت؛ لأن في الإسلام، القرآن هو آخر ما أُنزل من الله، ولا يوجد تنزيل بعد ذلك، بل تطبيق أحكام الشريعة. وقد تسللت هذه المقولة إلى بعض كتابات مسيحية جعلت من أسفار العهد الجديد آخر استعلان إلهي، وتأصَّلت هذه الفكرة عند الشِّيَع الإنجيلية التي تحارب التسليم الكنسي بواسطة أسفار الكتاب المقدس، بينما جاءت المجامع المسكونية، لا سيما نيقية ٣٢٥م والقسطنطينية ٣٨١م بردودٍ على هرطقات لم تكن معروفةً في عصر الآباء الرسل، وكان من الضروري الرد عليها من التدبير، ولذلك جاءت كلمة: "الواحد مع الآب في الجوهر" (راجع ق. أثناسيوس مقالة المجامع فقرة ٣٩).

وقد تكلم الآباء في كل المجامع بما ورد في الأسفار، لكن كانت معاني كلمة الأسفار قد تعرضت لتشويه في مدارس الهرطقات، وهي مدارس لها جذور فلسفية وثقافية يونانية جعلت ترتليان يسأل عن علاقة أثينا بأورشليم، أي الفلسفة بالوحي (مقالة وتحليل *Praescriprione* الهرطقات فصل ١٨). ودور العقل بلا وحي، هو دور الفلسفات كلها، ولكن عندما يترك مسيحي دائرة التدبير ويقفز خارجًا ليسأل: هل معقول أن الرب تكلم مع فليمون؟ ثم عندما لا يجد فليمون؛ لأنه رحل إلى مجد الحياة الأبدية، يسلِّط الشك على اختبارٍ متاحٍ لكل المؤمنين، يكون ذلك هو غير المعقول فعلًا. وقد سمع الكثير من البشر صوت الرب بعد صعوده، ودون في سفر الرؤيا في انذار وتعليم الكنائس السبع وسمعه شاول. ومَن يدَّعي بأن الرب صَمَتَ بعد دخوله إلى مجد الآب، هو من استعار تعليم الإسلام بنهاية التنزيل بآخر سور القرآن لكي يجعل المسيحية تسير في خطٍّ موازٍ للإسلام، أو حسب ما صار معروفًا الآن بـ "أسلمة اللاهوت المسيحي"، مع أنه في الواقع الحي لا يمكن تنصير الإسلام، ولا أسلمة المسيحية، والخلطُ هو عوارٌ يكشف عن تربية ونشأة ومنهج وثقافة من يخلط بين الإسلام والمسيحية.

يقول رب المجد نفسه: "إن لي أمورًا كثيرة أيضًا أريد أن اقولها لكم ولكن أنتم لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. أما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به"، ثم أضاف الرب نفسه: "ويخبركم بأمور آتية"، وحدَّد هدف هذه الأمور بأنها تمجيد الروح القدس للابن "ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم" (يوحنا ١٦: ١٣-١٤).

يخبركم بأمورٍ آتية:

يبدو أن انعدام التعليم عن شركتنا في المسيح، وشركة المسيح لحياتنا، قد قاد المطران إلى الشك في أن كل من له شركة محبة، وليس الراهب فليمون وحده يمكنه أن يسمع صوت الرب يسوع، وهو ما يؤكده الرب يسوع نفسه وهو يحاكَم أمام بيلاطس: "كل مَن هو من الحق يسمع صوتي" (يوحنا ١٨: ٣٧). وشهادة يسوع

ليست في الأسفار وحدها، بل في صوت الراعي الصالح الذي يقود الخراف، فهي تعرف صوته (يوحنا ١٠: ٦)؛ لأنه يدعو خرافه الخاصة بأسماء (يو ١٠: ٣)، والأسماء هي علامة العلاقة الشخصية.

كان لدينا أنبياء، وكان يوحنا الأسيوطي يسمَّى "نبي مصر"، وسمعنا نبوات كثيرة، لكن ما أغرب عمى الكراهية. عندما جاءت أحداث دامية: حرب ٧٣ – التحفظ على الأنبا شنودة في دير الأنبا بيشوي – شهداء الفكرية – عزبة دميان –كنيسة القديسين. كيف فهم المطران هذه الأحداث الدامية، وهي لم تكن بالمرة كما هو ثابت من كتاب رسائل أبونا فليمون – لم تكن عن خليفة البابا كيرلس السادس، ولا عن أي خليفة، مع الأخذ في الاعتبار أن الاسم "خليفة" غريب على مفردات الكنيسة، وإن كان مصدره معروفًا .. لكن هكذا تطفو الكراهية وتصنُّع الأخطاء.

نحن نسمع صوت الرب على ثلاثة مستويات متنوعة:

وكلمة مستوى لا تعني أن هناك مستوى أعظم، بل مستويات متنوعة.

١- "كل مَن هو من الحق يسمع صوتي". والحق هو المسيح، وروح الحق هو الروح القدس، وشهادة الروح لنا ليست فقط في الأسفار "الروح نفسه (الأقنوم) يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله" (رو ٨: ١٦)، ولذلك في هذه الشهادة "إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضًا معه" (رو ٨: ١٧). أحيانًا تأتي الشهادة بصوت في داخل القلب، وأحيانًا بفكرة تبرق مثل برق السماء، وأحيانًا بالقراءة، ومرات بسماع صلوات أو تراتيل لكي ينقل إلينا روح الحق، حق المسيح من كلمات نسمعها لا علاقة لها بما يدور في داخلنا.

٢- النبوة، وهي الأمور الآتية، وهي ما نطلبه في صلاة الساعة الثالثة حسب الأصل القبطي (أحيانا تخلط الطبعات العربية بين البنوة والنبوة) ولكن نحن نسأل **ⲟⲩ ⲡⲛⲉⲩⲙⲁ ⲙ̀ⲡⲣⲟⲫⲏ̀ⲧⲓⲕⲟⲛ** وهي موهبة التعليم وكشف نوايا القلوب ومعرفة

المستقبل أيضًا. وكنا قد سمعنا عن نبوات عن حرب ١٩٧٣ قبل أن تحدث بعام على الأقل. وكانت هناك نبوة عن الأنبا شنودة الثالث سمعها بنفسه تحذيرًا له، ولكنه سد أذنيه وسار في طريق الغواية.

٣- ونحن نسمع صوت الرب يدعونا: "خذوا كلوا هذا هو جسدي"، و"خذوا اشربوا هذا هو دمي"، وهو صوت من يقدِّم نفسه لنا. وما أكثر الاستعلانات الإلهية التي تأتي إلينا في استعلان الثالوث في القداسات. عندما سألت في بحث ميداني ١٠٠ شخص من مختلف الأعمال والانتماء: هل القداس الإلهي هو استعلان الثالوث؟ وجاء الجواب ٩٨% بالنفي. قال واحدٌ منهم: إن السؤال نفسه غريب. وقال آخر: لم يسبق أن فكَّر في هذا السؤال، ولكن الإجابات كلها كانت كلها في اتجاه واحد، وهو أن هذا التعليم غير معروف.

٤- وصلواتنا الشخصية ليست "حصة محفوظات"، كما كان المعلم الكنسي الحكيم أبونا ميخائيل إبراهيم يقول لنا: "إن الصلوات الخاصة هي لقاء بالرأس وعودة الوعي الإنساني المشتت إلى الرأس الذي منه تكوَّن العضو" (كولوسي ٢: ١١).

شهادة التسليم الكنسي لصوت الراعي:

يبدو أن المطران لا يعرف ما أشرنا إليه في النقاط السابقة، ولذلك هو يستهجن ويشك في أقوال الأب فليمون المقاري. ولكن عندما يقول هذا الراهب الإسقيطي:

"المسيح هو الوسيلة والمسيح هو الغاية"،

فهل هذا صوتٌ غريب، أو غير مألوف؟ أليست له مرجعية من الأسفار عن "الوسيط الواحد"؟ فهو الوسيط، أي الوسيلة إلى الغاية؛ لأنه القيامة والحياة.

إن ما يُسمع في القلب أو في استعلانات ومناظر إلهية، يُحفَظ إلى أن يأتي زمان تتحقق فيه الكلمة أو الرؤيا. وما أكثر الذين عاينوا الرب بالعين وشاهدوه، وشهدوا له وكانت حياتهم هي ختم صحة الرؤيا.

إن ما يُقال من الرب يُراجع، لا من أجل الشك فيه، ولكن لأن تمييز الحق من همساتٍ قد تأتي من الذاكرة أو من الخيال أو من اختبار سابق لا علاقة له بالله، من أجل هذا نحن ننتظر، ليس لأننا نشك، بل لأن سماع الراعي الصالح يحمل معه علامة ودليل الصدق وهو:

- الفرح
- التعزية
- الثبات
- القداسة
- المثابرة.

وهي علامات الصدق والحق، ولعل من يدرس بعناية، أطول حديث عن الأرواح النجسة سُجِّل لنا، وهو حديث العظيم أنطونيوس (الفقرة ١٦-٤٣) حسب الطبعة الدولية)، ومعرفة درجة خبث وشر الأرواح النجسة (فقرة ٢٢)، رؤية هذه الأرواح (فقرة ٢٤)، وعدم الخوف، بل عندما يُرتل المزمور، تخدع الأرواح النجسة مَن يرتل، ويرددون كما لو كان صدى الصوت ذات الكلمات (فقرة ٢٥)، بل هناك نبوات تبدو حقيقية مثل معرفة مقدار زيادة ماء النيل في موسم الفيضان (فقرة ٣٢). لكن من الفقرة ٣٦-٣٧-٣٨ يعلمنا أنطونيوس العظيم حقًا تمييز الفرح والتعزية والثبات والمثابرة، وهو موضوع يشمل كل ما في حياة أنطونيوس. بل لم يكن أنطونيوس يخاف من الشياطين كما نخاف نحن في هذه الأيام بسبب انهيار التعليم (راجع حياة أنبا انطونيوس فقرة ٤١ عندما قرع الشيطان باب الدير وقال لأنطونيوس أنا الشيطان وعبَّر الشيطان عما أصابه من جراء ما فعله المخلص بواسطة الرهبان .... وقد عاد أنطونيوس إلى المقبرة التي ضربه فيها الشيطان ليقول للشياطين "أنا هنا أنا أنطونيوس" (فقرة ٩)، بل سمع صوت الرب يؤكد له أن بجانبه ومعه (فقرة ١٠)[1].

([1]) قارن –عزيزي القارئ– هذا بالتعليم الفاسد عن تواضع أنطونيوس للشياطين، الذي عندما اعترض الراهب دانيال

سيقول المأجورون إن ما ذُكر في سيرة العظيم أنطونيوس هو خاص بالأنبا أنطونيوس وحده .. هذه هي كذبة الشيطان نفسه؛ لأنه أراد -بالكذب- أن يجعل الرب يسوع صامتًا لا يتكلم، بعيدًا في السماء يراقب فقط، لا يشاركنا حياتنا.

تلك مأساةُ جيلٍ سقط تحت حصار الانفصال عن الرب يسوع:

كيف تم فصل الرأس عن الجسد، أي المسيح عن الكنيسة جسده:

لم يكتب بشكل مباشر أن علاقتنا بالرب يسوع قد انتهت بالصعود، وأنه عاد إلى المجد الذي كان له قبل تجسده، ولكن كان التدمير كان يتم في بطءٍ غير ملحوظ، وبشكلٍ غير مباشر مثل عمل البكتريا أو الفيروس في جسد الإنسان، يدمر الخلايا بما فيها جهاز المناعة، والمريض لا يعرف. مثلما ذكره رسول الرب أن الشيطان يغيِّر شكله إلى "شبه ملاك نور" (٢كور ١١: ١٤)، فكيف تم هذا التدمير؟

١- الصمت إزاء حقيقة أبدية، وهي أن الكنيسة جسد الرب فعلًا وليس رمزًا أو تشبيهًا.

٢- حصار السر المجيد بالممارسات الجسدانية مثل غسل الأسنان .. والصمت المطلق إزاء حقيقة اتحادنا ووجودنا في المسيح يسوع.

٣- نقل موت الرب وقيامته إلى دفتر التاريخ، واعتبار أن يوم الجمعة الكبيرة هي جمعة "دفع ثمن الخطايا" وإرضاء العدل الإلهي .. الخ من عبارات تضع رب الحياة في سجن التاريخ.

٤- فصل عمل الروح القدس عن عمل الرب (المخلص) واعتبارهما عملين مختلفين تمامًا، بينما حسب التسليم الكنسي أو الليتورجي، الروح القدس يُستدعى

البراموسي عليه، طرده من الكنيسة المطران العلامة؛ لأن ما كُتِبَ عن تواضع أنطونيوس للشياطين، كان فقرة في قصيدة شعرية لأستاذ الأنبا بيشوي، الأنبا شنودة، وهي قصيدة ترددها -للأسف- كنيسة أُم الشهداء في تسبحة كيهك.

في كل صلوات الكنيسة لكي يعطي لنا أسرار أو سر المسيح.

٥- نقل موضوع الروح القدس من عمله كأقنوم يسكن فينا إلى مجرد حلول يعطي المواهب.

وماذا تبقى بعد ذلك، إذا تذكَّر القارئ أن الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس تحول إلى الوجود والعقل والحياة، ولم يعد الثالوث أقانيم، بل صفات هي في الواقع صفات الكائن الإنساني الحي الذي لا يمكن أن يكون إنسانًا إلا إذا كان له وجود وعقل وحياة.

تلك هي صحراء الاغتراب التي تجعل المطران يجرد قلمه واتباعه ليكتب ضد اختبار رجل عاش في المسيح، ربما لو كان في دير آخر غير دير الأنبا مقار، لنال الكتاب اهتمامًا آخر.

ويبقى علينا أن نرسم إطارًا فكريًا للمطران.

الإطار العقلي لفكر وتوجهات المطران:

لا أدري كيف يمكن تصنيف ما كتبه المطران عن علاقة الراهب الإسقيطي فليمون بالرب والمخلص، هل هو نقص، أو انعدام الخبرة والاختبار، وجهل بالحياة الأرثوذكسية؟ والجواب بالإيجاب، هو كل ذلك.

هل من باب الكراهية والبغضة لمن جمع رسائل الراهب، لمجرد أنه جورج بباوي الذي يزعجه؛ لأنه حُرِمَ من شركة الكنيسة بلا سبب، وهو ما جعل المثل الشائع "يكاد المريب أن يقول خذوني"، ينطبق عليه هو، إذ يبرر كل أو بعض ما في جعبته من أكاذيب وتزوير؟ .. والجواب هو أيضًا نعم.

لكن، ألا يدري أنه يحارب الرب نفسه في أشخاص الذين يطاردهم دون هوادة؟ هو لا يدري ذلك؛ لأن الكنيسة عنده قد اختفت من الواقع الإلهي نفسه، فهي ليست جسد المسيح، وربما هو ضحية نظرية الأجساد الثلاثة التي نشرها

أستاذه، ويدافع عنها هو.

ألا يعرف أن ملف العقيدة ملفٌ مفتوح لا يمكن لأي قوة في الأرض أن تغلقه؟ فهل تعلَّم أن أباطرةً حاربوا الإيمان النيقاوي، وعجزوا عن تدميره، ليس فقط بسبب شهادة ومثابرة معلمي الكنيسة، بل لأن العقيدة، وبالذات ألوهية الرب يسوع، هي "سدى ولُحمة" الحياة الكنسية الأرثوذكسية؟ تُرى هل سيتخلى عن التنزيل لكي يؤمن بالتسليم، وبسماع صوت الرب الذي قال لنا إن من يحبه يسوع سوف يُظهر له يسوع ذاته (يوحنا ١٤: ٢٢)؟

التدبير الإلهي وحياة الشركة:

يقود رأس الجسد، ربنا يسوع المسيح، الكنيسة في وسط أعاصير كثيرة. فقد تكلم الرب في المجامع المسكونية نيقية ٣٢٥م والقسطنطينية ٣٨١م وأفسس ٤٣١م، وعلى ألسنة المعلمين. الأرثوذكسية لا تحيا بالتنزيل الذي يعقبه الصمت؛ لأن ما بعد التنزيل هو الشريعة، ولكنها تحيا باستعلان الثالوث، وتحقيق هذا الاستعلان في حياة الشركة، شركتنا نحن في "الآب وفي ابنه يسوع المسيح" (١ يوحنا ١: ١-٣).

ويحدِّثنا الرب يسوع بالمثال، فالتجسد وإخلاء الذات هو حديثٌ شخصي ينزع من كل لغة ومن كل كلماتنا، القدرة على التعبير عن أعماق الألوهة التي لا يمكن لأي لفظ أن يعبِّر عنها. أمَّا الصَّلبُ، فهو لحن المحبة الأبدية الغافرة، وهو موسيقى الألوهة الفائقة التي نسمع فيها المحبة بلا سبب، وقبول غير المستحقين، والبذل الذي وصل إلى أبواب الموت ودخل إلى الموت لكي يسبيه. وعندما قال الرب يسوع إن الروح القدس سوف يعمل فينا ويحكم على الفهم الزائف للصدق (بر الله)، وعلى عجز الدينونة عن أن تُحيي الأموات، وعلى قوة الإيمان التي تُبطل مشورة الفكر المحدود بالاختبار الآني المؤقت الذي لا يرى ولا يقبل قوة وجمال وديمومة الحياة الآتية (راجع يوحنا ١٦: ٨ - ١٦).

ليست شركتنا من طرفٍ واحد، هو نحن، والطرف الآخر صامت، بل شركتنا في الذي أعطى لنا "موهبة النطق" لكي تسكن فينا "كلمة المسيح بغنى" (كولوسي ٣: ١٦).

ونقل إلينا الرب محبته في أناشيد وألحان الكنيسة، وهو ما تؤكده عبارة رسول المسيح لأنه بعد أن كتب: "لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى"، أضاف: "وأنتم بكل حكمة معلمون ومنذرون بعضكم بعضًا بمزامير وتسابيح وأغاني روحية بنعمة مترنمين في قلوبكم للرب" (كولوسي ٣: ١٦)، وخاتمة الفقرة عند بولس نفسه: "وكل ما عملتم بقول أو فعل فاعملوا الكل باسم الرب يسوع شاكرين الله الآب به" (٣: ١٧)، فوضع بذلك رسول الرب، الشرح الرسولي لكلمات الرب "أنا هو الكرمة وأنتم الأغصان" (يوحنا ١٥: ١).

قارنين الروحيات بالروحيات (١كو ٢: ١٣):

ما أعظم الفرق بين مقارنة مسحة يسوع في الأردن وحلول الروح القدس على الخبز والخمر في القداسات، وبين استهتار أسقف الإسكندرية بحقائق الإيمان عندما يضرب حقيقة بأخرى، مثل قوله: لو أن الكنيسة جسد المسيح، فهل تأكل نفسها في الإفخارستيا؟

إن ما غاب عن جيل الـ ٤٠ عامًا الماضية هو التسليم الكنسي، وهو حسب عبارة رسول المسيح: "نحن لم نأخذ روح العالم بل الروح القدس من الله" (١كو ٢: ١٢). ولكن ذلك الروح غائب؛ لأنه تحوَّل عند أساقفة الأنبا شنودة إلى قوة وطاقة فقط، وليس الله نفسه، ولذلك يتم قول الرسول: "الروح الذي هو من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله. التي نتكلم بها أيضًا لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية (تلجأ إلى حيلة هل هذا معقول؟)، بل بما يعلمه الروح القدس قارنين الروحيات بالروحيات" (١كو ٢: ١٢-١٣). ولعل بقية عبارات الرسول هي رد الرسول نفسه على الأنبا بيشوي: "الإنسان الطبيعي – الذي يحيا حسب آدم

الأول – لا يقبل ما لروح الله؛ لأن عنده جهالة" (١كو ٢: ١٤)، ولذلك تركنا الحكم للرسل والرب نفسه مُعلن نفسه لمن يحبه، أما هذر وسخافات المطران، فحُكمُ الربِّ عليها هو الأهم.

حواراتٌ في تدبير المبتدئين[1]

هذه السطور والصفحات نُقلت من أحاديث مع شيوخ الرهبنة. جُمعت في الفترة ما بين ١٩٥٩-١٩٦٤ وفي بعض الفترات المتأخرة أيضًا، وقد تركتُ الأسماء عن عمدٍ؛ لأن الأسماء ليس لها أهمية، والأهم من كل الأسماء هو التعليم. قد ترى فيها ملامح أبونا مينا المتوحد، أو أبونا فليمون المقاري، أو أبونا متى المسكين، ويقين القارئ هو المرجع.

لا يوجد ترتيب للموضوعات المطروحة؛ لأن كل حوار كان يتم بشكل عفوي غير مرتَّب، ولذلك تجد أن الكثير من العبارات قد دوِّنت بالعامية المصرية حفاظًا على تلقائية الحديث وحميميته، وكان التدوين يتم في نفس اليوم، أي أنه تم نقل التعليم كما سمعته. وفي تعليم الشيوخ (بستان أو فردوس الآباء) تجد العبارات التالية: قال شيخ، أو قال الأنبا أنطونيوس، أو الأنبا بيمن، أو يوحنا القصير. هذه الأقوال نُقلت من الذين سمعوها وعاشوها ثم دُوِّنَت. ولكن هنا يتم التدوين بعد السماع بساعات، وكان التدقيق ضروريًا. صحة التعليم أهم من كل الأسماء ومرجعية التعليم هي الأسفار والتسليم الكنسي في كتب الصلوات الأرثوذكسية.

---

(١) مقالات نشرت على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في الفترة من إبريل ٢٠١٦ وحتى ديسمبر ٢٠١٦.

-١-

الحياة الأرثوذكسية

كيف أحيا الحياة المسيحية الأرثوذكسية؟

+ الجواب: عليك أن تكون على حذر من أن تسعى وراء كَمٍّ من المعلومات، أو تظن أنك بالتوسع في القراءة تكون قد وصلت إلى معرفة الحق. كن على حذر من أن تسقط في فخ الكم؛ لأن الكم فيه إغراء شديد يمس حب الفضول، ويمس أيضًا شيئًا دقيقًا جدًا في النفس، وهو الخلاص بواسطة المعرفة.

حتى الصلاة لا يجب أن تكون حسب الكم.

يعني تقول لنفسك النهاردة أنا صليت ساعة، أو صليت ١٠ مزامير، المحبة الحقيقية لا تعرف الكم، ولا تزن أي شيء بميزان الكم. ولذلك قال ربنا يسوع المسيح إن كأس ماء بارد هو عطية محبة، واعتبر أن مجرد زيارة مريض هو عمل محبة. حاسب على نفسك من الكم ودوَّر (ابحث) عن النوع. ما هو نوع محبتك للرب؟ يعني فيه (هناك) شخص بيحب الرب يسوع محب البشر كسيدٍ غضوب قاسٍ، ولا يرضى هذا الشخص بنعمة التبني بل يصلي كعبد إلى أن ينوِّر ربنا يسوع قلبه وفكره، ويحس (يشعر) قلبه بمحبة الرب يسوع، ويتعلم من المحبة إزاي (كيف) يصلي كابن. علشان كده عاوزك دايمًا تفكر في أول خطوة في التدبير، وهي محبة البشر. هو اللي (الذي) جاء إلينا، وهو اللي طلبنا، وهو الراعي الصالح الذي يقود الخراف، والثقة في محبة الرب محب الخطاة، أي محب البشر.

أنا على قد (حسب) فِهمي عارف إن محب البشر تعني محب الخطاة؛ لأن لا يوجد واحد قدوس وكامل إلَّا ربنا يسوع.

اوعى تقول إزاي (كيف) أوصل لمحبة الرب؛ لأنك لو بديت بهذا السؤال

هتوه وتفقد الاتجاه الصح، المحبة لا تحتاج إلى بحث، هي بذرة كامنة في كل قلب تلقاها في محبة الأكل ومحبة اللبس ومحبة المديح ومحبة المعرفة، وليها أشكال وأنواع، لكن تنوُّع هذه الأشكال لا يجعل للمحبة أنواعًا كثيرة. هي زي نار، وكل رغبة في قلب أي واحد منا تأخذ شرارة علشان تغذي شهوة أو فكرة أو عمل. الكلام ده صعب عليك؟

قلت: لا، بل سهل وواضح، ولذلك ابتسم في وداعة.

فقال لي: الإنسان خُلق لكي يُحب، ولما المحبة بتضل الطريق وتروح وراء أشياء غير نافعة تتسجس (تتلوث) المحبة وتبعتر (تبعثر) قوتها وتروح في كل اتجاه، فتفقد قوتها زي مية، بدل ما تجري في مجرى واحد، انقسمت وراحت في أكثر من مجرى وضاعت ومحدش قادر يلاحظها. لاحظ أن هذه القوة الخفية اللي فيك هي حسب الطبيعة، ولذلك قال الرب: "أحب قريبك كنفسك" يعني محبة القريب تبدأ من محبة الإنسان لنفسه، وتفضل حية طالما الإنسان بيحب نفسه.

واحنا قاعدين هنا في القلاية، لو أنا معنديش محبة، مكونتش قبلتك، ولو أنت بلا محبة مش هتيجي هنا عندي. لكن يا أخ، المحبة الإنسانية دي هي الأساس اللي عليه بيشتغل الروح القدس، واللي فداه الرب يسوع من سلطان الموت، وحرره من الدينونة وسطوة الخطية.

كل عمل للروح القدس له أساس في طبع الإنسان، ولو مافيش أساس يضع الروح القدس هذا الأساس.

سألته أن يشرح هذه النقطة بالذات، فنظر إلي ثم أحنى رأسه أمام الرب كعادته وقال:

الإنسان عنده ذكاء، ولكن الذكاء موش ضروري يكون فيه إفراز، ولذلك يضع الروح القدس نعمة الإفراز. الانسان عنده شجاعة، وتلاقيها واضحة جدًا في دفاع الإنسان عن نفسه، ولكن معندوش شجاعة أمام الموت، ولذلك يضع

الرب يسوع قوة الصلب والقيامة، ويثبِّت الروح القدس هذه القوة لكي يقبل الإنسان الموت، وهكذا قَبِلَ الشهداء العذاب والموت من أجل الرب. الإنسان يحب الأفضل والأعظم والباقي والدائم، وهي (ملامح وصفات) بحث الإنسان عن الأبدي، ولذلك ينير الروح القدس قلب الإنسان لكي يرى أن الباقي والأبدي هو سُكنى الثالوث فينا "إليه نأتي وعنده نصنع منزلًا". لابد أن نبدأ بما هو موجود فينا لكي ينمو، وهو لن ينمو إلا بالمحبة.

سألته: لماذا المحبة؟

فقال: المحبة هي قوة طبيعية في النفس، ومن النفس ينال الجسد نفسه ذات القوة. هي التصاق وطلب، بل واتحاد. تأمَّل قول الرب نفسه: "يترك الرجل أباه وأمه"، أي الأسرة حيث ولد وعاش، ثم: "ويلتصق بامرأته ويصير الأثنان جسدًا واحدًا". وقد أضاف رب المجد شرحًا وافيًا وموجزًا: "وما جمَّعه الله لا يفرقه إنسان"؛ لكي يمنع اقتحام أي غريب لهذه العلاقة التي صُهرت في أتون نار المحبة. لكن يا أخي المحبوب، المحبة التي تجمع الكل هي محبة الإنسان لنفسه التي يفتديها الرب يسوع، ويفتح عملها على الآخر. ولذلك، عندما يتقدس الإنسان بالروح القدس، تتحول قوة المحبة إلى قوة لا يقف أمامها أي شيء، ولذلك قال سليمان: "المحبة قوية مثل الموت"، ولكن في بركة العهد الجديد، صارت أقوى من الموت، لأنها دفعة القيامة، هي محبة غير قابلة للانحلال، أقصد الموت، هي محبة نالت قوة الرب يسوع نفسه، ولذلك هي محبة مثلثة: الذات مركزها، ولكنها تطلب الآخر، وتبقى في المسيح، أي الذات والآخر والمسيح رب المجد.

سألته: إذن البداية هي المحبة، وماذا عن صلوات السواعي والتسبحة والقداسات؟

قال: هذه هي قصر الملك، لا يدخلها إلا الأحرار، وفيها عرش الثالوث وإشعاع نور الحياة من الابن ربنا يسوع المسيح، وبمعونة ونعمة الروح القدس.

لعل أعظم أخطاء التدبير في جيلنا هذا، هو أن هذه القصور الملكية تحولت

إلى عِشش شحاتين (شحاذين) لأنها فُرضت بالقوة، وصارت فرضًا وقانونًا، فتحولت من مجد الملك إلى عِشة صفيح؛ لأن الذي يدخلها لا يرى فيها إلا الفقر، بينما هي ذهب وأحجار ثمينة. لم نعلِّم الناس كيف تحتوي هذه القصور الملكية على جمال وقوة ومحبة الثالوث.

سألته: أريد شرحًا مستوفيًا من أجل نفسي.

قال: معك كل الحق. صلاة المزامير هي متنوعة من طلب الرحمة إلى الصراخ والدموع إلى طلب معونة الرب. وكان يجب أن نعلِّم الشعب كيف يختار المزامير حسب احتياجات الحياة. أنا أحب مزمور ٥٠ "ارحمني يا الله"؛ لأنه طلب رحمة واغتسال من نجاسة الخطية، وهو الاغتسال الذي يفعله روح الحق فينا لكي يطهرنا نحن أبناء الله. ولكن إذا تحول هذا إلى فرض، وأصبح من الواجب تلاوة المزمور ٥٠ لمجرد التلاوة، خرج الإنسان من قصر الملك وتحول إلى عبدٍ متسول.

سألته: هل يعني هذا أن لا نتلو المزامير حسب ترتيب الكنيسة؟

قال: أنا لم أقصد هذا؛ لأنك تتحدث عن المنع التام، بينما أنا أتحدث عن الاختيار حسب الحاجة، والفرق كبير بين مَن لا يريد وبين مَن يختار؛ لأن الثاني لا زال في الكنيسة، أما الأول فقد خرج بره الكنيسة.

سألته: في بداية حياتي، منعني أبي الروحي من صلاة الأجبية، وطلب مني أن أصلي إيصاليات لاسم الرب يسوع كل يوم؛ لكي اتَّحد وألتصق بالرب.

قال: هو بلا شك إنسانٌ حكيم، ولابد أنك عُدت بعد ذلك إلى المزامير.

قلت له: نعم، لقد عُدت؛ لأنه قال لي: المزامير مثل مرآة للنفس، تكشف عن عيوب كامنة في النفس، وهي مثل سكين الطبيب يفتح بها خُرَّاجًا عفنًا كامنًا في القلب مثل خُرَّاج الخوف والتردد. الإبصاليات أهم من المزامير بالنسبة لكل مبتدئ؛ لأنها تزرع في القلب حضور ومشاركة الرب يسوع لحياتنا في كل الأمور، وعلى مدار الأسبوع.

اتحادنا بالرب يسوع هو بداية التدبير الصحيح، وهو الطريق؛ لأنك لابُد أن

تكون قد تذكرت أن الطريق هو الاسم القديم المهجور للرب نفسه. هذا ليس فرضًا، بل هو تدفق المحبة من قلب مَن يحب الرب يسوع. ولكن هناك في هذا الطريق صعوبات لا نراها، وعندما أكَّد الآباء الكبار على ضرورة "التغصُّب"، فقد كانوا يقصدون أمرين:

الأول: الانسلاخ التام عن معطلات الاتحاد؛ لأنها غير نافعة، وقد اخترت كلمة الانسلاخ عن قصد؛ لأن السلخ مُتعب وموجع.

ثانيًا: طلب الرب الدائم، ولذلك، الإبصاليات ضرورة، ليس كفرض، بل هي مثل شرب الماء وتنفُّس الهواء.

سألته: كيف يهرب الإنسان، أو كيف نقاوم الاقتناع بالفرض؟

قال: الفرض هو حكم الشريعة الموسوية، وهذا ليس له مكان في شركتنا مع وبالثالوث القدوس. الفرض يا أخي هو أنك ترى نفسك مذنبًا إذا لم تفعله، ولكن الاتحاد بالمسيح له ثلاثة أهداف:

أولًا: أن تفهم ذاتك في شركتك مع الرب نفسه؛ لأن أي تفهُّمٍ للذات بدون المسيح، قد يطوِّح بك خارج الشركة.

ثانيًا: أن يكون لديك الاقتناع التام بأن يسوع المسيح هو رب ومخلص الخطاة، وأنه هو يطلبك قبل أن تطلبه أنت، وهو الذي وضع فيك هذا الشعور الغامض بأن تطلبه.

ثالثًا: إن مصيرك ومصير الرب يسوع واحد، أي الملك والبنوة والحياة الأبدية. هذا اختيار أبدي.

سألته: عمليًا، كيف أبدأ وأنت قد وضعت المحبة كبداية؟

قال: البداية هي أنت، هي فيك، أي في قلبك. إنها ليست نظرية، ولا قانون. أنت البداية، ولذلك، كل ما لديك من قوى ومواهب هي الأساس. المحبة قوة داخلية عقلية، وليست شعورية فقط. هي أيضًا قوة الإرادة، وهي اختيار

المصير الأبدي، وهو ذات مصير يسوع: المجد الأبدي ووراثة الملكوت.

لا تبدأ بالخطية؛ لأن هذه البداية سيئة، وقد جعلت كثيرين لا يتقدمون، وظلُّوا على أعتاب الذنب إلى ان يشرق الرب عليهم بنور الحياة الجديدة.

قلت: ولكن بداية كرازة الرب في إنجيل مرقس هي: "توبوا وآمنوا بالإنجيل".

قال: نعم هذا حق، ولكن التوبة بالمعنى المسيحي لا بالمعنى الدارج غير المسيحي، وهو التحول وتغيير الفكر وقبول الخبر السار، أي الإنجيل وهو مجيء الملكوت.

يا أخي علينا أن نبدأ ما هو صالح بما هو صالح، لا أن نبدأ بما هو شرير أو فاسد لكي نصل إلى ما هو صالح ومقدس، أي أن نبدأ ليس بجراح الإنسان، بل بحركة الإنسان وقدرته على السير أو تناول الطعام. أما إذا بدأ الإنسان بعدم القدرة، يظل عاجزًا كل حياته. يعني إذا كانت يدك مجروحة، فإن وضع الأدوية ضروري، ولكن عدم الحركة يجعل اليد يابسة، وأنا أقصد إذا كان في القلب خطايا، فإن تحول الفكر، أي التوبة هو بحثٌ عن الحياة لا الوقوف عند وجع الجراح مهما كانت. طبعًا سوف تعود الجراح، ولكن لا يجب أن ننسى أن يسوع هو الشافي، ونحن نقول في الأوشية: "لأنك أنت هو طبيب أنفسنا وأرواحنا". النفس الجريحة عليها أن تتحرك بما هو صحيح، لا أن تجلس على أنهار بابل وتذكر تسابيح صهيون، وتمتنع عن التسبيح في "أرض غريبة".

قلت: اذن لماذا نصلي هذا المزمور في الأجبية؟

قال: نحن لا نجلس على أنهار بابل إلا إذا كنا بعيدين عن الرب، ولكن المزمور يذكِّر بالغربة، والغربة هي هنا في هذه الدنيا التي ملأها الإنسان بالكثير مما هو غريب عن الله. اذهب إلى أي مكتبة ترى مئات الكتب، هل استطاعت هذه الكتب أن تمنع القتل والزنى والسرقة والكذب؟ أبدًا، ولكن نحن "الغرباء في هذا المكان احفظنا في إيمانك وانعم لنا بسلامك إلى النهاية". إن المزمور يذكِّرنا بما نحن

فيه بالمقارنة بالشعب القديم، وهي دعوة لكي نَفوق (نستيقظ). أعود فأقول ابدأ بما تحب وغربل (استخدام الغربال) ما تحب، ثم اختر ما يتوافق مع الرب، وعليك ان ترى، أي أن تفرز ما إذا كان اختيارك هو للرب أم لذاتك فقط. إن ما تحب يا أخي هو البداية، وما تحب لا يجب أن يكون الرب يسوع واحد من الذي أو الذين تحبهم هو الرب والسيد، والايمان الصحيح بأن يسوع رب، هو الايمان بأن تضع كل شيء تحت سلطانه. عندما نضع ما نحب تحت سلطان الرب، فإننا في الطريق، أي طريق الاتحاد، نكتشف ما هو ضروري وما هو غير ضروري، وبذلك نكون قد عبرنا من بوابة الفروض والشريعة والتقوى المزيفة إلى حرية أولاد الله.

-٢-

التعلُّم من المحبة

سؤال: إذا بدأ أيٌّ منا بالمحبة، فكيف تصبح المحبة منهجًا للنمو؟

الجواب: المحبة ليست عواطف ومشاعر فقط، بل إرادة وقرار وعزم والتصاق، وهي تبدأ بحمل الصليب، ولكن يسبق حمل الصليب، جحدُ الذات، وجحدُ الذات، أو إنكار الذات ليس كراهية الإنسان لذاته، بل هو تحديدًا:

أولًا: لا تصبح ذاتك هي مصدر حياتك؛ لأن كل متاعبنا تأتي من الوعي بأن الذات، أي ذاتي ووجودي هما سبب حياتي. والصحيح هو أن الذات يجب أن تُحب وأن يقبلها الإنسان كعطية من الله. مَن رأى ذاته، أي وجوده عطيةً وحياته هبةً من الله لا يسيطر عليه الغضب ولا تسود عليه الكبرياء.

ثانيًا: عندما نقرر أن نحمل الصليب، فإننا نسير مع الرب، أي يصبح هو الطريق -كما سبق وذكرت- أي نعيش بالتعليم الرباني بحفظ وصاياه؛ لأن الوصايا ليست فرضًا علينا، بل هي مثل الخريطة أو البوصلة تحدد لك الاتجاه.

قاطعته، وطلبت شرحًا أكثر.

فقال: يعني حِب قريبك كنفسك، وهي الوصية الثانية. عندما نفشل في حفظ هذه الوصية أو نتعثر، فإننا في النهاية نجد أن الفشل يكشف لنا عن خبايا وأسرار في قلوبنا ترسبت فينا دون أن ندري، أو أحببناها عن قصد وعزم.

ثالثًا: وجحد الذات هو تقديم الذات ذبيحة؛ لذلك قال الرب: "يحمل صليبه"، وهو تقديم دائم، يعني كل يوم. ده أي إنسان عاوز يبقى "تلميذ" للرب يسوع نفسه يعيش بنفس حياة الرب.

سؤال: ماذا تعني بالضبط؟

قال: أقصد أن الرب يسوع وضع حياته كلها في يد الآب، ووحَّد إرادته بالآب: "أنا والآب واحد" بالجوهر وبالإرادة. ولكن بالنسبة لنا نحن تلاميذ الرب المؤمنين به، نحن واحد معه حسب المحبة التي لا تنقسم. يا أخي، فيه كلام بطَّال، بل ومُدمر، وهو فصل أقانيم الثالوث، موش بس الروح القدس عن المواهب، كما لو كان فيه حاجة اسمها المواهب هي زائدة أو خارجة لا تنتمي إلى الروح القدس، ولكن الله ليس مستويات من المحبة. المحبة علاقة شخصية، ومحبة الثالوث لنا هي محبة واحدة، يعني محبة الآب للابن هي ذات محبة الابن لنا، ولا تنزعج بالمرة؛ لأن المحبة شركة، والشركة دي موش زي الكهرباء، تدوس على الكُبس، النور ينور، أبدًا، دي شركة شخصية ينال فيها كل إنسان على قدر نموه؛ لأن الثالوث مش حنفية ميه تتفتح، وكل اللي عاوز ياخذ. لأ، دي شركة، وكل واحد على قد رغبته وعزمه في التنازل عن الذات.

سؤال: عاوز أرجع لأول الحوار، كيف تنظم محبتي للرب يسوع، حياتي؟

فقال: إذا كنت بتدوَّر على قانون، لازم يكون واضح عندك إن المحبة لا تعرف القوانين. اِقرأ (١كو ١٣: ١-١١) وحاول تطلَّع لي قانون. يعني مثلًا: "المحبة لا تطلب ما لنفسها"، حُطَّها كده في قانون، تبقى مش محبة، بقت سلسلة، ولما نفقد الحرية، نفقد المحبة. لا محبة بلا حرية، لأن المحبة بذل، فإذا دخل الإرغام والقهر عليها، لم تصبح محبة. عاوز أقول إن ما ذكره رسول الرب في (١كو ١٣: ١-١١) عن المحبة هو أيقونة لفظية عن الرب يسوع نفسه، يعني أيقونة مرسومة بالكلام. أرجع أقول لك أربعة أركان التدبير الخاص بالمحبة:

الأول: المحبة اختيار حر.

الثاني: المحبة ليس لها شروط ولا أسباب.

الثالث: المحبة عطاء بلا قيود، وهو عطاء حر.

الرابع: المحبة شركة كاملة لا تعرف فواصلَ أو موانع.

يا أخي المحبة اختيار حر بلا ارغام.

سؤال: وماذا تقول عن التغصُّب؟

الجواب: سؤال جيد لأن التغصُّب هو اختبار المحبة لِمَا هو أفضل، وهو يُسمى تغصُّب لأن أحيانًا نرى الأفضل، ولكن الضعف الذي فينا يريد أن يحولنا عن الأفضل. ولذلك، يُلزم الإنسان نفسه بما هو ضد مشاعره، يعني مثلًا: "أحبوا أعدائكم"، بالطبع لدينا عواطف تحاول أن تجعلنا ننتقم أو ننال "حقنا"، ولكن يجب أن نلاحظ أن من يعارض عدوه بكراهية لا يختلف عن العدو، يعني ذات العداوة اللي في قلب العدو هي ذات العداوة اللي في قلبي، يعني أنا مش أحسن منه.

زمان سمعت من الشيوخ حكمة ولم أفهمها إلا بعد سنوات: "حِب عدوك علشان تعرف تقاومه بالمحبة"، وعَبَرت الحكمة، وجاءت سنوات كنت فيها مُطَاردًا ومحرومًا، وبدأت أكشف أسرار قلبي للرب يسوع، يعني لو أنا هَكره إللي جردوني من الكهنوت مهما كانت الأسباب، هبقى زيُّهم، ولكن أقاوم العداوة إزاي؟ حبست نفسي، وطلبت إرشاد الرب نفسه، وتذكَّرت الحكمة اللي سمعتها، وكانت النتيجة هي أنني بدأت أكتب عن الإيمان، وعن شخص الرب يسوع، وعن الموت والقيامة، وبدأت أتمنى أن يذوق الذين يطاردونني ما أذوقه أنا من حلاوة هذه المحبة التي أشرقت في قلبي، وأنا موش باتكلم عن الكتب والمطبوعات، أبدًا دي كلها جاءت مثل مخاض المحبة. دخل سيف العداوة في قلبي علشان يكشف لي خبايا قلبي، ولم أجد لي خلاصًا إلا ربنا يسوع المسيح، وخدمة الأخوة كانت تعزية ولا تزال، ولكن التعزية الأبدية هو إنه انكشف لي عمق هاوية الكراهية، وبدأت المقاومة الايجابية بالكشف عن شخص الرب يسوع.

أنا موش عاوز أسيِّبك الأركان الأربعة؛ لأن المجتمع لا يعرف أن المحبة ليس لها شروط ولا حتى أسباب. الله يحبنا محبة بلا أسباب؛ لأن الله محبة. طيب، والانسان هو موش ممكن يكون محبة زي الله؟ حقًا، الإنسان مضروب بالموت، والموت هو

اللي بيضع الشروط والأسباب.

سؤال: شروط زي إيه؟

الجواب: يعني في عبارة الرب يسوع المسيح نفسه: "إن احببتم الذين يحبونكم، فأي أجر أو ما هو الهدف الأعظم أو الغاية التي تريدونها، أليس العشارون والزناة يحبون من يحبهم". المحبة التي لها شروط هي محبة وضعها الموت فينا، وصارت محبة مشروطة بما يراه الإنسان فائدة لنفسه. وشروط المحبة تلاقيها عندك في محاضرات اللاهوت النظري عندكم.

الله لم يرسل الابن بشروط، بل جاء وأكمل التدبير وصار يدعونا إليه. التوبة تأتي بعد الإيمان والقبول، وهي جزء من الإيمان، وهي ليست شرطًا، هي تحول الإنسان إلى طريق الحياة. طيب، هتقول إزاي ده ينظِّم حياتي؟ أقول لك: كما أن للمحبة أربعة أركان، فالتدبير الخاص بالمحبة له أيضًا أربعة أركان:

الأول: كل شيء شراكة في المسيح ومع المسيح وبالمسيح.

ثانيًا: رفض كل العادات والمُثُل التي تسود المجتمع، وطلب المثال الواضح والحقيقي، وهو يسوع نفسه.

ثالثًا: كل تفكير في احتياجات الإنسان لازم يكون من باب المحبة. دي "لزومية المحبة" موش قانون، لازم تعرضها على الرب حتى لو كنت هتشرب كوباية ميَّه، موش لأنك مستني تصريح أو استعلان، أبدأ، ولكن لأنك بتطلب إنك موش هتكون وحدك، وحتى لو نسيت، بحكم العادة، فَدَه موش خطية ولا شر، هو تربية الوعي المحصن في محبة الذات.

كنت أعرف واحد من الشيوخ، حتى لو راح دورة الميه، كان يقول يا يسوع عن إذنك، أنا داخل الحمام، ومرة سمعه واحدٌ من الأخوة، وظن إنه اتجنن، فقال له الشيخ وقد عرف فكره: لو تعرف محبة يسوع ليك متقدرش تعمل شيء من غيره.

رابعًا: التخلي التام عن كل ما تظن إنه لك من ملابس وكتب وأموال؛ لأنها ليست ملكًا لك وحدك، بل هي ملك لك وليسوع، الشريك في حياتك والواهب لك الحياة الأبدية.

وبعدين كل مرة هتلاقي صعوبة، أوعى تفكَّر إن المسيح سابك أو تخلَّى عنَّك، أبدًا، هو معاك وفيك دائمًا. هذا ليس شعور، ولا هو عاطفة في القلب، هو اقتناع وعزم من الإرادة بانك لست وحدك، ولا إن حياتك مِلك لك. هذا يأخذ زمانًا، وعندما ننضج، يمنحنا الرب الحضور والحلول الدائم فينا.

سؤال: لم تذكر لي شيئًا عن الصلاة.

فقال: ولماذا أذكر موضوع الصلاة برمته. مَن يحب، لا يحتاج إلى أن يذكر له أحد أو يتذكر مَن يحب. هو يحيا في حياة شركة، قال عنها الرسول القديس بولس: "شركاء المسيح" (عب ٢: ١٤)، ثم بعد ذلك "شركاء الروح القدس" (عب ٦: ٤)، وهي شركتنا في الابن. يا أخي، لنا وجود أبدي في المسيح. أولًا: لأنه أخذ الطبيعة الإنسانية، فصار بكرًا بين أخوة كثيرين. وثانيًا: لأنه هو الذي يدعونا إلى أن نشاركه حياته. التجسد ليس من أجل الآب أو الابن أو الروح القدس، بل كما يذكر قانون الإيمان: "هذا الذي لأجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد ..."، لذلك علينا أن نرى هذا الاتحاد بشكل صحيح وسليم.

الصلاة هي رؤية هذا الاتحاد، وهي سعي دائم لكي يتحقق فينا في الواقع الإنساني الذي نعيشه. هذا الاتحاد هو نمو، ولكن يبدأ بأننا "واحد مع الرب" بالروح وبالجسد أيضًا، ولذلك، عندما ننمو نحو هذا الهدف الأبدي، فنحن لا ننمو طالبين هدفًا خارجيًا زائدًا، بل ننمو داخلنا نحو الرأس، أي يسوع المسيح؛ لأن الرسول يقول "إننا قد مُتنا وحياتنا مستترة، أي داخلية غير منظورة ولا تقاس بما هو منظور، حياتنا مستترة مع المسيح في الله" (كولوسي ٣: ٢).

سؤال: إذن كيف أُصلِّي؟

فقال: الصلاة هي عودة الذي يُصلِّي إلى الأساس، إلى يسوع الذي فينا. وهنا، تلاوة المزامير أو الصلوات، هي كشفٌ عمَّا في الحياة، هي ليست مقيَّدة بالنصّ، بل تبدأ بالنص. أعرف أخًا كان في القداس، وسَمِعَ الكاهن يقول: "اهدنا إلى ملكوتك"، فوجد نفسه في ملكوت الله، ورأى القوات السمائية حول الابن الوحيد وامتلأ بالفرح. الكلمات هي التي تقود الوعي إلى ما هو كائن فعلًا.

سؤال: لكن هل هذا ينطبق على صلوات المزامير؟

الجواب: نعم؛ لأن هذه الصلوات هي صراخ القلب المجروح، وطلب المعونة، والتسبيح، ورؤية عمل الله في الخليقة، واستغاثة للنجاة من مؤامرات الناس وقتال الشياطين لنا. كان لدينا تسليم أظن أنه لا زال معروفًا، وهو تلاوة مزمور ٩١ "الساكن في ستر العلي" قبل النوم، رغم عدم وجود هذا المزمور في صلاة النوم، أو صلاة نصف الليل، لكن الحرص على اختيار ما هو ضروري للنفس في يوم أو في لحظة معينة، هو أهم من التلاوة؛ لأن التلاوة هي أشبه بمن يحرك أوتار القيثارة قبل أن يعزف اللحن. والمزامير هي الحان القلوب الأسيرة.

سؤال: هل هذا الاختيار الضروري غير مقيَّد بالترتيب الكنسي؟

الجواب: يا أخي أنت تحتاج إلى استنارة. الترتيب الكنسي مدرسة كبيرة عاش فيها مَن هم أعظم مني ومنك، أنطونيوس الكبير، وأب الشركة باخوميوس، وهؤلاء لم يكونوا عبيدًا، بل أبناء الله الأحرار. لذلك، إذا كنت في ضيقة وصرخت إلى الرب: "بصوتي إلى الرب صرخت"، أو "الرب نوري وخلاصي"، وكان وقت المساء، هل أنت خرجت على الترتيب الكنسي، أم لا تزال تحيا فيه؟ بل يقيني أنت لا تزال تحيا حسب الترتيب؛ **لأن الترتيب له غاية، وهو الاتحاد بالرب يسوع. لذلك، الغاية هي هدف الترتيب الكنسي**؛ لأننا لسنا تحت ناموس موسى، بل من الترتيب الكنسي تأخذ دائمًا وبحرص المحبة، ما هو ضروري في لحظات معينة، ولعلك قرأت كيف كان النساك يرددون دائمًا: "اللهم التفت إلى

معونتي"، أي عبارة واحدة من المزمور، وليس المزمور كله. مَن عاش بالمحبة، تعلَّم حرية المحبة، ومَن عاش بالشريعة، وقع في قيود الشريعة.

سؤال: لم تخبرني عن كيفية الصلاة.

الجواب: لن أُخبرك؛ لأنك يجب أن تدخل أعماق قلبك وترى محبتك، هل هي حيَّة تحرك إرادتك، أم أنك إنسان تعيش بالفكر وحده، وهي تجربة كل المبتدئين الذين يفتشون عن أفكار تحرك عواطفهم الخامدة. مَن يحيا حسب فكره يسقط سريعًا في برودة القلب، ولكن من يحيا بالإرادة، عالمًا أن حياته محفوظة ثابتة في صخر الدهور ربنا يسوع المسيح، سوف يجور بحر العالم بسلام.

سؤال: أرجو أن تقدِّم لي مشورة، بلاش قانون عن الصلاة.

فقال: كلمة قانون ليست عيبًا، ولا هي جريمة؛ لأنها أصلًا تعني الدَّفة التي تحرك السفينة، وهي من القلم الذي يكتب ما هو صالح وضروري. ولكن، في التقوى الحقيقية، القانون هو تحديد اتجاه وليس شريعة، بمعنى إنك تحدد هدفًا، لا أن تمنع؛ لأن الشر ممنوع بالوصايا الإلهية، ولكن القانون هو الذي يشرح لنا اتجاه الحياة. ما يمنعه القانون هو ما يعطِّل الحياة، ولا يوجد لدينا قانون صدر في مجمع مسكوني أو مكاني عن الصلاة، بل نَمَت الصلوات في داخل الجماعة المسيحية، وأصبحت القوى الحقيقية لحياة الشركة، وهي لذلك تحتوي على ما هو ضد الهرطقات، وعلى التسبيح بما هو إلهي، وعلى كل احتياجات الإنسان للاتحاد بالرب يسوع بقوة الروح القدس.

المشورة هي أن تختار ما يمكن أن تمارسه، وأن يكون الاختيار ليس حسب الاستحسان وحده لئلا تسقط في بئر إرضاء الذات، واعتبار إرضاء الذات هو الحياة، ولكن الاستحسان حسب الاحتياج، يعني أن يكون اختيارك بالإفراز أو التمييز. مثلًا: أن تختار المزامير أو صلوات التسبحة في أثناء العمل، أو في أي وقت من أوقات النهار. كان لي صديق جراح مشهور، وجاء عندي وقال إنه لا يصلِّي بالمرة، وإنه حزين جدًا، فسألته: هل يوجد لديك ولو دقيقة واحدة لتقول

فيها: "يا ربي يسوع المسيح ارحمني"؟ لا بُد وأنت حُر من أي عمل، ولو ٥ دقائق، لماذا لا تصلي صلاة يسوع؟ وجاء بعدها بأيام فرحًا، فقد وجد أن صلاة يسوع دخلت وملأت فراغ قلبه.

أرجو أن تلاحظ ما يلي، وأن تكتب هذا حتى لا تنساه:

أولًا: الصلاة هي نشاط المحب الذي يبحث عن المحبوب. هي إن شئت، سعي المحبة

ثانيًا: الصلاة هي أن يكون لديك معرفة حقيقية بما تحتاجه.

هي ليست اندفاعًا غامضًا نحو الرب. وفي أثناء الصلاة، في الخدمة الإلهية، القداس الإلهي، يوجد فرق بين مَن يصلي لأن الثالوث يخدمنا، وبين مَن يخدم الثالوث. نحن ننال خدمة الثالوث لنا، وأعظم ما في هذه الخدمة، هو أن يعطي لنا الرب يسوع حياته، أي جسده ودمه.

سؤال: كيف أُصلِّي إذا كان المسيح في قلبي، بينما الكلمات تؤكد أنه خارج قلبي أيضًا؟

الجواب: نعم، في القلب، وخارج القلب؛ لأنه الإله المالئ السموات والأرض، هو فيَّ وفيك. كان أبونا ميخائيل إبراهيم يقول دائمًا: "بيك البركة"؛ لأنه كان يطلب حضور الرب. يا أخي المحبوب، الوعي الإنساني مكون من ثلاث طبقات متلاحمة، أي متصلة:

+ الوعي بالذات، وهو شعور الإنسان بوجوده.

+ الوعي بما في القلب من تيارات وعواصف وصراعات.

+ الوعي بما نريد وما نحتاج.

هذه لا تنقسم، بل هي متحدة، ولكن يجب التمييز العقلي من أجل الوضوح. لذلك، نحن على وعي أن الرب فينا دائمًا، ومن ثمَّ نصلي ليس كمن

يطلب من هو غائب، بل من يطلب من هو حاضر، ولكنه غير محسوس، يعني ليس محددًا بحواس الجسد الخمسة، ولكنه حاضر وكائن بما يمكن أن نقول إنه الحاسة السادسة، ولكن ليس بالضبط. لدينا حس روحي هو أقرب إلى "الحدس" بحضور الرب، وبسبب هذا الحضور، نكلم الرب كآخر؛ لأن تمايز الرب كآخر، ضروري جدًا لنمو الإيمان به ربًا ومخلصًا. المسيح يسوع حقًا فينا، ولكنه لا يذوب ولا يصبح مثل أعضاء الجسد، هو متمايز عنا تمامًا، وهو ما يجعلنا نخاطبه، ليس كمن هو بعيد أو غريب أو غائب، بل كمن نعود إليه. وأقرب تشبيه لديَّ هو أننا عندما نقابل شخصًا ما نحبه، فإننا نراه كآخر، ونسرع إليه ونأخذه في الأحضان، وفي الحضن، لم يعد هذا الشخص غريبًا أو بعيدًا، بل ملتصقًا بنا. ولكن، يجب أن نكون على حذر؛ لأن الرب كائن فينا، فهو ليس غريبًا أو مثل الصديق الغائب الذي قبّلناه. المسيح فينا في السلام وفي الفرح وفي معرفة الآب، حتى لو كانت شحيحة، وفي فاعلية المحبة.

عندما تتحدث مع نفسك، هل انقسمت نفسك إلى قسمين؟ أبدًا. النفس لا تنقسم رغم أننا عندما نصارع فكرةً أو شهوةً، يبدو لنا كما لو كنا اثنين، ولكن هكذا خلقنا ليكون في الطبع نفسه القدرة على الحوار الداخلي مع أنفسنا؛ لأن الرب يُستعلن في هذا الحوار. وعندما يقول القديس الرسول بولس: "المسيح فيكم رجاء المجد"، فهو لا يقصد رجاءً خارجيًا، بل ما نرجوه ونراه إلى أن يكمل في يوم مجد الرب يسوع المسيح.

-٣-

محبة يسوع – ١

إذا كانت المحبة هي أساس كل شيء في حياتنا،
فكيف استُعلِنت محبة يسوع لنا، وكيف تعمل فينا؟

سؤال: كيف استُعلنت محبة يسوع؟

الجواب: لقد أعلن محبته لنا عندما أخذ ذات اللحم والدم، أي ذات طبعنا الإنساني (عب ٢: ١٤)، قَبِلَ أن يعبر الهوة الفاصلة بين الخالق والمخلوق، وأن يوحِّد الخالق بالمخلوق، أي اللاهوت بالناسوت. أنا أعرف كيف انحرف البعض نحو النسطورية، وأحيانًا نحو الأوطاخية، ولكنني لا أريد أن أصرف ولو حتى دقيقة في مناقشة هذا الانحراف الخطير، لكن: ماذا أسس تجسد الابن الوحيد الله الكلمة؟ ليس فقط عبور الهوة بين ما خُلق مِن العدم ومَن هو "كائن" أو "واجب الوجود"، بل الاتحاد الإلهي بالطبع الإنساني. لقد أصبح في جوهر اللاهوت، أي جوهر حياة الثالوث، إنسانٌ هو يسوع، وهو الوسيط والرأس والراعي والبكر والنور وخبز الحياة والقيامة ورئيس الكهنة، وغيرها من ألقابٍ صارت تعبِّر عن حقيقة الاتحاد. فهو الوسيط بين الله والناس، وهو رأس الجسد، وهو الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف، وهو البكر بين إخوة كثيرين، وهو النور الإلهي، وهو خبز الحياة الذي يُعطى خبزًا من عند الآب. ألا ترى أن كل هذه الألقاب ليست مجرد أسماء، بل هي استعلانات عمل المتجسد، وهي كلها استعلانات محبة يسوع. هو الوسيط، وهو فعل ذلك من أجل أن يجيء بنا، ليس بشكل عقلي، بل بالشركة الحقيقية. وهو رأس الجسد الكنيسة الذي منه تولد كل الأعضاء. وهو الراعي الذي يدافع ويحمي الخراف بحياته. وهو البِكر الذي أنقذ الإنسانية من الفساد

والموت والدينونة، وجعل لنا ذات الميراث. وهو النور الذي يقودنا بمعرفة خاصة إلى الآب. ثم هـو يعطـي ذاتـه في السـر المجيـد؛ لأنـه خبـز الحيـاة. هـذه كلهـا أفعـال، وليسـت أقـوالًا تعبـِّر عنهـا الكلمـات، هـي أفعـال، هـي حقـائق، وهـي دعامـات أو أساسات شركتنا في يسوع المسيح.

لقـد جـاء دوري أنـا لكـي أسـألك: هـل انتبهـت إلى أن الألقـاب الـتي ذكرتهـا كلها، هي استعلانات عن عمل وشخص وعطاء الرب يسوع؟

قلت: لا. هذا كلام جديد لم أسمعه من قبل.

قـال: هـذا مخيـف. هـل نحـو نتلـو أسمـاء الـرب أو ألقابـه بـدون وعـي؟ هـل تـرى كيف أن اسم "الوسيط" هو أساس إضافة عبارة "بالمسيح يسوع ربنا" في الصلاة الربانية، وكنيستنا هي الكنيسة الوحيدة بين كل الكنائس الأرثوذكسية التي وضعت هذه الإضافة؛ لأن كل ما يُقال في الصلاة الربانية ليس له قوة ولا فاعلية ولا وجود بدون يسوع المسيح. ولست أريد أن أشرح ألقاب الرب يسوع، ولكن يكفي هنا أن هـذه الألقـاب هـي خاصـة بالتجسـد وبتـدبير الخـلاص، وهـي استعلانات محبـة البشـر، فلـيس عبثًـا أن الكنيسـة الأرثوذكسـية كلهـا، نحـن والأرمـن والسـريان واليونـانيين نقـول دائمًـا في صـلواتنا تعبـير "محـب البشـر"؛ لأن هـذا هـو الاسـتعلان العظيم الذي جاء به المخلص.

سـؤال: هـذا معـزّي ومفـرح جـدًا لقلـبي. هـل يوجـد في هـذه الألقـاب سمـات خاصة للمحبة؟

جـواب: نعـم بكـل تأكيـد. لازم نفكـر كيـف صـار الكلمـة الخـالق وسيطًا بـين الخليقة والله الآب. هو تطوُّعٌ حُرٌّ، وهو قبولُ ما ليس من طبعه، أي الناسوت، وهو ليس قبولًا مؤقتًا، بل اتحادًا أبديًا. عندما يقول الرسول إنه سوف يُسلِّم الملك لله الآب في نهايـة الأزمنـة "ومـتى أُخضـع لـه الابـن الكـل فحينئـذ الابـن نفسـه أيضًـا سيخضع للذي أُخضع له الكل (الآب)"، سوف يعلِّمنا الابن في الدهر الآتي أسرار حياة الملكوت الأبدي، وكيف نحيا الحياة الجديدة، وسيكون مثالًا للخضوع، ولكن

هذا الخضوع هو خضوع المحبة، وليس خضوع الأقل للأعظم. المحبةُ تُخضِع، وهو قد خضع وقَبِلَ الأقل، أي عندما أخذ شكل العبد (فيلبي ٢: ٦)، ولذلك رفَّعه الآب وأعطاه اسم يهوه، الاسم الذي فوق كل اسم؛ لأنه أعلن المحبة الإلهية الخادمة والباذلة والواهبة. هذه هي سمات من "أخلى ذاته وأخذ صورة العبد"، ولذلك السبب يقول القديس بولس إن الرب يسوع في الكنيسة يسبِّح معنا؛ لأنه الوسيط، وهو لا يستحي أن يدعونا اخوته لأنه أخذ طبعنا (عب ٢: ١١)، بل يقول للآب: "ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الآب" (راجع عب ٢: ١٣). لقد قرأت شرحًا لمزمور ٢١، وهو مزمور ٢٢ للقديس أوغسطينوس يقول فيه إن الرب يسوع يعترف لله الآب بكل ما نعترف به؛ لأنه رأس الجسد، وكل ما لدينا يقدِّمه الابن للآب. هو يعترف حتى بخطايانا[1]. لقد قرأت كلمات أوغسطينوس على شرح مزمور ١٤٠ وتوقفت طويلًا عن كل كلمة؛ لأن ما ذكره أوغسطينوس هو ضد تيارات سائدة في التقوى القبطية عن شفاعة المسيح الكفارية، وهي فكرة تهدف إلى فصل الرأس عن الأعضاء. نحن نعاني من هذا الفصل، ليس في هذا العصر، بل هي معاناة وُلدت في العصر الوسيط ولا تزال معنا: المسيح في السماء ونحن على الأرض، وقد غاب التعليم عن الجسد الواحد، والرأس الواحد، وشركة الجسد لحياة الرأس، وشركة الرأس الذي منه كل الأعضاء، لحياة ومجد وقوة الرأس.

([1]) "لماذا يا رب تطلب غفران خطاياي؟ ولماذا تصلي هذه الصلاة؟ ما هي الخطايا التي تغفرها؟ والرب يجيب "في كل مرة يصلي عضو من أعضائي، فأنا الذي أصلي، ألم يقل هو: "كل ما فعلتموه بأيٍّ من هؤلاء الأصاغر فبي قد فعلتم (متى ٢٥: ٤٠)" (عظة على مزمور ١٤٠ الآباء اللاتين مجلد ٣٧: ١٨١٩). ولماذا يقول المزمور "كلمات خطاياي" (مزمور ٢١: ٢ الفولجاتا)، فهو لا يصلي فقط من أجل خطايانا، بل لأنه جعل خطايانا خطاياه هو لكي يكون بره هو برنا" (مزمور ٢١: ٢ الآباء اللاتين ٣٦: ١٧٢) وأيضًا "لا يجب أن نفصل أنفسنا عن الرأس لكي يبقى هو المخلص الواحد والوحيد لجسده ربنا يسوع المسيح ابن الله الذي يصلي لأجلنا ويصلي أيضًا فينا وهو ذاته الذي نصلي له .. هو يصلي فينا لأنه رأسنا ونحن نصلي له لأنه إلهنا". نحن نصلي له لأنه الإله وهو يصلي فينا لأنه في صورة العبد. هو الخالق ولكنه صار كمخلوق. هو لم يتغير ولكنه أخذ المخلوق لكي يجدده في ذاته جاعلًا إيانا كإنسان واحد رأس جسده. نحن نصلي له وبواسطته وفيه. نحن نصلي معه وهو يصلي معنا ونتلو كلمات هذا المزمور فيه وهو يتلوها فينا (مزمور ٢١: ٢ مجلد ٣٦: ١٧٢). رجاء مراجعة Emile Mersch, The Whole Christ وقد نُشرت عظات القديس أوغسطينوس على سفر المزامير في ٥ مجلدات باللغة الإنجليزية، وهي متوافرة على Amazon كما نُشرت العظات الأخرى في عشر مجلدات.

ليست في شفاعة المسيح رأس الجسد كما ذكر أوغسطينوس أي مشكلة لمن يؤمن فعلًا بأن الكنيسة هي جسد المسيح. لقد حاول بعض الغربيين الالتفاف حول "جسد المسيح الكنيسة"، وخلقوا تعبيرًا هو "جسد المسيح السري"، ولكن هذا التعبير يهدف إلى اعتبار أن جسد المسيح هو سري، أي غير منظور، بينما الرب يسوع لم يقل إنه غير منظور، بل هو المريض والمسجون والعريان والجائع، وإننا "أعضاء جسد المسيح"، إذ لم يذكر العهد الجديد برمته أن الكنيسة هي الجسد السري، بل "جسد المسيح".

-٤-

محبة يسوع- ٢

السمات الخاصة بيسوع مُحب البشر

كان الصوم الأربعيني قد بدأ، وكانت الخلوة مسموحة لعدد قليل من الخدام. ومتابعة الحديث عن أساس المحبة كانت بالنسبة لي مسألة حياة أو موت، وعندما سألت: لماذا التشديد على المحبة؟

جاء الجواب صارمًا، بل وصادمًا؛ لأنه لم يكن جواب الأب، بل كانت هي كلمات الرسول يوحنا الإنجيلي.

قال: يقول الرسول الإنجيلي يوحنا: "أيها الأحباء"، فهو يخاطب من تذوَّق المحبة وتلامس معها، "لنحب بعضنا بعضًا لأن المحبة هي من الله". وأنا أريد أن أتوقف قليلًا عند هذه العبارة. إذا كانت المحبة من الله، فهو الأساس الإلهي لحياة كل إنسان. وعندما يتابع الرسول بقية التعليم: "وكل مَن يحب فقد وُلِدَ من الله"، هل توقفت عند هذه العبارة؟ حسنًا. إن الولادة من فوق هي في سر المعمودية، وهذا هو التعليم الرسولي، لكن الولادة من الله هي ولادة من محبة الثالوث، ليس لأنها تتم باسم الثالوث فقط، بل لأن الله الآب أفاض علينا أعظم نعمة، وهي نعمة التبني. مَن يحب فقد وُلِدَ من فوق من الله، ولذلك يقول الرسول: "ومَن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة" (١يوحنا ٤: ٧-٨).

عندما فاتحت أبونا البطريرك بضرورة إلغاء "أحد التناصير"، قال لي: هذا ممكن، ولكنه صعب بسبب قوة العادة. لقد طلبت حتى من بعض الآباء المطارنة أن يتم إعداد الأسرة لقبول سر المعمودية، إذا كان ضروريًا أن يبقى "أحد التناصير"، ولكن الأمر ضاع في ملفات الكنيسة، وما أكثرها.

أعود فأقول لك ولغيرك ولكل مسيحي: إن كنت لم تتذوق محبة الله المستعلَنة في يسوع، فأنت غريب.

سؤال: أرجو أن تقول لي كيف نتذوَّق المحبة الإلهية؟

قال: هذا ليس جهدًا إنسانيًا، بل هو "انسكاب روح المحبة في قلوبنا" (اقرأ رو ٥: ٥): "لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا". وعندما قرأت أن الفعل "يسكب"، و"انسكاب"، هو خاص بذبح الذبائح وسكب الدم، أعترفُ لكَ أن بدني قد اقشَعَر؛ لأن الروح القدس يسكب نفسه، أي يضحي بذاته لكي يسكن في الإنسان الذي مهما كان قلبه، هو غير نقي بالمرة. هذا تنازُل الروح القدس العظيم الذي يوازي تنازُل ابن الله، وقبوله أن يصبح في صورة العبد (فيلبي ٢: ٦-٨)، وأن يظل في هذه الصورة الإنسانية حتى بعد الصعود؛ لأنه صعد بها مؤكِّدًا محبته للبشر.

هل بدا لك أن أول سمات المحبة هي تنازل الله عن مجده، بل عن قداسته وقوته وسلطانه لكي يحيا فينا في كياننا الهزيل ويسكن فينا؟ بعد أن غسل الرب أرجل تلاميذه، يقول لهم ولنا ولكل الكنيسة: "إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلًا" (يوحنا ١٤: ١٣). هل يوجد تعليم أكثر وضوحًا من هذا يؤكد أن المحبة هي سكنى الثالوث فينا؟ وأن حفظ الوصية، أو حفظ كلام الرب هو أن نقبل التعليم الإلهي الذي يدعونا بشكل صادم: "أحبوا أعدائكم"؟ حتى مع العدو يجب أن نكون مختلفين عنه تمامًا؛ لأننا إذا أبغضنا عدوَّنا صِرنا مثله، لذلك علينا أن نطلب نعمة الروح القدس، أي روح البنوة الذي يصرخ فينا: "أبًّا أيها الآب" (غلا ٤: ٦).

نحن لا نستطيع أن نحب بجهدنا الذاتي. هذا ضد الطبيعة الإنسانية، ولكن عندما ننال معونة وسكنى الروح القدس فينا، نستطيع أن نحب فعلًا. نحن نطلب سكنى الروح القدس فينا في صلاة الساعة الثالثة كل يوم، وأنا أُحب -بشكل خاص- هذه الكلمات: "أيها الملك السمائي المعزِّي روح الحق، ... هلم تفضَّل

وَحِل فينا وطهِّرنا من كل دنس".

قاطعته، فقد كنت أسأل نفسي مرارًا: كيف نطلب حلول الروح القدس في الساعة الثالثة (٩ صباحًا) من كل يوم؟

فقال: هذا سؤال عجيب حقًا، يكشف عن ضَعف التعليم. وهذه ليست مشكلتك أنت، بل هي مشكلة هجران التعليم عن الروح القدس طوال العصر الوسيط. لا داعي لأن أفتح سيرة هذا الموضوع، فأنت تعرف ماذا حدث عندما بدأ الكلام عن العنصرة وعن الباركليت. لكن ما هو مُسلَّم لنا هو ثلاثة أمور أساسية:

أولًا: طلب الحلول الدائم فينا كل يوم هو بمثابة استغاثة القلب المجروح المشتَّت الذي فَقَدَ الإحساس، وأنا لا أتحدث عن الشعور العاطفي، بل عن الحس الروحي بحضور الله فيه بسبب ازدحام العقل بالأفكار والانشغال بأمورٍ متعددة، وهذا طبيعي بالنسبة للطبيعة الإنسانية الفقيرة الضعيفة التي تتغير كل ساعة.

ثانيًا: والروح لا يفارقنا؛ لأن الله لا يتغيَّر إذا تغيَّرنا نحن، بل بسبب الضعف الذي فينا وُهِبَت لنا الجسارة أن نطلب سكنى الروح القدس، وأن ندعوه لكي يأتي إلينا ويحل فينا، رغم أنه كائن فينا؛ لكي يفتح الروح الوعي الإنساني الذي أغلقته مشاغل الحياة.

ثالثًا: إن المحب يقف دائمًا على الباب يقرع كما قال الرب في سفر الرؤيا (رؤ ٣: ٢٠). هو دائمًا معنا ويشتاق إلينا، ولكن إذا هجرناه، فهو يطلبنا مثلما في مَثَل الراعي الصالح (لوقا ١٥: ٣ - ٧) الذي يطلب الخروف الضال ويسعى وراءه، وعندما يجده يفرح به، بل ويحمله على منكبيه. وقد وجدت أقدم رسم في دهاليز روما القديمة يعود إلى القرن الثاني عندما كان المسيحيون يصلُّون في المقابر Catacombs ووجدت فيه أن الفنان أدرك قوة البشارة بالخلاص. عندما يطلب الراعي الخروف الضال، يحدث أمرين: يسعى إليه الراعي، والأمر الثاني هو استجابة واستسلام الخروف.

أنا أفهم أن صلاة الساعة الثالثة هي طلب الاستسلام للروح القدس لكي يطهِّرنا من كل الشوائب التي تمنع المحبة. هذا ضروري جدًا.

ولكن يبقى موضوع لابُد أن نفحصه معًا، وهو سمات أو خصوصية محبة يسوع. لدينا مثالٌ من الواقع لا يحتمل التأويل، فقد لَعَنَ بطرسُ الربَّ يسوع عندما أنكره أمام الجارية حسب شهادة إنجيل مرقس (١٤: ٧١)، ورغم إنذار الرب يسوع وتحذيره بعلامة، وهي صياح الديك، إلا أنه سقط وقال: "إني لا أعرف هذا الرجل"، كأن ما حدث على جبل التجلي لم يكن، وكأن غسل الأرجل لم يعد له مكان في قلبه، وكأن المعجزات مثل إقامة الموتى وشفاء المرضى.. إلخ لم تحدث، وماذا بعد هذا، هل طرده الرب يسوع؟ يا أخي نحن نخاف من محبة يسوع؛ لأنها تضرب أساسات الثقافة والعلاقة الإنسانية عندنا.

كان عندي أب كاهن عَرِفَ أن ابنته ليست عذراء، بل هي حامل في الشهر الثالث، وجاء لطلب مشورتي، وما إن كنت أوافقه على قتلها، وقد ارتعبت من السؤال. إذ كيف يمكن للثقافة السائدة أن تجعل أي إنسان يدير ظهره لتعليم الرب. وقلت له إن الرب يسوع حَكَمَ على جنس الرجال جميعًا بالزنى؛ لأنه قال: -عني وعنك- "كل مَن نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه"، أي في أعز وأقدس مكان في الكيان الإنساني. ألسنا جميعًا زناة، وألسنا جميعًا زناة حسب الشريعة؛ لأننا عبدنا آلهة أخرى، وهي خطية شعب إسرائيل "الزنى الروحي"؟ وخَجِلَ الرجل، وقلت له: اغفر لها لكي تغفر لنفسك ولي ولكل جنس الرجال.

أعود وأكرر، لقد أعاد الربُّ بطرسَ إلى مكانه، وقال له: "ارع خرافي"، بل أخبره عن طريقة موته. هكذا كانت محبة يسوع. لم يوجِّه يسوع اتهامًا؛ لأنه أخلى ذاته بما تطلبه المحبة الإلهية، فهي بلا مطالب؛ لأنها لم تأتِ حسب الشريعة، بل بعطاءٍ جعل الرسول يقول: "المحبة لا تطلب حقها، أي لا تطلب ما لنفسها" (١كو ١٣: ٥). لقد اسقط الرسول كل حدود الثقافة وكل حدود الشرائع في (١كو ١٣: ١-١١)، الذي قال عنه غير الفاهمين إنه (دستور المحبة)، فحولوه إلى

شريعة. ولكن، إذا جاز لنا أن نستخدم كلمة "دستور"، بمعنى تحديد اتجاهات، فهذا مقبول، أما أن تتحول المحبة إلى شريعة، أي إلى قانون، فهذا ضد المحبة. وحاول أن تُراجِع معي على أي شريعة أو قانون تعرفه:

– المحبة تتأنى. هل تعرف الشريعة ذلك؟

– المحبة ترفق. هل يوجد رفقٌ في القانون؟

– المحبة لا تحسد. هل يوجد حَدٌّ يمنع الحسد عندنا؟

وهكذا كل الصفات الأخرى، وهي قوة حياة المحبة القاهرة الغالبة.

لنتوقف عند محبة يسوع. مات من أجل الخطاة. فهل سبق موته دعوةٌ للتوبة؟ هتقول: نعم، في إعداد الموعوظين قديمًا. أقول لك: هذا جزءٌ من الحق؛ لأن الموعوظين جاءوا من الوثنية، وكانت لهم ثقافة الجحود والقسوة والقوة والقانون والاستعلاء والرقي بالمعرفة والتقدم بالاستغلال، لذلك أبقوا على طبقة العبيد. كان من الضروري عمل تحوُّل meta-noia التي صارت "مطانية"، وهي الانحناء أو السجود، وهي تغيير اتجاه الجسم. **إنها تغيير هدف الحياة، هذه هي التوبة؛ لأن يسوع يجب أن يُصبح هو الهدف**، وهذا ليس شرطًا، بل هو تحديد اتجاه من أجل الوصول إلى الهدف. الشروط تدخل في العقد القانوني، أي الكونتراتو Contract.

لقد كان التجسد هو تطوُّع الصلاح الإلهي، ولم يكن عقدًا بين الله والبشر. حتى العهد الجديد، هو عهدٌ بين الآب والابن كنائبٍ عنَّا.

سؤال: لقد "ذاب قلبي"، كما يقول المزمور، ولكن ما هو الجانب العملي أو التطبيقي؟

فقال: هل أنت مستعد لأنْ تسير حسب المحبة الإلهية؟

قلت: بعد كل هذا، يجب أن أقول: نعم.

قال: مِن كل قلبك؛ لأن ما تسأل عنه هو **أن تفهم أن الخطية لا تقف بينك**

وبين الرب يسوع. هي ليست العائق الذي يصورّه عندنا جميعًا الإحساسُ بالذنب. عندما يقول الرسول الإنجيلي: "المحبة تطرح الخوف خارجًا"، ولا "خوف في المحبة"، فهو يقصد ذلك الخوف الذي تزرعه الخطية في الإنسان. مخافةُ الله ليست هي خوف الخطية؛ لأن خوف الخطية متجذِّرٌ في الخوف من عقوبة الله، والإحساس بأن الله سوف ينتقم ويضرب. هذا تصوُّر الخطية، وهو آتٍ إلينا من الثقافة والعلاقات الاجتماعية ومن التطور، أو التراجع عن البلوغ، أعني النضوج العقلي. كل هذه الطبقات يخترقها الروح القدس لكي يزرع فينا استنارةً، ويكشف لنا الجانب السمائي الذي لا مثيل له على الأرض. مصيبةٌ كبرى، أننا أدخلنا الموازين الأرضية، وحشرناها في الأمور السمائية، وهذا موضوعٌ يجب أن تفكر فيه على قدر نموِّك، وعلى قدر محبتك أيضًا، ولن أُجيب عليك الآن لو سألتني عنه؛ لأنه سوف يمس حياة وتعليم الكنيسة أو الكنائس عندنا، وهو ما لا أريد أن أخوض فيه الآن.

أولًا: هو أن الروح يبدأ بالقديم لكي يحوله إلى جديد.

ثانيًا: إن الجديد دائمًا ينمو. وقد انعدم الحديث، بل والتعليم عن النمو.

سألت: أرجوك أن تبدأ بالجديد الذي يبدأ من القديم، على أن تترك موضوع النمو لفرصة أخرى.

قال: كلُّ الرذائل هي انحرافات الصورة الإلهية التي فينا عن عملها الأصلي، على سبيل المثال: إن حُب القِنية والامتلاك هو لامتلاك الملكوت والاحتفاظ الأبدي به، ولكنه يتجه –بسبب الكبرياء– إلى العنف أحيانًا. الدفاع عن النفس أصلًا هو عدم التفريط بالعطية الإلهية، ولكنه يتحول إلى العدوان والهجوم على الآخرين. بل أعظم الرذائل هي الكبرياء، ولكن الكبرياء كانت أصلًا طلب مجد الله والتَّنعُم به، ولكنها تحوَّلت إلى أنانية الإنسان واعتبار أنه هو مصدر المجد.

عندما نتمسك بالأبدي ولا نفرِّطُ فيه، فإن حُب البقاء وطلب المجد هو الصورة الصحيحة للكبرياء.

قاطعته: كلامٌ غريب .. هل هذا يعني أن لا نحارب الكبرياء التي أسقطت الشيطان؟

قال: الكبرياءُ التي لا تنمو من محبة، هي كبرياء الشيطان. **أمَّا الكبرياء التي هي ثمرة المحبة، فهي تتحول ليس إلى الافتخار، ولا إلى تعظيم الذات**، ولا إلى مقارنة الإنسان بغيره لكي يرى أنه أفضل مخلوقات الله، **بل لكي يسعى بمحبة إلى طلب مجد الله ومحبته**، وعندما تنفصل رغبتنا في مجد الله إلى تمجيد ذواتنا، نُصابُ بالكبرياء.

سألت: إذن، أنت تعتقد أن الكبرياء هي الكبرياء، ولا يمكن أن تتحول إلى شيء آخر.

قال: لا. أرجوك افهمني. لا يوجد بتر وقطع في المسيحية. البتر والقطع هو الحل الغنوسي. وحتى عندما يقول الرسول بولس: "اخلعوا الإنسان القديم والبسوا الإنسان الجديد ..."، فالكيان الإنساني يظل كما هو كيانًا إنسانيًا، ولكن خلع القديم هو الاستغناء التام عن المُثُل والقيم وكل محتويات الفكر القديمة البالية، ولذلك يقول الرسول: "تغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم"، إذ يظل "الذهن" كما هو ذهننا، ولكنه يتجدد. **والكبرياء هي الشر الأول، هي تحول الإنسان إلى شريعة الخير والشر، كما يحددها الإنسان لنفسه. ولكن يظل الجذر الصحيح هو طلب المجد والبقاء والحياة الأبدية، ورفض الموت ورفض الخطية.** كبرياءُ بعض المبتدئين لا تسمح لهم بالزنى، ليس لأنهم أنقياء، ولكن لأن كبرياء المنصب والخدمة لا تسمح لهم بالزنى، فقد حصَّنت الكبرياءُ المبتدئ، ولكن الويل له لو سار في طريق العفة أو البتولية بدون جحد الذات؛ لأن تمجيد الذات يجب أن يكون محتوى، أي داخل في محبة الإنسان لنفسه ومحبته للثالوث، وأن تصبح هذه محبة واحدة غير منقسمة.

سألني: هل تعرف ما الذي يُقسِّم المحبة؟

قلت: لا أعرف، بل لم أفكِّر في هذا السؤال الذي أسمعه لأول مرة.

قال: الخطية هي التي تُقسِّم المحبة. هي التي جعلت شخصًا أعرفه يحب سيارته أكثر من زوجته. وزوجةً تحب الكلاب أكثر من الأولاد، وعندما قلت لها على الأقل يجب أن تحب الكلاب والأولاد بنفس المحبة، لم يعجبها كلامي.

ولذلك، عندما نختار ما نحب، فالاختيار يجب أن يكون بدون تفضيل؛ لأن المفاضلة تزرع الأنانية وتجعل الأهواء هي قاعدة التفضيل.

سألت: هل أفهم أن الكبرياء باقية فينا.

قال: لا. الكبرياء التي تعمل من أجل الذات، هي الشر الكامن الذي يجعل الذات أضخم ما في الوجود. ربما ما سوف يساعدك ويساعدني هو أن من الكبرياء تُولِّد عزة النفس، فلا تعد أُمًّا كما كانت، أي مجرد كبرياء، بل تصبح عزةَ نفسٍ تجعلنا نسمو ونعلو على ما هو "واطي" و"حقير".

سألت: كيف تشرح اهتمام الشيوخ بالوصف التقليدي: "الحقير القمص، أو الراهب فلان وفلان".

قال: هذا من أهم معالم النُّسك القبطي الأصيل. **الإنسان حسب طبعه حقيرٌ، ولكن حسب نعمة الله، هو ابن الآب السماوي، ولا يجب أن نجعل من حقارة الإنسان إلغاء للنعمة. "حسب الطبيعة"، لا يجب أن تسود على "النعمة الإلهية" إلى درجة الوعي بالطبيعة، وإلغاء الوعي بالنعمة.**

-٥-

محبة يسوعِ، والتحوُّل الداخلي

كان آخر الحوار السابق هو كيف تتحول الكبرياء إلى احترام الإنسان لنفسه، وإلى عزة النفس، وإلى كرامة أولاد الله الذين يتمسَّكون بالخير حتى الموت.

وعندما سألتُ: لماذا لم يكتب؟

قال لي: إن الكتابة سوف تقع في أيدٍ غير أمينةٍ، وسوف تتحول إلى منهج، وإلى ممارسة سلطان بالمعرفة، بينما هو يحرص على التلمذة الحقيقية.

سألت: ماذا، أو بالحري كيف تشرح أن الربَّ يُوصَف بأنه "مُحتَقَر ومخذول بين الناس"؟

أجاب: هو لم يسعَ إلى ذلك ولم يطلبه، بل هذه كانت مقاومة الفريسيين والكتبة وعلماء الشريعة الذين حقدوا عليه بسبب التعليم الذي اعتبروه مضادًا للشريعة. وعندما نرتل في القداس: "بذلتَ ظهرك للسياط وخديك أهملتهما للِّطمِ"، فهذا هو كيف عاش الابن الوحيد اخلاء الذات (فيلبي ٢: ٦)، فهو لم يمش عاريًا في الأسواق يطلب من الناس أن يجلدوه، وهو لم يُلطَم إلا أثناء المحاكمة، وحتى في هذا قال: "إن كنت فعلت رديًا فاشهد على الردي، وإن حسنًا، فلماذا تضربني" (يوحنا ١٨: ٢٣). لم يتنازل الرب يسوع عن كرامته، ولم يتراجع لأن الخوف الذي عَبَرَ به في بستان جثيماني قد تحول بقوة المحبة إلى العطاء، ولذلك قال: "مملكتي ليست من هذا العالم" (يوحنا ١٨: ٣٦)، بل يقول في جسارةٍ أمام بيلاطس: "أنت تقول إني ملك. لهذا قد وُلِدتُ ولهذا أتيتُ إلى العالم لأشهد للحق. كل مَن هو من الحق يسمع صوتي" (يوحنا ١٨: ٣٧). فهو

لم يفقد إدراكه برسالته، بينما نحن عندما يسيطر علينا الخوف، ننسى أننا أولاد الله الأحرار، ولذلك نسقط بسهولة. احتقار الإنسان لذاته هو خطأٌ قاتل يجب أن نكون على حَذَرٍ منه. إن كنا نحتقر أفعالنا لأنها ضد وصايا الرب، فهذا مطلوب، ولكن أفعالنا ليست هي الذات ولا هي الكيان. كل أفعالنا -مهما كانت حسنة، أو رديئة- لا تساوي الكيان الإنساني. الكيان الإنساني أعظم من كل الأفكار وأكبر من كل الأفعال؛ لأن الكيان الإنساني، أي الذات هي "صورة الله". أنت أكبر من كل أفكارك، حتى المقدسة منها، وهذا ليس استعلاءً، إذ أن المقارنةَ ظلمٌ فاحش؛ لأن صورة الله لا تقارَن بأي شيء، فما بالك عندما تحتقر صورة الله بسبب أفعالٍ مذمومةٍ؟ ولذلك يحذِّرُنا يعقوب الرسول من احتقار الآخرين قائلًا: "به نبارك الله الآب وبه نلعن الناس الذين قد خُلقوا على شبه الله" (يع ٣: ٩). وبالطبع نحن نلعن الآخرين عندما نرى أعمالًا شريرة، ولكن هذه هي المصيبة الأكبر في حياتنا، وهي أن كيان الإنسان = أفعال وأقوال الإنسان، وعلامة (=) هي أساس المشكلة؛ لأن الإنسان أعظم من أن يوزَن بما يقول أو بما يفعل، وحتى إذا قلنا إن الرب يسوع حَمَلُ الله الذي جاء لكي يرفع خطية العالم، وهي هنا حصنُ الموت، فهي ليست الأفعال الإنسانية، بل جذرها وهو الموت. وغفران الخطايا هو تطهير الكيان من الأصل، من الجذر، من الينبوع، وهو لاحقٌ بالكيان.

لقد حصلتُ على أكبر تعزية في حياتي عندما قرأت عبارة القديس أثناسيوس الرسولي: "الشَّرُ عدم"؛ لأنه من اختراع عقل الإنسان. وتأملت أن كل أفعالي الشريرة مهما كانت، هي سبب أوجاع نفسي؛ لأنها جلبت عليَّ الموت والحزن وضياع غاية الوجود، وهو أن أصير فعلًا "صورة الله ومثاله".

كانت كثافة الأفكار وكثافة الشرح جديدة جدًا، ولم أسمعها من قبل، وكنتُ فرحًا، فقد بدا كلُّ شيءٍ واضحًا. لأن الحياة القديمة هي الطفيليات التي تنمو على حساب الأصل، وتحاول أن تخنق وتميت الأصل، وهو صورة الله.

ساد صمتٌ لفترةٍ، وخشيت أن أتكلم، ولكنه بادرني بسؤال:

قال: هل هذا الشرح غريب؟

فقلت: نعم، جديد.

قال: إننا يجب أن نعود إلى أصل كل الأشياء،وإلى أصل كل العقائد، وأصل كل الطقوس، ولا يجب أن نعيش –مهما كانت التكلفة– في تقوى شعبية تجعل من تعليم الرب دعوةً أخلاقية. هذه هي الضربة القاسية التي جاء بها عصر الإصلاح، أو بالحري جاءت مع عصر الإصلاح؛ لأن الذين ثاروا على كنيسة العصر الوسيط، كانوا يريدون العودة إلى التعليم الرسولي، وجاء الفشل بسبب عدم الوضوح في الرؤيا.

ما نراه عقليًا، يجب أن يكون في حدود ثلاثة معايير، أو داخل دائرة واحدة:

– **المعيار الأول**: العلاقة المستيكية بين الرأس والجسد، الرب وجسده الكنيسة؛ لأن هذه العلاقة تحتوي على كل ما أعطاه الرب لنا. هي من الرأس لكل الأعضاء.

– **المعيار الثاني**: التعليم ليس فكرًا ولا نظريةً تُقال. التعليمُ هو علاقة شركتنا في الحياة الإلهية في الوسيط ربنا يسوع المسيح، وبنعمة وعمل الروح القدس. ولذلك، كل فكر مهما كان، يجب أن يتجه إلى شرح هذه العلاقة.

– **المعيار الثالث**: التحول الذي يحدث فينا، وهو ما أصبح الآن يسمى "التوبة"، لأن المعمودية تعطي لنا ونحن أطفال، وقد غاب من الوعي لا من الواقع قوتها، فصارت التوبة –حسب الدرجي وافرام السرياني وباسيليوس وذهبي الفم– هي "المعمودية الثانية". ولكن خطر هذا التعليم هو الوقوع في بئر الخلاص بالأعمال، إذ يظن مَن يتوب إنه بالتوبة، سيدخل ملكوت السموات، ولكن ملكوت السموات، هو مُلكُ الله الآب على القلب هنا. ولذلك، يجب إصلاح الترجمة العربية؛ لأننا حسب الأصل القبطي لا نطلب "اِهدنا إلى ملكوتك"، فقد تمَّت البداية بالإيمان، ولكن "أعطنا الطريق إلى ملكوتك". لقد استنار قلبي عندما

تعلَّمت اللغة القبطية، وأدركت أننا نطلب -بعد المجمع- أن نسير في ذات **الطريق إلى الملكوت** ⲉϧⲟⲩⲛ ولكلمة ϭⲓⲙⲱⲓⲧ ϧⲁϫⲟⲛ ⲉ̀ϧⲟⲩⲛ رنينٌ خاصٌّ عندي؛ **لأن الطريق هو في داخل الملكوت، وليس هو بداية.**

هذه المعايير الثلاثة هي دائرة التدبير، عليك أن تحيا داخلها؛ لأن خارجها يوجد أنبياء كذبة لا يعرفون أساسات التدبير.

سألته: هل يمكن أن نعود إلى المحبة؟ لأن الكلام واضح، وهو أنه لا يوجد بتر، بل تحوُّل، فكيف يحدث التحوُّل بالمحبة؟

أجاب: من الأخطاء الشائعة أن بعض المعلمين -بسبب قلة الخبرة- يقولون للإخوة: لو كان المسيح هنا في نفس الموقف، فماذا سيفعل؟ وكأن المسيحَ شخصٌ يحيا خارجًا عنَّا لا فينا، وكأنه قد قيَّدَ حريتنا. هذا هو فكر المأسورين بالشريعة، ولذلك، لم يترك لنا الرب وصايا عن طريقة السير أو الملابس أو الأكل أو النوم أو الاستحمام أو حتى الكلام مع الآخرين. التشبُّه بالرب هو أول شيء: حِبُّوا بعضكم بعضًا كما أحببتكم أنا، وأيضًا بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حبٌّ لبعضكم البعض". وعندما يقول: "الذي عنده وصاياي ويحفظها، فهو الذي يحبني، والذي يحبني، يحبه أبي، وأنا أحبه، وأنا أظهر له ذاتي" (راجع يوحنا ١٤: ٣١). وما هي وصايا المسيح؟ هي أن نحفظ كلامه عن الآب، وعن المعزِّي. لذلك، أرجوك أن تقرأ جيدًا إصحاحات ١٤، ١٥، ١٦، ١٧ من إنجيل يوحنا، وهي تسمى عندنا إصحاحات البارقليط في جمعة البصخة.

- تشبَّه بالرب في محبته؛ لأن هذا ينال معونة الرب نفسه، وعمل الروح القدس في القلب (رو ٥: ٥).

- تشبَّه بالرب بأن تكون حياتك ملكًا له كما كانت حياته ملكًا للآب.

- تشبَّه بالرب في أن تحمل صليبك وتتبعه. وحَملُ الصليب في أمانة التعليم سيكون أصعب صليب على كثيرين.

والجزء الهام من سؤالك: كيف نتحول بالمحبة؟

والجواب: هو من اختباري، وعليك مراجعة الأسفار الإلهية في هذا الشأن.

تقودنا محبة الذات إلى تفضيل الذات حتى على الرب نفسه، ومَن هو "مربوطٌ" بهذه السلسلة، يجب أن ينال "الحَل" من الرب نفسه، وأن يَفُكَّهُ ويدمِّر القيد، أي الافراط في محبة الذات. يأتي عندي شبابٌ يافعٌ، لديه حميه وحرارة، ثم يكون أحيانًا بسبب الاستعباد للعادة السرية، وأقول للكل ولنفسي: ما يُسمى بالغريزة الجنسية هو نزوعٌ للبقاء وجذره كامن في محبة الإنسان لنفسه، فإذا أفرط الإنسانُ في محبته لذاته، وَجَدَ متعة الجسد شِبه سعادة أبدية.

وهنا صَلبُ الذات. لا عفةَ ولا بتولية حقيقية، ما لم يتم تعديل مسار محبة الإنسان لذاته. كيف ذلك؟ بثلاثة اتجاهات أساسية لا يمكن أن يكون لها بديل:

– **الاتجاه الأول**: هو هدف الحياة. مَن كان يسوعُ هو غايته، سوف يحارَب بالفكر، ولكنه يغلب إمَّا بالمعاناة أو الدموع أو الصبر أو بتأمُّل المصير الأبدي. يسوعُ هو الدواء، هو الغاية، وهذا يُعدِّل اتجاه الحياة.

– **الاتجاه الثاني**: هو قناعة الإيمان بأن الجسد هو للمسيح؛ لأن الخطية تجعل من الجسد أداةً يملكها العقل، ولكن علينا أن نكون على حذرٍ. أنا والمسيح جسدٌ واحدٌ، وحتى إن أخطأت، فهو لا يتنازل عن ملكية جسدي؛ لأن هذا الجسد هو ميراث قيامته. مَن كان جسده ملكًا مشتَرَكًا مع الرب، سوف يفكُ الربُّ قيده؛ لأنه بكل اشتياق يطلب هذه الحياة المشتَرَكة.

– **الاتجاه الثالث**: هو مراجعة الإدراك الدائم بأن إرضاء الذات ليس هو طريق البالغين، بل طريق الأطفال الرُّضَّع؛ لأن الأطفال الذين تركوا الرضاعة يتعلمون كيف يختارون نوع الطعام الذي يحبونه، إمَّا بسبب اللون أو الطعم أو الرائحة أو لكل الأسباب الثلاثة. ولذلك، عندما نصل إلى البلوغ، أي التقدُّم في الحياة الداخلية والنمو، ندرك أن محبة الذات يجب أن تبقى، ولكن في إطار

التجديد، أي أن تتجه لخدمة الآخرين،وإلى تفضيل ما هو أبدي.

أقول لك كلمة أخيرة: مَن يظن أنه تحرر من عادةٍ، عليه الحَذَر. وأنا لا أعني العادة السرية وحدها، بل كل العادات التي تكبِّلُ إرادتنا. والحَذَرُ هو أن الطفيليات العالقة بنا يجب أن "نخلعها"؛ لأن ما يصفه الرسول بولس باسم: "الإنسان القديم"، هو الإنسان المكوَّن من قناعات وعادات كلها مبنية ومؤسَّسة على الإفراط في محبة الذات. وهذه المحبة لا تنتهي إذا أدركناها، بل تُصلَب دائمًا؛ لأن المصلوب الحي هو الطبيب الذي يعالج إفراط الذات الذي فينا.

كانت لديَّ فكرةٌ تلحُّ عليَّ بقوةٍ وخشيت أن أقطعَ الحوار بما لديَّ، ولكنه يبدو أنه أدرك بحسِّه الروحي ما يجول في خاطري، واستطرد في إيجازٍ شديد:

قال: إن السُّذَّج الذين لا زالوا يعيشون بذات الفكرة الفرعونية القديمة بأن الله لديه ميزان للأعمال يظنون إن الأعمال التي سوف يُحاسَب عليها الإنسان هي كم مرة كذبت؟ وكم مرة سرقت ... الخ، ولكن الحقيقة هي غير ذلك. لا يوجد حسابٌ على الكم، ولكن حساب المحبة هو الحساب الدقيق. السارقُ لا يُحب غيره، ولذلك يسرق. الكذابُ مفرطٌ في محبة ذاته، ولذلك تدعوه الكبرياء إلى التستر على خطاياه. القاتلُ يفرط في محبة ذاته، ولذلك حياته أهم من حياة غيره. الزاني يحب جسده، وهو آلة تحقيق الذات التي ضُربت بالأنانية، وهلم جرًّا. هؤلاء الذين فشلوا في المحبة، فشلوا في خلع الإنسان القديم، وفي صَلبِ الأهواء، وهم لذلك، جعلوا أنفسهم غرباء عن ملكوت الله .. دينونة المحبة تدخل إلى أعماق النفس، وحسنًا من أجل الحق الأبدي، قال الرسول يوحنا الإنجيلي: "الذي لا يحب لم يعرف الله" (١ يوحنا ٤: ٨)، فكل ما هو ضد المحبة، هو ضد الحياة الإلهية.

-٦-

محبة يسوع الخاصة للخطاة

كان أبي يحذِّرني دائمًا من الوثنية، وكان أهم تحذير هو تصوُّر الله كما نتصور نحن أنفسنا، أي أن نتصوره إنسانًا مثلنا يغضب ويثور ويحطم مثلما نفعل نحن عندما ننفعل، بل كان أهم ما قيل إن بقايا شجرة معرفة الخير والشر فينا هو أننا نحن أنفسنا صِرنا شريعة الخير والشر، وأننا صرنا مقياس كل شيء حتى بعد أن قبلنا الإيمان، إذا أخضعنا الإيمان وبشارة الإنجيل لمقاييس وأحكام العقل.

وقال أيضًا إن ترياق الوثنية التي ورثناها من الأجيال السابقة هو تجسد الابن ربنا يسوع. للتاريخ فقط، كان د. شفيق أسعد إبراهيم قد عاد من انجلترا ومعه عدة كتب، وقدَّم لي ترجمة انجليزية جيدة لكتاب "تجسد الكلمة" للقديس أثناسيوس، وكان لدينا ترجمة عربية لا بأس بها للقمص مرقس داود. ودار حوارٌ حول الكتاب مع د. شفيق الذي كان يسكن في منازل الطلبة الملاصقة لكنيسة مار مينا حيث توحَّد القمص مينا المتوحد — دام الحوار فترة طويلة، وكان القمص مينا المتوحد يسألني دائمًا عما تعلمته من "تجسد الكلمة". ومع مرور الأيام بدأت أفهم أن معنى وغاية التجسد هو استعلان الله في اللحم والدم، وهو ذلك الاستعلان المشرق دائمًا كل يوم في سر الإفخارستيا في كل قداس يومي، وهو ما كان يفوق إدراكي، إذ كانت الصلوات تُصلَّى كما لو كانت جديدة كل يوم؛ لأن المصلِّي وخادم السرائر كان قد امتلأ من الروح القدس والحضور الإلهي الدائم في حياته.

مِن هذه النقطة بالذات سألت عن الله الذي يملأ السموات والأرض، وهو ما نردده في القداس: "قدوس قدوس ... السماء والأرض مملوءتان من مجدك

الأقدس"، وعن انتشار الشر، وكيف -بحرية الإرادة- نـدير ظهورنا إلى الله نفسه لكي نفعل ما يرضي الأهواء والشرور الكامنة فينا، ومع ذلك لا يمنعنا الله، ولا ينتقم منَّا، بل يترك لنا الفُرَص لكي نعود إليه؟

الله لا يفرض وجوده أو حضوره، هو يخفي مجده لكي يترك لنا الحرية والقرار الذي نريده. استعلان الله في العهد القديم كان له ثلاثة مظاهر:

- الاستعلان الشخصي للبطاركة.
- الوحي للأنبياء.
- التدخُّل في بعض أحداث التاريخ.

المصالحة مع الخليقة:

وطبعًا سمعت عن سدوم وعمورة والطوفان. هذه أحداث فريدة ترك الله الإنسان فيها أمام قوة الطبيعة؛ لأن الإنسان كسر العهد مع الكون، إذ يقول النبي: "تعدُّوا العهد كآدم" (هوشع ٦: ٧)، وعهد الله مع "النهار والليل" (أرميا ٣٣: ٢٠)، فهو العهد الأبدي (أش ٢٤: ٥). واغتصاب الخليقة، ثم عبادتها هو انفلاتٌ أدَّى إلى الكوارث التي نسمع عنها، ليس لأن الله هو سببها، بل تعدِّي الإنسان لم يُلزم الكون بأن يحفظ الحدود، والخليقة التي تصرخ إلى الخالق يمنحها الله الحرية. ولذلك، إذا كان الله قد منع المياه من أن تُغرق اليابسة (أش ٥٤: ٩) ثورة الخليقة على كسر العهد الأبدي الذي تجاسر عليه الإنسان، تجد عكسها في حياة القديسين الذي عاشوا مع حيوانات مفترسة مثل برسوم العريان الذي كان في صحبة ثعبان، والأنبا بولا الذي كان الغراب يُحضِر له الطعام مع أن الغراب "خطَّاف"، كل هذه استعلانات نعمة المصالحة مع الكون. ولذلك، عندما نرتِّل الهوسات (التسبحة السنوية)، نحن ندخل المصالحة مع الكون بالتسبيح، وإيمانًا مِنَّا بأن المخلص ربنا يسوع المسيح صالحَ الكلَّ لله الآب بأقنومه، وحقق الصُّلحَ بدم صليبه مع كل ما على الأرض وكل ما في السموات (كولوسي ١: ١٩-٢٠)،

واختبر الآباء علامة الصليب في هدم قوى الشر والمصالحة مع الثالوث القدوس.

خوف الوثنية القابع في الوجدان:

التحرر من السلوك والعادات والاعتقاد الخاطئ يستغرق وقتًا، وهو الوقت اللازم الذي يطرد فيه الإيمانُ كلَّ ما هو شرير وخاطئ وبلا هدف.

الشعور بالذنب يلازمنا ويفارقنا عندما ينمو الإيمان، وتتغير الثوابت الخاطئة التي تسللت إلينا عبر الطفولة والمراهقة، ومن المجتمع، بل ومن الكنيسة.

بدايةُ الإفراز -كما كان يقول أبي الروحي- هو أن يطهِّر المسيح بحياته وتعليمه، كل ما استقر من "مفاهيم خاطئة" زَرَعَتها الخطية، وأخذت قوتها من الخوف من العقاب الذي يلازم الإنسان بسبب الخوف من الموت.

كلما عاد إليك الخوف من العقاب، كلما تعلَّمت أن إيمانك انحرف عن الهدف، وهو "الشركة". وهكذا يجب أن تحيا الحياة المسيحية الحقيقية التي لا تعرف الخوف، أي التي ليست مؤسَّسة على الخوف، بل على الإيمان والمحبة.

نحن نحمل في قلوبنا ذلك الخوف، ونظن أن الرب يسوع مثل البشر الذين نعرفهم، ولكن هذه ملاحظات أتركها معك لكي تفكر فيها:

- هل طرد الربُّ يسوع خاطئًا واحدًا؟ وأعظم مثال هو اللص اليمين الذي صرخ طالبًا أن يذكره الرب.

- ماذا فعل المرأة التي أُمسكت في ذات الفعل؟ كان يملك أن يرجمها، فهو بلا خطية، ولكنه؛ لأنه بلا خطية، لم يرجمها، لأن الخطية تخلق فينا الشعور بالذنب، وهو ما يجعلنا نفرح بالعقوبة، عقوبتنا نحن وعقوبة الذين يخطئون، نسمعها في لغتنا العامية، يستاهل اللي يجرى له.

- وكان يأكل ويشرب مع الزناة والعشارين، ولم ينتظر أن يدعوه زكا، بل دخل إلى بيته وطلب الرب الضيافة.

وما أكثر الذين كان لهم قبول شخصي عند الرب، ولذلك وُصِفَ الرب بأنه "محبٌ للعشارين والخطاة" (لوقا ٧: ٣٤).

هل تعرف ما هي المحبة الخاصة للخطاة؟

أجبت بالنفي؛ لأن السؤال نفسه كان جديدًا، وكان يمثل تحدِّيًا لم أحاول أن أتصدى له من قبل، كما أن انتظار إجابة أبي كانت عندي أهم من أفكاري.

قال: إن الشريعة الموسوية كانت تحكم على الخطايا، وكانت الخطايا نوعين:

الأول: ما يهدد العلاقات الاجتماعية مثل العبادة الوثنية والسحر والعرافة.

الثاني: الخطايا الشخصية التي يرتكبها الشخص مثل الزنى والقتل ... الخ.

ولم يكن في الشريعة أي مجال للغفران أو التجديد، بل كمال العقاب. وكانت نظرة الجماعة هي احتقار الخاطئ وفرزه، وهو ما جعل الخطاة يخافون من الجماعة، ومن العقاب. وجاء يسوع بتعليمٍ احتوى على جانبين:

- الأول: هو إعلان أبوة الله الآب.

- الثاني: هو الكشف عن شخصه بمعجزات الشفاء، حتى لمن هم ليسوا من أصل يهودي، مثل عبد قائد المئة — ابنة المرأة الكنعانية، بل جاءت بشارة السامرة عن طريق السامرية. وكان هذا مستهجنًا حسبما ذكر الإنجيلي (لوقا ٧: ٣٤). هذا ما نعرفه عن خدمة الرب في مجتمع يفرز الخطاة ويحاكمهم. ولكن ماذا فعل يسوع؟ أظهر شفقةً خاصةً ومحبةً خاصةً. فما هي هذه الخصوصية؟ ساد صمتٌ مَرَّ كأنه دهرٌ، وأنا أفكِّر في ما هي خصوصية محبة الرب للخطاة؟ وقطع الصمتَ صوتُ المعلم وهو يقول: "الخاطئ هو شخص مستعد لأن يضحي حتى بحياته في سبيل إتمام شهوته. هو شجاع لدرجة التهوُّر، إذ تقوده الشهوة إلى التعدِّي على الوصية بدون أي تردد. فهو لا يعرف التردد إذا أراد أن يخطئ. هذا من جهة الخاطئ، أمَّا من جهة الرب نفسه، فهو يرى أن تحوُّل الشجاعة إلى بذل، وأن قبول التضحية حتى بالعلاقات الإنسانية في المجتمع، تتحول إلى تلمذة واتِّباع

الرب، بل تنمو بمحبة حقيقية للذات وللقريب، تنطلق من محبة الله الآب التي أصبح الخاطئ يعرفها لأنه مدعوٌ إلى الملكوت، وإلى تغيير سير اتجاه حياته، فإن هؤلاء الخطاة يصبحون شعلة محبة.

لكن هناك أسبابًا أخرى للخصوصية رآها الرب، ولا نراها نحن عندما نغلق أبواب الحواس كلها بما فيها الحدس، ولا نرى إلا أنفسنا فقط. ومن ضمن هذه الأسباب هو رؤية الرب –لمحبته– لمن هو في أشد الحاجة إليه. هو الحياة التي تحارب الموت، ولا ترضى به لأنه هو خالق الحياة. هو المحبة التي لا تقبل الكراهية، بل ترجو أن تتغير الكراهية، ومعه تصبح الكراهية قوة محبة فعالة. هو النور الذي يريد أن يبدد الظلمة، وهو الجود والصلاح الذي لا يعرف البُخل. وعندما تجتمع كل هذه القوى، فإنك ترى أن للرب حياةً تختلف عن حياة الخطاة، ولذلك لا يضن الرب ولا يتراجع، إنه الطبيب الذي يفتِّش عن المرضى، والراعي الذي يطلب الضال، والصالح الذي يوزِّع بسخاء. فالظلام يستدعي إشراق النور، والموت يُعالَج بالحياة، وكل مَن هو مستعبد، ينال الحرية.

إنها خصوصية السيد محب البشر. وإذا كنت تريد أن تعرف، عليك أن تدرس الأمثال التي ضربها الرب يسوع، ليس للبحث عن الجانب الرمزي، بل عن العلاقة التي يذكرها المثَل. علاقة الأب بالابن الضال. علاقة المرأة بالدرهم المفقود. بدون المحبة لا يمكن فهم العلاقة، مهما كان التفسير صحيحًا. كيف تفهم صلب الرب بين لصين؟ واحدٌ آمن ودخل الفردوس، والثاني هلك بجهله.

لم يَمُت السيد وحده، بل من وراء الزمان، صُلِبَ ومعه لصٌّ سرق الفردوس – كما قال إفرام السرياني– فما هو المستعلَن في خصوصية محبة الرب للخطاة؟

– **أولًا:** لم يفرض الربُّ شروطًا مسبقةً، ولا حتى شروطًا لاحقة. قال للمرأة التي أُمسكت في ذات الفعل: "ولا أنا أيضًا أحكم عليكِ"، مع أنه كان يملك الحكم؛ لأنه "بلا خطية". وعندما يسأل: "يا امرأة أين الذين حكموا عليكِ؟"، فقد بَدَّدَ جميع القضاة.

وليس هناك شرطٌ مُسبَق؛ لأن "المحبة لا تطلب ما لنفسها". كذلك ليس هناك شرطٌ لاحق، بل دعوة لحمل الصليب؛ لأن الرب قال: "إن أراد أحدٌ"، ولم يقل: "يجب على مَن يريد أن يكون لي تلميذًا". لا شروط. ومحبة بلا سبب هي ختم المحبة الإلهية.

محبتنا نحن لأسباب، تقوم الأسباب وتسقط الأسباب. صُلب الربُّ عنا، ونحن لا نعرفه ولم نؤمن به عندما صُلب وقام.

– **ثانيًا**: أنها ليست علاقة عاطفية حسية فقط، بل هي علاقة كيانية. ماذا فعلتْ بنا الخطية؟ تجعلنا نُحب مِن على بُعد، ولا نعطِ أنفسنا إلا إذا كانت النعمة تعمل فينا، أمَّا الرب فهو يعطي من كيانه، أعطى ذاته في العلية، وسكب روحه في العنصرة، ويقدِّم ذاته على مذابحنا في كل قداس، يدعو من يريد أن يأتي إليه، وهو هنا لا يقدِّم مشاعر فقط، بل "جسدي ودمي"، أي أنا "من يأكلني يحيا بي" (يوحنا ٦: ٥٧). يوحِّدنا الرب بكيانه رغم ما فينا من نقصٍ وجهل، بل ومقاومة -أحيانًا- لعمله الإلهي، ولكنه لا يكُّف عن المثابرة وملاحقتنا، هذا غير معروف بالمرة على مستوى البشر.

يقول الرب يسوع لكل نفس: "أُحبُكِ حتى وإن كان في قلبكِ بغضة"، فهو يسعى دائمًا لكي يحل فينا، لا لكي يبقى معنا في معية صداقة، بل لكي يكون فينا، فهو "يحل بالإيمان في قلوبنا" (أفسس ٣: ١٧).

– **ثالثًا**: وماذا يمكن أن نضيف إلى ذلك؟ هي وحدة كيانية، رَبَطَ الربُّ فيها مصيره أي حياته ووجوده وعزته ومجده وأُلوهيته بنا نحن الضعفاء والفقراء. عندما قرأت كلمات الرب في (رؤ ٣: ٢١) "من يغلب سوف أعطيه أن يجلس معي على عرشي كما غلبت أنا وجلست على عرش أبي"، فقد غلبني البكاء لعدة أيام، حتى أنني شعرتُ بضعفٍ جسداني لم أشعر به من قبل، وهو بكاءٌ من شدة تأثري بصلاح الرب يسوع. الغلبة هنا هي موتنا نحن على الصليب الذي اخترناه للتلمذة، وهو إيماننا لأن الإيمان اختيار والاختيار قرارُ المحبة. هكذا تعطيني يا رب

أن أجلس معك على عرشك، عطية وليست قدرة. وعندما قرأت عبارة أوغسطينوس I am you لم أرغب في ترجمتها. "هو وأنا كيان واحد"، أو "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له".

مضى بعض الوقت وكنتُ في أشد الحاجة إلى تطهير فكري مما علق به من أفكار مسبقة "ومثاليات" عن المحبة، ليس لها علاقة باستعلان محبة الله الآب في ابنه يسوع المسيح. وكانت فرصةً لمراجعة النفس دامت بعض الوقت، وجاء عيد العنصرة، وطقس السجدة، وشبعت من الصلوات، ولم أُفكِّر في متابعة الحوار، فقد أخذت ما يكفي في الوقت الحاضر، ولكن كان لقاءٌ غيرَ مُرَتَّبٍ. سألني أبي عن أحوالي، وعن نقاء قلبي، ونصحني بدراسة عظات أوغسطينوس على سفر المزامير، وقال إنه يشعر بأن الترجمة الإنجليزية التي نُشرت (١٨٨٨) مختصرة. بعدها بعدة سنوات ظَهَرَ أن حِسَّه القلبي كان صحيحًا، فقد نُشرت الترجمة كاملة في ٥ مجلدات. كان يرى أن أوغسطينوس كتب الكثير عن المحبة الإلهية، وأننا نحتاج لدراسة كتابه عن "الثالوث"، فهو صاحب المقولة المشهورة: "الله محبة، لذلك هو ثالوث"، المحب والمحبوب والمحبة، مع ملاحظة أن المحبة ليست علاقة عاطفية، بل هي أقنوم الروح القدس. كان السير خارج الدير في البرية في المساء بالذات ممتعًا، وكان أبي يقول دائمًا: إن صغر حجم الإنسان، واتساع دائرة الكون، هو درسٌ منظور عن عمل الله كخالق، لا يمكن رسم حدود لعمله الإلهي.

قال: بعد أن قام الرب من الأموات وكان التلاميذ مجتمعين بسبب خوفهم، وقف الرب وقال لهم: "سلامٌ لكم. ونفخ وأعطاهم نسمة حياة، أي الروح القدس"، دون أن يسألوه، بل قبلَ مجيء المعزِّي في يوم العنصرة، عطيةً بلا سبب سوى الجود الإلهي. ولم يكن أحدٌ من التلاميذ هو الذي طلب العنصرة، بل وَعَدَ الربُّ بها وحَقَّقَ الوعد. هذه هي المحبة، تعطي بلا سبب، بل حتى بلا طلب، وبلا استعداد. من جانبنا، الاستعدادُ مطلوبٌ للقبول، لكنه ليس شرطًا، ولا سببًا، بل المحبة هي سبب العطية. نفخةُ الروح القدس أعادت إلينا نسمة الحياة، فقد تم تجديد الطبيعة الإنسانية؛ لأن الرب قام، وصار آدم الجديد "المانح الروحي للروح

القدس". أمَّا في العنصرة، فهو انسكابٌ على الكنيسة، انسكابٌ تم بعد تجديد الكيان الإنساني في يسوع.

أعود وأكرر، إن خصوصية محبة المسيح لا يمكن شرحها، ولكن توجد ثلاثة حقائق لهذه المحبة:

أولًا: ثباتٌ إلهيٌّ عجيب، يواجه الضعف الإنساني والعجز بثباتٍ لا مثيل له. نحن نتردد ونتراجع، أمَّا هو، فلا يتردد ولا يتراجع، بل ثابتٌ، ولذلك يقول الرب: "اثبتوا في محبتي" (يوحنا ١٥: ٤).

ثانيًا: أبدية المحبة، فهو أحبنا قبل أن نحبه نحن -كما قال الإنجيلي- ليس لأننا كنا قديسين، بل اختارنا فيه الله الآب قبل تكوين العالم (راجع أفسس ١: ٣). أبدية المحبة الإلهية لا تتغير بزمانية محبة الإنسان، بل تعمل دائمًا لرفع الحياة الأبدية إلى ذلك المستوى الإلهي.

ثالثًا: وهي محبة تُعبِّر عن حياة الأقنوم. وعندما قال الرسول: "الله محبة"، فالمحبة لم تُضَف كصفة مكتسبة، بل هي حياة الله نفسه، ولذلك قال: "كل مَن يحب قد وُلِدَ من الله". "وُلِدَ"؛ لأنه عَرِفَ أُبوة الله الآب الذي منحه بنوةً بدون استحقاق، وبدون أي استعداد. المنحة أو العطية تأتي، ثم هي نفسها التي ترتِّب الاستعداد فينا.

قال: لم نستوعب بعد ما جاء بتجسد الكلمة. أولًا الحلول المتبادَل بيننا وبين الرب يسوع. هو فينا؛ لأننا نحن فيه. المسيح فينا هو عطاءُ الآب السماوي لنا، ولذلك قال الآب: "له اسمعوا"، فقد جاء ليس بعلاقة خارجية مثل علاقة الإنسان تحت العهد القديم، بل جاء بعلاقة شركة.

عندما نقول إن الإنسان خاطئ، فإن الخطية هي التي استدعت مجيء الله الكلمة. كم فرحت عندما قرأت في كتاب "تجسد الكلمة" إن سقوط الإنسان هو الذي استدعى صلاح الله وتجسده (راجع فصل ٤: ١). وتجسُّد الكلمة جعل

الإنسان في يسوع المسيح حيًّا متَّحدًا بالله الثالوث إلى الأبد. "المسيح فيكم رجاء المجد"، وأيضًا: "يحل المسيح بالإيمان في قلوبكم"، وأيضًا: "إن كان أحدٌ في المسيح، فهو خليقة جديدة". هذا هو حلول الحياة. نحن فيه؛ لأن كل عضو في جسد الرب، يأخذ حياته ووجوده من الرأس. وهو هنا حلولٌ أبدي، ولا يجب أن نخاف من الحلول، فهو رجاء الحياة الأبدية. إن خطايانا هي التي تستدعي حلوله فينا لكي يطهِّرنا ويجدِّدنا ويحوِّلنا إلى خليقةٍ جديدةٍ. والسُّكنى هي دلالة الشركة، ولا يوجد فرق حقيقي. أصبحت أخشى على الإيمان من الاجتهادات اللغوية التي لا تتمسك بالإيمان. البحث اللغوي جيد ومطلوب، ولكن المسيح رب الحياة ليس كتابًا. الإنجيل هو بشارة حياة، أي حياة يسوع، هو مجيء الله الكلمة، هذا هو معنى كلمة بشارة.

ما هي محبة يسوع الخاصة التي يؤكِّدها تجسده؟

أولًا، الاتحاد الدائم بين اللاهوت والناسوت. نحن ندافع عن هذا، وقد دافعنا عنه في مجمع أفسس ٤٣١ من أجل فساد التعليم النسطوري. والتمسُّك بالجانب الدفاعي مطلوب. ولكن، ومع الضرورة القصوى للجانب الدفاعي، يجب أن ننتبه إلى أن يسوع ليس فكرةً ندافع عنها، يسوع هو شخص، هو أقنوم، هو رب الحياة، هو إلهٌ متجسد. هو الإله الذي فيه حياتنا ووجودنا الإنساني. جاء إلينا لكي يبقى فينا وبيننا.

لقد تحدثنا كثيرًا عن "بيننا"، ولم نتكلم عن "فينا" إلا القليل جدًا. حقًّا هو سرٌّ عجيب فائق لا ندركه، ولكن تجاهُل هذا الحلول الإلهي لأقنوم الله الكلمة بسبب اتحاده بنا في تجسده، هو أحد أسباب الضَعف الروحي الذي نحياه. مثل إنسان عطشان لا يعرف أن الماء قريبٌ منه، بل قريبٌ جدًا.

سألت: كيف نعود إلى هذا السر؟

قال: أولًا بالإيمان بالخبر السار، وهو إيمان يفتح لنا ثلاث حقائق خاصة بالرب نفسه:

أول هذه الحقائق هي أن الرب جاء إلينا ونحن خطاة، ومات عنا دون أن ندري أو نفهم. هذه حركة محبة لا يمكن أن تتوقف تجاهنا. هو آتٍ إلينا دائمًا كراعٍ صالح، مياه الحياة، النور الذي يضيء في الظلمة، خبز الحياة من عند الآب، طبيبٌ جاء من أجل المرضى، كل هذه هي بشارة الحياة.

والحقيقة الثانية هي تقديم الرب لذاته. فقد قدَّم ذاته بالخدمة، ثم قدَّم ذاته ذبيحةً، ثم طعامًا حيًا يعطي الحياة، ثم قيامةً وحياةً أبديةً، ثم وعدًا بما لا نملك، وهو مجيء المعزِّي الروح القدس، هذه هي محبة خاصة. حاول أن تفكر في الذي جاء لأجلك، وفي الذي لأجلك قدَّم ذاته في العلية، ثم على الصليب. ولاحظ: أخذ الصليبُ قوته من الاتحاد الأقنومي؛ لأن الذي صُلب هو ربُّ المجد. وصار الصُّلبُ والقيامة هو العمل الواحد الذي أباد فيه الرب الموت لكي يهب لنا الحياة الأبدية. فعل يسوع ربنا كل هذه الأمور لأجلنا نحن؛ لكي نحيا. عندما يقول: "من يأكلني يحيا بي"، فهل يمكن لأي لغة أن تقدم لنا شرحًا أعظم مما يعلنه هذا العمل الإلهي الفائق؟ وهو يفعل ذلك معنا نحن. حتى بعد أن نؤمن هو يعمل "معنا"، و"فينا"، وهي الأهم؛ لكي يكون لنا حياةٌ فيه.

هنا يجب أن نمتنع عن الكلام لكي نطلب الحياة.

والحقيقة الثالثة هي أنه هو كوَّن الكنيسة من جسده، من "عظامه ولحمه" كما يقول الرسول. وهو يفعل ذلك لكي يكون لكل الخطاة شركة، ولكي – بالشركة– نتعلم كيف يحب الرب يسوع كل واحد منا، وكيف يحب الرب كل الجماعة. حُبٌّ شخصيٌّ لكل فرد، وحُبٌّ جماعيٌّ لكل عضوٍ في جسده. لكن لا تنسى الحقيقة الكبرى: إنه يحب جسده، أي أنا وأنت.

ساد صمتٌ، ثم قال: في بداية حياتي كانت "حب قريبك كنفسك" هي بمثابة تحدٍّ كبير. لقد وُلِدنا داخل تقوى شعبية تأثرت كثيرًا بالثقافة التي لا تعرف إلا المحبة من أجل العلاقات الجنسية في الأحاديث، وفي الغناء. والقريب هو مَن ذكره الرب في مثل "السامري الصالح"، الآخر هو يسوع نفسه؛ لأن توبيخ الذين

على شمال الرب بأنهم لم يقدموا له الغذاء ولا الكساء ولم يزوروه في السجن أو أثناء المرض، واعتبر الرب أن كل هؤلاء هم شخصه. هكذا وحَّدنا به بسبب تجسده. هكذا صار الآخر هو يسوع. هل رأينا ما هو أعظم من هذا في أي دين آخر: إن الله تجسد، وصار بالتجسدِ هو الآخر؟

ولاحظ أن المريض والمسجون والجائع والمحروم من الطعام، ليس بالضرورة إنسانًا صالحًا قديسًا. صحيح أن القديسين تاهوا في مغائر وشقوق الأرض كما تقول رسالة العبرانيين، وحقًا كانوا في سلاسل الأسر مثل صموئيل المعترف، ولكن المسيح الرب، كان يكلم الإنسانية. وهي هنا -على صورة مصغرة خاصة- هي الكنيسة، وصورة كونية، هي الإنسانية كلها.

الحقيقة الخاصة بي وبك، هي أنك أنت هو الآخر بالنسبة ليسوع، ويسوع هو الآخر بالنسبة لك. هو يحبك لأنك أنت الآخر، ولأن المحبة لا تكمل إلا بالآخر، بالمحب والمحبوب، فلا محبة بدون محب ومحبوب؛ لأن الآخر ويسوع هو الآخر عندك. كلًا منكما يحمل ذات الحياة الإنسانية. حياته هي حياة إله متجسد، وحياتك أنت هي حياة إنسان دُعيَ للتألُّه.

الهجوم على شركتنا في حياة الثالوث باسم الخطية، هو هجومٌ على الإنجيل، على التجسد والصلب والقيامة والعنصرة، أي أننا نهاجم ما نحتفل به في هذه الأعياد السيدية الكبرى. نقوم بطقوس وصلوات، ونحاربها في ذات الوقت بالوعظ. هل يوجد عمى روحي أفظع من هذا؟ ساد صمتٌ وقد غلبت الدموع كلانا.

وقال: نكمِّل بعدين.

الآخر هو يسوع؛ لأن العضو في الجسد الواحد هو آخر، وهو عضوٌ في جسد يسوع. المحبة لا تُقسِّم ولكنها تميِّز، والتميز لا يسمح بالانفصال. والكثرة والتعدد هي سمات أساسية للمحبة؛ لأن المحبة تعطي، وهي تعمل بوفرة الصلاح الإلهي. وعبارة الرب نفسه لها دلالة هامة، فهو يقول: "ما فعلتموه بأحد هؤلاء فبي قد فعلتم". نحن نخطئ في تقنين المحبة حسب الشريعة. والوصايا هي الطريق،

ولكن الوصية لا تختلف عن يسوع نفسه.

قاطعته، وسألته أن يشرح أكثر.

قال: "أحبوا أعدائكم" هي يسوع نفسه الذي صالحني مع الآب. فنحن "كنا أعداء في الفكر". "باركوا لاعنيكم" هي يسوع نفسه الذي يطلب لنا بركة من الآب، بركة أبدية، وهي عطية الروح القدس، وهو الذي يحسن إلى مَن يبغضه لدرجة أنه غَفَرَ لصالبيه. هو وحده الذي نظر إلى امرأة، ولم يشتهِ؛ لأنه طبيبٌ جاء لكي يعالج الإفراط في محبة الذات، وهو الوحيد الذي عاش حياةً إنسانيةً من أجل الآخرين، ومن أجل أن "يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد".

وهناك وصايا عامة للجماعة، مثل تلك الخاصة بالزواج، ولكن الوصية الخاصة بالآخر هي معاملة يسوع كآخر، هي يسوع نفسه قبل أن تكون معاملتنا نحن كلٌّ للآخر، وإلا لماذا قال: "أحبوا بعضكم بعضًا كما أحببتكم أنا". وأيضًا: "بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حبٌّ لبعضكم البعض"، فقد جسَّد المحبة، وهي محبة لا تعرف التمييز بين الصالح والطالح، الخيِّر والشرير. لا يوجد ازدواجية في المحبة الالهية. وهو يحب الكل معًا محبة واحدة. هذا صعبٌ علينا بسبب تراكمات نفسية واجتماعية، وسلطان العادات والقيم الاجتماعية المضادة للإنجيل. نحن ننتظر أن يأتي الذي أخطأ لكي يعتذر، ولكن الرب ليس مثلنا ينتظر عودتنا. هكذا عبَّر هو عن نفسه في مثل الدرهم المفقود. ولم يتردد الرب يسوع ان يشبِّه نفسه بامرأة، وهو الساعي وراء الخروف الضال، وهو الذي جرى لكي يتقبل الابن الضال، وهو الذي يسعى وراء كل مجروح.

وعندما قرأت عظات العلامة أوريجينوس على إنجيل لوقا، حيث ذكر أن السامري الصالح هو يسوع نفسه في المثل، وتذكَّرت أن اليهود شتموا يسوع وقالوا له: "إنه سامري وبه شيطان"، تأكدت أن المِثَل شاع في أوساط اليهود، وسبَّبَ لهم هذا الحنق.

ساد صمتٌ لبرهةٍ، وهو جالسٌ كَمَن يفكر، أو يرى شيئًا بعيدًا، وقطع

الصمت وقال: هل تعرف لماذا تركنا طريق محبة الخطاة؟ فقلت له: لا أعرف، ولا أريد أن أُخمِّن. فقال: لأن محبة الخطاة غير مألوفة وغير عادية، بل هي تبدو ضربًا من اللامعقول. فقد حدث أن حضرت امرأة زانية معروفة -حتى في أوساط مسيحية- القداس الأول في إحدى كنائس القاهرة، وشاهدها بعض زبائنها من الرجال، ودخلت مع السيدات لكي تتناول، وتطوع واحدٌ منهم بأن يهمس في أذن الأب الكاهن بأن يمنعها من التناول. ولكن وسط دهشة كثيرين، أعطاها الرب جسده ودمه بواسطة هذا الكاهن العظيم. ولما سُئل من لجنة الكنيسة، قال: إن مَن يريد أن يتقدم لديه نية، والربُّ وحده يعرف النية وغاية القلب. وتمر الأيام، وإذا بها تصبح خادمةً في الكنيسة وتترك الطريق القديم. لو كانت طُرِدَت أو مُنِعَت، ربما يكون اليأس قد حطَّم شجاعتها. نسيت أن أقول إن الأب الكاهن قال في اجتماع اللجنة: وكيف عرفتم أنها امرأة زانية؟ وسكت الكلُّ.

خصوصية محبة يسوع للخطاة، أنها محبة تسعى دائمًا ولا تكف في السعي، هي حركة دائمة. وعلينا أن نكون في يقظةٍ تامةٍ لكي يكون لدينا الاستعداد لقبول هذه المحبة الشاذة على كل ما نعرفه، والشذوذ هنا هو أنها فوق كل مقاييس العقل والمنطق.

-٧-

المحبة الواحدة التي لا تنقسم

كانت البداية هي كلمات الرب يسوع في (يوحنا ص ١٧). ختم الربُّ الاستعلانات بقوله: "وعرَّفتهم اسمك وسأعرِّفهم"، فقد عرَّفنا بالآب، الاسم الخاص الذي شرح لنا معنى الاسم القديم: "يهوه": "أنا الكائن"، أو "أنا الذي سأكون"، أنا الكائن الآب؛ لأن الابن معكم وقائم بينكم. وأكمل الربُّ تسليم الحياة الجديدة: "وسأُعرِّفهم (بك أيها الآب)، والسبب: "ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم (بذات المحبة)" (١٧: ٢٦). لكي يكون فينا الربُّ نفسه، فهو كما قال: بالمحبة، أي بذات محبة الآب، لأن المحبة لا تنقسم، وقد سبق وقال الرب: "أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد" (١٧: ٢٣). فمحبة الآب، كما قال الرب نفسه: "أحببتهم كما أحببتني" (١٧: ٢٣) تعني أنه لا توجد سوى محبة واحدة مستعلَنة في الابن وتُوهَب بالروح القدس (رو ٥: ٥).

سألني: ما هو أساس المسيحية، أو أساس الانجيل؟

أجبت دون أن أُدرك غاية السؤال: أساس الإنجيل هو يسوع.

قال: إذن، ليس شريعة موسى؟

أدركت ماذا يقصد. لقد لخَّص الربُّ الشريعة في وصيتين: الأولى أن تحب الرب الهك، والثانية أن تحب قريبك كنفسك. وقال إن هذا هو لُب أو جوهر تعليم الأنبياء. فإذا كانت الوصايا كلها قد انجمعت في هاتين الوصيتين، فإن اختبار الإنسان ليسوع ربًّا ومخلصًا هو اختبارٌ لطريق يسوع، وهو الطريق الضيق، أي طريق المحبة.

لقد أفسدت الأغاني الشعبية الذوق والحس الروحي، وصارت الأشواق نابعة

من الجسد ومن العواطف. نعم من الجسد؛ لأن الإنسان الذي ينسى الحياة الأبدية، يحاول أن يجدها -أي الحياة الأبدية- في جسده، ويظن أن الجسد هو الوجود الحقيقي. ولابد أن نعلم كيف تم تزيِّيف الجسد نفسه بالخطية، وكيف أن الموت ضرب كيان الإنسان، فأصبح يرى الخلود والبقاء في الجسد، ومن هنا يجيء رعبُ الموت والخوف من المرض؛ لأن الباقي والخالد قد اهتز عرشه.

لماذا لا تدرس الفصول الستة الأولى من الرسالة إلى الوثنيين؟ سوف تجد فيها سر التحول الذي حدث في سقوط الإنسان.

سادت برهةٌ من الصمت، كانت أطول من الدهر. فقد توقف الكلام عند موضوع بالغ الأهمية، وهو نظرة الإنسان إلى جسده، واعتباره بقاء الجسد هو بقاءٌ أبدي خالد، رغم أنه يتقدم ويشيخ، ولكننا نحارب الشيخوخة، ولا ندري سببًا لها سوى المرض وتقدُّم العمر، مع أنها هي نضوج الإنسان لكي يدخل مرحلة أخرى للحياة الباقية الخالدة.

قال: المحبة الواحدة التي لا تنقسم هي محبة -إذا جاز القول- دخلت عرين الموت والفساد، بل ونزلت إلى الجحيم "من قِبَلِ الصليب". هي محبة تقتحم لكي تشفي، وتجول -كما قالت الأناجيل- في كل قرية ومدينة تفتِّش عن المحتاجين للشفاء.

تأمَّل: محبة الآب للابن هي ذات محبة الآب لنا، وهي ذات محبة الابن لنا، وهي ذات المحبة التي يسكبها الروح القدس.

هل تعرف لماذا لا يمكن للمحبة أن تنقسم؟

هذه ليست مسألة فلسفية؛ لأن الإنجيلي يوحنا قال: "الله محبة". وقال أيضًا: "مَن لا يُحب لا يعرف الله". هذا حكمٌ صارمٌ شديدُ الوقعِ على أي إنسانٍ يدرك أنه بدون المحبة لا يمكن الاقتراب من الله. الله لا يمكن أن ينقسم؛ لأنه ليس مخلوقًا خاضعًا للتغيير. محبةُ الله أبديةٌ غير قابلةٍ للتحول، وهي ليست ردَّ فعلٍ لتوبة الإنسان كما يحلو لبعض الوعاظ عندنا أن يعلِّموا الناس.

تأمَّل معي: محبة لا تنقسم؛ لأنها حياةُ الله، فهي ليست عواطف وإنما الوجود الإلهي -رغم عدم دقة كلمة الوجود؛ لأن "الوجود" خاصٌّ بنا نحن المخلوقات، وربما تعبِّر كلمة "الكائن" عن الله بشكلٍ أفضل- ومع ذلك، فقد دخلت المحبة الإلهية إلى الوجود الإنساني نفسه بالتجسد. دخلت المحبة دنيا الإنسان بما فيها من انقسامات وتحزُّب وحروب وخصام وعداوة تصل إلى حدِّ القتل بسبب انقسام محبة الإنسان وارتباط محبة الإنسان بما يحتاج. ولما كانت الاحتياجات متنوعة، بالتالي تنقسم المحبة حسب تنوع أهداف محبة الإنسان للمال، والعمل، والشهرة، وكل ما يحيط بالإنسان في الحياة الاجتماعية. لكن الثالوث لا احتياجات له، وليس لديه تنوع الطبائع المخلوقة، بل الحياة الواحدة التي نسميها الجوهر الواحد، وجوهر الألوهة هو المحبة؛ لأن "الله محبة".

لقد جرى تقسيمٌ وتبعيضٌ لحقائق هي في الأصل واحدة؛ لأن أصلها واحد، وهو عمل الثالوث. نعمة ربنا يسوع مستعلَنَةٌ في ربنا، ومعطاةٌ بالروح ومصدرها الآب. وهذا لا يقسِّم عمل الثالوث الواحد. لقد كان لديَّ هذا الحس، وصار يقينًا بعد أن درست رسائل القديس أثناسيوس إلى سرابيون عن الروح القدس، وقبل ذلك كتاب ودفاع القديس باسيليوس عن الروح القدس.

إذا استطعنا تجاوز التقسيمات التي زادت في العصر الحديث، استطعنا أن نتكلم عن التدبير بصوابٍ أكبر. أقصد أن موت الرب المحيي على عود الصليب، هو عمل الثالوث، هو استعلان المحبة الواحدة. هكذا تعلَّمنا عندما كنَّا أطفالًا. كان الكِبارُ يسألوننا: مين خلقك؟ وكان الجواب: الله الآب. ومين فداك؟ الله الابن. ومين قدَّسك؟ الله الروح القدس. ومين هو إلهنا؟ هو واحد في ثالوث. وكان رشمُ الصليب هو طقس الاعتراف بالإيمان بكل ما قِيل عن شرحه عن نزول الابن والانتقال من الشمال إلى اليمين بالروح القدس. نحن لا نقول باسم الواهب أو باسم القوة أو باسم النعمة، بل باسم الآب والابن والروح القدس لأننا نأخذ. والوعي والإيمان ليس بالنعمة، نحن لا نؤمن بنعمة ولا بعطية ولا بموهبة، ولكن نؤمن أولًا بالروح الواهب النعمة، وهو العطية، وهو موزِّع المواهب. مَن يقبل نعمة،

ولا يقبل مانح النعمة، هو أشبهُ بلصٍّ أو زانٍ يأخذ ما يريد ويترك الواهب، وينصرف بعيدًا عن العاطي. التقسيم الذي يُقال عندنا جاء من عمل الشيطان، ومن أجل خلق فجوات تدخل فيها الفتاوى، ويسود فيها قانون أو قوانين دخلت في عصر غاب فيه الوعي عن أن أساس المسيحية، وأساس الحياة الحقة، هو الرب وليس الناموس أي الشريعة.

أعظم عطايا محبة الرب، هي عطية الجسد والدم في الإفخارستيا، حيث يعطي لنا ذاته ويقول لنا: "مَن يأكلني يحيا بي" (يوحنا ٦: ٥٧). هو الذي يقدِّس، وهو الذي يوزِّع. لقد نطق القداس الغريغوري بهذه الحقيقة العظمى بكل وضوح. ولكن عندما سادت فكرة سلطان الكهنوت، بدأت أسئلة العقل الذي تربَّى في مدرسة السلطة، فأصبح الكاهن هو الذي يستدعي الروح القدس، والكاهن هو الذي يقدِّس، وغابت نعمة الشركة، فأصبح الكاهن هو الكل في الكل، ولم يعد شريكًا للرب في خدمته، بينما كل ما يعمَلَه الكاهن، إنما يتم بواسطة الصلاة، وبواسطة استدعاء الروح القدس.

وهنا، عطيةُ المحبة تعود إلى المحب، محب البشر يسوع المسيح نفسه الذي لا سلطان لأحدٍ عليه. ذبيحةُ المحبة العظمى، سر الشكر هي ذبيحة يقدِّم فيها الرب ذاته لنا، ونحن جميعًا غير مستحقين.

لقد تابعت مأساة د. مجدي وهبه الذي قدَّم تعليم الآباء القائل بأن يهوذا تناول مع باقي التلاميذ، بل غسل له الرب يسوع قدميه كما فعل مع الباقين. ولكن محاصرة محبة يسوع المسيح للخطاة هي التي تسمح "ببهدلة"، نعم "بهدلة" الخطاة، والتشهير بهم وتعليم قساوة القلب على أنه قساوة قلب الله الذي لا يمكن تبديل محبته بسبب سلوك البشر. أنوح وأبكي كثيرًا على ما حدث وما يحدث: سرعة الاتهامات وسرعة اتخاذ القرارات التي لا تعبر عن فهم أو إدراك بل تعبر عن سلطة لا تعرف المحبة.

كانت الشمس توشك على المغيب، وكان سكون المساء يزحف، وصلاة

عشـية لا يمكـن أن تُهمـل، ولكـن الحـديث قادنـا إلى الأوجـاع الحقيقيـة للكنيسـة: إهمال المحبة، وإهمال الثالوث إلهنا الحقيقي، وعدم فهم حقيقة موت الرب يسوع على الصليب، وإنكار سُكنى الروح القدس، وسطحية الكلام عن السرائر. هذه كلها تبدو عقائد، وهي فعلًا عقائد، ولكنها استعلانات المحبة الثالوثية.

مضـى يـومٌ علـى الحـديث السـابق، ولا زالـت الكلمـات حيَّـةً في القلـب وفي الذاكرة. دُوِّنَت في نفس ساعة الحديث. التقسيم الذي جاء بخراب ودمار الحياة الروحية؛ لأننا نختار ما نريد، ونترك الأصل: نختار المواهب ونترك الأقنوم.

ماذا عن المحبة؟

المحبة هي حياة الثالوث، وهي شركة الثالوث، وحلول كل أقنوم في الآخر.

مِـن الأخطـاء العامـة عنـدنا هـو أن نظـن أن أيَّ عمـلٍ خـاصٍّ بـأقنوم، قاصـرٌ عليـه وحده. يعني نظن أن تجسد ابن الله هو خاصٌّ بالابن، ولكن الآب أرسل الابن لنا قربانًا وذبيحةً، والابنُ أرسل الروح لنا عطيةً. الإرسالية هي شركة الآب في التجسد؛ لأن أعمال الله لا تنفصل فيها الإرادة والحياة عن العمل ولا عن الشركة. هذا الانفصال خاصٌّ بنا؛ لأن لنا طبيعةً مركَّبةً من جسد وروح، وهي دائمة التحول حسب المواقف، وقد نوافق على عملٍ معين دون أن نشترك فيه، ولكن إرسالية الابن ليست مجرد قرار إرادي، بل هي مسرة الآب، ولذلك قال: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت". ومسرةُ الآب ليست مجرد قبول أو رضاء، بل شركة في الذي أخلى ذاته لكي يعلن أبوة الآب. عندما قال الرب: "أنا والآب واحد" (يوحنا ١٠: ٣٠)، حقًّا هي وحدانية الجوهر، ووحدانية الجوهر تجعل إرادة الابن هي إرادة الآب، إرادة واحدة متحدة متمايزة بسبب تمايز كل أقنوم، ولكنها متَّحدة بسبب وحدة الجوهر، وبسبب آخر يعبِّر عنه الجوهر الواحد، وهو المحبة الواحدة.

ماذا يحدث لنا عندما ننال لمسةً واحدةً من المحبة الإلهية؟:

قال: تظهر لنا كل الأمور الزمانية على أنها بلا قيمة. كما قال الرسول بولس:

"حسبتها نفاية لكي أربح المسيح وأُوجد فيه". وتعلو محبتنا لدرجة أننا نرى الربَّ أهم من الحياة؛ لأن الرب هو الحياة، وأنه أعظم من الوجود كله؛ لأنه هو الوجود كله. ولا يحلو لنا طعامٌ أو شراب أو الجلوس مع الأصدقاء أو السفر أو القراءة، كل شيء، حتى النوم والراحة الجسدية، تظهر لنا صغيرة غير مهمة، ونستطيع أن نحيا بدونها.

نحتمل الإساءة؛ لأننا أدركنا مقدار كرامتنا عند الله، لا عند البشر. نسمع الشتائم ولا نهتم بها، بل لا نرد؛ لأن ما يقوله البشر ليس من مصدر الحياة، أي ربنا يسوع.

تجسد المحبة الإلهية:

عندما تجسد الابن له المجد، استطاع الهراطقة أن يملئوا عقل الكنيسة بموضوع الطبيعتين. بكل حق، الإيمان بالمسيح الإله والإنسان، ليس موضوعًا نجده في كتاب، أو هو فصلٌ من فصول التاريخ الكنسي. الإيمان بالمتجسد يعني دائمًا بالنسبة لي: محبة الله المطلقة التي جعلته "يخلي ذاته ويأخذ صورة العبد" (فيلبي ٢: ٦). هذه الكلمات القليلة كانت موضوع صلاتي في الوحدة لمدة طويلة لا أذكرها، ربما تزيد على سنة. كنت أتوسل إلى الرب نفسه أن يكشف لي عمق محبته، وهذا ليس موضوعًا يُكتَب أو يحاصَر بالمشاعر والعواطف، ولا حتى بالتأمل. يوجد بُعدٌ غائبٌ، وهو الاتحاد السري المستيكي، هو وحدتنا مع الرب، وهو اتحادنا به.

انشغلنا عنه، وابتعدنا عنه كثيرًا، ولكنه هو كل أشواق الرب يسوع النارية، وهذه ليست عواطف ولا هي مشاعر، هي أنين قلب المخلص لكي يسكن فينا ويحل بالإيمان في قلوبنا، كما قال الرسول بولس (أفسس ٣: ١٧)، وهو ما طلبه الرسول أن ننال "قوة الروح القدس في الانسان الباطن"، وبقية الكلام ذات دلالة: "وأنتم متأصِّلون ومتأسِّسون في المحبة (ولاحظ) حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين: ما هو العرض (أي الشمول) والطول (أي السمائي) والعمق (أي النزول إلى الجحيم)

والعلو (أي الوقوف عن يمين الآب)". كل هذا هو ما يؤكِّده الرسول: "وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله" (أفسس ٣: ١٦-١٩). هكذا عشتُ لا أبحث عن هذه المحبة في الكتب، ولا في أي بحثٍ عقلي نظري، بل في قلبي، وتمرُّ عليَّ أيام طويلة وأنا أردد كلمات الرسول: "لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله"، و"كل"، و"ملء" ليست مجرد كلمات، بل هي إشارات إلى الحقيقة الفائقة التي تعلو على الإدراك؛ لأن الرسول يقول في ختام هذا التعليم: "والقادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جدًا مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التي تعمل فينا" (أفسس ٣: ٢٠)، هذا ما هو فوق الإدراك العقلي والنظري!

سألتُ، وقد ظهرت آفاقٌ جديدة بالنسبة لي: إذن ماذا علينا أن نفعل؟

فقال: لا شيء. في البداية كنت أدرس حياة النُّسَّاك، وقد قُدِّمَت الحياةُ النسكية بشكلٍ مختزل حَذَفَ -عن غير قصد- التسليم الحقيقي للحياة النسكية، أي "الموت عن العالم"، ولكن الموت الحقيقي عن العالم هو "الصلب مع المسيح"، كما قال رسول الأمم بولس: "مع المسيح صُلِبت"، لذا فإن الاعتكافُ هو ابتعادٌ عن كل ما يشوِّشُ الفكر. الصومُ هو طلب القوت السمائي، والغذاء الروحي من الله: "الكلمة التي تخرج من فم الله"، كما قال الرب في ردِّه على الشيطان. عدمُ القنية هو عدم الانشغال بما لدينا؛ لأن هذا، أي عدم القنية، يكشف لنا نوع محبة الذات، الذات التي تريد أن تنمو وتمتد إلى ما تملك. السعيُ إلى الصداقة، بل وطلب هذه الصداقة هو في أغلب الأحوال فراغُ القلب. اصطيادُ أخبار الناس والتسلية بخطايا الآخرين وذكرها لكل مَن نعرف، هو قساوةُ قلبٍ لم يعرف بعد غفرانَ الله. وهكذا، حتى الصمت، لا يُفرَض على الإنسان فرضًا، بل يسعى إليه القلب؛ لأن صلاة يسوع، أو الصلوات الشخصية، أهمُّ من أيِّ حديثٍ.

أذكر أنه كنت من شدة التعب، قد غفوت أثناء القداس، وربما كانت هذه رؤيا، ربما كان أحد الأحلام السماوية؛ لأن الله أحيانًا يرسل لنا رسالةً عندما يهدأ العقل ويكُفُّ عن التفكير، أن شخصًا وقف أمامي، وكان يشبه أحد الرهبان

الذي عبروا إلى الحياة الباقية، وسألني: ما هو هدف حياتك؟ ولم أجد لديَّ ما أقول سوى: المسيح هو هدف حياتي. فقال لي: الرهبنة وسيلة، الإيمان وسيلة، الحياة الجسدانية وسيلة، المعرفة بكل أنواعها وسيلة، الصحة وسيلة. لا تخلط بين الوسيلة والهدف لكي تربح المسيح. خليك زي بولس الذي خسر كل الأشياء وحسبها نفاية لكي يربح المسيح. وأنت تحتاج إلى أتون المحبة الإلهية متى حلَّ روح الله في قلبك؛ لأن الروح القدس هو الذي يسكب محبة الله في القلب. وعدت إلى وعيي، أو انتهى الحلم. ومن ذلك الزمان بدأت أغربل حياتي كلها في غربال مانع؛ لكي لا يبقى لديَّ إلا الهدف، وأنَّ كلَّ شيءٍ هو وسيلة.

لو مرت أيام لا أذوق فيها النوم، لا أشعر بالحسرة، بل بتعب الجسد؛ لأن النوم وسيلة. وما دام الهدف هو يسوع، فاليقظة أهم. وحتى الانقطاع عن الطعام، صار وسيلةً، وتلاوة المزامير لم تعد قانونًا، بل ظلت وسيلة. حضور القداس هو وسيلة للشركة، والهدف هو يسوع، هو التناول، والتناول هو تنازُل عن كل ما هو زائد وغير ضروري.

وهكذا نفلِّح الأرض وننتظر المطر والبذرة السماوية من الثالوث القدوس.

عند هذا الحد أدركت أن حوارنا اليوم قد انتهى.

-٨-

التجرُّد والقِنية

قال: الإنسان دون أن يدري، يبحثُ عن شيءٍ يُضاف إليه لكي يعطي معنى لحياته ووجوده، فيصبح اعتماد الإنسان على عوامل وممتلكات خارجية، بمثابة السلسلة التي تستعبد الإنسان.

وعندما سألت عن أمثلةٍ لِما ذكر، قال: المال — الصيت — المركز الاجتماعي، بل وتراكم المعرفة بأشكالها، هذه كلها تعطي للإنسان الإحساس المطلق بالوجود. هل تذكر الشاب الغني الذي أراد الحياة الأبدية، وسأل الرب ماذا يصنع لكي يرث الحياة الأبدية؟ السؤال نفسه غلط؛ لأن الحياة الأبدية لا يرثها الإنسان بالسعي إليها. هي عطيةٌ من الله بسبب صلاح الله. ولما قال له الرب: احفظ الوصايا، قال: هذه حفظتها منذ حداثتي، ولكن لما سمع: اذهب بع كل مالك وتعال اتبعني، والرب كان يقصد عِش كما أعيش أنا للآب وصلاحه ومحبته؛ حَزِنَ الشابُ الغني؛ لأنه كان "ذو أموال كثيرة". كل من يرى أن لديه شيئًا ما مهما كان قليلًا أو كثيرًا، وأن حياته في هذا الشيء، هو غريبٌ عن الله تمامًا وعن صلاحه. ولذلك، حَرِصَ الآباءُ على تجرُّد الراهب تمامًا من كل شيء بما فيها الاسم نفسه؛ لارتباط الاسم بالحياة الجديدة، ولكن تغيير الاسم لا يفيد إلا عند مَن طلب الحياة من الرب نفسه. قد تقرأ عن هذا الذي كان له ثوبٌ واحد، أو تجرَّد حتى من ملابسه، مثل أبا نفر، وكان لا يأكل إلا القليل جدًا. هؤلاء أرادوا مصدر الحياة الحقيقية، وهو الرب يسوع نفسه.

وصَمَتَ، ثم قال: الذين يعملون في المجتمع مثل الأطباء والمهندسين والمدرسين وغيرهم، هؤلاء لهم صراعٌ أعنف بكثير من صراع الذين في الأديرة. هل تعرف السبب؟

فقلت: له لا.

قال: السبب هو أن الحياة الاجتماعية فيها التزامات وواجبات لا يمكن الهرب منها. ولكن على هؤلاء أن يفهموا ما هو أعمق وأهم، وهو الوعي الحقيقي غير المزيَّف بالحياة الحقيقية. هل تعرف ما هي الحياة الحقيقية؟ قلت له: أريد أن أعرف.

فقال: هي المسيح يسوع كله بما فيه من تعليم، وحياة، ومعجزات، وحَبَل وولادة، ومعمودية، وصراع مع الشيطان، والصلب والدفن والقيامة والصعود، ثم حلول وسُكنى الرب فينا في القلب، وهو جالس على عرش مجده يترك هذا المجد لكي يسكن في كياننا الهزيل الخاطئ الميِّت لكي يعطي له الحياة. ما هي مصادر الحياة عندك؟

فقلت له: يوجد مصدر واحد.

قال: جيد، أرجو أن تكون إجابتك هي كل الحق، وليست إجابة تُرضي بها شخصي. ثم أضاف: مصدر الحياة يصبح هو الحياة. تمامًا مثل النعمة، تصبح هي حياتنا نفسها. النعمةُ ليست شيئًا، بل هي ما يُعطى. وما يُعطى من الرب يسوع بالروح القدس، يبقى فينا إلى الأبد. لم نعُد نسمع عن أبدية النعمة. مثل التبني ومثل سكنى الروح القدس. عندما قال رسول الرب إن عطية وهِبة الله "بلا ندامة"، أي بلا تراجع، فقد أكَّد على أنها ثابتة باقية أبدية، رغم ضعف الإنسان.

سألت: إذن، ما هو التعليم الخاص بنا نحن غير الرهبان عن التجرد؟

قال: سهل. أقصد أن الكلام سهلٌ، ولكن التعليم يحتاج إلى إفراز تام:

١– كل شيء ترى أنه أساسي في حياتك غير المسيح، تخلَّى عنه بحرية، أو بتغصُّبٍ إذا استدعى الأمر، حتى لا يصبح مركز اهتمامك بنفسك.

٢– لا تبحث عن ملابس جديدة إلا إذا كنت تحتاج إليها فعلًا، وسلِّم النقود لمن هو محتاج.

٣– لا ترد على الشتائم لأنك إذا شتمت، فأنت تدافع عن نفسك،

والدفاع عن النفس يجب أن يكون من أجل الرب لا من أجل كرامة أو صيت.

٤- حدِّد لنفسك الدائرة الخاصة بالحياة الاجتماعية الضرورية، وأترك ما هو غير ضروري. افعل هذا بمحبة، وبغير خوف، وبحرية، وليس تحت ضغوط.

كان الحديث كافيًا. فقد سمعنا جرس الغروب.

-٩-

الهدف

كان المبتدئ يطلب "كلمة منفعة"، ولكنها صارت بعد ذلك "قانون". ولعل غياب الشيوخ وعدم تسليم الحياة النسكية، هو الذي أدخل فكرة القانون. صار القانون في العصر الوسيط بالذات هو صلوات المزامير – العمل اليدوي – وخدمة الأخوة. والذين عاشوا في المغاير، لم يتركوا لنا مدوَّنات عن تدرج الحياة من المجمع إلى الوحدة.

كان أبي حريصًا على تمييز أن الحياة المسيحية الحقيقية لها هدف، وأن الهدف هو التشبُّه بالمسيح، لا بأيٍّ من القديسين. نحن ندرس حياة القديسين وأقوالهم، ونتعلم منهم الحكمة والسلوك، ولكن كل هذا من أجل أن يكون لنا اتحادٌ حقيقي بالرب يسوع. وعندما كنا نرتل المجمع في تسبحة نصف الليل، كان يقول بعد المجمع: "يا أنوار الرب يسوع الذين أناروا حياتنا، اطلبوا عنا لكي ننال ذات نور الرب يسوع". وحَرِص على أن أحفظ الإبصاليات وأُرددها في كل يوم، وأن أحفظ صلاة باكر والثالثة والسادسة والتاسعة والغروب والنوم، ليس بتلاوة المزامير، بل بحفظ أوقات الصلاة. وكان يكرر: لسنا تحت شريعة موسى، ولا يوجد قانون خاص بالصلاة للعلمانيين.

"هدفك هو قانونك". وهدفك هو الاتحاد بالرب. واجعل من ذلك الهدف قاعدة التمييز بين ما هو نافع ولازم، وما هو ضار وغير مُجدِ. لا تُحرِّم شيئًا ما، إلا إذا كانت الوصايا، أي وصايا الرب يسوع، قد حرَّمته. ولذلك كان يشدد على حفظ العظة على الجبل، وقال: إن مكانها الصحيح هو الساعة السادسة، ساعة صلبوت الرب؛ لأن ما جاء في هذه الوصايا هو طريق الصليب، وهو طريقٌ واضحٌ

لا غموض فيه. وظلَّ يؤكد أن العظة على الجبل هي بداية إتقان الإفراز؛ لأن مَن لا إفراز له، هو مثل ورقة جافة في مهب الرياح.

أعود إلى القانون، وكان الجانب الآخر من الهدف، أي الاتحاد، هو محبتي للرب واكتشاف محبة الرب لشخصي الخاطئ.

وسألته: هل للمحبة قانون؟ وأجاب في رفق وحزم: نعم، قانون المحبة هو الصليب، وللصليب جانبان: الموت والقيامة. نحن نموت، لا لكي نموت، بل لكي نقوم.

وجاء قرارٌ آخر، وهو حفظ (رو ٦: ١ - ٨)؛ لأن المعمودية ليست حدثًا عابرًا غاب في الماضي. لقد استلمنا من سر المعمودية المقدسة رشم الصليب، وهو عودتنا -برشم الصليب- إلى الالتصاق بالمصلوب والحي من الأموات.

لن تفهم محبة الله لنا إلا إذا فهمت صلب الرب، وتذوقت قوة المصلوب، وصُلبت معه. وصارت صلاة النوم هي صلاة الدفن والموت مع الرب، وهي مناسبة ضرورية لحساب النفس. كان يُشدد: لا تترك الغضب، أو أي فكر يحكم على أي إنسان. "خليِّ قلبك طاهر"، ولا "تحكم على أحد"؛ لكي يكون عندك سلام، يجعلك قادرًا أن تميز ما في قلبك من رغبات.

ما يجب أن تحفظه:

اختار أبي مجموعةً من المزامير لكي أحفظها. وشدَّد على مزمور ٢٣ "الرب راعيَّ"، مزمور ٢٧ "الرب نوري وخلاصي"، مزمور ٩١ "الساكن في ستر العلي". وطلب مني أن أحفظ صلوات القِطَع الخاصة بكل ساعة، وبالذات إنجيل السادسة، مع إضافة نص العظة على الجبل كلها وعدم الاكتفاء بالتطويبات.

الحرص والانتباه:

على أيقونة مار مينا تجد عبارة هامة كانت هي التي حدَّدت سلوك أبي: "فوق كل تحفظ، احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة". وقال: إن هذه كانت وصية

شيوخ دير البرموس؛ لأن القلب النقي، كما قال الرب، يعاين الله. ولما تأتي عليك أمواج أفكار شريرة، إن كان لها أصلٌ في خبرة قديمة عندك، فأنت تحتاج إلى توبة وتقديس. وإن كانت غريبة عليك، فهي من العدو الشرير. وإن كانت مؤسَّسة على أحداث قديمة، فقد تكون منك، أو من الشيطان، وعليك أن تميِّز. وقال لي إن الإنسان لا يستطيع أن يمنع العصافير من أن تطير فوق رأسه، ولكنه يقدر أن يمنعها من أن تبني عُشًا فوق رأسه. اعرف ما هي رغبة قلبك الحقيقية، وثبِّت قلبك واحفظه دائمًا في نقاوة؛ لكي تسمع صوت الروح القدس عندما يناديك أو يطلبك لأمرٍ ما.

لكن في كل مرة تشتاق فيها للرب، اعرف أن هذا هو عمل روح يسوع المسيح ربنا فيك.

الصمت:

"الصمت من أجل الصمت، يجلب على الإنسان أوجاعًا لا داعٍ لها"؛ لأن الذي يصمت لكي يبرز نفسه صامتًا، فينال مديح الناس، أو يصمت، بينما تيارات الفكر تعبر في قلبه مثل طوفان، لكن يجب أن يكون الصمت إراديًا، وهو يبدأ بالابتعاد عن حلقات جمع أخبار الناس، ولا تكرر ما سمعته، لا سيما خطايا الآخرين؛ لأن نشر خطايا الناس لا يساعدهم على التوبة. لا تكرر ما تسمعه، إلا إذا كنت شاهد عيان، وكنت تشهد من أجل المنفعة.

الصمتُ طريقٌ لنقاوة القلب من "السجس"؛ لأن الإنسان الذي وجد حلاوةً في ذكر اسم الرب يسوع، يفقد رغبته في الكلام مع الناس. هذا يُولَد من المحبة لا بتصنُّع التقوى.

الاستعداد للتناول:

استعداد القلب يجب أن يبدأ بعشية اليوم؛ لأن يوم الرب، كما قال سفر التكوين: "وكان مساء وكان صباح". وكلما ذكرت الأناجيل الأربعة شيئًا عن معجزات الرب بأن الوقت كان مساءً، فهذا دليلٌ على دخول يوم السبت حسب شريعة موسى. أما عندنا، المساء هو بداية القيامة، إشراق الحياة الجديدة. ولذلك علينا أن نودِّع حياتنا القديمة. كان القديس أنطونيوس الكبير يردد عبارة إيليا النبي: "حيٌّ هو الرب الذي أنا واقفٌ أمامه اليوم"، وكان اليوم هو يومٌ جديد، وكل يوم هو يوم جديد.

التناول يُحيي فينا الالتصاق بالرب، ويجدد فينا المعمودية والميرون، ولذلك كان استدعاء الروح القدس في القداس يتم بخشوع ورهبة؛ لأن مَن حلَّ عليه روح الرب، يزهد في كل شيء. "وحيث روح الرب توجد الحرية"، وكل اثقالنا يحملها معنا الراعي الصالح ربنا يسوع، ولذلك لا تتردد من الاعتراف للرب بما يضايقك أو يتعبك أو بالمعاناة التي تمر بها؛ لأن الرب يعرف ما أنت فيه، وينتظر أن يسمع منك طلب المعونة.

حضور عشية وباكر هو ضروري قبل حضور القداس، إلا إذا كانت لديك موانع، عليك أن تحددها أنت حسب محبتك، لا حسب التراخي والكسل الذي يصيب كل مَن لا هدف له، أو ترك الرب كهدفٍ لحياته.

انزع من قلبك كل ما هو زائد، واطلب ما هو باقٍ وأبدي. هذا هو طريق الاتحاد بيسوع، وعندما يصبح جسدك جسده، وحياتك حياته، عليك أن تكون مثله. كلامك نعم يعني نعم، ولا تعني لا، ولا تكن بقلبين. وإذا تراخيت عن هذا، قم واطلب نعمة الرب؛ لأن خطايانا مهما كانت، لا تهدم النعمة. النعمة أقوى من الخطية.

ميناء الخلاص للساعين للحياة الأبدية[1]

(1) مقالات نشرت على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في الفترة من أغسطس ٢٠١٦ حتى يونيه ٢٠١٨.

-١-

حقائق لا يجب أن ننساها مهما كانت الأحوال.

أولًا: الحياة لا تُقاس بالأيام، بل بتقدمنا في محبة الرب .. لا تقُل أنا عندي ٦٠ أو ٧٠ سنة، بل اسأل نفسك عن تقدُّمك في محبة المسيح. وهذا التقدم يعني:

١- أنك مستعد لأن تغفر للآخرين لأن يسوع مات عنهم.

٢- أنك لا تكره حتى أعدائك؛ لأنك إذا كرهت الأعداء؛ صرت مثل العدو.

ثانيًا: لنا هدفٌ واحد قال عنه الرب لمرثا إنه "النصيب الصالح الذي لا يُنزع منها"؛ لأنها اختارته بحرية وبمحبة، لذلك إذا كان لنا هدفٌ آخر غير يسوع، فإن الأحزان والأوجاع لن تفارقنا. أما إذا جاءت الأحزان والأوجاع وهدفنا هو يسوع، فإننا نجد تعزيةً أبدية من الراعي الصالح ربنا يسوع المسيح.

****

صلاة

يسوع أنت غاية وجودي وحياتي،

وأنت المصير الأبدي الذي سوف أتمسك به، ولن أتركه.

-٢-

إذا كنت تحب حياتك، خلِّصها من السلاسل التي رَبَطتَ بها نفسك.

في صلاة التحليل نطلب "قطع كل الرباطات".

- حرِّر نفسك من الرغبات التي تعذَّر عليك أن تحققها.

- ما ضاع منك ولا يمكن إعادته أو استرجاعه، لا تحزن عليه لأن الحزن يقتل الحرية.

- إذا كنت تريد الحياة الأبدية، فهي عند يسوع وحده، وهو محب البشر الذي يحب الخطاة. لأن الخطاة لديهم شجاعة وتمرد، ولو تحولت هذه الشجاعة والتمرد إلى ثورة على الماضي وسعي للتحرر من الرباطات، لتقدمت الحياة.

- كن حرًا لكي تحيا بدون عبودية لأي رغبة أو شهوة. ويسوع هو واهب هذه الحرية، لذلك اتحد به وقل له: أنا ميراثك يا يسوع، اعطني الشجاعة لأن أتحرر من كل رغبة.

صلاة

مع التلاميذ أقول: يا رب تعبت الليل كله ولم أمسك سمكة واحدة،

ولكن حسب وعدك سوف أُلقي بحياتي في بحر صلاحك لكي أتذوق مواعيدك.

اِدخلني في شبكة ملكوتك يا يسوع؛

لأنك وُلِدت وصُلبت وقمت لكي أكون ميراثًا لك.

-٣-

ما نريده من أمور زمانية يكبِّل العقل والقلب بما نختار. هكذا خلقنا الله. أن ما نشاء، يصبح من حياتنا حتى:

١- نتمتع به.

٢- نتحمل مسئولية اختيارنا.

وعندما يرسخ الاختيار ويصبح من حياتنا، أحيانًا يحاول أن يأسرنا ويكبل إرادتنا، لذا علينا أن نتحرر من كل اختيار سابق بأن نعود إلي:

- الاختيار الأبدي الباقي، وهو يسوع.

اختر يسوع كمخلص، وهذا يعني أن تطلبه كمعلم للحرية، ومثال لمن تجرَّد حتى أعطى حياته.

اختيار يسوع في محبته حتى لشخص مثل يهوذا أو بطرس أو السامرية؛ لأن الاحتفاظ بالعداوة هو قيد الشيطان.

رغبتي في الحياة هي أن أكون معك يا يسوع.

صلاة

يا يسوع الحُرُّ، يا ابن الآب، أعطني أن أكون حُرًّا مثلك

أن لا يكون لي هدف آخر غيرك، لكي أنال حريتي، وعندما أتحرر أتعلم كيف أحبك.

-٤-

ما هو جذر الوجود الإنساني؟ أو ما هو أصلك؟ هل هي الولادة من أب وأم مثل نيقوديموس؟ هل هي ما ذكره بولس عندما كان يهوديًا: كنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من جنسي إذ كنت أوفر غيرة في تقاليد آبائي (غلاطية ١: ١٤)، ثم: مختون في اليوم الثامن — من جنس اسرائيل — من سبط بنيامين — عبراني من العبرانيين – من جهة حفظ الشريعة: فريسي – من جهة الغيرة على دين اليهود: مضطَّهِد الكنيسة. من جهة السلوك الفاضل حسب الشريعة: بلا لوم" (فيلبي ٣: ٥-٦)، ولكن وجد أصلًا آخر، وجد أن ما كان يظنه ربحًا، حسبه خسارة: "إني أحسب كل شيء خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأني أحسبها زبالة لكي أربح المسيح وأُوجد فيه".

ولم يقف الرسول عند ذلك، بل ضرب كل جذور الحياة القديمة. وحتى السلوك الفاضل الذي حددته الشريعة قال عنه: "**وليس لي سلوك فاضل حسب الشريعة، بل الذي بإيمان المسيح. السلوك الفاضل الذي من الله بالإيمان**". وهنا وجد جذر حياته الجديد: لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهًا به بموته لكي أبلغ قيامة الأموات".

ثم هنا ميزان العقل المسيحي: "أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام" (فيلبي ٣: ٥-١٤).

هذه هي حقيقة الحياة:

- كل جذر آتٍ من الحياة الإنسانية هو ميت حتمًا مع طول الزمان.

- كل تحديد أو إحاطة بالحياة الإنسانية من المجتمع والبشر والنظام الاجتماعي والقيم والمُثُل هي أمور وقتية قادرة على أن تستعبد الإنسان وتغلق عليه الوجود.

اكسر القيد وعُد إلى وجودك الحقيقي في المسيح.

صلاة

يسوع أنت حريتي

كل ما لديَّ هو زبالة

أنت الباقي إلى الأبد

ومصيري ومصيرك واحد.

-٥-

إذا تمسَّكنا بأي هدف زماني، فإن هذا الهدف يجلب علينا الإخفاق والحزن؛ لأنه لا مجال بالمرة لبقاء ما هو زماني: الأولاد – المال – الصحة – الصيت – العمل – صداقة الناس.

الأبدي يجب أن يسبق ما هو زماني، ويعيد ترتيب الزمانيات حسب الاحتياج، وحسب مدى مساعدتنا في الالتصاق بالرب.

كل ما نراه ذاهب، وكل ما نملك زائل، والباقي هو الرب يسوع.

صلاة

يا يسوع أنت حياتي،

ولا أريد أن يكون لك مكان ثانوي في حياتي،

بل أن تكون أنت الملك والرب والمخلص الذي يملك الكل.

-٦-

الصلاة حسب العهد الجديد ليست فرضًا، ولا هي تلاوة صلوات مكتوبة، بل هي تعبير عن الالتصاق بالرب، واشتعال محبته. لذلك، غرست الكنيسة الإبصاليات لاسم الرب يسوع، وهي نداء القلب المحب المشتاق للمخلص والواهب حياته لنا.

صلاة

يا يسوع أنت حياتي

وكل كلمة في صلاتي هي لبقائي حيًّا؛

لأنك أنت مصيري الأبدي وقيامتي المجيدة

-٧-

الصلاة في جوهرها هي سر اتحادنا بالرب لأنه هو اتحد بنا لنكمِّل نحن هذا الاتحاد بالصلاة؛ لأن الصلاة هي انفتاح الوعي على الحياة الجديدة التي من الآب بالابن في الروح القدس.

صلاة

يا ربي يسوع
لقد تجسَّدت لكي توحِّدني بالآب
ولكي أنال سُكنى روحك فيَّ
لذلك أطلبك لكي ينمو فيِّ هذا الاتحاد

-٨-

يقول رسول الرب: "الحياة التي كانت عند الآب قد أُظهرت"، وأضاف: أنه يكتب ليكون لنا نحن شركة في هذه الحياة.

فما هي الحياة التي كانت عند الآب؟

أولًا: هي الابن؛ لأن الابن جاء "وأخبر".

ثانيًا: هي الروح القدس؛ لأن الروح يُعلن هذه الحياة، ويُعطي لنا حياة الابن نفسه، وهي الحياة الأبدية.

يسوع هو حياتنا الأبدية التي كانت عند الآب، وهو في الآب معلِنًا ذاك، وهو في حضن الآب لكي نكون معه في حضن الآب. ولذلك يقول رسول الرب: "لستم بعد غرباء ونزلاء بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله - الذي فيه أنتم أيضا مبنيون معا مسكنا لله في الروح" (أف ٢:٢١-٢٢).

صلاة

يا يسوع أنت الوسيط الذي به دخلتُ إلى الآب

وبك وفيك بعطية الروح القدس، أستقرُ إلى الأبد

-٩-

الصلاة هي نداء الروح القدس في قلب كل إنسان يؤمن بالمسيح ليقول مع يسوع: "أبَّا أيها الآب"(غلاطية٤: ٦)

الرغبة في الصلاة هي الالتصاق بالرب. يمنحها الروح، ولكن نحن نظن أنها منا نحن. هذا غير صحيح. هي من الروح القدس الذي يشتاق لأن يوحِّدنا بالمسيح.

صلاة

أيها الملك السمائي المعزِّي

امنحني ذات الاتحاد

الذي بينك وبين يسوع

لأن هذا هو فرح الحياة الأبدية.

لقد مسحني الآب في ابنه

لتكون ليَّ هذه المسحة

لكي أشترك بها في حياة يسوع،

هذه الشركة هي صلاتي.

محبة الله لا تُقاس، لا بإيمان الانسان، ولا هي رد فعل الإنسان، تزيد إذا زاد الإنسان من الخير وتضعف إذا انعدم الخير من الإنسان.

محبة الله للبشر هي محبة خاصة للخطاة. أحبنا قبل أن نحبه، وبذل ابنه دون أن نطلب ذلك، وأعطانا الروح القدس دون أن يكون فينا ما يؤهلنا لقبول الروح القدس سوى تحرير يسوع لنا من الموت ومن الدينونة. ولذلك قال رسول الرب: "نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولا".

صلاة

يا يسوع ابن الآب

اجعلني الابن الحر

الذي يعرف حرية عطاء محبتك

واسكُب فيَّ روحك القدوس

لكي أُحبك بعزم وإرادة الروح القدس

أنت صورة الله. أنت أعظم من كل أفكارك؛ لأن أفكارك هي ثمار فكرك. وفكرك هو الذي أنتج الأفكار، لذلك أنت الشجرة وفكرك هو الثمار مهما كانت، فهي ليست أعظم من الشجرة.

أنت تحدد نفسك بفكرك: صالحٌ كنتَ أم شريرًا. تحدد نفسك بما هو أقل منك بكثير، لذلك تأتي عليك الأحزان.

ماذا لو جعلت النعمة هي التي تحددك، وليس أفكارك؟

لو حدَّدكَ آخرٌ بأعمالك، لكان معنى هذا أنه نسى أنك صورة الله، كما نسى أنه هو أيضًا صورة الله.

هذه العظمة هي من النعمة، وليست منك، ولا من الناس، ولا هي ضد الاتضاع؛ لأن الاتضاع الحقيقي هو أن تعرف أن حتى وجودك نفسه هو من صلاح الله وليس من عملك، ولا من ذكاءك وقدراتك.

- الاتضاع الكاذب هو أن تجعل خطاياك هي التي تحددك، وتجعلك تُصاب "بصغر النفس"، أي "باحتقار وجودك" الذي نطلب عنه غفرانًا في صلاة التحليل.

- الاتضاع الكاذب هو احتقار حياتك وعدم الإيمان بأنها عطية الله الخاصة لك.

- الاتضاع الكاذب هو عدم محبة ذاتك؛ لأنك مثقَّلٌ بالشعور بالذنب، والشعور بالعار، وتعتبر نفسك "تافهًا وحقيرًا".

- أما الاتضاع الحقيقي فهو الإيمان بأن كل ما فيك وعندك من خير وصلاح وذكاء وفهم هو عطايا الله لك، وهي كلها عمل روح الرب فيك.

أنت أعظم من النظام الاجتماعي ومن كل أحكام الناس؛ لأنك صرت ابنًا للآب في يسوع المسيح وبقوة ومعونة الروح القدس.

صلاة

أبًّا أيها الآب، لقد أتيتَ بي إلى الوجود برحمتك، ومحبتك وصلاحك،

وجعلتني شريك ملكوتك السماوي؛

فأنر قلبي وعقلي لكي أحيا كصورتك.

لك المجد إلى الأبد.

-١٢-

عندما تختفي المحبة، تحلُّ الشريعة لكي تعيد الإنسان إلى كيانه الفارغ. ولكن، عندما تدخل قوة محبة الله في حياة أي مسيحي، فإن كيانه يمتلئ بالحضور الإلهي الفعَّال، ويُشرق في القلب وجه يسوع الحي، فلا يعود الكيانُ فارغًا.

قوة المحبة الإلهية في قلب أي إنسان مسيحي هي في اتحادنا بمصدر وجودنا: الثالوث القدوس. وفي هذا الاتحاد، نحن ننمو نحو أيقونة محب البشر ربنا يسوع المسيح.

وتسكُب المحبة الإلهية في قلوبنا العزاء والرجاء، إذ لا يمكن فصل العزاء أو الرجاء عن المحبة؛ لأنهم جميعًا ثمرة الاتحاد؛ لأن يسوع هو طبيب كل نفس، وهو الراعي الصالح، الذي عندما يسكن بالمحبة في القلب، تنال النفسُ راحةً في الضيقات، وصبرًا في الشدائد، وقبولًا لوجع الجسد ومضايقات البشر.

لنطلب من الروح المعزِّي هذه المحبة؛ لأنه هو وحده الذي يسكب ذاته فينا (رو ٥: ٥)، وهو الوحيد الذي يمنحنا أن نذوق محبة الثالوث.

صلاة

يا روح الآب السماوي،

تعال واسكُب محبتك فيَّ لأنني بدونك فارغٌ أنا وعديم الحياة.

عندما يقول الرسول يوحنا: "مَن لا يحب لا يعرف الله لأن الله محبة"، فقد أردف: "وكل مَن يحب فقد ولد من الله ويعرف الله" (١يوحنا ٤: ٧-٨). فكيف نولد من الله بالمحبة؟

* نولد عندما نرى أن البذل والعطاء هو شريعة الحياة الحرة غير المستعبَدة.

* نولد مِن الذي يهب ويعطي بلا سبب وبدون أن يكون لديه أي هدف آخر سوى سعادتنا.

* نولد عندما نتحول من الأنانية إلى الشركة.

السر الكامن في الولادة من فوق هو أنها حركة دائمة فينا مثل الميلاد الدائم الأزلي لابن المحبة، ربنا يسوع المسيح، فهو مولودٌ من الآب دائمًا وأزليًا لا يكفُّ ولا تنتهي ولادته؛ لأن ولادته هي حياته التي من الآب (يوحنا ٥: ١٩-٢٣)، فهي حسب قول الرب ولادة المحبة، الابن المحبوب من الآب.

لنطلب هذا التحرر من قيود الحياة البيولوجية التي تجعلنا نتمسك بما لدينا وبما نطلبه ونظن أن فيه الحياة. هذه هي أول خطوة نحو التحرر، وهي عودتنا إلى مصدر وجودنا الله الآب لكي نولد منه.

صلاة

أيها الآب السماوي، أعطني محبتك؛ لكي أعرف أن العطاء حرية،

وأن البذلَ هو اتحادٌ بالابن الوحيد ربنا يسوع المسيح،

الذي حسب ميلاده الأزلي أولَدَنا منك.

نحن ندعو ربنا يسوع المسيح بلقبٍ خاص، هو "محب البشر". وهذا يدعونا إلى أن نتذكر عبارة الإنجيلي: "نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولًا".

كلُّ شيءٍ أبديٌّ ومفرحٌ، له بداية في المسيح. ولكن الذي يجب أن نراه جيدًا هو بداية المحبة. لم تكن رسالةً شفهيةً، ولا حديثًا، بل كان تجسده من البتول بالروح القدس. وصُلب الربُّ ومات وقام ثم صعد إلى السموات بالجسد، مؤكِّدًا أبدية محبته لنا بالاتحاد الأبدي بالجسد. وهو يهب لنا هذا الجسد في السر المجيد. مؤكدًا لنا أن المحبة عطاءٌ حقيقي وليس كلمات، هي فعل، هي شخص يسوع، إذ لا يمكن فصل الشخص عن الفعل في يسوع بالذات. على مستوى البشر يمكن الفصل بين القول والفعل والشخص؛ بسبب عدم الثبات وبسبب التغيُّر، ولكن في يسوع، الثباتُ هو من الألوهة. هو في وحدانيته مع الآب والروح القدس. هو لا يتغير؛ لأنه لا يخضع للضعفات الإنسانية التي تُحدِث التغيُّر فينا. ولذلك، قوله، يساوي فعله، يساوي شخصه، يساوي اسمه، يساوي حلوله.

هذا هو ميناءُ خلاصنا. الاسم هو حضورُ الشخص، والشخص هو المحبة التي لا تتغير المستعلَنة في تجسده وفعله، هو سعيُّه الدائم نحنا.

صلاة

آتي إليك لأنني فيك؛ لأنك أخذت جسدي،

وحَّدتني بك بقوة ونعمة محبتك.

فالمجد لك يا محب البشر.

-١٥-

الله محبة، وطريق المحبة هو طريق الصليب. يجردنا الصليب من الانكفاء الدائم نحو الذات، ومن التطرف في محبة حياتنا، ولو على حساب الآخرين.

التجسُّد جعل أيقونة يسوع حاضرةً في الآخر، وجعل الآخر امتدادًا له.

عندما نقول إن جسد المسيح يملأ السماء والأرض، فهذه إشارة واعتراف بوجود الكنيسة في السماء، حيث رحل عن الأرض الشهداء والآباء والأمهات، وحيث صاروا في السماء ليسوا "أغرابًا"، فالغربة هي قوة رفض الآخر. لم يعد الآخر غريبًا، ولا البتول أُمُّنا غريبةً عنا.

ولذلك، فإن حصر تعبير "جسد المسيح" في التجسد وحده، هو هروبٌ من محبة يسوع التي جمعت كل "أبناء الله المتفرقين إلى واحد" (يوحنا ١٢: ٣٢) لكي يكونوا جسد المسيح، أي لهم نفس حياة يسوع، تلك التي كُوِّنَت بالروح القدس، ونالت ديمومة الحياة بالصلب والقيامة.

صلاة

أنا جسدك يا يسوع؛ لأنك جئت لكي تهب لي حياتك،

ولأنك عندما تهب لي حياتك، تجمعني أنت لنفسك مع كل قديسيك

المجد لك لأنك تحبني كما تحب جسدك.

-١٦-

لا تقلق لما يدور حولك من جدل أو اتهامات.

لا تشترك في أي شيء إلا إذا كنت شاهد عيان ولا تنقل أخبارًا مهما كان مصدرها أو قائلها.

تذكَّر أن "المحبة لا تفرح بالسوء"، ولذلك نشرُ السوءِ هو خدمة للشيطان.

صلاة

يا رب سكِّت قلبي ولساني عن ذكر السوء والشر لأنه قيثارةُ تسبيحٍ لاسمك.

-١٧-

لا تحزن إذا سقطت في خطية، وطبعًا لا تفرح، بل افحص قلبك لكي ترى ماذا فَعَلَت بك الخطية التي سقطتَ فيها.

لكل خطيةٍ آثار.

- الكذب يولِّد الخوف ويعطي له مساحة في قلبك.

- الاستغراق في تأمل الأفكار والصور الشريرة تزيد محبتنا المتطرفة للذات.

- ذِكر خطايا الآخرين لا يجعلنا قادرين على محبتهم.

افحص أعماق قلبك لكي ترى جراحك، فتنال الشفاء من الطبيب الحقيقي ربنا يسوع.

صلاة

اِشف نفسي وجسدي أيها الصالح لكي أكون ميراثًا لك.

-١٨-

حياةٌ بلا إفراز أو تمييز هي حياةٌ لا تليق بالإنسان.

أول طريق الإفراز هو أن نتعلم أن الوصايا ليست للتحريم، بل لفرز وتمييز الخير عن الشر.

- "لا تقتل"، حسب الفهم السطحي هي تحريم القتل، وحسب الفهم الصحيح هي تقديس الحياة؛ لأن مَن يقتل آخر هو مَن نسى "حب قريبك كنفسك"، فكأنه قتل نفسه.

- وأيضًا "لا تزنِ"، لا يمكن فصلها عن الإفراط في محبة الذات؛ لأن مَن جحد ذاته لا يمكن أن يشتهي. ومَن صُلب مع ربنا يسوع لا يمكن أن يطوِّح بجسده في نار اللذة؛ لأنه ذبيحة محبة.

- هكذا يجب أن نقرأ الوصايا العشر في نور الحياة الجديدة التي جاء بها الرب نفسه.

صلاة

يا رب لقد جئتَ لكي تكون لنا حياة، وتكون هذه الحياة أفضل،

وأنت تريد لنا أن نعرف قداسة الحياة،

فاعطِنا أن نحيا ليس بقوة التحريم، بل بقوة المحبة.

-١٩-

إذا كان حفظ الوصية هو أول طريق الإفراز، فكيف نتعلم الإفراز في كل ما يخص الحياة المسيحية؟

لدينا أربعة أركان للإفراز:

١- إفراز الخير من الشر بالوصية.

٢- إفراز حركات القلب ونيَّاته بعمل الروح القدس.

٣- إفراز الأرثوذكسية من الهرطقات.

٤- إفراز الملائكة، وتمييز الملائكة من الشياطين.

كيف نتقن هذه الأركان الأربعة؟

المحور والأساس في ذلك هو حياة وتعليم الرب يسوع المسيح نفسه، وما شُرح في الرسائل وأسفار العهد الجديد.

هذا هيِّنٌ بالنسبة للوصايا، كما ذكرنا في الحلقة السابقة. ولكن ماذا عن إفراز حركات القلب التي لا تعرف قوتها إلا بعد أن تحدث مشكلة؟

والجواب هو أن التشبُّه بالمسيح هو المرآة التي نرى فيها كل الأمور التي تدور حولنا رؤيةً حقيقيةً فاحصة. الرؤية السطحية. كان يسوع لا يريد مجد ذاته، والسعي لمجد الذات، تراه في السعي لكسب انتباه الناس وجمع الأتباع، ولما ذُكر الصليب وانتهره بطرس، قال الرب لبطرس: "اذهب عني يا شيطان"؛ لأن الشيطان يريد من الرب أن يحفظ حياته من أجل مجده ولكي يمدحه الناس، ولكي ينال بطرس شيئًا من هذا المجد.

تكشفُ لنا حياة يسوع وتعليمه ما يجول في القلب من أفكار ونيات داخلية

غير معلَنة، ولكن هذا لا يكفي؛ لأن يسوع جعل الصَّلبَ شرطًا للتلمذة. وحملُ الصليب إذا رُفض، يكون الإنجيل برمته قد رُفض، لأن هذا يعني رفضُ البذل ورفضُ التضحية.

- مَن لا يضحِّي حتى بحياته، ويضنُّ بها على الرب والمخلص، لا ينمو، بل يتعطل نموه.

صلاة

اغرس صليبك في قلبي ليصبح صليبي.

وَحِّد كيانك بكياني لكي أتعلم منك الإفراز والحكمة.

فأنت وحدك الحق المتجسد، ومُعلِّم الحق، وواهب روح الحق.

-٢٠-

الدواءُ المُرُّ لمرضٍ قاتلٍ

في لقاء مع الأب زكريا المعترف (١٣ سنة في المعتقل)، ذكرتُ له ما كتبه الأب صفرونيوس عن أن الموت هو الداء الخفي في النفس، والذي يدفع النفس للبحث عن الخلود بأي ثمن وبأي شكل. عند ذلك ابتسم الأب زكريا المعترف، وقال: هذا صحيح، وله وجهٌ آخر، وهو الكبرياء. فالنفس التي ترى أن حياتها أعظم من الكون، وأعظم من باقي البشر، هي نفسٌ مستعبدةٌ لداءٍ قديم، وهو الخوف من الموت، فالخوف من الموت هو وجهٌ آخر للكبرياء.

في معتقل سيبريا كان الحراس يضربون السجناء بقوة غير عادية، وفي إحدى المرات ضربني واحدٌ منهم حتى أسال الدمَ من رأسي ومن رقبتي، وسألته: لماذا تفعل ذلك؟ فقال: "أنت عدو الشعب. أنت عدو الاتحاد السوفيتي". وسألته: وما هو الدليل على ذلك؟ فنظر لي وارتجف وقال: لا أعرف، ولكنك أنت هنا مع هؤلاء "الزبالة"!

هؤلاء "الزبالة"، كانوا قبل المعتقل أطباء وأساتذة جامعات، ولكن كل واحد منهم فَقَدَ اسمه، وأعطاه المعتقل رقمًا، وكان رقمي هو ٢٢١.

الكبرياء تولِّد العنف؛ لأننا نحتقر الآخرين، وهي تحرك الدفاع عن النفس الذي وُهِبَ لنا لكي نحفظ حياتنا من المخاطر، وتحوله إلى عدوان على الآخرين بسبب فرط محبة الذات؛ لأن الإفراط في محبة الذات هو شكلٌ من أشكال الكبرياء.

سرعةُ الحكم على الناس مصدرها الكبرياء. بل أننا نحكم على الثالوث نفسه، ونصف الثالوث بأنه غير معقول. ودواءُ الكبرياء المر هو: إنكار الذات.

قلتُ: كيف ننكر الذات، وهي كياننا؟ فقال: بالمحبة الحقيقية للرب يسوع، وبالاتحاد به مصلوبًا وحيًّا من الأموات. النداءُ باسم يسوع يُخرِجُ النفسَ من فخ الكبرياء؛ لأنه أشبه بنداء الخروف الضال الذي يبحث عن الراعي الصالح.

إذا كذبتَ خوفًا على كرامتك، فأنت تغذِّي الكبرياء. وإذا غضبتَ، ولو لسببٍ معقول، فأنت تسكبُ الزيتَ على نار الكبرياء.

ارشم ذاتك بعلامة الصليب، وقل عندما تحرك يديك: نَزَلتَ من فوق من عند الآب، وتجسَّدتَ أيها الصالح الابن الوحيد. وأنتم الأقباط تنقلون اليد من الشمال إلى اليمين، لذلك قل: دعوتني لأجلس عن يمينك في اليوم العظيم المخوف، فاحفظني أيها الملك السمائي.

كان الأب لوقا المعترف يقول أثناء رشم الصليب: منك أيها الآب يا من أرسلت الابن الوحيد، وبك أيها الروح القدس يا مَن تقدِّس، أختمُ ذاتي بعلامة العهد.

عن الأب زكريا المعترف، تعلَّمتُ أن أطلب كما قال: "دواء الرب يسوع الكلي الاتضاع، لا لكي أُحارِبَ أعراض الكبرياء، بل أحاربُ أصلَها، وهو انعدام المحبة للرب وللآخر بحجة أننا أعظم".

صلاة

يا رب ارحم.

الغفران لمن أساء إلينا هو عمل الله. هو التألُّه الذي يُمارَس بوعي. وهو يعود إلى الصلاة الربانية: "اغفر لنا .. كما نغفر نحن أيضًا".

قوة الإرادة الإنسانية تصارع؛ لأن الإرادة الإنسانية -بوعيٍ من القلب- تغرس الظنَّ بأن الإساءة إلينا تهدد وجودنا، وأن كرامتنا هي فيما يقوله الغير عنا. ولذلك، العجزُ عن الغفران يكشف عن عدم الإيمان بمكانة الإنسان عند الله الآب كابنٍ، وعن عدم إدراك أن الحياة مستقلة ذاتية لا نأخذها من البشر.

هنا نرى التألُّه، وهو الوجود حسب النعمة.

والعجز عن الغفران يقول عنه اسحق السرياني هو فقدان عمل الروح القدس في القلب، وهو أمرٌ خطير جدًا؛ لأن الذي يفقد قوة وعمل المعزِّي مثل قشةٍ في مهب الريح. كلما تذكَّرنا علينا أن نغفر كما قال الرب ٧ × ٧٠ أي بلا حدود.

الغفران لو كان بالفم فقط، هو بداية لا تكفي؛ لأن تنقية القلب من الداخل تعني أن نُسلِّم الحكم للآب، حتى في حالات الغضب، لكي لا نفقد عمل الروح فينا.

صلاة

أيها الرب يسوع، لقد وضعت الغفران في صلاتك الربانية؛

لأنك تريد منا أن نكون مثلك.

هبني هذه النعمة حتى أدخل حياة الدهر الآتي، وأنا هنا في الجسد.

-٢٢-

ما الذي يعطِّل نموَّك؟

كان هذا أقصر حديث، ولكن العبرة ليست في الطول، بل في المحتوى. لم يكن أبي محبًا "للكلام الكثير". الهدف الواضح لا يحتاج إلى شرحٍ، ولا إلى عظة.

قال لي: إن كنت لا تنمو، فهذا يحتاج منك إلى إفراز. مَن هم الوسطاء بينك وبين الرب مخلصك؟ توقَّف عن الكلام، وترك لي فرصةً لكي أفكر. وغاص السؤال في أعماقي، تُرى ماذا يقصد؟ لذا سألت ماذا تقصد؟ فقال: ما هي مصادر ثقتك، ومصادر سلامك، ومصادر تعزيتك، ومصادر فرحك؟ ولاحظت أنه استخدم صيغة الجمع.

كنتُ ألبس صليبًا من الجلد حول رقبتي، فسألني عن السبب: هل لأنني أُحب الصليب؟ وبعد أن لبستَ صليبًا من جلد، هل توقف الوعي عندك بأن الصليب هو عهد محبة الرب؟ هل وعيت أنه "قُبلة المحبة الأزلية لكل إنسان خاطئ"؟ أريد منك أن تفتش عن المصادر، ما هي؟ وسكت.

وكنت أحتاج إلى وقت لكي أفكر وأبحث في زوايا القلب المهجورة. وطال الصمت، ولكنه قال: المصادر هي أية وسيلة تختارها لكي تصل إلى الوسيط ربنا يسوع المسيح. مهما كانت، عليك أن تميِّز أنها وسائل، وأن الغاية والقصد هو الله. لا يوجد شيء مخلوق يمكنه أن يمنح لنا السلام أو التعزية أو القوة.

كل المخلوقات التي خلقها الله محتاجة إلى السلام والعزاء؛ لأننا نصارع الموت الذي يعمل فينا بقوة، ولكن قوة الموت ليست مثل قوة الرب الغالب. نريد أن نمسك بأشياء حولنا: الطعام – الملابس – المال – الكتب، حتى المزامير والصلوات تحوَّلت عند البعض إلى هدف، ولم تعد وسيلة، فتعذَّر عليهم النمو،

وضربهم اليأس. اِكشف هذه المصادر للطبيب الحقيقي يسوع، وأطلب منه أن يغسلك.

صلاة

يا طبيب أنفسنا وأجسادنا، يا مدبِّر كل ذي جسد،

يا محب البشر، اعطني استنارةً لكي لا يقف بيني وبينك وسيطٌ،

ولا يصبح أيُّ شيءٍ، مهما كان، هو غاية حياتي ويأخذ مكانك.

يا ربي يسوع المسيح، مباركٌ أنت مع الآب بقوة الروح القدس إلى الأبد.

-٢٣-

هبة الله لا تُكتَسَب؛ لأنها عطية

قال أبي: "الجهاد هو بقاء الإنسان في النعمة". لا يمكن لمن يجاهد أن ينال مقابلًا، أو يقايض الله، فيقدم أعمالًا صالحة لكي يأخذ هبةً أو عطيةً سمائيةً.

"الحياة الأبدية" هي الله نفسه؛ لأننا نصلي: "يا الله العظيم الأبدي". وكلمات الرب نفسه كافية في (يوحنا ١٧: ٣) "هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك"؛ لأنه جاء لكي يعلن الآب. ولذلك يقول الإنجيلي: "وهذه هي الشهادة أن الله أعطانا حياةً أبديةً، وهذه الحياة هي في ابنه" (١يوحنا ٥: ١١). ولذلك: "مَن له الابن، فله حياة، ومَن ليس له الابن، فليس له حياة" (١ يوحنا ٥: ١٢). ويؤكد الرب نفسه ذلك: "مَن يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (يوحنا ٦: ٥٤).

والجهاد الحسن -حسب تعبير الرسول- هو الحياة حسب الإيمان، لكي "أمسك بالحياة الأبدية التي دُعيت إليها" (١تيمو ٥: ١٢). لقد "كنا أمواتًا بالذنوب والخطايا، ولكن الرب أحيانا مع المسيح بالنعمة" (أفسس ٢: ٥)، ليس بصراع العدل والرحمة، بل "الله الذي هو غني في الرحمة من محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا، أحيانا مع المسيح" (أفسس ٢: ٤)، مؤكدًا بعد ذلك: "ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد" (أف ٢: ٨)؛ لأننا "بالنعمة ننال الخلاص أما هبة الله الحياة الأبدية" (أفسس ٢: ٨ - رو ٦: ٢٣).

اطرح كلَّ "ظنٍّ"؛ لأننا لا نخلُص بالمعرفة، بل بالإيمان بنعمة الله، أما السعي، فهو للبقاء في النعمة التي دُعينا إليها.

صلاة

أطلبُكَ من عمق قلبي يا ربي يسوع؛ لكي أكون واحدًا معك

لأن هذه هي إرادتك، أن أكون فيك وأن تكون أنت فيَّ.

المجد لك مع أبيك الصالح والروح القدس.

-٢٤-

هبةُ الله هي هبةُ محبةٍ وصلاح

لا تنشغل بصفات الله مهما كانت هذه الصفات؛ لأن هذا يفتح عليك باب التأمل العقلي، ولكن انشغل بما أُعلِن عن الآب والابن والروح في تدبير الخلاص؛ لأن هذه الإعلانات جاءت بأقوال وأفعال الرب يسوع نفسه، فلا مجال فيها لأي فكر نظري عقلي جامح يصول ويجول.

لا تحدد الرب حسب فكرك، ولا حسب مشاعرك؛ لأنك بهذا تخلق لنفسك إلهًا غير الإله الحقيقي الذي جاء إلينا في صورة العبد (فيلبي ٢: ٦).

لا تظن أنك تقف **وحدك** أمام الله العادل الديان.

هذه صورةٌ صنعها الخوف والشعور بالذنب، **بل اعلم أنك في شركة ثابتة أبدية، مصدرها الرأس يسوع المسيح الشفيع والابن البكر الذي أُظهِرَ لكي يأتي بأبناء كثيرين. المسيح يسوع مُتَّحدٌ بلاهوت الابن**، فهو الإله المتجسد، وهو مُتَّحد بالآب والروح القدس، **وهو مَن يُمثِّلُك. لقد جاء ورفع حكم الدينونة، وجاء بعطية التبرير المجاني.**

أنت في الآب بواسطة الابن. وأنت في الروح القدس بواسطة الابن، وبهذا الوجود تنال كل عطايا صلاح الله التي تُوهَب بلا مقابل، ولا هي مكافأة على عملٍ صالحٍ.

لا تظن أن الله يكافئ الإنسان؛ لأن هذا إنكارٌ لصلاح الله ورحمته.

صلاة

أيها الصالح الرحيم، أنا أحتمي بصلاحك من خوفي وليس منك أنت؛

لأنك مُحب البشر الذي لا يرفضُ أحدًا،

وأنت قبِلتَ رأس الخليقة الجديدة؛ ليكون فيك إلى الأبد،

ابنك الوحيد ربنا يسوع المسيح.

ففي يسوع البِكر، أطلبُ منك أن يفيض سلامك في قلبي.

-٢٥-

المحبة غذاء الإيمان

المحبة هي الأساس؛ لأن الله محبة. وضعف الإيمان هو أصلًا ضعفٌ في المحبة. وعندما قال رسول الرب إن الشيطان نفسه يؤمن، فقد صار ظاهرًا أنه فاقد المحبة. ولذلك كان الشيوخ يقولون لنا إن الشكوك تحارِب من له إيمان ومحبته ضعيفة، لذلك غذِّ إيمانك بالمحبة. محبة الذي تجسد ومات وقام لأجلك، محب البشر ربنا يسوع.

العقائد هي استعلانات محبة الثالوث، أي استعلان الشركة في الجوهر الواحد. أي شركة المحبة:

- أُلوهية المخلص، تواضع المحبة.
- سُكنى الروح فينا، استعلان كيف تعطي المحبة ليس ما هو زائدٌ، بل ذاتها.

تأمَّل كيف ندخل بحر المحبة في القداسات.

غذِّ إيمانك بالمحبة لكي تعبر بحر هذا العالم مثل سبَّاحٍ ماهر.

صلاة

يا ربي الآب والابن والروح القدس، الثالوث الواحد، مُعلِن المحبة،

اِشرق هذه المحبة في قلبي لكي أُحبك ليس بالقول، بل بالفعل.

-٢٦-

المحبة أساس التوبة

حسنًا قال القديس مكاريوس: "طوبى لمن لازم التوبة حتى يمضي إلى الرب". وداوم التوبة، أي تغيير اتجاه الحياة لا يتم إلا بمحبة حقيقية، أي المحبة التي من الله، أما المحبة التي تولد في القلب بالمشاعر والعواطف، فهي ليست ضارة، إلا إذا تحوَّلت إلى عامل تشتيت، وحارَبَت الانتباه إلى الحقيقة الأعظم، وهي المحبة التي يسكبها الروح القدس.

وأول علامات هذه المحبة الإلهية هو السعي الدائم نحو البقاء في اتحادنا بالرب يسوع، ذلك الاتحاد الذي قبلناه في المعمودية وفي الميرون، ونحياه في السر المجيد. لذلك، نحن نتوب على قدر محبتنا الحقيقية. **وكل مَن يفضِّل الرب يسوع على أي شيء مهما كان، يغتسل دائمًا في مياه محبته ويصير نقيًا.**

صلاة

اسكُب محبتك يا رب في قلبي لكي أتوب توبة حقيقية،

وأنال شركة أبدية في محبتك.

-٢٧-

قال أبي: عندما تمسِكُ صليبًا في يدك، فأنت تمسِكُ بعلامة عهد الرب يسوع، بل ختم الثالوث. والأفضل أن ترشم الصليب.

سألته: لماذا رشم الصليب أفضل؟

فقال: لأن الصليب في اليد وعيٌّ بما هو في الخارج، أما رشم الصليب فهو دعاء اسم الثالوث، وهو نُطقُ القلب، هو فيضُ قوة المعمودية ومسحة الميرون.

وفجأة تغيَّر شكله، كما لو كان يعوم في مياهٍ دافئة، وبدأ يقول:

أرشم ذاتي بصليبك.

أُحزِّم نفسي بحزامك.

وأُنادي باسمك أيها الآب والابن والروح القدس؛

لكي أغطس في نهر نعمتك.

وكما لو كان قد تذكَّر وجودي، فقال: "وأما كل الذين قبلوه، أعطاهم سلطانًا أن يصيروا أبناء الله".

صلاة

يا رب المجد لك؛

لأن سلطان نعمتك هو حريتنا في أن ندعوك كيفما نشاء ومتى شئنا.

-٢٨-

عندما جاء لزيارتي بعد أن خرج على المعاش، قال لي إنه لم يدرس أي شيء عن المسيحية الأرثوذكسية، وقال: كيف أبدأ؟

قلت له: برشم الصليب.

قال: كيف؟

قلت له: باسم الآب الذي أرسل ابنه الوحيد لأجلي والابن الذي تجسد لكي يحررني والروح القدس الذي يثبتني في المسيح. أو باسم الآب الذي وهبني ابنه الوحيد والابن الذي وهبني الروح القدس، والروح القدس الذي يهبني الاتحاد بالرب يسوع، وطبعًا أنت لن تنسَ أن تختم: ثالوث واحد، آمين.

سوف نتعرف على المسيحية من داخل الكنيسة بواسطة الكنيسة حتى لا تقع في المعرفة الازدواجية التي أبعدت جيلًا كاملًا عن التسليم الكنسي.

وهكذا تحوَّل رشم الصليب إلى صلاة.

وجاء بعد أسبوع رشم الصليب، وقال: باسم الآب خالقي، والابن فاديَّ والروح القدس مقدسني. إله واحد آمين.

وشكرتُ الربَّ لأنني أُصلِّي رشم الصليب كما تعلَّمت من أبي الروحي.

مع الرب في الصوم الأربعيني[1]

-١-

قاده الروح إلى البرية:

صراع الروح القدس مع الشيطان دخل في مستوى ما هو منظور، وهو ساحة الحياة الإنسانية. صار "ابن الإنسان" هو ساحة الصراع، وصارت أدوات الصراع: الخيال - الفكر - الاحتياجات الإنسانية: كيف تُصاغ؟ كيف تصبح هدفًا؟ وحدد الروح ليسوع ثلاثة جبهات:

- الخبز
- الله
- مُلك الكون

وغلب يسوع ابن الإنسان:

- بكلمة الله
- بالتخلي عن الذات

امتلاك الكون مستحيل، وهو لا يُوهب بالقوة.

لا تزال الدوائر الثلاث مشتعلة:

- احتياجات الإنسان
- الايمان / الإلحاد، ونشر الإيمان بالعنف لو أمكن.
- السيطرة على العالم.

تلك هي أيقونة يسوع في قلب تاريخ الإنسانية. وتجارب الرب في البرية، كان ولا زال الإنجيل الذي يُقرأ في كل كنائس الغرب والشرق، وكان هو أول قراءة في

---

(1) مقالتان نشرتا على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٠ فبراير، ٦ مارس ٢٠١٧.

أول آحاد الصوم الكبير قبل أن يُضاف إليه أسبوع الاستعداد.

الصوم والصلاة:

حسنًا أن نهتم بالصلاة أثناء الصوم، وأن يصبح الانقطاع عن الطعام فرصةً للصلاة. حسب الكتابات النسكية، الانقطاعُ عن الطعام هو انقطاعُ الوعي عن طلب الحياة من الطعام، أو الشعور بالقوة. الأكل أدخل إلينا الوعي باستقلال الذات؛ لأننا نأخذ. ولذلك، فإن ترتيب الشكر قبل الأكل، هو وعي بقبول هبةٍ من الله الواهب الطعام، ولذلك السبب كان عيد الفصح في (يوحنا ص ٦) هو مناسبة التعليم عن "الخبز النازل من فوق من عند الآب"، عن يسوع نفسه، وعن "الخبز الذي هو جسده" وعن الأكل الذي يعطي الحياة.

الصلاة هي دخول الشركة في الحياة الإلهية، وهي بالتالي مثل الصوم، ولا تقلُ أهميةً عنه. هي تجريد الإنسان من الوجود المزيَّف الذي صاغه الإنسان بفكره وخياله، وعودة الوعي إلى الله.

الصلاة الأرثوذكسية هي دخول "سر التدبير". هي فهمٌ وتذوقٌ لمن أخلى ذاته، ولمن لم يَعِش لذاته، يسوع المسيح ربنا الذي لم ينطق "أنا" إلا في مناسبات استعلان الآب والروح. استمع إليه وهو يُعلِّم بالأمثال (مثلًا في لوقا ١٥). لا تسمع "الأنا"، بل تسمع التعليم، تعليم مَن لا يضع ذاته في مكوِّنات المثل. ولكن عندما يعطي، تظهر "الأنا"، تظهر في العطاء، ولم تظهر في تهديد أو وعيد.

كان أبونا مينا يقول إن صلوات الكنيسة هي صلاته؛ لأنها تجرِّده من الأنا،

ومن الصلاة الشخصية؛ لأنه مات عن العالم، وأصبح يصلي ما استلمه من الكنيسة. ولعل الذين تقابلوا معه يذكرون أنه كان يصلي قِطَعًا من المزامير للمرضى مع أوشية المرضى، ومع طلب شفاعة القديسين وبالذات مار مينا.

-٢-

الصوم والصلاة شفاءٌ من تسلُّط الأنا

إلحاح التسليم الكنسي على الصوم والصلاة إلى الحد الذي أصبح جانبًا أساسيًا من صلاة القسمة الخاصة بالصوم الكبير، يؤكد لنا التلازُم التام فيما بينهما، حتى أن أيهما يفقد فاعليته بدون الآخر. وعندما قال الرب نفسه عن إخراج الشياطين بعد أن فشل التلاميذ: "هذا الجنس لا يخرج إلا بالصلاة والصوم"، فقد كان يرسم ذات منهج إخلاء الذات، وهو منهج ضد مرض الشيطان الأول، أي الكبرياء، ومظهره حُب التسلُّط. لذلك، نصوم.

وما يُقال عن إذلال الجسد، ليس بعيدًا عن الحق، ولكنه ليس الحق كله. لأن الخوف من الموت جعل الجسد بمثابة عنصر أمان وبقاء حياة الإنسان، بل الوجود الحقيقي. والطعام هو وسيلة قوة الجسد، أما الصوم، فهو اكتشاف ضعف الجسد. وهو اكتشافٌ يجب أن تسنده الصلاة؛ لأن الشعور بالضعف قد يولِّد اليأس عند البعض.

والصلاةُ تحوِّل الوعي من الذات إلى المخلِّص ربنا يسوع، وإلى روح الحق الساكن فينا، الذي لا يَقهَر القلب، ولا يسود على الإرادة، رغمًا عنا بسبب محبته الفائقة.

الصوم والصلاة معًا هما ترياق العناد والتشدُّد في معاملة الآخر، ومحاولة فرض الرأي على الآخر، حتى لو كان هذا الرأي هو الحق؛ **لأن معادلة الحق الصعبة هي أنه يوجد حقٌ واحدٌ، وهو الذي قال: "أنا هو الحق والحياة"**، أما ما عندي من أفكار -مهما كانت- إذا كانت امتدادٌ للأنا، فهي تحتاج إلى الصوم وإلى الصلاة.

ويبقى الركن الثالث، وهو ما نُطلق عليه: "**الصدقة**"، **وهي ليست "الإحسان"، بل هي من الآرامية والعبرانية، وهي إعطاء المحتاج حقه**، وهي مثل الصلاة والصوم، هي بمثابة تخلٍّ الإنسان عما يملك؛ لكي يكون مثل ذاك الذي أخلى ذاته وأخذ صورة العبد (فيلبي ٢: ٦). لذلك، تظهر الصدقة في يوم الحساب: "كنت مريضًا ... كنت ... الخ" (مت ٢٥: ٣٦ - ٤٤)، وهي احتياجات الإنسان العزيزة جدًا عند الذي صار ابن الإنسان لأجلنا.

كل عام وأنتم بخير.

رفاع الصوم الكبير

"اسم الرب يسوع"
ذكرى نياحة البابا كيرلس السادس[1]

أحاطت كثرة المعجزات بشخصك، حتى كاد البعض ينسى أنك رجل صلاة، لم نرَ مثله، لا في جيله، ولا في الذين جاءوا بعده؛ لأنه كان يصلي كثيرًا وكثيرًا جدًا، ويتكلم قليلًا وقليلًا جدًا، ووجد في صلوات الكنيسة أُم الشهداء حياته وفكره وشركته في حياة الثالوث.

لم أكتب إلا القليل من الكثير لأنني كنت ولا زلت أعتقد بأن لسان الشر لن يسكت، وسوف يظن الذين شاهدوه بطريركًا، ربما مرةً أو عدة مرات، أنهم عرفوه، ولذلك جعلوا من أنفسهم حكامًا على مسائل خاصة، لم يسمعوها ولم يكن لهم نصيب فيها.

أحد مفاتيح شخصية البابا كيرلس السادس هو مار اسحق السرياني، فقد كان يدرسه ويمارس ما يدرسه، وكان إسحق السرياني هو معلم شيوخ دير البراموس، كما سمعت منه هو. وفي كل ما كُتب عن قداسة البابا كيرلس، لم يكتب أحد أن اسحق السرياني هو المصدر الأول للحياة النسكية، ولعل أهم ما أخذته عنه هو الإفراز أو التمييز الذي أنقذني من مصاعب كثيرة.

أيقونات اسم الرب في الإبصاليات:

هي أيقونات عقلية، أي صوَرٌ رُسِمت بالكلمات تعود إلى أقوال الرب يسوع المسيح نفسه مثل:

"ظلل عليَّ بظل جناحيك يا ربي يسوع" (إبصالية الأحد).

وهي تعود إلى قول الرب، وهو يبكي على أورشليموإلى مزمور ٩١ معًا: "كم

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية بتاريخ ٨ مارس ٢٠١٧.

مـرة أردت أن أجمـع أولادك كمـا تجمـع الدجاجـة فراخهـا"، وفي عبـارة المزمـور: "الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت". والذي يطلب هذه الطلبة، وصورة الرب الحامي له هو نفسه، يقول بعد ذلك:

"حلوٌ هو نيرك وحملك هيِّنٌ (خفيف)"، لكي ينتهي بطلب قدرة الرب على أن تبيد العدو: "فَرِّق عني كل الأبالسة".

المسيحي المنتصر بالرب:

تلك أيقونة كتابية من الأقوال الإلهية:

"كلُّ مَن يقول يا ربي يسوع، كمَن بيده سيف يصرع العدو" (إبصالية الاثنين).

لأن سيف الروح هنا هو كلمة الله (أفسس ٥: ١٧)، ولكن سيف الروح هو أيضًا الاعتراف بالمسيح ربًّا ومخلصًا يصرع به العدو، أيَّ عدو، أي كل روح مضاد للرب يسوع. والاعتراف هو اعترافُ المحارِب القوي الذي يرنم:

"الله هـو عمانوئيـل (الله معنـا) الطعـام الحقيقـي (طعـام الحيـاة) شـجرة الحيـاة العديمـة المـوت"، وهـي عديمـة المـوت؛ لأنـه الجسـد المتألِّـه، وهـو مـا يجعـل المعـترف بالإيمان يقول:

"يقوم حولك الشاروبيم والسارافيم ولا يستطيعون أن ينظرونك، ونحن ننظرك كل يوم على المذبح، ونتناول من جسدك ودمك الكريمين".

فهكذا فضَّلَنا الله على القوات السماوية.

وهكذا كان يصلي كل يوم، ومع دورة اليوم:

"تغيب الشمس والقمر في زمانهما، وأنت هو أنت، وسنوك لن تفنى"؛ لكي تبرز الأيقونة الروحية:

"كمثل طبيبٍ حقيقي ومشفٍ داويت جميع أمراضنا".

اسم الرب يسوع قوتٌ وغذاء:

كان يحب إبصالية الثلاثاء، ويجد أنها خاصةٌ بالرهبان والمتوحِّدين –وإن كانت لم تنسَ "سكان الأرض"– هؤلاء "التائهين في الجبال المقفرة بالجوع والعطش والبرد والصقيع، ولكن اسم الرب يسوع هو يكون لهم طعام حياة تقتات به نفوسهم وأجسادهم معًا. هو يكون لهم ينبوع ماء حياة حلو في حناجرهم أكثر من العسل".

سألته إذا كانت هذه العبارات فيها مبالغة، وابتسم وقال: "لا تحكم على شيء لا تعرفه". وصَمَتَ. ومرَّت أيامٌ، وكان يوم ثلاثاء، وسألني إذا كنت صليت الإبصالية، فقلت له: نعم. وسألني: فيها مبالغة؟ فقلت له: لا أعرف، فقال: اسم الرب ليس مجرد اسمٌ يُقال، بل ينطق به روح الحياة، الروح القدس؛ لأننا نقول في الأوشية: "اسمك القدوس الذي نقوله، فتحيا نفوسنا بروحك القدوس". والنفس التي تحيا بالروح القدس ينال جسدها ذات الحياة؛ لأن الإنسان واحد لا ينقسم إلى قسمين. ومَن ينطق اسم الحياة، أي ربنا يسوع، ينال غذاءً للروح والجسد، والمسألة عندك هي مسألة وقت، ولازم تسمع وتفهم كويس باقي الإبصالية:

"إذا أخبروا به تفرح قلوبهم"، ليس فقط لأنه اسم الخلاص والمخلص، ولكن لأنه اسمُ مَن يحتوي، هو اسم المحبوب ابن الآب، وباقي الكلام:

"وتزهر أجسادهم، وإذا نطقوا به تستنير عقولهم، وترتفع إلى العلاء قلوبهم".

جرِّب يا حبيب أبوك، وأنت تشوف، يمكن بعد مدة، ويمكن على طول، حسب نعمة الرب.

الأشجار عند مجاري المياه (إبصالية الأربعاء):

ربطتْ الأيقونةُ العقلية ما جاء في المزمور الأول مع تجسد الرب يسوع، وصار "مجرى المياه" بالمفرد وليس بالجمع، هو مخلصنا ربنا يسوع المسيح. والسبب واضح

في أن الربَّ واحد، وأن المجاري هي شهادات الأسفار لمجرى واحد هو ربنا يسوع المسيح. ولذلك تقول نفس الإبصالية إن الكتب المقدسة "هي أنفاس الله، وهي التي تروي النفس لعمل الرحمة، وتعزِّي الفقراء بأيقونة بالغة الجمال: "فإن كنا معوزين من أموال هذا العالم وليس لنا شيء لكي نعطيه"، حالة العوز الحقيقي الذي لا نخجل منه؛ لأن "الفقر ليس عيبًا"، كما كان يقول، ولذلك "لنا الجوهرة اللؤلؤة الكثيرة الثمن، الاسم الحلو المملوء مجدًا الذي لربنا يسوع المسيح، هذا الاسم: إذا ما لازمناه في إنساننا الداخلي، فهو يجعلنا أغنياء حتى نعطي آخرين".

ماذا تفعل معنا هذه الأيقونات الروحية؟

قال: "خليك مُحارِب روحي شديد. الفكر لا يغلبه إلا فكر أقوى منه، وهو الفكر الخاص بالرب. ولذلك، الإبصاليات تحتوي على صور عقلية أو أيقونات روحية قادرة على طرد كل فكر غريب حسب صلاة الأوشية: "وكل فكر لا يرضي صلاحك فليُبعَد عنا".

وكان اكتشاف الصلاة التي تُعرَف باسم صلاة الخضوع في نهاية القداس الكيرلسي، وربطُ هذه الصلاة بكل من الإبصاليات، بل والثيئوطوكيات هو رحلة طويلة سوف أُسجِّلها، ولكن يكفي الآن أن نلاحظ:

"طهِّر إنساننا الداخلي كطُهر ابنك الوحيد، هذا الذي نضمر أن نأخذه. فليهرب عنا الزنا وكل فكر نجس من أجل الله الذي (تجسد) من العذراء"، ومن هنا جاءت الرحلة مع الثيئوطوكيات.

"الافتخار والشر الأول الذي هو العظمة من أجل الذي اتَّضع وحده من أجلنا"، ومع هذه العبارة، كان من الضروري قبول الاسم الحسن، وكان اسم يسوع هو اسم تواضُع الرب؛ لأن الخلاص والمخلص كان تواضعه الفائق الذي جعله يأخذ صورة العبد، ومحبة اسم الرب، اسم الخلاص هو محبة ذاك الذي أحبنا لأنه محب البشر.

"المخافة من أجل الذي تألم بالجسد عنا وأقام غلبة الصليب".

أما إبصالية الخميس، فهي سياحةٌ مع أركان التدبير، وإبصالية الجمعة هي اسم الرب والصليب لأن الجمعة هي جمعة الصلبوت. وتستمر الصلاة مع قبول الألم والانتصار، وهو ما جعل اسم الرب وعلامة الصليب معًا وحدة واحدة لا يمكن فصلهما.

أبي الواقف مع القوات السمائية،

لقد طُردتُ كما طُردتَ أنت،

صلِّ لأجلي ولأجل الذين طردوني؛

لكي أنعم بحرية حقيقية.

الجفاف والفتور الروحي، وصايا الشيوخ الذين عِشنا معهم[1]

"الانشغال بخطايا الآخرين، والحديث الدائم عنها يشبه إلى حد كبير الجيش الذي يرى أن قسمًا منه انضم إلى صفوف الأعداء، لذلك علينا أن لا نساعد قوات الظلمة على نشر "الإحباط" والإخفاق في السلوك المقدس".

"ولأننا نري أن الشر صار عامًا، أو أن الأفاضل والقادة يخطئون، فهذا وحده كافٍ لأن يزرع في قلوب كل المؤمنين الجفاف الروحي، ولذلك علينا في هذه الظروف وأمام علانية خطايا القيادات أن نذكر قول الرب: "أضرب الراعي فيتبدد القطيع" (متي ٢٦: ٣١). وكان الأنبا أرسانيوس يقول: "يا أرسانيوس تذكَّر ما خرجتَ لأجله".

لذلك يجب علينا المثابرة الدائمة على الصلاة والتضرع بمرارة من أجل كل الذين يخطئون، لا لكي ننال رضى الرب، بل لكي لا ندخل معسكر الشيطان ونتحول إلى جانب قوات الظلمة".

"المثابرة تحتاج إلى محبة نارية، وإذا بردت المحبة علينا أن نطلب الروح الناري[2] حسب وصية الأنبا أنطونيوس الكبير لكي نسلك حسب حكمة المحبة وليس حسب كلمة العداوة والبغضة.

([1]) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية بتاريخ ٣١ مارس ٢٠١٨.

([2]) "الروح الناري العظيم الذي قبلته أنا أقبلوه أنتم أيضًا، وإذا أردتم أن تنالوه ويسكن فيكم فقدموا فيكم فقدموا أولًا أتعاب الجسد وتواضع القلب، وارفعوا أفكاركم إلى السماء ليلًا ونهارًا، واطلبوا بكل قلبكم هذا الروح الناري القدوس وحينئذ يُعطي لكم، لأنه هكذا حصل عليه إيليا التشبِّي وأليشع وجميع الأنبياء الآخرين. ولا تفكروا في قلوبكم وتكونوا ذوي قلبين وتقولوا ‘‘من يستطيع أن يقبل هذا؟ ‘‘فلا تدعوا هذه الأفكار أن تدخل إلى عقولكم بل اطلبوا باستقامة قلب وأنتم تقبلوه. وأنا أبكوكم أجتهد معكم وأصلي لأجلكم لكي تقبلوه، لأني أعلم أنكم قد جحدتم ذواتكم لكي تستطيعوا أن تقبلوه. لأن كل من يفلح ذاته بهذه الفلاحة في كل جيل فإنه ينال نفس الروح، الذي يسكن في المستقيمي القلوب. وأنا أشهد لكم، إنكم تطلبون الله بقلب مستقيم فأديموا باجتهاد من كل قلوبكم فإنه سيعطي لكم.’’ رسائل القديس أنطونيوس الجزء الثاني (٨-١٩) – نصوص آبائية ٤٤ – تعريب: د. نصحي عبد الشهيد – يناير ١٩٩٩ – ص ١١-١٢.

طهِّر قلبك وفكرك من كل أشكال الدينونة ومهما كانت علانية خطايا الآخرين. عليك أن تطلب الرحمة لنفسك ولهم.

لا تجعل مشاعر القلب هي مقياس المحبة؛ لأن مشاعر القلب تشبه أمواج البحر، تأتي وتذهب، ولكن المحبة الحقيقية نراها في أوقات الجفاف أو الفتور حيث يلتصق القلب –مهما كانت برودة القلب– بالرب يسوع وبصليب رب المجد.

(البابا كيرلس السادس).

المثابرة والجهاد لا يتم بالمشاعر، بل بقوة الإرادة التي تطلب الالتصاق بالرب يسوع مهما كانت الظروف ومهما كانت الشكوك. والقداسة الحقيقية هي في أن تصبح الإرادة هي الصخرة التي تنكسر عليها قوة العدو والتي لا تخضع للمشاعر. مَن له إرادة قوية –قادرة علي أن تهزم كل المشاعر المضادة لوصايا الرب– قد وضع قدميه في فردوس المسيح.

(القمص متى المسكين).

"عندما ترشم ذاتك بعلامة الصليب تذكَّر أنك دُعيت لأن تُصلب مع الرب يسوع، ولذلك ليكن رشم الصليب تخلٍّ عن كل شيء –مهما كان– لكي تنال معونة الروح القدس في الوقت المناسب". (الأب فليمون المقاري).

"أنت في الكنيسة من أجل المسيح يسوع وحده، ولا يوجد سبب آخر لوجودك في الكنيسة غير الرب يسوع، لذلك إذا أردت أن تنمو، لا تضع لحياتك هدفًا آخر غير يسوع المسيح ربنا، والخدمة من أجل اسمه، لأنك تخدم الرب وحده".

(القمص ميخائيل إبراهيم).

اشتعال القلب بنار المحبة الإلهية

"إذا أردت أن تكون إلهيًا في محبتك فإنَّ ترك خطايا الآخرين وغفران خطاياهم هو أول الطريق".

(الأب فليمون المقاري).

"عجيبٌ جدًا عمل الروح القدس في القلب، إنه عمل هادئ قد لا تحس به، ولكنك ترى نتائجه في التمسك بالمواعيد وفي رؤية المجد الآتي وفي عناد القلب

الذي يرفض أن ينساق وراء الإغراء مهما كان. عندما ترى ذلك في نفسك، تأكد من أنَّ نار الروح القدس تعمل فيك بهدوء وبدون ضجيج؛ لأن الرب قال عن نفسه وعن الآب والروح إنه (متواضع) ويعمل حسب التواضع الإلهي لكي نجد راحة لنفوسنا".

(القمص متى المسكين).

"يا ابنى إذا تمسَّكت بوصايا الرب، عَجَزَ الجفاف أو الفتور أن يبعدك عن الرب. لذلك فتِّش قلبك بدقة، واكشف أفكارك للرب، وابحث عن النوايا الخفية التي تقودك للخطية".

(البابا كيرلس السادس).

"واظب علي الصلاة مهما كانت الظروف المحيطة بك، ولتكن إبصالية "اسم الرب يسوع" هي طلبة قلبك في كل يوم لأن هذا نافع جدًا، ويجعلك تجد في الرب يسوع عزاءً حقيقيًا".

(البابا كيرلس السادس).

"الفتور له سبب واحد: هو السقوط في اليأس، واليأس له علاجٌ واحد، وهو التمسك بمواعيد محبة الله، لذلك أرجو أن تصلي (١ كو ١٣: ١-٩)[١] عندما تجد نفسك فاترًا وجافًا". (القمص ميخائيل إبراهيم).

سلام ومحبة لكم جميعًا،

---

(١) "إِنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةِ النَّاسِ وَ الْمَلاَئِكَةِ وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَقَدْ صِرْتُ نُحَاسًا يَطِنُّ أَوْ صَنْجًا يَرِنُّ. وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوَّةٌ وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الإِيمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَلَسْتُ شَيْئًا. وَإِنْ أَطْعَمْتُ كُلَّ أَمْوَالِي وَإِنْ سَلَّمْتُ جَسَدِي حَتَّى أَحْتَرِقَ وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَلاَ أَنْتَفِعُ شَيْئًا. الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ وَلاَ تَنْتَفِخُ. وَلاَ تُقَبِّحُ وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا وَلاَ تَحْتَدُّ وَلاَ تَظُنُّ السُّوءَ. وَلاَ تَفْرَحُ بِالإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ. وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَسْقُطُ أَبَدًا. وَأَمَّا النُّبُوَّاتُ فَسَتُبْطَلُ وَ الأَلْسِنَةُ فَسَتَنْتَهِي وَ الْعِلْمُ فَسَيُبْطَلُ. لأَنَّنَا نَعْلَمُ بَعْضَ الْعِلْمِ وَنَتَنَبَّأُ بَعْضَ التَّنَبُّؤِ. وَلكِنْ مَتَى جَاءَ الْكَامِلُ فَحِينَئِذٍ يُبْطَلُ مَا هُوَ بَعْضٌ. لَمَّا كُنْتُ طِفْلاً كَطِفْلٍ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ وَكَطِفْلٍ كُنْتُ أَفْطَنُ وَكَطِفْلٍ كُنْتُ أَفْتَكِرُ. وَلكِنْ لَمَّا صِرْتُ رَجُلاً أَبْطَلْتُ مَا لِلطِّفْلِ. فَإِنَّنَا نَنْظُرُ الآنَ فِي مِرْآةٍ فِي لُغْزٍ لكِنْ حِينَئِذٍ وَجْهًا لِوَجْهٍ. الآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ لكِنْ حِينَئِذٍ سَأَعْرِفُ كَمَا عُرِفْتُ. أَمَّا الآنَ فَيَثْبُتُ الإِيمَانُ وَ الرَّجَاءُ وَ الْمَحَبَّةُ هذِهِ الثَّلاَثَةُ وَلكِنَّ أَعْظَمَهُنَّ الْمَحَبَّةُ".

استلمت رشم الصليب من الروح القدس[1]

لعل مَن خَدَمَ مع المتنيح القمص ميخائيل إبراهيم يكون قد شاهد كم كان يرشم الصليب قبل كل عمل، وقبل أن يتكلم، وهو يسير في الشارع، وقبل أن يصل إلى أي مبنى للافتقاد، وعلى سُلَّم المبنى، وقبل أن يدق على الباب، وأحيانًا عندما يسمع شيئًا صادمًا في الاعتراف.

وتجاسرت أن أسأله، فقد كان أبي الروحي بتوصية البابا كيرلس السادس، فقال لي: نحن ننال ٣٦ رشمًا في مسحة الميرون، وقد قدَّم لي أكثر من شخص صليبًا من الذهب أو الفضة، ولكنني أخذت رشم الصليب، قوة حياة، من المسحة الإلهية ومن الروح القدس نفسه. وتمر أيامٌ كثيرة، وأعود إلى ما سمعت دائمًا، وهو أن خاتمة رشم الصليب هي "والروح القدس".

وأجد نفسي أحمل وشم الصليب على اليد اليمنى، وألمس الوشم بقلبٍ يجد أن الصليب في كياننا لا يمكن أن يُنزع لأنه من روح الحق البارقليط.

([1]) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية بتاريخ ١٨ فبراير ٢٠١٩.

يا صليب الرب

يا صليب الرب

يا حِصن القلب

مرشومٌ بروح الحياة

خَتمُ محبته ورضاه

***

يا صليب الرب

يا رفيق الدرب

ثابتٌ في القلب

بمسامير الحب

د. جورج حبيب بباوي

المحبة،

الوصية الإلهية العظمى

رحل عن الدنيا معظم الذين عرفوه -أعني القمص مينا المتوحِّد البراموسي- فخر دير البراموس. ولم يترك لنا أيٌّ منهم سوى ذكرياتٍ، منها حديثٌ طويل للراحل الكريم القمص صليب سوريال سُجِّل على شرائط كاسيت.

أكثر ما أزعجني أن أيقونة رجل الصلاة، الذي عاش للصلاة، توشك أن تضيع وتختفي في ضباب المعجزات، فقد ملأت المكتبات كتيبات عن معجزات قداسة البابا كيرلس (الصواب هو معجزات الرب يسوع التي صنعها بواسطة خادم أمين. الاسم نفسه: معجزات البابا كيرلس، خطأٌ عقيدي يجب التنبيه إليه، ويجب الإقلاع عنه).

عاش راهبًا قبطيًا، حتى بعد سيامته بطريركًا. لم يرتَدِ فرَّاجيَّةً مزركشةً، ولا اقتنى شيئًا.

أذكُرُ بكل وضوح -كما لو كان قد حدث هذا منذ ساعات قلائل- أنني صعدت إلى القلاية بعد أن انتهى قداس يوم الجمعة، لأخبره بعودتي إلى الإكليريكية، فقد كنت أستعد للسفر إلى دير السريان لقضاء إجازة عيد الميلاد. وكان القمص مينا جالسًا مع أحد آباء دير السريان، وعندما طرقت الباب ودخلت، قال لي: "تعالَ، لازم تسمع الكلام ده". وكان الكلام عن التداريب الروحية التي سادت في بعض فروع مدارس الأحد، وكانت مدارس أحد الجيزة هي أحد منابع هذا التعليم. وقال أبونا مينا بالحرف الواحد: "يعني الواحد يحسِّن كلامه، ويبقى كلامه موش من قلبه؟ لازم يطلب نعمة المحبة الإلهية، وبعدين من نقاوة القلب، يبقى فيه لسان حلو. يا ابني -والكلام للأب الراهب- إنتوا بتعلِّموا

الناس النفاق باسم الأرثوذكسية. يعني واحد لا يعرف المحبة، يتعلِّم إزاي يتكلم كلام حلو وكلام تشجيع وكلام تواضع، وهو قلبه مليان كبرياء؟". وصَمَتَ الأب الراهب، فقد كان تلميذًا للأب مينا المتوحِّد. وأكمل أبونا مينا المتوحد قائلًا: "الوصية العظمى: حِب الرب إلهك وحِب قريبك كنفسك، لما دي تتنسي، يبقى فاضل أيه في الإنسان؟ لما يتعلم انه يقول كلام موش طالع من قلبه، يعني يتعلم الغش والنفاق والكذب. وهيَّ دي تبقى مسيحية؟".

وشعرت بالحرج، وقلت له إنني جئت لكي أخبره بعودتي إلى الإكليريكية حتى أُسافر مع أبونا شنودة السرياني (المتنيح الأنبا يؤنس أسقف الغربية) إلى دير السريان، فقال لي: "روح يا ابني. ملاك السلامة معاك. المحبة الإلهية يسكبها روح الرب في القلب. أوعى تنسى الإبصاليات. القلب المشغول بالرب يسوع هوَّ نفسه اللي يتكلم الحق والمحبة والتواضع؛ لأن الرب يسوع يسكن حيث يسكن اسمه، في القلب". وقبَّلت يده، وعندما هممت بالخروج قال لي: "أوعى تنسى الإبصاليات، وإياك تقع في ترعة التداريب. المحبة موش عاوزة تدريب. المحبة عاوزة نعمة ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. احفظ الوصيتين دول وأنت تخلص".

وتمر السنوات، ولا زال حفظ الوصية الأولى والثانية، وكلاهما عن المحبة، محبة الرب ومحبة القريب، هما شغل القلب الشاغل.

وبعد، هل يستطيع مَن ينظر إلى الكنيسة اليوم، أن يقول إنها تقدَّمت في المحبة؟ سؤالٌ لا جواب عليه؛ لأن الإجابة تنطوي على حرجٍ كبير.

ذكرى نياحة البابا كيرلس السادس

إخلاءُ الذات، عطاءُ محبةٍ أبدية[1]

حركة المحبة الإلهية

عندما وصف القديس كيرلس الكبير رسول الرب بولس بأنه "الحكيم جداً" و"الماهر في فهم أسرار الله" كان يشير إلى تلك الحكمة الإلهية التي سكنت ذلك القلب الكبير، فوضع في رسائله ذلك التعبير الذي يصف به اتحادنا بالرب، والذي بلغ عدد مرات استخدامه حسب علماء العهد الجديد ١٦٥ مرة: "في المسيح"، و"بالمسيح"، و"بواسطة المسيح". يقول بولس عن نفسه: "أعرف إنساناً **في المسيح**". قد يحاول البعض أن يبسِّطَ الأمر، فيقول إنه أراد أن يقول: "أعرف إنساناً مسيحياً" مستبدلاً تعبير "مسيحياً" بتعبير "في المسيح"، ولكن هذا البعض لا يدري أنه بذلك يكون قد نزع فاعلية أو ديناميكية حياة بولس الذي أراد أن "يوجد في المسيح" (فيلبي ٣: ٨، ٩).

فما هو سر ذلك الحب الفياض الذي جعله يرى أن محبة المسيح تحاصره في كل قول وفعل وحركة وصراع مع معلمي الكذب الذين سمَّاهم "الأخوة الكذبة"، ولعلنا نلاحظ أنه رغم كذب هؤلاء، لم ينزع عنهم الأُخوَّة.

لقد أدرك بولس قوة يسوع، قوة الانعطاف الدائم نحو الإنسان. ولذلك رَسَمَ بالكلمات أيقونة المحبة الخالدة في (١كو ١٣: ١-٨). وملامح هذه المحبة في جوهرها، هي محبة يسوع نفسه "الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي". محبةٌ تجعله لا يفتخر إلا بالصليب، بكل ما تحمله هذه العبارة من عزم وقوة: "أما أنا فحاشا لي"، أي ممنوع منعاً باتاً الافتخار بغير الصليب. فما هو سر تقوى بولس؟ أولاً: "الله ظهر في الجسد"، هو ذلك السر العظيم (١تيمو ٣: ١٦)، ولكن مع ظهور

([1]) مقال نشر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٢ يناير ٢٠١٧.

الله في الجسد واجتماع الإنسانية في حشدٍ جديد هو جسد المسيح (١كو ١٢: ١٢)، أي الكنيسة (١كو ١٢: ٢١)، لا يقف الأمر عند هذا الحد، ولا يؤول إلى سكون وانعدام حركة؛ لأن هذا الابن الذي "أخلى ذاته وأخذ صورة العبد" (فيلبي ٢: ٩)، رُفِعَ "في المجد"، بل "ظهر لملائكة"، "وجلس عن يمين الآب في السماء". وعلى ذلك، فالإخلاءُ هو حركةٌ دائمةٌ، حركة المحبة التي لا تتوقف عن العطاء، عن أن تضم إليها كل يوم الذين "يغطسون"، أي "يعتمدون" في "الصلب والموت والدفن والقيامة" (رو ٦: ١-٨).

هذه هي حركة المحبة الإلهية نحو البشر. وقد بدأت هذه الحركة بتجسد يسوع الذي "من نسل داود". ورغم إنسانيته التي حدثت تحت حكم الشريعة (غلا ٤: ٤-٦)، إلا أنه بالقيامة من الأموات، تُوِّجَ بالروح القدس. وقد استخدمنا كلمة "تُوِّجَ" بدلاً من كلمة تعيَّن -حسب ترجمة فان ديك- لأن كلمة تعيَّن ترجمة خاطئة تعطي الانطباع بأن ابن الله لم يكن ابنَ الله، ثم صار ابن الله، فهذا ما تعنيه كلمة "تعيَّن"، ولكن الكلمة اليونانية تحتمل أكثر من معنى ليس التعيين واحداً منها، بل هي تعني: انتصار - واستعلان - والنداء بيسوع ابن الله، وهو نداءٌ يقوم به الروح القدس؛ لأنه نداءُ حياة مَن غَلَبَ الموت. إذن لا تكفي الترجمة الحرفية، بل يجب أن نبحث في المضمون من خلال ما كتبه بولس نفسه (راجع رو ١: ١ — ٣) لأن يسوع هو "ملك الدهور الذي لا يفنى الإله الحكيم وحده ..." (١تيمو ١: ١٧).

واستعلان قوة يسوع وملكه وعمله الفائق وشدة قوته، يعبِّر عنه ذلك اللقب: "المخلِّص"، الذي يرتكز بشكل أساسي على "الرب"، فهو الذي "أنار الحياة بواسطة البشارة (الإنجيل)". هو الخلود الذي فقده الإنسان، ولذلك يقول بولس: "لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح"؛ لأن "ما أحياه الآن في الجسد، أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي"، والصليب هو "نعمة الله"؛ لأنه أعلن "بر الله" (رو ٥: ١). والبر هو الحياة التي يقدمها الله لكل الخطاة. وحسب شرح الأب متى المسكين "البِّرُ" هو إعلان براءة الإنسان من كل

الخطايا، وهو شرحٌ لا يقبله تلاميذ موسى من الإكليروس، بالرغم من أن الله وَعَدَ حتى في العهد القديم، أن لا يذكر الخطايا، بل "يدوس عليها" (ميخا ٧: ١٨- ٢٠). وفي العبرانيين يقدم رسول الرب ذات الوعد، عند حديثه عن موت المسيح الذي لا يمكن فهمه من خلال نظام ذبائح العهد القديم (عب ١٠: ١-١٠).

الاتحاد الأقنومي حركة دائمة للمحبة:

ساد اعتقادٌ لدى علماء العهد الجديد أن (فيلبي ٢: ٥-١١) هي ترنيمة قديمة، وكان السبب الأول لهذا الاعتقاد هو أن معظم الفقرات جاءت في قالب الشعر اليوناني، ذلك الشعر المقفَّى على أوزان شعرية قديمة جعلت الكثيرين يعتقدون أننا إزاء ترنيمة تضع الإيمان المسيحي في أسلوب قابل للحفظ لسهولته:

- "المسيح يسوع كان في صورة الله لم يحسب مساواته لله خلسة

أخلى ذاته

آخذاً صورة العبد

صائراً في شبه البشر

صورة الله μορφή θεού

صورة العبد μορφή δουλου"

التنازل هو تنازلٌ حقيقيٌّ لأنه وُلِد "شبه البشر". صار إنساناً إلى الأبد حتى بعد أن رفع إلى مجده. ظلَّ إنساناً حقاً، ممجداً بالصعود والجلوس عن يمين الآب، بل "أعطاه الله اسماً فوق كل اسم" (هو اسم الألوهة الكاملة)، وفي العبرانية الاسم الذي فوق كل اسم هو "يهوه"؛ ولذلك تسجد الخليقة كلها له، بل يعترف كل لسان "أن يسوع هو ربٌّ لمجد الله الآب" (فيلبي ٢: ١١). ولذلك، فإن ميلاد من أخلى ذاته وموته وقيامته، هو بدءٌ جديدٌ لعلاقةٍ جديدةٍ:

١- أصبح في الحياة الإلهية إنساناً مُتَّحداً بالابن إلى الأبد، فلم يعد اللاهوت الذي يشمل الآب والروح القدس، وليس الابن وحده هو الألوهة التي قَبِلت الإنسانية من إنسان. هذه ليست فكرة، ولكنها انتقالُ الكيان الإنساني إلى المجد الإلهي، والحياة الإلهية في يسوع المسيح. هنا بالذات "تجثو كلُّ ركبةٍ"، و"يعترف كل لسان بأن يسوع هو ربٌّ لمجد الله الآب"، إذ لم يفقد الثالوث مجده، بل طَبَعَ مجده بأكثر جمال وجلال بقبول الابن أن يكون في صورة العبد، لكي ينقل صورة العبد إلى صورة الرب، ويبقى إنساناً. وبقاء الإنسانية كما هي إنسانية، هو استعلان المحبة الإلهية الفائقة التي لا تزال تعطف وتتنازل إلى الإنسانية في السرائر بالذات، حيث يتم تحول صورة العبد في المعمودية إلى صورة الابن، وتُمسَح بالروح القدس كما مُسِحَ يسوع في الأردن، وتتحول من آدم الأول إلى آدم الأخير "الرب من السماء"، انتقالٌ ليس بالفكر وحده، بل بالكيان.

٢- وأصبح كل قداس هو استمرارٌ للإخلاء إلى أن ينتهي التدبير بدخول الخليقة الجديدة الملكوت الأبدي بعد أن ذاقت العربون. فالرب يخلي ذاته عندما يوزِّع جسده ودمه علينا "لكي نحيا به"، حسب قوله: "مَن يأكلني يحيا بي" (يوحنا ٦: ٥٧).

توقَّفتُ مرةً عند عبارة الرب هذه في حديث مع الأب فليمون المقاري، فقال لي: "هات الكلام الإلهي من أوله؛ لأن الرب قال: "كما أرسلني الآب، وأنا حيٌّ بالآب، فمن يأكلني يحيا بي"؛ لأن الإنسان الأول خُلِقَ من العدم، وكان يأكل من كل ثمار أشجار الجنة لكي يحيا، يعني ليس له حياة في ذاته؛ لأن الله وحده له حياة في ذاته. ولكن لما صار الابنُ له المجد، شجرةَ الحياة التي كلُّ مَن يأكل منها يحيا إلى الأبد، قال: "مَن يأكلني"؛ لأن الأكل هو احتياج يؤكد أن الإنسان بلا حياة أبدية في ذاته. تجسَّد لكي يجعل نفسه طعاماً". وتوقف الأب فليمون عن الكلام. لكن يظل الإخلاء يُملي علينا أن نتوقف أمام ذلك الانحناء الفائق نحو الخليقة.

٣- فهو انحناءٌ وإخلاءٌ لسكنى الرب فينا "المسيح فيكم رجاء المجد". أمام

ذلك المجد، يجد بولس الرسول أن كل ما كان له في حياته السابقة على الإيمان هو "زبالـة"، بـل "خسـارة" لم يكسـب منهـا شـيئاً (فيلـبي ٣: ٧-٢٨)؛ لكـي "أربـح المسيح وأُوجد فيه". ولعل القارئ يقف أمام هذه الكلمات: "وأُوجد فيه، وليس لي بـري الـذي مـن الشـريعة، بـل الـذي بإيمـان المسـيح الـبر الـذي مـن الله بالإيمـان" (فيلبي ٢: ٩).

ما حققه تجسد ابن الله بالإخلاء:

يبـدو لمـن شـاء أن يتـوهم، أن "مكونـات التـدبير"، وهـي: الحبـل البتـولي – المسـحة في الأردن – الصـراع في البريـة – المعجـزات والتعلـيم – الصـلب والمـوت والدفن والقيامة – الصعود، هي أحداثٌ متباعدة غير متصلة. هذا الوهم يداعبنا ويسيطر علينـا عنـدما نفقـد الرؤيـا الليتورجيـا بأننـا نحتفـل بالأعيـاد السـيدية كلهـا بالقداسـات؛ لأن في كـل قـداس، الأقنـوم أو الشـخص الـذي فعـل هـذا وذاك "لأجلنا"، أي وُلِدَ واعتمد وصارع الشيطان وصُلِبَ ودُفِنَ بعد موته، ثم قام حياً، هو ذاته الذي لأجلنا هو حاضرٌ معنا يُقدِّمنا للآب بالروح القدس بواسطة هذه الانجـازات الكـبرى الفعالـة (الديناميكيـة). فعنـدما نـأتي إليـه، وهـو السـاكن في وسطنا، والذي إليه ننتمي انتماء "الرأس للأعضاء" (١كو ١٢: ١١-١٢)، فهو يمنح من "مكونات التدبير" ما أنجزه من عودةٍ إلى الله الآب من خلاله "كوسيطٍ ورأس"، عودة إلى الآب، ولكنها عودة الأعضاء "أعضاء جسده"؛ لكي تشترك في ذات الحياة الإلهية الواحدة من خلال "الوسيط"، فقد صار لنا "أصلٌ جديد" هو يسوع المسيح، نعرفه بالشركة المستعلَنة. هكذا جمع الشخص أو الأقنوم حياته مثل سفرٍ متعدد الإصحاحات، ليست مكتوبةً بحروف، بل مرتَّبةً حسب التدبير لكي يضم إليه الذين يؤمنون به:

أولاً: بالولادة الجديدة التي أخذتْ أساسها من الحبل البتولي، والتي تُوهب في المعمودية المقدسة.

ثانياً: بمسحة الروح القدس التي مُسِح هو بها ليكون لنا شركة في مسحته (١يوحنا ٢: ٧) "المسحة التي أخذتموها منه"، إذ لا صلة لنا بالروح القدس بدون وساطة الرب. وهكذا، يؤكد أستاذنا أثناسيوس أننا مُسحنا فيه واعتمدنا فيه عندما اعتمد الرب ومُسح في الأردن (ضد الأريوسيين ١: ٤٧).

ثالثاً: ولأن التدبير جاء بالشركة، لذلك السبب يقول بولس: "لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته" (فيلبي ٣: ١٠)؛ لأن الصلب والقيامة ليست أموراً حدثت لكي تنتهي، بل حدثت لكي تدوم. وهكذا نعرفه في سر المعمودية بالصلب والدفن والموت والقيامة معه (رو ٦: ١-٨).

رابعاً: ويأتي الربُّ العارف بضعف البشر هو ذاته الكائن على المذبح موزِّعاً حياته لكي تبقى فينا "خدمة المصالحة" (٢كو ٥: ١٨)؛ لأن الآب "صالحنا لنفسه" غير حاسبٍ لنا خطايانا، بل وخطايا العالم أيضاً (٢كو ٥: ١٨). ولعل الترتيب الكنسي في صلاة الصلح يغرس فينا هذا الوعي بتدفق الحياة الإلهية فينا دون أن يكون لنا استحقاق؛ لأن المصالحة "لا تحسب الخطايا".

النداء الأخير:

مطلوب، كما يقولون في تدريب الجيوش "نوبة صحيان"، وحاجتنا إلى هذه "الصحوة" باتت واضحة أكثر من ذي قبل. صحوةٌ تؤكد لنا أن مواعيد الله التي حفظها الأنبياء لم تأتِ من الشريعة، ولم تكن حسب الشريعة، أي شريعة موسى؛ لأن حشر شريعة موسى في داخل تدبير الخلاص يدمر ما عمله المسيح فينا ولأجلنا، وهو ما يتضح من خلال المقارنة الآتية:

الشريعة	الإنجيل
الشريعة تحكم علينا	الإنجيل يعلن الغفران
الشريعة تحدد عقوبات الخطايا	الإنجيل يمنح النعمة، بل يعطي ميراث الملكوت

لا توجد مواعيد في الشريعة	الإنجيل لا يقدم فقط المواعيد، بل يؤكد نوالها في المسيح بالروح القدس.
الشريعة للعبيد	الإنجيل للأبناء
لا شركة في حياة الله حسب الشريعة	صرنا شركاء الطبيعة الإلهية

إذن لماذا الشريعة؟ والجواب للقديس بولس:

١- لم أعرف الخطية إلا بالشريعة - الناموس (رو ٧: ٨). والخطية تدفع أجرة لمن يخطئ "لأن أجرة الخطية هي موت" (رو ٦: ٢٣).

٢- يا اخوتي قد متم للشريعة بجسد المسيح (رو ٧: ٤)، فقد مات حكم الموت، ولذلك "لكي تصيروا لآخر للذي أقيم من الأموات لنثمر لله" (رو ٧: ٤).

٣- قبل المسيح "عاشت الخطية فمت أنا" (رو ٥: ٩)، وهو حكم الموت. وهكذا صارت الوصية التي للحياة هي نفسها للموت (رو ٧: ١٠).

هل الشريعة شر؟

أبداً، هناك فرق بين مَن يشخِّص المرض ويؤكد موت المريض؛ لأن التشخيص صحيح، ولكن الموت ليس هو الحل، هكذا يجب أن نقرأ: (رو ٧: ١٢-١٣) هل "صار الصالح موتاً" (رو ٧: ١٣)؟ حاشا. بل الخطية خاطئة جداً. لكي يظهر أن الخطية تجعلني أصطدم بالشريعة، وتجعل ما هو صالح موتاً، عندئذ تصير الخطية خاطئة جداً" (رو ٧: ١٣).

رسالة غلاطية إلى عبيد العصر الوسيط:

وساطة الشريعة التي تقرب الإنسان إلى الله، ليست مثل وساطة المسيح الذي جاء لكي يشركنا في حياة الله.

لقد وصف بولس نفسه بأنه أؤتمن على إنجيل الغرلة، أي الأمم (غلا ٢: ٧). ما هو محور الصراع في انطاكية (غلا ٢: ١١-٢١)؟

- رَفَضَ بطرس الأمم، بل يبدو من نص ٢: ١٢ أنه رفض شركتهم في العشاء الرباني: "يفرز نفسه" (٢: ١٢)، وهو ما جعل بولس يرى أن الأمر ليس مجرد الشركة في الطعام اليومي؛ لأن العبارة التالية قاسية جداً: "لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل" (٢: ١٤).

- "الإنسان لا يتبرر بأعمال الشريعة" (أعمال الناموس). عبارة شاملة تؤكد أن ما يعمله الإنسان لا يجعله مقبولاً عند الله، وهو أقل ما يمكن أن يُقال عن التبرير.

- يقول معلمنا بولس: "فإن كنت أبني ما قد هدمته"، أي وساطة الشريعة في أن تقرِّب الإنسان إلى الله، وبهدم الشريعة يصبح بولس "متعدياً" (٢: ١٨)، والدليل على هدم وساطة الشريعة: "لأني مت بالشريعة (الحكم) للشريعة" التي لا تحاكم الموتى لأحيا لله، فكيف حدث هذا التحول؟ يجيب بولس: "مع المسيح صُلبت" مات بولس، ولكنه: "فأحيا لا أنا"، أي الإنسان القديم الساعي إلى البر بقوة أحكام الشريعة، "بل المسيح يحيا فيَّ"، أي الحياة الحرة من الموت، ولذلك يختم: "لست أُبطِّل نعمة الله؛ لأنه لو كان بالشريعة بر، فالمسيح إذاً مات بلا سبب" (٢: ٢١).

وساطة الشريعة والنظام الكنسي:

نحتاج إلى وقفة رجال لكي نميِّز بين ضبط النظام الكنسي والترتيب، وشريعة العهد القديم. فالطقوس هي "ممارسة التدبير"، الطقوس ليست شريعة، بل هي السلوك الذي يجعلنا نقبل النعمة. فكل ما نقوم به لا يؤهلنا لنوال النعمة، بل يغرسنا في بحر النعمة الفياض بالشركة وبالمحبة الثالوثية. رشم الصليب هو أبسط طقوسنا، بل حتى لوثر نفسه قال عنه إنه احتفالٌ بالمعمودية، وعندنا هو ختم العهد، وشركة في المصلوب، واعترافٌ بالثالوث، وهو يتم بالروح القدس؛ لأنه يمارَس بنفس كلمات التعميد: "باسم الآب والابن والروح القدس".

من أين جاء الخلط بين الشريعة والقانون الكنسي؟

القانون وضع لحماية الإيمان وضبط السلوك حسب الإنجيل، وهو لذلك ليس مثل القانون المدني يحمل عقوبات في كل مادة، بل يحمل السبب في نص القانون نفسه، وأحياناً بالاستناد إلى وقائع تاريخية معينة مثل قانون عدم انتقال أسقف من إيبارشية إلى أخرى حتى لا يصبح الكهنوت وسيلة ربح، فيبحث الأسقف عن الكنائس الغنية ويهمل خدمة الفقراء. ولكن شريعة موسى قامت **أولاً** على الكهنوت، و**ثانياً** على نظام الذبائح، و**ثالثاً** على قواعد سلوك خاصة بالحياة اليومية من شرائع الطهارة والنجاسة. ولعل صرخة بولس تجد صدى لها في الضمائر:

– فقد تغيَّر الكهنوت "بالضرورة يصير تغيُّر للشريعة"، وهو معنى (عب ٧: ١٣)، ويردف هذا بقوله: "يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها" (عب ٧: ١٨)؛ لأن الشريعة التي تحاول أن تقرِّب الإنسان من الله، فقدت عملها، ولذلك يقول: "الشريعة لم تكمِّل شيئاً، ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به نقترب إلى الله" (٧: ١١) لأننا بالرجاء نقترب لا بأعمال الشريعة.

– جاء العهد الجديد، فصار العهد الأول عتيقاً، ولذلك "وأما ما عتق وصار قديماً وشاخ فهو قريب من الاضمحلال" (٨: ١٣).

– الشريعة هي ظل الخيرات الدائمة الأبدية التي جاء بها يسوع، وليست هي نفسها جوهر هذه الخيرات (عب ١٠: ١). والذين عاشوا حسب الشريعة، لا يمكن لهم بنفس الذبائح التي يقدمونها كل سنة أن يكملوا (عب ١٠: ١)؛ لأن دم الحيوانات لا يمكن أن يدخل ضمير ووجدان الإنسان، ولا "يرفع الخطايا" (عب ١٠: ٤).

من هنا نقول إن حفظ النظام الكنسي على حساب الإيمان، هو رِدة إلى اليهودية، وهو رِدة عن جهل.

لمحات آبائية وكتابية من صلواتنا القبطية
العين المستنيرة والنفس المستنيرة[1]

في صلواتنا القبطية ابتداءً من المعمودية المقدسة، وانتهاءً بشركة جسد ودم الرب يسوع، نسمع عن العين المستنيرة والنفس المستنيرة. وهي طلبة تأتي من بعض صلوات القسمة، حيث يقول الكاهن: "لكي بقلبٍ طاهرٍ، ونفسٍ مستنيرةٍ، ووجهٍ غير مخزي ... نجسر بدالة (بشجاعة) بغير خوف أن ندعوك يا الله الآب القدوس ...".

وفي اسبوع البصخة، بعد قراءة العظة المدونة في القطمارس، يختم القارئ بقوله: "فلنختم عظة أبينا ... الذي أنار عقولنا وعيون قلوبنا باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين".

ولعل مَن يتابع صلوات الكنيسة، يلاحظ أن هذه الصلوات تذكر إشراق نور القيامة في نبوات العهد القديم، كنبوة أشعياء (أش ٦٠: ١ - ٨): "استنيري .. يا أورشليم لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك"، إضافةً إلى باقي النبوات مثل حبقوق ٣: ٢ — ١٩، زكريا ٢: ١ - ١٢، ثم اشعياء ٤٩: ٦ - ١١).

ولا بُد لمن اشترك في قداس عيد القيامة أن لاحظ الطرح بعد إنجيل القداس:

"نوَّر نوَّر يا جبل الزيتون مجمع الأحباء
أضيئوا ونوِّروا أيها الرسل الأطهار
فإنه قد أشرق نور القيامة
المسيح مخلصنا قام من الأموات ...".

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في نوفمبر ٢٠١٢.

ويرتفع الأداء الروحي السماوي، فيصل إلى قمته في قسمة للابن في عيد القيامة:

"ونحن الجلوس في الظلمة زمانًا،

أنعم علينا بنور قيامته من قبل تجسده الطاهر ..

فليضيء علينا نور معرفتك الحقيقية ..

لنضيء بشكلك المحيي".

وفي صلاة القسمة للآب سنوي:

"اللهم والد النور .. ورئيس الحياة .. واهب المعرفة ..

الذي أصعدنا من العمق إلى النور ..

الذي أعطانا الحياة من الموت ..

الذي جعل ظلمة الضلالة التي فينا،

تضيء من قبل إتيان ابنك الوحيد بالجسد ..

أنت الآن يا سيدنا **أنر عيون قلوبنا**.

وطهِّرنا كاملين في النفس والجسد والروح".

ونلاحظ أن الاستنارة، وإنارة عين النفس أو عين القلب –كما سنرى بعد ذلك – هي أحد مكونات سر المعمودية.

إذا عدنا إلى قصة الخلق في سفر التكوين، نجد أن النور هو أول ما خلقه الله في اليوم الثالث، ولم يكن خلقُ الشمسِ مصادفةً، بل بداية الحياة (تك ١: ١٤)، فالله هو خالق النور (أش ٤٥: ٧ – ارميا ٣١: ٣٥ – سيراخ ٤٣: ١)، بل إن الله يلبس النور مثل ثوب (مزمور ١٠٤: ٢). وعند حلول واستعلان الله، يظهر النور (خروج ١٣: ٢١ – نحميا ٩: ١٢)؛ لأن النور هو استعلان الحضور الإلهي (حبقوق ٣: ٤)، ولذلك يقول المزمور: "الرب هو نوري وخلاصي من الذي أخاف؟" (مز ٢٧: ١).

وفي العهـد الجديـد نجـد أن النـور شـغل ٧٢ آيـة، منهـا ٣٣ منهـا في إنجيـل ورسائل القديس يوحنا وحده. وبالرغم من ذلك لم يدرك شهود يهوه أن استعلان الرب يسوع على جبل التجلي بنور أكثر لمعان من الشمس، هو استعلان يهوه نفسه (متى ١٧: ٢)، كما ظل إشراق النور يلازم حضور الرب يسوع، وعلى سبيل المثال عندما ظهر لشاول (أع ٩: ٣).

والتلمذة ليسوع تجعل تلاميذ يسوع أنوار العالم، أو "نور العالم" (متى ٥: ١٤ — لوقا ١٢: ٣٥)، وهو ما يؤكده القديس بولس بعد ذلك، رغم أنه لم يكن من الاثنى عشر؛ لأن نور المسيح هو السمة التي تميِّز التلميذ (أفسس ٥: ٨)، "لأنكم كنتم قبلًا ظلمة أمَّا الآن فنور في الرب ..". وفي فيلبي ٢: ١٥: "لكي تكونوا بلا لوم وبسطاء أولاد الله بلا عيب .. تضيئون بينهم كأنوار في العالم". وحتى تعليم الرب الذي يُقال للتلاميذ يجب أن يعلن جهارًا: "الذي أقوله لكم في الظلمة قولوه في النور والذي تسمعونه في الأذن نادوا به من على السطوح" (متى ١٠: ٢٧ — ٢٨ — لوقا ١٢: ٣).

المسيح نور العالم، أي نور الخليقة (يو ٨: ١٢ — ٩: ٥):

لعل افتتاحية إنجيل يوحنا هي محور الإنجيل؛ لأن يسوع هو النور (١: ٤ — ٨: ١٢)، فهو "النور الحقيقي الذي ينير" (١: ٩).

ويجب أن نلاحظ أن استخدام "أنا هو" في صيغةٍ محددة، تشير إلى أُقنوم الكلمة ابن الله، فهي تحدد بشكل واضح يفضح ضحالة تعليم الشيطان عند شهود يهوه .. أنا هو نور العالم ، من يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة" (راجع ٨: ١٢ — ٩: ٥ — ١٢: ٤٦).

لقد جاء الرب لكي ينير فكر الانسانية وحياتها بمعرفة حقيقية، كما تقول صلواتنا السابقة، وتأكيدًا لتجسد ابن الله تذكرنا إبصالية الأحد بأن القديسة مريم هي: "المنارة الذهب المصنوعة بأياد ذهبية"، أي أياد إلهية، فهي المنارة ذات السُّرُج

السبعة" تلك التي كانت في خيمة الاجتماع، ولذلك تقول ثيؤطوكية الأحد:

"أنت المنارة الذهب النقي،
الحاملة المصباح المنير كل حين،
الذي هو نور العالم غير المقتَرَب إليه،
الذي من النور غير المدنى منه،
الإله الحق من الإله الحق" (القطعة الخامسة).

ولعل هذه الكلمات كانت قد سبقت عبارات قانون الايمان:

"نورٌ من نور، إلهٌ حق من إلهٍ حق".

فهو الذي:

"بظهوره أضاء علينا،
نحن الجلوس في الظلمة وظلال الموت،
وقوَّم أرجلنا إلى طريق السلام بشركة اسراره المقدسة" (المرجع السابق).

فالسرائر كما سنرى هي أيضًا حاملة النور الالهي:

"الذي في بطنك يا مريم العذراء
أضاء لكل إنسان آت إلى العالم.
لأنه شمس البر،
ولدتِه وشفانا من خطايانا" (المرجع السابق).

لكن المنارة ليست العذراء وحدها؛ لأن أمومة مريم ليسوع رب المجد هي أمومة لكل الكنيسة، فهي الأم التي تجلس على رأس المائدة مع الملك – عن يمين الملك في وليمة الملك الإفخارستيا، ولذلك:

"شبَّهوا المنارة الذهبية بالكنيسة،
وسُرُجِها السبعة بالسبع طغمات(١)".

([1]) "طغمة" كلمة يونانية – قبطية، ولا تعني رتبة كما في الجيوش، بل الجماعة التي تميَّزت بنعمة إلهية معينة تجعلها مميزة في

والاستنارة هي نورٌ إلهي، لذلك تقول إبصالية الاثنين:

"فليكن اسم الرب فينا

ليضيء علينا في إنساننا الداخلي".

لأن هذا الاسم يعطي عطية الفرح القلبي:

"زينة نفوسنا وفرح قلوبنا

هو اسمك القدوس يا ربي يسوع".

فالتجسد هو إشراق نور معرفة الله الآب في ابنه، ولكنه ليس إشراقًا عقليًا، بل هو:

"أشرق جسديًا من العذراء

بغير زرع بشر حتى خلَّصَنَا" (ثيؤطوكية الاثنين).

وتأكيد استعلان النور الالهي بتجسد ابن الله، هو حسب ترتيب التجسد:

"الله نور وساكن في النور ...

النور أشرق من مريم ...

فقام داود ...

ومضى إلى البيعة بيت الملائكة،

فسبَّح ورتَّل للثالوث القدوس، قائلًا:

بنورك يا رب نعاين النور ..

أيها النور الحقيقي الذي يضيء لكل انسان آتيًا إلى العالم ..

أشرق جسديًا من العذراء" [1].

الجسد الواحد الكنيسة.

([1]) الذي يلازم صلوات الكنيسة يعرف أن القطعة التاسعة من ثيؤطوكية الاثنين تقال في صلاة باكر: "أيها النور الحقيقي ..."، وهي صلاة مبنية على انجيل يوحنا ١: ١ – ٣. راجع ايضًا ثيؤطوكية الثلاثاء القطعة الخامسة، والقطعة السابعة من ثيؤطوكية الأربعاء.

نورٌ من نور (قانون الايمان النيقاوي) واستنارة العين وعين القلب:

الاستنارة تعود أصلًا إلى استعلان الابن، فهو النور. ولعل ما يشبه صلاة ليتورجية ورد في رسالة أكليمنضس الروماني:

"نصلي بحرارة وبطلبات لخالق الكون أن يحفظ مختاريه في العالم كله في فتاه المحبوب يسوع المسيح الذي به دعانا من الظلمة إلى النور، ومن الجهل إلى معرفة مجد اسمه (يسوع). أعطِنا يا رب أن يكون لنا رجاءٌ في اسمك الذي به تبقي الخليقة، وافتح عيون قلوبنا لكي نعرفك .." (٥٩: ٢ – ٣).

عندما سمعت لأول مرة في ١٩٥٧ ختام طرح قُرِأ في دير السريان العامر: "لنختم عظة ... الذي أنار قلوبنا وعيون قلوبنا باسم الآب والابن والروح القدس (ترتيب أسبوع الآلام)، ثم وجدت ذات التعبير في رسالة أكليمنضس، أدركت أنني أمام تاريخ قديم متواصل مع الكتاب المقدس .. ودخل الصلوات.

الكلمة اللوغوس يعمل في إنارة كل الخليقة، فهو:

"مثل الشمس التي لا تنير السماء فقط، بل كل بقاع الأرض والبحر، بل تدخل أشعة الشمس من الشبابيك لكي تنشر النور في كل مكان من المنزل، هكذا أيضًا الكلمة يسكب نوره في كل مكان لكي ينير كل أعمالنا حتى الأصغر منها" (أكليمنضس الاسكندري المتنوعات ٧: ٣: ٢١).

الكلمة يسوع المسيح ابن الآب هو نور الآب، فهو كما يقول العلامة أوريجينوس:

"الله نور (١ يو ١: ٥)، وشعاع هذا النور هو الابن الوحيد المولود من الآب بدون انفصال .. يعطي النور لكل الخليقة .. بالاستنارة يتكون الفهم؛ لأننا – بالاستنارة – نعرف ما هو النور، فهو ينيرنا بوداعةٍ؛ لأنه يعرف أن عيوننا خاضعة للموت، ولذلك يدرِّب هذه العيون، ويجعلها تتعود على النور لكي تتحمل فيما بعد فيض النور الكامل. هو ينزع الغشاوة التي تعطل الرؤيا، حسب القول "أخرج القذى من عينيك" (لوقا ٦: ٤٢) حتى تتمكن هذه العيون من قبول بهاء النور .." (المبادئ ١: ٢ – ٣).

استنارة العين والقلب هي عمل الابن الوحيد:

عندما استخدم الآباء عبارة "نور من نور" في قانون الايمان النيقاوي، لم يكن هذا مجرد اعتراف بألوهية الرب والمخلص؛ لأن الاعتراف هو باب الحياة، باب الشركة، بل النور وهو الآب، ومنه النور وهو الابن لا يؤكد فقط وحدانية جوهر الثالوث، بل هو أساس خلاص البشر. (اثناسيوس ضد الأريوسيين ٢: ٣٣ – باسيليوس الكبير، رسالة ٥٢: ٢).

النور الإلهي في المعمودية المقدسة

وردت الاستنارة بصيغة المبني للمجهول في (عب ٦: ٤) "الذين استُنيروا مرةً وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس ..". وهو تعبير يؤكد أن خلف هذه الصياغة الدقيقة نجد سر المعمودية المقدسة؛ لأن الاستنارة (الموهبة السماوية)، وهي كما وردت في نص (عب ٦: ٤) بصيغة المبني للمجهول، هي ليست تقدُّم الانسان الروحي، بل هي اختراق – إذا جاز التعبير – النور الإلهي حياة وقلب الإنسان؛ لأن التعليم الرسولي الذي ورد قبل نص (عب ٦: ٤) هو:

"الله الذي قال أن يشرق نورٌ من الظلمة

هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في (أقنوم) وجه يسوع المسيح" (٢كو ٤: ٦).

فالتعليم هو إشراق نور المسيح حسب تعبير رسول الرب: "حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي حسب عمل قوته ... أُعطيت هذه النعمة أن أُبشِّر بين الأمم بغنى المسيح الفائق (الذي لا يُستقصى) **وأُنير الجميع** في ما هو شركة السر الخفي (المكتوم غير المباح) .." (أفسس ٣: ٧ – ٩).

ما هو هذا النور؟ يجيب تلميذ ورسول المسيح قائلًا إن ظهور مخلصنا يسوع المسيح "أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الخبر السار (الانجيل) الذي جُعلت أنا له كارزًا ورسولًا ومعلمًا للأمم .." (١تيمو ١: ١٠ – ١١). وقبول الايمان هو

بـدء الاسـتنارة، ولكـن نـوال الاسـتنارة هـو في المعمودية، ولـذلك يسـمي الشـهيد يوسـتينوس الـذين قبلـوا الايمـان واسـتعدوا للمعمودية "بالمسـتنيرين" (الـدفاع ١: ٦١: ٣١ — ١: ٦٥: ١ الحوار مع تريفو ٣٩: ٢). وفي مقدمة رسالة الشهيد أغناطيوس الانطاكي إلى الرومانيين يصف المؤمنين بأنهم في كنيسة "المحبوبين والمستنيرين".

المعمودية هي الميلاد الثاني أو الجديد —كما يقول القديس ايريناوس: "هي ميلادٌ من الله وفيها نصبح أولاده" (التعليم الرسولي فقرة ١٢ — ضد الهرطقة ٣: ١٧ - ١).

ولذلك يسمي أكليمنضس السكندري المعمودية بأنها: "حميم الميلاد الجديد للخلاص والاستنارة" (رسالة إلى الوثنيين ١٠: ٩٤ - ٢), وما نجده في صلوات الكنيسة المصرية أم الشهداء من أسماء خاصة بالمعمودية هو ما نجده عند أكليمنضس السكندري الذي يصف المعمودية بأنها:

"يدعى هذا العمل نعمةً χάρισμα واستنارةً φώτίσμα وكمالًا τέλειον وحميمًا λουφύν" (المؤدِّب ١: ٦ — ٢٦: ٢).

والاستنارة حسب التعليم الرسولي السابق هي "معرفة الله" (المؤدِّب ١: ٦ — ٢٥: ١). وفي صياغة متينة لا تختلف عن صلوات المعمودية يقول أكليمنضس:

"عندما نعتمد نستنير، وعندما نستنير ننال التبني، وعندما ننال التبني نُكمَّل، أي أن ننال الحياة الأبدية" (المؤدب ٨: ٦ — ٢٦: ١).

"المعمودية استنارة؛ لأننا ننال النور الذي يفتح عيوننا لقبول الرؤيا الإلهية" (المؤدب ١: ٦ — ٢٦: ٢).

والمستنير هو من قد ترك الظلمة وجاء إلى النور.

ومن الضروري ان نقف وقفة قصيرة مع صلوات كنيستنا الخاصة بالموعوظين:

"مبارك هو ابنك الوحيد يسوع المسيح ربنا
هذا الذي بواسطته دعوت كل الأمم من الظلمة إلى النور الحقيقي".

"من أجل عبيده الذين قُدِّمت اسماؤهم لكي يفتح مسامع قلوبهم،
ويضيء عليهم بنور المعرفة".

وبعد جحد الشيطان والاعتراف بالإيمان:

"أيها السيد الرب الإله ضابط الكل أبو ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ...
الذي أعطيت معرفتك للكائنين على الأرض ...

رتِّبهم على أساس إيمانك الرسولي.

وادعهم إلى نورك الطاهر.

واجعلهم أهلًا لنعمتك العظيمة وجدد حياتهم".

"أضيء عيون أفهامهم بنور المعرفة ..

لكي يقبلوا روحك القدس وليستحقوا حميم الميلاد الجديد.

واللباس غير الفاسد، وغفران الخطايا.

إذ تعدَّهم هيكلًا لروحك القدوس".

والمعمودية حسب الصلوات هي:

- "النور
- خاتم مسيحك
- موهبة روحك القدوس
- حلة نورانية
- لُباس الخلاص
- سلاح الايمان"

كل هذا؛

"لكي يصير الذين نالوا هذا السر خرافًا ضمن قطيعك وبنينًا لخدرك السماوي ووارثين لملكوتك غير الفاسد".

"افتح عيون قلوبهم ليستضيئوا بضياء إنجيل ملكوتك .. أبناء النور".

أصالة الصلوات ليس في القدم فقط، بل في أنها متواصلة مع الكتاب المقدس نفسه ومع ما ذكره الآباء.

النور الإلهي في العهد القديم:

الاستنارة كان لها رمز هام في العهد القديم، وهو "المنارة ذات السُّرُج السبعة" (عدد ٨: ٢ — خروج ٣٨: ١٣)، لكن النور هو "سبيل الصديقين، فكنور مشرق يتزايد وينير إلى النهار الكامن" (أمثال ٤: ١٨). والتعليم له ركيزة ثابتة وهي وصايا الله؛ لأنها أقوال الله: "عجيبة هي شهاداتك لذلك حفظتها نفسي. فتح كلامك ينير عقل الجهال (مزمور ١١٩: ١٢٩ - ١٣٠)، بل كانت الشمس ذكرى لنور التعليم نفسه (مزمور ١٠٢: ٣٩). وعندما يجيء النور الإلهي ويشرق من المسيح يقول أشعياء: "لا يكون لك بعد الشمس نورًا في النهار ولا القمر ينير لك" بل **الرب يكون لك نورًا ابديًا**، وإلهك هو زينتك" (اش ٦٠: ١٩). ولكن هذا الوعد النبوي لم يكن هدفًا بعيدًا، بل كان المزمور يؤكد: "لأنك أنت تضيء سراجي (النفس أو القلب) الرب ينير ظلمتي" (١٨: ٢٧)؛ لأن "عمى القلب" هو عمى العين، لذلك يقول المزمور: "الرب يفتح أو ينير أعين العمي" (١٤٥: ٨).

ومعرفة الله عبَّر عنها العهد القديم بإشراق وجه الله — ووجه الله هو التعبير العبراني "ب ن هـ"، وهو الذي صار في اليونانية Prosopon ومن هنا جاء التعبير "أضيء بوجهك على عبدك خلصني برحمتك" (مزمور ٣١: ١٦). وفي ليتورجية الهيكل -كما نعرف من المشنا- كان رئيس الكهنة يقول: "ليترأف علينا وليباركنا وينير أو يشرق بوجهه علينا" (مز ٦٧: ١) وجاءت الصيغة كاملة:

"هكذا تباركون بني إسرائيل قائلين لهم:
يباركك الرب ويحرسك
يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك
يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلامًا" (عدد ٦: ٢٢ - ٢٥).

وبمجيء الرب يسوع أضاء الرب الإله علينا بوجهه (٢كو ٤: ٦). النور هو "أور" في العبرانية، وهو حسب السبعينية، هو التعليم (قضاة ١٣: ٨ — ٢ ملوك ١٢: ٣)، ومن الله يلتمس المصلي نور الله، أي الله نفسه "الرب نوري وخلاصي" (٢٧: ١).

خلاصة العهد القديم تجدها في افتتاحية إنجيل يوحنا، وهي نص جميل يضع بشارة الحياة على أساسها النبوي، وعلى عملها في الاستعلان: "هذا هو الخبر الذي سمعته منه (يسوع) ونخبركم ان الله نور وليس فيه ظلمة البتة (مطلقًا)" (١ يو ١: ٥).

الاستنارة في السرائر:

من الكلمات اللاهوتية الهامة هو تعبير "المستنيرين" الذين "أنارهم المسيح" (الشهيد يوستينوس حوار مع تريفو ٣٩: ٢ — ١٢٢: ٢٥).

والاستنارة في المعمودية هي حميم الميلاد الجديد؛ لأن النفس والجسد كلاهما هنا في وحدة غير قابلة للانفصال، رغم الانفصال المؤقت الذي يتم بالموت البيولوجي، وهو غير موت الخطية؛ لأنه يؤهِّلنا – أي الموت البيولوجي – للقيامة وكمال الاتحاد بالمسيح. ولذلك يؤكد العلَّامة أوريجينوس أن الميلاد الجديد هو "اغتسال التجديد"؛ لأن الميلاد الجديد هو بداية ميلاد آخر" (مقالة الفصح وحوار مع هيراقليطس[1] ص ٢٩ — Ancient Christian Writers). "فالميلاد الجديد هو الذي يجعل المولود الجديد يطلب اللبن العقلي (١بطرس ٢: ٢)" (أوريجينوس شرح إنجيل متى ١٣: ٢٧)، وطقسنا القبطي لا يختلف عن الترتيب السائد في القرن الثاني والثالث حسب شهادة العلامة أوريجينوس؛ لأنه بعد المعمودية "يذهب من نال المعمودية إلى وليمة العرس لكي يأكل من جسد الحمل ويشرب من كأس الخلاص" (عظة على سفر الخروج ١١: ٢٧).

في مجلد ٢٨ من مجموعة الآباء اليونانيين P.G. عامود ١٨٥ يوجد نص تحت عنوان "الفصح المقدس" وهو نصٌّ ذو دلالة طقسية هامة وضعه الأب يعقوب ميني ضمن مؤلفات القديس أثناسيوس، ولا يوجد ما يدعو إلى الشك في ذلك. يقول المعلم الكبير:

---

(١) نلفت النظر إلى أننا قد نشرنا ترجمة عربية لهذا الحوار في كتابنا التمييز بين العقيدة والهرطقة والرأي، المنشور على موقع www.coptology.com

"في هذه النعم قد اعتمدتم يا مَن استنرتم الآن. لقد دخلتم إلى سر الانضمام إلى النعمة يا من استنرتم حديثًا، فصارت هذه النعمة هي ضمان القيامة؛ لأن المعمودية هي عربون الحياة في السماء. عندما تم تغطيسكم تشبَّهتم بدفن السيد، ولكن أنتم قمتم لكي تعاينوا قوى القيامة".

الاستنارة تحدث بالشركة في موت الرب وقيامته، هي معرفة قوة القيامة التي تحققت أولًا بقيامة المسيح والتي تعطي الآن سر المعمودية.

لاحظ نفس التعبيرات في صلوات المعمودية وصلوات الأسقف سرابيون صديق القديس اثناسيوس:

الطقس القبطي	سرابيون
يا جابل المياه وخالق الكل. ندعو قوتك الطاهرة الذاتية، الاسم الذي يفوق كل الأسماء .. نسألك يا ملكنا عن عبيدك: انقلهم وابدلهم قدِّسهم وقوِّهم قدس هذا الماء وهذا الزيت ليكون لحميم الميلاد الجديد .. لأن ابنك الوحيد .. نزل إلى مياه الأردن وقدَّسه قائلًا إن لم يولد أحد من الماء والروح .. لكي بهذه المياه وبروح قدسك تجدد ميلاد عبيدك الذين تقدموا إليك بقوتك الإلهية.	تطلع يا رب إلى هذه المياه واملأها بالروح القدس، وليحل اللوغوس الفائق فيها لكي يحول قوة هذه المياه لكي تصير مياه خالقة مملوءة من نعمتك .. حتى أن الذين يولدون من جديد يمتلئون من النعمة الالهية عند نزولهم إلى هذه المياه لكي يعتمدوا فيها .. لكي يولدوا من جديد حسب صورتك الإلهية الفائقة حتى أنهم إذا تحولوا ووُلِدوا من جديد ينالوا الخلاص ويستحقوا ملكوتك. لأن كلمتك الذاتي نزل إلى مياه الأردن وقدسهم. هكذا لينزل الآن على هذه المياه ويجعلها مياه مقدسة روحية لكي لا يصبح الذين يعتمدون جسدًا ودمًا، بل روحًا، ويستحقوا أن يخدموك.

وفي بردية برلين رقم ١٣٤١٥ المعروفة باسم Berolinis نشر النص القبطي Theodor Schermann مع ترجمة المانية تقول الصلاة:

"أنرنا بتعليمك لكي نستحق أن نعرف التعليم الرسولي الذي علَّمه الرسل القديسين، ولكي نعرف تعليم أناجيل مخلصنا يسوع المسيح".

فمن هذه الصلوات نعرف أن الاستنارة هي عمل الابن والروح القدس فينا.

الحميم λουτρόν

وردت هذه الكلمة بكثافة في صلواتنا القبطية. وفي كتابات أكليمنضس وأوريجينوس، الكلمة هي تفيد الاغتسال. تُعد عظات القديس كيرلس الأورشليمي هي أوفر مصدر آبائي، ووصف المعمودية فيها هو وصف دقيق، ليس للمعمودية وحدها، بل لما نتذوقه في ليتورجية الإفخارستيا؛ لأن الحقيقة الواحدة هي اشتراك كل الأسرار في حياة وموت وقيامة الرب يسوع. يقول كيرلس:

"عظيمة هي المعمودية التي سوف تقبلونها،
هي فداء الأسرى – غفران الخطايا – موت الخطية – ميلادٌ جديدٌ للنفس – ثوب النور – ختمٌ لا ينحل - مركبة للسماء – فرح الفردوس – قبول في الملكوت – عطية التبني (عظة ١٦).

"الاغتسال هو تطهير النفس والجسد، المياه تقدس الجسد والروح القدس يختم النفس (٣: ٤ عظات الموعوظين – القديس كيرلس الأورشليمي)، والاغتسال هو غفران الخطايا (٣: ٢ المرجع السابق)، وهو ما يؤكده قانون الايمان:

"معمودية واحدة لمغفرة الخطايا".

في الحميم تخلع النفس ما هو لآدم الأول، ولكن حسب الشرح المسهب للقديس يوحنا ذهبي الفم (عظات للموعوظين، نشر النص Paul W. Harkins مجلد ٣١ من سلسلة Ancient Christian Writers): خلع القديم يعني لبس الجديد وثياب عدم الفساد هي ثياب القيامة، هو "ثوب النور"، وهو كما يقول ذهبي الفم:

"الذين يأتون إلى المغطس يعرفون الثوب الملوكي، وهم في قرار واحد لا تغيير فيه يلبسون المسيح وصاروا أهلًا لأن يحل فيهم المسيح ... والآن ثوبكم الذي تلبسونه وملابسكم اللامعة هي مصدر انتباه الجميع، وهي التي قال عنها المسيح: "ليضيء نوركم قدام الناس ..."، هذا النور لا يفقد قوته عند معاينته بالحواس الجسدانية؛ لأنه ينير النفس والفهم لكل مَن يقبله ويراه لأن هذا النور هو الذي يطرد الظلمة" (العظة ٤: ١٧ – ١٩).

الحميم والاستنارة:

التعليم قديم جدًا حسب شهادة الشهيد يوستينوس؛ لأنه بعد الصوم والاستعداد بالصلاة "نجيء بالذين يرغبون في المعمودية إلى الماء لكي يولدوا من جديد، وهو نفس الميلاد الجديد الذي وُلدنا نحن فيه، وهؤلاء يغتسلون في الماء باسم الله الآب خالق الكل ومخلصنا يسوع المسيح والروح القدس؛ لأن المسيح نفسه قال: "إن لم تولد من الماء والروح لن تدخل ملكوت السموات" (يوحنا ٣: ٢٥)، وهذا معلوم الآن؛ لأن كل الذين جاءوا إلى هذه الحياة ونالوا الوجود لا يمكن أن يعودوا من جديد إلى بطون أمهاتهم ... ميلادنا الأول هو ضرورة ويحدث بدون معرفتنا ... ولكن اغتسالنا يسمى استنارة؛ لأن الذين تعلموا التعليم قد استنارت عقولهم، ومَن يستنير هو الذي اغتسل باسم يسوع المسيح ..." (الدفاع الأول ٦١).

ونسمع نفس التعليم تقريبًا بنفس الكلمات بعد ما يزيد على ٢٥٠ سنة تفصل بين يوستينوس الشهيد وذهبي الفم، فهو يعظ الذين استعدوا للمعمودية:

"إذا أردتم أن تسمعوا، ها هي أسماء هذا التطهير السري mystic لأن هذا التطهير له أسماء عديدة ويُوصف بعدة طرق هو يدعى "حميم الميلاد الجديد كما يقول بولس" الذي يخلصنا بحميم الميلاد الجديد وتجديد الروح القدس (تيطس ٣: ٢٥)، ويسمى استنارة – ومرةً ثانيةً أعطى بولس هذا الاسم لهذا الاغتسال "ولكن تذكروا الأيام السالفة التي فيها بعد ما أُنرتم صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة"

(عب ١: ٣٢)، وأيضًا "لأن الذين استنيروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس.." (عب ٦: ٤ - ٦)، ويدعى "معمودية"؛ لأن "جميعكم الذين اعتمدتم للمسيح لبستم المسيح" (غلا ٣: ٢٧)، ويدعى "دفن"؛ لأننا دفنا معه في المعمودية كما يقول بولس (رو ٦: ٤)" (تعليم الموعوظين ٩: ٢١).

العين المستنيرة:

يقول الرب يسوع: "سراج الجسد هو العين، فإذا كانت عينك سليمة (بسيطة) فجسدك كله يكون نيرًا" (متى ٦: ٢٢). العين السليمة أو البسيطة هي التي ليس لها رؤيا مزدوجة مشتتة، ولذلك تقوم العين في النفس أو القلب مقام الرؤيا الروحية الداخلية. والعيون التي عميت أو حرفيًا أُغلقت (متى ١٣: ١٥) تعني انغلاق الفهم أو الإدراك. وعندما يقول الرب: "هل لكم عيون ولا تبصرون ولكم آذان ولا تسمعون ولا تذكرون" (مرقس ٨: ١٨)، فالكلمات تجد صداها في صلوات المعمودية: "افتح عيونهم" أو "افتح مسامع قلوبهم"؛ لأن هذا هو عمل الروح القدس. وعندما يقول الرسول: "خوف الله ليس امام عيونهم" (رو ٣: ١٨)، فهو يقصد الإدراك المصاب بالعجز، وهو ما يردده أشعياء وعنه ينقل رسول الرب عن "العيون التي لا تبصر" (رو ١١: ٨)، ولذلك يصلي الرسول بولس: "يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته مستنيرةً عيون قلوبكم (حسب القبطي واليوناني)، لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين .." (متى ١: ١٧ — ١٨) وإذا عدنا إلى شرح رسالة أفسس للعلامة أوريجينوس وجدنا أنه أعاد ترتيب كلمات الرسول بولس حتى يظهر المعنى جيدًا. وهكذا أعاد أوريجينوس النص:

"أعتقد أن سياق النص وقواعد الإعراب مع مراعاة المحتوى نفسه تجعلنا نقرأ النص: لذلك السبب أنا نفسي، عندما سمعت بإيمانكم بالرب يسوع ومعرفته؛ لأن عيون قلوبكم قد استنارت". ودعى "عيون قلوبكم"، فهذه هي أعضاءنا التي يمكن أن نفهمها، أي قوى الإدراك والعقل تابعين في ذلك عبارة المزمور، وهي

تؤكد ما نقول: "أنر عيني لئلا أنام نوم الموت" (مز ١٢: ٤). وفي موضع آخر: "الحكيم له عينين في رأسه" (الجامعة ٢: ١٢) (شرح أفسس تحقيق Ronald E. Heine جامعة اوكسفورد ٢٠٠٢ ص ١٠٨).

يجب أن نلاحظ تعبيرات الرسول:

- روح الاستعلان هو روح الرؤيا αποκαλύψεως ورد أيضًا في (١كو ١٤: ٦، ٢٦، ٣٠).
- عيون القلوب ورد في رسالة أكليمنضس (٣٦: ٢).

العين المستنيرة نالت النور في المعمودية ومسحة الميرون:

هذا التحول في كيان الانسان لكي يرى بالنور الإلهي، وهو نور المعرفة نور الله نفسه هو ما يُوهب في المعمودية وبمسحة الميرون، ولكن في الإفخارستيا يقف المؤمن في حضرة الثالوث لأنه نال قوة القيامة. ونداء الشماس للشعب هو نداء عن ذات القيامة ⲥ̀ⲧⲁⲑⲏⲧⲉ رافعًا الصليب، لا سيما وأن أوشية الإنجيل هي أوشية قبول الاستنارة: "طوبى لعيونكم لأنها تبصر"، مؤكدةً: "افتح آذان قلوبنا لكي نسمع أناجيلك المقدسة"، وهو ما يجعل الكاهن يقول: "الآن يا سيد تطلق عبدك بسلام ... نور إعلان للأمم". وقبول بشارة الانجيل هو تقديم صعيدة البركة: "مجدًا وعظم بهاء في قدسك"، هو "مجدًا وإكرامًا للثالوث"؛ لأن البهاء هو إشراق مجد الله. ولاحظ تمجيد الثالوث بعد رشومات الحمل: "واحد هو الآب القدوس .."، لكن الجدير بالاهتمام هو التعبير العبراني الأرامي القديم جدًا عن إشراق الأقنوم: "اظهر وجهك على هذا الخبز"؛ لكي تأتي صلوات المعمودية السابقة عن تحول كيان الموعوظ:

"أضيء عيون أفهامهم بنور المعرفة،
انقلهم
ابدلهم

قدسهم

وقوهم

افتح أعين

قلوبهم ليستضيئوا بضياء إنجيل ملكوتك".

واستدعاء الأقنوم بالشكل القديم جدًا، ليس فقط "أظهر وجهك"، بل "اطَّلع أيها الجالس على الشاروبيم اظهر وانظر إلى جبلتك هذه، أي هذا الماء. امنحه نعمة الأردن". فالأساس اللاهوتي واحد: "اظهر وجهك على هذا الخبز وعلى هذه الكأس: باركهما – قدسهما – طهرهما وانقلهما لكي يصير هذا الخبز جسدك المقدس ..".

استعلان الثالوث بواسطة الابن هو استنارة العقل أو القلب أو الإدراك: "أظهرت لنا سر إنجيل مجد مسيحك".

وحسب ترتيب التدبير: هدم الله الموت "بالظهور المحيي الذي لابنك الوحيد"، ولذلك الشعب يرتل: "تعال إلينا يا سيدنا المسيح وأضيء علينا بلاهوتك الفائق (العالي) أرسل علينا هذه النعمة العظيمة التي لروحك القدوس" (راجع خولاجي الدير المحرق ص ٢٤٧ - ٢٤٨).

وعودةً إلى الوجود في الثالوث حسب الصلوات والتسابيح التي نشترك فيها مع القوات السماوية: "قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت .."، ويا ليتنا نعود إلى التراتيل الفخمة (خولاجي الدير المحرق ص ٢٥٤ - ٢٥٨)، لكن يظهر ترتيب التدبير في ظهور الابن الوحيد "نحن الجالسون في الظلمة وظلال الموت"، وهو الظهور، أي التجسد، ثم "وأنعم لنا بالميلاد الذي من فوق من الماء والروح .. وصيَّرنا أطهارًا بروحك القدوس"، فالمعمودية تسبق الشركة في الإفخارستيا، ولذلك المولود من فوق يستنير بالميلاد وبنور الروح القدس لكي بهذه النعمة يؤهَّل للاشتراك في جسد الرب.

النفس المستنيرة:

كانت هذه المسيرة الطويلة مع نعمة الاستنارة في المعمودية؛ لأن النفس التي استنارت هي التي بالنور الإلهي تفهم السر حسب الاستعلان المعطى من الروح القدس؛ لأن الروح القدس هو الذي يُظهر هذا السر "قدسًا للقديسين"، أي ينبوع التقديس للذين اتحدوا بالمسيح واستناروا به.

اعتذر للقراء الكرام على هذه المسيرة الطويلة ولكنها كانت ضرورية؛ لأن الإيقاع الموسيقى الإلهي هو:

النور الإلهي يشرق في الابن، ويعطي بالروح القدس في المعمودية. النفس تستنير، وتدخل المعرفة الإلهية الكيان الإنساني في المعمودية، تدخل إلى شركة الجسد والدم لكي تبقى الاستنارة، وهكذا تفهم النفس عظمة وجمال السر الإلهي والعطاء الفائق.

+ + +

ما دوِّن في هذه الصفحات هو خبرة وتذوُّق لمحبة المسيح في حياة كثيرين، بغض النظر عما إذا سلَّط عليه المشاغبون سياط الشك، بالرغم من أنهم لم يتقابلوا مع هؤلاء، ولا تحدثوا إليهم.

إن مجرد محاولة الدراسة سوف تفتح الوعي على حقائق علاقتنا بالرب يسوع الذي لا يتركنا أبدًا، والذي يحيا فينا لكي يطهرنا ويقدمنا قربانَ محبةٍ للآب حسب كلمات صلاة قسمة سبت الفرح.



